

ديوان الرضائي

أتم شرحه وصححه

مطعمي السقا

الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الرابعة

بها قصائد لم تنشر من قبل

١٣٧٣ — ١٩٥٣

مطبع الطباعة والنشر
دار الفكر العربي

مطبعة لإعتاد مصر



الشاعر معروف الرصافي في أخريات حياته

١٨٧٥ - ١٩٤٥

رهن البيت في عيش كفاف

بعدُ مات معروف الرصافي

١١٦ ٤٤١ ٣٩٦ ٤١٢

أمثل الشاعر « المعروف » يبق

فقسم واندب مآثره وارخ

١٣٦٥ هـ

عبد الكريم العلاف

الجزء الأول

مقدمة الطبعة الثالثة

لديوان الرصافي

ظهرت الطبعة الأولى من ديوان شاعر العراق الأكبر، الأستاذ « معروف الرصافي البغدادي » سنة ١٩١٠ م ، نشرتها « المكتبة الأهلية ببيروت » في جزء متوسط ، صفحاته ٢٣٢ ، وقد عني بترتيبه وتبويبه ، وتصحيحه وتقديمه ، الأستاذ « محي الدين الخياط » ، وشرح بعض قصائده الشيخ « مصطفى الغلاييني » صاحب مجلة « النبراس » البيروتية ، لكن المنية عاجلته قبل إتمام طبع الديوان ، فجاء بعض قصائده غفلا لم يشرح .

وقد رُتبت أشعار الطبعة الأولى في أربعة أبواب ، هي : الكونيات ، والاجتماعيات ، والتاريخيات ، والوصفيات . وألحق بآخر الديوان فهرس لموضوعات القصائد ، ومطلع كل قصيدة .

وفي سنة ١٩٣٢ ، أي بعد اثنتين وعشرين سنة ، ظهرت الطبعة الثانية لديوان « الرصافي » ، أخرجتها « مطبعة دار المعرض ببيروت » في مجلد واحد تبلغ صفحاته ٥٢٤ ، فهي تزيد على ضعف الطبعة الأولى عدد صفحات . وتمتاز بأنها أحسن من الطبعة الأولى تقسيما للأشعار ، فقد صارت أبواب الديوان فيها أحد عشر بابا ، هي : الكونيات ، والاجتماعيات ، والفلسفيات ، والوصفيات ، والحريقيات ، والمراثي ، والنسائيات ، والتاريخيات ، والسياسيات والحرييات ، والمقطعات .

وتمتاز كذلك بمقدمة تحليلية ونقدية لشعر الرصافي ، كتبها الأستاذ الكبير « الشيخ عبد القادر المغربي » عضو الجمع العلمي العربي بدمشق ، وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية الآن . هذا إلى مزايا أخرى في الورق والطبع والتصحيح ، وكثير من الصور الفنية .

وقد ظهرت هاتان الطبعتان في حياة الشاعر ، ولكننا لا ندرى مقدار مشاركته في الإشراف على ترتيب ديوانه وتبويبه واعتماد أصوله ، ثم تصحيحه وطبعه .

وبعد نحو عشرين سنة أخرى ، تظهر هذه الطبعة الثالثة من ديوان «الرصافي» ولكنها تظهر بعد أن ودع الشاعر الحياة في سنة ١٩٤٥ م ، وترك من شعره ثروة ضخمة لأبناء هذا الجيل والأجيال المقبلة ، من أبناء العروبة ومحبيها والدارسين لها ، وهي ، كما يراها القارئ ، جزءان في مجلد واحد ، تبلغ صفحاتهما نحو ٥٨٨ صفحة ، تنشرها « المكتبة العصرية ببغداد » ، وتطبعها مطبعة « دار الكتاب العربي بالقاهرة » .

وقد رغب إلى حضرة الناشر « محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية ببغداد » وحضرة صديق الأستاذ سعيد جودة السحار ، صاحب مطبعة « دار الكتاب العربي » أن أقوم بتصحيح هذه الطبعة ، وأن أشرح بعض الغريب من الألفاظ ، فأجبت رغبتهما ، وأخرجنا هذه الطبعة الثالثة ، التي يسرنا أن نهدّيها إلى قراء العربية .

تتماز هذه الطبعة عن الطبعتين السابقتين بمزايا :

أولها : غزارة مادة الشعر الذي تحويه ، فقد اشتملت على طائفة من الأشعار والمقطوعات التي لم تنشر قبل في كلتا الطبعتين ، وقد اجتهد الناشر في الحصول عليها فأضاف إلى الديوان حسنة جديدة ، وأثخف قراء العربية بطرائف لم تكن مجتمعة في موضع واحد من شعر «الرصافي» ، وقد نشرت المجلات والجرائد بعض أشعار الرصافي ومقطوعاته هذه ، ولكن طائفة كبيرة منها بقيت مخبوءة ، وقد ظفر بها الناشر مكتوبة بخط الشاعر نفسه ، وتحتها إمضاءه «الرصافي» .

وقد أوصينا حضرة الناشر بأن يحتفظ بهذه القصائد والمقطوعات التي عليها خط

الشاعر نفسه ، لما لها من قيمة أدبية وتاريخية، فهي وثائق شاهدة بالمعتمد من نصوص. أشعاره ، قبل أن تمتد إليها أيدي التحريف والمسخ والنشويه . ذلك إلى أن فيها مجالاً لدراسة خط الشاعر ، وتطور إنشائه القصيدة ، ومبدأ تقييده للخواطر الأولى عند سئولها بعقله ، ثم تصرفه فى المعانى بعد نقدها وتمحيصها وترتيبها . ومن حسن الحظ أن بعض هذه القصائد التى بخط الشاعر مسودات لم تبيض ، ولا توجد منها نسخة أخرى غير التى كتبها الشاعر كتابة غير منظمة ، بل غير واضحة أحياناً ؛ ولكنه على الرغم من ذلك اعتمدها ، ووضع اسمه «الرصافى» تحتها ، فلم يبق شك فى نسبتها إليه .

وقد التزمنا أن نلحق هذه الزيادات ، من القصائد والمقطوعات فى أواخر الأبواب ، ما عدا المقطوعات التى لا فن ولا غرض يجمعها ، فلم نلتزم فيها أواخر الأبواب ، بل وزعت فى مواضع متفرقة ، لأغراض مطبعية فنية .

وأشرنا فى فهرس الموضوعات إلى هذه الزيادات بهذه العلامة (*)

وتمتاز هذه الطبعة كذلك بشرح كثير من القصائد التى لم تشرح فى الطبعتين السابقتين . ولم نشأ أن نتوسع فى هذا الشرح ، بل قاربنا بينه وبين الشرح الذى وجدناه فى الطبعتين السابقتين : نشرح اللفظ الغريب المستغلق بإيجاز ، حتى ينكشف المعنى ، فإذا لم ينكشف بشرح الغريب ، أوضحناه بالعبارة المطولة ، حتى يظهر مقصد الشاعر .

وفى شعر «الرصافى» قصائد كثيرة لا تحتاج إلى شرح ، لقربها من أفهام الشداة ، وهم متوسطو الثقافة من قراء العربية ، ولذلك لم نتكلف شرح هذا النوع . على أن ذبوع المعاجم فى عصرنا ، لا يجعل للقارىء عذراً فى ترك البحث عما يهمه من الألفاظ . بل إن القارىء لا يتقدم فى دراسته ومعرفته ، إلا إذا استقل بنفسه فى البحث عما يعنيه من الألفاظ والمعانى ، ولم يتكل على هذه الشروح والتعليقات الخفيفة ، التى يمد بها أصحاب الشروح ، ولعل كثيراً منها لا يشيع أهمته ، ولا يحقق غرضه .

ومن مزايا هذه الطبعة ضبط الشكل المبهم من الألفاظ ، ولا أعنى الضبط الكامل ، فإنه غير ضرورى لأمثال قراء هذا الديوان . إنما الضبط الكامل لصغار تلاميذ المدارس ، ليحفظوا صيغ الكلمات صحيحة ، حين يكونون أكثر استعداداً للحفظ ، وأقبل لما يرد عليهم من صور الأشياء . وقد كادت الطبعتان السابقتان من هذا الديوان تكونان عاريتين عن الضبط ، إلا فى الأقل النادر ، أما هذه الطبعة فقد سلكنا فيها مسلكاً وسطاً بين الإفراط والتفريط .

وقد ألحقنا بالديوان فهرسين : أحدهما لموضوعات الأشعار ، والثانى للقوافى ، لتسهيل المراجعة والبحث فى الديوان .

* * *

هذا . وإن ما قرأناه من أشعار « الرصافى » فى هذه الطبعة ليدل دلالة واضحة على أنه كان من كبار شعراء هذا العصر ، ذوى الافتنان فى الشعر ؛ وقد ظهر فى شعره الكونى والفلسفى نزعات قوية دالة على عمق تفكيره . كما أبان شعره الوصفى عن دقة وقوة فى تصوير الأشياء ، لعلها لم تتح لكثير ممن زاولوا الوصف فى الشعر العربى . أما شعره الاجتماعى والسياسى ، فهما غنيان بالعواطف القوية الجياشة ، التى تدل على أنه كان سياسياً ووطنياً ، بل كان إنساناً من الطراز الأول فى جيله ، يتمنى الخير لبلائده وقومه ، بل للعرب جميعاً ، وللشرق كله ، وتذوب نفسه حسرات عندما يرى البؤس والضعف فى شتى مظاهره .

على أن للرصافى مزايا أخرى فى أساوبه وتعبيره ، فالقارىء لشعره يحس كأن تياراً من التعبير الفخم الجزل ، واللفظ المونق العذب ، ينساب رنينه فى روحه ، فيملأ النفس قوة ونشوة ، لا يزال يتردد صداها فى أعماق قلبه ، وكل ذلك من صميم العربية ولبابها ، ومعدنها ونجارها .

ما أجدر شباب العربية باستيعاب ديوان « الرصافى » قراءة ، والتوفر عليه

مبحثاً ودراسة ، فقد أتيحت لهم المواد الأولى من شعر الشاعر مطبوعة قريبة من عقولهم وأيديهم .

لقد عالج بعض الكتاب دراسة شعر « الرصافي » ؛ ولكننا لا نقنع بكتاب أو كتابين عن شاعر كبير مثله ، أشقى نفسه نحو نصف قرن في خدمة الأمة بعقله وشعره ، حتى خرج من هذه الدنيا لم يشيد داراً ، ولا بنى أسرة . فهو حقيق أن يشغل جيلاً من الباحثين والدارسين ، يكتبون سيرته مفصلة ، ويحللون شعره . وإن في كل باب من أبواب ديوانه لمجالاً لبحث واسع ، تكتب فيه الرسائل القصيرة ، بل الأسفار المطولة ، وتمنح عليه الجوائز ، بل الإجازات الدراسية العالية ؟

مصطفى السقا

القاهرة في { ٦ من ذي القعدة سنة ١٣٦٨
٣٠ من أغسطس سنة ١٩٤٩

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم العلامة الأستاذ عبد القادر المغربي

أهدي إلى الجزء الأول من ديوان شاعرنا الرصافي سنة ١٩١٠ م ، فكان مما قلته في تقييده :

« إنا إذا التمسنا لشعراء العصر الماضي عذراً في وقوف شعرهم عند الحد الذي رسمه لهم من سبقهم من الشعراء ، وانتحلنا من سنن العمران أسباباً لهذا الوقوف ، فلا ينبغي أن نعذر شعراءنا اليوم وقد تمهدت أمامهم العقاب ، وتيسرت الأسباب ، لرحضة الشعر العربي عن موقفه القديم ، والسير به في الطرق الجديدة التي سلكها شعراء الغرب ؛ فإن اللغة العربية نشطت من عقالها لهذه الآونة ، وألقت عنها أغلال الركافة ، وأثقال الصنعة ، التي بهظتها قروناً طويلة ، فأصبحت تساعد أدباءنا على ما يبتغونه منها ، من حسن التعبير ، وجمال الأسلوب ، والافتنان في الوصف .

هذا من جهة اللفظ . أما من جهة مقاصد الشعر التي تتطلبها حضارتنا الحديثة ، فإنها أيضاً تيسرت لنا ، بسبب اختلاطنا بأرباب هذه الحضارة ، ووقوفنا على شأنها ومقوماتها ، وتصفحنا أقوال كتابها وشعرائها ، فلا ينتظر منا بعد هذا إلا احتذاء مثالم ، والنسج في الشعر العصري على منوالهم . وقد كان حظ الشعر العربي في مختلف الأقطار العربية ، على قدر حظ هذه الأقطار ، من اقتباس تلك الحضارة ، وارتقاء ملكة اللغة العربية في نفوس أهلها ، فكانت مصر في طليعة تلك الأقطار ؛ ومن ثم نبغ فيها شعراء أدركوا أن الشعر أرفع من أن يخدم كيس الغنى ، وحسن الثغر ؛ وأن الشعراء في الشعب بمنزلة الحداة في الركب : فهم يوجهون إلى الرقي تيار عزمته ، ويذكرون في حب الإصلاح الاجتماعي نار حميته .

ولكن لم يكن يخطر ببالنا أن يقوم في بلاد العراق على تأخرها ، بالنسبة إلى

مصر ، شاعر يبدِّ النابغين ، ويتلقى رواية الشعر الاجتماعي باليمين ، أريد به السيد معروفًا الرصافي ؛ فقد تصفحت ديوانه تصفحاً يليق به ، وبمكانة صاحبه ، ثم ما أتيت على آخره ، لم أجد وصفاً ينطبق عليه ، أحسن مما قاله صاحبه فيه :

طابقتُ لفظي بالمعنى فطابقه خلوا من الخشو مملوءا من الدرر

إني لأنتزع المعنى الصحيح على مُعرِّي فأكسوه لفظاً قد من دُرَرٍ

هذا ما يقال في الديوان من حيث لفظه ومعانيه الجزئية ؛ أما مطالبه أو أغراضه الشعرية العليا ، فهي من أشرف الأغراض وأنبهها ، وأعلقها بمصلحة الأمة التي نشر هذا الديوان بين أبنائها ؛ فهو يصف الكائنات وأسرار الخليفة وصف العارف بها ، الملم بما قاله علماء الطبيعة من أمرها ؛ وإذا تكلم عن مساوينا الاجتماعية ، نحافى القول منحي المصلحين ، المتفطين لموضع الداء الدفين ؛ وهكذا إذا تكلم في نقد السياسة والأخلاق والآداب والعادات والتقاليد . وربما لم يقم إلى اليوم في بلادنا شاعر مثله ، أبدع القول في وصف حياتنا الحاضرة ومطالبها العليا إبداعه ، حتى صدق عليه ما قاله هو عن شعره :

وأجود الشعر ما يكسوه قائله بوشى ذا العصر لا الخالي من العصر

على أنه إذا شاركه في هذه الأغراض الشعرية الاجتماعية مشارك ، فإنه في وصف البؤس والبؤساء منقطع القرين ، وفي إثارة الشفقة عليهم لم يشبهه أحد من الشعراء المعروفين . ا هـ

هذا ما قلته في وصف شاعرنا الرصافي وشعره منذ أكثر من عشرين سنة ، وأنا اليوم بعد ما اطلعت على ديوانه هذا ، ما زلت على رأيي أمس ، وإذا كان هناك شيء أقوله من جديد ، فهو أن ملكة الشعر في الرصافي أراها قد بلغت حدّها من النمو والنضج ، فلم يعد الشعر بالنسبة إليه صنعة يتكلف لها ، ويجهد قريحته سعياً وراء استرضائها ، بل أصبحت صناعة النظم طبعاً طبعاً ، لا يلبث إذا استوحى أن يتفجر بالبيان ، وينثر على سامعيه النياقوت والمرجان ، على حد قوله :

وأرسلته عفواً فكان كما ترى قوافي تجتنب البلاد سراها
ويشبه أن يكون شاعرنا ملّ الحياة الشعرية وتكاليفها المنصبة . وسئم ممارسة
النظم ، وأن يأبه لقول الشعر ؛ فلماذا التكلف له وهذه ملكته مؤاتية : إذا هتف
بها لبت بما يراى منها ، وأوحت بمعجز من آياتها .

وليس هذا بدعا من حال الرصافي ؛ فإنه ذاب الأفاذ من عباقرة أهل الفن
والأدب ، والمقدّمين في صناعات النظم والنثر ، فإنهم إذا امتد بهم الزمن في ممارسة
فنهم أو أدبهم ، سئموا التكلف له ، والتأنق فيه ، فإذا قالوا قولاً ، أو نظموا شعراً ،
أرسلوا طبعهم على سجيته ، فجاء النثر أو الشعر عفواً لا عناء معه ، وسيلا لا وعورة
فيه ، وجلياً لا غموض عليه .

ومما رواه صديقنا الأمير شكيب أرسلان عن أناتول فرانس ، أنه قال : « إننى
فى أول نشأتى كنت أنضح عرقاً حتى أبلغ الأسلوب العالى الفخم ، وأما الآن فإنى
أفر منه فراراً » .

وهذا القول يذكّرنا بالأمير شكيب نفسه ، إذ قد أصبح فى نفرته من التكلف
للأسلوب الفخم ، وفراره منه ، كأننا طول فرانس ، ولم يعد يعبأ من تزاين النثر
إلا بالبيان ؛ وهكذا شاعرنا « الرصافي » فإنه لم يعد يعبأ من تزاين الشعر إلا بالبيان
أيضاً . فمن ثمّ وجب أن يُلقب بأمير البيان فى الشعر ، كما لقب الأمير شكيب بأمير
البيان فى النثر ؛ وكأنهما كليهما تواردا على العمل بوصية إمام نهضتنا الأدبية
« الشيخ محمد عبده » رحمه الله ، فقد قال :

« إن الكتاب والشعراء هم حملة مصابيح الهداية بين يدى أممهم ، فإذا بعدوا
عنها ، فلا حاجة لها بهم ولا بمصابيحهم » . وأراد بقوله : « بعدوا عنها » أن يكلموها
بأسلوب غامض ، مثقل بأوقار الصنعة ، وبعيد الاستعارات والكنائيات .

وكان رحمه الله يتأسف لكونه لا يقدر أن يكتب كتابة تتناولها جميع أفهام
القرّاء ، وكان يعد ذلك عجزاً ، ويقول : إنه يشعر من نفسه بالقدرة على النفع بالتعليم ،
أكثر من قدرته على النفع بالتأليف .

ولعل الذى حُب الرُّصافى وشعره إلى النشء العربى الجديد ، أنه يمشى بمصباح بيانه بين أيديهم ؛ فهو يقول ما يفهمون ، ويعبر بما يقول عما يحسون ويشعرون .

ونحن فى حالتنا الحاضرة المملوءة حيرة واضطرابا ، من الوجهتين السياسية والاجتماعية ، فى حاجة إلى زعماء يعرفون كيف يحدثون يقظة فى نفوس الجمهور ، ويتركون فيها من الاقتناع أثراً ييناً . فالزعماء إذا لم يكونوا أدباء فى بيانهم ، وبلغ خطابهم ، لا يمكنهم أن ينقدوا أممهم من حيرتها ، ولا أن يستوقدوا نار الهمة فى نفوس ناشئتها ، إذ لم يعد الأدب اليوم كما كان قديماً : أدباً فياضاً بالصنعة ، برازاً بترازين البديع ، مما لا يعجب إلا قائله ، ولا يطرب إلا صاحبه ، وإنما الأدب أصبح عاملاً من عوامل تكوين الأمم ، وإبلاغها رشدتها ، وإنالتها استقلالها .

والطريق الموصل إلى هذا الاستقلال — يقولون — هو السياسة . نعم ، ولكن هناك سياسة هى أتم وأكمل فى هذا الإيصال ، أعنى بها سياسة الأدب والثقافة ، وهى « السياسة العليا » كما سماها الأستاذ « مكرم عبيد » فى خطابه فى القدس . وهذه السياسة « سياسة الأدب » لا تقي بالعرض ، ولا تنقذ الأمة من ربكة الجهل والاستعباد ، ما لم تكن ذات لغة تجمع بين الصحة فى اللفظ والأسلوب ، وبين الوضوح فى المعنى والمقصود ، بحيث يتأثر بها جمهور أبناء الأمة ، فتجمع كلمتهم ، وتوحد ميولهم ، وتوجه إلى المنزل الأعلى عزائمهم .

وهذا ما نكاد نلمسه لمساً فى كل جانب من شعر الرصافى ؛ ولا يحتاج القارىء إلا أن يتصفح ديوانه ، فيرى الشواهد الكثيرة عليه .

هذه مزية البيان فى شعر الرصافى ، من الوجهة القومية . أما مزيته من الوجهة التعليمية ، فهى أيضاً من أكبر المزايا التى تجعل شعره مدرسة ممتازة بطابعها ، يتخرج عليها طلابنا فى صناعة الشعر والأدب ، وتحصيل ملكتها . فشعر الرصافى صالح للحفظ والاستظهار ، وذلك لسهولة ، وحسن ديباجته ، وصفاء عبارته ؛ فإن الطالب لا يلبث إذا تلا شعره أن يستشف معانيه من وراء ألفاظه ، كما تستشف درر الحصاء

من خلال صفاء الماء ؛ ومثل هذا الشعر هو الذى يغرى الشداة بحفظه ، وتكرير تلاوته ، واحتذاء مثاله ؛ فلا تغم ملكة الشعر أن تستحكم فى نفوسهم ، وتنبوا المكان الأرفع من سلاتهم . وأت حذائق الأساتذة والمعلمين يعلمون ذلك ، فلا يروون تلاميذهم إلا ما كان من هذا القبيل ؛ أما حملهم على كد أذهانهم فى حفظ المعقد من الشعر ، والغث من القول ، فهو مفسد للملكة ، مشوه للسليقة ، مضعف للاستعداد والقابلية .

والرصافى فى مزيتى السهولة ومنمة الديباجة ، شبيه بالبحترى ، فالكلمات فى أبياتها مختارة متقاة ، رُتبت بحسب ترتيب المعنى ، وفصلت على قدره ، فلا تقديم ولا تأخير ، ولا حشو ولا تعقيد ، ولا استعارات بعيدة ، ولا كنيات غامضة ؛ ولو عمدت إلى كثير من قصائدها ، وحاولت تحويلها إلى مقال من النثر ، لأمكنك ، وانقادت طائفة مختارة . وقد تتلى عليك القصيدة من شعر الرصافى ، فلا تدرى — وأنت تسمعها — إن كنت تسمع نظماً منشوراً ، أو نثراً موزوناً ، كما قال هو نفسه يصف شعره :

وأرسلته نظماً يروق . انسجامه فيحسبه المصغى لإنشاده نثراً

ومثله قوله :

فإني ما أطلعتُ شمسَ حقيقةٍ لمستمع إلا لتغرُب في السمع
ولست أبالي بعد إفهام سامعي أكان بخفض اللفظ ماقلت أم رافع

خذ مثالا على ذلك قصائده : « من أين من أين يا ابتدأى ؟ » ، و « الحياة الاجتماعية والتعاون » ، « والمدارس ونهجها » ، وغيرها . وكما أشبه الرصافى بالبحترى فى هذا ، فكانا شاعرى ألفاظ ، وناشرى ديباج ، أشبه أبا الطيب المتنبي ، فكان معه شاعر معان ، وحكيم حجة وبرهان ؛ فهو فى كثير فى مواقفه يستخرج المعانى لدقيقة ، ويعبر عنها بالفاظ جزلة ، وأسلوب فخم ، ويضم من شعره الأمثال والحكم ،

والتلاميذ إلى قضايا العلم والفلسفة والتاريخ . وكثيراً ما سلك طريق التهويل والغلو في الوصف ، حتى ليخيل إليك أنه المتنبي ، لولا كلمات أو تعابير تجدها أحياناً في شعره ، تنبهك إلى أنك إنما تقرأ شعراً للمعاصرين ؛ وهذا كقوله :

لعمرك إن الحرَّ لا يتقيَّدُ	ألا قليقل ما شاء فيَّ المَفنَّدُ
إذا أنا قصدت القصيد فليس لي	به غير تبيان الحقيقة مقصَّدُ
نشدت بشعري مطلباً عزَّ نيله	وإن هان عند الشعر ما كنت أنشدُ
فلنجم بعدد دون ما أنا ناشد	وللدرِّ قدر دون ما أنا منشد
وكم جنبنتي عزة النفس منهلًا	يطيب به لكن مع الذَّلْ مَوْرَدُ
وما أنا إلا شاعرٌ ذو لبانة	أنوح بها حيناً وحيناً أغرَّدُ
ولي بين شذقي المريتين صارمٌ	يسل على الأيام طوراً ويُعَمِدُ
ولا عجب أن عابني الشاعر الذي	يقول سخيف الشعر وهو مقلد
فإن ابن بُرد وهو أكبر شاعر	تنقصه في الشعر حمادٌ عَجَرْدُ
تعودتُ تصرُّجي بكل حقيقة	والمرء من دنياه ما يتعودُ

فقوله « تبيان الحقيقة » و « تصرُّجي بكل حقيقة » و « وهو مقلد » : تعابير لولاها لحسبنا قائل الشعر مننبيء القرن الرابع ، لا الرابع عشر .

وقد نظم الرصافي في أغراض الشعر المختلفة : كالمَدح ، والفخر ، والغزل ، والرثاء ، والهجاء ، والعتاب ؛ لكنه في نظامه فيها كن يجرى على مثال سابق ، وبرنامج مقرر ، فلم يكن له فيها الفضل الذي له في أغراض أخرى من الشعر لم يعرفها الأقدمون ، ولم يجوِّد أو لم يكثر منها المعاصرون ؛ وهذا بشعره الذي ضمنه إشارات إلى ما تقرر في العلوم الاجتماعية ، والعلوم العصرية ، والاختراعات الحديثة ، فقصائده « تجاه الازمهاية » ، و « من أين من أين » ، و « نحن على منطاد » ، و « الأرض » ، و « ألكنى يا ضياء » ، و « معترك الحياة » ، وغيرها ، ولو حولت إلى نثر لكانت من خير المقالات التي وصفت بها الكائنات وصفاً منطبقاً على آخر نظريات العلم

الحديث ؛ ففيها بيان أو شرح لوحدة المادة ، والجاذبية . والأثير ، والكهربية ، وأشعة رنتجن ، وآراء « دارون » في النشوء ، ومذهب « ديكارت » في التوصل إلى اليقين بالشك ، ومبادئ الاشتراكيين ؛ في أن تكون للعامل حصة من إنتاجه .

تركوا السعى والتكسب في الدنيا وعاشوا على الرعية عالة
ياكلون اللباب من كد قوم أعوزتهم سخينة من نخاله
يتجلى النعيم فيهم فتبكي أعين السعى من نعيم البطالة
ليس هذا في مذهب الاشتراكية إلا من الأمور المحاله

وقصيدة « المطلقة » ليست سوى مقال في الإصلاح الإسلامي ، فهو بعد أن وصفها وصفا حزينا ، عاد فاستبشع الطلاق عن غير قصد إيقاعه ، أو إيقاعه ثلاثاً بلفظ واحد ، وعاب الجمود في الفقه ، وترجم على ابن القيم وشيخه ابن تيمية المصلحين العظمين .

والشواهد على شعره الاجتماعي لا تكاد تحصر ، فمنها قوله :

لئن وادوا البنات فقد قبرنا جميع نساءنا قبل الممات
وقوله : ولم يصلح فساد الناس إلا بمال من مكاسبهم مشاع
وقوله : فنحن أناس لم نزل في بطلاة كأننا يهود ، كل أيامنا سبت
وقوله في الشرقيين ونسائهم :

ألم ترهم أمسوا عبيداً لأنهم على الذل شبوا في حجبور إماء
وهان عليهم حين هانت نسائهم تحمل جور الساسة الغرباء

ويصعب تتبع الشواهد لكثرتها ، وإنما نحيل القارئ على « الاجتماعيات والنسائيات » من الديوان ، ففيها بلاغ . في كل هذه الفنون العصرية والاجتماعية نظم وأكثر وأبدع ، وقد وفق أحسن توفيق في جمعه بين الأسلوبين ، وإجادته في التعبيرين : التعبير اللغوي الفصيح ، والتعبير العامي الصريح .

ومما امتاز به وصفه لما يقع تحت نظره من مشاهد الوجود ، على اختلاف أنواعها ،

فهو يتتبع جزئياتها ، ويستقصى دقائقها ، حتى تكاد تلهسها لمسا ، وتحسبها ماثلة أمامك عيانا وحسا ؛ من ذلك قصائده في وصف « غروب الشمس » ، و « راقصة للملهي » ، و « القاطرة والقطار » ، و « كرة القدم » و « حرائق الأستانة » . أما قصيدته في الأتوموبيل — وقد وضع له لفظ « تومبيل » — فلم تدلّ على دقة الوصف فقط ، بل تدل أيضا على تمكنه من اللغة العربية ، وحذقه في استعمال فصيحها وشواردها ، مما يذكرنا بأبي العلاء المعريّ وحذقه في ذلك ، على أن لقصيدته « التومبيل » دلالة ثانية على اتساع لغة العرب ، وصلاحيه أساليبها وكلماتها لوصف المخترعات الحديثة ، وطواعيتها في تقرير مسائل الفنون العصرية ، إذا أجيد استعمالها لإجادة الأستاذ الرصافي لها .

ولم نذكر في مزايا الرصافي متانة قوافيه ، لظهور ذلك واشتহার أمره ، وأشد ما تتجلى براءته حينما تبنى القوافي على نواذر الصيغ والحروف ، أمثال « جلوازه ، وعكازة » و « الفراديسا ، والطواويسا » ، و « المدملك ، والمترهوك » ، و « متلصص ، ويتبصبص » ، و « أبواز ، وهزهاز » ، و « ثلطوا ، ويسترط » ، و « مأزوزا ، وتهويزا » .

وقد استباح لنفسه أن يرى من الآراء ، ويصف في شعره من الشئون والمنازع ؛ مالا تهواه السياسة ؛ أو لا يرضى رجال الدين عنه ؛ أو لم يعتد الناس سماع مثله ؛ ولم ينشر من هذا في ديوانه شيء ؛ أو نشر النزر القليل منه ؛ وكان هو بمعنى لو ينشر كله ؛ ويحتجّ لنفسه في نظمه ؛ ولزوم نشره ، بأنه أمر واقع ؛ وحقيقة ثابتة ، وهل السكوت عنه ؛ والاستحياء من ذكره ؛ إلا وهن في النفس ؛ ونخادة للجمهور ، وطمس للحقيقة ؟ وهذا ما عناه في قصيدته التي عنوانها « حرية الفكر » :

وَجَرَدَتْ شعري من ثياب رِيائيته فلم أكسه إلاّ معانيه انغرا
أضمنه معنى الحقيقة عاريا فيحسبه جهالها منطبقا هجرا
ويحمله الغاوى على غير وجهه فيوسعني شتما ؛ وينظرني شزرا

رؤيدك ؛ إن الكفر ما أنت قائل وإن صريح العرف ما خلته نكرا
هل الكفر إلا أن ترى الحق ظاهراً فتضرب للأنظار من دونه سترا
إذا كان في عري الجسوم قباحة فأحسن شيء في الحقيقة أن تعري
غير أن له في الصفحة (١٨٧) قولاً جريئاً لا نوافقه عليه ؛ وكنا نتمنى لو جرد
ديوانه منه . وكما وجد مؤرخو الآداب العربية في شعر « أبي نواس » و « المعري »
و « الخيام » ما يدعو إلى حسن الظن بهم ؛ فإن ذلك وجدت في شعر الرُّصافي
ما يثلج له القلب ؛ ويخفف من حدة العتب ؛ من ذلك قوله في تنزيه الباري :

وغاية جهدي أنني قد علمته حكماً تعالى عن ركوب المظالم
وقوله : لعمرك ما هذى الحياة وما الذي يراد بنا فيها من الخير والشر ؟
على أننا نمضي إلى أمر ربنا كما أننا آتون من ذلك الأمر
وقوله : اقرأ كتاب الكون تلق بمنته آيات ربك فصلت تفصيلاً
سبحان من جعل العوالم أنجاً يسبحن عَرْضاً في الأثير وطولاً !
وقوله : رماني القوم بالإلحاد جهلاً وقالوا عنده شك مرئب
فن ذا منكم قد شق قلبي وهل كشفت لكم في الغيوب
فعند الله لي معكم وقوف إذا بلغت حناجرها القلوب
يقيني شر فريقتكم يقيني بأن الله مطلق رقيب

وفي قصيدة « حرية الفكر » و « سياسة لا حماسة » و « تنبيه النيام » و « إلى
الأمة العربية » وغيرها نبرات حادة . ونعرات صاخبة . أثار فيها حفاظ شبان الوطن ،
وشدد من عزائمهم في سبيل الذود عن حرية أوطانهم . وألا ينخدعوا بأحاييل
السياسة التي تلقى أمامهم . ولا يبذور المواعيد التي تنثر حوالهم . وفي قصيدة
« ما هكذا » وفي « ليلة نابغة » نقد لاذع لمن اعتقد أنهم أساءوا إلى وطنهم . وقد
قال في قصيدته التي جعل عنوانها « تنبيه النيام » :

عجبتُ لقوم يخضعون لدولة يسوسهم بالموبقات عميـدا

وأعجب من ذا أنهم يرهّبونها وأموالها منهم ومنهم جنودها
ومعنى هذين البيتين مأخوذ من بيتين للسيد توفيق البكري .
والرصافي عدة أبيات توارد فيها أو أخذ معانيها من غيره من الشعراء . والتوارد
والأخذ فيها ظاهر ، حتى كأنه اقتباس لا أخذ ؛ من ذلك قوله :

فمتاع الحياة أصغر من أن يستقرّ القلوب بالأحقاد
وهذا من قول المتنبي :

ومراد النفوس أصغر من أن تتعادي فيه وأن تتفاني
ومثله قوله .

وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا كمشيت وإن يقعد أولئك أقعد
وهو من قول دريد بن الصمة .

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

ويشبه أن يكون شاعرنا « الرصافي » أحب أن يقتبس بيتي المتنبي ودريد ،
ويدخلهما في شعره ، فاقتبسهما على هذا الوجه ، وهو ضرب من الاقتباس طريف .

ومن لطيف قول « معروف » ما خاطب به « صلاح الدين الأيوبي » يستنهضه
من قبره ، ليرى ما فعله الجنرال اللنبي في بيت المقدس :

حنانك يا قبر ابن أيوب فانصدع لينهض ثاوي مطاويك مفضال
إليك صلاح الدين نشكو مصيبة أصيب بها قلب العلي فهو مغتال

ويشبه هذا ما قال أديب الترك « نامق كمال » في بيتيه اللذين خاطب بهما قبر
السلطان عثمان في « بروسه » ، ثم نفى من أجلهما ، وهما :

أويان أوتق أويان أي حضرت عثمان ذي همت

أوياندر كورنه حاله كيردى تأسيس اتديكك دولت

يتش إمدادينه بي كس قالان أرباب إيمانك

يتش كه سرنكون أولدى لوى نصرت ملت

ومهما تجنب الرُّصافي الصنعة البديعية ومحسناتها في شعره ، فقد وقع له منها الكثير المستملح ، الذي جاء عفواً في غير تكلف ، وطوعاً من دون استكراه .

من ذلك قوله :

ليوثٌ إذا ما عبست في ملمة تبسمت الدنيا تبسمَ ناصرٍ
وقوله : ولم تأخذوا للأمر يوماً عتاده فجاءت أمور ساء فيكم عتيدها
وقوله في فتك الأيام بالناس :

ولو لم تنو حرباً ما تبدى بها شكل الأهله خنجرياً
وقوله : أيها المولون في مصر كهلاً إنَّ إيلاكم لنا إيلام
وقوله : يقينى شر فريتكم يقينى بأن الله مطلع رقيب

وقوله من قصيدة في الحضر على التبرع المصابين بإحدى حرائق الآستانة مقتبساً :
ياقومُ هذى سبيل العرف واضحةً فليمض فيها بكم وخدٌ وإرقال
ومن تلك الحال فيها لا تساعده «فليسعد النطق إن لم تسعد الحال»
أما رأيه الخاص فهو تجنب أنواع البديع ما أمكن ، والعناية بأن يكون الشعر سلساً مفهوماً ، ولذا تسمعه يقول :

لست بالشاعر الذى يرسل اللفظ جزافاً لى يصيب جناسه
أنا لا أبتغي من اللفظ إلا ما جرى فى سهولة وسلاسه
إنما غايى من الشعر معنى واضحٌ يأمن اللبيب التباسه
وله فى خلال أبياته نكت مثورة ، وملح مأثورة ؛ من ذلك قوله :

أما والله لو كنا قروداً لما رضىت بحالنا القروء
وقوله : حتى رجال الصين تحترمُ النساء أفنحن ننقص عن رجال الصين
وقوله : كم نشربُ الظن فلا نرتوى ونأكل الخدس فلا نشبع
وقوله يخاطب الكائنات العاوية :

وقالوا الأرض بنتك غير ممين فهل أبناء بنتك يصدّقونا

وقوله : وكم مدعٍ فضل التمدن ما له من الفضل إلا أكله بالملاعق
وقوله : وتكره نفسى كل عبدٍ مذلٍ فقد كرهت حتى الطريق المعبدا
وقوله فى أن شربه للتبغ ضارٌ كشرب الآخرين للخمر :

إني لأمتصُّ جِهرًا نَفَّ في ورَقٍ إذ يشربون لهيبا مِلء كاساتٍ
وقوله : أمرٌ فتنظر الأبصارُ شُررا إلى كأنما قد مرَّ ذيب
وقوله : وأتركُ ما قد تشبهى النفسُ نيله لما تشبهه قلةٌ فى دراھى
وقوله فى الذين ارتقوا فى الحضارة ، وتركوا فى الحضيض :

وعُلوا بحيثُ إذا شَخَصنا نحوهم من تحتهم ضحكوا علينا من علٍ
وقوله فى رهبة الناس من السلطة القاهرة :

تنحو بنا طرُق البوار تحيفا وتسومنا سوء العذاب الأهول
هذا ونحن مجدِّلون تجاهها كالنَّار مرتعدا تجاه الخيطل
وقوله : دَعِ الأناسىَّ وانسبني لغيرهم إن شئتَ للشاءِ أو إن شئتَ للبقرِ
فإن فى البشرِ الراقى بخلقته من قد أنفت به أنى من البشر
وقوله فى وصف أهل هذا الزمان :

لا يغضبون لأمرٍ عم باطله كأنهم غير مخلوقين من عصبٍ
وليس تندى من النكراء أوجهم كأنما القوم منجورون من خشبٍ
وقوله : فأكثرُ القوم من ذلٍّ ومسكنة تلقى الذبابَ على آناهم يسم
وقوله فى خوف اليونانيين من مصطفى كمال :

إذا ذكروا سمالك ولو مناما تحاموا ذكره بسوى التهجي
وسمالك : أى اسمك :

أما استخراجُه للمعانى الدقيقة ، والمعانى المبتكرة ، فقد فاز منها بسهم وافٍ ،
وخرج من ميدانها بجدٍ عاثر ، وقد أشار إلى ذلك بقوله :

لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكر وأى حسن لشعر غير مبتكر؟
وبقوله يصف شاعريته :

على أن لي طبعاً لبيطاً يوشيه نزوعاً إلى أبكاره دون عونته
ويوشك أن تكون قصيدته «العالم شعر» بجمالتها من قبيل الإبداع والابتكار،
لما تضمنته من جمال الأسلوب، وحسن التنسيق، والتفنن في إيراد الأغراض.

ومعظم معانيه المبتكرة تجدها في وصفه الحياة الكونية، وكرورها عوداً على
بدء : انتهاء ثم ابتداء : اندثار ثم بناء، وفي وصفه العوالم العلوية، وهدوء الليل،
وراحة الموت، والفرور والكبر، واليؤس والشقاء : وإقرأ إذا شئت «المطلقة»
و «أم اليتيم»، و «اليتيم في العيد» وغيرها، تجد أمثلة لما ذكرنا. ويشبه أن يكون
من معانيه المبتكرة، قوله في أن الموت شفاء من آلام الحياة :

إنما هذه الحياة جروح^ه أئخنتنا والموت مثل الضماد
وقوله : تنظمنا الأيام شعراً وإنما تردُّ المنايا ما نظمنا إلى شر
وقوله : إن يكن أعهد الردى منه في القبر حساماً فذكره مسلول
وقوله : والليب الذي تعلم إتياناً ن المعالي من خسة الأوغاد
وقوله : حدود^ه جرى ماء الشبية فوقها فقيه عقول الناظرين من الغرقى
وقوله : قد يحسب الإنسان آماله والموت مصغ نحوه يسمع

وهذا يذكر بقول الحماسي : «الموت خزيان ينظر» .

وقوله . ونحن كالماء جرى نابعا لـكن علينا خفي المنبع^ه
وهذا يذكر بقول أحد شعراء الفرس : «العالم ككتاب مخروم الأول والآخر» .

وقوله : لعمرك إن الدهر تغلى خطوبه^ه وإن عويل الصارخين نشيش
وقوله : كم كذب الدهر في فعائله وسؤدد الجاهلين من كذبه
وقوله في مخادعة الدهر :

كأن ليالى الدهر غصبي على الورى فتنظر^ه شزراً بالنجوم الشوارى

ولو لم يحثنا كل يوم مواربا لما كان فجر كاذب قبل صادق
وقوله : وهو من ملحه :

يا قوم قد هـرم الزمان من التمداد في انقلابه
فلذلك عند المهاجرة تيسل شئ من لعبه
وقوله : وحب الذي عاداك إن رمت قتله
فإن رأيت الحب أقتل للعدا

وقوله في الفنون الجميلة وإسعادها الحياة :

إن الذي جعل الحياة رواعداً جعل « الفنون » من الحياة بروقا
وقوله في إسعاد العلم للبشر :
ألغز الدهر في الحقائق لكن أفهم العلم أهله ألغازه
وقوله في رثاء شيخه الألوسي :

أما العراق فأمسى الرفدان به سطرين للدمع في خديه قد سالا
وقوله في أنين « أم اليتيم » :
أرى فحمة الظلماء عند أنينها فأعجب منها كيف لم تنضرم
وقوله في وصف سجن بغداد :

وقد عميت منه النوافذ والكوى
وقوله : أرى أنف الحوادث مشمخراً
ويوشك أن يمزق منخريه
وقوله : وإن فتى الدهر من يدعى
وقوله : وإني لأبصر في بيروت قاتبة
وقوله يصف تراكم الكروب عليه :

يقل كروباً بعضها فوق بعضها إذا ما رمى كراباً رأى تحته كراباً
وليس هذا في الحسن بأدنى من قول أبي الطيب :
« فصرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال »

وقال في وصف الظلام وشدته :

تمطى على الآكام منه بغيهيب تكاثف حتى خلته قد تحجرا
وكاد دُجَاهُ يمكن الكف منه فلو سار سار في دُجَاهُ تعثرا
وقوله في من يخالف قوله عمله ، يقول الحق ويفعل الباطل :
رجل قد تنكب الحق قوساً ومن البُئطل ظل يرمى سهاماً

وقوله في المتعلم الذى لا يخصص به ، ل يشارك في كل علم :

هبه أبدى من العلوم نجوماً في ليال من المشا كل دهم
أو ليس البدر التمام وإن كان وحيداً يربو على ألف نجم
وقوله في امرأة مجلبة بالسواد حزناً :

«فكانت لها سود الجلايب حلية» ولا عجب أن الدجى من حلى البدر
كان تلاميح الأسى في جبينها بقايا ظلام الليل في غرة الفجر

والرصافي طائفة من القصائد ضمنها قصصاً ، يخيل إلى سامعها أنها واقعية
لاخيالية ، كقصيدة « النقر والسقام » ، و « المطلقة » ، و « اليتيم في العيد » ، وغيرها .
وأدباؤنا المواعون بالتجديد يترقبون إحداث « القصة » في النثر ، وهذا الرصافي
قد سبق ، فأحدثها في الشعر منذ أكثر من عشرين سنة .

على أن قصص « الرصافي » هذه ليست مما ينطبق عليه اسم « الشعر القصصى » ،
كإلياذة هوميروس ، وشاهنامة الفردوسى ، إذ أنهم اشترطوا فيه أن يكون قصيدة
مقصدة ، لا تقل أبياتها عن بضعة آلاف بيت ؛ وأن يستقن فيها بسرد أساطير الأمة
في فجر حياتها ، ووصف حروبها ، وبطولة أبطالها ، ممزوجاً كل ذلك بأخبار ألفتها .
ويقال بالاختصار : إنهم اشترطوا أن يكون « الشعر القصصى » مضروباً على غرار
إلياذة « هوميروس » المشهورة .

فاذا كان هذا الشرط صحيحاً ، فليس في شعر الرصافي ولا في شعر غيره من
شعرائنا الأقدمين والمحدثين ، إلياذة ، أو « ملحمة » من هذا النوع .

وإذا كان شاعر مصر الكبير «أحمد شوقي بك» عمل على سدّ ثلثة في أدبه القوميّ ، بوضعه الروايات الشعرية المسرحية ، فحدير بشاعر العراق الكبير «معروف الرصافي» أن يسد ثلثة أخرى ، فيضع ملحمة عربية في عشرة آلاف بيت أو أكثر: يصف لنا فيها أساطير العرب ، وحروبهم ، وشجاعة أبطالهم ، وأخبار آلهتهم ، كالكائنات والعزّي ، ومناة الثالثة الأخرى ، من أقدم تاريخهم الخرافي في الجاهلية ، إلى صدر تاريخهم في الإسلام .

وإن للرصافيّ من قصة «عذرة» ، و «بنى هلال» ، وفتوح الشام المنسوبة للواقديّ ، وغيرها من القصص ، مادة غزيرة ، تساعد على عمله : إذ أن فيها أخيلة واسعة ، ومفاجآت مذهشة ، ومبالغات عجيبة . وإذا أراد جلالة «فيصل الأول» ملك العراق ، أن يجعل الرصافيّ يفرغ لهذا العمل ، ويكون لجلالته الفضل الأكبر فيه — إذا أراد لجلالته ذلك فعل ، إن شاء الله .

ومما يساعد الرصافيّ على الإجابة في إلبادة العرب الجديدة ، ما أوتي من سهولة شعر ، وانقياد طبع ، وسعة خيال ، ومواتاة قريحة في نظم القصص ، وسلامة ذوق في اختيار كلمات اللغة ، والتأليف بين ما كان منها متلائم الجرس ، متناسب «الموسيقية» . وسهولة الألفاظ وموسيقيتها ، ينبغي أن تكونا أول ما يشترط في «الملحمة» ، لأنها يتغنى بها ، وينشد لها لاطراب أبناء الشعب ، على اختلاف طبقاتهم . ملحمة مثل هذه تكون من أكبر العوامل في إنعاش ما خفل من ذكر العرب ، وخذ من نار حميتهم ، ووهن من منة عزيمتهم ، وإن قصيدة «أبو دلالة والمستقبل» ربما كانت نموذجاً حسناً لإجابة شاعرنا «معروف» في ما نبتغيه منه ، ومن نظم إلياذة عربية . فليراجعها القارئ ص (٣٦٨) من هذا الديوان .

وقد رأينا للرصافيّ تعابير لم نسمعها لغيره ، من ذلك قوله . «وغى العيش» ، والوغى . جلبة الحرب ، فجعل للعيش والزحام على الحياة وغى ، يكثر فيها الصخب

والجليلة . وقوله « خنا الطبع » وأصل الخنا : الفحش في القول ، وخرنا الدهر : نوائبه ، وذلك مذ قال :

وكم رام إسكافي أناس أبي لهم خنا الطبع إلا أن يروا إلى حسدا
وقوله : (هزّة سرورية) وقوله (بقظة نهوضية) سببة إلى النهوض ، مذ قال :
أرى - بعد نوم طال - في الشرق يقظة نهوضية فيها طموح إلى الجدد
وله غير ذلك من التعابير الحديثة المقبولة . كما أن له تعابير أخرى فيها لين ،
ومسحة من ابتذال ، بسبب ترددها على الأفواه ، ودورانها في لغة التخاطب ، وإن
كانت في أصلها فصيحة لفظاً ومعنى . من ذلك قوله :

إلى كم نطل لأغراضنا نعارض من دون أدنى سبب
وقوله في أبيات أخرى « يستوجبون احتراماً » و « استوجب العطف » « نأخفين
في الشبابة » « عيش بسيط » « جهولا يتعفف » « ولو من أجلها ضربت عنقي » .

وقوله : لم أدر والآثار منه كثيرة في الغرب لم نزلت وقلت عندنا ؟
وقوله : أنا أبكى عليه من جهة العالم وأغضى عن خوضه في السياسة
قد أبت هذه السياسة إلا أن تكون الغشاشة الدساسة
ما تعاطى غير الخداع « غلادستون » فيها كلا ولا « دلکاسه »
لو أردنا إفاضة في هجائها لكتبنا لكم به كراسه
وقوله : قد يكنه مدارس عامرات هو فيها المدرس المسئول
نما قد ذكرت بعض مزايا ه وإلا فشرحهم يطول
وقوله : إذا ما دئمنا الدهر يوماً وأهله فإنك من تلك المذمات مستغنى

ويوشك أن تكون قصيدة « يا محب الشرق » التي خاطب بها المستر (كراين)
كلها من هذا القبيل ، في النعومة ولين الأسلوب .

أما مواضع المؤاخذه في شعر شاعرنا فقليلة جداً . ولقد كددت ذهني لأجمع
منها شيئاً ، فلم يقع لي إلا التليل .

فالعامض من أبيات شعره قد يكون بقدر الواضح في شعر كثير من شعرائنا المشهورين .

وقد يكون الغموض في شعره ناشئاً من كلمة استعملها في غير المؤلف من معناها مثل قوله :

وقد يفترى المال الفضائل للورى وليس لهم مما افتراه نصيب
أى أن المال يحدث لبعض الناس فضائل ومناقب ، مع أنهم عِراء منها ، فأراد
بيفترى : يحدث ويوجد . والمشهور فيه استعماله بمعنى الاختلاق والكذب في القول .
ومثل ذلك أيضاً قوله « فتاة راع نضرتها الشحوب » أواد براع . شوه ،
والمشهور المتبادر من معنى (راع) غير هذا .

ومثله قوله .

جَلَّتِ الطبيعة في رباه بدائعاً تكسو الكحول غضاضة الشبان
أراد بالغضاضة . النضارة والطاراة ، يقال . نبات غضّ ، ولكن أكثر
ما تستعمل كلمة « الغضاضة » في معنى الذلة والمنقضة ، لحقته غضاضة ، وهذا الأمر
عليه فيه غضاضة .

ومثله قوله .

أيها الأرض سررت سيرك مثنى ذا يتاجين في زمانٍ أحادٍ
إنما يكثر في استعمال « مثنى ، وأحاد » وأخواتها ، أن يقال . جاءوا مثنى ،
وأحاد أى اثنين اثنين ، وواحداً واحداً ، ويظهر أن كلمة « أحاد » غير موفقة في شعر
كبار شعرائنا ، أليس المتنبى يقول .

« أحاد أم سداس في أحادٍ ليلتنا المنوطة بالتناد »

ومن مواضع المراجعة في شعر الرصافي قوله على لسان (فاطمة) لمن يحزن أخاها
الفقير ، في قصيدة (الفقر والسقام) .

أيها الواقفون لا تَهْمَلُوهُ دُونَكُمْ أَدْعَى بِهَا غَسْلُوهُ
ثُمَّ بِالتَّوْبِ ضَافِيًا كَفَنُوهُ وَادْفِنُوهُ لَكِنْ بَقَايَ ادْفِنُوهُ
لَا تَوَارَوْا جِيبَهُ بِالتَّرَابِ

فَقَوْلُهُ «ثُمَّ بِالتَّوْبِ» أَلَيْسَ صَوَابُهُ «بِالشَّعْرِ» ، وَنَعْنَى بِهِ شَعْرَهَا .
وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «تَنْبِيهِ النَّيَامِ» :

إِذَا جَاهِلٌ مِنْكُمْ مَشَى نَحْوَ سُحْبَةٍ مَشَى غَيْرُكُمْ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ يُرِيدُهَا
كَأَنَّكُمْ الْمَعْرَى تَهَاوِينَ عِنْدَ مَا نَزَا فَنَزَتْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَتُودُهَا

أَلَيْسَتْ «الْجِبَالُ» سَبَقَ قَلَمٌ ، وَصَوَابُهُ «الدَّحَالُ» جَمْعُ «دَحَلٍ» وَهُوَ كَمَا قَالَ
الْأَصْمَعِيُّ . «هُوَ تَكُونُ فِي الْأَرْضِ ، وَفِي أَسَافِلِ الْأُودِيَةِ فِيهَا ضَيْقٌ ثُمَّ يَتَّسِعُ» .
فَالْعَتُودُ . أَيْ الْجَدَى إِذَا فِي الدَّحَلِ تَهَاوَتْ وَرَاءَهُ الْمَعْرَى ، فَهَلَكْتَ . وَيَضْرِبُ
الْفَرَنْسِيُّونَ الْمَثَلَ بِمُخْرُوفِ «بَانُورْجِ Panurge» ، وَهُوَ بَطْلٌ إِحْدَى رَوَايَاتِ الْكَاتِبِ
الْفَرَنْسِيِّ «رَابَلَه» (Rabelais) ، فَإِنَّ «بَانُورْجِ» هَذَا كَانَ فِي سَفِينَةٍ مَعَ رَاعِي غَنَمٍ ،
فَلَمْ يَبِعْهُ خُرُوفًا إِلَّا بِثَمَنٍ عَظِيمٍ ، فَاشْتَرَاهُ بَعْدَ مَسَاوِمَةِ عَنِيْفَةٍ ، وَأَرَادَ الْإِنْتِقَامَ مِنْهُ ،
فَقَذَفَ خُرُوفَهُ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنَ الرَّاعِي فِي الْبَحْرِ ، فَتَهَاوَتْ وَرَاءَهُ خُرْفَانُ الرَّاعِي
الْمُسْكِينِ ، فَهَلَكْتَ كُلُّهَا .

وَهَذِهِ الْكَلِمَاتُ وَأَمْثَالُهَا فِي دِيْوَانِ الرِّصَافِيِّ مِنْ تَحْرِيفِ الطَّبْعِ فِي غَالِبِ الظَّنِّ ،
كَمَثَلِ قَوْلِهِ «نَقَابُ الْحَسَنِ» وَهُوَ يَصِفُ الْمَطْلَقَةَ الْحَزِينَةَ :

وَقَدْ خَلَبَ الْعُقُولَ لَهَا جَبِينٌ تَلَوَّحَ عَلَى أَسْرَتِهِ الذُّكُوبُ
أَلَا إِنْ الْجَمَالَ إِذَا عَلَاهُ «نَقَابُ الْحَسَنِ» مَنْظَرُهُ عَجِيبٌ

فِيهَا مُحَرَّفَةٌ عَنْ «نَقَابِ الْحَزَنِ» كَمَا هِيَ كَذَلِكَ فِي الطَّبْعَةِ الْأُولَى مِنَ الدِّيْوَانِ .
وَمَعَ أَنَّ الرِّصَافِي لَا يَتَجَرَّعُ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْكَلِمَاتِ الْمَوْلُودَةِ وَالْمَعْرَبَةِ ، فَإِنَّكَ تَرَاهَا
لَمِيلَةً جَدًّا فِي شَعْرِهِ ، مِنْ ذَلِكَ كَلِمَةُ «إِحْتَارٌ ، يَحْتَارُ» فَإِنَّهُ اسْتَعْمَلَهَا ، وَهِيَ غَيْرُ قَامُوسِيَّةٍ
يَلَمْ تَذْكَرُ فِي الْقَوَامِيْسِ .

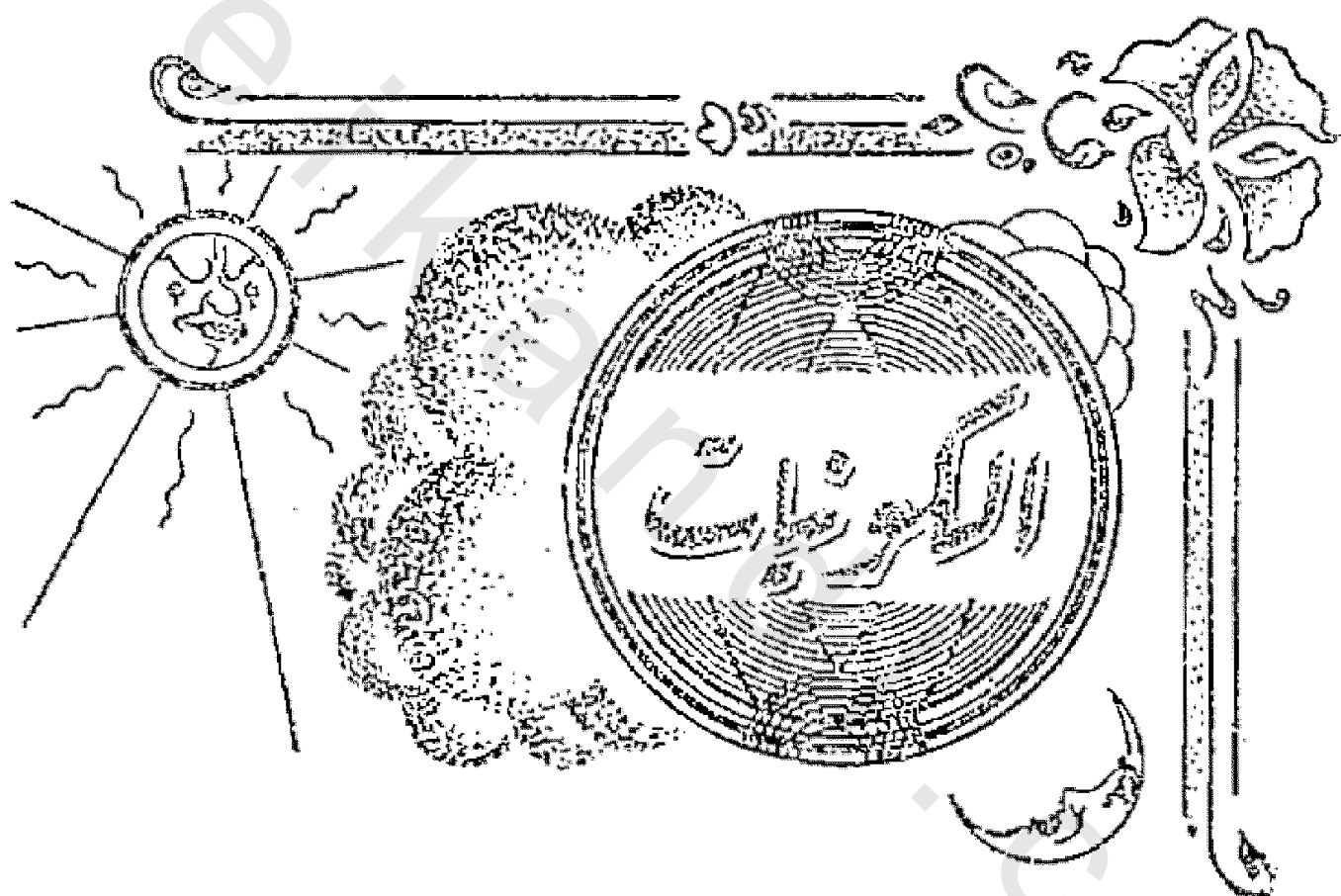
ومثلها كلمة « الفنان » بمعنى البارِع في أحد الفنون ، كالنحت والتصوير
والتمثيل ؛ وهي في اللغة بمعنى حمار الوحش ، الذي يعدو فنونا ، أى ضرو بامن العدو،
واستعملها إخواننا المصريون في معنى البارِع في الفن . وإن من يتسامح في استعمال
أمثال هذه الكلمات . يعيبه (المحافظون) . ويتهمون به بإفساد اللغة . وإحياء التقييد .
وإماتة الفصيح .

ولا يصح أن يُستعمل الرصافي بمثل هذه التهمة . فإن الدخيل في شعره قليل جداً
كما ذكرنا . بينا الفصيح أو الغريب كثير .

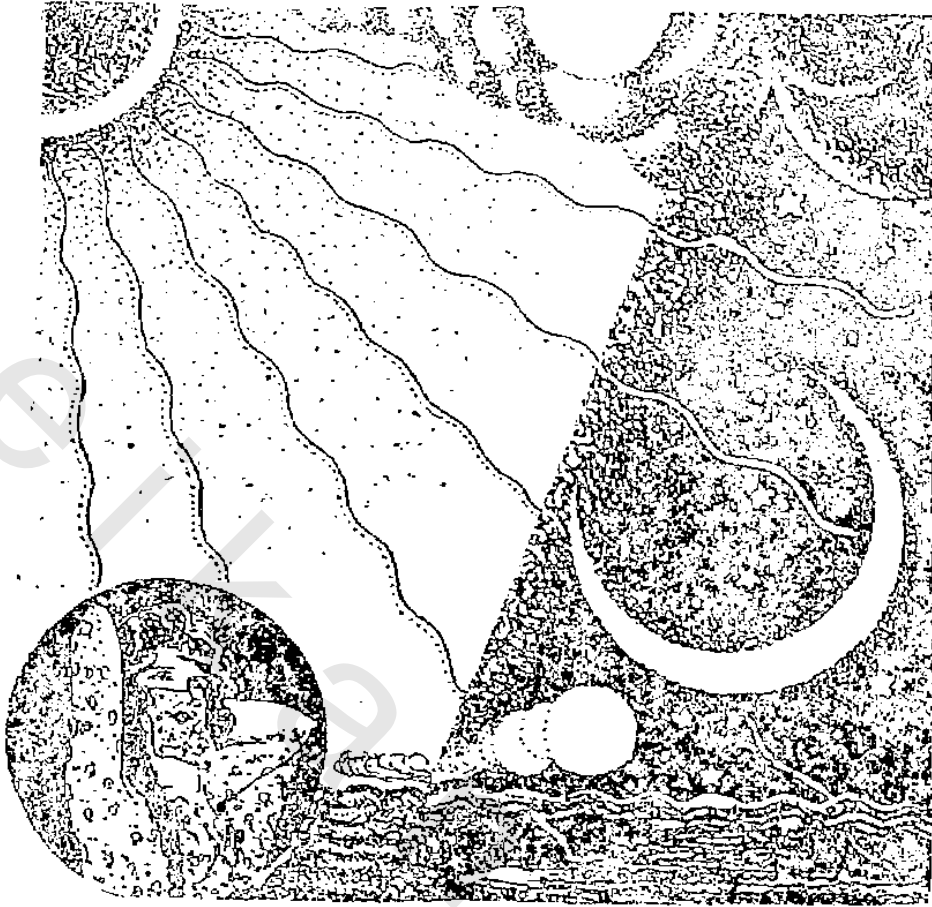
من ذلك كلمات (مُكْوَنَد) أى (أرْعَش) من الكبير . (الخشام) الألف .
(آزمتا الذئب) . ناباه (تمزَع) . تسرع . (عجار) . المصارع الذي لا يُطاق .
(شحا بقمه) . فتحه أشد فتح (الألال) . الباطل . (السعار) . شدة الجوع .
(مخلبة الشرب) . ماء فيه حمأة . وغير ذلك من فصيح اللغة . الذي تجد منه في
القصيدة الواحدة من قصائده كلمات قليلة . لا تتجاوز البضع . وقد لا تجد شيئاً منه
أصلاً . وفي استعمالها مع توطئة السياق لفهمها . نشر اللغة . وإحياء لغيتها . وهو
طريق من طرق تنميتها . وتوسيع دائرة التخاطب بها .



هذه كلمة في الرصافي وشعره . أسوقها بين يدي ديوانه . وأنا خجل من تفاهتها .
وقلة فائدتها .



في مشهد الكائنات



جمالك يا وجه الفضاء عجيب . . .

جمالك يا وجه الفضاء عجيبٌ وصدرك يأبى الانتهاء رحيبٌ
وعينك في أمّ النجوم كبيرة تضيء على أن الضياء لهيب^(١)
وما زلت تغضيها فنخطيء قصدنا وتفتحها برآقة فنصيب^(٢)
فيحمرّ منها في الغدّة مطلع ويصفر منها في العشي مغيب
ويخلفها البدر المنير حفيدها وعنهما إذا جنّ الظلام ينوب^(٣)

(١) لما أثبت للفضاء وجها وصدره في البيت الأول ، ناسب أن يعبر عن الشمس التي في الفضاء بقوله : وعينك . العين لفظ مشترك بين الشمس والبالصرة . أمّ النجوم : المجرة ، و«على» في البيت المصاحبة بمعنى مع .

(٢) يقال أغضى الرجل عينه : أوى طبق جفنيها . والضمير من تغضيها عائد إلى العين التي هي بمعنى الشمس في البيت المتقدم ، وأراد بإغضائها إخفاءها عند الغروب .

(٣) الحفيد : ولد الولد . وجعل البدر حفيدا للشمس ، لأنه منفصل من الأرض المنفصلة من الشمس ، فهو منها بمنزلة ولد الولد .

وليل كَأَنَّ البدر فيه مَلِيحَةٌ أَغَازِلَهَا وَالنَّيِّرَاتُ رَقِيبٌ
سَرِيتُ بِهِ وَالْبَحْرُ رَهْوٌ بِجَانِبِي وَرَدْنُ النَّسِيمِ الْغَضُّ رَطِيبٌ^(١)
فشاهدت فيه الحسن أَزْهَرَ مَشْرِقًا لَهُ فِي الْعُلَى وَجْهٌ أَغْوًى مَهِيبٌ
ورحت وأهل الحَيِّ فِي قَبْضَةِ الْكَرَى وَفِي اللَّيْلِ صَمْتُ بِالسَّكُونِ مَشُوبٌ^(٢)
فكنت كَأَنِّي أَسْمَعُ الصَّمْتَ سَارِيًّا لَهُ بَيْنَ أَحْشَاءِ الْفَضَاءِ دَيْبٌ^(٣)
ولو أَنَّ صَمْتَ اللَّيْلِ لَمْ يَكْ مُطْرَبًا لَمَّا هَزَّ أَعْطَافَ النَّسِيمِ هَبُوبٌ

* * *

أَلَا إِنَّ وَجْهَ الْبَحْرِ بِالتُّورِ ضَالِحٌ طَلِيقٌ وَثَغْرُ الْمَاءِ فِيهِ شَنِيبٌ^(٤)
تَرْقُقُ مَنْسَابًا بِهِ الْمَاءُ وَالسَّنَى فَلَمْ أَدْرُ أَيَّ اللَّامَعِينَ يَسِيبُ^(٥)
وَلِلْبَدْرِ نُورٌ يَمْنَحُ الْبَحْرَ رَوْتًا فَيَبْدُو كَأَنَّ الْمَاءَ فِيهِ ضَرْبٌ^(٦)
إِذَا جَشَّ الْبَحْرُ النَّسِيمُ تَهَلَّلَتْ أَسَارِيرُ فِيهَا لِلضِيَاءِ وَثُوبٌ^(٧)
وَقَفْتُ وَلِلْأَلَاءِ السَّنَى يَسْتَخَفُّنِي فَتَطْرِبُ نَفْسِي وَالْكَرِيمُ طُرُوبٌ

* * *

أُرَدِّدُ بَيْنَ الْبَدْرِ وَالْبَحْرِ نَاطِرِي فَيَصْعَدُ طَرْفِي مَرَّةً وَيَصُوبُ

- (١) سریت به : أى فيه . رهو : أى ساكن .
(٢) معنى أنهم فى قبضة الكرى : هو أن النوم مستول عليهم أى هم نائمون . وأراد بالصمت عدم الصوت ، وبالسكون عدم الحركة . ومعنى كون الصمت مشوبا ، أى مخلوطا بالسكون ، أنه ليس هناك صوت ولا حركة .
(٣) أراد بقوله أسمع الصمت أى أدركه بواسطة السمع . وذلك أن المرء إذا أصاح فى الليل فلم يسمع صوتا ولا حركة ، أدرك أن فى الليل صمتا ، ولا غرابة فى ذلك ، لأن الصمت ليس بعدم محض ، وإنما هو عدم الصوت أو الكلام ، فهنا تبين لك معنى قوله أسمع الصمت .
(٤) يقال : ثغر شنيب ، أى فيه شنب ، وهو ماء ورقة فى الأسنان .
(٥) ترقق . أى جرى جريا سهلا ، ومنسابا أى متدافعا فى جريه ، والسنى : النور . ويسيب : يجرى ذاهبا كل مذهب .
(٦) يمنح : يعطى . وروتقا أى حسنا وإشراقا . والضرب : انجليد والصقيع .
(٧) التجميش الملاعبة ، يقال جش الجارية إذا لاعبها وداعبها بالقرص ونحوه . وتهللت : تلالأت . والأسارير : الخطوط التى تكون فى جبهة الانسان ، شبه خطوط الأمواج الصغيرة بخطوط الوجه ، أى بالأسارير ، وقال لنها تلالأت . بب ملاعبة النسيم للبحر . فتلوح أشعة النور متواتبة بين تلك الأسارير .

تَأَمَّلْتَ فِي حَسَنِ الْعَوَالِمِ مَوْهِنًا
كَأَنِّي وَعُلَاوَى الْعَوَالِمِ عَاشِقُ
فَقَامَ لَهُ مُسْتَشْرِفًا وَيَمِينُهُ
وَلَمَّا رَأَيْتَ الْكَوْنَ فِي الْأَصْلِ وَاحِدًا
أَلَا إِنَّ بَطْنًا وَاحِدًا أَنْتَجَعَ الْوَرَى
وَإِنَّ فُضَاءَ شَاسِعًا قَدْ تَضَارَبَتْ
وَإِنَّ اخْتِلَافَ الْأَدْمِيَّةِ سِيرَةً
وَأَعْجَبَ مَا فِي السَّكَائِنَاتِ ابْنَ آدَمَ
يَنْتَمِمْ فَمَلِكُ السُّوءِ وَهُوَ حَلِيفُهُ
خَجَاشٌ بِصَدْرِي الشَّعْرُ وَهُوَ نَسِيبٌ^(١)
أَطَّلَ مِنْ الْأَطْلَى عَلَيْهِ حَبِيبُ
تَشَدُّ ضُلُوعًا تَحْتَنِينَ وَجِيبٌ^(٢)
عَجِبْتُ لِأَنَّ الْخَلْقَ فِيهِ ضُرُوبُ
كَثِيرِينَ فِي أَخْلَاقِهِمْ لِرَغِيبٍ^(٣)
بِأَبْعَادِهِ أَيْدِي الْقُوَى لَرَهَيْبٍ
وَهُمْ قَدْ تَسَاوَوْا صُورَةً لِعَجِيبِ
فَمَا غَيْرُهُ فِي السَّكَائِنَاتِ مُرِيبِ
وَيَحْمَدُ قَوْلَ الصَّدِّقِ وَهُوَ كَذُوبِ

رَأَيْتُ الْوَرَى كَنَّا يَرِاقِبُ غَيْرَهُ
وَمَنْ أَجَلُ هَذَا قَدْ تَرَى كُلَّ فَاعِلٍ
فَكَمْ تَحَلَّى فِي مَجْمَعِ الْقَوْمِ يَتَقَى
وَلَوْ بَاحَ كُلُّ بِالذَّنَى هُوَ كَاتِمٌ
وَلَيْسَ يَجِدُ الْمَرْءَ إِلَّا تَكَلُّفًا
وَيَحْتَنِبُ الْمَرْءَ الْعَيُوبَ لِأَنَّهُمَا
رِيَاءٌ قَدِيمٌ فِي الْوَرَى شَقِيتُ بِهِ
فَكُلُّ عَلَيْهِ مِنْ سِوَاهُ رَقِيبِ
إِلَى النَّاسِ فِي كُلِّ الْفِعَالِ يُنِيبُ^(٤)
بِهِ تَعَلَّبَ عَنْدَ أَخْلَاءِ وَذِيبُ^(٥)
لَمَّا كَانَ فِي هَذَا الْأَنَامِ أَدِيبِ
وَذَلِكَ لِأَنَّ الطَّبِيعَ فِيهِ لَعُوبِ
لَدَى عَائِيهِ لَا لَدِيهِ عَيُوبِ
قَبَائِلُ مِنْهُمْ جَزَّةٌ وَشُعُوبِ

- (١) الوهن : وقت الوهن من الليل ، ويكون نحو نصف الليل ، وهو في البيت منصوب على الغزفية . وجاش : بمعنى هاج . والنسب : هو الشعر الرقيق في النساء .
(٢) مستشرفا : أى منتصبًا رافعًا بصره باسطًا كفه فوق حاجبه كالمنظّل ، وكذلك يفعل الناظر لما نظر إلى شيء مرتفع أو بعيد . والوجيب : خفّاقان القلب واضطرابه .
(٣) رغيب : أى واسع ، يقال هو رغيب البطن ، أى واسع الجوف .
(٤) ينيب : يرجع أى لما كان كل من الناس رقيبًا على غيره مترصدًا لسواه ، صار كل واحد منهم ينيب في أفعاله إلى الناس ، ليدفع عنه يذالك سوء ظنهم به ، ومن هنا نشأ فيهم الرياء والتقويه ، كما قسر ذلك في البيت الذى يليه .
(٥) الباء في قوله يتقى به : للسببية أو للتجريد ، مثلاً في قولك : لقيت بزيد أسدا .

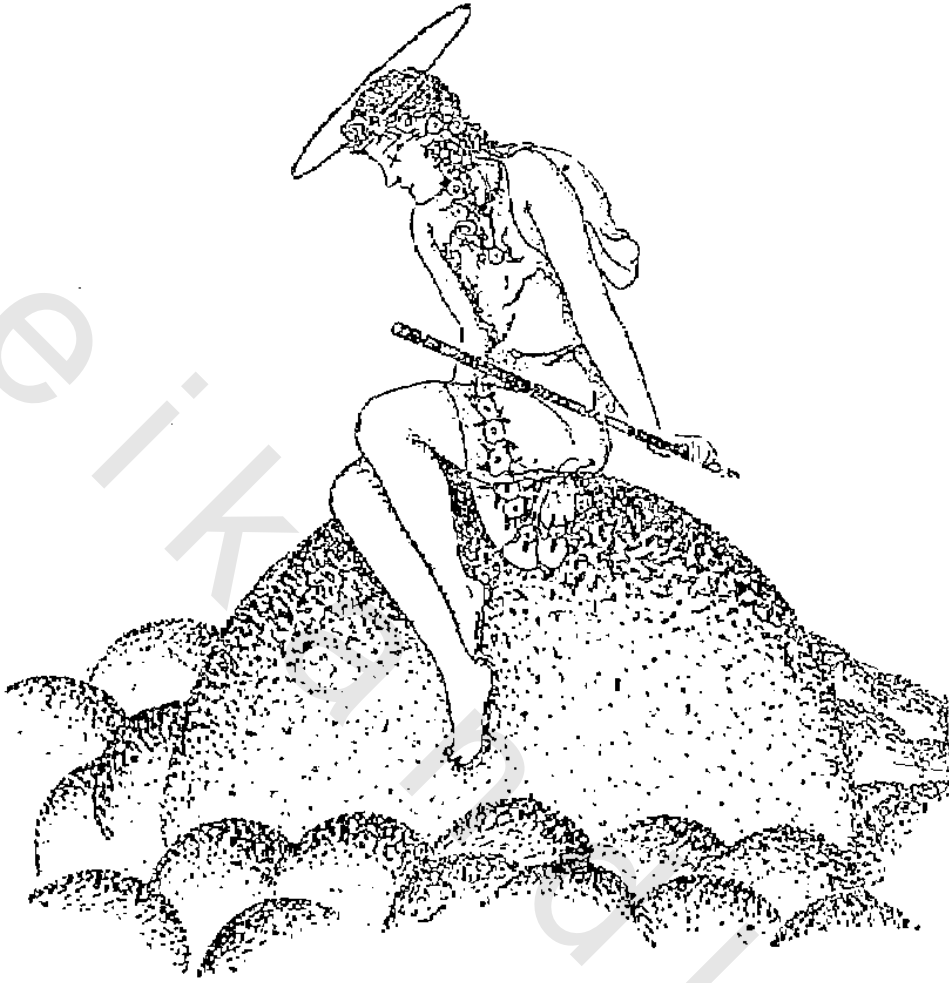
ورُبَّهٖ أَخْلَاقٍ يَرَاهَا خَيْشَٔةٌ أَنَاسٌ وَعِنْدَ الْآخَرِينَ تَطْيِبُ
وَحِلْمُ الْفَتَى عِنْدَ الضَّعِيفِ فَضِيلَةٌ وَلِكَفِّهِ عِنْدَ الْقَوِيِّ مَعْيِبُ

• • •

وَقَدْ يَفْتَرِي الْمَالُ الْفَضَائِلَ لِلْوَرَى وَلِلْفَقْرِ بَيْنَ النَّاسِ وَجْهٌ تَبَيَّنَتْ
لَقَدْ أَحْجَمَ الثَّرَى فِسْمُوهُ حَازِمًا وَإِنْ يَتَوَاضَعُ مَعْدَمُ قُوٍّ صَاغِرًا
وَذُو الْعَدَمِ ثَرَنَارٌ بَكْرٌ كَلَامُهُ وَلِلنَّاسِ عَادَاتٌ كَثِيرٌ تَقْوِدُهُمْ
وَهَنٌّ إِذَا مَا يَأْكُلُونَ أَكْمِلُهُمْ وَأَبُوا أَنْ يَحِيدُوا ضَلَاةً عَنْ طَرِيقِهَا
هِيَ الدَّاءُ أَعْيَا الْأَوَّلِينَ فَهَلْ لَهُ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا افْتَرَاهُ نَصِيبُ^(١)
بِهٖ حَسَنَاتُ الْمَرْءِ وَهِيَ ذُنُوبُ وَأَحْجَمُ ذُو فَقْرٍ فَقِيلَ هَيُوبُ
وَإِنْ يَتَوَاضَعُ ذُو الْغِنَى فَتَجِيبُ وَذُو الْوُجْدِ مِنْطِيقٌ بِهِ وَلَيْبُ
فَكُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ لَهُنَّ جَنِيبُ وَهَنٌ إِذَا مَا يَشْرَبُونَ شَرِيبُ
وَإِنْ مَسَّهُمْ مِنْ أَجْلَمَنَ لُغُوبُ عَلَى عُقْمِهِ فِي الْآخَرِينَ طَيِّبُ ؟

(١) يفتري المالى الفضائل : أى يختلقها ، فكأنه جعل فضائل الأغنياء كذبا محضا تفترية أموالهم . ومعنى قوله « وليس له مما افتراه نصيب » : أنهم براء من هذا الافتراء ، إذ ليس لهم نصيب من الفضائل .

العالم شعر*



وما المرء إلا بيت شعر . . .

- قرأتُ وما غير الطبيعة من سفرٍ صحائف تحوى كل فن من الشعر^(١)
أرى غرر الأشعار تبدو نضيدةً على صفحات الكون سطرًا على سطر^(٢)
وما حادثات الدهر إلا قصائد يفوه بها السامعين فم الدهر
وما المرء إلا بيت شعر عروضه مصائب لكن ضربه حفرة القبر^(٣)
تنظمنا الأيام شعراً وإنما ترد المنايا ما نظمنا إلى النثر^(٤)

(*) من الديوان الأول . (١) السفر : الكتاب . (٢) نضيدة : منسقة .
(٣) العروض في علم الشعر . الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت ؛ والضرب . الجزء الأخير من الشطر الثاني . ومعنى البيت أن الإنسان أوله المصائب وآخره الموت .
(٤) النثر : التفريق .

فَنَّا طَوِيلٌ مُسَهَّبٌ بِحَرِّ عَمْرِهِ وَمَنَا قَصِيرٌ الْبَحْرُ مُحْتَصِرُ الْعَمْرِ (١)
وَهَذَا مَدِيحٌ صَيِّغٌ مِنْ أَطِيبِ الثَّنَا وَذَلِكَ هِجَاءٌ صَيِّغٌ مِنْ مَنْطِقِ هُجْرِ (٢)

• • •

وَرَبَّ نِيَامٍ فِي الْمَقَابِرِ زَرْتَهُمْ بِمَنْهَلٍ دَمْعٍ لَا يَنْهِنُهُ بِالزَّجْرِ (٣)
وَقَفْتُ عَلَى الْأَجْدَاثِ وَقَفَّةً عَاشِقٍ عَلَى الدَّارِ يَدْعُو دُرُوسَ الطَّلَلِ الْقَفْرِ (٤)
فَمَا سَالَ فِيضُ الدَّمْعِ حَتَّى قَرْنَتْهُ إِلَى زَفَرَاتٍ قَدْ تَصَاعَدْنَ مِنْ صَدْرِي
أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ هَلَّا ذَكَرْتُمْ عَيُودًا مَضَتْ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى الظُّهْرِ
رَضَيْتُمْ بِأَكْفَانِ الْبَلَى حُلًّا لَكُمْ وَكُنْتُمْ أَوْلَى الدِّيَابِجِ وَالْحُلَلِ الْحَمْرِ
وَقَدْ كُنْتُمْ تُؤْذِي الْحَشَايَا جَنُوبَكُمْ فَكَيْفَ رَقَدْتُمْ وَالْجَنُوبُ عَلَى الْعَفْرِ (٥)
إِلَّا يَا قُبُورًا زَرْتَهَا غَيْرُ عَارِفٍ بِهَا سَاكِنُ الصَّحَرَاءِ مِنْ سَاكِنِ الْقَصْرِ (٦)
لَقَدْ حَارَ فِكْرِي فِي ذَوِيكَ وَإِنِّهِ لِيَحْتَارَ فِي مَثْوَى ذَوِيكَ أَوَّلُ الْفِكْرِ (٧)
فَقُلْتُ وَلِلْأَجْدَاثِ كَفِّي مَشِيرَةً أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ مِنْ أَفْجَعِ الشَّعْرِ (٨)

• • •

وَلَيْلٍ غَدَا فِي الْجَنَاحِينَ بَيْتُهُ أَسَامِرُ فِي ظُلُمَائِهِ مِنْ وَاقِعِ النَّسْرِ (٩)
وَأَقْلَعَ مِنْ سَفَنِ الْخَيْسَالِ مَرَاسِيًّا فَتَجَرَّى مِنَ الظُّلُمَاءِ لُجْجٌ خَضِرٌ (١٠)

(١) مسهب : طويل . (٢) الهجر : الفصح من الكلام .

(٣) انهل الدمع : سال . لا ينهنه : لا يكف .

(٤) الأجداث : القبور . درس المسكان : انحنى . والطلال : ما بقى من آثار الديار .

(٥) الحشايا : جمع حشية وهي الفراش المحشو . العفر : التراب .

(٦) الصحراء : الأرض الفضاء لاشيء فيها .

(٧) المثوى : المقام . (٨) أفجع : أوجع .

(٩) غدا في الجناحين : أسودها . نسبة إلى الغداف وهو الغراب . النسر : اسم لنجمين ، يقال له النسر الواقع ، والآخر يقال له النسر الطائر . وفي البيت تورية لانتحى .

(١٠) لجج : جمع لجة ؛ وهي في الأصل معظم الماء . خضر : سود ، يقال أخضر بمعنى أسود ، والحضرة والسواد يستعمل كل منهما مكان الآخر .

أرى القبة الزرقاء فوق كأنها (١)
ولولا خروق في الدجى من نجومه
خليلٍ ما أبهى وأبهج في الرؤى
إذا ما نجوم الغرب ليلاً تغوّرت
تحوّلت من حسن الكواكب في الدجى
إلى أن رأيت الليل ولت جنوده
فيالك من ليل قرأت بوجهه
قلت وطرفي شاخصٌ لنجومه

رؤاف من الديباج رُصّع بالدر (٢)
قبضت على الظلماء بالأئمل العشر (٣)
نجوماً بأجواز الدجى لم تزل تسرى (٤)
بدت أنجم في الشرق أخرى على الإثر (٥)
وقبح ظلام الليل في العرف والنكر (٦)
على الدّهم يقفوا إثرها الصبح بالشقر (٧)
نظيم البها في نثر أنجمه الزهر
ألا إن هذا الشعر من أحسن الشعر

• • •

ويوم به استيقظت من هجعة الكرى (٨)
فأطربني والديك مشجٍ صياحه
ومما ازدهى نفسي وزاد ارتياحها
فقمست وقام الناس كلُّ لشأنه
وقد طلعت شمس النهار كأنها (٩)
وقد قدّ درع الليل صمصامة الفجر (١٠)
ترنمُ عصفور يزقزق في وكر (١١)
هبوب نسيم سجّسج طيب النشر (١٢)
كأنا حجيج البيت في ساعة النفر (١٣)
ملك من الأضواء في عسكر مجر (١٤)

- (١) القبة الزرقاء : السماء . الرواف : سقف في مقدم البيت . أو هو الحية .
(٢) الدجى : الليل . وأراد بالأئمل الأصابع ؛ وهي في الأصل رءوسها .
(٣) الرؤى : المنظر . أجواز الدجى أو ساطع الليل . (٤) تغوّرت : غابت .
(٥) تجوّرت : كذا بالجم ; كما في الأصل ؛ ولم أجده هذه الصيغة في مادة (جال) . ولو روى
بالهاء المهملة لكان أحسن وأوفى بالمراد .
(٦) الدّهم : جمع أدهم ؛ وهو الأسود من الخيل . يقفوا إثرها : يتبعها . الشقر : جمع أشقر .
والشقرة في الخيل : حرة صافية يحمر معها العرف والذنب ؛ وأراد بالدهم : الظلمات ، وبالشقر .
أشعة الشمس مجازاً .
(٧) الهجعة : من الهجوع وهو النوم . الكرى : النعاس . قد : شق . والمراد بدرع الليل
ظلمته . الصمصامة : السيف ، والمراد بصمصامة الفجر : شعاعة . (٨) مشج : مطرب .
(٩) ازدهى نفسي : استفرها . ريح سجّسج : لينة الهواء . معتدلة النشر : الرائحة .
(١٠) الحجيج : الحجاج . والمراد بالبيت النبى الحرام في مكة . النفر : مصدر نفر الحجيج
إذا اندفعوا من منى إلى مكة . (١١) المجر : الجيش العظيم .

بدأت من وراء الأفق ترفل للعلی
 غدت ترسل الأنوار حتى كأنها
 إلى أن جلت في نورها رونق الضحی
 وأهدت حياة في الشعاع جديدة
 فقلت مشيراً نحوها بحفاوة
 رويداً رويداً في غلائلها الحر^(١)
 تُسِيل على وجه الثرى ذائب التبر^(٢)
 صقيلاً وفراً، بحر الفضاء غدت تجرى^(٣)
 إلى حيوان الأرض والنبت والزهر
 ألا إن هذا الشعر من أبدع الشعر^(٤)

وبيضة خدر إن دعت نازح الهوى
 من اللاء يملكن القلوب بكلمة
 تهادت ترينى البدر محدة بها
 فليله ما قد هجن لي من صباة
 تصافح إحداهن في المشى ترهبها
 مررن وقد أقصرت خطوى تأدباً
 فطأطأت للتسليم منهن أروساً
 فألقيت كفى فوق صدرى مساماً
 وأرسلت قلبي خفهن مشيعاً
 وقلت وكفى نحوهن مشيرة
 أجاب ألا ليك يا بيضة الخدر^(٥)
 ويحين مئت الوجد بالنظر الشرر^(٦)
 أو انس إحداق السكواكب بالبدر^(٧)
 ألفت بها طي الضلوع على الحر^(٨)
 فنحرت إلى نحر وخصر إلى خصر^(٩)
 وأجمعت أمرى في محافظة الصبر
 عليها أكاليل ضفرن من الشعر
 وأطرقت نحو الأرض منحني الظهر
 فراح ولم يرجع إلى حيث لا أدرى
 ألا إن هذا الشعر من أجل الشعر

(١) ترفل : تجر ذيلها وتبختر . غلائلها : أراد بها ثيابها ، وفردتها غلالة ، وهى شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع .

(٢) الثرى : الأرض والتراب والندى .

(٣) رونق الضحى : إشراقه وحسنه . صقيلاً : مجلوا .

(٤) الحفاوة : التلطف والمبالغة بالأكرام .

(٥) أراد بيضة الخدر : الجارية الحسناء ، لأنها مكنونة في خدرها ، نازح الهوى : نائية وذاهبة .

(٦) اللاء : اللاتي . الوجد : الحب . النظر الشرر : هو نظر فيه لإعراض ، أو نظر الغضب . مؤخر العين ، أو النظر عن عين وشمال ، وهذا التفسير أقرب لمعنى البيت .

(٧) أحداق بالشئ : أحاط به . (٨) هجن : هيجن . الطي : مصدر طوى .

(٩) يقال هذا ترب فلان ، وهذه ترب فلانة ، إذا كانت على سنمها ، وأكثر ما يستعمل في المؤنث . النحر : موضع القلادة من العنق .

- ومائدة نسج الدمقس غطاؤها
 رقي من أعاليها الفتراف منبرا
 وفي وسط النادى سراج منور
 فراح ياذن العلم ينطق بقولا
 فطورا خطيبا يخزن القلب وعظه
 يقوه فصيحاً بالألفاء وهو أبكم
 أمين أبى التدليس فى القول حاكياً
 تراه إذا لقتته القول حافظاً
 فيالك من صنع به كل عاقل
 فقلت وقد تمت شقائق هدره
- بمجلس شبان هم أنجب العصر^(١)
 محاطاً بأحباب عطارفة غر^(٢)
 فتحسبه بدرأ وهم هالة البدر^(٣)
 عرفنا به أن البيان من البحر
 وطوراً يسر السمع بالعزف والزم^(٤)
 ويسمع ألحان الغنا وهو ذو وق^(٥)
 قسمعه يروى الحديث كما يحوى^(٦)
 تمر اللىالى وهو منه على ذكر^(٧)
 أقر لأديسون بالفضل والفخر^(٨)
 ألا إن هذا الشعر من أعجب الشعر^(٩)

• • •

- وأصيد مأثور الكارم فى الورى
 يروح ويغدو فى طيالة الغنى
 تحسونه ريب الزمان فأولعت
- يريك إذا يلفاك وجه فتى حر^(١٠)
 ويقضى حقوق الجد من ماله الوفر^(١١)
 يا خـلاقها ديباجتيه يد الفقر^(١٢)

- (١) الدمقس : الديباج والحرير الأبيض . (٢) العطارفة : السادة .
 (٣) الهالة : دائرة القمر ، كاطفاوة لنارة الشمس .
 (٤) العزف : الضرب بالمعازف ، وعى آلات الطرب .
 (٥) الألحان : اللغات ، وهى جمع لامة . انوقر : الصمم ، وهو ذهاب السمع .
 (٦) التدليس فى الحديث : هو أن لا يذكر الحديث فى حديثه من سمعه منه ، ويذكر من هو
 أعلى من حديثه ، يوهم أنه سمعه منه . والمدلس لا يقبل حديثه .
 (٧) الذكر ، بضم الذا : التذكر . (٨) أديسون : هو مخترع الصدى « الفتراف »
 (٩) تمت شقائق هدره : سكت . والشقيقة فى الأصل : لغة البعير ، ونيل شئ كالرئة
 يخرج منه من فيه إذا حاج ، وبناى القصيح : حشرت شقيقته .
 (١٠) الأصيد : الرجل الذى لا يلفت من زهوه وخيلانه .
 (١١) طيالة : جمع طيلسان ، وهو نوع من الثياب يلبسه الخواص . الوفر : الكثير .
 (١٢) أولع به بالبناء المجهول : علق به شديداً . الإخلاق : مصدر . أخلق الثوب : أبلاه .
 ديباجتيه : خديته . ومعنى البيت : خانه الزمان ، وعلفت به يد الفقر ، فوضعت من شرفه ، وذلت
 خديته بعد أن كانتا مصرعين .

فأصبح في طُرُق التصعلك حائرًا
 كأن لم يَرُحْ في موكب العز راكبًا
 ولم تزدحم صَيْدُ الرجال ببابه
 فظل كثيب النفس ينظر للغنى
 إلى أن قضى في علة العدم نَحْبَه
 فرُحْتُ ولم يُحْفَلْ بتشييع نعشه
 وقلت وأيدى الناس تحثو ترابه
 يحول من الإملاق في سَمَلٍ طَمَرٍ^(١)
 عِتاق المذاكي مالك النهى والأمر^(٢)
 ولم يَغْمُرِ العافين بالنائل الغمر^(٣)
 بعين مُقِلِّ كان في عيشة المُثْرِى^(٤)
 فجَهَزَهُ من مالمهم طالبو الأجر^(٥)
 أشيعه في حامله إلى القبر
 ألا إن هذا الشعر من أفجع الشعر^(٦)

ونأحمة تبكى الغداة وحيدها
 عزاه إلى إحدى الجنايات حاكم
 فويل له من حاكم صُبَّ قلبه
 من الروم أما وجهه فشوّه
 أضرَّ بعفّ الذيل حتى أمضه
 تخطفه في مخاب الجور غيلةً
 تنوء به الأقياد إن رام نهضة
 بشجو وقد نالته ظلمًا يد القهر^(٧)
 عليه قضى بطلًا بها وهو لا يدري^(٨)
 من الجور مطبوعًا على قالب الغدر
 وقاح وأما قلبه فمن الصخر^(٩)
 ولم يلتفت منه إلى واضح العذر^(١٠)
 فنجَّ به من مظلم السجن في القعر
 فيشكو الأذى والدمع من عينه يجرى^(١١)

(١) التصعلك : الافتقار . الاملاق : الفقر . سمل طمر : ثوب بال .

(٢) المذاكي : الخيل التي تم سننها وكتلت قوتها .

(٣) صيد : جمع أصيد وقد تقدم معناه . يغمر : يبالغ في الاحسان . العافين : الفقراء . النائل
 الغمر : العطاء الكثير

(٤) المقل : ضيق ذات اليد . والمثرى : الغنى ، (٥) العدم : الفقر .

(٦) تحثو ترابه : تصبه . (٧) الشجو : الحزن .

(٨) عزاه : نسبته . (٩) وقاح بفتح الواو : ذو وقاحة ، يطلق على المذكرات والمؤنث ،

(١٠) عف : عفيف .

(١١) الخلب : هو في الأصل ظفر كل سبع من الماشى والطائر . غيلة ، يقال قتله غيلة : أى

خدعة فذهب به إلى موضع فقتله . زج به : طرحه .

(١٢) تنوء به : تثقله . الأقياد : جمع قيد .

تناديه والسجان يكسر زجرها عجوز له من خلف عالية الجدر^(١)
 بُنيَ أظن السجن مسك ضربه بُنيَ بنفسى حل ما أصابك من ضر
 بُنيَ استعن بالصبر ما أنت جانيًا وهل يخذل الله البرىء من الوز^(٢)
 فبجئت أعاطيها العزاء وأدمعي كادعها تنهل منى على النحر
 وقلت وقد جاشت غوارب عبرتي ألا إن هذا الشعر من أقتل الشعر^(٣)

تجاه اللانهاية

أبعد الدهر في الفضاء مكره طالقاً في مكره بالجره
 إن أم النجوم بنت زمان لم تزل حادثاته مستمرة
 في فضاء لو سافر انبرق فيه ألف قرن لما أتى مستقره
 ولو الشمس ضوعت ألف ضعيف لم تكن في أثره غير ذره
 ولو الفكر غاص فيه دغداً لم يكن بالغاً يد الدهر قعره
 سعة تحسب الجرة فيها حاقة أقيت بصحراء قعره
 يقف الفكر دونها مكوئداً مقشعراً وتأخذ العقل حيره
 لو أضفنا إلى الفضاء فضاء مثله لم تزد ولا قيد شعره
 إن تكن هذه الجرة نهراً مستفيضاً فشمسنا منه قطره
 أو تكن أرضنا من الشمس جزءاً فهي سقط من جرة مستحرة
 إن تسائل عنا فنحن هباءً ذر من صنعة التقوى بمذره
 صادفتنا أشعة من حياة فظهرنا وهل لأول مره
 كل من جاوز الأشعة منا فهو هاوٍ في ظلمة مكفه
 فعلام الخلود يضر حتماً وعلام الجہول يظهر كبره

(٢) الوز : الذاب .

(١) الجدر : جمع جدار .

(٣) جاشت : فاضت . غوارب الماء : أعلى موجه . العبرة : الدفعة .

من أين وإلى أين ؟

من أين من أين يا ابتدائي	ثم إلى أين يا انتبائي ؟
أمن فناء إلى وجود	ومن وجود إلى فناء ؟
أم من وجود له اختفاء	إلى وجود بلا اختفاء ؟
خرجت من ظلمة لأخرى	فما أمامي وما نورائي ؟
ما زلت من حيرة بأمرى	معانق اليأس والرجاء
إن طريق النجاة وعر	يكبر به الطرف ذو النجاء ^(١)
يا قوم هل في الزمان نطس	يهدى إلى ناجح الدواء ^(٢)
لأي أمر ذه الاليالى	تأني وتمضي على الولاء ؟ ^(٣)
فتطلع الشمس في صباح	وتقرب الشمس في مساء
أرى ضياء يروق عيني	ولست أدري كنه الضياء ^(٤)
وما اهتزاز الأثير إلا	علالة نزرة الجلاء ^(٥)
نحن على رغم ما علمنا	نعيش في غيبب الماء ^(٦)
نشرب ماء الظنون عباً	فلم نعد منه بارتواء ^(٧)
تأني علينا مشاهدات	نروح منهمن في مرآ ^(٨)

(١) الطرف : الكريم من الخيل . النجاء : الاسراع والسبق .

(٢) النطس : الطيب الخاذق .

(٣) ذه : اسم إشارة بمعنى هذه . على الولاء : متابعة دون فصل .

(٤) كنهه : حقيقته . الشطر الثاني من البيت فيه استعانة فاعلن على وزن مفعولن وقد درج على ذلك بعض الشعراء في مخلم البسيط ، غير أن علماء الفن لم يذكروا ذلك ، وفي هذه القصيدة عدة أبيات كذلك .

(٥) الأثير في اصطلاح العلم : شيء ألطف من الهواء ، مملوء به الفضاء . العلالة : هي ما يتعلل به ويتلجى . نزرة الجلاء : قليلة الوضوح . يقولون إن الضياء حاصل من اهتزاز الأثير ، والشاعر يقول إن قولهم هذا قليل الوضوح ، فهم يتلوهون بهذا التفسير . لأنهم لم يدركوا الحقيقة .

(٦) الغيبب : الظلمة .

(٧) عب الماء عباً : شربه بلا تنفس .

(٨) المرآ : الخلاف والجدل .

وكم نرى فعل فاعلات من القوى وهي في الخفاء^(١)
يا ويلة الحس إنه عن حقيقة الأمر في غطاء
فإن أجزاء كل جسم مبتعدات بلا التقاء
وفي دقاق الجهاد عرك يتهم الحس بالخطاء^(٢)

يا قوة الجذب أطلتيني من ثقلة أوجبت عنائي
لولاك لولاك يا شكالي طارت كالنور في الفضاء^(٣)
أنت عماد السماء لكن خفيت عن عين كل راء
ربطت كل النجوم فيها بعضا ببعض ربط اعتناء
فدرون في الجوّ جاريات كأنها السفن فوق ماء
نحن بنى الأرض قد علمنا بأننا من بنى السماء
لو كنت في المشتري لبانت أرضى سماء بلا امتراء^(٤)
فليس فوق وليس تحت ولا اعتلاء لذي اعتلاء
وإنما نحن فوق نجم نحيا محاطين بالهواء
فليت شعري أي ارتقاء للروح يبقى أي ارتقاء
وأنت يا كهرباء سرّ بدا وما زال في غشاء^(٥)
عجائب الكون وهي شتى فيك انطوت أيما انطواء^(٦)
أضأت إن شئت كل داج لنا وأدريت كل ناء^(٧)
فأنت للكائنات روح إن كانت الروح للبقاء

(١) القوى : جمع قوة ، وأراد بها القوى الطبيعية .

(٢) أراد بدقاق الجهاد : ذراته ، وذرات كل شيء ، على ما حققه العلم ، في حراك مستمر ، مع أن الحس في الظاهر يدركها ساكنة ، وهذا معنى قوله يتهم الحس بالخطاء .

(٣) الشكال : الوثاق يقيد به . (٤) المشتري : أحد النجوم السيارة .

(٥) غشاء : غطاء . (٦) شتى : متفرقة .

(٧) داج : مظلم . أدريت : قربت . ناء : بعيد .

وكم تقاضاك فيلسوف حقيقةً صحيحةً الأداء^(١)
فقال والقول منه ظن ما تكون إلا بالكهرباء

• • •

وليلةً بثها أنادى نجومها أبعد النداء
أخذ منهم بالتداني فبكراً ويأخذن بالتداني
فأثنى باكياً بشعري ويطرب الليل من بكائي
وربما كرت بعد وهن فكري فألني بعض الشفاء^(٢)
فأرجع القهقري أغنى وما سوى الشعر من غناء
أقول والنسر فوق رأسي وطالع النجم في إزائي^(٣)
يأيها الأنجم الزواهي لله ما فيك من بهاء
أما كفائك السني جبالاً حتى تجلت بالسناء^(٤)
يا أنجم النعش فاصدقني أمات ذو النعش بانطفاء^(٥)
إني إذا كنت في حداد إليك أهدى حسن العزاء
وأنت يا نسر من كلال وقعت أم طليبة الغذاء^(٦)
أخوك هل طائر لوكر أم قاصد مقتبى القضاء^(٧)
كان أم النجوم سيف سل على الليل ذو مضاء^(٨)
رُصع متناه بالدراري فراق في الحسن والرواء^(٩)
كان نجم السها أديب في أرض بغداد ذو ثواء^(١٠)

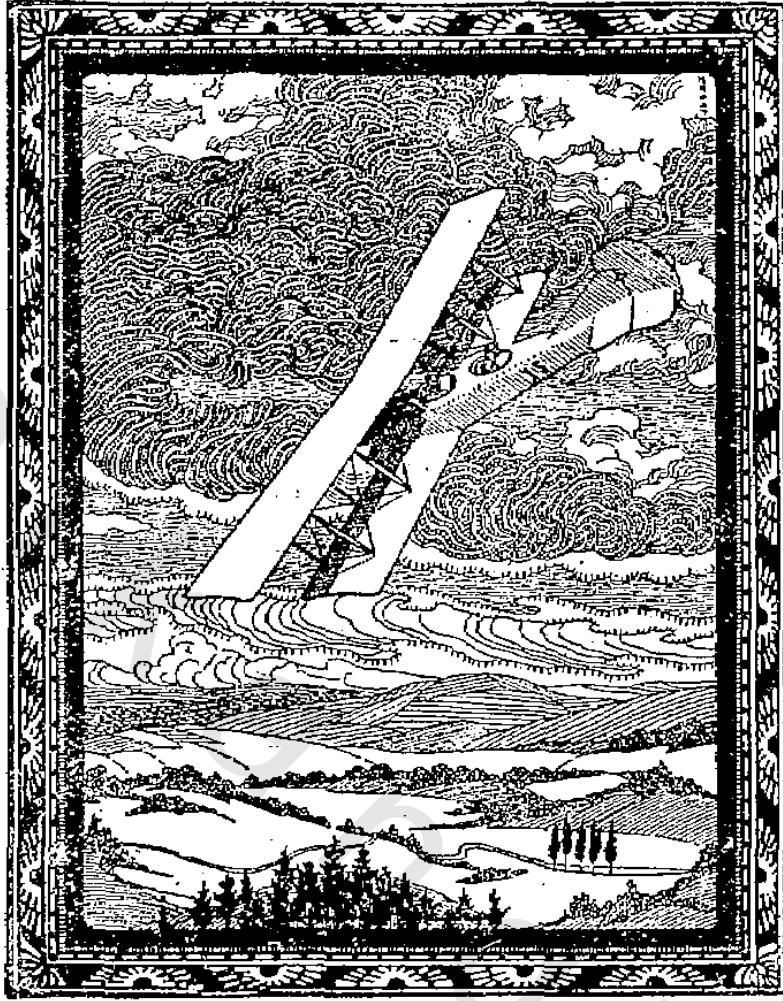
- (١) تقاضاك : طلبك . (٢) الوهن : الضعف .
(٣) النسر : اسم كوكب . النجم : الثريا . إزائي : مقابلي .
(٤) السني : النعش . السناء : الرنعة .
(٥) أنجم النعش : هي الأنجم التي تسمى بنات نعش : ذو النعش : هو البيت .
(٦) أراد بالنسر : الواقع ، وهو اسم نجم . الكلال : التعب .
(٧) أخوك : خطاب النسر الواقع ، وأخوه هو النجم المعروف بالنسر الطائر .
(٨) ذو مضاء : حاد قاطع . (٩) متناه : جانباه . الرواء : حسن المنظر .
(١٠) السها : نجم خفي تفتح الأبصار برؤيته . الثواء : الإقامة .

كأن خط الشباب مُدِلٌّ لأسفل البئر بالرشاء^(١)
كأنما أنجم الثريا في شكلها الباهر الضياء
قفاز كف به فصوص من حجر الماس ذى الصفاء^(٢)

برئت للموت من حياة ما نكبت مهيح الشقاء^(٣)
لم يكفها أنها احتياج حتى غدت حومة البلاء
يأبىها المترف المهنأ يمرح في ثوب كبرياء^(٤)
مهلاً أخوا الكبر بعض كبر ألت تقنى بعض الحياء
أنت ابن فقر إلى أمور بهن تدعى يا ابن الثراء^(٥)

(١) مدل : من أدلى الدلو أو الحبل إذا أرسله في البئر . الرشاء : الحبل .
(٢) القفاز : لباس اليد ، وها قفازان . الفصوص : جمع ، فص بفتح الفاء وضمها وكسرهما ، وهو ما يركب في الخاتم من المعادن كالياقوت والماس ونحوها .
(٣) نكبت : مجهول نكبه الطريق ، بمعنى نجاه وأبعده عنها . المهيح : الطريق .
(٤) المترف : المنعم .
(٥) الثراء : الغنى .

نحن على منطاد



نحن من أرضنا على منطاد . . .

نحن من أرضنا على منطاد جائل في شواسع الأبعاد^(١)
 طائر في الفضاء عرضًا وطولًا بجناح من القوى غير باد^(٢)
 أيها الأرض سرت سيرك مثنى ذا نتاجين في زمان أحاد^(٣)
 فتقلبت في نهار وليل ذا مضلل وذاك للناس هاد

(١) المنطاد : هو ما يصار به في الفضاء ، وهو ما يسمونه « البالون » . جائل : اسم فاعل من الجولان . الشواسع : البعيدة ، من شسع المكان بمعنى بعد . الأبعاد : جمع بعد .
 (٢) غير باد : غير ظاهر .

(٣) إنما كان سير الأرض مثنى ، لأن لها في الزمان الواحد دورتين ، نتاجان نتاجين ، دورة ينتج عنها اختلاف الليل والنهار ، وهذه تنمها بأربع وعشرين ساعة ، ودورة ينتج عنها اختلاف الفصول ، وهذه تنمها في سنة كاملة .

في بلادٍ يكون سيرك تأويباً من أنه سرى في بلاد^(١)
 فيك دفعٌ وفيك بأرض جذب لك ذا سائق وذا لك حادى؟^(٢)
 فلك دائر على الشمس طوراً في اقتراب وتارةً في ابتعاد
 ليت شعري وما حصلت من الآراء إلا على خلاف السداد
 لبقاء ثقلنا الأرض في تسليارها أم ثقلنا لنفاد؟^(٣)
 نحن في عالمٍ تنصّف فيه عارض النائبات بالإرعاد^(٤)
 شأنا العجز فيه نوجد أنى قدفتنا يد الخطوب الشداد
 ضاع جذر الحياة عنا فخلنا أنها كالأصم في الأعداد^(٥)
 شغلنا الدنيا بلهو ولعب فغفلنا والموت بالمِرصاد
 ضلّ من رام راحةً في حياة نحن منها في معرك وجلاد^(٦)
 إنما هذه الحياة جروحٌ أضعفتنا والموت مثل الضّاد^(٧)
 كلُّ أمر يهون إن أطلقت أرّاحنا المؤتقات بالأجساد
 لا تلمنى إذا جَزَعَت فإنى ما ملكت الخيار في إيجادى
 طال عتبى على عِدات الليالى مثما طال مَظَلها بمرادى^(٨)
 كدّرت عيشى الحوادث حتى لا أرى الصفو غير وقت الرقاد^(٩)

(١) التأويب : السير جميع النهار . السرى : السير فى الليل . يقول : أيها الأرض إن سيرك النهارى فى بلاد هو فى الوقت نفسه سير ليلي فى بلاد أخرى ، وذلك لأن الكرة يكون نصفها مضئاً وهو ما يقابل نور الشمس ، والنصف الآخر يكون مظلماً وهو مالا يقابلها . ويتناسل ما تنبئ الشمس من الأرض ترسل الظلام على قسم آخر .

(٢) حادى : من حدا الدابة إذا غنى لها لنجود فى السير . (٣) ثقلنا : ثقلنا .

(٤) العارض فى الأصل : السحاب الذى يعترض فى الأفق . النائبات : المصائب .

(٥) خلنا : ظننا . الأصم فى اصطلاح الحسابيين : هو العدد الذى لا يؤخذ جذره ، معنى أنه لا يكون حاصلًا من ضربه بنفسه كالخمسة والثلاثة والأحد عشر وغيرها . معنى البيت : أننا جعلنا أصل الحياة ، فقلنا لا أصل لها ، كالعدد الأصم الذى لا جفرت له .

(٦) الجلاد : مصدر جالدوا ، بمعنى تضاربوا بالسيف .

(٧) أضعفتنا : أوهنتنا وأضعفتنا ، الضّاد : العصابة التى يربط بها موضع الجروح .

(٨) عِدات : جمع عِدَة ، بمعنى الوعد . (٩) الرقاد : بمعنى النوم .

صاح ما دلّ في الأمور على الأشكال — كمال إلا تفحص الأضداد
 فاعتبر بالسفيه كمن حلياً وتعرف بالغى طرق الرشاد
 واللييب الذى تعلم إتيا ن المعالى فى خسة الأوغاد^(١)
 أيها الغر لا تغرك دنيا ك يكون مصيره لفساد
 خف من غاص فى الغرور كما فى لجة الماء خف ثقل الجماد^(٢)
 يا خليلي والخليل المواسى منكما من يقوم فى إسعادى^(٣)
 خاب قوم أتوا وغى العيش عزلاً من سلاحى تعاون واتحاد^(٤)
 قد جفتنا الدنيا فهلاً اعتصمنا من جفاء الدنيا بحبل وداد
 لو علمنا لما اختشى قط محسو دون وقع الأداة من حساد
 فتنازع الحياة أحقر من أن يستقرّ القلوب بالأحقاد
 أنا والله لا أريد بأن أو قع شراً ولو على من يعادى
 إننى لى إن سمعت أنة محزو ن أنيناً مرجعاً فى فؤادى
 إن نفسى عن همها ذات شغل بهموم العباد كل العباد
 لا أحب التسيّم إلا إذا هب على كل حاضر أو باد

* * *

أيها الناس إن ذا العصر عصر العلم والجدّ فى العلى والجهاد
 عصر حكم البخار والكهربائيّة و « الماكينات » والمنطاد
 بُنيت فيه للعلوم المباني وأقيمت للبحث فيها النوادي
 قاض فيض العلوم بالرغم ممن ضربوا دونهم بالأسداد^(٥)
 إن للعلم فى الممالك سيراً مثل سير الضياء فى الأبعاد

(٢) خف : من خفة العقل

(١) الأوغاد : جمع وغد ، وهو اللئيم .

(٣) المواسى : المعين .

(٤) وغى العيش : شدته ، والوغى فى الأصل : أصوات الحارين فى الحرب . عزلاً : جمع أعزل ،

(٥) الأسداد : جمع سد .

وهو الذى لا سلاح معه .

أطلع الغربُ شمسَه فحبا الشر قى اقتباسًا من نورها الوقاد
 إن للعلم دولةً خضعت دو ن علاها عوالم الأضداد
 ما استفاد الفتى وإن ملك الأر ض بأعلى من علمه المستفاد
 لا تسابق في حلبة العزّ ذا العلم — هم فما للهجين شأؤ الجواد^(١)
 إن أموات أمة العلم أحياء حياة الأرواح والأجساد
 وكأين في الناس من ذي خول صار بالعلم كعبة القصاد

ربّ يوم وردت دجلة فيه موردًا خاليًا عن الوراد
 حيث ينصبّ في سكوت عميق ماؤها لاثمًا ضفاف الوادى
 وهبوب النسيم يكتب في الما سطورًا متهزّة في أطراد
 يمجى بعضها ويظهر بعض فهي تنساب بين خاف وباد^(٢)
 وتنّ المياه لى بخير كأنين السقيم للعواد^(٣)
 قمت في وجهها أردد طرفى ساكتًا والضمير مئى ينادى
 واقفاً تحت سرحة ناح فيها طائر فوق غصنها المياد^(٤)
 منشداً فى النواح شعراً غريزيًا — حزينًا كأنه إنشادى
 جاوبته أفنانهم — بأنين من حفيف الأوراق والأعواد^(٥)
 أيها الطائر المرجع فوق الـ غصن هل أنت نائح أم شاد
 بين ماء جار ولحن شجى منك يا طائر استطار فؤادى
 يامياها جرت بدجلة تجتا ز مرورًا بجانبى بغداد
 إن نفسى إلى الحقيقة عطشى أفتشفين غلة من صاد^(٦)

(١) الهجين من الخيل : هو الذى ولدته برذونة من حصان عربى .

(٢) تنساب : تسرع . (٣) العواد : الزوار .

(٤) السرحة : الشجرة العظيمة . المياد : المائل .

(٥) أفنانها : أغصانها . الحفيف : صوت أوراق الشجر .

(٦) الغلة : العطش ، العادى : العطشان .

كنت تجرين والرُصافة والكر نخ خلأ من رائج أو غاد
أيها الماء أين تجري ضياءً وحواليك قاحلات البوادي؟^(١)
فمتى تفتن النفوس فيحيا بك سقياً موات هذى البلاد
لو زرعنا بك البقاع خبواً لحصدنا النضار يوم الحصاد^(٢)
أفيدري خليج فارس ماذا فـهـ منك بالبع بازدراد
أنت والله عسجد ولجين لو أتينا الأمور باستعداد^(٣)
فاجر يا ماء إن جريت رويداً بأناة ومهلة واتآد^(٤)
علمنا نستفيق من رقدة الفقـر فنغنى بفيضك المزداد
سلكتك السما ينابيع في الأر ض أمدتك أيماً إمداد
فتفجرت في السفوح عيوناً نبعت من مخازن الأطواد^(٥)
وإذا ما انتهيت في جريانٍ عدت للبدء في متون الغوادي^(٦)
هكذا دار دائر الكون من حيـة ث انتهى عاد راجعاً للمبادي

كلمة معتبر

أقوى مصيف القوم والمربع فالدار قفر بعدهم بلقع^(٧)
سارت بنا الأرض إلى غاية لنا وللأرض هي المرجع
ونحن كالماء جرى نابعاً لكن علينا خفي المنبع

(١) أرض قاحلة : لآبات فيها .

(٢) النضار : الذهب .

(٣) العسجد : الذهب . اللجين : الفضة .

(٤) الأناة والمهلة والأتآد : ألفاظ مترادفة بمعنى التأني .

(٥) السفوح : جمع سفح ، وهو أسفل الجبل . الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل .

(٦) النون : جمع متن ، وهو جانب الشيء . الغوادي : السحاب الذي يكون فيه المطر . يقول ، إن الماء بعد ما ينتهي جريانه يرجع كما كان في باديء الأمر سحاباً بواسطة التبخر ، ثم ينزل مطراً ، وهكذا قال أبو العلاء :

فيأجسد المرء ماذا دهاك وقد كنت من عنصر طيب

تعود طهوراً إذا ما رجعت إلى الأصل كالطر الصيب

(٧) المصيف : مكان الإقامة صيفاً ، والمربع : مكانها ربيعاً . البلقع : الأرض الخالية من السكان .

يخون فيها القول منطقته كما تخون البطل الأدرع^(١)
 ما أقدر الموت فمن هوله لم ينج لا كسرى ولا تبع^(٢)
 يارافع البنيان كم للردى من سلم يدرك ما ترفع
 ويا طبيب القوم لا تؤذهم إن دواء الموت لا ينجع^(٣)
 لا بد للغرور من مندم بالعض تدعى عنده الأصبع
 وما عسى تغني وقد حشرجت ندامة ليست إذن تنفع^(٤)
 يا برقع الخلقة وأها لما فيك وأها منك يا برقع
 قد زاعت الأبصار فيما ترى إذ فات عنها شرك المودع
 ونيس في الإمكان عند النهى أبدع مما خلق المبدع

ألكنى يا ضياء

أجذك يا كواكب لا ثرينا بياناً منك يُخبرنا اليقين^(٥)
 كأن العالم العلوي سفري نطالعه ولسنا مفصحين
 نحاول منه إعراب المعاني بتأويل فترجع معجمينا^(٦)
 كواكب في المجرة عائمات حكمت في بحر فسحتها السفينا^(٧)
 سرت زهر النجوم وما دراها فلاسفة مضت ومنجمونا

(١) المنطق : البليغ .

(٢) كسرى : اسم كل ملك كان يحكم القرس . ونبع : اسم كل ملك كان يحكم اليمن ، كقيصر للروم . وخاقان للترك ، والنجاشي الحبشة ، وفرعون للقبط ، والعزير لمصر .

(٣) لا ينجع : لا يؤثر .

(٤) حشرجت . الضمير راجع لأروح . والحشرجة : الفرغة عند الموت .

(٥) أجد : بفتح الجيم وكسرهما ، والهمزة للاستفهام . وهذه من الكلمات التي لا تستعمل إلا مضافة . ومعناها أجد منك هذا العمل . وقيل معناها بفتح الجيم استعلاف بالجد ، أي البخت والخط ، وبكسرهما معناها استعلاف بالجد . أي الحقيقة والاجتهاد . والجد الذي هو ضد الهزل .

(٦) الإعراب : الإظهار . معجمين : غير مفصحين .

(٧) المجرة : مجموعة نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر . وإنما ينفذ ضوءها كأنه بقعة يضاء . حكمت : أشبهت . السفين : السفين : جمع سفينة .

شموس في السماء عَلتَ وجَلَّتْ فظنوا في حقيقتها الظنونا
سوانح في الفضاء لها شئون ولما يعلموا تلك الشئونا
وما ارتجفت بجَنح الليل إلا لتضحك فيه مما يزعمونا
لعل لها بهذا الجوَّ شأنًا سوى ما نحن فيه مرجحونا^(١)
تلوح على الدجى متالئات فتبهج في تلالئها العيونا
وأنى يدرك الرأى مداها وإن ألقى لها نظراً شفونا^(٢)
تودّ الغايات إذا رأتها لو انتظمت لها عقدًا ثمينًا
تقلده على اللبّات منها وتطرّح الدمالج والبرينا^(٣)

ألكنى يا ضياء إلى الدرارى رسالة مُسِيرٍ فيها الجفونا^(٤)
لعلك راجع منها جوابًا يزيل عمايةً التحيرينا
فقل ، إنى تحير فيك فكرى كذاك تحير المتفكرون
فيا أم النجوم وأنتِ أمُّ أيولد فيك كالأرض البنونا^(٥)
وهل فيك الحياة لها وجود فيمكن للردى بك أن يكونا
وهل بك مثل هذى الأرض أرض

وفيها مثلنا متخالفونا
وهل هم مثلنا خلقًا وخلقًا هنالك فياً كلون ويشربونا
وهل هم في الديانة من خلاف نصارى أو يهود ومسلمونا

(١) مرجون : قائلون بما لا نعلم .

(٢) مداها : غايتها . شفن شفونا : رفع طرفه ناظرًا لشيء . كالنجم أو كالسكاره . فهو شافن وشفون . بفتح الشين .

(٣) تقلده : أى تقلده بمعنى تلبسه كالقلادة . اللبّات : جمع لبة وهي النجر ، الذى هو موضع القلادة من العنق . الدمالج : جمع دملج ، وهو حلى يلبس في المعصم . البرين : نوع من الحلى ، وهو جمع برة (يضم الباء وفتح الراء) على غير قياس .

(٤) ألكنى إلى فلان : أى كن رسولاً إليه ، وتحمل رسالتى إليه . الدرارى : أراد بها النجوم الزواهر .

(٥) أم النجوم : هى المجرة .

وهل طابت حياة بنيك عيشاً
وهل حُصيت بك الأيام حتى
وهل بالموت نحن إذا خرجنا
فتبقى عندك الأرواح منّا
فأحبب بالمتون إذن وأحبب
بها إن كان سَلَمك المنونا^(٢)

• • •

أيني ما وراءك يا درارى
قد اتسع الفضاء لك اتساعاً
وصغرَكَ ابتعادك فيه حتى
فهل كان ابتعادك من دلال
خوالد في قضاءك أنت ؟ أم قد
وقالوا ما لعدّتك انتهاء
وقالوا الأرض بنتك غير مَيّن
وقالوا إن والدك المفدى
ترصدك الأنام وما أتاناً
(فهرشل) ما شفى منّا غليلاً
و (كبير) قد هدى أو كاد لّا
فنحن نخاله بعداً شطونا^(٤)
فهل أبعاده بك يتهيننا
إليك استشرف المتشرفونا^(٥)
علينا أم بعدت لتخدعينا
يحل بك الغناء فتذهبننا
فهل صدقوا أو ارتكبوا المجونا^(٦)
فهل أبناء بنتك يصدقونا^(٧)
أثير في القضاء أبى السكونا^(٨)
بعلم ككيانك المترصدونا^(٩)
ولا (غاليل) أنبأنا اليقيننا^(١٠)
أبانك يا تجوم تجذبيننا^(١١)

- (١) مرتقون : مرتفعون .
(٢) تصان : تحفظ . جنفا : ظلم .
(٣) يقول : أيتها المجرة ، هل نحن نرتفع إليك إذا منّا ؟ فإن كان كذلك فما أحلى الموت إن كان سلباً للوصول إليك .
(٤) بئر شطون : بعيدة القمر . وغزوة ونية شطون : بعيدة .
(٥) استشرف الشيء : رفع بصره ينظر إليه . اشوف إلى الشيء : تطلع إليه .
(٦) المجون : إرسال القول أو الفعل من غير مبالاة كالهزل .
(٧) المين : الكذب .
(٨) الأثير : مادة منتشرة في كل خلاء أعطف من الهواء .
(٩) الكيان : الطبيعة .
(١٠) هرشل وغاليل وكبير : علماء فلكيون .
(١١) أبانك ؟ أظهرتك .

إلى كم نحن نلبس فيك لبساً ومن جرّاك ندرع الضنونا^(١)
 لعل النجم في إحدى الليالي سبيعت للورى نوراً مبينا
 تقوم له الموائف قائلات خذوا عني النهى ودعوا الجنونا

الأرض

خبّر في الأرض أوحته السما لأولى العلم برُسُلِ الفكرِ
 أن هذى الأرض كانت أولا ما ترى بحراً بها أو جبلا
 أوسهولا أو ربّاً أو سُبُلا أو رياضاً زهرها الغضّ نما^(٢)
 من سحاب جادها بالمطرِ
 إنما كانت كتلك الأخوات من نجوم سائرات دائرات
 حول شمس هي إحدى النيرات كنّ من قبل عليها سدّما^(٣)
 كتلة واحدة في النظر
 ثم بعد انفصلت من ذا السديم قطع منها صغير وجسيم
 ضمن أفلاكٍ بها الدّور تدّيم فاستقر الكل فيها أجمعا
 حول غير الشمس لم تستدر^(٤)
 أولّا «نبتون» منه انفصلا ثم «أورانس» يهدي زُحلا^(٥)

- (١) من جرّاك : من أجلك . (٢) الغض : الطرى .
 (٣) السدم : جمع سديم ، وهو الضباب ، أى كانت النجوم التى هى فى العالم الشمسى حول الشمس بمنزلة الغيوم .
 (٤) الأرض وأخواتها من النجوم السابحة التى يتألف منها النظام الشمسى ، كانت جميعها مع الشمس كتلة واحدة ، ثم انفصلت وصار كل نجم على حدة ، مرتبطاً مع أخواته بنظام واحد . وإلى ذلك الإشارة فى قوله تعالى فى القرآن الكريم :
 « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما » .
 (٥) نبتون : هو النجم السيار الذى لم يعرف فى القديم . أورانس : هو نجم سيار لم يسكن معروفاً من قبل ، وإنما عرف أخيراً ، ويسمى أيضاً هرشيل باسم مكتشفه . وهذه النجوم التى ذكرها بعد أورانس هى السبعة السيارة الأصلية ، التى تخطر حول الشمس ، ولم يذكر القمر ، لأنه قد ثبت أنه يدور حول الأرض . وهى تدور حول الشمس .

ثم للمشـترى مريـخ تـلا ثم هـذى الأرض فالزهرة ما

بعدها غير أخيهـا الأشهر^(١)

وأخو الزهرة بالشمس اقتدى ولها أقرب سيار غدا

وهى سارت خلفه طول المدى فأمام الأرض ذات انتظما

خلفها المريـخ ثم المشـترى

أرضنا كانت لظى مشتعلة مذ من الشمس غدت منفصلة

لم تزل فى دورها منتقلة كناية فيها اللهب احتدما

وهى ترمى فى انفضـا بالشر

كان فيح النار منها مصعدا وهجا فى الجو عنها مبعدا

حيث لا يمكن أن ينعقدا فوقها منه بخار ديمـا^(٢)

هاطلات بالحيا المنهمـر^(٣)

بقيت حيناً وهذا أمرها وهى بالإشعاع يخبو حرها^(٤)

وانثنى يبرد من ذا ظهرها فاكتست قشراً يحاكي الأدمـا^(٥)

واستمرت بطنها فى سُـعـر^(٦)

ثم قد صار على مر الزمان قشرها يغلظ آناً بعد آناً

بيد أن النار عند الهيجان قد أعادت قشرها منخرماً

بصـدوع مُدْهِشَات البصر^(٧)

(١) أراد بأخيها الأشهر : عطارد ، وهو أقرب سيار إلى الأرض ، وليس بين الزهرة والأرض سيار سواه .

(٢) الديم : جمع ديمة ، وهى مطريدوم فى سكون بلا رعد ولا برق ، والراد بهنا المطر مطلقاً .

(٣) الحيا : المطر . النهر : السائل ، أى أن شدة الحرارة المتصاعدة من الأرض كانت تمنع البخار من أن ينعقد سحاباً مائطراً .

(٤) يخبو : يحمد ويسكن .

(٥) يحاكي : يشابه . الأدم : البشرة وهى ظاهر الجلد .

(٦) البطن : مذكر ، وتانيته لغة . وعليها مشى الشاعر ، ويجوز أن يكون الضمير فى استمرت عائداً إلى الأرض . فتسكون جملة بطنها فى سعر ، فى موضع الحال من الضمير . السعر : الحر . وأراد به الاشتعال والهيجان . والسعر فى الأصل بتسكين العين ، وضم هنا للضرورة .

(٧) صدوع : شقوق .

شَخَصَتْ أَطْرَافَ هَاتِيكَ الصَّدُوعَ بِجِبَالٍ شَمَخَتْ مِنْهَا الْقُرُوعُ
وَلَهَا فِي الْعَيْنِ أَشْكَالُ تَرُوعٍ تَقْدِفُ الْأَفْوَاهَ مِنْهَا جُمُوعُ^(١)
صَارَ مِنْهُنَّ رُكُومُ الْحَجَرِ^(٢)
حَصَلَتْ مِنْ قَذْفِ هَاتِيكَ الْمَوَادِّ حَيْثُ يَحْمِلْنَ جِبَالٌ وَوَهَادُ^(٣)
وَرِكَازٌ وَصَخُورٌ وَجَمَادٌ بَعْضُهَا دَقٌّ وَبَعْضٌ عَظَامُ^(٤)
وَهُوَ صَلْبُ الْجِسْمِ صَعْبُ الْمَكْسِرِ
وَهُنَاكَ انْعَقَدَتْ فِيهَا الْغَيُومُ مِنْ بَحَارٍ كَانَتْ فِي الْجَوِّ يَهِيمُ
رَدَّةَ الْبَرْدِ مِيَاهًا فِي التَّنْخُومِ فَجَرَى السَّيْلُ عَلَيْهَا مَفْعِمًا^(٥)
كُلَّ غُورٍ فَوْقَهَا مَنَحْدِرُ^(٦)
عَمَّهَا السَّيْلُ فَغَطَّى حِينَ سَالَ سَطَحَهَا بِحِجْرَتٍ مِنْهَا الرَّمَالُ
فَطَمَ الْمَاءُ وَلَسَكَنَ الْجِبَالُ شَخَصَتْ فِي الْمَاءِ لَمَّا أَنْ طَمًا^(٧)
وَعَلَتْ كَالسَّفْنِ فَوْقَ الْأَمْحَرِ
غَمَرُ الْمَاءِ بِهَا مَا غَمَرَا ثُمَّ خَلَّى بَعْضُهَا مَنَحْسِرًا^(٨)
مَحْدَثًا فِي السَّطْحِ مِنْهَا جُزُرًا أَنْزَلَ الْمَاءُ بِهَا مَا حَطَمًا^(٩)
مِنْ طُقُفَالٍ وَحُتَاتٍ الْمَدَرِ^(١٠)

- (١) تَرُوعٌ : تخفيف . الحُم : جمع حمة . وهي ما تقذفه النيران عند ثورانها .
(٢) الرُكُوم : الشيء المتراكم بعضه فوق بعض . (٣) الوَهَاد : الأماكن المنخفضة .
(٤) الرِكَاز : المعدن . دَق : صغر . (٥) التَّنْخُوم : الفواصل بين الأرضين . مَفْعِمًا : مائلًا .
(٦) الْغُور : هو ما انحدر من الأرض ، متى تسطعت حرارة الشمس على الأرض امتصت رطوبتها ،
فتتصاعد تلك الرطوبة بخاراً في الجو ، ومعنى بلع الطبقة الباردة من الهواء يتجلل ويتساقط مطراً ،
وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى في القرآن الكريم : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَجَابَا ثُمَّ يُؤَلَفُ
بَيْنَهُ . ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكُومًا ، فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ » . الْوَدْق : المطر .
(٧) طَمًا : ارتفع . (٨) مَنَحْسِرًا : منكشفاً .
(٩) الْجُزُر : جمع جزيرة . على غير قياس ، والقياس : جزائر .
(١٠) الطُقُفَال : بفتح الطاء وضمةها هو الطين اليابس . الحُتَات : بضم الحاء : هو ما تنثر من كل
شيء . الْمَدَر : التراب المتبلد .

بسيول الماء كم فيها ارتكم^(١) من رمال رسبت فيها أكم^(٢)
ولكم خدّت أخاديد وكم^(٣) قد بئت من طبقات علما^(٤)
نصدت فيه صفيح المرمر^(٥)
ثم صارت وهى من قبل موات^(٦) تصلح الأقطار منها للحياة^(٧)
فانبهرت تذبّت في البدء النبات ثم أبدت من قواها النسا^(٨)
وارتقت فيها لنوع البشر^(٩)
فغدت إذ ذاك تزهو بالرياض وبها الأدواح تنمو في الغياض^(١٠)
ثم ترميها أكف الانقراض بانحطام حيث تسمى فخا
حجريا بمسرور الأعصر
من حطام الخلق في الأرض هضاب^(١١) كوتهن أكف الانقلاب^(١٢)
ما تراب الأرض والله تراب^(١٣) إنما ذاك حطام قداما
من جسوم باليات الكسر
كم على الأرض رفات باليات^(١٤) من جسوم طحنتها الدائرات^(١٥)

- (١) ارتكم الشيء : اجتمع مع ازدحام وكثرة . رسب الشيء في الماء : وصل إلى أسفله .
أكم : جمع أكمة . وهى التل .
(٢) خدت : شقت . الأخاديد : جمع أخدود ، وهو شق مستطيل في الأرض . العلم : الجبل .
(٣) نصدت الشيء : بمعنى جعلت بعضه فوق بعض مسقا أو مركوما . صفيح المرمر : أراد به حجارته .
(٤) الأرض الموات : هى الحراب . أوالى لا مالك لها ولا ينتفع بها أحد . الأقطار : الزواحي
والجبهات ، مفردا قطر .
(٥) النسيم : جمع نسمة وهى نفس الروح ، وأراد بالنسيم الأرواح أنفسها .
(٦) يظهر أن الشاعر يميل إلى مذهب النشوء والارتقاء كما يفهم من هذا المقطع . وقد
اضطربت الآراء في أن هذا المذهب يعارض نصوص الدين ؛ وعندى أنه لا يعارضها ، ولم يزل علماء
الكون في حيرة من تحقيق هذا المذهب .
(٧) الأدواح : الأشجار العظيمة .
(٨) الحطام : ماتكسر وتفتت من الأشياء اليابسة وحطام الخلق : ماتكسر من عظامها
وتحطم . الهضاب : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على وجه الأرض .
(٩) الرفات : الحطام . وهو مفرد مذكور ، أراد به الشاعر معنى الجمع ، فجعل صفته وأثنا .

فاحتفِر في الأرض تلك الطبقات تجد الأتقاض فيها ربما^(١)
 هي للأحياء أو للشجر
 كل وجه الأرض للخلق قبور خفف الوطاء على تلك الصدور
 والعيون النجل منهم والثغور إتما أنت ستفنى مثمنا^(٢)
 قد فنوا والموت دامي الظفر
 ظلت الأرض على كرّ الدهور تُبحر الأجل فيها والبحور^(٣)
 فوقها تُجبلُ والماء يغور وعلى ذاك استدل الحكما
 بحال السمك المستحجر
 علماء الأرض لم تبح ترى حيوان البر لما دثرا^(٤)
 منه في الأبحر أبقى أثرا وكذا في البر ألقى العلماء
 أثرا من حيوان الأبحر
 كل ما في الأرض من فقر وبید وجبال شهقت فوق الصعيد^(٥)
 عن زهاء الربع منها لا يزيد وسوى ذلك منها انكنا
 تحت ماء البحر لم ينحسر
 في صعيد الأبحر المنعمس مثل ما يوجد فوق اليابس
 من جبال ناتئات الأروس ووهاد تستنزل القدما^(٦)
 ورُبا مختلفات القدر^(٧)

(١) الاتقاض : الأبنية المنهدمة . الرسم : ما بلى من العظم ، مفردا رمة . وأراد بها الشاعر ما هو أعظم .
 (٢) النجل : العيون الواسعة الحسناء .
 (٣) تبحر الأجل : أي تصيرها بحرا . والأجل : جمع جبل . تجبل : تصير جبلا — يعرض للأرض بسبب ما في جوفها من القوى والفواعل المختلفة اضطرابات وانقلابات ، وقد تسبب هذه الفواعل تغوير الجبال الشاهقة ، فيغمرها الماء ، فتصير بحرا ، وقد تسبب ظهور جبال وجزائر في البحر . وقد استدل علماء الكون على ذلك بما شاهدوه من الأسماك المتحجرة في رؤوس الجبال ، ومن آثار الحيوانات البرية في أغوار البحار .

(٤) دثرا : بلى وإحى .

(٥) البید : جمع بيداء ، وهي القلاة لاماء فيها ولا أنيس . الصعيد : وجه الأرض .

(٦) ناتئات : مرتفعات . تستنزل : تزلق . (٧) ربا : جمع ربوة ، وهي المرتفع من الأرض .

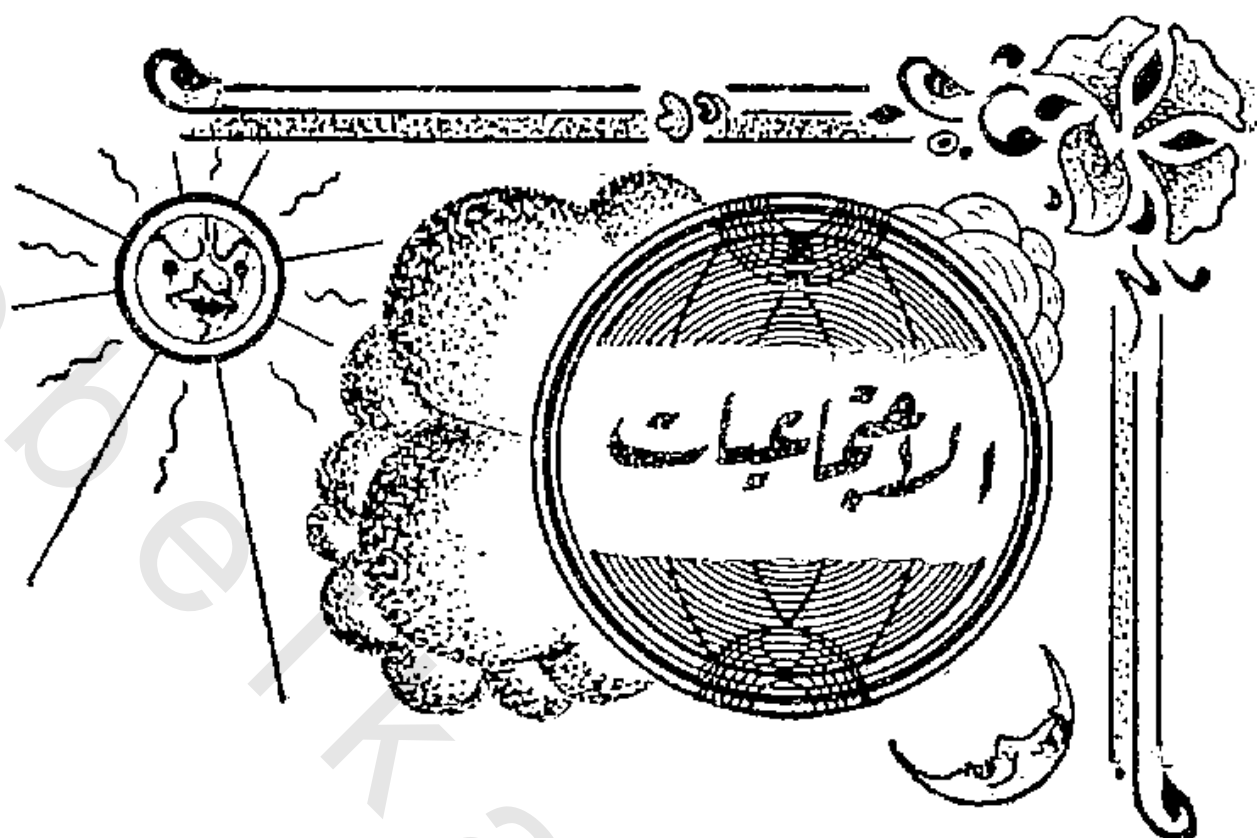
ما نرى اليوم من الماء الحميم والبراكين التي تحكى الجحيم^(١)
ومن الزلزال ذى الهول العظيم دلّ أن الأرض فيما قدّما
ذات جرّم ذاتب مستعر^(٢)
كل ما كان بحال السيلان فهو يغدو نكرة بالدوران
وكذاك الأرض فى ماضى الزمان كروياً قد غدا ملتباً
جرمها من سيلان العنصر
ثم إن الأرض من قبل الجمود ولدت منها وليست بالولود^(٣)
قراً دار عليها بسعود وجلّا فى الليل عنها الظامّا
ففى بنت الشمس أمّ القمر^(٤)

(١) الحميم : الساخن الحار . البراكين : جبال تقذف ناراً ودخاناً وماءً ووحلاً ومواد ذائبة ، فيبدو منها إذ ذاك بمجموع حوادث تظهر فيها النار أعمالها الغريبة . وأسباب تلك الحوادث غير معروفة . وربما بقيت على الدوام إذ لا وسيلة إلى معرفتها . ومفرد ما بركان ، وهو لفظ قد اصطلح عليه ، ولفظه العربى الصحيح فلقان : جمع فلق . بفتح الفاء واللام ومعناه جهنم ، ثم استعمل لجبل النار .

(٢) مستعر : ملتهب .

(٣) الولود بفتح الواو : الكثيرة الأولاد . الأرض قبل أن تجمد بعد انفصالها عن الشمس انفصل عنها القمر .

(٤) هى ، أى الأرض بنت الشمس ، لأنها متفصلة عنها ، وهى أم القمر ، لأنه منفصل عنها .



نحن والماضي

عهدتك شاعر العرب المجيدا فما لك لا تطارحنا النشيدا^(١)
 فنحن إليك بالأسماع نصغي فهل لك أن تفيد قنستفيدا
 بشعر لا تزال تنوط منه بمجيد بدائع الدنيا عقودا^(٢)
 إذا أنشدته الحسناء تاهت كأن قرطتها ذرا فريدا^(٣)
 وأنت إذا قرعت به عبيدا رددت إلى الحرار به العبيدا^(٤)
 ولو تستهض الجبناء يوما به لتفحموا الهيجا أسودا
 ولو كررته للقوم ألفا لأقسم سامعوه بأن تعيدا
 وكم تهتز أعطاف المعالي إذا ما قلت قافية شرودا
 فلو أنشدتنا في الفخر شعرا تذكرونا به العهد البعيدا
 تذكرونا الأوائل كيف سادوا وكيف تبوعوا الشرف المديدا^(٥)

* * *

فقلت له وقد أبدى ارتياحا إليّ إذ ارتحلت له القصيدا
 أجل إن القبائل في معدٍ علوا فتسمنوا المجد المجيدا^(٦)
 وإن لهاشم في الدهر مجداً بناه لها الذي هشم الثريدا

(١) قوله « لا تطارحنا النشيد » : أي لا تجاوبنا منشدا ، يقال طارحه الكلام والشعر والغناء : إذا نظره وجاوبه .

(٢) تنوط : تعلق . والجيد : العنق أو مقلده أو مقدمه .

(٣) تاهت : : كبرت . وقرطتها : أي ألبستها قرطا ، والقرط بالضم : هو الذي يعلق في شحمة الأذن ، : ذرة أو نحوها .

(٤) قرعت : ضربت . والحرار بالفتح : العتق والحرية .

(٥) تبوعوا الشرف : امتدوا فيه وأدركوا غايته . والشرف المديد : أي الممدود الطويل .

(٦) أجل : حرف جواب بمعنى نعم . وتسمنوا المجد : أي علوه . ومعد : هو معد بن عدنان .

وَمُنْذَرٌ قَامَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِيهِمْ
وَأَنْهَضَهُمْ إِلَى الشَّرَفِ الْمُحَلَّى
فَأَصْبَحَ وَارِيًّا زَنْدَ الْمَعَالَى
فَنَهْمٌ فَتَحُوا الْبِلَادَ وَدَوَّخُوهَا
وَهُمْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ بَأْسًا
وَأَرْجَحَهُمْ لَدَى الْجَلِيِّ حُلُومًا
وَلَكِنْ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ إِنِّي
وَمَا يُجْدِيُ افْتِخَارُكَ بِالْأَوَالَى

° ° °

أَرَى مُسْتَقْبِلَ الْأَيَّامِ أُولَى
فَمَا بَلَغَ الْمَقَاصِدَ غَيْرَ سَاعٍ
فَوَجَّهْ وَجْهَ عَزْمِكَ نَحْوَ آتٍ
وَهَلْ إِنْ كَانَ حَاضِرْنَا شَقِيًّا
تَقَدَّمَ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ شَوْطًا
وَأَسَّسَ فِي بَنَائِكَ كُلَّ مَجْدٍ
فَشَرَّ الْعَالَمِينَ ذُووِ خُمُولٍ
وَخَيْرَ النَّاسِ ذُو حَسَبٍ قَدِيمٍ
تَرَاهُ إِذَا ادَّعَى فِي النَّاسِ فِخْرًا
فَدَعْنِي وَالْفَخَارَ بِمَجْدِ قَوْمٍ
قَدْ ابْتَسَمَتْ وَجُوهُ الدَّهْرِ بِيضًا

بِمَطْمَحٍ مِنْ يَحَاوِلُ أَنْ يَسُودَا
يُرَدِّدُ فِي غَدٍ نَظْرًا سَدِيدًا
وَلَا تَلَفَتْ إِلَى الْمَاضِينَ جِيدًا
نَسُودَ يَكُونُ مَاضِينَا سَعِيدًا
فَإِنْ أَمَامَكَ الْعَيْشُ الرَّغِيدَا^(٤)
طَرِيفٌ وَاتَّرَكَ الْجَدَّ التَّلِيدَا^(٥)
إِذَا فَاخَرْتَهُمْ ذَكَرُوا الْجُدُودَا
أَقَامَ لِنَفْسِهِ حَسَبًا جَدِيدًا
تُقِيمُ لَهُ مَكَارِمَهُ الشُّهُودَا
مَضَى الزَّمَنُ الْقَدِيمَ بِهِمْ حَمِيدَا
لَهُمْ وَرَأَيْنَا فَعَبَسَ سُدُودَا

(١) ابن عبد الله : يعنى محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) دَوَّخُوهَا : أى قهروها واستولوا على أهلها .

(٣) الحلى : الخطب العظيم ، والأمر الشديد ، وهى مؤنث الأجل .

(٤) الشوط : الجرى مرة إلى القاية .

(٥) المجد الطريف : الحديث المكتسب . والتلبد : القديم الموروث .

وقد عَهِدُوا لَنَا بِثَرَاتٍ مُثْلِكَ أَضْعَعْنَا فِي رِعَايَتِهِ الْعَهودَا^(١)
وَعَاشُوا سَادَةً فِي كُلِّ أَرْضٍ وَعَشْنَا فِي مَوَاطِنِنَا عَيْبِدَا
إِذَا مَا الْجِبَلُ خَيَّمَ فِي بِلَادٍ رَأَيْتَ أَسُودَهَا مُسِخَتْ قُرُودَا

مَعْتَرَكُ الْحَيَاةِ

هُوَ الدَّهْرُ لَمْ يَتْرَكْ مَشَنَّ غَوَارِهِ عَلَى سَابِقٍ مِنْ لَيْلِهِ أَوْ نَهَارِهِ^(٢)
يُشِيرُ غِبَارَ الْحَادِثَاتِ بِكُرِّهِ وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا مِنْ مُتَارِ غِبَارِهِ
وَكَمْ عِبَرٍ مَطْوِيَّةٍ فِي صُرُوفِهِ فَهَلْ مِنْ مُجِيلٍ فِيهِ طَرْفَ اعْتِبَارِهِ
خَلِيلِي إِنَّ الْأَرْضَ غَرِبَالٌ قُدْرَةُ نَجَمَّتْ الْأَحْيَاءُ بَيْنَ إِطَارِهِ^(٣)
تَمِيدُ بِهِ كَفَّ الزَّمَانُ تَحَرُّكًا لِحَوْ ضَعِيفٍ أَوْ لِإِثْبَاتِ قَارِهِ^(٤)
فَيَبْقَى بِهِ الْأَقْوَى قَرِينَ ارْتِقَائِهِ كَمَا يَسْقُطُ الْأَوْهَى رَهْنِ انْدثارِهِ^(٥)
فَلَا عَيْشَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ بِهَا قَدِيرًا حَتَّى دَفَعَ الْأَذَى وَالْمَسَارِهِ

لَعَمْرِكَ مَا هَذِي الدُّنْيَا بِمَلْبَسٍ لِمَنْ حِيَلٌ مِنْ عَجْزِ نَسِيجِ شَعَارِهِ
وَلَكِنْ لِمَنْ أَمْسَى بِأَيْدٍ وَقُوَّةٍ يَجْرُ عَلَى الْأَيَّامِ فَضْلُ إِزَارِهِ^(٦)

(١) قوله بَثَرَاتٍ مُثْلِكَ ، الثَرَاتُ : مَا يَخْلُقُهُ الرَّجُلُ لَوَرَثَتِهِ ، أَيْ بَثَرَاتٍ هُوَ مُلْكٌ ، فَلِإِضَافَةِ بَيَانِيَّةٍ .
(٢) الْغَوَارُ : كَالْإِغَارَةِ ، مَصْدَرُ غَاوَرٍ الْعَدُو إِذَا أَغَارَ عَلَيْهِمْ . وَمَشَنٌ : مَصْدَرُ مَشَى بِمَعْنَى الشَّنْ . وَشَنَ الْغَارَةَ تَفْرِيقُهَا وَصَبُّهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . يَقُولُ : إِنَّ الدَّهْرَ لَا يَقْعُدُ عَنْ شَنِّ الْإِغَارَةِ بِمُحَادَثَتِهِ الْمُتَتَالِيَةِ ، وَهُوَ عَلَى جَوَادِنِ سَابِقِينَ ، هُمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .
(٣) يُشِيرُ بِهَذَا وَالَّذِي بَعْدَهُ إِلَى قَانُونِ الْأَصْطِفَاءِ الطَّبِيعِيِّ ، وَهُوَ قَانُونُ بِنَاءِ الْإِتْسَابِ ، فَهُوَ يَعْمَلُ عَمَلَهُ فِي الْأَرْضِ الدَّائِرَةَ حَوْلَ الشَّمْسِ ، فَيُضْمَعِلُ فِي أَثْنَاءِ دَوْرَانِهَا الضَّعِيفَ مِنَ الْخُلُوقَاتِ ، وَيَبْقَى بِهَا الْقَوِيُّ الْقَادِرُ عَلَى دَفْعِ كُلِّ مَا يَقَاوِمُ حَيَاتِهِ فِيهَا ، فَهِيَ فِي ذَلِكَ بَعْرَلةُ الْغَرِبَالِ ، الَّتِي يَسْقُطُ عِنْدَ تَحَرُّكِهَا كُلُّ دَقِيقَةٍ صَغِيرٍ ، وَيَبْقَى فِيهَا مَا هُوَ كَبِيرٌ . وَإِطَارُ الْغَرِبَالِ : اللَّوْحُ الْمُحِيطُ بِهِ
(٤) تَمِيدُ بِهِ : أَيْ تَدُورُ بِهِ وَتَتَحَرَّكُ . وَالْقَارَةُ : الْمَدِيجُ النَّشِيطُ ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا : مَا يَقَابِلُ الضَّعِيفَ ، وَهُوَ الْقَوِيُّ .
(٥) الْأَوْهَى : الْأَضْعَفُ ، وَهُوَ مُقَابِلُ الْأَقْوَى فِي الشَّطْرِ الْأَوَّلِ .
(٦) بِأَيْدٍ : أَيْ بِقُوَّةٍ ، فَعَطَبَ الْقُوَّةَ عَلَيْهِ مِنْ قَبِيلِ عَطَفَ التَّفْسِيرِ . وَالْبَاءُ هُنَا لِلْعَصَاحِبَةِ .

أرى الشمس تُخفى ضوءها كلَّ نازقٍ وإن كان ينبو الطرف عن مُستناره
وما ذاك إلا أنها في تلهُّبٍ يهوج بنور ساطع وقد ناره
فلم يستطع نجم طلوعاً تجاهها إذا لم يُعذ بالليل غب اعتكاره
كذلك ضعيف القوم إن كان جاره قوياً يكن شلواً أكيلاً لجاره ^(١)
وما الليث لولا بأسه في عرينه بأشرف من صبّ الفلا في وجاره
ومن غاور الأيام غير مدججٍ فلا يطمعن في مغنم من مغاره ^(٢)
ومن لم يهن صرّف الزمان برحله شهته صروف الدهر في عثر داره ^(٣)
وما شرف الدرّ الثمين فريده إذا هو لم يبرح بطون محاره ^(٤)

أرى كل ذي فقر لذي كل ذي غنى أجيئاً له مستخدماً في عقاره ^(٥)
ولم يعطه إلا اليسير وإنما على كده قامت صروح يساره
ويلبس من تذليله العزّ ضافياً وينظره شزراً بعين احتقاره
يَشُدُّ الغنى أزرَ الفتى في حياته وما الفقر إلا مكسّر في فقاره
وليس الغنى إلا غنى العلم إنه لنور الفتى يحلو ظلام افتقاره ^(٦)
ولا تحسبن العلم في الناس منجياً إذا نكبت أخلاقهم عن مناره

== وقوله يجر على الأيام فضل إزاره : كناية عن القوة والقدرة ، لأن جر فضل الإزار إنما هو فعل الجبابة والأغنياء ، فكأنه يقول لمن أسمى قرياً ذا قدرة وعظمة .

(١) ضرب في الآيات المتقدمة مثلاً لتغلب القوى على الضعيف ، بما ذكر من الشمس التي لا تستطيع النجوم طلوعاً تجاهها ، فلا تطلع إلا إذا غابت الشمس واعتكر الظلام . ثم قال : وكذلك ضعيف القوم إن جاور القوى كان مغلوباً له . والشلو : المصروع من المحجم .

(٢) المدجج : اللابس السلاح .

(٣) عثر الدار : وسطها . أي من لم يرحل لدفع نوائب الدهر عنه ، فابته تلك النوائب وهو في وسط داره .

(٤) المحار : الصدق الذي يكون فيه الطؤؤ ، واحده محارة .

(٥) يقتصر بهذا البيت وما بعده لمذهب الاشتراكية ، حيث ذكر منزلة التقير تجاه الغنى ، وعيش الثاني من كبد الأول .

(٦) يشير بهذه الآيات إلى أن الغنى الحقيقي هو غنى العلم لا المال ، وأن العلم لا يجدي نفعا إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة .

وما العلم إلا النور يجلو دُجى العمى ولكن تزيغ العين عند انكساره^(١)
فما فاسد الأخلاق بالعلم مفلحاً وإن كان بحرًا زاحراً من بحاره

سل الفلك الدوار عن حركاته فهل هو فيها دائر باختياره
وهل هو في هذا الفضاء مسافر له غاية مقصودة من سفاره
وهيئنا جهلنا بدأه من تقادم فهل يدرك العقل انتهاء مداره
متى ينجلي ليل الشكوك عن النهى وترفع كف العلم مرخى ستاره
ألا ورى في زند الزمان فتهتدى بسقط ضئيل من سقيط شراره
أرى الدهر ليلاً كله غير مبصر وإن كان في راد الضحى من نهاره
وأهليه ساروا خابطين ظلامه وإن ركبوا في السير متن بحاره

لعمرك إن الدهر يجري لغاية فإن شئت أن تحيا سعيداً فخاره
وها هو ذا يعدو فينتدر المدى وينهب أعمار الورى في ابتداره
لقد فاز من بارى جديديه جدّة وخاب الذى فى جدّة لم يباريه
ولمست حياة الناس إلا تجددًا مع الدهر فى إيباسه واخضراره
وما الناس إلا الماء يُحْييه جرّيه ويرديه مكث دائم فى قراره

لك الخير هل للشرق يقظة ناهض فقد طال نوم القوم بين دياره
ألم تر أن الغرب أصلت سيفه عليهم وهم لاهون تحت غراره
وبادرهم كالسيل عند انحداره وهم فى مهاوى غفلة عن بداره

(١) العلم : يشبه بالنور من جهة أنه يجلو ظلام العمى ، أى الجهل . كما أن النور يجلو ظلام الليل ، وكذلك يشبه النور من جهة أنه إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يؤدي بصاحبه إلى الزيغ عن الهدى . كما أن النور إذا انعكس شعاعه عند تقوّذه فى الأجسام الشفافة كالهواء والماء . تزوغ عين الرائي . أى تنحرف بسبب انعكساره عن رؤية المرئى كما هو فى نفس الأمر . وتحرير المعنى أن العلم إذا لم يقترن بالأخلاق الفاضلة يكون كالنور المنعكس . الذى يزوغ به البصر عن إدراك حقيقة المرئى كما هى .

أما آن للساھین أن یأبھوا له وقد أصبحوا فی قبضة من إساره^(١)
تراھم جمیعاً بین حیران واجم وآخر یطری ماضياً من فخاره^(٢)

أم الیتیم (*)

رمت مسمعی لیلاً بأنة مؤلم وباتت توالی فی الظلام أنینها^(٣)
وبت لها مرئی بنهشة أرقم^(٤)
غیھفو بقلبی صوتها مثلما هفت بقلب فقیر القوم رنة درهم^(٥)
إذا بعثت لی أنة عن توجع إذا بعثت إليها أنة عن ترحم^(٦)
تقطع فی اللیل الأنین كأنها تقطع أحشائی بسیف مثل^(٧)
یھز نیاط القلب بالحزن صوتها إذا اهتز فی جوف الظلام الحیم^(٨)
تردده والصمت فی اللیل سائد بلحن ضئیل فی الدجنة مبهم^(٩)
كان نجوم اللیل عند ارتجافها تصیخ إلى ذاك الأنین المجمع^(١٠)
فما خفقان النجم إلا لأجلها وما الشهب إلا أدمع النجم ترتی^(١١)
لقد تركتني موجع القلب ساهرا أذا مدمع جارٍ ورأسٍ مھوم^(١٢)
أرى فمة الظماء عند أنینها فأعجب منها كيف لم تنضم^(١٣)
فأصبحت ظمان الجفون إلى الكری

وإن كنت ریان الحشا من تألی^(١٤)

وأصبح قلبي وهو كالشعر لم تدع له شعراء القوم من مترد^(١٥)

(١) أن یأبھوا له : أي أن یفطنوا له . (٢) واجم : أي ساكت لشدة حزن أو غم .

(*) من الديوان الأول .

(٢) الضیغ : الأسد .

(٥) یھفو : یخفق .

(٧) النیاط : عرق غلیظ یطبه القلب إلى الوتین . والنیاط فی الأصل : ما یعلق علیه أي شیء .

(٨) الدجنة : الظلمة . (٩) تصیخ : تستمع . حجم السکلام : أي ام یبینه .

(١٠) هوم الرجل تهویما وتهوم تهوما : أي هز رأسه من العاس .

(١١) تنضم : تشتمل . (١٢) السکری : العاس . (١٣) المترد : المرقع الذی یرقع

وبيت بكى فيه الحياة نحوسة
به ألفت الأيام أثقال بؤسها
كأنى أرى البنيان فيه مهدماً
ولكن زلزال الخطوب هوى به
دخلت به عند الصباح على التى
فألفيت وجهاً خدد الدمع خده
وجسماً نحيفاً أنهكتهم همومه
لقد جئمت فوق التراب وحولها
تراه وما إن جاوز الخمس عمره
بكى حولها جوعاً فغذته بالبكا
وأكبر ما يدعو القلوب إلى الأسى

ولاحت بوجه العابس المتجهم^(١)
فهاجت به الأحزان فافرة الفم^(٢)
وما هو بالخاوى ولا المتمسك^(٣)
إلى قعر مهواة الشقاء الجسم
سقانى بكاه فى الدجى كأس علقم^(٤)
ومحمر جفن بالبكا متورم^(٥)
فكادت تراه العين بعض توهم
صغير يرنو لها بعين ميم^(٦)
يدير لحاظ اليافع المتفهم^(٧)
وليس البكا إلا تعلقة معدم^(٨)
بكاء يقيم جائع حول أيم^(٩)

وقفت وقد شاهدت ذلك منهما
وقفت لديها والأسى فى عيونها
وساءلتها عنها وعنه فأجهشت
ولما تناهت فى البكاء تضاحكت
ولكن دموع العين أثناء ضحكها
فقد جمعت ثغراً من الضحك مفعماً
فتذرى دموعاً كالجمان تناثرت

لمريم أبكى رحمة وابن مريم
يكلمنى عنها ولم تتكلم
بكاء وقالت أيها الدمع ترجم^(١٠)
من اليأس ضحك المازى المتهم
هو اطل منها يسجم الضحك تسجم^(١١)
إلى محجر بك من الدمع مفعم^(١٢)
وتضحك عن مثل الجمان المنظم^(١٣)

- (١) المتجهم : هو الذى يستقبلك بوجه كره .
(٢) فافرة : فائحة .
(٣) الدجى : الليل . الملقم : الحنظل وكل شئ مر .
(٤) خدد : شقق .
(٥) يرنو : يدم النظر .
(٦) اليافع : الذى ترعرع وناهز البلوغ .
(٧) التعلقة : هو الشرب بعد الشرب تباعاً . والمراد هنا : أنه كان يبكى مرة بعد مرة . ليعمل نفسه . ويشغلها بذلك . المعدم : الفقير .
(٨) الأيم التى ففدت زوجها .
(٩) أجهشت بالبكاء : أى همت به وتهيات له .
(١٠) يسجم الدمع : يسال .
(١١) مفعماً : مملووا . المحجر : ما دار بالعين وبدان من البرقع .
(١٢) الجمان : الألوام .

فلم أرَ عيناً قبلها سال دمعها بكاءً وفيها نظرة المتبسم
فقلت وفي قلبي من الوجد رعدة أجنونة يا ربَّ فارحم وسلم

✽ ✽ ✽

ومذ عرضت للإبن منها التفاتة أشارت إليه بالمدامع أن قم^(١)
فقام إليها خائر الجسم فأنثت عليه فضمته بكف ومِعصم^(٢)
وظلمت له ترنو بعين تجوده بفدَّ من الدمع الغزير وتوعم^(٣)
فقال لها لما رآني واقفاً أرددُ فيه نظرة المتوسم^(٤)
سلى ذا الفتى يا أمُّ أين مضى أبي وهل هو يأتينا مساءً بمطعم^(٥)
فقلت له والعين تجرى غروبها وأنفاسها يقذفن شُعلةً مضرم^(٦)
أبوك ترامت فيه سفرة راحل إلى الموت لا يرجى له يومٌ مقدّم^(٧)
مشى أرمنيًا في المعاهد فارتمت به في مهاوى الموت ضربة مسلم^(٨)
على حين ثارت للنواب ثورة أتت عن حرازاتٍ إلى الدين تنتمى^(٩)
فقامت بها بين الديار مذابح^(١٠) تخوض منها الأرمنيون بالدم
ولولاك لاخترت الحمام تخلصاً بنفسى من أتعاب عيش مذمم^(١١)
فأنت الذى أخرت أمك مرثياً عن الموت أن يؤدى بأملك مرثم^(١٢)
أمرهم مهلاً بعض ما تذكرينه فإنك ترمين القواد بأسهم
أمرهم إن الله لا شك ناقم^(١٣) من القوم في قتل النفوس الحرم
أمرهم فيما تحكمن تبصرى فإن أنت أدركت الحقيقة فاحكمى
فليس بدين كل ما يفعلونه ولكنه جهلٌ وسوء تفهم^(١٤)
لئن ملكوا الأرض الفضاء جرائماً ففهم أجزموا والدين ليس بمجرم

(١) المصمم : موضع الدوار من الساعد . (٢) الفد : الفرد . التوعم : الولود مع غيره .
في بطن ، من الاثنين فصاعداً . (٣) المتوسم : المنفوس . (٤) غروبها : دموعها .
(٥) ترامت به : أبعدته . (٦) يشير بذلك إلى فتنة أظنة التي ثارت بسبب حق الأرمن .
وجبهلاء المسلمين . (٧) الحمام : الموت . (٨) أودى به : أهلكه .

ولكنهم في جنح ليل من العمى
وقد سلكوا تيهاء من أمر دينهم
ولما رأيت اللوم لؤماً تجاهها
وأطرت نحو الأرض أطلب عفوها
وظلت لها أبكى بعين قريحة
بكيت وما أدري أبكى تضجراً
تمشوا بمطموس العلامم مبهم^(١)
فكم منجد في المخزيات ومُتهم^(٢)
سكت فلم أنبس ولم أنبرم^(٣)
ولا أنا بالجاني ولا بالمتيم^(٤)
جرت من أفاقها عصارة عندم^(٥)
من القوم أم أبكى لشقوة مريم^(٦)

السجين في بغداد (*)

سكتاً ولم بسكن حراك التبذر
عفا رسم مغنى العزمها كما عفت
بلاداً أناخ الذل فيها بكل كل
معاهد عنها ضل سابق عزها
أحاطت بها الأرزاء من كل جانب
مواطن فيها اليوم أئمن من غد^(١)
« لخولة أطلال بركة همد »^(٢)
على كل مفتول السباليين أصيد^(٣)
فهل هو من بعد الضلالة مهتد
إلى أن محتها معهدا بعد معهد^(٤)

(١) جنح الليل : طائفة منه . بمطموس : أى بطريق مطموس . والعلامم : جمع علامة ، وهى شئ منصوب في الطريق يهتدى به .

(٢) التيهاء : الأرض التي يتوه بها الإنسان . المنجد : قاصد النجدة ، أى المكان المرتفع . ولتهم : قاصد تهامة أى المكان المنخفض .

(٣) لم أنبس : لم أنكلم . أنبرم : أنضجر .

(٤) الجاني : المجرم . المتيم : الذى تيمه العشق أى ذلّه وعبيده .

(٥) الأماقي : جمع مؤق ، وهو طرف العين مما إلى الأنف . العندم : البقم ، وهو شجر له ساق أحمر يصنع بطيخه .

(٦) أنبدر : التفرق . أئمن : أسعد .

(٧) عفا : عفى . الرسم : ما كان لاحقاً بالأرض من آثار الديار . المغنى : المنزل الذى أقام به أهله ثم رحلوا . خولة : اسم امرأة . الأطلال : جمع طلل ، وهو الباقى من آثار الديار . بركة : همد : اسم موضع .

(٨) السباليين : السبيل : تنزيه سبيل ، والسبيل : جمع سبلة ، وهى شجر انتشاريين . الأصيد : الذى يرنح رأسه زهراً ونجياً .

(٩) الأرزاء : المصائب .

وَحَلَقَ فِي آفَاقِهَا الْجُورَ بَازِيًا مُطَالًا عَلَيْهِمَا صَائِنًا بِالْتِهَادِ^(١)
وَيَنْقُضُ أَحْيَانًا عَلَيْهِمَا فَتَارَةً يَرُوحُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَغْتَدِي
فِيخَطَفُ أَشْلَاءَ مِنَ الْقَوْمِ حَيَّةً وَلَمْ يَقْدِرْ الْمَقْتُولَ مِنْهَا وَلَمْ يَدِرْ^(٢)
وَيَرْمِي بِهَا فِي قَعْرِ أَظْلَمِ مُوحَشٍ بِهِ أَيْنَ تَسْقُطُ جَذْوَةُ الرُّوحِ تُخَمِّدُ^(٣)
هُوَ السِّجْنُ مَا أَدْرَاكَ مَا السِّجْنُ إِنَّهُ جِلَادُ الْبَلَايَا فِي مَضِيقِ التَّجَلُّدِ
بِنَاءٍ مُحِيطٍ بِالتَّعَاسَةِ وَالشَّقَا لَظْمٍ بَرِيءٍ أَوْ عَقُوبَةٍ مُعْتَدِ

زُرَّ السِّجْنُ فِي بَغْدَادِ زُورَةٍ رَاحِمٍ لِتَشْهَدَ لِلْأَنْكَادِ أَفْجَعَ مَشْهَدِ^(٤)
مَحَلٌّ بِهِ تَهْفُو الْقُلُوبُ مِنَ الْأَسَى فَإِنْ زُرْتَهُ فَارْبِطْ عَلَى الْقَلْبِ بِالْيَدِ^(٥)
مَرْبَعٌ سُورٍ قَدْ أَحَاطَ بِمَثَلِهِ مُحِيطٌ بِأَعْلَى مِنْهُ شَيْدٌ بِقَرَمَدِ^(٦)
وَقَدْ وَصَلُوا مَا بَيْنَ ثَانٍ وَثَالِثٍ بِمَعْقُودِ سَقْفٍ بِالصَّخُورِ مُشِيدِ
وَفِي ثَالِثِ الْأَسْوَارِ تَشْجِيكَ سَاحَةٍ تَمُورُ بِبَيْتَارٍ مِنَ الْخُسْفِ مُزِيدِ^(٧)
وَمِنْ وَسَطِ السُّورِ الشَّمَالِيِّ تَنْتَهِي إِلَيْهَا بِمَسْدُودِ الرِّتَاجِينَ مُوَصَّدِ^(٨)
هِيَ السَّاحَةُ النُّكْرَاءُ فِيهَا تَلَاعَبَتْ مُخَارِقُ ضَمِيمٍ تَخْلُطُ الْجِدَّةَ بِالْدَدِ^(٩)
ثَلَاثُونَ مِثْرًا فِي جِدَارٍ مُحِيطُهَا بِسَمَكٍ زُهَاءِ الْعَشْرِ فِي الْجَوْ مُصْعَدِ

(١) البازي : اسم فاعل من بزا عليه بمعنى تطاول ، وفيه تورية بالبازي ، وهو نوع من الطيور الجارحة ، التي تسمى الصقور . صائنا : مصوتا .

(٢) أشلاء الانسان : أعضاؤه . لم يقدر المقتول : لم يقتل قاله . لم يد : لم يعط الدية ، وهي مال يعطى لولى القتل بدل النفس .

(٣) جذوة الروح : شعلتها .

(٤) الأنكاد : جمع نكد ، وهو الرجل المشثوم ذو العسر . (٥) تهفو : تضطرب .

(٦) أي هو مربع سور . يصف بهذا البيت وما بعده بناء السجن وشكله . أي هو سور مربع أحاط بسور آخر مثله ، وهذا أيضا أحاط بسور ثالث أعلى منه .

(٧) هو السور الذي تليه ساحة السجن . تشجيك : تمزك . تمور : تضطرب . الخسف : الاهانة والذل . مزيد : هائج .

(٨) الضمير في قوله إليها يعود إلى الساحة في البيت السابق . الرتاج : الباب العظيم . موصد : مغلق .

(٩) المخاريق : ما يلعب به الصبيان من الحرق المقتولة . الضميم : الذل . الدد : الالهو .

تواصلت الأحزان في جنباتها
تصعد من جوف المراحيض فوقها
هناك يودُّ المرءُ لو قاء نفسه
فقف وسطها وانظر حواليك دأراً
مقابر بالأحياء غصت لحودها
وقد غميت منها النوافذ والكوى
تظن إذا صدر النهار دخلتها
فلو كان للعباد فيها إقامة
يزور هبوبُ الريح إلا فناءها
تضيق بها الأنفاس حتى كأنما
وحتى كأن القوم شدت رقابهم

بميت متى يبل الأسى يتجدد
بخاراً إذا تمر به الريح تفسد
وأطلقها من أمر عيش مُنكد^(١)
إلى حُجرٍ قامت على كل مقعد
بخمسة مئين أنفاس أو بأزيد
فلم تكتحل من ضوء شمس يمرود^(٢)
كأنك في قطع من الليل أسود
لصلوا بها ظهراً صلاة التهجد^(٣)
فلم تحظ من وصل النسيم بموعده^(٤)
على كل حيزوم صفايح جلمد^(٥)
بجمل اختناق محكم الفتل محصد^(٦)

* * *

بها كل مخطوم الخشام مذلل
يبيت بها والهم ملء إهابه
يميت بمكذوب العزاء نهاره
ينوء بأعباء الهوان مقيداً

متى قيد مجروراً إلى الضم ينقد^(٧)
بليلة منبول الحشا غير مقصد^(٨)
ويحيى الليالي غير نوم مُشرّد
ويكفيه أن لو كان غير مقيد^(٩)

- (١) قاء نفسه : أى أخرج روحه من جسده كأنفى .
(٢) الكوى : جمع كوة ، وهى شئ فى الجدار أشبه بالنافذة إلا أنه لا ينفذ . المرود : الليل الذى يكتحل به .
(٣) التهجد : الصلاة فى الليل . (٤) القناء : الوصيد ، وهو ساحة أمام البيت .
(٥) الحيزوم : وسط الصدر . الصفايح : الحجارة المراض . الجلمد : الصخر .
(٦) محصد : محكم الفتل .
(٧) الخشام : الأنف العظيم ، ومخطوم الأنف : أى جمل فى أنفه خطام . والمعنى ظاهر . قيد : سحب .
(٨) الإهاب : الجلد . منبول : مصاب بالنبل . والحشا : ما انضمت عليه الضلوع . مقصد : اسم مفعول من أقصده السهم ، أى أصابه فقتله .
(٩) ينوء بأعباء الهوان : تثقله أعماله .

وتقذفهم تلك القبور بضغطها عليهم كحرّ السّاحة لتتوقد
فيرجع بعضٌ من حصير ظلاله ويجلس فيها جلسة المتعب
ولست تقيّسه الحر إلا تعالاً لنفس خات من صبرها المتبدد^(١)
وبالشّوب بعض يستنظل وبعضهم

بنسج لعاب الشّمس في التقيظ يرتدى^(٢)
فمن كان منهم بالحصير مظلاً يعدّونه ربّ الأطراف الممدّد^(٣)
تراهم نهار النّصف سفعاً كأنهم أنافئ أصلاها الطّماء بموقد^(٤)
وجوه عليها للشّحوب ملامح «تلوح كبنّى الوشم في ظاهر اليد»^(٥)
وقد عمّهم قيد التعاسة موثقاً فلم يتميز مطلق عن مقيّد
فسيدهم في عيشه مثل خادم وخادمهم في ذلّه مثل سيّد
يخوضون في مستنقع من روائح تدور رموس القوم من شمّ ننتها
تراهم سكارى في العذاب وما هم فن يك منهم عادم الشمّ يحسد
وتحسبهم دوداً يعيش بحمأة سكارى ولكن من عذاب مشدّد
وما هو من دود بها متولّد^(٦)

• • •

ألا ربّ حرّ شاهد الحكم جائراً يقود بنا قود الذّلّول المعبّد^(٧)

- (١) النّعمة : ما يتعلّق به ، أى يتأخى .
(٢) التقيظ : شدة الحر . ومعنى قوله « بنسج لعاب الشّمس يرتدى » أنه عارى الجسم لا ثوب له .
(٣) الأطراف : بيت يصنع من الأدم ، أى الجلد ، للعنوك والرؤساء خاصة .
(٤) سفعاً : وجوههم متغيرة مسودة : الأنافئ : أحجار يوضع عليها القدر ، مفردتها أنفية .
أصلاها : أحرقها ، الطّماء : جمع طاء ، وهو الطّباخ .
(٥) الشّحوب : تغير اللون . الوشم : هو أن تغرز الإبرة في الجلد ، ثم تذر عليه مادة خاصة معروفة .
(٦) الحمأة : الطين الأسود المتّين ، أى هم يشبهون الدود الذى تولد في غير الحمأة ، ثم ألقى في الحمأة ، فإنه يموت فيها ، بخلاف الدود المتولد في الحمأة ، فإنه يعيش فيها ولا يموت .
(٧) الذّلّول : البعير السهل القيادة . المعبّد : المذلّ .

فقال ولم يحهر ونحن بمنتدى^(١) به غير مأمون الوشاية ينتدى^(١)
على أى حكم أم لأية حكمة ببغداد ضاع الحق من غير منشد^(٢)
فأدريت للنجوى فى نحو سمعه وقلت لأن العدل لم يتبغدد^(٣)
رعى الله حياً مستباحاً كأنه من الذعر أسراب النعام المطرد^(٤)
وما صاحب البيت الحثير بناؤه بأفزع من رب البلاط المررد^(٥)
وما ذاك إلا أنهم قد تخاذلوا ولم ينهضوا للخصم نهضة ملبد^(٦)
فناموا عن الجلى ونمت كنومهم سوى نوحه منى بشعر مغرد^(٧)
وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا مشيت وإن يقعد أولئك أقعد^(٨)
وكم رمت إيقاظاً فأعيا هبوبهم وكيف وعزم القوم شارب مرقد^(٩)
نهوضاً نهوضاً أيها القوم المعلى لتبنوا لكم بنيان مجد موطن^(٩)
تقدمنا قوم فأبعد شوطهم وقد كان عنا شوطهم غير مبعد
وسد علينا الاعتساف طريقنا فأجحف بالغورى والمتنجد^(٩)
أفى كل يوم يزحف الدهر نحونا يجند من الخطب الجليل مجند
فيارب نفس من كرب عظمة ويارب خفف من عذاب مشدد

(١) ينتدى : يجتمع فى النادى . والمعنى : قال ذلك القول ونحن فى نادى يجتمع فيه من لم نكن نأمن من تجسسه ووشايته .

(٢) منشد : مصدر ميبى من نشد المضاعف : أى نادى وسأل عنه .

(٣) النجوى : حديث السر . لم يتبغدد : لم ينتسب ببغداد . ومعنى الأبيات الأربعة : أن ذلك الحر جهر فى ذلك النادى الذى يجتمع فيه غير الأمناء ، قائلاً : لم يضيع الحق فى بغداد من غير أن نطالبه ونسأل عنه ؟ فقلت له سرأ : ذلك لأن العدل غير بغدادى .

(٤) الذعر : الخوف . الأسراب : جمع سرب ، وهو القطيع من النعام والنساء وغيرها .

(٥) المررد : المجلس المنظم . (٦) الملبد : من أسماء الأسد . (٧) الجلى : الأمر العظيم .

(٨) أعيا : يريد أعياى ، أى أتعبنى . هبوبهم : استبقاظهم من الخمول ، وإسراعهم إلى المعالى . انزقد : دواء يرقد شاربه أى يذمه كالأفيون . يقول ، كيف يهبون إلى المجد وهم شاربون من الخمول والاستبداد ما أفقدهم السداد .

(٩) الاعتساف : الظلم . أجحف به كلفه ، لا يطيق . الغورى : قاصد الغور ، وهو المطمئن من الأرض . المتنجد : قاصد النجى ، وهو المرتفع منها .

الدهر والحقيقة

- أرى الدهر لا يألو بستر الحقائق
يجر ذبول الخطب فوق طريقها
ولو لم يجثنا كل يوم موارباً
كان ليالى الدهر غضبي على الورى
وما طلعت كى تهدي القوم شمسهُ
وقد تنطق الأيامُ بالحق أعجماً
وكم مدّع فضل التمدّن ما له
وكم عاقل قد عدّه الناس أحمقاً
وربّ ذكى لم يكن من ذكائه
وقد تعرّض الأسماع عن ذى فصاحة
ومن شيم الأيام فى الناس أنها
والطف جور الدهر جور نرى به
وما كان كذب القوم فى القول وحده
وأقبح مین فى الزمان خرافةً
- إذا افتر عن صبح تلاه بغاسق^(١)
ليعفو منه ما به من سلائق^(٢)
لما كان فجر كاذب قبل صادق
فتنظر شزرا بالنجوم الشوارق^(٣)
ولكن لتصليهم جحيم الودائق^(٤)
وتسكت عن تبیانهِ كل ناطق
من الفضل إلا أكله بالملأعق
وما هو لو يبلى سوى متحامق^(٥)
سوى ما روه من ذكاء اللقائى^(٦)
وتصنّى إلى ذى الأكنة المتشادق^(٧)
تجوز عليهم باقتطاع العلائق
تدلّ معشوق وذلة عاشق
ولكنّه فى كتبهم والمهراق^(٨)
تخطّ بها طرساً يراعى نامق

(١) غاسق : ظلام دامس .
(٢) سلائق جمع سليفة ، وهى الطيعة .
(٣) النظر الشزr ، ما كان يؤخر الطرف ، وهو نظر احتقار وكبر . وذr : أضاء أو طلع .
والشارق : الطالع .
(٤) الودائق : جمع وديقة ، وهى حر نصف النهار .
(٥) المتحامق : المتشبه بالحمقى فى أفعاله وليس بأحق .
(٦) اللقائى : جمع لقل ، وهو ضرب من الطير طويل العنق والمنقار ، يأكل الحيات .
(٧) الأكنة : الحبسة فى اللسان . المتشادق : المتفامج .
(٨) المهراق : الصحف . نخذ من حرير أبيض مصمغ مصقول ، يكتب عليها الكتب الخملدة ،
كالمعادن ونحوها .

ضلالاً على مرّ الجديدين لم تزل
فعدت عن الأيام إذ لم نجد بها
نفخت من الدنيا يدى لأننى
فما أنا وقاف بها عند منزل
ولا عذبتنى فى العذيب صباية
تعشقت فيها حسن كل حقيقة
ولى عند إخوان الصفا أريحية
إذا ما عقدنا مجلس الأئس بائطالا
أقوم إلى كبرى الزجاجات مدهقاً
فأقرع بالسكاس الروية جبهتى
أسابق ندمائى إلى السكر طائرا
فما هى إلا بعد شرب سويعة
فنادمت أصحابى على غير حشمة
وأغنيتهم عن نقائهم فى شراهم
ولم يبد فى السكر عند اشتداده
تعودت سبقى فى الفخار فلم أرد
كما اعتاد سبقاً فى المكارم خزعل
أمير نمته للمكارم والعلی

بغاربنا من أمره كالمشـارق
سوى لغط يزرى بفضل المنطق
تعرفت منها ما بها من خلائق
ولا أنا بالك من حبيب مفارق
ولا شاقنى برق لربع ببارق
وأعرضت عن حسن الحسان الغرائق^(١)
إلى كل خل فى الزمان موافق^(٢)
فبينى وبين السكر خمس دقائق^(٣)
بمسقطر من خالص التمر رائق
بشرب كما عب القطا متلاحق^(٤)
بجنح من الأئس المضاعف خافق
وقد دب من رأسى الطلافى المفارق
وقلت لهم ما قلت غير منافق
بمز طرى من نقول الحقائق
سوى شكر خلى أوسوى حمد خائى
من السكر أن أحظى به غير سابق
بلا سابق فيها عليه ولاحق
ججاجح من كعب كرام المعارق^(٥)

(١) الغرائق : جمع غرائقة ، وهى الشاية المملثة .

(٢) أريحية : ارتياح .

(٣) الطلا : الحر .

(٤) الروية : الملوثة .

(٥) نمته : نبتته . والججاجح : جمع ججاجح ، وهو السيد الكريم . والمعارق : جمع عرق . وهو الأصل والحسب .

كذلك أعلى الله في الناس كعبه
إذا سار سار المجد في طي بُرده
فيرحل من أنسابه في مواكب
وإن جاء أغضى من رآه تهبياً
ومنها :

أبا الأمراء الصيّد جئتكم شاكياً
أجرني رعاك الله منها فإنها
أترضى وإنى صقر بغداد أننى
لئن أنكروا حتى فسوف تحقه
أصوغ بها حرّ الكلام لخزعل
إليك جنابات الزمان المماذق
رمت كل عظم فيّ منها بعارق^(٢)
تقدّمنى فيها فراح العقاقق^(٣)
شواهد أقلام بكفى نواق
مديحاً كعقد اللؤلؤ المتناسق

(١) المؤئل : الثابت القديم .

(٢) عرق العظم يعرقه فهو عارق : أكل ما عليه من اللحم .

(٣) العقاقق : جمع عقق ، وهو طائر صغير ذو لونين : أبيض وأسود ، طويل الذنب ،

وصوته العميقة ، قيل : وهو نوع من الغربان .

في سبيل حرية الفكر

أنشئت في حفلة منتدى التهذيب السنوية
ببغداد بتاريخ ٢ أيار سنة ١٩٢٦ م



كتبت لنفسى عهد تحريرها شعراً وأشهدت فيما قد كتبت لها الدهراً
ومن بعد إتمامي كتابة عهدها جعلت الثريا فوق عنوانه طغراً (١)

(١) الثريا نجم مؤلف من عدة أبحر صغيرة ، والطغراء ، ويزال لها المطارة : هي علامة توضع
في كتب الملوك شعاراً لهم ، والنقش يجعل في حاشية النوب .

وعَلَّقْتَهُ كَيْ لَا تَنْأَوِلَهُ يَدٌ
لِذَاكَ جَعَلْتَ الْحَقَّ نَصَبَ مَقَاصِدِي
وَجَرَّدْتَ شَعْرِي مِنْ ثِيَابِ رِيَائِهِ
وَأَرْسَلْتَهُ نَظْمًا يَرُوقُ أَنْسِجَامُهُ
فَجَاءَ مُضِيئًا لَيْسَ لَهُ كُنْهَارُهُ
أُضْمِنَهُ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ عَارِيًّا
وَيَجْعَلُهُ الْغَاوِي عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ
رُوَيْدَكَ إِنْ الْكَفَرُ مَا أَنْتَ قَائِلٌ
هَلْ الْكَفَرُ إِلَّا أَنْ تَرَى الْحَقَّ ظَاهِرًا
وَأَنْ تَبْصُرَ الْأَشْيَاءَ بَيَاضًا نَوَاصِعًا
إِذَا كَانَ فِي عُرَى الْجِسْمِ قَبَاحَةٌ
فَيَلْبَسُهَا مِنْ مَارَسَتْ عَيْنُهُ عَمًى
أَحَبُّ الْفَتَى أَنْ يَسْتَقِلَّ بِنَفْسِهِ
وَأَكْرَهُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ مَقْلَدًا
وَمَا هَذِهِ الْأَوْطَانُ إِلَّا حَدَائِقُ
وَمَا حُبُّهَا إِلَّا لِأَجْلِ تَحَرُّرٍ
وَمَا حُسْنُهَا إِلَّا بِأَنْ سَمَاءُهَا
إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ لِلنَّاسِ غَايَةٌ
فَأَوْطَانُكُمْ لَنْ تَسْتَقِلَّ سِيَاسَةً

بِمَنْبِيعِثِ الْأَنْوَارِ مِنْ ذِرْوَةِ الشَّعْرَى^(١)
وَصَيَّرْتَ سِرَّ الرَّأْيِ فِي أَمْرِ جِهْرًا
فَلَمْ أَكْسِهِ إِلَّا مَعَانِيَهُ الْغُرًّا
فِيحْسِبُهُ الْمَصْنَعِي لِإِنْشَادِهِ نَثْرًا
وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَزْعُمُهُ كَفْرًا
فِيحْسِبُهُ جَهَّالَهُ مَنَظِقًا هُجْرًا^(٢)
فَيُوسَعُنِي شَتْمًا وَيَنْظُرُنِي شَزْرًا^(٣)
وَإِنْ صَرِيحُ الْعُرْفِ مَاخِلْتُهُ نَكْرًا^(٤)
فَتَصْرَبُ لِلْأَنْظَارِ مِنْ دُونِهِ سِتْرًا
فَتُظْهِرُهَا لِلنَّاسِ قَانِيَةً تُحْمَرًا
فَأَحْسَنُ شَيْءٍ فِي الْحَقِيقَةِ أَنْ تَعْرِى
وَيَبْصُرُهَا مِنْ كَابَدَتْ أُذُنُهُ وَقْرًا^(٥)
فَيَصْبَحُ فِي أَفْكَارِهِ مَظْلَقًا حُرًا
فَيُحْشَرُ فِي الدُّنْيَا أَسِيرًا مَعَ الْأَمْرَى
بِهَا تَنْبِتُ الْأَفْكَارِ مِنْ أَهْلِهَا زَهْرًا
يَكُونُ إِلَى الْعِلْيَاءِ بِالنَّاسِ مُنْجَرًّا
تَضَاحِكُ مِنْ أَحْرَارِهَا أَنْجَمًا زُهْرًا
فَخِرِيَةِ الْأَفْكَارِ غَايَتُهَا الْكِبْرَى
إِذَا أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِلُّوا بِهَا فِكْرًا

(١) ذِرْوَةُ الشَّيْءِ : أَعْلَاهُ . وَالشَّعْرَى : كَوَكَبٌ نِيرٌ . يَطْلُعُ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ .

(٢) الْهُجْرُ : الْفَحْشُ فِي الْكَلَامِ .

(٣) الْغَاوِي : الضَّالُّ أَوِ الْجَاهِلُ . وَيُوسَعُنِي شَتْمًا : يَبَالِغُ فِي شَتْمِي . وَيَنْظُرُنِي شَزْرًا : يَرْمُقُنِي بِاحْتِقَارٍ بِؤْخَرِ عَيْنِهِ .

(٤) رُوَيْدَكَ : تَهْمَلُ وَلَا تَعْجَلُ . وَالنَّكَرُ : الْمُنْكَرُ ، ضِدُّ الْعُرُوفِ .

(٥) الْوَقْرُ : ثِقَلُ السَّمْعِ .

إذا السيف لم يعضده رأى محرر
سواء على الإنسان بعد جموده
إذا لم يعيش حرّاً بموطنه النقي
أحرّيتي إني اتخذتك قبلة
وأمسك منها الركن مستملاً له
إذا كنت في فقرٍ اتخذتك مؤنساً
وإن نابى خطب ضممتك لائماً
وإن لامنى قوم عليك فإننى
للتمس للقوم من جهلهم عذرا

فلا تأملن من حدّه ضربة بكر^(١)
أحلّ بقفر الأرض أم سكن المصرا
فسمّ النقي ميماً وموطنه قبرا
أوجه وجهي كل يوم لها عشرا
وفي ركنها استبدلت بالحجر الحجر^(٢)
وإن كنت في ليل جعلتك لي بدرا
فقبلت منك الصدور والنحر والثغرا
للتمس للقوم من جهلهم عذرا

إلى أبناء المدارس

كفى بالعلم في الظلمات نورا
فكم وجد الدليل به اعتراضاً
تزيد به العقول هُدًى ورشداً
يبين في الحياة لنا الأمورا
وكم نبس الحزين به سرورا
وتستعلی النفوس به شعورا

إذا ما عقّ موطنهم أناس^(٣)
فإن ثيابهم أكفان موتى
وحقّ لمثلهم في العيش ضنك
ولم يبنوا به للعلم دُورا^(٤)
وليس بيوتهم إلا قبورا
وإن يدعوا بدنياهم ثبورا^(٤)

(١) لم يعضده : لم يؤازره . والضربة البكر : التي لم يضربه قبلها مثلها .
(٢) الحجر ، بتجريك الجيم : هو الحجر الأسود الذي في ركن من أركان الكعبة . والحجر ، بكسر الخاء وتسكين الجيم ، مكان بجانب الكعبة . وفي اللفظ تورية ، لأنه بطلق أيضا على العقل وهو المراد به في البيت .

(٣) عقه يعقه عقوقا : لم يوف له بعهده وحقه .

(٤) حق لهم كذا : استحقوه . والضحك : الضيق والذل . أن يدعوا ثبورا : أن يطلبوا المهلاك في الدنيا . يريد أن من قصر في حق العلم استهدف للإهلاك .

أرى لبَّ العلي أدباً وعلماً بغيرها العلي أمست قشورا

أأبناء المدارس إن نفسي تؤمل فيكم الأمل السكيرا
فسقياً للمدارس من رياض لنا قد أنبتت منكم زهورا
ستكتسب البلاد بكم علواً إذا وجدت لها منكم نصيرا
فإن دجّت الخطوب بجانبها طلعت في دجّتها — ابدورا^(١)
وأصبحتم بها للعزّ حصناً وكنتم حولها للمجد سورا

إذا ارتوت البلاد بفيض علم فعاجز أهله — ايمسى قديرا
ويقوى من يكون بها ضعيفاً ويغنى من يعيش بها فقيرا
ولكن ليس منتفعاً بعلم فتي لم يحرز الخلق النصيرا
فإن عماد بيت المجد خلق حكى في أنف ناشقه العبيرا
فلا تستنفعوا التعليم إلا إذا هذبتم الطبع الشريرا
إذا ما العلم لابس حسن خلق فرج لأهله خيراً كثيراً
وما إن فاز أغزنا علوماً ولكن فاز أسامنا ضميرا

أأبناء المدارس هل مُصيخ^(٢) إلى من تسألون به خبيراً^(٣)
ألا هل تسمعون فإن عندي حديثاً عن مواطنكم خطيرا
ورأياً في تعاونكم صواباً وقلباً من تحاذلكم كسيرا
قد انقلب الزمان بنا فأمست بغاث القوم تحقر النسورا^(٣)

(١) دجّت الخطوب : أظلمت الحوادث واشتدت . والدجنة : الظلمة .

(٢) مصيخ : مستمع .

(٣) البغات ، مثلث الباء : صغار الطير وضعافها .

وساء تقلب الأيام حتى حمدنا من زعازعها الدُّبورا^(١)
 وكم من فارة عمياء أمست تسمى عندنا أسداً هصورا^(٢)
 فكيف تروم في الأوطان عزاً وقد ساءت بساكنها مصيرا
 ولم يك بعضنا فيها لبعض على ما ناب من خطب ظهيرا^(٣)
 ألسنا الناضمين عقود مجد بزین من العصور بها النجورا
 إذا لجج الخطوب طمت بنينا عليها من عزائنا جسورا
 لنبتدر العبور إلى المعالي بحيث نطاول الشعري العبورا^(٤)

* * *

ألا يا ابن العراق إليك أشكو وفيك أمارس الدهر المكثورا^(٥)
 تنفض من غبار الجهل واهرع إلى تلك المدارس مستجيرا^(٦)
 فمن أمان من خشي الليالي وهن ضمان من طلب الظهيرا

المطلقة (*)

بدت كالشمس يحضنها الغروب فتاة راع نضرتها الشحوب^(٧)
 منزهة عن الفحشاء حود من الخفرات آنسة عروب^(٨)

- (١) الزعازع : جمع زعزع ، وهي الريح الشديدة . والدبور : هي الريح التي تأتي من الجنوب ، وهي مكروهة عند العرب .
 (٢) المصور : الشديد الافتراس .
 (٣) ظهيرا : وعونا ومساعدنا .
 (٤) الشعري : كوكب مضيء يطلع في الحر ، وهما شعريان : العبور والغيماء .
 (٥) المكور : الشديد المكر .
 (٦) أهرع : أسرع .
 (٧) راع : شوه ، وراع في الأصل : بمعنى أفزع وأخاف . نضرتها : روتها وحسنها .
 (٨) الحود : المرأة الشابة . الخفرات : جمع خفرة ، وهي المرأة التي تستحي أشد الحياء . الآنسة : التي يؤنس بحديثها . العروب : المرأة المتعجبة إلى زوجها .

نوار تستجدُ بها المعالي وتبلى دون عفتها العيوب^(١)
 صفاء ماء الشباب بوجنتيها فحمت حول رونقه القلوب
 ولكنَّ الشوائب أدرسته فحاد وصفوه كدّر مشوب^(٢)
 ذوى منها الجمال الغض وجداً وكاد يحفّ ناصحه ارطيب^(٣)
 أصابت من شببتها الليلي ولم يدرك ذوائبها المشيب^(٤)
 وقد خلب العقول لها جبين تلوح على أسرته النكوب^(٥)
 ألا إن الجمال إذا علاه نقاب الحسن منظره عجيب

* * *

حليّة طيب الأعراق زالت به عنها وعنه بها الكروب
 رعى ورعت فلم تر قط منه ولم ير قط منها ما يريب
 توثق حبل ودّها حضوراً ولم ينكث توثقه المغيب^(٦)
 فغاضب زوجها الخلطة يوماً بأمر للخلاف به نشوب^(٧)
 فاقسم بالطلاق لهم يميناً وتلك أليّة خطأ وخوب^(٨)
 وطلقها على جهلي ثلاثاً كذلك يجهل الرجل الغضوب^(٩)
 وأفتى بالطلاق طلاقاً بتّ ذو فنيّا يعصمهم عصب^(١٠)

(١) النوار : المرأة النفور من الريبة . ونوار اسم امرأة كانت زوجاً للغرزدق ، فطلقها ثم قدم ، وفي البيت إشارة إلى ذلك .

(٢) الشوائب : الأمور التي تغير الشيء . مشوب : مخلوط .

(٣) ذوى : ذبل . (٤) الذؤابة : الناصية وهي مقدم الرأس ، أو هي الطارة .

(٥) الأسرة : هي خطوط في الجبهة والكف ، وفي كل شيء ، والغالب استعمالها لخطوط الجبهة . النكوب : جمع نكب ، وهي المصيبة .

(٦) توثق : تقوى . ينكث : ينفق . (٧) النشوب : نشب الشيء نشوباً : بمعنى علق .

(٨) أليّة : قسم . الحوب : الذنب . الحلف بالطلاق حرام ، لذلك كان الحالف به مذنباً .

(٩) عصب : شديد .

(١٠) بانت : بعدت ، بسبب هذه الفتيا الباطلة الخاطئة . التام : العيب — جهل الناس الحكمة من مشروعية الطلاق ، وعبد من يسمون بالعلماء ألقاها السكتب التي درسوها ، فأفتوا بغير علم صحيح فضلوا وأضلوا ، وأوقعوا الناس في حرج عظيم .

فبانت عنه لم تأتِ الدنيا ولم يعلق بها الدام المعيب
فظلت وهي باكية تنادى بصوتٍ منه ترتجف القلوب

* * *

لماذا يا نجيب صرمت حبلى وهل أذنبت عندك يا نجيب^(١)
ومالك قد جفوت جفاء قال وصرت إذا دعوتك لا تجيب^(٢)
أبن ذنبي إلى فدتك نفسي فإني عنده بعدئذ أتوب
أما عاهدتني بالله أن لا يفرق بيننا إلا شعوب^(٣)
لئن فارقتني وصددت عني قلبي لا يفارقه الوجيب^(٤)
وما أدماء ترتع حول روضي ويرتع خلفها رشاً ريب^(٥)
فما لفتت إليه الجيد حتى تحطفه بأزمته ذيب^(٦)
فراحت من تحرقها عليه بداء ما لها فيه طيب
تشم الأرض تطلب منه ريحاً وتنحب والبغام هو النحب^(٧)
وتمزّع في الفلاة لغير وجه وآونة لمصرعه تنوب^(٨)
بأجزع من فؤادي يوم قالوا برغم منك فاركك الحبيب^(٩)

* * *

- (١) صرمت : قطعت .
(٢) شعوب : اسم للموت .
(٣) الأدماء : الطيبة المشرب لونها يابضاً . الرشاً : ولد الطيبة الذي قد تحرك ومشى .
(٤) الوجيب : الخفان .
(٥) ريب : ملازم لها .
(٦) الجيد : العنق . الأزمتان : الثابان .
(٧) تنحب : تبكي وبكاؤها أشبه بالسعال . البغام : صياح الطيبة إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .
(٨) تمزّع : تسرع . لمصرعه : لمكان هلاكه . تنوب : ترجع .
(٩) بأجزع : الجار والمجور وخبر لقوله وما أدماء في بيت سابق . يقول عن لسان المطلقة :
إن هذه الطيبة التي صفتها كيت وكيت ليست بأشدّ جزعاً واضطراباً مني حين بلغني أنك طلقته .
فليتبصر بمثل هذا القول المتسرعون بإيقاع الطلاق ، وحل عقدة النكاح الموثقة .

فأطرق رأسه خَجَلًا وأغضى
نجييةً أقصرى عني فإني
وما والله هجرك باختياري
فليس يزول حبك من فؤادي
ولا أسلو هواك وكيف أسلو
سلى عني الكواكب وهي تسرى
فكم غالبتها بهواك سهداً
خذى من نور رنتجن شعاعاً
وألقيه بصدري وانظري
وما المكبول ألقى في خضم
فراح يغطه التيار غطاً
بأهلك يابنة الأعجاد نمتي

وقال ودمع عينيه سكوب .
كفانى من لظى الندم اللهب
ولكن هكذا جرت الخطوب
وليس العيش دونك لى يطيب
هوئى كالروح فى له ديب
بجئح الليل تطلع أو تغيب
ونجم القطب مطلع رقيب
به العين تذكشف الغيوب (١)
ترى قلبى الجريح به ندوب (٢)
به الأمواج تصعد أو تصوب (٣)
إلى أن تم فيه له الرسوب (٤)
إذا أنا لم يعد بك لى نصيب

* * *

ألا قل فى الطلاق لموقعيه
غلوتم فى دياتكم غلوأ
أراد الله تيسيراً وأنتم
وقد حلت بامتكم كرب
وهى حبل الزواج ورق حتى
كخيطة من لعاب الشمس أدلت
عزقه من الأفواه نفث

بما فى الشرع ليس له وجوب
يضيق ببعضه الشرع الرحيب
من التعسير عندكم ضروب
لكم فيهن لا لهم الذنوب
يكاد إذا نفخت له يذوب
به فى الجو هاجرة حلوب (٥)
ويقطعه من النسم والهبوب

(١) رنتجن : هو مخترع الأشعة المعروفة باسمه . (٢) الندوب : آثار الجروح .

(٣) المكبول : المقيد . الخضم : البحر . تصوب : تنخفض .

(٤) الرسوب : العرق إلى القمر .

(٥) لعاب الشمس : شئ كانه ينحدر من السماء وقت شدة الحر ؛ تراه مثل تسج العنكبوت . أدلت : أرسات : الهاجرة : شدة الحر ، والهجرة الحلوب : هى التى تجلب العرق لشدة حرارتها .

فدى ابن القيم الفقهاء كم قد دعاهم للصواب فلم يجيبوا^(١)
 ففي « إعلامه » للناس رشد ومزجراً لمن هو مستريب^(٢)
 نحا فيما أتاه طريق علم نحاها شيخه الخبر الأريب^(٣)
 وبين حكم دين الله لکن من الغالين لم تعه القلوب^(٤)
 لعل الله يحدث بعد أمراً لنا فيجيب منهم من يجيب

اليتيم في العيد(*)

أطل صباح العيد في الشرق يسمع أظلم صباح العيد في الشرق يسمع
 صباح به تبدى المسرة شمسه ليس لها إلا التوهم مطلع
 صباح به يختال بالوشى ذو الغنى ويعور ذل الإعدام طمر مرقع^(٥)
 صباح به يكسو الغنى وليده ثيابا لها يبكي اليتيم المضيع
 صباح به تغدو الحلائل بالحلى وترفض من عين الأرامل أدمع^(٦)
 ألا ليت يوم العيد لا كان إنه يحد المحزون حزنا فيجزع
 يرينا سرورا بين حزن وإنما به الحزن جد والسرور تصنع
 فمن يؤساء الناس في يوم عيدهم نحوس بها وجه المسرة أسفع^(٧)

- (١) ابن القيم : هو العلامة المحدث الفقيه المشهور .
 (٢) يشير إلى كتاب « إعلام الموقعين » لابن القيم المذكور ؛ وهو من أفضل الكتب التي ألفها . ومزجراً : مصدر ميمى من ازدجر ؛ بمعنى زجره ومنعه . مستريب : شاك .
 (٣) أراد بشيخه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .
 (٤) الغالين : هم المتشددون في الدين حتى تجاوزوا الحد ؛ قال تعالى « لا تغلوا في دينكم » .
 لم تعه : لم تحفظه ؛ ولم تدبر معناه .
 (*) من الديوان الأول .
 (٥) الوشى : نوع من الثياب الموشية بالحسنة . أعوزه الشيء : احتاج إليه فلم يقدر عليه .
 الإعدام : الفقر ، الطمر : الثوب البالي .
 (٦) الحلائل : النساء ذوات الأزواج . (٧) أسفع : أسود .

قد ابيض وجه العيد لكن بؤسهم رمى نكنا سوداً به فهو أبقع^(١)

✱ ✱ ✱

خرجت بعد النحر صباحاً فلاح لي مسارح للأضداد فيهن مرتع
خرجت وقرص الشمس قد ذرّ شارفاً

تري النور سيالاً به يتدفع
هي الشمس خوذ قد أطلت مصيخةً

على الأرض من أفق العلى تتطلع^(٢)
كان تفاريق الأشعة حولها على الأفق مِرْخاةً ذوائبٌ أربع^(٣)
ولما بدت حمراء أيقنت أنها بها خجل مما تراه وتسمع
فرحت وراحت ترسل النور ساطعاً

وسرت وسارت في العلى تترفع

بحيث يسير الناس كل لوجهة فهذا على رسلٍ وذاك مسرع^(٤)
وبعض له أنف أشم من الغنى وبعض له أنف من الفقر أجدع^(٥)
وفي الحى مِرْمارٍ أمشجى نعيده غدا الطبل في درّابه يتقعقع^(٦)
فجئت وجوف الطبل يرغو وحوله شباب وولدان عليه تجمعوا^(٧)
لقد وقفوا والطبل يهترّ صوته فتهتز بالأبدان سوقاً وأكرع^(٨)
تري مِيعَةَ الإطراب والطبل هادرٌ تفيض وفي أصابعهم تميمع^(٩)

(١) نكنا : نقطا سودا . أبقع : مختلف اللون .

(٢) الخوذ : المرأة الشابة . مصيخة : مستمعة . (٣) الذوائب : الضفائر .

(٤) على رسل : أى على مهل .

(٥) أنف أشم : مرتفع كبرا . أجدع : مقطوع . وهو كناية عن الذل .

(٦) نعيده : صوته . الدرّاب : صوت الطبل .

(٧) يرغو : يضيح ويصوت .

(٨) سوق : جمع ساق . وأكرع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق .

(٩) مِيعَة : كل شيء أوله . تميمع : تنميل .

فقد كانت الأفراح تفتح بابها لمن كان حول الطبل والطبل يُقرع

وقفت أُحِيل الطَّرْفَ فيهم فراعني
صبيٌ صبيح الوجه أسمر شاحب
يَرَيْن حِجَاجِيهِ اتساعُ جبينه
عليه دَرِيسٌ يَعَصِرُ اليتيمُ رُدْنَه
يُلَيِّحُ بوجهه لِلكآبةِ فوقه
على كُثْرِ قَرَعِ الطبلِ تلقاه واجماً
كان هدير الطبل يقرع سمعه
يرد ابتسام الواقفين بحسرة
ويرسل من عينيه نظرةً مُجْهِشٍ
له رجفة تنتابه وهو واقفٌ
يرى حوله الكاسين من حيث لم يجد

على البَرْدِ من بُرْدٍ به يتلفع^(٨)
فكان ابتسام القوم كالثلج قارساً
لدى حشراتٍ منه كالجر تلزع

فلهـ شجاني حاله وأفرزني وقت وكلّي مجزع وتوجع^(٩)

(١) شاحب : أى متغير اللون . أدعج العين : أسودها مع سمة فيها . الأنزع : المنحسر الشعر
عن جانبي جبهته .

(٢) حجاجيه حاجبيه ، وأصل الحجاج العظام المحيط بالعين .

(٣) الدريس : الثوب البالي . الردن : أصل الكم . فقر مدقع : شديد كآته ياصق صاحبه
بالدقاء ؛ وهى التراب .

(٥) واجماً : ساكبنا عاجزا عن التكلم من كثرة الغم أو الخوف . ثمة : هناك .

(٦) المجهش : الهام بالبكاء التهيؤ له ؛ وماضيه أجهش .

(٧) تنتابه : تصيبه . (٨) البرد : الثوب المخطط . تلعق بالثوب : تلف به .

(٩) شجاني : حزني .

ورحت أعاطيه الحنان بنظرة
وأفتح طرفي مُشَبَّعًا بتعطُّفٍ
هناك على مهل تقدمت نحوه
أيا بن أخى من أنت ما أسمعك ما الذى
فهبَّ أُمَامى من رقاد وجومه
وأعرض عني بعد نظرة يأسٍ
فَعَقَبْتُهُ مُسْتَطَلَعًا طَلَعَ أمره
وبيناهُ ماشٍ حيث رُحْتُ خلفه
لحُت على بعد إشارة صاحب
فأومأت أن ذكرته مُوعِدًا لنا
وعدتُ فأبصرت الصبيَّ معرجًا
فلما أتيت الدار بعد دخوله
دنوت إلى باب الدَّوِيرَةِ مطرقًا
سمعت بكاءً ذا نشيجٍ مردِّدٍ
فخرت وعيني ترمق الباب خلسة
أأرجع أدراجي ولم أكُ عارفاً

كما راح يرنو العابد المتخشع
فيرتد طرفي وهو بالحزن مُشَبَّع
وقلت بلطف قول من يتضرع
عراك فلم تفرح فهل أنت مُوجع؟^(١)
كما هبَّ مرعوبُ الجنان المهجَّع
وراح ولم ينيسْ إلى حيث يهرع^(٢)
على البعد أقفوا الأثر منه وأتبع^(٣)
أدبٌ ديب الشيخ طوراً وأسرع^(٤)
بينادى أن أرجع وهو بالثوب مُلمع
وقلت له اذهب وانتظر فسأرجع
ليدخل داراً بابها متضعع^(٥)
وقت حيال الباب والباب مُرجع^(٦)
وأصغيت لا عن رنية أسمع^(٧)
تكاد له صمُّ الصفا تنصدع^(٨)
والنفس في كشف الحقيقة مَطْمَع
جلية هذا الأمر أم كيف أصنع؟^(٩)

فهرت عجوز في الطريق وخلفها فتاة يغشيها إزار وبرقع^(٩)

- (١) عراك : أصابك . (٢) لم ينيس : لم يتكلم .
(٣) أقفوا الأثر منه : أى أتبع أثره .
(٤) الشيخ : هو الذى انتهى شبابه ؛ وقيل هو من بلغ الأربعين ؛ وقيل الخمسين .
(٥) عرج : مال من جانب إلى آخر .
(٦) حيال الباب : قبائله . (٧) الدويرة : تصغير دار . أطرق : سكت ولم يتكلم .
(٨) النشيج : الغصة بالبكاء من غير انتخاب . (٩) يغشيها : يغطيها .

تعرضتها مستوقفاً وسألنيها
فأدبتهما متى وقلت لها اسمعي
فقلت وأنت أنة عن تنهد
أيا بني ما يعنك من نوح أيم
فقلت لها إني امرؤ لا يهمني
وإني وإن جارت على موطن
أبوزع متى عمرك الله بالذي
فقلت أعن هذي التي طال نحبها
ألا إنها سلمى تعيسة معشر
وصارعهم بالموت حتى أبادهم
فلم يبق إلا زوجها وشقيقها
ولم يلبث المقدور أن غال زوجها
فربى ابنها سعداً وقام بأمره
فأذهب عنه الخال دهر غشمشم
جرت هنة منها على خاله انطوى
فرج به في السجن بعد تجرم

عن الاسم ، قالت إني أنا بوزع
حنانيك ما هذا الحنين الموجع
وفى الوجه منها للتعجب موضع
لها من رزايا الدهر قلب مفعج^(١)
سوى من له قلب كقلبي مروّع^(٢)
فؤادي على قطانهن مؤزع^(٣)
سألت فقد كادت حشاي تمزع
سألت فعندي شرح ما تتوقع
من الصيد أقوت دارهم فهي بلقع^(٤)
من الدهر عجائر شديده مصرع^(٥)
خليل وأما الآخرون فودعوا
سعيداً فأودى وهي إذ ذاك مريض^(٦)
أخوها إلى أن كاد يقوى ويضلع^(٧)
بما يوجع الأيتام مغري ومولع^(٨)
بقلب رئيس الشرطة الخقد أجمع^(٩)
عليه بجرم ما له فيه م صنع^(١٠)

- (١) الأيم : هي من فقدت زوجها . مفعج : موجع .
(٢) مروّع : أصابه الروع وهو الخوف . (٣) قطانهم : سكانهم .
(٤) الصيد جمع أصيد ؛ وهو الرجل الذي لا يلتفت من كبره ؛ وأراد بالصيد : أولى النعمة .
بلقع : خالية من السكان .
(٥) العجائر : المصارع ؛ الذي لا يطاق جنبه في الصراع .
(٦) غال : أهلك . أودى : أهلك . (٧) يضلّع : يقوى واشتد أخلاعه .
(٨) الغشمشم : هو من يركب رأسه فلا يثنيه عن مراده شيء ؛ وقيل هو الكثير الظلم .
(٩) هنة : أي شيء ما وهي مؤنث الهن ؛ وكلاهما يكون كناية عن كل اسم جنس ؛ ومعناها
شيء . الشرطة : رجال البوليس والضابطة .
(١٠) تجرم عليه : أي أدعى عليه بجرم لم يفعله .

عزاه إلى إيتــــــــــــــــاعه موقعا به
ولكن غدر الحاقدين رمى به
فحقّ لسمي أن تنوح فإنها
فلا غرو من أم اليتيم إذا غدت
وما هو يا ابن القوم للجرم موقع^(١)
إلى السجن فهو اليوم في السجن مودع
من العيش سماء ناعما تتجرّع^(٢)
ضحى العيد يبكيها اليتيم المضيع

* * *

فعدت وقلبي جازع متوجع
ألا ليت يوم العيد لا كان إنه
وجئت إلى معيادنا عند صاحبي
فأطلعهم طلع اليتيم فأفقموا
فقلت دعوا التأفيف فالعار لا صق
ألسنا الألى كانت قديما بلادنا
فما بالناس مستقبل الضيم بالرضا
شربنا حميم الذل ملء بطوننا
فلو أن غير الحى يشرب مثلنا
نهوضا إلى العز الصراح بعزيمة
ألا فاكثبوا صك النهوض إلى العلى
وقلت وعيني ثرة الدمع تهمع^(٣)
يحدد للمحزون حزنا فيجزع
وقد ضمه والصحب ناد وجمع
وخبرتهم حال السجن فرجعوا^(٤)
بكم واتركوا الترجيع فالأمر أقطع
بأرجائها نور العدالة يسطع^(٥)
ونعنو لحكم الجائرين ونخضع^(٦)
ولا نحن نشكوه ولا نحن نبيجع^(٧)
هوانا لأمسى قالسا يتموع^(٨)
تخر لمرماها الطعانة وتركع
ألا فاكثبوا صك النهوض إلى العلى

فإني على مــــــــــــــــوتى به لموقع^(٩)

- (١) موقعا : منزلا به ما يسوءه .
(٢) السم الناقع : البالغ انقائل .
(٣) الثرة ، من العيون والسحاب : الغزيرة . تهمع : تدمع .
(٤) رجعوا : أى قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٥) الأرجاء : الأطراف .
(٦) الهوان . نعنو : نخضع .
(٧) الحميم : أصل معناه الماء الحار .
(٨) العير : الحمار . قلس : خرج من بطنه طعام أو شراب إلى الفم ، سواء ألقاه أم أعاده إلى بطنه ، فإن غلب فهو القيء والتهاوع .
(٩) الصك : هو ما يكتب عليه الاقرار بالمال وغيره . موقع : كاتب التوقيع .

سياسة لا حماسة (*)

الشعر مفتقر منى لمبتكر
دعوت غرّ القوافى وهى شاردة
وسلمتني عن طوع مَقادتها
إذا أقمت أقامت وهى من خدمي
عزّفت فيهن أقلامي ورحت بها
ملكن من رقة رِقّ النفوس هوى
سقيتهن المعاني فارتوين بها
كم تشرب لها الأسماع مصغية
طابقت لفظي بالمعنى فطابقه
إني لأنزع المعنى الصحيح على
سل المنازل عني إذ نزلت بها
وأجود الشعر ما يكسوه قائله
لا يحسن الشعر إلا وهو مبتكر
ومن يكن قال شعراً عن مفاخرة
وإنما هي أنفاس مُصعّدة
وهنّ إن شئت منى أدمع غرر
أبكي على أمة دار الزمان لها
كم خلّد الدهر من أيامهم خبراً
ولست أدّكر الماضين مفتخرًا

ولست للشعر في حالٍ بمفتقر
فأقبلت تتمشي مشي معتذر
فرحت فيهنّ أجرى جرى مقتدر
وأينما سرت سارت تقتفي أثرى
أعرّف الناس سحر السمع والبصر
من حيث أطر بن حتى قاسي الحجر
وكنّ فيها مكان الماء في الثمر
إذا تنوّشدين بين البدو والحضر
خلّوا من الحشو مملوءاً من العبر
غرّيت فأكسوه لفظاً قدّ من دُرر
بيتاً من الشعر لا بيتاً من الشعر
بوشي ذا العصر لا الخالي من العصر
وأئى حسن لشعر غير مبتكر
فلست والله في شعرٍ بمفتخر
ترمي بها حسراتي طائر الشر
أبكي بهن على أيامنا الغرر
قبلاً ودار عليها بعدُ بالغير^(١)
زان الطروس وليس الخبر كالخبر
لكن أقيم بهم ذِكْرى لمدّكر^(٢)

(*) من الديوان الأول . (١) الغير : الحوادث . (٢) أدكر : أذكر .

وكيف يفتخر الباقون في عمه
لهني على العرب أمست من جمودهم
أين الجحاح من ينتمون إلى
قوم هم الشمس كانوا والورى قر
راحوا وقد أعقبوا من بعدهم عقباً
أقول والبرق يسرى في مراقدهم
يأيها العرب هبوا من رقادكم
كيف النجاح وأنتم لا اتفاق لكم
مالى أراكم أقل الناس مقدرة

بدارس من هدى الماضين منذر^(١)
حتى الجادات تشكو وهى فى ضجر
ذؤابة الشرف الوضاح من مضر^(٢)
ولا كرامة لولا الشمس للقم^(٣)
ناموا عن الأمر تفويضاً إلى القدر
«ياساهر البرق أيقظ راقداً السمر»^(٤)
فقد بدا الصبح وانجابت دجى الخطر^(٥)
والعود ليس له صوت بلا وتر
يا أكثر الناس عداً غير منحصر

إلى الشبان (*)

أدب العلم وعلم الأدب
بهما يبلغ أعلى الرتب
شرف النفس ونفس الشرف
كل رام منهما فى هدف

أيها السابح فى بحر الفنون
أنت والله على رغم المنون
قرنك الحاضر من أرقى القرون
فإذا شئت بلوغ الأرب
فالمعالى أودعت فى الكتب
غانصاً فى لججها المنتظم
ذو وجود قاتلٍ ليعدم
خضع السيف به للقم
فاغترف من بحره وارشف
كاللآلى أودعت فى الصدف

(١) العمه : الضلال . الدارس : المتبحر . منذر : بال دارس .

(٢) الجحاح : السادة . الذؤابة : فى الأصل معناها : الضفيرة فوق اناصية ، وذؤابة الشرف : أعلاه .

(٣) ذلك لأن نور القمر مقتبس من نور الشمس ، فلا كرامة له لولاها .

(٤) المراقدة : جمع مرقد ، وهو مكان النوم . السمر : القوم يجتمعون للمسامرة .

(٥) انجابت : انكشفت .

(*) هذه القصيدة أنشئت يوم افتتاح المنتدى الأدبى الذى أسسه شبان العرب فى الآستانة ، وقد طلبوا إلى الرصافى أن ينظم لهم قصيدة تنشد فى يوم الافتتاح المذكور ، فنظم لهم هذه القصيدة .

أنت يا جاهل من قبل الممات^(١) مئت يمرح ما بين البيوت^(١)
 أو ما تعلم في هذه الحياة أن رب العلم حي لا يموت
 إذلة قضى للعلم رب الكائنات بالعلی فهو زمام الملكوت
 وعلى الجهل قضى بالعطب فهو في الناس دليل التلف
 فافتكر إن شئت علم السبب هل يكون النور مثل السدف^(٢)

* * *

يارعى الله زماناً لو يدوم كان للدهر كأيام الصبا
 أشرقت فيه من العلم النجوم ظن كل الناس أن لن تغربا
 زمن قد ضحكت فيه العلوم ونراها اليوم تبكى العربا
 حيث منهم فقدت خير أب واغتدت من يتمها في شطف^(٣)
 يا عهود العلم ما شئت اندبى يا عيون المجد ما شئت اذرفى

* * *

هل أتاك الدهر فيما قد أتى بحديث العرب في الأندلس
 حيث بالعزم أماطوا العنتا وبنور العلم ليل الهوس^(٤)
 فاسألن الغرب عما ثبتا في ربوع خلفوها دُرُس
 هل ترى نعمة من لم يجب عن معاليهم ولم يعترف
 آه لو يرجع ماضى الحقب آه لو عاد زمان الشرف

* * *

(١) يمرح : يتبخر ويختال فرحاً ونشاطاً . والحيلة صفة لميت . والفرض من وصفه بها بيان الفرق بينه وبين الميت الحقيقي ، كما يدل عليه قوله من قبل الممات ، أى أنت ميت مجازاً قبل أن تموت حقيقة .
 (٢) السدف : بفتحتين الظلمة ، ويجوز أن يكون بضم ففتح ؛ على أن يكون جمع سدف كظلمة ؛ وزناً ومعنى .

(٣) الشطف : بالتحريك : ضيق العيش وببسه وشدة .

(٤) العنت : مصدر عنت إذا فسدت ، أو وقع في أمر شائن أو لاقى الشدة وهالك . والهوس : بفتحتين : طرف من الجنون وخفة العقل .

سَلُّ رُبًّا بِغَدَادِ عَمَّا قَدْ مَضَى لَبْنَى الْعَبَّاسِ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ
وَأَلَنْ الشَّامِ عَمَّا قَدْ أَضَا لِلْمَعَاوِيَيْنِ فِيهَا مِنْ فُخَارِ
كَمْ تَرَى لِلْمِجْدِ سَيْفًا مَمْتَضًى كَمْ تَرَى لِلْعِلْمِ فِيهَا مِنْ مَنَارِ
عَجَبِي يَا قَوْمَ كُلِّ الْعَجَبِ هَذِهِ الْآثَارُ لِمِ لَا نَقْتَفِي
أَهْ مِنْ رَقْدَتِنَا وَاحْرَابِي أَهْ مِنْ غَفْلَتِنَا وَاسْفِي^(١)

يَا أَبَا الضَّمِيمِ مِنْ عَلِيَّا نِزَارِ أَيْنَ مِنْكُمْ ذَهَبَتْ تِلْكَ الطَّبَاعِ
كُنْتُمْ كَالسَيْفِ مَشْحُودِ الْغِرَارِ وَالَّذِي حَلَّ حَاكِمَ لَنْ يِرَاعِ^(٢)
كَمْ إِلَى الْعِلْمِ أَقْتَمَ مِنْ مَنَارِ بِعَقُولِ هِيَ أَسْنَى مِنْ شِعَاعِ
قَطَّقْتُ أَبْوَاعَكُمْ عَنْ كَثَبِ كُلِّ مَجْدٍ شَاهِقٍ الْمُقْتَطَفِ^(٣)
تِلْكَ وَاللَّهِ مَزَايَا الْعَرَبِ أَوْرَثُوهَا خَلْفًا عَنْ سَائِفِ

أَنْتَ يَا شَمْسُ عَلَى كَرِّ السَّنِينِ قَدْ تَقَلَّبْتَ طُلُوعًا فِي الْوَرَى
حَدَّثْنَا بِحَدِيثِ الْأَوَّلِينَ فَلَقَدْ شَاهَدْتَ تِلْكَ الْأَعْصَرَ
أَفْكَانُوا مِثْلَنَا مُخْتَلِفِينَ لَا يُعِيشُونَ إِذَا خُطِبَ عَرَا^(٤)
إِنَّا يَا شَمْسُ فِي مُضْطَرَبِ قَدْ أَلْفَنَاهُ فَلَمْ نَأْتَفِ
إِنْ بَقِينَا هَكَذَا فَاحْتَجِبِي عَنْ بَنِي الْغِبْرَاءِ أَوْ فَاكِسْفِي

يَا بَنِي عَرَبٍ مَا هَذَا الْمَنَامُ أَوْ مَا أَسْفَرَ صَبِيحَ الْقَوْمِ

(١) واحربي : وا : حرف ندبة للتوجع أو التفجع . والحرب بفتحين : الهلاك ، يقال واحربا
وواحربي ترجعا أو تأسفا وكذلك وا أسنى ووأسفا .

(٢) الغرار : بالكسر حد السيف ، ومشحود الغرار : أى ماضى الحد .

(٣) الكشب : بفتحين : القرب ، يقال رماه من كشب ، وعن كشب : أى من قرب وتمكن

(٤) عرا يعرفون : أى عرض وألم . واخطب هنا : الأمر المكروه .

أَيْنَ مَنْ كَانَ بِكُمْ يَرعى الذَّمَامُ وَيَلبى دَعْوَةَ الْمُتَضَمِّ (١)
أَفْلا يَأْذَعُكُمْ مِنْى الْمَلَامُ فَلَقَدْ أَلْفَظَ جَهْرًا مِنْ فِى
خَارِحًا عَنْ نَفْسَى كَاللَّيْلِ مُحَرَّقًا مَهْجَةً قَابَى الدَّنِفِ
أَنَا لَوْلَا فَيْضُ دَمْعَى الْأَسْكَبِ لَتَحَرَّقْتُ بِنَارِ الْأَسْفِ

* * *

يَا شَبَابَ الْقَوْمِ لَوْلَا كُمْ لَمَّا سَاغَ لى الْعَذْبِ وَمَا إِنْ لَدَى
إِنِّى أَبْصِرُ مِنْكُمْ أَنْجَمًا لَامَعَاتِ فِى ظَلَامِ الْأَمَلِ
فَاصْبِرُوا الْيَوْمَ عَلَى حَرِّ الظَّامِ كَى تَنَالُوا الرِّىَ فِى الْمُسْتَقْبَلِ
وَاتَعَبُوا الْيَوْمَ فُعْقَبَى التَّعَبِ رَاحَةً مُشْبَعَةً بِالتَّرَفِ
لَتَقُونَا أَسْوَأَ الْمُنْقَلَبِ إِذْ بَنَاءُ الْقَوْمِ هَارَى الْجُرْفِ

* * *

يَا شَبَابَ الْقَوْمِ هُبُّوا لِلْجَرَّازِ فَبِكُمْ يَبْسِمُ ثَغْرِ الْوُطَنِ
وَارْفَلُوا إِمَّا بَثُوبِ الْإِعْتِرَازِ أَوْ بَثُوبِ هُوِ ثُوبِ الْكَفَنِ
وَأَعِدُوا الْعِلْمَ لَا السَّيْفَ الْجُرَّازِ إِنَّهُ عُدَّةُ هَذَا الزَّمَنِ (٢)
بِسِوَاهِ الْعِزِّ لَمْ يُكْتَسَبِ وَهُوَ الْمُنْصِفُ لِلْمُنْتَصِفِ
إِنَّهُ وَاللَّهِ لَا عَنْ كَذِبِ شَرَفِ النَّفْسِ وَنَفْسِ الشَّرَفِ

الدَّهْرُ (*)

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا أَعْجَمَى أَخَاطِبُهُ فَمَا لى إِلَى فِهِمُ الْحَدِيثِ أَجَاذِبُهُ
أَيِّثْنى إِلَى وَجْهِهِ اللَّئِيمِ بِوَجْهِهِ وَيَرْتَدُّ مُزَوَّرًا عَنْ الْحَرِّ جَانِبُهُ (٣)

(١) المتضَم : بصيغة المفعول : المظالم .

(٢) الجرَّاز بالضم : صفة للسيف ، ومعناه القاطع .

(*) هذه القصيدة لم تنشر هنا بكاملها بل حذف منها زهاء أحد عشر بيتا .

(٣) يثنى : يعطف . والباء فى بوجهه زائدة فى المفعول ؛ ومزورا : منحرفا .

أراه إذا طارحته الجدل لأعيا
ويضرب أطناب المنى لى هازلًا
وبيناه يُبدى لى ابتسامه خادع
لقد أضحكت غير الحليم شؤونه
وما أنا بمن يا أميم يلاعبه^(١)
وما أنا مخدوع بما هو ضاربه
يقطب حتى لا تبين حواجبه^(٢)
وأبكت سوى عين السفية نوائبه
شكاية دهر حاربتكم مصائبه
وأقلامكم وهو الأصم تعاتبه^(٣)

• • •

هو الدهر لم يسلم من الغى أهله
إذا آنسوا نور الحقيقة رابهم
تضاربت الأهواء فيهم فناكب
طبائهم شتى على أن بينهم
كما الليل لم يأمن من الشر حاطبه^(٤)
فتجتو على الأبصار منهم غياهبه^(٥)
عن الشر يقصيه وآخر جالبه
كرما تواليه ووعدا تجانبه
فقد خولفت بالموجبات سوالبه^(٦)
دوافعه فعالة وجواذبه
لما دار في هذا الفضاء كواكبه

• • •

- (١) يقال طارحه الكلام والشعر وغير ذلك : إذا ناظره وجاوبه .
(٢) بيناه : الألف كافة لبين أو هي مختصرة من مالسكافة ؛ والأصل بينا ؛ فحذفت الميم من ما .
وكذلك القول في الضمير المتصل بها أنه مختصر من هو ؛ والأصل بينا هو ؛ فالضمير ضمير رفع .
وقوله يقطب : أى يزوى ما بين عينيه .
(٣) أى هو يحمل عليكم بالسيف قهراً بالقتل والجرح ، وأنتم تقابلونه بالأقلام عتاباً ، وهو مع ذلك أصم غير سامع للعتاب . والبيت تمثيل لحالة الأدباء مع الدهر .
(٤) حاطب ليل : مثل عندهم في التخليط ، ومنه قولهم : المكثرات حاطب ليل ؛ أى يجمع بين الجيد والردى . أو أن الحاطب في الليل لا يأمن الشر إذ ربما جمع الأفاعى في الحطب الذى احتطبه وهو لا يدري . ففى البيت تشبيه الدهر بالليل ، وأهليه بالحاطب فيه ، فهم لا يسهون من الوقوع فى الباطن كما أن حاطب الليل لا يأمن من الوقوع فى الشر ، وكما فى البيت : مثلها فى قول الشاعر :
كما سيف محروم نخته مضاربه
(٥) آنسوا : أبصروا . رابهم : أوقعهم فى الراب . وضمير الفاعل فى رابهم يعود إلى الدهر .
(٦) يريد بهذا البيت وما بعده : أنه لا يحب فى اختلاف طبائع الناس ، وكونهم شتى بين كريم ولئيم ، إذ هذا التخالف جار فى جميع ما فى الكون فالبرق ومنه موجب ومنه سالب ، ولولا اختلاف القوتين الجاذبة والدافعة لما تم نظام هذا العالم ، ولا دارت فى هذا الفضاء كواكبه .

سبوتُ زمانى بالنهى ونَحَضته
لم أستشرْ فى الناس إلا تجارِى
فلا ترتكب قرب المثلّام فإنهم
وما عجبى فى الدهر إلا لواحد
وذلك أن العيش فيه مطيب
ولو كان فى أعماله الدهر عاقلاً
ولو لم يكن فى كل ما فيه خادعا

بتجربتي حتى تجلّت عواقبه
وهل يصدق الإنسان إلا تجاربه
لكالبجر محمول على الهول راكبه
وإن كثرت فى كل يوم عجائبه
لمن خبثت بالخزيات مكاسبه
لما كان مثلى فى الورى من بحاسبه
لأ أم فيه صادق الفجر كاذبه^(١)

ألارب شيطان من الإنس قدغدا
فقلت له اخساً إنما أنت خائب
فولى على الأعقاب يحبو وقد درى
فأتبعه منى شهاب تسامح
ولو شئت أرسلت الخديعة خلفه
ولكن أبى منى الخداع مهذب

يخاتلنى خلساً وعينى تراقبه^(٢)
وقبلك أعياء الجن ما أنت طالبه^(٣)
ولله درى إني أنا غالبه^(٤)
يشق ظلام الجهل بالحلم ثاقبه^(٥)
تطارده حتى تضيق مذاهبه
تعود فعل الخير مذ طرّ شاربه

وذى سَفَهٍ أغضيت عنه تكرّماً
فصمت له بالنعل ضرباً فلم تزل

فدبت على رجلى غدرًا عقاربُه
يدأى به حتى اطمأنت غواربه^(٦)

(١) أم فلان القوم : إذا تقدمهم . وصادق الفجر : مفعول مقدم . وكاذبه : فاعل مؤخر .
والمعنى أن كل ما فى الدهر خادع ، فلذلك ترى الفجر الصادق يتقدمه الفجر الكاذب .
(٢) يخاتلنى : أى يخدعنى عن غفلة . والخلس : مصدر خلس الشيء إذا أخذ . فى الخاتلة ، وهو
فى البيت مفعول لأجله ، أو هو مفعول مطلق ، لأنه بمعنى الخاتلة .
(٣) أخساً : أى أبعد وانزجر ، وهى كلمة زجر وطرده للكلب .
(٤) المعنى المراد من قوله « فولى على الأعقاب يحبو » : أنه ذهب كالكلب يمشى على أربع ،
(٥) أتبعه : بمعنى تبعه أى لحقه . وشهاب تسامح : أى شهاب صفيح وعفو عنه .
(٦) فلم تزل يدأى به حتى اطمأنت : أى لم تزل يدأى تمارسه أو موقعة به . تقول العرب :
مازلت وزيداً حتى فعل : أى مازلت أحاوله .

وجنبته السيف الجراز لأنه تعالت عن الكلب العقور مضاربه
لقد عابني جبلاً ولم يدر أنه أقل فداءً للذي هو عائبه
له نسبة مجهولة غير أنه مغامزه معلومة ومعايبه^(١)

إلى أبناء الوطن

أنشدها في حفلة أقيمت له بعد رجوعه إلى بغداد سنة ١٩٢٣

سرٌّ في حياتك سيرَ نابه^(٢) ولم الزمان ولا تحايه^(٣)
وإذا حلت بموطن فاجعل محلك في هضابه^(٤)
واختر لنفسك منزلاً تهفو النجوم على قبابه^(٥)
ورمّ العلاء مخاطراً فيما تحاول من لبابه^(٦)
والجسد ليس يناله إلا المخاطر في طابه^(٧)
وإذا يخاطبك الله فسمِّ سمعك عن خطابه^(٨)
وإذا انبرى لك شاماً فارباً بنفسك عن جوابه^(٩)
فألروض ليس يضـيره ما قد يُظنّطن من ذبابه^(١٠)
ولربّ ذئب قد أتاك من ابن آدم في إهابه^(١١)
ما امتاز قط عن ابن آوى شخصه بسوى ثيابه^(١٢)
وإذا ظفرت بذي الوفا فخطّ رحلك في رحابه^(١٣)
فأخوك من إن غاب عنه لك رعى ودادك في غيابه^(١٤)
وإذا أصابك ما يسو رأى مُصابك من مُصابه^(١٥)

(١) المغامر : جمع مغامر . وهو المظن ، فبى كالمغايب معنى .

(٢) النابه : المشهور ، ضد الخامل .

(٣) هضابه : جمع هضبة ، وهى الجبل المنبسط على الأرض . والمراد : المنازل المرتفعة .

(٤) تهفو : تسرع . يقال هفت نفسه إلى الشيء : إذا أسرع إليه .

(٥) انبرى له : عارض وصنع مثل صنعه . ارباً بنفسك : ارفع نفسك .

(٦) يضيره : يؤذيه . يظنّطن : يصوت ويحدث طنيناً .

(٧) أصل الإهاب : الجلد قبل أن يدبغ . والمراد : الجلد مطلقاً .

(٨) خط رحلك في رحابه : أى انزل عنده فى أرضه . والمراد تمسك بأخائه ولا تتحول عنه .

وتره يَجْعُج إن شكو ت كأن ما بك بعض ما به (١)

يا قوم قد هرم الزما ن من التمادى فى انقلابه
فلذاك عند الهاجرا ت يسيل شىء من لعبه
ما زال من خَرَفٍ به للناس يهذر فى كذابه (٢)
يأتى بكل عجيبة تدعو اليبب إلى ارتياحه
والناس فى عطش تسي—ر إلى ارتواء من سراه
فمتى يجود لنا الزما ن ولو بمَذَق من وطابه (٣)
وإلى متى هو سائر وجه الحقيقة فى ضبابه (٤)
يت—لو بصرف الحادثا ت لنا فصولا من كتابه
كم يدعى وطنيَّة من لم تكن مرت ببابه
فتراه ينفخ لاغيا فيها وينفخ فى جرابه
ليكون مكتسبا بها مالا تهالك فى اكتسابه
فكأنما هو صائد وكأنما هى من كلابه
وتراه يرمى المخلص ين سهم من جمابه
ويغيب قـوما بالخيا نة والخيانة بعض عابه (٥)

لا بدَّ للوطنِ العزيز من المسكنِ لاضطرابه
من مجلسٍ للشعب ينظر بالتأمل فى ما به
ويتوبُّ عن أنبائه إن صادقوه على منابه

- (١) يقال : وجع فى الماضى ، ويوجع ويجمع ويأجع فى المضارع . يريد أنه يتوجع لما ينوبك .
(٢) الخرف : الهذيان والهلل مثل كلام المحموم والمجنون ، والمراد أنه يخلط فيما يأتى به من الحوادث ولا يستقم له قصد .
(٣) المذق : الابن المزوج بالماء ، يريد غير الخالص . والوطاب جمع وطب ، وهو سقاء يوضع فيه اللبن .
(٤) يريد أن وجه الحقيقة ليس ظاهرا ، وإنما يخفيه الضباب ، يعنى ما يأتى به الدهر من الخير والشر ليس واضحا .
(٥) عابه : عيبه .

حتى نرى أمر البلاد به يعود إلى نصابه
أبته حكومتنا له والشعب ليس له بآبه
أترى الحكومة تبغيه ونحن نعرض عن طلابه
هذا لعمر أليك ما يدعو الحليم إلى انتخابه
هلا يقوم القاعدون مسارعين إلى انتخابه
كى ينقذ الوطن الذى صرف الزمان له بنابه
وغدا يهدد بالبوار بنيه بور فى ترابه
إن لم تكونوا مدركيه فلا محالة من خرابه

* * *

آب المسافر للديار على اضطرار فى إياه
لو كان يمنح للإيا ب لما تعجل فى ذهابه
قد كان يرح فى التغر ب بالحفاوة من صحابه
لا تعجبن لخالى لبس الباهة فى اغترابه
فالسيف أحسن مايكو ن إذا تجرد من قرابه
أما العراق فإن لى كل الرجاء بأسد غابه
ينجسب يأسى بالرجا ء إذا نظرت إلى شبابه
من كل ما هو فى ظلا م الليل أضوا من شبابه
لمع الذكاء بوجهه كالبرق يلمع فى سحابه
يا من زكت أحسابهم فأتوا بأخلاق نوابه^(١)
ووجوههم بالنسيرا ت من النجوم لها مشابه
إنى لأشكر فضلكم شكر المئاب على ثوابه
كالروض يشكر وابلًا حيا الأزاهر بانسكابه

(١) زكت أحسابهم : برأت أصولهم من الدنس . نوابه : جمع نابه ؛ أى شريف عال

في المعتمد العلي

أعمرك إنَّ الحرَّ لا يتقيَّدُ
إذا أنا قصَّدتُ القصيدَ فليس لي
نشدت بشعري مَطْلِباً عزَّ نيله
فلننجم بعدُ دون ما أنا ناشد
وكم جنبتني عزة النفس منهلًا
وما أنا إلا شاعر ذو لبانة
ولي بين شذقي الهريتين صارمٌ
ولا عجبٌ إن عابني الشاعر الذي
فإنَّ ابن بُردٍ وهو أكبر شاعر
تعوَّدت تصرّحي بكلِّ حقيقة
إذا رمت نصائحجت بالنصح وراضحاً
وقد أبصر الداء الدفين الذي بنا
يقولون لي سننمض إلى العلم قومنا
أما علموا أن الحياة بعصرنا
وما ينفع القول الذي أنت قائل
فيا قومنا إن العلوم تجددت

إلا فليقل ما شاء في المَفْنَدِ^(١)
به غير تبيان الحقيقة مَقْصِد
وإن هان عند الشعر ما كنت أنشدُ
وللدرِّ قدرٌ دون ما أنا مُنْشِد
يطيب به لكن من الذلِّ مورد
أنوح بها حيناً وحيناً أغرَّد
يُسَلُّ على الأيام طورا ويُعْمَدُ^(٢)
يقول سخيْف الشعر وهو مقادِّ
تنقَّصه في الشعر حماد عَجْرَدُ^(٣)
والمرء من دنياه ما يتعود
وما كان من شأني الكلام المعقَّد
كما أبصر الأمواه في الترب هُدْهَدُ^(٤)
بشعر معانيه تقيم وتُقْعِد
مدارس في كلِّ البلاد تُشَيِّد
إذا لم يكن بالفعل منك يُؤَيِّد
فإن كنتم تهوونها فتجددوا

(١) المَفْنَد : اللأم العائب .

(٢) الشدق الهريتين : الواسع ، وأصله من صفات الأسد ، وصارم : لسان حاد مثل السيف .
يعمد : أي يوضع في غمده وهو قرابه .

(٣) ابن برد : هو الشاعر بشار بن برد ، شاعر فارسي ، وحماد عجرد شاعر أيضاً في عصر
بشار كان مولعاً بهجائه ، وكلاهما عاش في صدر الدولة العباسية .

(٤) يعني الشاعر أنه أطول تجربته ومبارسته شئون الحياة يستطيع أن يميز الصحيح من الفاسد
مالا يستطعمه غيره ، وشبه نفسه بالهدهد الذي يرى الماء الغائر في الأرض بعد نظره .

وَحَاوُوا جَمُودَ الْعَقْلِ فِي أَمْرِ دِينِكُمْ
وَإِنْ شَتَّمْ فِي الْعَيْشِ عِزًّا فَأَقْدَمُوا
وَأَمْضُوا سَدِيدَ الرَّأْيِ دُونَ تَرَدُّدٍ
وَلَا تَقْبَلُوا قَيْدًا بِقَوْلٍ مُجَرَّدٍ
وَأَطْلَالِ عِلْمٍ لَا تَزَالُ شَوَاحِصًا
أَرَاهَا فَأَبْكِي وَهِيَ رَهْنُ يَدِ الْبَلَى
وَمَا أَنَا سَالٍ عَهْدَهَا حِينَ لَمْ تَسِلْ
فَإِنْ تُكْبِرُوا تَسْدِيدَ دَمْعِي لِأَجْلِهَا
وَمَعَهَا عِلْمٌ أَسَّسَتْهُ عَصَابَةُ
شَبَابٍ مَشَوْا لِلْمَكْرَمَاتِ بِعِزَّةٍ
سَأَسْتَوْدِعُ الْأَيَّامَ كُلَّ قَصِيدَةٍ
أَقُولُ لَهُمْ قَوْلًا بِهِ أَسْتَزِيدُهُمْ
أَمَّا وَخِلَالِ فَيْكُمُ عَرِيضَةٌ
يَسِّرْ الْعَلَى أَنْ يَنْهَضَ الْقَوْمُ لِلْعَلَى

فَإِنْ جَمُودَ الْعَقْلِ لِلدِّينِ مَفْسَدٌ
فَكَمْ نَيْلَ بِالْأَقْدَامِ عِزٍّ وَسُودَدٌ
فَمَا يَبْلُغُ الْغَايَاتِ مِنْ يَتَرَدَّدُ
فَمَا قَيِّدَ الْأَحْرَارِ قَوْلٌ مُجَرَّدُ
تَذَكَّرْ بِالْعَهْدِ الْقَدِيمِ وَتَشْهَدُ
بِدَمْعٍ كَمَا أَرَفَضَ الْجَمَانُ الْمُنْضَدُ
دَمْعِي وَلَسْكَنِي أَمْرٌ مُتَجَلَّدُ
فَإِنْ دَمِي مِنْ أَجْلِهَا سَيَبْدُدُ
مِنْ الْقَوْمِ تَسْعَى لِلنَّجَاحِ وَتَجْهَدُ
تَقَاعَسَ عَنْهَا الْكُوكَبُ الْمُتَوَقَّدُ
يَطِيبُ لَهُمْ فِيهَا الثَّنَاءُ الْخَالِدُ
وَأَشْكُرُهُمْ شُكْرًا جَزِيلًا وَأَحْمَدُ
وَذَا قَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ مُؤَكَّدُ
وَأَنْ يَجْمَعَ الشُّبَّانُ لِلْعِلْمِ مَعَهْدُ

في ممتدى التهنيد

أنشدها في حفلة افتتاح منتدى التهنيد في بغداد

تريدنى الأيام أن أتقيَّدا وأطلب فيها أن أكون الجددا
وتعبد بى دون المدى فى خطوبها وغاية هم النفس أن أبلغ المدى
كفى لصريح العقل قيذاً لمطلق من الناس ينبغي أن يكون مقيدا
لعمر الهدى إن النهى ليس من صوى

(١) سواها لمن ضلوا الطريق إلى الهدى

فما بال هذا العقل أمسى معطلا لدينا كأن الله أوجده سدى (٢)

أخلقنا بكر الجديدين ضلة ولم نتقمص فيهما ما تجددا (٣)

فيا منجدى فيما أريد من العلى ولولا العلى لم أطلب الدهر منجدا

أعنى على ما لو تحقق كونه لما كان لى بل للأناسى مسعدا

تجهز من الحسنى بما أنت قادر عليه ولا تقبل سوى العقل مرشدا

وأحسن إلى من قد أساء تكرما وإن زاد بالإحسان منك تمردا

وجب الذى عاداك إن رمت قتله فإنى رأيت الحب أقتل للعدا

فليس مضرًا فى العلى بالذى أرى على كل حال أن تحب من اعتدى

إذا دفع الشر القبيح بمثله تحصل شرٌّ ثالث وتولدا

وأمت دواعى الشر ذات تسلسل مديد وصار الشر فى الناس سرمدا

فما رأى عندى إن تمخضت الوغى

سوى أن يظن أن سيف الغمد مغمدًا

(١) النهى العقل وأصله جمع نهية ، وهى ما ينهى المرء عن القبيح . والصوى : جمع صوة ، وهى العلامة تنصب فى الطريق ليمتدى بها السائرون فى الصحارى ونحوها . يريد أن العقل من معدن الهداية .

(٢) سدى ضياعا ، بلا فائدة .

(٣) يخلقنا يبلينا . ويقال ، فلان يفعل كذا ضلة ، إذا لم يوفق للرشاد ، وكأنه منصوب على الحال ، أى ضالا . وتقمص الشيء : كالتقميص .

وَأَنْ تَجْمَعَ الدُّنْيَا عَلَى رَدِّ طَامِعٍ
فَإِنْ كَانَ هَذَا فِي الْعُصُورِ الَّتِي خَلَتْ
فَإِنْ جَمِيعُ الْأَرْضِ أُمْسَتْ كَبَلْدَةً
وَلِي خَلْقٌ يَأْتِي عَلَى انْطِبَاعِهِ
وَأَضْرِبَ عَنْ جَهْلِ الْجَهُولِ وَلَمْ أَكُنْ

لَا أَضْرِبَ فِي الْأَيَّامِ لِلْغَدْرِ مَوْعِدًا
إِذَا أَيْقَظْتَنِي لِلْعَدَاءِ اعْتِدَاءً
شَرِبْتُ لَهَا مِنْ خَالِصِ الْعَفْوِ مَرَّةً
وَتَكَرَّرَ نَفْسِي كُلَّ عَبْدٍ مُذَلِّ
فَقَدْ كَرِهْتُ حَتَّى الطَّرِيقَ لِلْعَبْدِ
إِذَا مَا اتَّقَتْ نَفْسٌ رَدَّاهَا بِذَلَّةٍ
فَعِنْدِي نَفْسٌ تَتَّقِي الذِّلَّ بِالرَّدَى
وَلَوْ طَلَبْتَ نَفْسِي الْغَنَى بِامْتِنَانِهَا
لَأَصْبَحْتُ فِي الْمَثَرِينَ أَطْوَلَهُمْ يَدًا
وَلَكِنِّي آلَيْتُ إِلَّا أَذِيقَهَا
مِنْ الْعَيْشِ إِلَّا مَا اسْتَطَيْبَ وَحْدًا
سَجِيَّةً نَفْسٍ لَمْ أَحُلْ عَنْ عَهْدِهَا
وَإِنْ لَا مَنَى الْأَعْمَى عَلَيْهَا وَقَدْ
شَحَا بِفَمٍ قَدْ كَانَ فِي الْعَضِّ أَدْرَدًا^(١)
وَشَدَّتْ شَمْلِي فِي هَوَاهُ مَبْدًا
وَمَا ضَرَّنِي إِذْ عَضَّنِي مُتَشَادِقٌ
عَلَى لَهُ فِي الْحَبِّ أَنْ أَتَشَدَّ
وَلِي وَطَنٌ أَفْنَيْتُ عَمْرِي بِحُبِّهِ
تَعَلَّقَ لَيْلَى الْعَامِرِيُّ مُعَمَّدًا
وَلَمْ أَرَ لِي شَيْئًا عَلَيْهِ وَإِنَّمَا
شَدَّوتُ بِهِ فِي مَحْفَلِ الْقَوْمِ مُنْشَدًا
وَمَنْ عَجَبَ أَنْ يَعْتَشِقَ الرُّوضَ بَلْبَلٌ
خَنَا الطَّبِيعَ إِلَّا أَنْ يُرَوَّأَ لِي حُسْدًا
وَمَا النَّاسُ إِلَّا اثْنَانِ فِي الشَّرْقِ كُلِّهِ
وَيَمْنَعُهُ ذِبَابُهُ أَنْ يَغْرَدَا
جَهُولٌ تَلْهَى أَوْ حَلِيمٌ تَبْلُدَا

(١) المتشادق : يريد به المتشوق ، وهو المتفاحص الذي يملأ شوقيه بالكلام ، وقيل هو المستهزئ بالناس ، يلوى شوقيه بهم وعليهم . وتشادق في كلامه : فتحفه واتسع . شحا الرجل فاه فتحه ، وشحا فوه انفتح ، منعد لازم . والباء زائدة أو على تضمينه معنى نطق بهم . والأدرد ، صفة من الدرد ، وهو سقوط مقدم الأسنان .

ولم أرَ مثل الفضل في الشرق مخفقا ولا مثل جدّ المرء للمرء مُسعدا
تأمل قليلا في بنيه مفكرا لتشهد منهم للعجائب مشهدا
فتبصر أيقاظا يطيعون هجدا وتبصر أحرارا يخافون أعبدا
وكم فارة في الشرق تحسب هرة وكم عتقي في الشرق سمي هدهدا
ألا ربّ شاكٍ قال لي وهو آسف أما آن للتهذيب أن يتبغدا^(١)
فقلت له أبشر بخير فإنه ببغداد للتهذيب أسس مُنتدى

في زحله

قالها سنة ١٩٢٣ أنشدها في حفلة أقيمت له ولاريماني في زحلة
حببت العلي منذ الصبا حبّ شاعر وقت إليها ساعيا سعي قادر
أقدر فيها أن أصيخ للأُم وقد ملكت مني جميع المشاعر^(٢)
تقول ابنة الأَقوام وهي تلومني وأدمعها رقراقة في الحاجر^(٣)
إلى كم تجدّ البين عني مسافرا أما تستلذّ العيش غير مسافر^(٤)
وأسكتها عني نشيخ فلم تزل تردده منها بأقصى الحاجر
إلى أن تفاني الصبر فافتقر مدمعي كدمعها عن لؤلؤ متناثر
ولا غرو أن أبكي أسي من بكائها فأعظم ما يشجى بكاء الحرائر
وقلت لها إنّي امرؤٌ لي لبانة منوطٌ مداها بالنجوم الزواهر
تعودت أن لا أستنيم إلى المنى وألا أرى إلا بهيئة ثائر
وأن أمضيّ الهم الذي هو مُقلقي بطيّ الفياق أو بخوض الدياجر^(٥)

(١) تبغدا : أي يصير ويتحول إلى بغداد .

(٢) أصاخ له : استمع وأنصت .

(٣) رقراقة : جائلة متحركة . والمعاجر : جمع بحجر ، وهو مدار بالعين من العظم .

(٤) تجدّ البين تجدد سفرا بعد سفر .

(٥) أمضيّ هم : نفذ ما عزم عليه وهم به . وطى الفياق : قطع الصعاري . والفياق : جمع فيفاة ، والدياجر : جمع ديجور ، وهو الظلمة ، وأصله الدياجر .

أما تَرَيْنَ الوجّه منى شاحبا
ولست أبالى أننى عادم الغنى
ذرينى أزرّ فى هَضْب لبنان أربعا
بحيث أرى تلك الليوث خوادرا
ليوث إذا ما عَبَّست فى مُلَمَّةٍ
وألقت جيوش الفاخرين سلاحها
فأكرم بلبنان مَقَرًّا لنابه
ألا إنما لبنان فى الأرض عاهلٌ
وزَحَلَةٌ فى لبنان تاجٌ لرأسه
وما هى إلا روضةٌ أنبتت له
أزحالةً إنى تارك فىك مُهْجَتى
فَتَشْكُرُكَ الشكر الذى أنت أهله
رغاء اسرى ساعود الغدر نفسه
ومن عجب أن الشويعر لأمنى
ومن كان مثلى شاعرا لا تسوءه
على أننى من عاذريه وإن يكن
وكم فى رُبا لبنان من ذى فصاحة
ومن أهل آداب كشارقة الضحى

لكثرة ما عرّضته للهواجر^(١)
إذا كان جدّى فى العلى غير عاثر
تعالّت بحيث العز مُرَخًى الضفائر
تسارق الحاظا عيون الجآذر
تبسمت الدنيا تبسم ناصر
إذا خفقت راياتها بالمفاخر
ومأوى لمنكود ومهدى الحائر
تبوّأ عرشا من جليل المآثر
قد ازدان من أبنائها بالجواهر
أزاهير من تلك الحسان الغرائر^(٢)
تعاطيك من بعدى محبة شاكر
طوال الليالى خالدا فى الدفاتر
ولا وُدَّ إلا مُخْلِصا فى الضمائر
بيروت لوم الشاتم المتجاسر
مقاذعة جاءته من متشاعر^(٣)
لى الحق فى عذرى له غير عاذر
مُجيدٌ بيوم الحفل قَرَعَ المنابر
ومن أهل علم كالبحار الزواخر

(١) الشحوب : الصفرة والتغير . والهواجر : جمع هاجرة ، وهى شدة الحر وسط النهار .
(٢) الغرائر : جمع غريرة ، وهى التى لم تجرب شئون الحياة لنعمتها وحدائتها .
(٣) مقاذعة : مهاجاة ومساباة .

الفنون الجميلة



تأنيك ريشته بشعر صامت . . .

إن رُمتَ عيشاً ناعماً ورقيقاً فاسلكِ إليه من الفنون طريقاً
واجعلِ حياتك غصّةً بالشعر والتّـمـثـيل والتصوير والموسيقى
تلك الفنون المشتهاة هي التي غصنُ الحياة بها يكون وريقاً
وهي التي تجلو النفوس فتتملى منها الوجوه تلالؤاً وبريقاً
وهي التي بمذاقها ومشاقها يمسي الغليظ من الطباع رقيقاً

تمضى الحياة طرية في ظلها والعيش أخضر والزمان أنيقا
 إن الذى جعل الحياة رواعدا جعل الفنون من الحياة برؤقا
 وأدرّها غيث اللذّاة منبتا زهر المسرة سوسنا وشقيقا
 وأقام منها للنفوس حوافزا تدع الأسير من القلوب طليقا
 فتحلّ عقسدة من تراه معقدا وتنفك ربة من تراه ربيقا
 تلك الفنون فطر إلى سعة بها إن كنت تشكو في الحياة الضيقا
 وإذا أردت من الزمان مضاحكا فتحسّ منها قرقفا ورحيقا
 ما فاز قط بوصلها من عاشق إلا وكان لصارفيه عشيقا
 فهي ابتسامات الدنى وبغيرها ما كان وجه الحادثات طليقا

رطب حياتك بالغناء إذا عرا همّ يحجّف في الخلق الريقا
 إن الغناء لمحدث لك نشوة في النفس تطفىء في حشاك حريقا
 واترك مجادلة الذين توهموا هزج الغناء خلاعةً وفسوقا
 أفانت أغلظ مبهجةً من نوقهم فقد استحثوا بالخداء الذوقا
 أرقى الشعوب تمدنا وحضارةً من كان منهم في الفنون عريقا
 وأحطهم من إن سمعت غناءهم فن الضفادع قد سمعت نقيقا
 فالغن مقياس الحضارة عند من حازوا الرقى ، وناطحوا العيوقا

الشعر فن لا تزال ضروبه تتلو الشعور بألسن الموسيقى
 ويمجد تقطير العواطف للورى فتحاله لقـلـوبهم أنيقا

ومسارح التمثيل أصغر فضلها جعل الكليل من الشعور ذليقا^(١)
 وإذا رأى فيها الوقائع غافل من نوم غفلته يكون مفيقا

(١) الكليل من السلاح : الذى لا يقطع . والذليق : الماضى الحاد .

تمنى الحميد من الخصال وتنتقى ما كان منها بالفخار خليقا
وتجىء من عبر الزمان بمشهد يُلقى خشوعا في النفوس عميقا
ويكون منظره الرهيب ممهداً لمشاهدته إلى الصلاح طريقا

أما المصور فهو فنّان يرى ما كان من صور الحياة دقيقا
تأتيك ريشته بشعر صامت ولقد يفوق الشاعر المنطيقا^(١)
وبدائع التصوير من حسناتها أن يستفيد بها الشعور سموها^(٢)
فهى الجديرة أن تكون ثمينة وتكون أنفق من سواها سوقا^(٣)
إن الحياة على الكدورة لم تجد مثل الفنون لنفسها رأووقا^(٤)

الحياة الاجتماعية والتعاون

أُنشئت في حفلة تأسيس جمعية حماية الأطفال في بغداد سنة ١٩٢٨

يعيش الناس في حال اجتماع فتحدث بينهم طرق انتفاع
وتكثر للتعاون والتفادى على الأيام بينهم الدواعى
ولو ساروا على طرق افراد لما كانوا سوى همج راع^(٥)
رأيت الناس كالبنيان يسمو بأحجار تُسَمَّع بالسَّياع^(٦)
فيمسك بعضه بعضا فيقوى ويمنع جانبيه من التداعى
كذلك الناس من عجم وعُرب جميعا بين مرعى وراع
قد اشتبكت مصالحهم فكل لاسكل في مجال العيش ساع
ولولا سعى بعضهم لبعض لعاشوا عيش عادية السباع^(٧)

(١) المنطوق : الفصيح .

(٢) السموق : الارتفاع .

(٣) أنفق : أروج .

(٤) الراووق : المصفاة .

(٥) الهمج والراع : السفلة من الناس . وأصل الهمج : صغار البعوض .

(٦) تسيم بالسَّياع : أى تطلّى بما يطلّى به البناء بعد بنائه ، ليكمل شكله ومنظره .

(٧) عادية : أى مفترسة .

إذا رب الحسام ثناه عجز^(١) تدارك عجزه رب اليراع
 وإن قلم الأديب عراه زيغ تلاقى زيغه سيف الشجاع
 وإن صقرت يد من ريع زرع أعيد ثراؤها بيد صنّاع^(٢)
 بذلك قضى اجتماع الناس لما أن اعتصموا بحبل الاجتماع
 يساند بعضهم في العيش بعضا مساندة ارتفاق وانتفاع
 فتعلو في ديارهم المباني وتستعلي الحياة بهم فتسمى
 وما مدنيّة الأقاليم إلا تعاونهم على غرّ المساعي
 ولم يصلح فساد الناس إلا بمال من مكاسبهم مشاع
 تشاد به الملاحيء لليتامى وتمتار المطاعم للجبايع
 وتبنى للعلوم به مبان تفيض العلم مؤتلق الشعاع
 وإلا فالشقاء لهم حليف وما حل الشقاء بمستطاع
 ومما سرّنى أنى أناجى رجالاً في الفخار ذوى ابتداع
 سعوا لحماية الأطفال منّا بما أوتوه من كرم الطبايع
 فقاموا بالذى يعلى ويسلى يصونون الضعاف من الضياع
 وما هذى الحياة سوى صراع يتم بفوز مفتول الذراع
 وما سادت شعوب الخلق إلا بتهيئة البنين لذا الصراع
 إذا لم يُعن بالأطفال قوم فمضبة مجدهم رهن انصداع^(٣)
 ولا تزكو المناشىء في أناس يرون الطفل من سقط المتاع^(٤)
 وما هاج العواطف في فؤاد كحال الطفل في زمن الرضاع
 فشكراً للكرام وكل شكر لمن عضدوا الكرام بدّ باع^(٥)

(١) صقرت : أى صارت صفراً خالية . وريع الزرع : يريد ثمرته وفائدته التى تجنى منه .

واليد الصنّاع : الماهرة ، وهى ضد اليد الخرقاء ، وهى التى لا تحسن عملاً .

(٢) اليفاع : المرتفع . (٣) انصداع : تشقق وتكسر .

(٤) سقط المتاع : أردأ وأرخس ما فى البيت من متاع وأدوات كالمسكنة والكور ونحوها .

(٥) عضده يعضده ، يضم الضاد فى المضارع : قوى عضده وشدازره يريد عاونوا بحدأيديهم بالمال .

في سبيل الوطنية

كتب إليه صديقه نحرى البارودى وهو إذ ذاك بيروت ،
يخبره بأنه ألف في دمشق شركة للمنسوجات الوطنية ، ويطلب
إليه أن يكتب فيها قصيدة يدعو بها القوم إلى مؤازرتها
والانضمام إليها ، فكتب القصيدة الآتية وأنفذها إليه في دمشق

من كان في الجدل المؤئل راغبا	فليطلبه بهمة البارودى
نحرى الذى ابتكر المفاخر واعتدى	منه من مفخراً بكل جديد
وأبى سوى غر المساعى إذ سعى	متشبثاً منها بكل مفيد ^(١)
وبنى له بدمشق مجداً طارفاً	من بعد مجد في دمشق تليد ^(٢)
إن كان محمود الفعال فإنه	ورث المكارم عن أب محمود
نفع البلاد بمساعىه وسعيه	وبحسن رأى في الأمور سديد
ورأى الشتات بها فقام موحداً	فيها المساعى أيما توحيد
ودعا الرجال بها فألف شركة	ترعى إلى غرض أغر حميد ^(٣)
تغنى البلاد بسعيها عن غيرها	وتعيد عهد ثرائها المفقود
وتقوم بالعمل المفيد لأهلها	من نسج أردية لهم وبرود
حتى تكون عن الأجانب فى غنى	وتعيش غير أسيرة التقليد
أو ما ترى أهل البلاد تقيّدوا	للغرب من حاجاتهم بقيود
الغرب يكسوهم ملابس هم بها	يعرّون من مال لهم ونقود
وتراه يسلّخهم بمصنوعاته	سلخ الشياه فهم بغير جلود
هذى سفائنهم تروح وتغتذى	ببضائع لم تحصّ بالتعديد
فكأنما هى لامتنصاص دمائنا	بعض المحاجم أو كبعض الدود ^(٤)

(١) غر المساعى : جمع أغر ، وهو الذى فى وجهه بياض .

(٢) الطارف والطارف : المكتسب الحديث . والثائد والتليد : الموروث القديم .

(٣) الشتات : التفرق .

(٤) المحاجم : جمع محجم ، وهو كأس صغير يسحب به الدم من الانسان . والدود : هو العلق

الأسود ، يستعمل كالحجج لامتصاص بعض الدم من الجسم .

حتى متى نشقى ليسعد غيرنا
وبجانب الوطنى من أشيائنا
إن البلاد لتشتكى من أهلها
يا سادة الأوطان لستم سادة
أفسيده من عاش وهو لغيره
إن السيادة تستدير مع الفنى
لا يستقل بسيفه الشعب الذى
من كان محلول العرى فى ماله
يا قومنا أتم كفارس كرمه
كم تزرعون بأرضكم ولغيركم
فتبصروا يا قوم فى أحوالكم
من شاء منكم أن يُعزَّ بلادَهُ
ونذلَّ القربى لعزٍّ بعيد
ولو أنه من أحسن الموجود
وتقول ~~بها~~ قول الرازح المجهود^(١)
ما عشتُم من فقركم كعبيد
فى حاجة بل ذاك عيش مسود
فى حالتى عَدَم له ووجود^(٢)
لا يستقلُّ بنقده المنقود^(٣)
وجب انحلال لوائه المعقود
وسواه منها قاطف العنقود
مَّا زرعتم حبُّ كل حصيد
وتنبَّهوا من غفلة ورقود
فليسع سعى مُعزِّها البارودى

فى المدرسة : دار التفيض

نعمت الدار للتفيض دارا
هى دار ينتابها ولد قوم
نحن قوم نرى المفاخر إلا
ما قصدنا بسنن السيف إلا
هل شددنا الرحال فى الأرض للأسد
قد أقيمت للطالين منسارا
جعلوا العلم للحياة مدارا
من طريق العلوم ثوبا معارا
ردَّ ليل الجبل المميت نهارا
فار إلا لنكتب الأسفارا^(٤)

- (١) الرازح المجهود : هو الذى لحقه الاعياء من حمل ثقل .
(٢) يريد أن المرء لا يوصف بأنه سيد إلا إذا استغنى عن غيره ، فأما إذا احتاج إلى غيره فهو عبد له . وقد قيل : « استغن عن شئت تكن أميره ، واحتاج إلى من شئت تكن أسيره » .
(٣) يريد أن الاستقلال الاقتصادى للبلاد ينبغى أن يقدم على الاستقلال السياسى .
(٤) الأسفار الأولى : جمع سفر ، بفتح الفاء ، والثانية : جمع سفر ؛ بكسر السين وسكون الفاء ، وهو الكتاب .

كم طوينا من قبل في طلب العدا
واقترحنا لأجله كل هول
ولقد هانت النوائب فيه
إنما تصغر الخطوب لدى القوا
سل بنا العلم والفنون جميعا
سل بنا العدل في جميع الرعايا
سل بنا الغر من كبار المساعي
سل بنا هذه الدماء الدوامي
سل بنا هذه النجوم الدراري
كم رفعنا للعلم في الأرض برجا
لا يكن منك في الذي قلت شك
يعلم الله ذو الجلالة أنا
إنما هذه المدارس روض
تغذي بها النفوس غذاء
جل فعلا أكسيرها المتعالى
يدخل الناشئون فيها من النا
رب نفس كدرهم قد جلاها
نضرت هذه المدارس روضا
تمنح العاجز الضعيف اقتدارا
كانت الناس في القديم عبيدا
فعليناكم فيها بتحصيل علم

م فجاجا وم شققنا بحارا
وركبنا لأجله الأخطارا
إذ لبسنا الصبر الجميل شعارا
م إذا كانت النفوس كبارا
هل ملكنا بغيرها الأقطارا^(١)
هل عمرنا بغيره الأمصارا
هل طلبنا بغيرهن فخارا
هل غسلنا بغيرهن العار
هل رضينا تحت النجوم قرارا
وبنينا له كغمدان دارا
وإذا شئت فانظر الآثارا
لسوى الله ما رجونا وقارا
يُنبت المجد والعلی والفخارا
هو يُنمي العقول والأفكارا
كيف يحلو القلوب والأبصارا
س نحاسا ويخرجون نضارا
علم حتى أعادها دينارا
من بنى القوم مُنبتا أزهارا
موشكا أن يغالب الأقدارا
وبها اليوم أصبحوا أحرارا
يرغد العيش ، يسعد الأعمارا

(١) سل بنا : سل عنا . وفي الكتاب العزيز : « فاسأل به خبيرا » .

المدارس ونهجها

أنشئت في حفلة وضع الحجر الأساسى ابناية مدرسة التفيض
الأهلية التى أقيمت عصر ١٨ كانون الثانى سنة ١٩٣٩ .

أبنوا المدارس واستقصوا بها الأملا
جودوا عليها بما درت مكاسبكم
إن كان للجهل في أحوالنا عِلَلٌ
سيروا إلى العلم فيها سير معتزمٍ
لا تجعلوا العلم فيها كل غايتكم
هذى مدارسكم شروى مزارعكم
لا تتركوا الشوك ينمو في منابتها
وأسسوها على الأعمال قائمة
يلقى بها النشء للأعمال مخترعا
وأماطروا روضها علما ومقدرة
فتنتب العالم الفنان مخترعا
وتنتب الحارث الفلاح مزدرا
واسقوا التلمذ فيها خمر مكرمة
حتى إذا ما غدا خريجها طاربا
ربوا البنين مع التعليم تربية
وثقفوهم بتدريب وتبصرة

حتى نطاول في بنائها زحلا
وقابلوا باحتقار كل من بخلا
فالعلم كالطب يشفى تلسم العِلا
ثم اركبوا الليل في تحصيله جملا
بل علموا النشء علما يُنتج العمال^(١)
فأنتبوا في ثراها ما علا وغلا^(٢)
أعنى بذلكم الأهواء والنحلا
ممهدين إلى الحيا بها سُبلا
وللطباع من الأدراان مُعَدِّلا
حتى تفتح من أزهارها الأملا
وتنتب الفارس المغوار والبطلا
وتنتب المدرة المنطبق مرتجلا
عن خمر الكرم تسمى عنده بدلا
من عزة النفس خيل الشارب الثملا
يمسى بها ناطق الأخلاق مكتملا
ثقافة تجعل المعوج معتدلا

(١) يريد : لاتوجهوا كل اهتمامكم إلى التعليم القولى النظرى ، بل وجهوا عنايتكم إلى الشؤون العملية ، كالعلوم التطبيقية التى تفيد في ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وما إليها .

(٢) شروى : مثل .

وجنبوهم على فعل معاقبة
 إن العقاب يزيد النفس شرًّا
 بل أنشؤنا ناسي الأحداث وهو على
 بحيث يمسى إذا شأته شائنة
 من يترك الشرَّ خوفاً من معاقبة
 فحشوا جيش علم من شبيبتنا
 إن قام للحرب ردّ الأرض ممرّة
 وإن غزا مستظلاً ظل رايته
 إنا لمن أمة في عهد نهضتها
 هذا هو العلم لا ما تدأبون له
 ماذا تقولون في تقدي مذهبكم
 وأي نفع لمن يأتي مدارسكم
 فأجمعوا الرأي فيما تعملون به
 ثم انهجوا في بلاد العرب أجمعها
 حتى إذا ما اتدبنا العرب قاطبة
 إن العقاب إذا كرّره قتالاً
 وليس ينكر هذا غير من جهلاً
 حبّ الفضيلة في محياه قد جبلاً
 من فعله احمرّ منها وجهه خجلاً
 فليس يحسب ذا فضل وإن فضلاً
 عرمرم ما تضرب الدنيا به المثلاً
 أو قام للحرب دكّ السهل والجبلاً
 هزّ البلاد وأحيا الأعصر الأولى
 بالعلم والسيف قبلاً أنشأت دولاً
 مما تكون به عقباكم الفشلاً
 وقد كفيتم التفصيل والجملاً
 إن كان يخرج منها مثلاً دخلاً !
 ثم اعملوا بنشاط ينكر الملالاً
 نهجاً على وحدة التعليم مشتملاً
 كنا كأنا انتدبنا واحداً رجلاً

العلم والإجازة (*) فيه

إن من حاز في العلوم إجازةً لجدير برتبة ممتازة
 وخلق بعيشة مرتضاه وافتخار بفضل ما قد حازه

(*) الإجازة : هي الشهادة تمنحها المدارس والمعاهد الطلاب الذين أتموا دراستهم كلها أو بعضها
 وسميت بذلك لأن شيوخ العلم من سلف المسلمين كانوا يجيزون المنتهين من الطلاب برواية مروياتهم
 وقراءة مؤلفاتهم ، لأنهم أصبحوا أعلاماً لذلك ، وكان الطلاب يمتدّون بشهادة أستاذهم لهم ،
 ويذكرونها في تراجمهم وتواريخ حياتهم .

إنما هذه الأجازة صاكَّ بيد المرء ضامنٌ إعزازه .
وهي تعويذة له من عيون بالمساوى همّازة غمّازه
فهنئنا لمن أحيى وشكراً للذي في علومه قد أجازه

معهدُ العلم وهو حرزٌ يفوق الـ أبلقُ الفردَ منعةً وحرّازه (١)
تليجاً الناس في الحياة إليه هرباً من جهالةٍ وخّازه
حبذا العلمُ يكسبُ المرءَ عزّاً وبقية في عيشه إعزازه
في نفوس الذين لم يُرزقوه حسراتٌ وفي القلوب حّزازه
إنما العلم من معاجز عيسى كم جهول أحياء وهو جنازه
صاحب العلم يركب المجد طرفاً جاعلاً غاية العلى مهمّازه (٢)
ويهرّ الدنيا رجاءً وخوفاً بيدٍ من درايةٍ هزّازه
نحن سقّرة وما الرواحل والزنا دُ سوى العلم والحياة مفّازه (٣)
كل من لم يُعده لاجتياز لم تيسّر يد النجاح اجتيازَه
إن عتل الفتى ليصبح بالعلم رزينا بكف من قد رازه (٤)
والطباع العرجاء في كل شخص تقتضى من ثقافة عكّازه
ألغز الدهر في الحقائق لكن أفهم العلم أهله ألغازَه
وإذا الأمر قد غشته الغواشي ضمن العلم للورى إبرازه

كان للعلم في القديم طريق غير رحب يشقُّ أن يجتازه

(١) الأبلق الفرد : حصن معروف للسوءل بن عادباء اليهودى بأرض تيماء من بلاد العرب ، قال فيه الشاعر :

هو الأبلق الفرد الذى سار ذكره ينز على من رامه ويطول

(٢) الطرف : الحصان الكريم ، والمهمّاز ما يبحث به الفرس على السير .

(٣) مفازة : صحراء يهلك فيها السائر الذى لم يستعد لها .

(٤) رازه : اختبره بيده ليعرف ثقله .

فجرى اليوم في طريق جديد جعل الشك واليقين طرازه
هو صيدٌ ولم يعد يجعل المصطاد منه غير التجارب بازه^(١)
قد عرفنا حقيقة القول فيه وتركنا للغافلين مجازه^(٢)
وبحثنا عن جوهر الحق فيه قبلنا دفينه وركازه^(٣)
بله إطناب شرحه بقياس إن في تجرباته إيجازه^(٤)
هو في الناس قدره متعال لم يطل صرح إيفل أنشازه^(٥)
وإذا الملك لم يؤيده علم فارتقب سلبه ورج ابتزازه^(٦)
وإذا العلم فاه يوما بوعده ذهب اليأس آملاً إنجازه^(٧)
وإذا أنشط الجبان لحرب صال يرغو حمسة وحمازه
قلم المرء في بلوغ المعالي فائق في وغى الحروب جرازه^(٨)
صاحب العلم في الأمور أمير قد غدا كل حادث جلوازه^(٩)
يبصر الخطب من هواديه حتى يلتهى فيه مبصراً أعجازه^(١٠)
فلهذا ، نعم لهذا أهني كل من حاز في العلوم إجازته

-
- (١) شبه العلم بصيد ، وجعل التجربة كالبايزي ، وهو الصقر الذي يستعان به على الصيد .
(٢) يقول : استعنا في عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة الموجزة ، واستغنينا بها عن الشرح الطويل ، وانقياس المنطوق النظري .
(٣) الركاز : المعادن المدفونة في الأرض .
(٤) يقول : في عصرنا على تحقيق العلم بالتجربة .
(٥) صرح إيفل ، أو برج إيفل : بناء عال جداً في فرنسا ، والآثار جميع نشر ، وهو كل شيء مرتفع ، يقول : إن قدر العلم وشرقه عال جداً لا يساميه برج إيفل علواً .
(٦) يقول : إن الملك الذي لا يقوم على دعائم العلم لا يلبث أن يضيع ويسلب .
(٧) إذا وعد العلم بتحقيق غرض ، فلا بد أن يناله ، وإن ظنه الناس مستحيلاً أو بعيداً .
(٨) الجراز : السيف .
(٩) الحلواز : بمعنى الشرطي .
(١٠) هواديه : أوائله وقدماته

العلم

إلى شبان السكينة الانكليزية في القدس

لا يبلغ المرء منتهى أربه
فأو إلى ظله تعش رغداً
واتعب له تترح به أبداً
ولذة العلم من تذوقها
وإن للعلم في العلي فلكا
فاسع إليه بعزم ذي جلد
وأبدل له ما ملكت من نسب
لا تتكل بعده على نسب
واطرح المجد غير طارفه
ما أبعد الخير عن فتى كسل
كم رفع العلم بيت ذي ضعة
حتى تمنى أعلى الكواكب لو
وودت الشمس في أشعتها
وإن يسد جاهل فسودده
يرى امرؤ مجد جاهل عجا
كم كذب الدهر في فعائله
العلم فيض تحيا القلوب به
كل فخار أسبابه انقطعت
للعلم وجه بالحسن منتقب

إلا بعلم يجد في طلبه
عيشاً أميناً من سوء منقلب
فراحة المرء من جنى تعب
أضرب عن شهده وعن ضرب
كل المعالي تدور في قطبه
مصمم الرأي غير مضطرب
فالعلم أبقي للمرء من نشبه
فالعلم يغني النسيب عن نسبه
واجتنب الفخر غير مكتسبه
يسرح في لهوه وفي لعبه
فقصر الناس عن مدى حسبه
يحل بيتا يكون في صقه
لو كن يحسبن من قوى طنبيه^(١)
بعد قليل يفضي إلى عطبه
لو صح عقلاً لكف عن عجه
وسودد الجاهلين من كذبه
فامتحن بسجل الحياة من قلبه^(٢)
إلا فخاراً يكون من سبيه
وسافر منه مثل متقبه

(١) الطنب : جبل تشد به الحيمة .

(٢) السجل : الدلو . والقلب : جمع قليب ، وهي البئر .

ما حسن وجه الفتى بمفخرة
ما أقدر العلم إن صحته
من تحذ العلم عدة لوغى
فانتدب العلم للخطوب فما
العلم كالنور بل أفضله
سقيًا ورعيًا لروض معده
ما الناس إلا رؤاد نجعته
ومن غدا هاديًا يعلمه
ومعهد أسست قواعده
شيده للعلوم مدرسه
قد غرّد المجد في جوانبه
وأصبح العلم فيه مزدهرًا
بمثله في البلاد قاطبة
أضحت فلسطين منه ممرعة
تاقت به إيلياء فاخرة
شكرا لبانيه ما أقام به

إن لم يؤيد بالحسن من أدبه
يعن منها الخميس في هربه^(١)
أغناه عن درعه وعن يكبه^(٢)
خاب لعمرى رجاء منتدبه
ما أفقر النور أن يشبه به
وطالبيه وقارئ كته
وناثروه وكاشفو حجه
وراح يشفى الجهول من وصبه
في بلد شفى هوى عربه
من كان نشر العلوم من دأبه
فاهتز عطف الفخار من طربه^(٣)
بكل ذاكى الذكاء ملتبه
يشفى عقور الزمان من كلبه^(٤)
مذ جادها بالغزير من سجه^(٥)
على دمشق الشام أو حلبه
شبانه القاطنون فى قببه

-
- (١) الخميس : الجيش ، لأنه خمس فرق : قلب ، وجناحان ، ومقدمة ، ومؤخرة . يعن : يبلغ .
(٢) عدة الحرب أدواتها ، والياب : الترس أو الدروع من الجلود ، أو جلود يخز بعضها إلى بعض تلبس على الرءوس خاصة .
(٣) العطف : الجانب .
(٤) شبه الزمان بالكلب العقور ، وهو المصاب بالكلب ، فإذا عض إنسانا عقره أى أهلك .
(٥) الممرع : المخصب . جادها : أنزل بها المطر الجود الغزير .

دار الأيتام

أو مدرسة سنلر في القدس

لدار سنلر في القدس فضلٌ به تنسى تيتّمها اليتامى
ويحمده من الفقراء طفلٌ يذمّ لفقد والده الحماما
بها يجد اليتيم له مقامًا إذا ما الدهر أفقده المقاما
يرى عن أمّه أمّا عطوفا عليه وعن أبيه أبّا هماما
تمت نهارها فيه ليحيا وتحي الليل فيه لكى يناما
فتشرب نفسه حبّ المعالي وتطعم جسمه منها الطعاما
وترأم كل من فجعوا بيتم صغاراً قبل ما بلغوا الفطاما^(١)
ويدخلها يتيم القوم طفلاً فتخرجه لهم يفعاً غلاما
عليماً بالحياة يسير فيها على علم فيخترق الزحاما
وقد لبس الفضيلة وارثاها وشد عليه من حزم حزاما

* * *

وقفت بها أعاطيها التحايا وأستقى لساكنها الغماما
وأشكر فضلها والشكر عجز إذا هو لم يكن إلا كلاما
أدار سنلر لا زلت مأوى لأبناء الأرامل والأيامي
أثابك مالك الملوك عنهم مئوبة كل من صلّى وصاما
ضممت لهم رغيد العيش حتى أخذت على الزمان لهم ذماما
وجار الدهر معتديا عليهم فكنت لهم من الدهر انتقاما
إذا ما أبكت الدنيا يتيما أعدت بكاءه منه ابتساما
لقد هوّنت رزء اليتيم حتى غفرنا للزمان بك الأثاما

(١) رثمت الأم ولداها : شتمته وعطفت عليه .

وكاد إذا رأى مَنُكَ راء
ليكت فيك مغتبطا سعيدا
ويعلم كيف يدَّرع المعالي
وما فقد المسيح الناسُ لما
فَنُبتِ عن المسيح وقت حتى
ولا عجب فقد جدَّت منه
شمخت على ربِّا القدس اعتلاء
ولحت بأفقا بدرأ منيرا
ألا إن النجوم بشعريها
هزرت الطور فهو يكاد يمشي
وجاذبت الكرامة خير قبر
تُباهي القدس مكة فيك حتى
فلا برحت رُبوعك عامرات
يودَّ بأن يكون من اليتامى
ويكسب عندك الشرف الجساما^(١)
ويعرف كيف يبتدر المراما
أعدت لهم خلائقه الكراما
لقد شكر المسيح لك القياما
عواطف كان عم بها الأناما
فكنت لمن من شرف وساما
جلا من ليل أَيْوسها الظلاما
لنحسُد من مَرابعك الرغاما^(٢)
إليك على تقدسه احتراما
به دفن المسيح ومنه قاما
تفاخر فيك مشعرها الحراما
نسلُّ على الشقاء بها حساما

الفقر والسقام^(*)

أَيّ مضى يمدّها باكتئاب
يتشكى والليل وحف الإهاب
صَفَعْتَهُ فقال كفُّ الخراب^(٤)
أنَّ تترك الحشا في الثهاب
ضمن بيت جثا على الأعقاب^(٣)

تسمع الأذن منه صوتا حزينا راجعا في حشا الظلام كميناً

(١) الشرف الجسام : الجسم .

(٢) الشعريان : الشعرى العبور ، والنميصاء : كوكبان مضيئان ، والرغام : التراب .

(*) من الجزء الأول .

(٣) الوحف : الشعر الكثير الأسود . لإهاب : الجلد . يصف شدة ظلام الليل . جثا على

الأعقاب : يريد أنه قارب أن يتهدم . (٤) كف : فاعل صفعت .

يملاً الليل بالدعاء أنينا ربّ كن لى على الحياة معينا
 ربّ إن الحياة أصل عذابي
 وجّع في مفاصلى دقّ عظمى ودهانى ولم يرقّ لعدى^(١)
 عاقنى عن تكسبى قوت يرمى ربّ فارحم فقرى بصحة جسمى
 إن فقرى أشد من أوصابى^(٢)
 يا طبيباً وأين منى الطبيبُ حال دون الطبيب فقر عصب^(٣)
 لا أصاب الفقير داء مصيب إن سقم الفقير شئ عجيب
 بطلت فيه حكمة الأسباب

u * o

رجلٌ معسر يسمّى بشيراً كان يسعى طول النهار أجيراً
 كاسباً قوته زهيداً سيراً مانكاً فى المعاش قلباً شكوراً
 راجياً فى المعاد حسن المآب^(٤)
 عالٍ أخناً حكته خلقاً نزيهاً عانساً جاوز الزوج سنيها^(٥)
 لزمت بيت أمها وأبيها مع أخيها تعيش عند أخيها
 مثله فى الطعام أو فى الشراب
 كل يوم له ذهاب ومأتى فى معاش من كده يتأتى^(٦)
 هكذا دأبه مصيفاً ومشتى فاعتراه داء المفاصل حتى
 عاقه عن تعيش واكتساب
 بينما كان فى قواه صحيحاً ساعياً فى ارتزاقه مستميجاً^(٧)

(١) العدم : الفقر .

(٢) الأوصاب : الأمراض . (٣) عصب : شديد .

(٤) أى أن ذلك المضى الذى مر ذكره فى أول القصيدة هو رجل معسر الخ .

(٥) عالٍ أخناً : كفلها وكفهاها معاشها . العانس : هى التى طال مكثها فى بيت أهلها بعد إدراكها ولم تزوج .

(٦) يتأتى : يتبها . (٧) مستميجاً : طالباً .

إذ عراه الضنى فعاد طليحا ورمته يد السقام طريحا^(١)
جسمه من سقامه في اضطراب

بات يبكي إذا له الليل آوى بعيون من السهاد نشاوى^(٢)
فترى وهو بالبكاء يتداوى قطرات من عينه تتهاوى
كشهاب ينقض إثر شهاب^(٣)

إن سقما به وعقما ألما تركاه يذوب يوما فيوما
فيو حيناً يشكو إلى السقم عذما وهو يشكو حيناً إلى العدم سقما
باكيا من كليهما بانتحاب

ظل يشكو للأخت ضعفاً وعجزاً إذ تعزّيه وهو لا يتعزى
أيها الأخت عزّ صبرى عزّا إن للداء في المفاصل وخزا^(٤)
مثل طعن القنا ووخر الحراب^(٥)

قد تمادى به السقام وطالا وترآى له الشفاء محالا
إذ قلاباً به السقام استحالا كان مقيماً فصار داء عضالا^(٦)
ناشبا في الفؤاد كالنشاب^(٧)

ظل ملقى وأعوزته المطاعم موثقا من سقامه بالأداهم^(٨)
منقفا عند ذاك بعض دراهم ربحتها من غزلها الأخت فاطم
قبل أن يتلى بهذا المصاب

(١) الطليح : المزلزل . (٢) نشاوى : سكارى ، جمع نشوان .

(٣) الشهاب : هو ما يرى كأنه كوكب قد سقط .

(٤) الوخر : الطعن غير النافذ بـ ربح أو إبرة أو غير ذلك .

(٥) القنا : جمع قنّاء ، وهى الرمح .

(٦) القلاب : داء القلب . داء عضال : شديد متعب غالب .

(٧) ناشبا عالقاً .

(٨) أعوزته المطاعم : احتاج إليها فلم يقدر عليها . موثقا : مقيدا . الأداهم : القيود .

قال والأخت أخبرته بأن قد كُوبِت عندها الدراهم تنفذ^(١)
أخبري السقم علّه يتبعسد أيها السقم نخل عيشي المنكد
لا تعقني في عيشتي عن طلابي

مرّضيني شقيقتي مرّضيني وعلى الكسب في غدٍ حرّضيني
وإذا مسك الطوى فإرفضيني أو على الناس الصبيح اعرضيني^(٢)
علمهم يشـتروني ممّا بي

رام خبزاً والجوع أذكى الأوارا في حشاه فعلكتة انتظارا
ثم جاءت بالماء تبدى اعتذارا وهل الماء وهو يطفى ناراً
يطفى الجوع ذاكيا في التهاب

خرجت فاطمة إلى جارتها وهي تدرى الدموع من مقلتيها
فأبانت برقة حالتيها من سقام ومن سعار لديها^(٣)
وشكت بعد ذلك خلوا الوطاب^(٤)

فأثنت وهي بين ذل وعزّ تحمل التمر في يد فوق خبز^(٥)
وبأخرى سمناً وبعض أرزاً منحوها به وذو العرش يجزى
من أغان الفقير حسن الثواب

* * *

لياسة تنشر العواصف ذعرا في دجاها حيث السحاب اكفها^(٦)
ذا هزيم يمج في الأذن وقرأ حين تبدى صوالج البرق تترى^(٧)
كهربائية سرت في السحاب

(١) كُوبِت : كادت . (٢) الطوى : الجوع . (٣) السعار : بضم السين : شدة الجوع .
(٤) الوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن من الجلد ، وخالو الوطاب كناية عن الفقر والحاجة
(٥) أثنت : رجعت . (٦) ذعرا : خوفا . اكفها : تراكم واشتدت ظلمته .
(٧) الهزيم : الرعد وصوته . يمج : يلقى . الوفر : الصمم . صوالج : صولجان وهو ما يضرب
به الكرة . وصوالج البرق : هي الرياح التي تسوق السحب بشدة ، فيحصل منها الاحتكاك الذي
يولد البرق ، فان كان الاحتكاك اعظم حصل مع البرق صوت الرعد .

مدَّ فيها ذاك المريض الأكفا في فراش به على الموت أوفى^(١)
 طرفها كالشها يبين ويخفى حيث يُغضى طرفاً ويفتح طرفاً^(٢)
 عاجزاً عن تكلم وخطاب
 فدعته والعين تذرّى الدموعا أخته وهي قلبها قد ريعا
 يا أخى أنت ساكن أفجوعا ساكت أنت يا أخى أم هُجوعا^(٣)
 فاشفنى يا أخى برجع الجواب
 فرأت منه أنه لا يجيب فتدانت والدمع منها صبيب
 ثم أصعبت وفي الفؤاد وجيب ثم هابت والموت شيء مهيب^(٤)
 ثم قامت بحشوية وارتباب
 خرجت فاطم من البيت ليلاً حيث أرخى الظلام سِدلاً فسدلاً^(٥)
 وهي تبكى والغيث يهطل هطلاً مثل دمع من مقلتيها استملاً
 أو كماء جرى من الميزاب
 رب أدرك باللطف منك شقيقى وامنع الغيث رب عن تعويقى
 ومُر البرق أن يضىء طريقى ببريق يبيده إثر بريق
 فعى أهتدى به فى ذهاني
 قرعت فى الظلام باب الجار وهي تبكى الأسى بدمع جار
 ثم نادى برقة وانكسار أم سلمى ألا بحق الجوار
 فافتحى إني أنا فى الباب
 فأتتها سعدى وقد عرفتها وعن الخطب فى الدجى سألتها^(٦)

(١) أوفى : أشرف .

(٢) الشها : نجم خفى تمتحن الأبصار برؤيته . يغضى : يغمض .

(٣) الهمة : الاستفهام ، والفاء عاطفة ، وجوعا : مصدر منصوب على أنه مفعول لأجله من ساكت . وأصل العبارة : أدأنت ساكت جوعا أم ساكت هجوعا ، أى نوما .

(٤) الوجيب : الحفطان والرجفان .

(٥) السدل : الستر .

(٦) الخطب : الأمر .

ثم سارت من بعد ما أعلمتها تقتفيها وبنتها تبعتهما
فتخطين في الدجى بانسياب^(١)
جئن والشَّحْب أقامت عن حياها وكذلك الرعود قلَّ رُغَاها^(٢)
حيث يأتى شبه الأنين صداها غير أن البروق كان ضياها
مُومِضاً في السماء بين الرِّباب^(٣)
فدخلن المحلَّ وهو نحيف حيث إن السكوت فيه كثيف^(٤)
وضياء السراج نزر ضعيف وبه في الفراش شخص نحيف
دب منه الحُمام في الأعصاب^(٥)
قالت الأخت أمَّ سامى انظريه ثكلت روح أمه وأبيه^(٦)
فرأت منه إذ دنت نحو فيه نفساً مبطئاً التردد فيه
ثم قد غاله الردى باقتضاب^(٧)
وجمت حيرة وبعد قليل رمت فاطماً بطرف كليل^(٨)
فيه حملٌ على العزاء الجميل فعلا صوت فاطم بالعويل
وبكت طول ليلها بانتحاب
فاستمرت حتى الصباح توالى زفراتٍ بناورها القلبُ ضال^(٩)
فأتاها ودمعها في انهمال بعض جاراتها وبعض رجال
من صعاليك أهل ذلك الجناب^(١٠)
وقفوا موقفاً به الفقر ألقى منه ثقلاً به المعيشة تشقى

- (١) الانسياب : الانسراع في المشى . (٢) الحيا : المطر . الرغاء : صوت الرعد .
(٣) الرِّباب : بفتح الراء : السحاب الأبيض الذى أراق ماءه .
(٤) شبه كثرة السكوت بجيش كثيف أى عظيم .
(٥) الحُمام : الموت . (٦) ثكلته أمه : فقدته .
(٧) غاه : أهلكه . الاقتضاب : الانزعاج والاضطراب .
(٨) وجمت : سكنت من كثرة النعم والحزن . (٩) صال : محترق .
(١٠) الصعاليك : الفقراء . مفردهما : صعوكة . الجناب : هو المكان القريب من محلة القوم .

فَرَأَوْا دَمْعَ فَاطِمَ لَيْسَ يَرْقَا وَأَخُوهَا مَيِّتٌ عَلَى الْأَرْضِ مُلْقًى^(١)
مُدْرَجٌ فِي رِثَائِثِ الْأَثْوَابِ^(٢)

فَعَدَّتْ فَاطِمُ تَرَنَّنَ رَيْنِنَا بَيْكَاءَ أَبْكَتَ بِهِ الْوَاقِفِينَ
ثُمَّ قَالَتْ لَهُمْ مَقَالًا حَزِينًا أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ هَلْ تَرْجُونَا
مِنْ مُصَابِ دَهَا وَأَيِّ مُصَابِ

أَيُّهَا الْوَاقِفُونَ لَا تَهْمَلُوهُ دُونَكُمْ أَدْمَعِي بِهَا فَاغْسِلُوهُ
ثُمَّ بِالثَّوْبِ ضَافِيًا كَفْنُوهُ وَادْفِنُوهُ لَكِنْ بَقَلْبِي ادْفِنُوهُ
لَا تَوَارَوْا جِينَهُ بِالْتَرَابِ

بَعْدَ أَنْ ظَلَّ لَافْتِقَادَ الْمَالِ وَهُوَ مُلْقًى إِلَى أَوَانِ الزَّوَالِ
جَادَ شَخْصٌ عَلَيْهِ بَعْدَ سُؤَالِ بَرِيَالٍ وَزَادَ نِصْفَ رِيَالِ
رَجُلًا حَاضِرًا مِنَ الْأَنْجَابِ^(٣)

كَفَّنُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا تَمَّ غُسْلُهُ وَتَمَشَّوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ حَمَلًا
فَتَرَى نَعْشَهُ غَدَاةً اسْتَقْلًا نَعَشَ مِنْ كَانَ فِي الْحَيَاةِ مُقْلًا^(٤)
دُونَ سِتْرِ مَكْسَرِ الْأَجْنَابِ

نَاحَتْ الْأَخْتَ حِينَ سَارَ وَصَاحَتْ أَخْتُكَ الْيَوْمَ لَوْ قَضَتْ لَاسْتِرَاحَتْ
ثُمَّ سَارَتْ مَدْهُوشَةً ثُمَّ طَاحَتْ ثُمَّ قَامَتْ تَرْنُو لَهُ ثُمَّ رَاحَتْ^(٥)
تَسْكَبُ الدَّمْعَ أَيُّهَا تَسْكَابُ

أَيُّهَا الْحَامِلُوهُ لَا مَشَى رَكْضٍ إِنْ هَذَا يَوْمَ الْفِرَاقِ الْحَضِ^(٦)
فَاسْأَلُوهُ عَنْ قَصْدِهِ أَيْنَ يَمْضِي إِنَّهُ قَدْ قَضَى وَلَمْ يَكُ يَقْضِ
وَاجِبَاتِ الصَّبَا وَشَرَحَ الشَّبَابِ^(٧)

(١) لَيْسَ يَرْقَا : لَا يَجِفُّ . وَأَصْلُهُ : يَرْقَا بِالْهَمْزِ ، تَخَفَّفَ .

(٢) مُدْرَجٌ : مَكْنً . رِثَائِثُ الْأَثْوَابِ : الْبَالِي مِنْهَا .

(٣) الْأَنْجَابُ : جَمْعُ نَجَبٍ ، وَهُوَ الدُّخَى الْكَرِيمُ .

(٤) اسْتَقْلًا : ارْتَفَعَ مَقْلًا : فَقِيرًا .

(٥) طَاحَتْ : سَقَطَتْ .

(٦) شَرَحَ الشَّبَابُ : أَوَّلُهُ .

(٧) الْمَضَى : الْمَوْجِعُ الْمَوْءَلَمُ .

إن قلبي على كريم السجايا طاح والله من أساء شظايا^(١)
 قائل الله يا بن أمي المنايا أنا من قبل مذ حسبت الرزايا
 لم يكن زرع موتكم في حسابي
 إن ليلي وليس من راقديه كلما جاءني وذكريه^(٢)
 قلت والدمع قائلاً لي إيه يا فقيداً أتاب الموت فيه^(٣)
 يبكاني وهل يفيد عتابي

رحت يوماً وقد مضت سننان أتمشي « بشارع الميدان »
 مشى حيران خطوه متدان أثقلته الحياة بالأحزان^(٤)
 وسقته كأساً كطعم الصاب^(٥)
 بينما كنت هكذا أتمشي عرضت نظرة فأبصرت نعشا
 بادياً للعيون غير مغشى نقش الفتر فيه للحزن نقشا
 فبدا لوح أبؤسي واكتئاب
 قلت سرّاً والنعش يقرب مني أيها النعش أفت أنعشت حزني
 للأسى فيك حالة ناسبتني إن بدا اليوم فيك حزن فإني
 أنا للحزن دائماً ذو انتساب

رحت أسعى وراءه مذ تعدّي مسرعاً في خطاي لم آل جهداً^(٦)
 مع رجال كأنهم النعش عدا هم به سائرون سيرا مجداً^(٧)
 فتراه يمر مرّاً السحاب

(١) طاح : معناها هنا ذهب . من أساء : من حزنه . شظايا : قطعاً ، وهي جمع شظية ،

ونطلق على كل فلفة من شيء .

(٢) راقديه . النائم فيه .

(٤) متدان : متفارب .

(٦) تعدّي : تجاوز

(٧) أي عدد حاملي النعش كعدد أنجم نيات نعش ، وهي سبعة .

(٣) إيه . كلمة يطلب بها استعادة الحديث .

(٥) الصاب : شجر مر .

منذ لحدنا ذاك الدفين وعدنا قلت والدمع بلّ مني رُدُّنا^(١)
 إن هذا هو الذي قد وعدنا فأبينوا من الذي قد لحدنا
 فتصدّى منهم فتى جوابي
 قال إن الدفين أخت بشير أخت ذاك المسكين ذاك الفقير
 بقيت بعده يعيش عسير وبطرف بالك وقلب كبير
 وقضت مثله بداء القلاب
 قلت أقصر عن الكلام فحسبي منك هذا فقد تنزل قلبي
 ثم ناجيت والضراعة ثوبى ربّ رحماك ربّ رحماك ربى^(٢)
 ربّ رشداً إلى طريق الصواب
 ربّ إن العباد أضعف أن لا يجدوا منك ربّ عفواً وفضلاً
 فاعفُ عن أخذهم وإن كان عدلاً أنت يارب أنت بالعفو أولى
 منك بالأخذ والجزا والعقاب
 قد وردنا والأرض للعيش حوض واحد كلنا لنا فيه خوض
 فلمّاذا به مشوبٌ ومحض عظمت حكمة الإله فبعض^(٣)
 فى نعيم وبعضنا فى عذاب
 أيها الأغنياء كم قد ظلمتم نعيم الله حيث ما إن رحمتهم
 سهر البائسون جوعاً ونتم بهناء من بعد ما قد طعمتم
 من طعام متنوع وشراب
 كم بذلتم أموالكم فى الملاهى وركبتم بها متون السفاه
 وبخلتكم منها بحق الإله أيها الموسرون بعض انتباه
 أفندرون أنكم فى تباب^(٤)

(١) الردن بضم الراء : أصل الكم .

(٢) الضراعة ثوبى : أى وأنا لابس ثوب الضراعة .

(٣) مشوب : مخلوط . محض : خالص من الكدورة .

(٤) التباب : الحسران .

تنبيه النيام (*)

أما آن أن يغشى البلاد سعورها
متى يتأتى في القلوب انتباهها
أما أسدٌ يحمى البلادَ غضنفرٌ
برئت إلى الأحرار من شرِّ أمة
سقى الله أرضاً أحملت من أمانها
جرى الجور منها في بلادٍ وسيعه
وينهب هذى النيام هجودها
فينجاب عنها ريبها وجمودها^(١)
فقد عاث فيها بالمظالم سيدُها^(٢)
أسيرة حكام ثقال قيودها
وقد كان رؤاد الأمان ترودها^(٣)
فضاقت على الأحرار ذرعاً حدودها

* * *

عجبت لقوم يخضعون لدولةٍ
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها
إذا وليت أمرَ العباد طغاتها
وأصبح حرُّ النفس في كل وجهه
وصارت لناس الناس تعلو كرامها
فأنت إلا أيها الموت نعمة
يسوسهم بملوبات تميمها
وأموالها منهم ومنهم جنودها
وساد على القوم السراة مسودها
يُردُّ مهاناً عن سبيلٍ يريدُها
وعاب لبيداً في النشيد بليدها^(٤)
يعزُّ على أهل الحفاظ جحودها^(٥)

* * *

ألا إنما حرية العيش غادة منى كل نفس وصلها ووفودها

(*) من الجزء الأول .

(١) الرين : ما غنى على القلب بحيث يحجب عن رؤية الحقيقة .

(٢) عاث فيها : أفسدها . السيد : الذئب .

(٣) الرواد : جمع رائد ، وهو الرسول الذى يرسله القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه . يقال

منه راد المكان يروده ، وارتاده يرتاده ، بمعنى طلبه .

(٤) لبيد : علم الشاعر المشهور .

(٥) أهل الحفاظ المحامون عن عوراتهم ، والمدافعون دون أن يصل إليهم الضيم .

يُضَيءُ دَجَنَاتِ الحَيَاةِ جَبِينَهَا وتبدو المعالي حيث أطلع جيدها^(١)
لقد واصلت قوماً وخلت وراءها أناساً تمنى الموت لولا وعودها
وقد مرضت أرواحنا في انتظارها فما ضرَّها والهفتا لو تعودها^(٢)

* * *

بني وطني ما لي أراكم صبرتم على نوب أعيا انحصاة عديدها
أما آدكم حمل الهوان فإنه إذا تحلته الراسيات يثودها^(٣)
قعدتم عن السعي المؤدى إلى العلى على حين يُزرى بالرجال قعودها
ولم تأخذوا للأمر يوماً عتاده فجاءت أمور ساء فيكم عتيدها^(٤)
ألم ترؤا الأقوم بالنسعى خللت ما أثر يستقصي الزمان خلودها
وساروا كراماً رافلين إلى العلى بأثواب عز ليس يبلى جديدها

* * *

قد أستحوذت يا للخسار عليكم شياطين إنس صال منكم مريدها^(٥)
وما اتقنت نار الحمية منكم لفقد اتحاد فاستطال خمودها^(٦)
ولولا اتحاد العنصرين لما غدا من النار يذكو لو علمتم وقودها
إذا جاهل منكم مشى نحو سبّة مشى جمعكم من غير قصد يريدها^(٧)

(١) أطلع عنقه : مده متجاوزاً . (٢) تعودها : تروورها : من عيادة المريض .

(٣) آدكم : أنقلكم . يثودها : يثقلها .

(٤) الاتحاد : العدة لأمر ما تهبؤه وما أعد من سلاح ودواب وآلة حرب . العتيد : الحاضر المهيأ . يقول لم استعدادوا للرق فيما مضى ، فجاءكم يوم ساءكم فيه حاضركم ، وبني بالحاضر ما كانت تقاسيه الأمة من جور الحكام واستبداد الطغاة ، وهو يصلح حالنا الحاضرة أيضاً ، ويكون حاضرنا السابق ماضياً ، وحريقتنا الآن حاضر لنا ، فانها جاءتنا على غير استعداد منا لها بما أفسده الظالمون من نفوسنا فأسانا استعمالها ولم نحسن فهمها بسبب ما يوحيه المتقهقرون إلى زعانق القوم وما يثبونه في نفوسهم من الشرور : تارة باسم الوطنية . أصلح الله الأحوال وجعل كيد الرجعيين في ضلال .

(٥) المريد : الخبيث المتمرد الشرير .

(٦) أى أن نار حميتكم لم تنفد لأنكم لم تتحدوا ، فإن اشتعال النار لا يكون إلا باتحاد العنصرين : الأكسجين والكربون .

(٧) السبّة : العار .

كأنكم المعزى تهكّون عندما نزا فنزت فوق الجبال عتودها^(١)
وما ثلة قد أهمتها رعاتها بمأسدة جاءت لعشر أسودها^(٢)
فباتت ولا راع يحامى مراحمها فرائس بين الضاريات تبيدها
بأضيع منكم حيث لا ذو شهامة يذب الرزايا عنكم ويذودها^(٣)

* * *

أنطمع هذى الناس أن تبلغ المنى ولم تور في يوم الصدام زنودها^(٤)
فهل لمعت في الجوّ شعلة بارق وما ارتجست بين الغيوم رعودها^(٥)
وأدخنة النيران لولا اشتعالها لما تمّ في هذا القضاء صعودها
وإن مياه الأرض تعذب ما جرت ويفسدها فوق الصعيد ركودها
ومن رام في سوق المعالي تجارة فليس سوى بيض المساعي تقودها

سوء المنقلب (*)

بغداد حسبك رقدة وسبات أو ما تمضك هذه النكبات^(٦)
ولعت بك الأحداث حتى أصبحت أدواء خطبك ما هن أساة^(٧)
قلب الزمان إليك ظهر مجنّه أفسك عندك للزمان نرات^(٨)

(١) نزا : وثب . العتود : الجدى الذى استكرش ؛ أو هو مارعى وقوى وأتى عليه حول ، يريد بذلك أنه إذا قام قائم منا بأمر نتاجه عليه من غير أن تعلم ما هو ولا أن ندري أ كانت عاقبته شراً أو خيراً .

(٢) الثلة بفتح التاء : الجماعة الكثيرة من الغنم . وأما الثلة بضم التاء : فهي الجماعة من الناس . المأسدة : المكان الذى تكثر أو تربى فيه الأسود .

(٣) يذب : يدفع ومثله يذود .

(٤) أورى الزند : أخرج ناره . والزند : العود الذى يقتدح به النار والأسفل يقال له زنده .

(٥) ارتجست السماء : رعدت ، وارتجست البناء : رجف وتحرك حركة سمع لها صوت .

(*) من الجزء الأول .

(٦) السبات : النوم . تمضك : توجعك .

(٧) الأحداث : الزوازل . أدواء : جمادات . أساة : أطباء .

(٨) المجن : الترس ؛ وقلب له ظهر المجن : أى صارحه بالعداوة . نرات : عداوات ، وهى

جمع نرة .

ومن العجائب أن يحسك ضره
إذ من دباله وفقرات ووجلة
إن الحياة لفي ثلاثة أنهر
قد ضلّ أهلك رشدهم وهل أهتدى
قوم أضاعوا مجدهم وتفرّقوا
لقد استهانوا العيش حتى أهملوا
يا صابرين على الأمور تسومهم
لا تهملوا الضرر اليسير فإنه
قالنار تنهب من سقوط شرارة
لا تستقيموا للزمان توكلاً
فإلى متى تستهلكون حياتكم
تالله إن فعالكم بخلافه
أقترعون بأن ترك السعي في
إن صحّ نقلكم بذلك فبينوا
لم تلقَ عندكم الحياة كرامةً
شقيت بكم لما شقيتم أرضكم
وجهتم النهج السوي إلى العلى

من حيث يتفجع لو رعتك رعاة^(١)
أمت تحلّ بأهلك الكروبات
تجري وأرضك حولهنّ موات
قومٌ أجاهلهم هم السروات^(٢)
فتراهم جمعاً وهم أشستات
سعيّاً مغبة تركه الإعانات^(٣)
خسفاً على حين الرجال أباة^(٤)
إن دام ضاقت دونه الفلوات^(٥)
والماء تجمع سبيله القطرات
فالدهر نزاء له وثبات^(٦)
فوضى وفيكم غفلة وأناة^(٧)
نزل الكتاب وجاءت الآيات^(٨)
هذى الحياة توكل وتقاة^(٩)
أو قام عندكم الدليل فهااتوا
في حالة فكأنكم أموات
فلها بكم ولكم بها غمرات^(١٠)
فترادفت منكم بها العثرات

(١) رعاة : جمع راع .

(٢) السروات : السادة والرؤساء .

(٣) المغبة : العاقبة . الاعانات : الازلال والايقاع في الشدة وفي أمر يخاف منه .

(٤) سامه الخسف : أذله وأهانته . أباة : لا يرضون الضيم والاهانة .

(٥) الفلوات : الأراضي المذسعة .

(٦) نزاء : وثاب .

(٧) الأناة : الحلم .

(٨) التقاة : التقوى .

(٩) الثقاة : الثبائد .

(١٠) الغمرات : بمعنى الغم .

بالعلم تنتظم البلاد فإنه إن البلاد إذا تخاذل أهلها
تلك الرصافة والمياه تحفها سالت مياه الوادين جوارفا
فتهاجم الماءان من ضفتيهما حتى إذا اتصل الفرات بدجلة
زحفت جيوش السيل حتى أصبحت فسدت بيوت الكرخ شر مقيئ
واستنقعت فيها المياه فطحلت حتى استحال الكرخ مشهد أبؤس
طرقاته مسدودة ودياره ياكرخ عز على المروعة أنه
فلئن أمانتك السيول فإنما لرقى كل مدينة مرقاة
كانت منافعها هي الآفات والكرخ قد ماجت به الأزمات^(١)
فطفحن والأسداد مؤتكلات^(٢) فتناطحا وتوالت الهجمات^(٣)
وتساوت الوهداث والربوات^(٤) بالكرخ نازلة لها ضوضاء^(٥)
منها فقاء أهلها الأبيات^(٦) بالمكث ترغو تحتها الحمات^(٧)
تبكي به الفتیان والفتيات مهدومة وعراضه قذرات^(٨)
لجج المياه عليك مزدحات أمواجهن عليك ملتطيات^(٩)

• • •

(١) الأزمات : الشدائد .

(٢) الأسداد : جمع سد . مؤتكلا : آكل بعضها بعضا .

(٣) ضفتيهما : جانبيهما . والضفة بتشديد الفاء وخففها الشاعر للضرورة وكان له مخلص من هذه الضرورة وذلك بأن يقول من ضفويهما لأن الضفويين مثنى ضفا . والضفة والضفة بمعنى واحد .

(٤) الوهداث : جمع وهدة وهي المنخفض من الأرض ؛ والربوات جمع ربوة وهي المرتفع منها .
(٥) الضوضاء : الحلبة وأصوات الناس .

(٦) شبه الماء الداخلى إلى البيوت بما يشربه الانسان من المبيات ؛ فكما يخرج الانسان مافى جوفه بعد شرب المقيئ ؛ فكذلك البيوت أخرجت ما فيها من السكان بعد دخول الماء .

(٧) طعلبت : علامها الطعلب وهي خضرة تلعوالماء الزمن . الحمات : جمع حامة وهي الطين الأسود ؛ أراد بها جثث الذين لم يستطيعوا الخروج من البيوت .

(٨) العراض : جمع عرصة ؛ ساحة الدار . وهي البقعة الواسعة بين الدور التي ليس فيها بناء .

(٩) يقول : إذا كانت السيول سبب موتك فإن أمواجه تنظم حزنا عليك .

من مبلغ المنصور عن بغداده
 أمست تناديه وتندب أربعاً
 وتقول : يا أبا الخلائف لو ترى
 لغدوت تذكرني وتبرح قائلاً
 أين البروج بغيرهن مَشِيدَة
 أين الجنان بحيث تجرى تحتها إلى
 أترى أبو الأمناء يعلم بعده
 لا دجلة يا للرزية دجلة
 كان الفرات يمد دجلة مأوّه
 إذ بين دجلة والفرات مصانع
 يا نهر عيسى أين منك موارد
 ما ذا دهى نهر الرّفيل من البلى
 إذ قصر عيسى كان عند مصبه
 أم أين بركة زُلزل وزلاها السلطان تسرح حوله الطّبيّات

- (١) المنصور : هو المنصور بالله العباسي أبو جعفر ثاني خلفاء بني العباس ؛ وهو أول من
 مصر بغداد وجعلها مدينة .
 (٢) أربع جمع ربيع وهو الدار . الرسوم : جمع رسم . وهو ما لصق بالأرض من آثار الدبار .
 الهبوات : جمع هبة وهي العبرة .
 (٣) يا أبا الخلائف : هو قدا : استفاضة .
 (٤) الجداول : الأنهار الصغيرة .
 (٥) المراد بالشذب هنا : الخصب . والرى والشذب في الأصل : هو الماء والرقّة والبرد والعذوبة
 في الأسنان . ويقال أفتر الحبوب بمعنى ضحك وأفتر عن أسنان كالبرد .
 (٦) الخضلات : المرتوية .
 (٧) الرّفيل : نهر يصب في دجلة ببغداد .
 (٨) قصر عيسى : هو قصر عظيم في بغداد وكان مبنيّاً على شاطئ نهر الرّفيل عند مصبه في
 دجلة وهو ينسب إلى عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس وهو أول قصر بناه الهاشميون في أيام
 المنصور في بغداد وإلى عيسى هذا ينسب نهر عيسى في بغداد .
 (٩) بركة زلزل : بركة في بغداد كان قد بناها رجل يقال له زلزل وكان مشهوراً بضرب
 العود حتى ضرب به النمل ؛ وكان في أيام المهدي والهادي والرّشيد .

- يا نهر طابق لا عدمتك منبلاً
أم أين كرخايا تمدّ مياهه
أم أين نهر الملك حين تسلسلت
قد كان تزدرع الحبوب بأرضه
أم أين نهر بطاطيا تأتيه من
وله فروع أصلهنّ لشارع الـ
تنمو الزروع بسقيه فغلاله
لحقى على نهر المعلى إذ غدت
نهر هو الفردوس تدخل منه في
كالسيف منصلتنا تضاحك وجهه الـ
إذ نهر بين عند كلواذى به
ويقربه من نهر بوق دارة
يا قصر باب التبر كنت مقرّاً
- أين الصّراة تحفّها الروضات^(١)
نهر الدجاج فتكثر الغلات^(٢)
فيه المياه وهنّ مطرّات^(٣)
فتسحّ فيه بفيضها البركات^(٤)
نهر الدجيل مياهه الحجارة^(٥)
كبش الجارى منه منتهيات
كل العراق ببعضها يفتات
لا تستبين جناؤه النضرات^(٦)
قصر الخلافة شعبة وقناة
أنوار وهى عليه ملتزمات^(٧)
مُلد الغصون تهزّها النسبات^(٨)
تنفى الهموم مروجها الخضرات^(٩)
والنفى يصدر منك والإثبات^(١٠)

- (١) نهر طابق : في بغداد يصب في نهر عيسى . الصّراة : نهر على فرسخ من بغداد يأخذ من نهر عيسى .
- (٢) كرخايا : نهر كان ببغداد يأخذ من نهر عيسى . نهر الدجاج : نهر ببغداد كان يأخذ من كرخايا قرب الكرخ من الجانب الغربى .
- (٣) نهر الملك : هو نهر ببغداد بعد نهر عيسى . (٤) تسحّ : تسيل .
- (٥) نهر بطاطيا : نهر يحمل من دجيل ؛ ودجيل نهر يخرج من أعلى بغداد ؛ أو هو شعبة من دجلة .
- (٦) نهر المعلى : نهر في بغداد ينسب إلى المعلى بن طريف مولى المهدي ؛ وكان من كبار قواد الرشيد وقد جمع له من الأعمال ما لم يجمع لكبير وقدولى المعنى البصرة وفارس والأهواز البصرة والبحرين . ويسمى هذا النهر أيضاً نهر الفردوس ؛ وكان يجرى تحت الأرض حتى يدخل دار الخلافة العباسية .
- (٧) منصلتا : مجردا .
- (٨) نهريّن . نهر بالعراق . كلواذى : قرية قرب بغداد . مُلد : جمع أملد وغصن أملد : النعم
- (٩) نهر بوق : نهر في سواد بغداد .
- (١٠) أملة باب التبر بالنون : وهى محلة كبيرة كانت ببغداد على انخندق .

أيام تطلعك العدالة شمسها وترَف فوقك للهدى رايات
أيام تبصرك الحضارة في العلى بدرا عليك من الثنا هالات^(١)
أيام تذكرك العلوم نشيدها فتعود منك على العلوم صلات^(٢)
أيام تقصدك الأفاضل بالرجا فتقبض منك لهم جدا وهبات^(٣)
أيام يأتبك الشكى بأمره فيروخ عنك وما لديه شكاة
تمضى الشهور عليك وهى أنيسة وتمرّ باسمه بك الساعات
ماذا دهاك من الهوان فأصبحت آثار عزك وهى منطمسات
قد ضيّعت بغداد سابق عزّها وغدت تجيش بصدرها الحسرات^(٤)
كم قد سقاها السيل من أنهارها ضرّاً وهنّ منافع وحياة
واليوم قلت بجانبها أرخوا دفق السيول فهاجت الأزّمات

العادات قاهرات(*)

كلّ ابن آدم مقهورٌ بعادات لهنّ ينقاد فى كل الإرادات
يجرى عليهنّ فيما يبتغيه ولا ينفكّ عنهنّ حتى فى الملمات
قد يستأذ الفقى ما اعتاد من ضرر حتى يرى فى تعاويه المسرات
عادات كل امرئ تأبى عليه بأن تكون حاجاته إلا كثيرات
أنى لفى أسر حاجاتى ومن عجب تعودى ما به تزداد حاجاتى
كل الحياة افتقار لا يفارقها حتى تنال غناها بالمنيات^(٥)
لو لم تكن هذه العادات قاهرة لما أسيغت بحال بنت حانات^(٦)

(١) هالات : جمع هالة ، وهى الدارة التى تحيط بالقمر .

(٢) صلات : عطايا .

(٤) الجدا : العطية .

(*) من الجزء الأول .

(٥) المنيات : جمع منية وهى الموت .

(٦) بنت الحان : هى الخمر .

ولا رأيت سكرات يدخنها قوم بوقت انفراد واجتماعات
إن الدخان لثان في البلاء إذا ما عُدَّت الخمر أولى في البليات

وربَّ بيضاء قيد الأصبع احترقت . في الكف وهي احتراق في الحشاشات^(١)
إن مرَّ بين شفاه القوم أسودُ ألـقى اصفراراً على يبيض الثنيات^(٢)
وليتها كان هذا الحظ شاربها بل قد تفت بكفيه المرات
عوائد عمت الدنيا مصائبها وإنما أنا في تلك المصبات
إن كلفتني السكارى شرب خمرتهم شربت لكن دخاناً من سكراتي
واخترت أهون شر بالدخان وإن أحرقت ثوبى منه بالشرارات
وقلت يا قوم تكفيكم مشاركتي إياكم في التذاذ بالمضرات
إني لأمتصُّ جراً لفَّ في ورق إذ تشربون لهيباً ملء كاسات
كلاهما حُقق يفتر عن ضرر يسمن من دمناء تلك الكريات
حسبي من الحُقق المعتاد أهونه إن كان لابد من هذى الحماقات
يا من يدخن مثلى كل آونة لئني أملك ولا ترض اعتذاراتي
إن العوائد كالأغالل تجمعنا على قلوبنا منها أشتات
مقيدين بها نمشى على حذر من العيون فتأتى بالمداجاة^(٣)
قد نُنكر الفعل لم تألفه عادتنا وإن علمنا من بعض المباحات
وربَّ شنعاء من عادتنا حسدت في زعمها وهي من أجل الشناعات

• • •

(١) أراد بالبيضاء : اللقانة من التبغ . وقيد الأصبع أى مقداره . الحشاشات : جمع حشاشة وهي بقية الروح في المريض والجريح ، أو هي رمق من حياة النفس .
(٢) الشفاه : جمع شفة . الثنيات والثنايا : هي أربع أسنان في مقدم الفم اثنتان من فوق واثنتان من أسفل ، ومفرداتها ثنية .
(٣) المداجاة : المخادعة والرياء .

عناكب الجهل كم ألفت بأدمغة
فخرموا وأحلوا حسب عادتهم
حتى تراهم يرون العلم منقصة
وحجبوهن خوف العار ليتهم
لم تحصى سيئة العادات مقدرتي
فكم لها بدع سود قد اصطدمت
لو لم يك الدهر سوقاً راج باطلها
ولا استمر دخان التبغ منتشراً
لو استطعت جعلت التبغ محتكراً
وزدت أضعاف أضعاف ضريسته
فيستريح فقير القوم منه ولا

من الأنام نسيجاً من خرافات^(١)
وشوهوا وجه أحكام الديانات
عند النساء وإن كن العقيقات
خافوا عليهن من عار الجهالات
مهما تفننت منها في عباراتي
في الناس منهن آفات بآفات
ماراجت الخمر في سوق التجارات
بين الوري وهو مطلوب كأقوات
فوق احتقار له أضعاف مرات
حتى يبيعوه قيراطا بيدرات^(٢)
يبلى به غير مثر ذى سفاهات

• • •

الخر من خرق العادات منتهجاً
ومن إذا خذل الناس الحقيقة عن
ولم يخف في اتباع الحق لأئمة
وعامل الناس بالأنصاف مدرعاً
أغنى البرية أرفاهم لعادته

نهج الصواب ولو ضد الجماعات
جهل أقام لها في الناس رايات
ولو أتته بحد المشرفيات^(٣)
ثوب الأخوة من نسج المساواة
وأعقل الناس خرقاً لعادات^(٤)

(١) العناكب : جمع عنكبوت ، وهي دودية تنسج من لعابها خيوط في الهواء وعلى رأس
البئر تصيد بها طامها وتبني لنفسها بيتاً محكمها في الأرض ونمرق بالرنيل وهي نوعها منها وهي مؤنثة
وذكرها يقال له العنكب ويجمع العنكب على عناكب وعناكب وتجمع العنكبوت على عناكب
وعنكبوتات .

(٢) البدرات : جمع بدرة ، وهي عشرة آلاف درهم .

(٣) المشرفيات : السيوف .

(٤) أغنى : اسم تفضيل من الغاوة . أرفاهم : اسم تفضيل من قولهم رفاً الثوب : أى أصلح
خروقه وضمها إلى بعضها . يقول إن أجهل الناس من يدفع من عادته التي اعتادها ولو كانت
فاسدة وأعقلهم من لا يعبأ بالعادات ، بل يعمل على إزالتها وتغيير الناس من شرورها .

بعد الدستور (*)

سقوط كامل باشا

سقتنا المعالي من سلاقتها صرفا وغنت لنا الدنيا تهنئنا عزفا^(١)
وزقت لنا الدستور أحرار جيشنا فأهلاً بما زقت وشكراً لمن زفا^(٢)
فأصبح هذا الشعب للسيف شاكراً وقد كان قبل اليوم لا يشكر السيفا^(٣)
ورحنا نشاوى العزيمهتف بعضنا ببعض هتافاً يصعق الظلم والحيفا^(٤)
ولاحت لنا حريرة العيش عندما أماطت لنا الأحرار عن وجهها السجفا^(٥)
أنت عاطلا لا يعرف الحلى جيدها ولا كحلت عينا ولا خضبت كفا^(٦)
فجاءت بمطبوع من الحسن قد قضى على الشعر أن لا يستطيع له وصفا^(٧)
فلم نرض غير العلم تاجاً لرأسها ولا غير شنف العدل في أذننا شفا^(٨)
ولم نكسها إلا من العرف حلة وهل يكتسى الديباج من يكتسى العرفا^(٩)
نشرنا لها منا لفيف اشتياقنا ونحن أناس نحسن النشر واللفا^(١٠)
حللنا الحباً لما أتنا كرامة وقفنا على الأقدام صفها لها صففا^(١١)

(*) من الجزء الأول .

(١) السلافة : أفضل الخمر ، وهو ما تحب وسال قبل العصر .

(٢) نشاوى : سكارى ، يصعق : يهلك . الحيف : الظلم .

(٣) أماطت : أزال ، السجف : السر .

(٤) عاطلا : أى لم يكن عليها حلى ، جيدها : عنقها .

(٥) الشنف : هو ما يعلق في الأذن من الحلى .

(٦) العرف : المعروف . الديباج : الثوب الذى سدها ولحمته حرير .

(٧) اللف : المجموع ؛ ويطلق على ما اجتمع من الناس من قبائل شتى ، واللف والنشر

معروفان وفيهما تورية باللف والنشر عند علماء البلاغة .

(٨) الحيا : جمع حبة . وهى ما يحتج به الرجل من عمامة أو ثوب .

عقدنا لها عقد اللواء تعشقا
رفعتنا لواء النصر يهفو أمامها
فلم ترَ غير الرفق فينا سجية
ورحنا على صَرف الزمان لها حِلْفًا^(١)
وإن كان بعض القوم أبدى لها عنفا

• • •

نحمل أعباء الصدارة كامل
طوى كشحه منها على غير لطفها
نحا أن يتم الدست فيها لحزبه
وقد فاتته أنا أولو ألمعية
وأنا نرى من قد تأبط شره
لنا فطنة ترمى الزمان بنورها
رمانا بشزر اللحظ مزور طرفة
فما نحن بعد اليوم مهما تنوعت
مددنا إلى كف الأخاء أكفنا
فطالب لنا منه العناق وضمنا
أذلا وهذا العز صرح سابعنا
إذا نحن قننا مُحَنِّقِينَ رأيتنا
ونحن إذا ما الحرب أغنت جيادنا
فناء به ما لم يخفَ وما خفّا^(٢)
وأظهر من وجه الخداع بها اللطف^(٣)
علينا وظنَّ الأمر فيما نحا يحنى^(٤)
بها نخطف الأسرار من قلبه خطفا^(٥)
بعين تقدُّ الإبط أو تخلع الكتفا^(٦)
فيبدو حجاب الغيث منه وقد شفا^(٧)
فضحنا به أن غُضَّ يا كامل الطرف^(٨)
عناصرنا من أمة تحمل الخسفا
نصافحه شوقا مُدًّا لنا الكفا
إليه فقبَلناه من عينه ألقا
علينا إذن فالعز أن ندرك الختفا^(٩)
ندك جبال الظلم تنسفها نسفا
قتالاً ركبنا الموت في حربنا حُرِّفا^(١٠)

- (١) يهفو : يتحقق . الحلف : الصديق يحلف لصاحبه أنه لا يقدر به .
(٢) فاء به : أتقوله .
(٣) طوى كشحه عنها : أي أعرض عنها
(٤) الدست : الحيلة والخديعة . ويطلق على ما يكون فيه القلب في الشطرنج .
(٥) أولو ألمعية : أصحاب ذكاء وفطنة .
(٦) تأبط شره : جعل الشر تحت أبطه . تقد : تشق .
(٧) شف الثوب : لم يحجب ما محته .
(٨) النظر الشزر : هو نظر الغضبان يؤخر العين . المزور : المنحرف المعرض .
(٩) سابقا : تالما . الختف : الموت .
(١٠) الطرف : الكريم من الخيل .

تربّع في صدر الوزارة كامل^١ وأنحى عليها بالجفاء مشتتاً
لقد أغضب الدستور فعلاً ونيةً
قد استوضحوه الأمر والأمر واضح
ولم يطلب الإمهال إلا لأنه
كذلك من صاغ الكلام ملفقاً
ومن قال حقاً قاله عن بديهة
فيأيها « الصدر » الجديد اتعظ به
ويا مجلس النواب سِرْ غير عاثر
ودعْ عنك مذموم التجافي فإنما
ألم ترَ أرجاء البلاد محولةً
بلاد جفاها الأمن فهي مريضة
فإن لأهلها عليك لذمةً
وما أنت إلا أمة قد تقدمت
ولا تنسَ مغبرَّ العراق وأهله

فخطّ من النقصان في وجهها حرفاً
نجاحاً بركניה الركينين ملتفاً
ومن أعلنوا الدستور والشعب والصحفا
فأعياء إيضاح الحقيقة فاستعفى
رأى عذره أن لم يُطْل سَبْكُه زيفاً^(١)
تمهل حيناً يكثر الخطّ والخذفا
ويحتاج للتفكير من مَوّه الخلفا^(٢)
فإياك أن تطغى وأن يثنى العطفا^(٣)
إلى المجد لا تلقى كلاً ولا ضعفا
لغير التجافي اختارك الشعب واستصفي
من العلم فاستمطر لها الدِّيم الوُطفَا^(٤)
فحقق لها من طبّ رأيك أن تشفى
ومثلك من راعى الذمام ومن وفى
أماماً وقد خلت تقهرها خلفا
فإنّ البلاء الجَمّ من حوله احتفاً

(١) الزيف : المردود غير المقبول . فالبيت إشارة إلى طلب مجلس الأمة الايضاحات من كامل باشا عن أعماله ، فطالب الامهال ريثما يتمكن من ذلك ، فلم يمكنوه . فاستعفى .
(٢) الخلف : هو أن تعد عدة ولا تنجزها .
(٣) أراد بالصدر الجديد : حسين حلمي باشا . العطف : الجواب . رثى العطف : كناية عن الاعراض والجفاء .
(٤) محولة : مجذوبة لامرعى فيها ولا كلاً . الديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون ، بلا رعد ولا برق . الوطف : جمع وطفاء ، وهي السحابة المسترخية لكثرة ماؤها .

(٤) محولة : مجذوبة لامرعى فيها ولا كلاً . الديم : جمع ديمة ، وهي مطر يدوم في سكون ، بلا رعد ولا برق . الوطف : جمع وطفاء ، وهي السحابة المسترخية لكثرة ماؤها .

فدجلة أمست كالذجيل شحيحة وإن «الفرات» العذب أمسى مرتقا
سل «الحلة» الفيحاء عنه فإنها نياويل قوم في العراق قد انطووا
ولم يذكروا مجداً لهم كان ضارباً وكانوا به شمم العرائن فاعتدوا
يرجون من أهل القبور رجاءهم فلا أنبتت زرعاً ولا أشبعت ظلفاً^(١)
به الماء يجفو أو به الماء قد جفا^(٢) حكّت شهداء الطفّ إذ نزلوا الطفا^(٣)
على الذلّ إذ أمست قلوبهم غلفاً^(٤) رواقاً على هام الكواكب قد أوفى^(٥)
يقاسون أهوالاً به تجدع الأنفا^(٦) ومن يحمل الدبوس أو يضرب الدفا^(٧)

أيقاظ الرقود^(*)

إلى كم أنت تهتف بالنشيد وقد أعيك إيقاظ الرقود^(٨)
فلست وإن شددت غرا القصيد بمجد في نشيدك أو مفيد
لأنّ القوم في غي بعيد إذا أيقظم زادوا رقاداً وإنّ أنهضتهم قعدوا وثاداً

(١) الذجيل : شعبة من نهر دجلة . الظلف : المراد به ما كان له ظلف من الحيوانات كالبقرة والشاة والظبي ، والظلف لكل حيوان يحتر بمنزلة القدم أو الظفر للانسان ، وكالحافر للفرس ، وكالحف للبعير ، وقد يستعار الظلف للفرس وغيره ، كما استعمله الشاعر هنا .
(٢) مرتقا : مكديرا غير صاف .

(٣) الحلة : قرية في طرف دجيل بغداد ، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ . الطف : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية ، وفيها قتل الحسين بن علي عليه السلام .

(٤) قلب أغلف : أي لا يمي ، كأنه حجب عن الفهم بغلاف ، وقلوب غلف .

(٥) الرواق : سقف في مقدم البيت . أوفى : أشرف .

(٦) العرائن : جمع عرين ، وهو الأنث ، يقال : فلان أشم الأنث : إذا كان ذا أنفة وكبر . تجدع : تقطع .

(٧) يشير بهذا البيت إلى قوم تركوا النصوص التعرّية القاضية بالسعي والاعتماد على النفس ، ولجئوا في طلب الخير والنصر إلى الأموات أو الدجالين الذين يحملون الدبابيس ، ويضربون الدفوف والمزاهر ، ادعاء أنهم من أهل البيت وخيرة رجله ، وما هم إلا أهل لهو وبطالة .

(*) من الجزء الأول .

(٨) الرقود : النائمون .

فَسُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْعِبَادَ كَأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ خَلَقُوا جَمَادًا
وَهُلْ يَخْلُو الْجَمَادَ عَنِ الْجُودِ

أُطْلِتْ وَكَادَ يَعِينِي الْكَلَامُ مَلَامًا دُونَ وَقَعْتِهِ الْحَسَامُ
فَمَا اتَّبَعُوا وَلَا نَفَعَ الْمَلَامُ كَأَنَّ الْقَوْمَ أَطْفَالَ نِيَامٍ
تَهَيَّزُ مِنَ الْجَهْلَةِ فِي مَهْودِ

إِلَيْكَ إِلَيْكَ يَا بَغْدَادُ عَنِّي فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي
وَلَكِنِّي وَإِنْ كَبُرَ التَّجَنِّيَ يَعِزُّ عَلَيَّ يَا بَغْدَادُ أُنِي (۱)
أُرَاكَ عَلَى شَفَا هَوْلٍ شَدِيدٍ (۲)

تَتَابَعْتَ الْخُطُوبَ عَلَيَّ نَتَرَى وَبَدَّلَ مِنْكَ حُلُوَ الْعَيْشِ مُرًّا (٢)
فَهَلَّا تُنَجِّبِينَ فَيَّ أَغْرَا أُرَاكَ عَقَمْتَ لَا تَلْدِينَ حُرًّا (٣)
وَكُنْتَ لِمَثَلِهِ أَزْكَى وَلَوْ

أَقَامَ الْجَهْلُ فَيْكَ لَهُ شَهُودًا وَسَامَكَ بِالْمَوَانِ لَهُ السُّجُودَا (٤)
مَتَى تُبْدِينَ مِنْكَ لَهُ جُجُودًا فَيَلَّا عُدْتَ ذَاكِرَةً عُجُودًا
بِهِنَّ رَشَدْتُ أَيَّامَ الرَّشِيدِ

زَمَانَ نَفُوزِ حَكْمِكَ مُسْتَمِرُّ زَمَانَ سَحَابٍ فَيْضِكَ مُسْتَدِرُّ (٥)
 زَمَانَ الْعِلْمِ أَنْتَ لَهُ مَقَرُّ زَمَانَ بِنَاءِ عِزِّكَ مُشْمَخِرُّ (٦)
 وَبَدْرُ عِلَّاكَ فِي سَعْدِ السُّعُودِ

وَضِيتَ وَأَوْجَ مِيلًا لِلْحَضِيضِ
وَكُنْتَ ذَاتَ عَلَى عَرِيضِ (٧)
وَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي جَسْمِ مَرِيضِ
وَكُنْتَ بِأَوْجِهِ لَلْعَزِّ بِيضِ
فَصُرْتَ بِأَوْجِهِ
لِلذِّلِّ سَوْدِ

(۱) التجني : الادعاء على شخص بذنب لم يفعله . (۲) الشفا : حلف كل شيء .

(٣) نَجِّينَ قَتِي : تَلْدِينَهُ نَجِيًّا . الْأَعْرَ : الْكَرِيمَ الْإِفْعَالِ الْوَاضِحًا . وَقَوْلُهُ وَكَنتَ لِمَثَلِهِ أَزْكَى وَلَوْ : يُشِيرُ بِهِ لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ يَفْدَادُ أَيَّامَ عِزِّهَا فِي أَوَائِلِ أَيَّامِ بَنِي الْعَبَّاسِ .

(٢) سامك السمود : أحرك عليه .
(٥) مستدر : كثير هائل .

(٦) مشمخر : مرتفع عال .
(٧) الحضيض : أسفل الجبل .

ترقى العالمون وقد هبطنا وفى درك الهوان قد انحططنا
وعن سنن الحضارة قد شحطنا قطننا يا بنى بغداد قطناً^(١)
إلى كم نحن فى عيش القُرود
ألم نكُ قبلنا الأجدادُ تبني بناءً للعلوم بكل فن
ماذا نحن . يا أسرى التآنى أخذنا بالتقهقر والتدنى^(٢)
وصيرنا عاجزين عن الصعود
كأن زُحلاً يشاهد ما نديننا لذاك أحرر من حَقِّ علينا
فقال موجّهاً لوماً إلينا لو أنى مثلكم أمسيت هيناً^(٣)
إذن لنضوت جباب الوجود^(٤)
رَكَدْتُمْ فى الجمالة وهى تعشى وعِشْتُمْ كالوحوش أخصَّ عِش^(٥)
أما فيكم فتى للعزِّ يمشى تبارك من أدار بنات نعش^(٦)
وصفدكم بأصفاد الرُّكود^(٧)
حكيتُمْ فى توقُّفكم جُدياً فصرتُم كالسُّها شعباً خفياً^(٨)
ألا تجرون فى مجرى الثُّرىا تؤمُّ بدورها فاكراً قصياً^(٩)
فتبرز منه فى وضع جديد

حكومة شعبنا جارت وصارت علينا تستبدُّ بما أشارت

- (١) شحطنا : بعدنا . قطننا : حسبنا وكافينا .
(٢) أسرى : جمع أسير .
(٣) هيناً : ذليلاً ضعيفاً .
(٤) نضوت : نزعنا .
(٥) ركذ الماء : سكن . تعشى : تسيء البصر وإراداتها تعي القلب .
(٦) بنات نعش قسبان : كبرى وصغرى ، وكل منهما سبعة كواكب ، أربعة نعش ، وثلاثة بنات .
(٧) صفدكم : قيدكم . الأصفاد : القيود .
(٨) الجدى : أحد البروج الاثني عشر . وأصله غير مصر . السها : نجم خفى تمتنع الأَبصار برؤيته .
(٩) قصياً : بعيداً .

فلا أحدا دعته ولا استشارت وكل حكومة ظفمت وجارت
 فبشرها بتمزيق الحدود
 حكومتنا تميل لباخسيها مجانبة طريق مؤسسيها^(١)
 فلا يغررك لين ملبسيها فهم كالنار تحرق لامسيها
 وتحسن للنواظر من بعيد
 لقد غص « القصيم » بكل نذل وأمسى من تخاضهم بشغل^(٢)
 فريقا خطتي غي وجبل كلا الخصمين ليس له بأهل
 ولكن من لتسكيل المرید^(٣)
 إليهم أرسلت بغداد جندا إليهم لك فيه من عبث ويفدى
 لقصد ابن الرشيد أضاع قصدا فلا يابن الرشيد بلغت رشدًا
 ولا بلغ السعود ابن السعود^(٤)
 مشوا يتحركون بعزم ساكن ورثة حالهم تبكي الأماكن
 وقد تركوا الحلائل في المساكن جنود أرسلت للموت لكن^(٥)
 بفتك الجوع لا فتك الحديد
 قد التفعوا بأسمال بوال مشاة في الشهور وفي الجبال^(٦)
 يُجدون المسير بلا نعال بحال للنواظر غير حال^(٧)
 وزبي غير مازي الجنود

- (١) أراد بالباخسين : الذين يخذعونها ويفشونها لمآربهم وملء جيوبهم .
 (٢) القصيم : اسم محل . (٣) المرید : بفتح الميم : هو الخبيث المتمرد الشرير .
 (٤) ابن الرشيد وابن السعود : أمير نجد . وقد أشار بذلك الى استنصار ابن الرشيد الدولة
 على ابن سعود . وتلبية الدولة في أيام السلطان عبد الحميد الخلويع . طلبه بتجهيز حملة من عساكرها
 تحت إدارة ابن الرشيد .
 (٥) الحلائل : جمع حلياة . وهى الزوجة والحلياة أيضا الجارة . ومن ، تقيم معك في دار واحدة .
 (٦) التفعوا : التحفوا . الأسمال : الثياب البالية .
 (٧) غير حال : غير معجب ولا مرض .

مشوا في منبج جهوده منبجاً يخبون الفلا فبجاً ففجاً (١)
 إلى حيث السلامة لا ترجى فيا لئني على الشبان ترجى (٢)
 على عبث إلى الموت المبيد (٣)
 وكل من غداوا للبيت أمّا فودع أهله زوجاً وأمّا (٤)
 وضمن وليده بيدٍ وشما بكى الولد الوحيد عليه لماً
 غدا يبكي على الولد الوحيد
 تقول له الحليّة وهو ماش رؤيداً لا برحت أخا انتعاش
 فبعدك من يحصل لي معاشي فقال ودمعه يادى الرّشاش
 وكلتكم إلى الربّ الودود
 عساكر قد قضاوا غريباً وجوعاً بحيث الأرض تبتلع الجموعاً (٥)
 إلى أن صار أغنامهم ربوعاً لفرط الجوع مرتضياً قنوعاً
 بقدي لو أصاب من الجلود (٦)
 هناك قضاوا وما فتحوا بلاداً هناك بأسرهم نفدوا نقاداً
 هناك بحيرة عديموا الرّشاداً هناك لرؤعهم فقدوا الرّشاداً
 هناك عروا هناك من البرود
 أناديهم ولي شجن منبج وأذصرهم فينبعث النشيج (٧)
 ودمع محاجري بدم مزيج ألا يا هالكين لكم أجيح (٨)
 ذكا بحشاي محتدم الوقود (٩)

(١) فجا ففجاً : أى طريقاً فطريقاً . وأصل الفج : الطريق الواسع بين جبّابين .

(٢) ترجى : تدفع . (٣) المبيد : المهلك .

(٤) أم : قصد . (٥) قضاوا : ماتوا .

(٦) القد ، بكسر القاف : هو القطعة من الجلد غير المدبوغ والنعل الذى لم يجرد من الشعر .

(٧) الشجن : الهم والحزن . النشيج : مصدر نشج الباكى ، بمعنى غص بالبكاء فى حلقه ، من

غير انتحاب .

(٨) الأجيح : الاتهاب . (٩) ذكا : اتقد . محتدم : مشتعل .

سَكَنَّا مِنْ جِهَالَتِنَا بِقَاعًا يَجُورُ بِهَا الْمُؤَمَّرُ مَا اسْتَطَاعَا
فَكَدْنَا أَنْ نَمُوتَ بِهَا ارْتِيَاعًا وَهَبْنَا أُمَّةً هَلَسَتْ ضِيَاعًا
تَوَلَّى أَمْرَهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ

أَيَا حَرِيَّةَ الصُّحُفِ أَرْحَمِينَا فَإِنَّا لَمْ نَزَلْ لَكَ عَاشِقِينَا
مَتَى تَصِلِينَ كَيْمَا تَطْلُقِينَا عِدِينَا فِي وَصَالِكَ وَأَمْطُقِينَا
فَإِنَّا مِنْكَ نَقْنَعُ بِالْوُعُودِ

فَأَنْتِ الرُّوحُ تَشْفِينِ الْجُرُوحَا يُخْرِجُ فَقْدُكَ الْبَلَدَ الْفَسِيحَا ^(١)
وَلَيْسَ لِبِلْدَةٍ لَمْ تَحْوِ رُوحَا وَإِنْ حَوَتْ الْقُصُورَ أَوْ الصُّرُوحَا
حَيَاةً تَسْتَفَادُ لِمُسْتَفِيدِ ^(٢)

أَقُولُ وَلَيْسَ بَعْضُ الْقَوْلِ جِدًّا لِسُلْطَانٍ تَجَبَّرَ وَاسْتَبَدًّا
تَعْدَى فِي الْأُمُورِ وَمَا اسْتَعَدًّا أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْفَدَى
وَمَنْ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ فِي الْوُجُودِ

أَنْتُمْ عَنْ أَنْ تَسُوسَ الْمَلِكُ طَرَفًا أَقِمُّ مَا تَشْتَهِي زَمْرًا وَعَزْفًا
أَطْلُ نَكْرَ الرِّعِيَةِ خَلِيٍّ عُرْفًا سَمِ الْبُلْدَانِ مَهْمَا شُدَّتْ خَسْفًا
وَأَرْسَلُ مَنْ تَشَاءُ إِلَى الْحُودِ

فَدَتِكَ النَّاسَ مِنْ مَلَائِكِ مُطَاعِ أَبْنٍ مَا شُدَّتْ مِنْ طُرُقِ ابْتِدَاعِ
وَلَا تَخْشَى الْإِلَهَ وَلَا تُرَاعِ فَهَلْ هَذِي الْبِلَادُ سِوَى ضِيَاعِ
مَلَكَتْ أَوْ الْعِبَادُ سِوَى عِبِيدِ

تَنْعَمُ فِي قُصُورِكَ غَيْرِ دَارِ أَطَاشَ النَّاسُ أَمْ هُمْ فِي بَوَارِ ^(٣)
فَإِنَّكَ لَنْ تَطَالِبَ بِاعْتِدَارِ وَهَبْ أَنَّ الْمَالِكَ فِي دِمَارِ
أَلَيْسَ بِنَاءٌ «يَلْدِرَ» بِالْمَشِيدِ

(١) يخرج : يضيق

(٢) حياة : مرفوع بليس ، لأنه اسمها ، وخبرها الجار والمجرور «البلدة» .

(٣) غير دار : غير عالم ، وهو مشتق من الدراية . البوار والدمار : بمعنى الإهلاك .

جميع ملوك هذى الأرض فلكُ وأنت البحر فيك ندَى وهلكُ
فأتى يبلغونَ وذاك إفاكُ لئن وهبوا النقودَ فأنت ملكُ^(١)
وهوبُ للبلادِ وللنقودِ

الصديق المضاع (*)

علامَ حُرْمنا منذُ حينٍ تلاقيا عهدناك لا تلهو عن الخلِّ ساعةً
ومالى أراك اليوم وحدك جالسا أنابك خطبة أم عراك تعشُّقُ
وما بال عينيكَ اللتين أراهما وأى جوى قد عدت أصفر فاقعا
تكلم فما هذا الوجومُ فإننى تجلّد تجلّديا (سليم) ولا تكن
ولا تبتئس بالدهر إن خطوبه به بعد أن قد كنت أحمر قانيا
عهدتك غريدا بشعرك شاديا بما ناب من صرّف الزمان مباليا
سحابة صيف لا تدوم ثوانيا

فقال ولم يملك بوادى أدمع لقد عجتني يا أحمدُ اليوم بالأسى
أعجب من حزنى وتعلم أننى لقد عشت فى الدنيا أسيفا وليتنى
تناثر حتى خلتهن لآليا وذكرتنى ما كنت بالأمس ناسيا
قريع تباريح تُشيب النواصيا^(٤) ترحلت عنها لا على ولا ليا^(٥)

(١) الافك : الكذب .

(*) من الجزء الأول

(٢) وانيا : فاترا ضعيفا .

(٣) الوجوم : السكوت على غيظ ، أو عن عجز عن الكلام .

(٤) القريع : الغالب فى المقارعة . التباريح : كلف المعيشة بمشقة ، وهو من الجوع التى لا واحد لها

(٥) أسيفا : حزينا .

وقد كنت أشكو الكاشحين من العدى

فأصبحت من جور الأخلاء شاكياً^(١)

وما رحت أستشفى القلوب مداوياً من الحقد إلا عدت عنها كما هياً
وداريت حتى قيل لي متملقٌ وما كان من داء التلقى دائماً
وحتى دعاني الحزم أن خل عنهم فإن صريح الرأي ألا تدارياً
ورُبَّ أخ أوقرت قلبي بحبه فكنت على قلبي بحبه جانياً^(٢)
أراد انقيادى للهوان وما درى بأنى حرّ النفس صعب قيادياً
إذا ما سمأى جاد بالذل غيئها أبئت عنها أن تكون سمائياً
ألا فأبك لي يا أحمد اليوم رحمة ودعنى وشأنى والأسى وفؤادياً
فإن أحق الناس بالرحمة امرؤ أضاع وداداً عند من ليس واقياً
وما كان حظى وهوى الشعر ضاحكٌ ليظهر إلا فى سوى الشعر باكياً
ركبت محور الشعر رهواً وما عجا وأفحمت منها كل هول يراعياً^(٣)
وسيرت سقنى فى طلاب فنونه وألقت فى غير المديح المراسياً
وقلت أعصني يا شعر فى المدح إننى

أرى الناس موئى تستحق المراثيا ولو رضيت نفسى بأمر يشينها
وكم قام ينعى حين أنشدت مادحا لى الندى ناع فأنشدت راثياً^(٤)
وكم بشرتني بالوفاء مقالةً فلما انتهت للفعل كانت مناعياً^(٥)

(١) الكاشح : العدو الباطن العداوة .

(٢) أوقرت : أنفتت .

(٣) الرهو : السير السهل . أفحمت يراعى : قذفته وأدخلته بشدة .

(٤) الناعى : من يعلن بوفاة الميت . والندى : الكرم . يقول : إذا أنشدت مادحاً قام الناعى

يعنى إلى الكرم . أى يخبرنى بموته ، فأبدلت مدحى بالثناء .

(٥) المناعى : أخبار الموت ، مفردتها منعى ومنعاة .

فلما بكى أمسكتُ فضلَ ردائه وكفكتُ دمعاً فوقَ خَدَّيه جاريًا^(١)
 وقلتُ له هوّنْ عليكِ فإنما تنوبُ دواهي الدهرِ مَنْ كانَ داهياً^(٢)
 وما ضرَّ إنْ أَصْفَيْتَ وَدَكْ معشرا من الناسِ لم يَجْنُوا لكِ الوُدَّ صافياً
 كفى مفخراً أنْ قد وفيتَ ولم يفُوا

فكنتَ الفتي الأعلى وكانوا الأدانيَا

لعلّ الذي أشجأك يُعقِبَ راحة فقد يشكر الإنسان ما كانَ شاكياً^(٣)
 ألا رَبَّ شرٍّ جَرَّ خيراً ورَّماً يجرُّ تجافينا إلينا التصافياً
 فلو أن ماء البحر لم يكِ مالِحا لرُحنا من الطوفانِ نَشْكُو الغواديَا^(٤)
 ولولا اختلافُ الجذبِ والدفعِ لم تكنْ نجومٌ بأفلاكٍ لهنَّ جواريا^(٥)
 وكيف نرى للكهرباءِ ظواهرًا إذا هي في الإثباتِ لم تلقَ نافيةً^(٦)
 تموتُ القوَى إنْ لم تكنْ في تباينٍ ويحييْنَ ما دام التباينُ باقيةً^(٧)
 فلا تعجبين من أننا في تناقُرٍ ألم ترَ في الكونِ التنافرَ سارياً
 وهبهم جفوكَ اليومِ بخلا بودهم ألم تَعْنِ عنهم أنْ ملكتَ القوافيا^(٨)

(١) الفضل : الزيادة . وفضل الرداء : يريد به طرفه . كفكت : مسحت .

(٢) تنوب : تصيب . الداهي : العاقل ، وصاحب الرأي الجيد . يقول : إن المصائب لا تصيب إلا العقلاء .

(٣) أشجأك : أحزنك .

(٤) الغوادي : السحب الممطرة . وأصل معناه السحب التي تنشأ غدوة . يقول : إن الشر ربما جلب خيراً ، فإن ماء البحر مالح ، ولو كان حلوا لكثرة تبخره ، فكان من ذلك كثرة الأمطار التي تسبب الطوفان ، غير أن الجواهر المليحة التي فيه تعين تبخره .

(٥) يقول : إن الاختلاف شر ، ولكنه قد يجلب خيراً ، كالاختلاف في الجذب والدفع لمتعاقبين بالنجوم ، فانه سبب لربطهما بنظام مخصوص .

(٦) الكهرباء : قسمان : راتنجية وزجاجية ، وتسمى الأولى موجبة ، والثانية سالبة أو نافية . ولا تظهر فواعلتهما إلا إذا لقيت السالبة الموجبة . فهو يقول : بالاختلاف تظهر الفائدة .

(٧) القوَى الطبيعية إن اتحدت فلا فائدة منها ، فسكأنها غير موجودة . في نيازنها . أي اختلافها .

(٨) ألم تعن : ألم تستغن .

فَطَرٌ فِي سَمَوَاتِ الْقَرِيضِ مُرَقَرًا
فَأَنْتَ امْرُوءٌ تُعْطَى الْقَوَافِي حَقًّا
يُجِيبُكَ عَفْوًا إِنْ أَمَرْتَ شَرَّوْدَهَا
وَأُطْلِعَ لَنَا فِيهَا النُّجُومَ الدَّرَارِيَا
فَتَبْدُو وَإِنْ أَرْخَصْتَهُنَّ غَوَالِيَا
وَتَأْتِيكَ طَوْعًا إِنْ دَعَوْتَ الْعَوَاصِيَا^(١)

* * *

فَقَالَ وَقَدْ أَلْقَى عَلَى الصَّدْرِ كَفَّهُ
لَقَدْ جِئْتَنِي بِالْقَوْلِ رَطْبًا وَيَابَسًا
فَإِنِّي وَإِنْ أَبْدَى لِي الْقَوْمَ جَفْوَةً
وَمَا أَنَا عَنْ قَوْمِي غَنِيًّا وَإِنْ أَكُنْ
إِذَا نَابَ قَوْمِي حَادِثُ الدَّهْرِ نَابِي
وَمَا يَنْفَعُ الشَّعْرُ الَّذِي أَنَا قَائِلُ
وَلَسْتُ عَلَى شَعْرَى أَرْوَمَ مَسْئُوبَةٍ
وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَصِيحَةً
وَلَيْسَ سَرَى الْقَوْمِ مَنْ كَانَ شَاعِرًا
فَعَلَّمَهُمْ كَيْفَ التَّقَدُّمُ فِي الْعَلَى
وَأَبْلَى جَدِيدَ الْغَى مِنْهُمْ بِرُشْدِهِ
وَسَافِرَ عَنْهُمْ رَائِدًا خَصْبَ نَفْعِهِمْ
وَإِنْ أَفْسَدْتَهُمْ خِطَّةً قَامَ مُصْلِحًا
فَشَدَّ بِهَا قَلْبًا مِنْ التَّوَجُّدِ هَانِيَا^(٢)
فَدَاوَيْتَ سُمًّا وَهَيْجَتَ ثَانِيَا
أَمْنِي لَمْ يَأْتِ أَحَبَّ الْأَمَانِيَا^(٣)
أَضَلُّ فِي الْعِزِّ الْجِبَالِ الرُّومِيَا
وَإِنْ كُنْتَ عَنْهُمْ نَازِحَ الدَّارِ نَائِيَا^(٤)
إِذَا لَمْ أَكُنْ الْقَوْمَ فِي النِّفْعِ سَاعِيَا
وَلَكِنْ نَصَحَ الْقَوْمَ جُلًّا مَرَامِيَا
تَنْشِطُ كَسَلَانًا وَتَنْهَضُ ثَاوِيَا
وَلَكِنْ سَرَى الْقَوْمِ مَنْ كَانَ هَادِيَا
وَمَنْ أَى طُرُقٍ يَنْتَفِعُونَ الْمَعَالِيَا
وَجَدَّ رَشْدًا عِنْدَهُمْ كَانَ بَالِيَا
يَشُقُّ الطَّوَامِي أَوْ يَجُوبُ الْمَوَامِيَا^(٥)
وَإِنْ لَدَغْتَهُمْ فِتْنَةٌ قَامَ رَاقِيَا^(٦)

- (١) الغافية الشروود : المائرة في البلاد . (٢) الوجد : الغضب . هانيا : مضطربا .
(٣) أمني : مضارع مناه ، بمعنى جعل له أمانة ، والأمنية هي الصورة الحاصلة في النفس من غنى الشيء ، وجمعها الأماني .
(٤) نازح الدار بعيدها .
(٥) رائدا : خالبا . الطوامي : أراد بها البحار . وأصلها : من طام الماء والبحر ، أى امتلا .
يجوب : يقطع . المواي : جمع موماة ، وهي الفلاة التي لا ماء فيها ولا أنيس .
(٦) لدغتهم : لسعهم . والراقي : هو الذي يهرأ وينث ، دفعا لأذية اللدغ .

بعد البين (*)

لقد طوّحتني في البلاد مُضاعَا
فبارحتُ أرضاً ما ملأت حقائقني
عَتَبْتُ على بغدادَ عتبَ مُودّع
أضاعتني الأيام فيها ولو دَرَّتْ
لقد أرضعتني كلَّ حَسْفٍ وإِنِّي
وما أنا بالجاني عليها وإنما
وأعلتُ أَقلامي بها عَرِيبة
ولو كنت أدري أنها أَعْجَمِيَّة
ولو شئتُ كآليتُ الذين انطَوَوْا بها
ولكن هي النفس التي قد آتَتْ لها
أَبَيْت عليهم أن أكون بذلة
على أنني داريتُ ما شاءَ حَقْدَهُم
وأشقى الوري نفساً وأضيعهم نَهْي
تركت من الشعر المديح لأهله
وأنشدته يَجْوُو الحَقِيقَةَ بالنَهْي
طَوَّاحُ جَاءَتْ بِالخَطُوبِ تِبَاعَا^(١)
سِوَى حَبِهَا عِنْدَ الْبَرَّاحِ مَقَاعَا^(٢)
أَمْضَتْهُ فِيهَا الْحَادِثَاتُ قِرَاعَا^(٣)
لَعَزَّ عَلَيْهَا أَنْ أكون مُضَاعَا
لَأَشْكُرَهَا أَنْ لَمْ تُنَمَّ رَضَاعَا
نَهَضْتُ خِصَامًا دُونَهَا وَدِفَاعَا
فَلَمْ تُبَدِّ إِضْعَاءَ لَهَا وَسَمَاعَا
تَحَذَّتْ بِهَا السِّيفُ الْجُرَّازُ يَرَاعَا^(٤)
عَلَى الْحَقْدِ صَاعَا بِالْعِدَاءِ فِصَاعَا
طَبَاعَ الْمَعَالَى أَنْ تَسُوَّ طِبَاعَا
وَتَأْبَى الضَّوَارَى أَنْ تَكُونَ ضِبَاعَا
فَلَمْ يُجِدْ نَفْعًا مَا أَتَيْتُ وَضَاعَا
لَيْبٌ بِدَارِي فِي نِهَاهِ رِعَاعَا^(٥)
وَنَزَّهَتْ شِعْرِي أَنْ يَكُونَ قِدَاعَا^(٦)
وَيَكْشِفَ عَنْ وَجْهِ الصَّوَابِ قِنَاعَا^(٧)

(*) من الجزء الأول .

(١) طوحتني الطوائح : قذفتني القواذف .

(٢) الحقائق : جمع حقيبة ، وهي خريطة يحملها المسافر للزاد ونحوه ، وهي تصلح أن تطابق على ما تسميه العامة اليوم : « شريطة » .

(٣) أمضته : أوجعته . القراع : مصدر قارع فلان فلانا : إذا تضاربا بالسيف .

(٤) الحسف : الدل والهوان . (٥) الجراز : انقطاع .

(٦) النهي : العقل . الرعاع : سقط الناس وسقطتهم وغوغاؤهم ، مفردها رعاة .

(٧) قداعا : سفاها ومشاغبة .

وأرسلته عنواً فجاء كما ترى قوافي تجتاب البلاد سِراعاً^(١).

* * *

وقفتُ غداةَ البين في الكرخِ وقفةً لها كَرَبْتُ نفسي تطير شعاعاً^(٢)
أودّع أصحابي وهم مُحدِّقون بي وقد ضيّقت بالبين المُشْتِ ذراعاً^(٣)
أودعهم في الكرخِ والطَّرْفُ مُرْسِلٌ إلى الجانبِ الشرقيّ منه شعاعاً^(٤)
وأدعمُ رأسي بالأصابعِ مُطرقاً كَأَنَّ برأسي يا أُمِّمُ صُداً^(٥)
وكنت أظن البين سهلاً فمذُ أتى شَرَى البينُ مني ما أُرَادُ وباعاً^(٦)
وإني جَبَانٌ في فِرَاقِ أَحَبِّي وإن كنت في غير الفراقِ شجاعاً^(٧)
كأني وقد جدَّ الفِرَاقُ سفينةً أشالتُ على الريحِ الهَجُومِ سِراعاً^(٨)
فالتُّ بها الأرواحُ والبحرُ مائجٌ وقد أوْشَكَت أُلواحها تَدْعاى^(٩)
فتحسبني من هِزَّةٍ في أفدأ فتَرَقَّى هَضاباً زُلْزَلَتْ وتِلاعاً^(١٠)
فما أنا إلا قَوْمَةٌ وانحناءٌ وسرٌّ أذاعته الدموعُ فذاعاً^(١١)
رَعَى اللهُ قوماً بالرِّصافةِ كلِّها تذكُرُهُم زاد القوادِ نِزاعاً^(١٢)
أَيَّتُ وما أقوى المَهمومِ بمضجعٍ تصارعني فيه الهمومُ صِراعاً^(١٣)
وألهو بذكرهم على السِرِّ كلِّها هبَطْتُ وهاداً أو علوت يفاعاً^(١٤)

(١) تجتاب : تقطع .

(٢) كربت : كادت . تطير شعاعاً : تتبدد وتتفرق من الحزن أو الخوف ونحوها .

(٣) البين المشت : البعد المفرق . ضاق بالأمر ذرعاً وذراعاً : أي ضعفت طاقته ، ولم يجد من

مكروهه مخلصاً . (٤) شعاعاً : مفعول مرسل .

(٥) أدعم : أسند . أميم : أصلها أميمة ، وهي تصغير أم ، وحذفت تاءها لأنها منادى مرخم .

(٦) أشالت : رفعت . (٧) الأرواح : جمع ريح . تَدْعاى : تنساقط .

(٨) الأفدع : الموج المفاصل كأنها قد زالت عن مواضعها ؛ وهذا أقرب معانيه إلى مقصد

الشاعر . المضاب : أعالي الجبال . التلاع : جمع تلعة ، وهي التلعة المرتفعة من الأرض .

(٩) القومة والانحناء : المرة من القيام والانحناء . أذاعته ؟ أفشته .

(١٠) الرصافة : محلة في بغداد ، ينسب إليها صاحب الديوان .

(١١) الوهاد : الأماكن المنخفضة : اليعاق : المرتفع من الأرض .

هُمُ الْقَوْمُ أَمَّا الصَّبْرُ عَنْهُمْ فَقَدْ عَصَى
 لَقَدْ حَكَمُونِي فِي الْأُمُورِ فَلَمْ أَكُنْ
 فَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ أَنْ جَدَّ بَيْنَهُمْ
 سَلَامٌ عَلَى وَادِي السَّلَامِ وَإِنِّي
 لَهُ اللَّهُ مِنْ وَادٍ تَكَاسَلُ أَهْلُهُ
 رَأَهُمْ عَيْدًا فَلَسْتُ بَدَّ بِمَاءِهِ
 جَرَى شَاكِرًا صُنْعَ الطَّبِيعَةِ إِنَّهَا
 وَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ الْمَيَاةَ بِدَجَلَةٍ
 وَلَوْ أَنَّهَا تَسْقِي الْعِرَاقَ لِمَارَمَتْ
 وَمَا وَجَدَتْ رِيحًا وَإِنْ قَدِ تَنَاوَحَتْ
 سَأَجْرِي عَلَيْهَا الدَّمْعَ غَيْرَ مُضَيِّعٍ
 وَأَذْكُرْ هَاتِيكَ الرَّبَاعَ بِحُسْنِهَا
 وَأَمَّا اشْتِيَاقِي نَحْوَهُمْ فَأَطَاعًا
 لِأَنْطَقِي إِلَّا أَمْرًا وَمُطَاعًا
 زَجَرْتُ كَلَابًا أُمَّ قَحَمَتْ سِبَاعًا^(١)
 لِأَجْعَلَ تَسْلِيمِي عَلَيْهِ وَدَاعًا
 فَبَاتُوا عِطَاشًا حَوْلَهُ وَجِياعًا
 وَلَمْ يَجْرِ بَيْنَ الْمُجْدِبَاتِ مُشَاعًا^(٢)
 أَبَانَتْ يَدًا فِي جَانِبِيهِ صِنَاعًا^(٣)
 وَإِنْ هِيَ تَجْرِي فِي الْعِرَاقِ ضِياعًا
 بِهِ الشَّمْسُ إِلَّا فِي الْجَنَانِ شُعَاعًا
 مَهَبًا بِهِ إِلَّا قُرَى وَضِياعًا^(٤)
 وَأَنْدُبُ قَاعًا مِنْ هُنَاكَ فَقَاعًا
 فَتَعَمْتُ عَلَى شَحْطِ الْمَزَارِ رِبَاعًا^(٥)

يقولون !

يَتَوَلَّوْنَ فِي الْإِسْلَامِ ظُلْمًا بَأَنَّهُ
 فَإِنْ كَانَ ذَا حَقٍّ فَكَيْفَ تَقَدَّمْتُ
 وَإِنْ كَانَ ذَنْبَ الْمُسْلِمِ الْيَوْمَ جَهْلُهُ
 هَلِ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا فَرِيضَةٌ
 يَصُدُّ ذَوِيهِ عَنْ طَرِيقِ التَّقَدُّمِ
 أَوَائِلُهُ فِي عَهْدِهَا الْمُتَقَدِّمِ
 فَمَاذَا عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ جَهْلٍ مُسْلِمٍ
 وَهَلِ أُمَّةٌ سَادَتْ بِغَيْرِ التَّعَلُّمِ^(٦)

- (١) بينهم : بعدهم . فحَمَّ المفازة : دخلها وطواها غير مبال بها .
 (٢) المجدبات : الأراضي المقحطة . مشاعا . مشتركا فيه غير مقسوم .
 (٣) يد صناع : ماهرة في الصنعة ، ورجل صنائع اليدين حاذق في الصنعة .
 (٤) تناوحت الرياح : هبت مرة صبا ومرة شمالا ومرة جنوبا . مهبا : منصوب على التمييز
 لنسبة التناوح . قرى : مفعول ورجت .
 (٥) الرباع : جمع ربع ، وهي الدار . شحط : بعد .
 (٦) يقول : إن ذنب المسلم اليوم هو الجهل ، فالذنب ذنبه لا ذنب الاسلام ، لأن تعلم =

لقد أيقظ الإسلام للمجد والعلی
وحلّت له الأيام عند قيامه
فأشرق نور العلم من حجراته
ودكّ حصون الجاهلية بالهدی
وأنشط بالعلم العزائم وابتنى
وأطلق أذهان الورى من قيودها
وفكّ إसार القوم حتى تحفّزوا
فخلّوا طريقاً للبداوة مجّجلاً
فدوّت بمستنّ العلی نهضاتهم
وعما قليل طبّق الأرض حكمهم
وقد حاکت الأفكار عند اصطدامها
ولاحت تباشير الحقائق فأنجحت

بصائر أقوام عن المجد نَوْم
حُبَّاهَا وأبدت منظر المتبسّم^(١)
على وجه عصرٍ بالجمالة مظلم^(٢)
وقوَّض أطناب الضلال الخيم
لأهليته مجداً ليس بالتهديم
فطارت بأفكارٍ على المجد حوم^(٣)
نهوضاً إلى العلیاء من كل مجتم^(٤)
وساروا بنهج للحضارة معلّم^(٥)
كزعزع ریح أو كتيّار عيلم^(٦)
بأسرع من رفع الیدین إلى القم^(٧)
تلاّلو بَرَق العارض المتهمز^(٨)
بها عن بنی الدنيا شكوك التوهم^(٩)

== العلم : الاسلام فرض والأمة لانسود . إلا يتعلم العلم . وحاصل المعنى تأكيد تبرئة الاسلام بما عليه المسلمون اليوم من الجهل .

(١) قول حبّاهَا : جمع حبوة ، وهي ما يحتج به الرجل من عمامة أو ثوب ؛ وكانت العرب إذا قعدت في مجالسها تحتج بثيابها ، وذلك بأن يجمع الواحد منهم بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ليستند ، إذا لم يكن للعرب في البوادي جدران تستند إليها في مجالسها . وحلّ الحبَا : كناية عن القيام ، يقال حل الرجل حبوته إذا قام ، كما يقال عقد حبوته إذا قعد ؛ فعلى البيت هنا : أن الاسلام لما قام حاکت له الأيام حبّاهَا ، أى قامت له تعظيماً .

(٢) قوله من حجراته يفتحتين : أى من نواحيه ، جمع حجرة ، وهي الناحية .

(٣) قوله حوم : أى دياراته . وهو جمع حائم : من حام الطائرة على الماء ، إذا دار به .

(٤) قوله تحفّزوا : أى استوفزوا وتهبّئوا للقيام . والمجتم : محلّ الجشوم أى التصوق بالأرض عند القعود .

(٥) طريق مجّجل يفتح الميم : لا يمتدى فيه . ونهج معلّم : فيه علامة يستدل بها .

(٦) دوت : سمع لها دوى ، أى صوت . ومستنّ العلی : طريقها الواضح . وقوله كزعزع

ريح : أى كريح شديد المهبوب ترعزع الأشياء . والتيار : الموج . والعيلم : البحر .

(٧) طبق الأرض : أى غشاها وعمها بتطبيق أسرع من رفع اليد إلى القم : أى في مدة يسيرة .

(٨) التباشير : أوائل الصبح التي تبشر به ، وقد استعارها هنا للحقائق ، في الكلام استعارة بالسكنانية ، حيث شبه الحقائق بالصبح ، وحذف المشبه به ، وذكر المشبه ، وأثبت له ما يلائم المشبه به ، على طريق الاستعارة التخيلية .

وما ترك الإسلام للمرء ميزةً
فليس لثري نقصه حقٌّ مُعَدِّمٌ
ولا فخرٌ للإنسان إلا بسعيه
وليس التقى في الدين مقصورةً على
والكنها ترك القبيح وفعل ما
فتقوى التقى مسعاه في طلب العلى
فهل مثل هذا الأمر يا أولى النهى
وإن لم يكن هذا إلى الجحد سُلماً
ألا قل لمن جاروا علينا بحكمهم
فلا تنكروا شمس الحقيقة إنَّها
علوُّنا وكنتم سافلين فلم نكن
ولم نترك الحسنى أو أن جدالكُم
فأما استدثار الدهر بالأمر نحوكم
فلا تأمنوا الأيام إنَّ صروفها
على مثله ممن لآدم يتنمى
ولا عربى بحسبه فضل أعجم^(١)
ولا فضل إلا بالتقى والتكريم
صلاة مُصَلٍّ أو على صوم صِيِّم^(٢)
يؤدَّى من الحسنى إلى نيل مغنم
وما خُصَّت التقوى بترك المحرَّم
يكون عشاراً في طريق التقدُّم^(٣)
فأى ارتقاء بعد أم أى سُلَّم
رؤيداً فقد قارفتُم كل مأتم
لأظهر من هذا الحديث المرجم
لنبدى إليكم جفوة التبهيم
وتلك لعمرى شيمه التحلم
كشفتُم لنا عن منظر متجهم
كماهى إذ أودت بعادٍ وجُرهم

(١) لثري : خبر ليس مقدم . ونقصه اسمها مؤخر . وهو مصدر مضاف إلى الضمير . من إضافة المصدر إلى فاعله . وحق معدم : مفعوله . وكذا القول في قوله : ولا عربى بحسبه فضل أعجم .
(٢) التقى : جمع تقاء بمعنى التقوى . أراد بهذا البيت والبيتين اللذين بعده أن يبين أن التقوى لا تنحصر بمثل الصلاة والصوم من أفعال التعبدية . كما أنها لا تنحصر بترك المحرمات في الدين . فيكون منهاها سلبياً . بل هى تعم فعل كل حسن . وترك كل قبيح .
(٣) اللام في قوله يا أولى النهى : مفتوحة ، وهى لام الاستغناء ، داخله على المستغاث به ، والمستغاث لأجله محذوف ، أى لهذا الأمر .

في سبيل الوطن

إلى إخواننا — المسيحيين

أما آن أن تُنسى من القوم أضغانُ
أما آن أن يُرمى التخاذل جانباً
عَلَامَ التعاды لاختلاف ديانةٍ
وما ضرَّ لو كان التعاون ديننا
إذا جمعنا وحدةً وطنيةً
إذا القومُ عنهم أمورٌ ثلاثة
فأئى اعتقاد مانع من أخوة
كتابان لم ينزلها الله ربنا
فن قام باسم الدين يدعو مفرقاً
أنشئ بأمر الدين وهو سعادة
ولكن جهل الجاهلين طحا بهم
فهاموا بتيه الأباطيل كالذى
فبئنى على أسِّ المؤاخاة بُنيانُ
فتكسب عزاً بالتناصر أوطانُ
وإنَّ التعاды فى الديانة عُدوانُ
فتعمر بلدان وتأمين قطان
فإذا علينا أن تعدد أديان
لسان وأوطان وبالله إيمان
بها قال إنجيل كما قال قرآن
على رسده إلا يسعد إنسان
فدعواه فى أصل الديانة بهتان
إذن فاتباع الدين يا قوم حُسران
إلى كل قول لم يؤيده برهان^(١)
تخطئه من شدة المسّ شيطان^(٢)

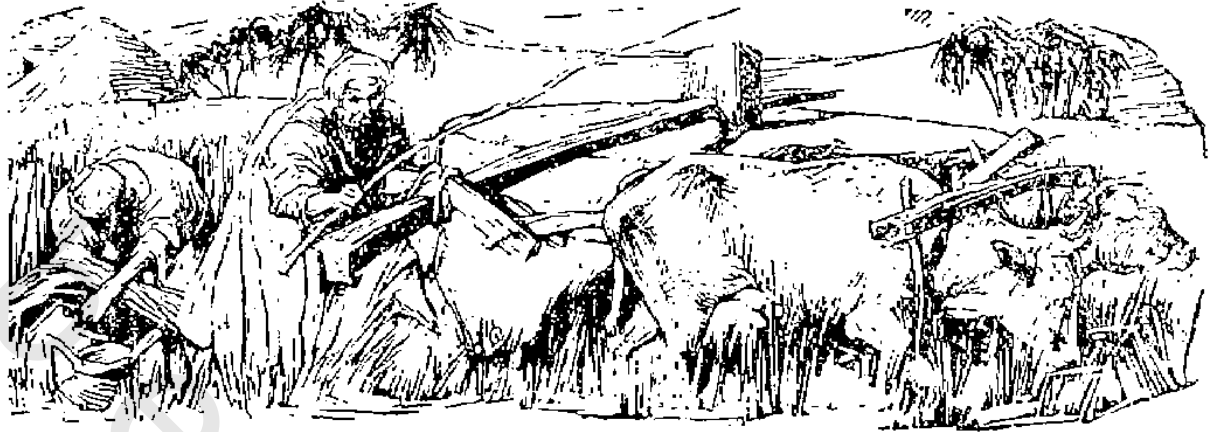
مواطنكم يا قوم أم كريمة
ففى حضنها مهد لكم ومباءة
تدّر لكم منها مدى العمر ألبان^(٣)
وفى قلبها عطف عليكم وتحنان^(٤)

(١) طحا بهم : ذهب بهم ودفعهم .

(٢) أرض تيهاء : أى مغلة يضل فيها الطريق ، والإضافة فى قوله بتيه الأباطيل ، بيانية أى بتيه من الأباطيل ، أى هى الأباطيل .

(٣) تدّر لكم : يقال در اللبن إذا غزر وكثر . ومدى العمر بفتح الميم : منتهاه وغايته ، وهو ظرف معاق بتدّر .

(٤) المهد : هو الموضع يهيا للعبى ويوطأ . والمباءة : المنزل .



فما بالكم لا تحسنون وواجباً
أصبراً وقد أمسى العدو يهينها
أجل إنكم تأبى الحياة نفوسكم
ألستم من القوم الذين علاؤهم
نمتكم إلى المجد المؤثّل تغلب
فلا تنكروا عهد الإخاء وقد أتت
أجب أيها الذئب المسيحي مسلماً
فلا تحرماً الأوطان أن تتحالفوا
ألا فانهضوا نحو العدا وكلا كما
وقولا لمن قد لام صه ويك إننا

على الابن للآمة الكريمة إحسان^(١)
أما فيكم شهم على الآمة غير أن
إذا لم يكن فيها على المجد عنوان
تقاعس عنه الدهر وانحط كيوان^(٢)
كما قد نمتكم للمكارم غسان^(٣)
تصافحكم فيه نزار وعدنان
صفا لك منه اليوم سر وإعلان
يداً بيد حتى تؤكّد أيمان^(٤)
لصاحبه في المأزق الضنك معوان^(٥)
على كل حال في المواطن إخوان

* * *

فمن مبلغ الأعداء أن بلادنا مأسد لم يطرق ذراهن سرحان^(٦)

- (١) قوله وواجب : الواو حالية ، وواجب مبتدأ ، وسوغ الابتداء به وقوعه بعد واو الحال ، أو عمله في الحار والمجرور بعده . وإحسان : خبره .
- (٢) تقاعس عنه الدهر : تأخر . وكيوان : اسم زحل بالفارسية ، معرب .
- (٣) تغلب وغسان : قبيلتان من نصارى العرب .
- (٤) قوله يدا بيد : حال ، أى متقابضين ، بوضع يدا في يدا .
- (٥) المأزق ، كجلب : موضع الحرب . والضنك : الضيق .
- (٦) مأسد : جمع مأسدة ، وهى المكان الذى تكثرفيه الأسود . والذرا ، بفتح الذال : ذراع . الدار ونواحيها . والسرحان ، بالكسر : الذئب .

وإنّا إذا ما الشر أبدى نبوءةً رددناه عنا بالطّي وهو خزيان^(١)
سنستصرخ الأساد من كل مربض

فتمشي إلى الهيجاء شيب وشبان^(٢)
أسود وغى تأبى الحياة ذميمةً وتلبس بالعز الردى وهو أكفان
مقاهيم تصلى المععان مشيخة

إذا احتدمت في حومة الحرب نيران^(٣)
وتكسو العراء الرحب مسح عجاجة

يمجج بها السيف الردى وهو عريان^(٤)
سننهض للمجد الخلد نهضةً يقرّ بها حوران عينا ولبنان
وتعتزّ من أرض الشام دمشقها وتهتزّ من أرض العراقين بغداد
وتطرب في البيت المقدس صخرةً وترتاح في البيت الحرام أركان
وتحسن للعرب الكرام عواقب فيحمدنها مقيت ويشكر مطران
ولو أنصفتنا ساسة الغرب لاغتلدت

دمشق لها من ساسة الغرب أعوان
ورقت قلوب للعراق وأهله وأصغت إلى شكوى فلسطين آذان
ولكنهم رانت عليهم مطاعم فأمسوا وهم صم عن الحق عُميان^(٥)
لقد قيل إن الغرب ذو مدنية فقلت وهل معنى التمدن عدوان

(١) أبدى نبوءة : أى اشتد وتفاقم . والنبوت : جمع اب .
(٢) سنستصرخ الأساد : سنستصرها ونستهضها مستغيثين بها . والمربض : محل ربوض الأسد .
(٣) مقاهيم : جمع مقحام ، وهو الذى يخوض فجأة الشدائد ، أى معطها ، والمراد بالمععان :
معمعان الحرب ، وهو شدة حرها ، وتصلى المععان : تدخل فيه ، وتقاسى حره . ومشيخة : جادة
مانعة لا وراء ظهرها . واحتدمت : اضطربت ، واشتد حرها . وحومة الحرب : موضع القتال .
(٤) العراء : الفضاء . والمسح بالكسر : الكساء من شعر ، وإضافته إلى عجاجة بيانية ،
أى مسحاً من عجاجة .
(٥) رانت عليهم : غلبت عليهم .

وأى فخار كائن في تمدنٍ إذا لم يقيم في الغرب للعدل ميزان
إذا كانت الأخلاق غير شريفة فماذا عسى تجدى علوم وعرفان

• • •

بنفسى أفدى في العراق منابتاً يفوح بها شيخٌ ويعبق حوذان^(١)
رياضٌ رعتها النائبات بأذؤب من الجور فارتاعت ظباءً وغزلان^(٢)
لقد كان فيها الرند والبان زاهياً فأصبح لا رندٌ هناك ولا بان
وأصبح مرصوداً بها كل منهل عليه من الترنيق بالظلم ثعبان^(٣)
وظل ابنها عن كل حوض محلاً يحوم على سأساله وهو عطشان^(٤)
سأبكي عليها كلما هبت الصبا فالت بها من حول دجلة أغصان
ومن ذرفت آماقه الدمع لؤلؤاً ذرفت عليها أدمعى وهى مرجان^(٥)

بين تونس و بغداد

أنشدت في حفلة التأهيل والترحيب بالزعيم التونسي :
الاستاذ الكبير عبد العزيز الثعالبي ، عند قدومه
بغداد سنة ١٩٢٥ .

أتونس إن في بغداد قوماً ترِف قلوبهم لك بالوداد^(٦)
ويجمعهم وإياك انتسابٌ إلى من خص منطقتهم بضاد
ودين أوضحت للناس قبلاً نواصعُ آيه سُبُل الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قرْبى وإن قضت السياسة بالبعاد

- (١) الشيخ : نبات طيب الرائحة ، وكذا الحوذان .
(٢) قوله : رعتها النائبات « من الرعاية : أى وليت أمرها وساستها بأذؤب .
(٣) مرصودا : مرقوبا . والترنيق : التكدير .
(٤) محلاً : أى مطرودا بمنوعا عن ورود الماء .
(٥) « ذرفت آماقه الدمع » : أسالته . ومعنى البت : من بكى عليها دمعاً بكبت عليها دماء .
(٦) ترِف قلوبهم رفيقا : تحفق وتضرب حبا .

وما ضَرَّ البِعَادَ إِذَا تَدَانَتْ أَوَاصِرُ من لسان واعتقاد
وإن المسلمين على التآخي وإن أغرى الأجانب بالتعادي

• • •

أَتُونِسَ إِنَّ مَجْدِكَ ذُو انْتَاءِ إِلَى عَلِيٍّ نَزَارٍ أَوْ إِيَادٍ^(١)
لَنَا بِشَعَالِيكَ خَيْرٌ مُلْقٍ عَلَى أَشْتَاتِنَا حَبْلَ اتِّحَادٍ
وَأَكْبَرُ حَامِلٍ يَبْدُ اعْتِرَازٍ حُبِّ بِلَادِهِ عِلْمَ اتِّفَادٍ
وَأَسْمَى مِنْ سَمَا أَدْبَا وَعِلْمًا وَأَفْصَحُ مِنْ تَكَلُّمٍ عَنْ سَدَادٍ
دَعِ الْقَوْلَ الْمُرِيبَ وَقَائِلِيهِ وَوَسَلْ عَنْهُ الْمُنَايِرَ وَالنُّوَادِي^(٢)
تَجِدُهُ خَطِيئَهَا فِي كُلِّ خَطْبٍ وَمِدْرَهَهَا لَدَى كُلِّ احْتِشَادٍ^(٣)
فَتَى صَرُحَتْ عِزُّهُ وَجَلَّتْ عَنْ الرَّوَغَانِ فِي طَلَبِ الْمِرَادِ
تَغَرَّبَ ضَارِبًا فِي الْأَرْضِ يَبْغِي مَدَى مِنْ دُونِهِ خَرَطَ الْقِتَادِ^(٤)
فَأَوْغَلَ فِي الْمَفَاوِزِ وَالْمَوَاحِي وَطَوَّفَ فِي الْحَوَاضِرِ وَالْبُوَادِي^(٥)
وَكَانَ طَوَافَهُ شَرْقًا وَغَرْبًا لَغَيْرِ تَكْسِبٍ وَسِوَى ارْتِفَادٍ^(٦)
وَلَكِنْ سَاحٍ لَاسْتِنْهَاضِ قَوْمٍ حَاكُوا بِمَجْمُودِهِمْ صِفَةَ الْجَادِ^(٧)
يَغَارُ عَلَى الْعُرُوبَةِ أَنْ يَرَاهَا مِنْ مَهْدَةِ الْمَصَالِحِ بِالْفَسَادِ

(١) يريد أن أهل تونس ترجع أنسابهم إلى العرب . نزار : ابن معد بن عدنان . وإياد : ابن نزار .

(٢) النوادي : جمع النادي ، وهو المكان يجتمع فيه القوم ويتحدثون .

(٣) الدرر : الحماي المدافع عن القوم .

(٤) خراط القتاد : قطع ورقة باليد ، بأن تقبض على أعلاه ، ثم تمر يدك على أسفله . والقتاد : نبت ترعاه الإبل ، فتسمن عليه . ويصعب خراط ورقه لكثرة شوكة وقوته .

(٥) أوغل في الشيء ، أبعد فيه وأمعن . والمفاوز : جمع مفازة ، وهي الصحراء المهلكة والمواحي : جمع موحاة ، وهي الصحراء أيضا .

(٦) الارتفاد : طلب الرشد ، وهو العطاء . يريد أنه لا يبقى من تطوافه كسب مال .

(٧) استنهاز القوم : بعثهم من مرقدهم ، وتحريكهم نحو طلب المجد .

فَتَنَّى سَارَ كَانَ لَهُ هَدِيرٌ^(١) يَهْزُ دَوِيَّهُ أَقْصَى الْبِلَادِ^(٢)
وَكَمْ قَدْ قَامَ فِي نَادٍ خَطِيبًا بِمُحْكَمَةِ الْمَقَاصِدِ وَالْمَبَادِي^(٣)
تُنِيرُ بِكَهْرْبَائِي الْمَعَانِي أُمُورًا كَنْ كَالظَّلَمِ الدَّاءِي^(٤)
تَحُلُّ مِنَ الْقُلُوبِ إِذَا وَعَتْهَا مَحَلَّ الْحُبِّ مِنْ شَغَفِ الْفَوَادِ^(٥)
إِلَى أَنْ جَاءَ حَاضِرَةً نَمَاهَا أَبُو الْأَمْنَاءِ ذُو الشَّرَفِ التَّلَادِ^(٦)
فَكَانَ نَزُولُهُ فِي سَاكِنِيهَا نَزُولَ الْمَاءِ فِي الْمُهْجِ الصَّوَادِي^(٧)
فِيَا عَبْدَ الْعَزِيزِ أَقِمْ عَزِيزًا بِحَيْثِ الْأَرْضِ طَبِيبَةُ الْمَرَادِ
يَحْيِيكَ الْعِرَاقُ بِرَافِدِيهِ تَحِيَّةَ مُخْلِصٍ لَكَ فِي الْوِدَادِ

في حفلة شوقي

أُمَارِسْ دَهْرًا مِنْ جَدِيدِي دَاهِرًا وَمَا زَالَ لَيْلِي بِالْعِرَاقِينَ سَاهِرًا^(١)
أَبَى الْحَقُّ إِلَّا أَنْ أَقُومَ لِأَجَلِهِ عَلَى الدَّهْرِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ ثَائِرًا^(٢)
وَأَنْ أُمَادِي فِي جِدَالِ خُصُومِهِ وَأَقْرَعَ مِنْهُمْ بِالْبَيَانِ الْمُكَابِرَا
وَإِنِّي لِأَهْوَى الْحَقَّ كَالطَّيِّبِ سَاطِعًا وَكَالْمَرْحِ هَبَّابًا وَكَالشَّمْسِ ظَاهِرَا
سَتَبْقَى لِنَفْسِي فِي هَوَاهِ سَرِيرَةً إِذَا الدَّهْرُ أَبْلَى مِنْ بَنِيهِ السَّرَائِرَا

- (١) هدير : أى صوت شديد كصوت الفحل الهايج ، والدوى ، بوزن غنى : الصوت الشديد كقصيف المدافع ، وانفجار القذائف ونحو ذلك .
(٢) محكمة المقاصد : أى بخطبة مسددة الأغراض والمرامى .
(٣) الدءادى : جمع دأدا بالفتح ، أو دؤدؤ ، بالضم ، وهى آخر ليلة فى الشهر . وأصله الدءادى بالهمز ، ثم خفف .
(٤) شغف الفؤاد وشغافه : هى الجلدة الرقيقة التى تحيط بالقلب .
(٥) التلاد والتلبد والتلد : الشئ الموروث من مال وشرف ونحوها . وهو ضد الطريف والطارف ، وهو المكتسب المستحدث من ذلك .
(٦) يريد أن أنه أرقه أمر مهم ، وهو رغبته فى الدفاع عن الحق ، وحبه لجِدال خصومه ومنكريه ، الذين يزخرفون الباطل وينصرونه .
(٧) الضمير فى لأجله : يعود على الحق .

وتكره نفسى أن أكون مخادعاً لأدرك نفعاً أو لأدفع ضائراً
ومن أجل مقى للمخائيل أنكرت يدى أن تحلى فى الجنان أساوراً
وما العجز إلا أن أكون مكاتماً إذا ما تقاضتنى العلى أن أجاهراً^(١)
وما أنا ممن يُبهم القول لاحقاً فيضمّر فيه للجليل الضمائر
ولولا طموحى فى الحياة إلى العلى
سكنتُ البوادر واجتنبت الخواضر

* * *

يقولون لى فى مصرَ للعلم نهضة^٢ تفتق أذهاننا وتجلو بصائرنا
وإن بها للعلم قدراً وحرمة^٣ وإن بها للحقّ عوناً وناصراً
وإن لأهل العلم فيها نوادياً وإن لأهل الفضل فيها دساكراً^(٢)
ألم تر أن القوم فى كل محفلٍ بها رفعوا للقائلين المنابراً
وقد ضربوا وعداً لتكريم شاعر تملك صيتنا فى الأقاليم طائراً
هو الشاعر الفحل الذى راح شعره
بإنشاده فى البر والبحر سائراً
فلو قلتَ بعضَ الشعر فى يوم حفلهم^٤
تشدُّ به مناً لمصرَ الأواصر

قللتُ أجَلَ والشعر ليس بمعجزى
ولن تعدّموا منى على الشعر قادراً
ألا إن شوقى شاعر جدّ شاعرٍ يفوق الأوالى بل يبرز الأواخر^(٣)
تملك حرَّ الشعر فهو رقيقه وقام عليه بالذى شاء أمر^(٤)

(١) تقاضتنى : طالبتنى . يقال : تقاضيته الدين : طالته بأدائه .
(٢) الدساكر : جم دسكرة ، ومن معانيها بناء كالقصر حوله بيوت ومنازل للخدم ؛ والمراد أن للعناء وأهل الفضل منندبات وجمام مجتمعون فيها .
(٣) الأوالى : جمع أول ، وأصله أوائل ثم قلب . وهم ضد الأواخر ، جمع آخر ، بكسر الخاء .
(٤) يريد أن شوقى تملك رقاب المعانى ، وحر الشعر : خالصة من العيوب ، وفى الرقيق تورية .

إذا رام جزلاً منه أنشد زاخرا وإن رام سهلاً منه أنشد ساحرا^(١)
فلا عجبٌ من أهل مصر وغيرهم إذا عقدوا منهم عليه الخناصر
بنى لهم مجدا رفيعا بشعره لذا جعلوا حسن الثناء وكائرا^(٢)

* * *

ولكننى قد أنظرُ الحلقة التي تقام له ذا اليوم في مصرَ ساخرا
إذا احتفلت مصرُ بشوقٍ فما لها تقيم على الأحرار في العلم حاجرا
فقد أسمعنا ضجةً أمطرت بها علياً وطه حاصباً متطائرا^(٣)
فما بال هذا عدّ في مصر مارقا وما بال هذا عدّ في مصر كافرا
إذا لم تك الأفكار في مصر حرة فليس لمصر أن تكرّم شاعرا
أيرفع قدرُ العلم ينطق ناظما ويوضع قدرُ العلم ينطق ناثرا
ويختص بالتبجيل من جاء منشدا ويقذف بالتجهيل من جاء فاكرا
ألا أن هذا الشعر ليس بطائل إذا كان عما يبلغ العلم قاصرا
كما أن هذا العلم ليس بنافع إذا لم تكن فيه النفوس حرائرا
وتكرّم ربّ الشعر ليس بمفخر لمن كان عن حرّية الفكر جائرا
وإلا فعصر الجاهلية قبلنا له السبق في تكريم من كان شاعرا

(١) الجزل : القوى الفخم من الألفاظ ، ضد السهل .

(٢) الكائر : جمع وكبرة ، وأصله الطعام يعمل عند الفراغ من بنيان الوكر ، أو عند شرائه فيدعو إليه ، استعاره الشاعر هنا حلقة التكريم .

(٣) على : هو حضرة الحبيب النسيب والوزير الكبير الأستاذ علي عبد الرزاق صاحب كتاب الاسلام وأصول الحسب ، وقد حدثت عند تأليفه إياه ضجة مشهورة .

وطه : هو أستاذ الجيل ، وموجه الثقافة الأكبر ، الدكتور طه حسين أستاذ الأدب العربي بجامعة فؤاد الأولى ، ومن تأليفه التي أحدثت دويا شديدا في العالم العربي كتاب « في الشعر الجاهلي » ، وله كتب أخرى كثيرة في الأدب والنقد ، ذات أثر بالغ في توجيه أدباء هذا الجيل .

الامة العربية

ماضيها و باقيا

هَمَّ الرجال مَقِيَسُهُ بِزَمَانِهَا وسعادة الأوطان في عُمُرَانِهَا (١)
وَأَسَاسُ عِمْرَانِ الْبِلَادِ تَعَاوُنٌ متواصل الأسباب من سُكَّانِهَا
وَتَعَاوُنُ الْأَقْوَامِ لَيْسَ بِحَاصِلٍ إلا بنشر العلم في أوطانها
وَالْعِلْمُ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِلَّا إِذَا أَجْرَتْ بِهَا الْأَعْمَالُ خَيْلَ رِهَانِهَا
إِنَّ التَّجَارِبَ لِلشُّيُوخِ وَإِنَّمَا أَمَلُ الْبِلَادِ يَكُونُ فِي شُبَّانِهَا (٢)
هَذِي لَدَى الْعَرَبِ الْكِرَامِ مَبَادِي نَزَلَتْ بِهَا الْآيَاتُ فِي قُرْآنِهَا (٣)
وَالْعُرْبُ أَكْبَرُ أُمَّةٍ مَشْهُورَةٍ بَفَتْوحِهَا وَعُلُومِهَا وَبَيَانِهَا
كَمْ قَدْ أَقَامَتْ لِلْعُلُومِ مَدَارِسًا يَغِيَا ذُورُوا الْإِحْصَاءَ عَنْ حِسَابِهَا
وَبَنَتْ بِأَقْطَارِ الْبِلَادِ مَصَانِعًا تَحْجِرُ الْأَفْكَارَ فِي بُنْيَانِهَا
فَالْجَدُّ مَأْثُورٌ بِكُلِّ صِرَاحَةٍ عَنْ قَيْسِهَا أَبَدًا وَعَنْ قَحْطَانِهَا
طُبِعَتْ عَلَى حُبِّ الْعِلَاءِ فَسَعِيهَا لِلْمَكْرُمَاتِ يُعَدُّ مِنْ دَيْدَانِهَا (٤)
تَهَضَّتْ بِمَاضِي الدَّهْرِ تَهَضُّتْهَا خَضَعَتْ لَهَا الْأَفْلاكُ فِي دَوْرَانِهَا
حَسَدَتْ عَوَاقِبُ أَمْرِهَا حَتَّى لَقَدْ بَهَرَتْ بِنَى الدُّنْيَا جَلَالَةَ شَانِهَا
فَهُمُ الْأَلَى فَتَحُوا الْبِلَادَ وَشَرُّوا رَايَاتٍ مَعْدَلَةٍ عَلَى قُطَّانِهَا
وَهُمُ الْأَلَى خَضَعَتْ لَهُمْ أُمُّ الْوَرَى من تُرْكِيهَا طُرًّا إِلَى أَسْبَاطِهَا

(١) معنى هذا البيت والآيات الثلاثة التي بعده : أن سعادة الأوطان بعمرانها ، وأن عمرانها بتعاون سكانها ، وتعاون سكانها لا يكون إلا بنشر العلم فيها ، وأن العلم لا ينفعها إلا إذا اقترن بالعمل .
(٢) أى أن الرأى للشيوخ الذين حكمتهم التجارب ، والشبان لهم العمل الذى به يتم أمل البلاد فى المستقبل .

(٣) قوله هذى : إشارة إلى القضايا المتقدمة فى الآيات السابقة .

(٤) الديدان بالفتح : النداب والعادة كالديدن .

والروم قد نزلت لهم عن ملكها والفرس عما شيد من إيوانها
يا أمة عاش البرية أعصراً في عدلها رغداً وفي إحسانها
ثم انقضت تلك العصور فجاءها زمن به انقادت إلى عبدانها
فنضت ملابس عزها وتناقلت في النل راسفةً بقيد هوانها (١)

في إيلياء

إلى فاضليها النشاشيبي والسكاكيني

أرى الأيام ظامئةً وليست بغير دم الأنام تريد ريتاً
ولو لم تنو حرباً ما تبدى بها شكل الأهله خنجرياً (٢)
ودل على قلبها انقلاب لجرم الأرض حين غدا كرى (٣)
وأصلدت الحقيقة في الليالي فلما بقتدح زندا وريراً (٤)
نقضت يدي من أبناء دهر أهانوا الشهم واحترموا الزرياً (٥)
وقل حيأوهم حتى رأينا ظنين القوم يتهم البرياً (٦)
وساد الجاهلون فلست أدري أعزى العلم أم أبكى الدرياً
لهم عين تراعى الشر يقظى وقلب ظل في عمه كرى
تقلدت السيوف رعاة معز وكانت قبل تحمل الهرياً (٧)
فجرد منهم الرعديد عضباً وهز أخو الجبانة سمهرياً (٨)

(١) نضت : خلعت ونزعت . وراسفة : أي ماشية مشى المقيد .

(٢) خنجرياً : مشبها للخنجر .

(٣) جرم الأرض : جسمها . والسكرى والكروى : السندير المشبه للسكره .

(٤) أصلد : لم يور .

(٥) الزرى : ذو العيوب المحتقر .

(٦) الظنين : المتهم الذي لا يوثق به .

(٧) الهرياء : العصي ، وهو جمع هرواء على غير قياس ، وهى العصا الغليظة .

(٨) جرد السيف : سله من غمده . والرعديد : الجبان المستطار الفؤاد . والعضب : السيف

القاطم . والسمهري : الرمح الصلب الشديد .

وكم تَرَبَّ تَجَسَّ نَلْأَعَادَى فَاصْبَحَ مِنْ تَجَسُّهُ ثَرِيًّا
وساعِرَ كانَ يَسْرَحُ بِنُؤَانِي فَامْطَى مِنْ سِعَايَتِهِ ثَرِيًّا
وإنَّ لِسَلَةِ الدُّنْيَا لَتَلْبَا قَسِيًّا فِي السِّيَاسَةِ مَرَمِيًّا
قد اتَّخَذُوا الْحِصَامَ لَهْمَ لِسَانَا فَخَالُوا الْبُطْلَانَ وَاخْتَلَفُوا الْفَرِيًّا
وكيف تُسَلِّسُ مَمْلَكَةً بَدَل إِذَا مَا الْحُكْمُ أَصْبَحَ عَسْكَرِيًّا

• • •

ألا ما بَالُ دُمَى لَيْسَ يَرْقَا كَانَ بِمَقْلَقِ عِرْقًا صَرِيًّا
إِذَا ذُكِرَ الْعِرَاقُ بَكَيْتَ شَجْوَا بِدُمْعٍ طَمَّ سَالَهُ الْقَرِيًّا
وَلَا سِرْتُ فِي جَبَلٍ وَسَهْلٍ وَكَابَدْتُ السَّمَامَ وَالْعَرِيًّا
نَزَلْتُ بِإِيلِيَا عَلَى حُكْرَامٍ وَخَيْمَ الْعَبَشِ عَادَ بِهِمْ مَرِيًّا
فَكَلَدْتُ بِقُرْبِهِمْ أَنْسَى بِلَادِي وَأَسْلَوُ الْطَفَّ ثَمَّةً وَالْقَرِيًّا
وَلَمْ أَرَ كَالنَّشَاطِيْبِيِّ نَذْبًا إِلَى السَّيَاءِ مَبْتَدِرًا جَرِيًّا
فَتَى سَعَتِ الْمَفَاخِرُ وَهِيَ عَطَشَى إِلَى آدَابِهِ فَاصْبَنَ رِيًّا
تَجَدَّدَ فِي الْعَلَاءِ فَكَانَ بِدْعًا فَخَاشَ بِمَصْرِهِ رَجُلًا طَرِيًّا
وَأَحْرَزَ فِي الْوَرَى شَرَفًا رَفِيعًا وَضَيْتَا فِي الْمُلَى إِسْكَندَرِيَّا
وَلَمْ أَرَ سَيِّئًا كَأَبِي سَرِيٍّ وَلَا مِثْلَ ابْنِهِ وَلَدَا سَرِيَّا
هَما مُتَشَابِهَانِ فَمَبْقَرِيٍّ مِنْ الْآبَاءِ أَنْجَبَ عَبْقَرِيَّا
أَبٌ فِي الْمَجْدِ أَرْوَعُ أَحْوَزِيٍّ نَمَى لِلْمَجْدِ أَرْوَعُ أَحْوَزِيًّا^(١)
إِلَى الشَّهْمِ السَّكَائِنِيِّ أَهْدَى ثَنَاءً لَا يَزَالُ بِهِ حَرِيًّا
فَتَى غَرَسَ الْمَكَارِمَ ثُمَّ مِنْهَا جَنَى ثَمَرَ الْعُلَى غَضًا طَرِيًّا
يَعْفُ مَعَاشَهُ إِلَّا شَرِيفًا وَيَأْبَى الْمَجْدَ إِلَّا جَوْهَرِيًّا

(١) الأحوزي : الجاد في أمره ، والمحسن السباقة للأور . قالت عائشة في عمر : كان واقف أحوزيا ليسج وحده . وروى بالمثل أيضا ، وهو قريب من الأحوزي ، وهو الدائق الخفيف .

تجاه الرياحاني

شكواى الخاصة

لهذا اليوم فى التاريخ ذكرٌ به الآناف يَفْغَمُهِنَّ طيبٌ
ويحسن فى المسامع منه صوت له تهتز بالطرب القلوب
ففى ذا اليوم نحن قد احتفينا بريحاناينا وهو الأديب
فتى كثرت مناقبه فأضحى له فى كل مكرمة نصيب
نجالس منه ذا خلق كريم له بجليسه أثرٌ عجيب
وأقسم لو يجالسه سفيه فَوَاقًا لاغتدى وهو الأريب^(١)
كذاك يكون زهرُ الروض لما تمرّ عليه ناسمة تطيب
ولم ينسب إلى الريحان إلا وريحان الرياض له نسيب
له قلمٌ به تحيا المعاني كما يحيا من المطر الجديب
وتشرق فى مماء الشعر منه كواكب ليس يُذكرها مغيب
لقد طارت بشهرته شمالًا كما طارت بشهرته جنوب
وطبق صيته الآفاق حتى تعرفه القبائل والشعوب
فديتك هل تُصيح فإن عندى شكاة لا تُصيح لها الخطوب
إلى كم أستغيث ولا مغيث وأدعو من أراه فلا يجيب
أقمتُ ببلدة ملئتُ حقودا على فكل ما فيها مُريب
أمرٌ فتنظر الأبصار شُرًا إلى كأنما قد مرّ ذيب
وكم من أوجه تبدى ابتساما وفى طي ابتسامتها قطوب
سكنت الخان فى بلدى كأنى أخو سفر تقاذفه الدروب
وعشت معيشه الغرباء فيه لأنى اليوم فى وطنى غريب

(١) فَوَاقًا : أى قدر فَوَاقٍ ، وهو مدة ما بين الحلبتين .

وما هذا وإن آذى بدائي
ولكنني أرى أبناء قومي
يُقدِّم فيهم الشرير دَفْعاً
فهذا الداء منتشِب بقلبي
فكيف شفاؤه ومتى يُرجى
وإنك قد شكوت فاشكأتني
سأنصِب للهواجر حرَّ وجهٍ
وأضرب في البلاد بغير مُكث
إلى أن أستظل بظل قوم
وإلا فالخيانة أمرٌ شئ

ولا هو أمره أمر عَصِيب
يدبر أمرهم من لا يُصِيب
لشرته ويُحتَقِر الأديب
وفي قلب العُلى منه وجيب
وإن دواؤه ومن الطيب
إلى ذى خُلَّةٍ شئ معيب
يعود إلى الشروق به الغروب
أجوب من المأَمِّ ما أجوب
حياة الحر عندهم تطيب
وخير من مرارتها شعوب

بني الأرض (*)

بني الأرض هل من سامع فيَّته
جئنا على حب الحياة وإيها
سعى الناس والأقدار محبوبة لهم
جرت سفن الأيام مشحونة بنا

حدث بصير بالحقيقة — عالم^(١)
مخيفة أحلام أطافت بحالم^(٢)
وناموا وما ليل الخطوب بناهم^(٣)
على بحر عيش بالردى متلاطم^(٤)

تأملت في الأحياء طرّاً فلم أجِد
وربَّ سعيدٍ واحدٍ تمَّ سعده

بهم باسمًا إلّا على ألف واجم^(٥)
بألف شقيٍّ في المعيشة راغم^(٦)

(١) به الحديث : أطلعه عليه .

(*) من الجزء الأول .

(٢) الأحلام ، جمع حلم بضم الحاء ، وهو ما يراه الناس .

(٣) الخطوب : جمع خطب ، وهو الأمر صغر أو عظم .

(٤) الردى : الهلاك .

(٥) الواجم : الساكن غيظاً وغماً .

(٦) راغم : كاره .

وما المرء إلا دَوْحَةٌ في تنوِّفَةٍ مَلَوَّحَةٌ أَغْصَانُهَا بِالسَّامِ (١)
لَهَا وَرَقٌ قَدْ جَفَّ إِلَّا أَقْلَهُ وَعِيدَانِهَا بَيْنَ النَّيُوبِ الْعَوَاجِمِ (٢)
وَلَا يَدَّ أَنْ تُجْتَثَّ يَوْمًا جُذُورُهَا وَتَقَعَّيْهَا إِحْدَى الرِّيحِ الْمَوَاجِمِ (٣)

أرى العُمرَ مَهْمَا ازْدَادَ يَزْدَادُ نَقْصُهُ إِذَنْ نَحْنُ فِي نَقْصٍ مِنَ الْعُمَرِ دَائِمٍ
وَلَوْلَا أَنْهَدَانِي فِي بِنَاءِ جِسْمِنَا مَا احْتِيجُ فِي تَعْمِيرِهَا لِلْمَطَامِ
لَحَى اللَّهُ بِأَسَاءِ الْحَيَاةِ كَأَنَّا نَكْبَلُ مِنْ حَاجَاتِهَا بِالْأَدَامِ (٤)
نُروحُ كَمَا نَعْدُو نَجَاهِدُ دُونَهَا أُمُورًا دَعَتْنَا لِارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ
فَلَوْ كُنْتُ فِي هَذَا الْوُجُودِ مَخْجَرًا وَفِي عَدَمِي لِاخْتَرْتِهِ غَيْرِ نَادِمٍ (٥)
هَلِ الْمَوْتُ إِلَّا سَالِكٌ وَحَيَاتُنَا إِلَيْهِ سَبِيلٌ مُسْتَبِينِ الْمَعَالِمِ (٦)
وَمَا زَالَ هَذَا الدَّهْرُ غَضَبَانٍ آخِذًا عَلَى النَّاسِ مِنْ سَيْفِ الْمُنُونِ بَقَائِمٍ (٧)
تَبَصَّرَ تَجِدُ هَذِي الْبَسِيطَةَ مَنْزِلًا كَثِيرَ الْيَتَامَى عَامِرًا بِالْمَاتِمِ (٨)
وَالَيْسَ الَّذِي آتَى لَهُ فَقَدْ هَالَكَ وَلَكِنْ ضِيَاعُ الْمَفْجَعَاتِ الْكَرَائِمِ (٩)
أَرَامِلُ تَسْتَدْرِي الدَّمُوعَ وَحَوْلَهَا يَتَامَى كَأَفْرَاحِ الْقَطَا وَالْحَمَائِمِ (١٠)

- (١) الدوحة : الشجرة العظيمة . التنوِّفَة : المفاضة والغلاة لأماء فيها ولا أنيس .
(٢) النيوب : جمع ناب ، وهي السن التي خلف الرابعة . العواجم : الأسنان ، لأنها تعجم لما كُول .
(٣) تجتث : تقطع . جذورها : أصولها . المواجهم : جمع هاجمة .
(٤) يقال لحى الشجرة : بمعنى قشرها ؛ ويستعمل اللحي بمعنى الشتم والسب مجازاً كما هنا .
نكبل : نقيد . الأدام : القيود .
(٥) اخترته : أي اخترت العلم .
(٦) مستبين المعالم : واضح الطرق .
(٧) المنون : الموت . وقائم السيف : منبسطه .
(٨) الماتم جمع ماتم : وهو كل مجتمع من رجال أو نساء في حزن أو فرح ؛ ثم قصر على تجمع النساء في المصائب .
(٩) آسى : أحزن . المفجعات : اسم مفعول من أًجعت المصيبة : بمعنى أوجعته . والكرائم : جمع كريمة : يقول : ليس ما أحزن عليه هو هالكاً قد فقدته ؛ ولكنني أحزن على نساء كرائم قد أوجعتهن المصائب .
(١٠) تستدري : تستنزل . القطا جمع قطاة ؛ وهي طائر في حجب الحمامة . الحائم : جمع حمامة .

وكائنٌ ترَى مخدمته في جلالها

سعتُ حيث أبكاها الردى سعى خادم^(١)

فليت المنايا حين قوَّضنَ بيتها بدأن بها من قبل هدم الدعائم^(٢)

• • •

أرى الخيرَ في الأحياء ومُضَّ سحابة

بدا خلباً والشرُّ ضربةً لازم^(٣)

إذا ما رأينا واحداً قام بانيا هناك رأينا خلفه ألفَ هادم

وما جاء فيهم عادل يستميلهم إلى الحق إلا صدَّه ألف ظالم

جهلت كجهل الناس حكمة خالقٍ على الخلق طُراً بالتعاسة حاكم

وغاية جهدى أننى قد علمته حكيماً تعالى عن ركوب المظالم

• • •

دأبتُ لنفسي في الحياة كأننى من العيش ملقًى في شدوق الضراغم^(٤)

يخاصمنى منها على غير طائل أناس فابدى الصقح غير مخاصم^(٥)

وأقع بالقوت الزهيد لطيبه حذار وقوعى في خبيث المطاعم

وأترك ما قد تشتهى النفس نيلَه لما تشتهيه قلةٌ في دراهمي

وكم لى في بغداد من ذى عداوةٍ وما أنا في شيءٍ عليه مجارم^(٦)

إذا جئت بالقلب السليم يجيئني بقلب له من كثرة الحقد وارم

(١) كائن : بمعنى كم لتكثير . (٢) قوَّضن : هدمن .

(٣) الومض : البرق الخفيف . البرق الحاب : هو الحُداغ الذى لامطر فيه .

(٤) شدوق جمع شدى : وهو قطعة الفم من باطن الحدين . الضراغم : الأسود .

(٥) على غير طائل : على غير جدوى ولا فائدة .

(٦) جارم : مذنب .

الحمد للمعلم

(إلى المعلم نخلة زريق)

وليل به قد بئت أختلس الكرى
تمطى على الآكام منه بغييب
وكاد دُجَاهُ يَمُكِن الكَفَّ لَمْسُهُ
لقد بَسَّهْ وإلهم مُعْتَلِج به
يَقْلِبُنِي فِيهِ الْجَوَى وتَهزِّي
أرى الزَّهْر فِيهِ يَضْطَرُّ بِكَ خَابِطٍ
كَأَنَّ نَجْمَ اللَّيْلِ غَضِبَ عَلَى الدُّجَى
إلى أن بدا لي الصبح يحكي عموده
ففي كنت قبل اليوم خُبرت فضله
له خَلْقٌ بَادٍ إِبَاءً وَنُحْوَةً
تَرَى مِنْهُ إِنْ لَا يَنْتَهَ ذَا دِمَائَةٍ
لقد علمت هَذِي المَدَارِسُ فَضْلُهُ
تَقَضَّتْ لَهُ فِيهَا ثَلَاثُونَ حِجَّةً
وَجَهَّزَ بِالْآدَابِ أَبْنَاءَ قَطْرِهِ
بِذَلِكَ أَحْيَا لِلْأَعَارِبِ لَهْجَةً
إِذَا اسْتَبَهَمَتْ طُرُقَ الْفَصَاحَةِ مَارَهَا

بِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْهَا تَقَرَّرَا
لَنَا الْيَوْمَ جَيْشٌ مِنْ تِلَامِيذِ عِلْمِهِ
بِهِ الْجَهْلُ وَلِيَ مَدِيرًا وَتَقَهَّقِرَا
هَمَّ الْجَيْشُ سَدُّوا ثَغْرَ كُلِّ جِهَالَةٍ
إِذِ اتَّخَذُوا فِي كُلِّ ثَغْرٍ مَعْسَكَرَا

له الفضل في تعاليمهم أفصح اللغاً
وغير القوافي والكلام الحبراً
فكل فتى منهم أديب تقيمه
ليأتى درساً أو ليقرع منبراً
لك ابن زريق منة سرمدية
سيد كرها في دهره من تذكراً
إذا ما سمعنا ناطقاً بفصاحة
من الناس أثينا عليك تشكراً
كفى بانسكا كفى في القدس شاهداً

بما لك من فضل عظيم على ابوري
فقد كان قبل اليوم تلميذك الذي
غدا اليوم أستاذاً كبيراً مفكراً

عرس مصر

قالها في مصر عرس السكرية الحديو عند اقترانها بابن الدمام
فريد باشا : وكان ذلك في أثناء حرب البلقان المعلومة .

أطربتهم بلحنها الأنعام
حين أدمت قلوبنا الآلام
فأقاموا مجالس الأنس حتى
رقص العار بينهم والذام
أضحكوا أوجه السفاهة ضحكاً
قد بكت في خلاله الأحلام
إن في مصر السكرية عرساً
سوف تغسني بشرحه الأقدام
أوقدوا فيه للمسرور سراجاً
عم من نوره البلاد ظلام
ذاك عرس تكسر اللؤلؤ فيه
عن نيوب كائن سبام
وتعنت فلقوم فيه قيات
أنكر العهد صوتها والذمام
فلبين الحليم فيه بكاء
ولنغر السفية فيه ابتسام

* * *

أيها المؤمنون في مصر مهلاً
إن إيلاكم انما إيلاكم
أتعنيكم القيان بيوم
قام في ماتم به الإسلام
ليست هذه البلاد حداداً
وتحت بوشيا الأهرام
وجرت أعين الفرات دموعاً
وجرى النيل ثغره بسام

أشمتنا بالمسلمين وقد دا رت عليهم بنحسبها الأيام
إذ رمتهم يد الزمان بخطب جَلَل ما لنقضه إبرامُ
فهوت مصارع الحكم منهم جثت تملأ الفضاء وهامُ
وتحلوا عن البلاد وأبقوا حرّماتٍ تدوسها الأقدامُ

يا بني مصر صَغِيَّةً لسؤال فيه عَتَبَ لَكُمْ وفيه مَلَامُ
أَتَنَاطُ الْفَتْوُخُ فِي خِنَصِرِ الْكَفِّ اَزْدِيَانَا إِنَّ قُطَّتِ الْإِبْهَامُ
أَدْمَاءُ الْقَتْلَى لَدَيْكُمْ خِضَابُ أَمْ أَنْيْنُ الْجَرْحَى لَكُمْ أَنْعَامُ
أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَكُونُوا كَقَوْمِ أَسْكُرْتَهُمْ بَيْنَ الْقُبُورِ مُدَامُ
أَمْ أَصْنَحْتُمْ إِلَى الْأَغَارِيدِ كَيْ لَا تَسْمَعُوا كَيْفَ تَنْجَبُ الْآيَتَامُ
لست أدري وقد سمعت بهذا يَقْظَةً مَا سَمِعْتَهُ أَمْ مَنَامُ

من مضحكات الدهر

سأبدى لدهري ناجذ المتضحك ولو كان يجري بالذي هو مهلكي
فما أنا راجٍ بعد ذا اليوم خيرُهُ ولا خائفٌ من شره المتحركِ
إذا الدهر لم يعتب من الناس جازعاً فأضيعُ ما فيه شكاية مُشْتَكِ^(١)
على أن ضحكى منه لا عن سفاهة ولكن كضحك العف من مبهتكِ
ولو سبَر الناس الحوادث بالنهي لما حصلوا منها على غير مضحكِ
وما حادثات الدهر إلا خوابٌ كعشواء تمشي مشية المترهوكِ^(٢)
وتنهض للإقبال في غير مهبُضٍ وتبرك أحيانا على غير مبركِ

(١) لم يعتب : مضى . أن أعيبه : إذا أعطاه العتبى وأرضاه ؛ أى أزال عتبه ؛ فلهزمة فيه للسلب في أشكاه : أى أزال شكايته .

(٢) العشواء : النافه التي لا تنصر أمامها . فهي تحبظ بديها كل شيء ؛ إذا مشيت لا تتوقى شيئا . والمترهوك : المضطرب ؛ الذي تراه كأنه يعوج في مشيته .

وما حكم هذا الدهر إلا تحكم
كأننا من الدنيا بيت تقامر
فمن قامر قد فاز باليسر قدحه
وما الحرف الآتى يُجيد احترافها
وإن طيب القوم ناصب كفة
ومن مصحكات الدهر حامل سُبحة
وآخر تركي تعرب وادعى
وتحديث غر مطرباً عدل دولة
وما الناس إلا خادع أدرك المني
فلا تبتد من زير النساء تعجبا
فما دارت الأفلاك إلا وقطبها
وإن أبصرت عينك يوماً حقيقة

كحكم فصوص الرد في نقل مهرك^(١)
حوى من سهام القمر كل مذمك^(٢)
وآخر مقمور بقدر التصعك
سوى شبك منصوبة للتملك
ليصطاد فيها بالدواء المصطك^(٣)
تقبل جهلاً كفه للترك
على عربى هجنة للترك^(٤)
برايها رسم الصليب المشبك
وآخر مخدوع لها غير مدرك
ولا تعتر بالزاهد المنسك^(٥)
بحكم الهوى حب الكعاب المفلك^(٦)
تخالف ما قد قلته فتشكك

(١) قوله : لا تحكم : أى مجاوزة للعق في الحكم . والنز : شئ . يلعب به : وأراد بفصوص الرد الكعاب التى يلعب بها . والمهر : واحد المهارك : وهى قطع مستديرة من خشب أو غيره يلعب بها في الرد . وهو معروف « مهرة » بالفارسية . والمعنى أن حكم الدهر غير منطبق على المفعول ، وإنما هو تحكم كالحكم الناتج من رمى الكعاب في نقل المهارك في الرد ، فان اللاعب لا ينقل المهارك كما يريد ، بل ينقلها حسبما تأتى به الفصوص عند رميها .

(٢) سهام القمر : قداحه التى يفارع بها في القمار . والمذمك : من السهام الخلق ، أى السوى الممس . لا جعل أحكام الدهر في البيت المتقدم كأحكام كعاب الرد ، ناسب أن يجعل الدنيا في هذا البيت بيت مقامرة ، والناس فيها بين قامر ومقمر ، وأوضح ذلك بالأبيات التالية .

(٣) الكفة : حباله الصائد التى يصيد بها الطباء ، وهى بضم الكاف وتسكس . والدواء لمصطك : الخيط بالمصطكى .

(٤) حارل معنى البيت أن من المضحكات تركيا تعرب . فصار يعبر بالهجنة عربياً قد ترك . يصور بهذا البيت شدة اختلاط الناس في هذا العصر ، واندماج بعضهم في بعض . فسكتيراً ما ترى من يتعصب للعرب وهو تركي الأصل ، ومن يتعصب للترك وهو عربي الأصل .

(٥) زير النساء : الذى يحب محادثة النساء . ويكثر مغازلتهم .

(٦) الكعاب . كسحاب : الجارية الناهد . والمفلك بصيغة الفاعل . واللام مشددة : التى استدار تديها . يقال فلانك الجارية : استدار تديها وصار كفلك المنزل .

فإنك لم يُنبئك مثلُ تجرَّب خير ولم ينصحك مثلُ مُحَنِّك^(١)
فهذا لعمرُ الله رأيتُ فخذ به فقد فرتَ منه بالجذيل المحكَّك^(٢)

الشارع الكبير ببغداد

نكَّب الشارع الكبير ببغدا د ولا تمش فيه إلّا اضطرارا
شارعٌ إن ركبتَ متنيه يوعا تلقى فيه السهول والأوعارا
تترامى سنايك الخيل فيه إن تقحَّمن وعنه والخبارا
فهي تحشو التراب فيه على الأو جه حثوا وتقذِف الأحجارا
لو ركبتَ البراق فيه أو البرّ ق نهاراً لما أمنت العشارا
تحسب العابرين فيه سُكاري من هواء تنسموه غبارا
ساطعا يملأ الفضا مستطيراً حاملاً في ذرّاته الأقذارا
مستجيشاً من الجراثيم جيشا مسبطراً عرمرما جرّارا
هو إن رُشّ جاش وحلاً وإلّا جاش تقعا على الوجوه مئارا
تصهر الشمس فيه أدمغة القو م إذا هم تحبّطوه نهارا
وإذا ما مشيت في جانبيه فتجنب رصيفه المنهارا
وإذا ما أرسلت فيه إلى الأطراف لحظا أنكرته إنكارا
لا ترى فيه ما يسرُّك بالصنعة حسنا ويبيح الأَبصارا
بل ترى العينُ فيه كل جدار تسكره العين أن تراه جدارا
فجدار عال وفي الجنب منه متدانٍ تقيسه أشبارا

(١) مجرب : بصيغة الفاعل . باعتبار أنه اختبر الأمور . والمحكك أيضا بصيغة المفعول : الذي أحكمته التجارب .

(٢) الجذيل المحكك : الذي يشتق برأيه . و الجذيل : تصغير جذل . وهو عود كانوا ينصبونه في العطن لتحتك به الإبل الجربى . ثم صار يضرب مثلا للذي يشتق برأيه . ويمتد عليه . كما قال الحباب بن المنذر لما خطب يوم السقيفة : « أنا جذيلها المحكك ، وعذيقها المرجب » .

ودكا كين كالأفاحيص تمتد يميناً بطوله ويساراً
 أين هذا من الشوارع في الأمصار زانت بحسبها الأمصاراً
 عبدوها ومهدوها فجاءت لا اعوجاجاً بها ولا ازويراراً
 وأعدوا بهن كل رصيف يحمّد السير فوقه من ساراً
 وأقاموا لهم بها كل صرح مشمخر بناؤد اشمخراراً
 فعلى الجانبين كل بناء خيل في الحسن كوكبا قد أناراً
 ثم لم يكتفوا بذلك حتى غرسوا في ضفافها الأشجاراً
 فوقتهم ظلالها وهج الشمس وسرّ اخضرارها الأنظاراً
 هكذا فلتكن شوارعنا اليوم وإلا فما عمرنا الدياراً

على الخوان

أكب على الخوان وكان خفياً فلما قام أثقله القيام^(١)
 ووالى بينها لقمًا ضخامًا فما مرّت له اللقم الضخام^(٢)
 وعاجل بأعينٍ بغير مضغ فهنّ بفيه وضع فالتهم^(٣)
 فضائق بطنه شبعًا وشالت إلى أن كاد ينقطع الحزام^(٤)
 فأرسلت اللحاظ إليه شزارًا وقلت له رويدك يا غلام^(٥)

- (١) الخوان : بالكسر وبالضم : ما يوضع عليه الطعام ليؤكل . وأكب عليه : أقبل عليه ولزمه . وكان خفياً بالكسر : أى خفيفاً . وأثقله القيام : جعله ثقيلاً .
 (٢) والى بينها . أى تابع بين القم . فما مرّت له : أى ماسغت . وكانت مريئة : أى حميدة المنبة . ولما : تمييز للضمير المضاف إليه في قوله بينها .
 (٣) الالتهم : الابتلاع بمرّة ، وفي التعبير بالمصدر مبالغة في المعنى المراد . أى هن بفيه موضوعة فلتهمه بلا فاصل .
 (٤) البطن : مذكر . وتأنّيته لغة جرى عليها الشاعر هنا . وقوله شبعاً : مفعول مطلق على حذف مضاف . أى ضيق شبع ؛ أو هو منصوب بنزع الخافض . وشالت أى ارتفعت .
 (٥) فأرسلت اللحاظ : أى النظر . فهو هنا مصدر لاحظته : إذا نظره وراقبه لنظر . وقوله شزار : أى أشزّه شزاراً . وهو النظر بجانب العين . فنظر الغضبان . رويدك : أى أمهل نفسك .

- أرى اللقَمَات تأخذها حَلَالاً
قد انتَضَدَتْ بِجَوْفِكَ مَفْرَدَات
أَزْدَرَدَ الطَّعَامَ بِغَيْرِ مَضْغٍ
فَلَا تَأْكُلْ طَعَامَكَ بِازْدِرَادٍ
أَلَا إِنَّ الطَّعَامَ دَوَاءٌ دَاءٌ
فَدَاءُ سَقَامٍ جَوْعَكَ عَنْ كَفَافٍ
وَمَا أَكُلِ الطَّاعِمِ لِالتَّذَاذِ
طَعَامِ النَّاسِ أُعْجِبَ مَا أَحْبَبُوا
يَقُودُهُمُ الزَّمَانُ إِلَى الْمَنَايَا
وَأُعْجِبَ مِنْهُ أَنَّ النَّاسَ رَامُوا
إِذَا اسْتَعَصَى الْقَفَارُ عَلَيْكَ أَكَلًا
حَذَارٍ حَذَارٍ مِنْ جَشَعٍ فَإِنِّي
وَأُعْجِبِ الْعَالَمِينَ فَتَى أَكُولُ
وَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ صِيَامَ دَهْرِي
وَلَكِن لَّا أَصُومُ صِيَامَ قَوْمٍ
فَإِنْ وَضَحَ النَّهَارُ طَوَوُا جِياعًا
- فَتَدْخُلُ فَافَكَ وَهِيَ بِهِ حَرَامٌ
تَحْلُلُ بَيْنَهَا الدَّاءُ الْعُقَامُ (١)
عَلَى أَيَّامِ صِحَّتِكَ السَّلَامُ (٢)
مَعَاجِلَةً فَيَأْكُلُكَ الطَّعَامُ
بِهِ ابْتَلَيْتَ مِنَ الْقَدَمِ الْأَنَامُ
فَإِ كَثُرَ الدَّوَاءُ هُوَ السَّقَامُ
وَلَكِنَ لِلْحَيَاةِ بِهَا دَوَامُ
فَمِنْ حَيَاتِهِمْ وَبِهِ الْحَمَامُ
وَمَا غَيْرَ الطَّعَامِ لَهُمْ زَمَامُ
تَنَوَّعَهُ إِلَّا بَيْسَ الْمَرَامُ
كَفَاكَ مِنَ الْقَرَارِ لَهُ إِدَامُ (٣)
رَأَيْتَ النَّاسَ أَجْشَعِيَا اللَّثَامُ (٤)
لَقَطْنَتَهُ بِيَطْنَتِهِ انْهَرَامُ
لَصُمْتُ فَكَانَ دَيْدَنِي الصِّيَامُ (٥)
تَكَاثَرَ فِي فَطَوْرِهِمُ الطَّعَامُ (٦)
وَقَدْ نَهَمُوا إِذَا اخْتَلَطَ الظَّلَامُ (٧)

- (١) قوله « قد انتضدت » : أى قد تراكت في جوفك . بعضها فوق بعض . وكل منها مفردة عن آخرها . كما كانت عند دخولها . وقد تحلل بينها : أى دخل في خلالها الداء العقام . الذى لا يرجى له برء .
- (٢) أزدرد الطعام : أى أتبتاع الطعام .
- (٣) القفار . بالفتح : صفة لمحدوف . أى الحيز القفار . ويقال حيز قفار : أى غير مأدوم . وأكلا : تمييز للنسبة . محول عن الفاعل . والقراح بالفتح : الداء الحامض . الذى لم يخالطه شيء يطيب به . من غسل أوزيب أو غير ذلك . ومعنى البيت ظاهر .
- (٤) حذار : اسم فعل بمعنى احذر . وتكراره هنا للتأكيد . والجشع بفتح الجيم : أشد الحرص على الطعام وأسوأه .
- (٥) ديدنى : أى دأبى وعادنى .
- (٦) تكاثر هنا : بمعنى كثير .
- (٧) وضح النهار : بان وانجلي . وقوله « وقد نهمو » : أى شرهوا وأفرطوا الشهوة فيه . وكانوا لا عقل لهم أعينهم ولا يشبعون . ويجوز أن يقرأ : نهمو ، بالبناء المقبول . واختلط الظلام : اعتسكر .

وقالوا يا نهار لئن تُجِئنا فإنَّ الليل منك لنا انتقام
وناموا مُتَحَمِّينَ على امتلاءٍ وقد يتجشَّئون وهم نيام^(١)
فقل للصَّائمين أداء فرضٍ ألا ما هكذا فُرض الصيام!

تحية سر كيس

أنشدها في حفلة أقيمت في القدس لتكريم الكاتب
الشهير سليم سر كيس . عند قدومه إليها زائراً .

كم فاضلٍ أكبرته قَبْلَ اللِّقا
حتى إذا كان اللقاء وجدت ما
إلا الفتى سر كيسَ أئى وتشرَّفِ
جالسته في القدس أولَ مرَّةٍ
في مجلس نظم الزمانُ بصدوره
إذ كان يسكرنا بخمر حديثه
يُحْيِي السرور الميتَ منك بنكتةٍ
وإذا أفاض من الحديث بحكمةٍ
وإذا تحدَّثَ مازحاً فنيكاته
لو يستدرِّد الشحيح بظرفه
جالسته فِكِهَ الكلام مناقفاً
فجالس الأدباء أنت رئيسها
أولستَ رَبَّ حَجَّةٍ أدبية
في كل شهر بالفنون ترقبها
قد جئتَ في تحبيرها متنطساً
فسجرتُ فيه من الثناء وطيساً
يُعزَى إليه العُلَى معكوساً
بلقائه ، إلا الفتى سر كيساً
فأحسَّ قلبي من هواه ريساً
عقداً من الصِّيد الكرام نفيساً
فُيدير منه على الجالوس كئوساً
فيريك معجزة ابن مريم عيسى
خِلنا محدثنا أرسطاليساً
بالضحك تصفع من تراه عبوساً
بوماً لجاد له وحلَّ الكيساً
أكرمُ بمثلِكَ ياسليم جليساً
أخلقِ بمثلِكَ أن يكون رئيساً
تُرزى بأزهار الرياض طروساً
عذراء باهرة الجمال عروساً
تشفى بنفث يراعك المألوساً

(١) ناموا متحمين : أى لهم تهمة كظلمة . وهم داء يصيب الانسان من أكل الطعام الوخيم .
وقوله « يتجشئون » التجشؤ : هو إخراج صوت مع ريح من الفم عند الشبع .

تبدو الحقائق من خلال سطورها فتضىء في ليل الشكوك شمساً
لما قدمت القدس قصصاً زيارية فمنحت وحشة أهلها تأنيساً
قنا لفضلك ياسليم تجاةً تحني الظهور مطاطين رءوساً

إلى البلاغ

أرسلها وهو في الآستانة إلى محمد باقر . لا أصدر جريدة البلاغ في بيروت

أبأقر لم تدع للقوم عذراً . بما أصدرت من حجج البلاغ
فقد صغت النصائح خالصات فجاءت وهي فائقة المصاغ
وأوضحت الحقائق رائقات لدى الأذواق طيبة المساغ
ولكن أين من يضغى ومن ذا نحاول منه قلباً غير صاغ
لقد حلّم الأديم فليت شعري أينفع ما تريد من الدباغ
ألست ترى بنى الإسلام أمسوا حيارى بين منتصف وباغ
فقوم في مقاصفهم وقوم يلوكون القفار بلا صباغ
وكم داع رأوه لهم « مفيدا » وما هو في « الحقيقة » غير لاغ
وكم صحف لهم فغرت حلوقا لتضنهم بأسنان شواغ
وما أخذتهم نفثاً ولكن تضح كأنها الإبل الرواغ
على أنى وإن أبدت سُخْطاً فما أدعوك فيه إلى الفراغ
فلا تترك بلاغك عن ملال فيفرح من ملالك كل طاغ
فقم في القوم منتضياً يراعاً يفلق هام أرباب الرواغ
وخاطبهم بشقشة المنادى وآونة بدنة المناعى
فأنت قتي إذا بلغت أمراً تؤيدك البلاغة في البلاغ
وأنت وإن خلقت نحيف جسم تفوق سواك في كبر الدماغ

في حفلة الزهاوى

أرى بغداد من بعد اغبرار زهت بكبيرها أديبا وعالما
زهت بطبيب عاتها المداوى وكادت مصر تسبقنا فخارا
به لو ظل وهو هناك ثاوى ولكن عاد محتقبا إليها
فأهلا بالحكيم وأنف أهل وما الآداب في بغداد لولا
فجار الأرض والشرف السماوى إذا ما قال في بغداد شعرا
يمن لا زال مُرشد كل غاوى تفرّد في بديع الشعر من معنى
يراع جميلها إلا دعاوى أعيدك يا جميل الشعر من أن
رواه له بأقصى الأرض راوى يداون القيم من المعانى
فجلّ عن المُعادل والمساوى ألا لا تعجبين وهم ذئاب
يسوءك نقد أرباب المساوى لقد تقدوا قريضك نقد أعمى
بفهم كان أجدر بالتداوى فأحلم لهم حديد الشعر حتى
إذا هم أفزعوك بصوت عاوى فهم قوم يروّون الحلم عجزا
يدل على الضعائن في المطاوى ولا تضرّهم إن شئت إلا
تذيق نفوسهم حرّ المسكاوى فهم مثل الذباب يطير ذعرا
إذا ما ناوءوك ولم تنأوا وليسوا نحوجيك إلى معين
بضغت من نبات الشعر ذاوى فنفض منك يعلمهم هباء
بهزّ مذبة وهوى هاوى وما احتاج القوى إلى معين
وهم ما بين مهزول وضاهى وإذا كان الضعيف هو المقاوى

إلى صاحبة الحياة الجديدة

أرسلها إلى السيدة حبوبة صاحبة مجلة الحياة الجديدة في بيروت

هَلُمَّ يا قومُ نَسْعَى إلى حياةٍ سعيدةٍ
فإنَّ فينا افتقارًا إلى أمورٍ عديدةٍ
إلى اتحادٍ وسعيٍ إلى المساعي المفيدةِ
إلى عزائمٍ نرمي بها المرامي البعيدةِ
إلى معاهدٍ نفني بها الشرورَ المبيدةِ
إلى مدارسٍ تعلو على القصور المشيدةِ
إلى عقولٍ كبارٍ إلى نفوسٍ رشيدةِ
إلى جسومٍ نقاوي بها الخطوبَ الشديدةِ
إلى صلاحٍ ندأوي به فسادَ العقيدةِ
وإنَّ أريدَ اكتفاءً بكلمةٍ عن قصيدةِ
فكل ما نبغيه هو الحياة الجديدةِ
هو الذي تدعيه حبوبةٌ في الجريدةِ
تلك الصحيفةُ تأتي لنا بكل شريفةِ
تلك المجلةُ تحوي من كل عقدٍ فريدةِ
حبوبةٌ استمشدني إن شئت كل نشيدةِ
فأنت خير فتاةٍ حميدةٍ ومجيدةِ
الشرق فيه قيودٌ وقد فككت قيودهِ
وفيه داءٌ جهودٌ وقد شفيت جهودهِ
أراؤك الغرُّ فيه صحيحةٌ وسديدةِ
من لا يريدُ أمورًا لمن أنت مُريدهِ
إلا الذي عاش غرًّا وطوق الأسرَ جيدةِ
فذاك ما عاش إلا لقصةٍ وثريدهِ

إلى المتعلم

- أَخْصِ فِي الْعِلْمِ إِنْ أُرِدْتَ كَلَامًا وَوَصُولًا إِلَى الْفَخَارِ الْأَتَمِّ (١)
وَإِذَا رُمْتَ فِي التَّعَلُّمِ حَذَقًا فَاتْرِكِ النَّفْسَ وَالَّذِي هِيَ تَرِي (٢)
وَاجْتَنِبِ قَسْرَهَا عَلَى مَا أَبْنَتْهُ إِنَّ قَسْرَ الطَّبَاعِ أَكْبَرُ ظَلَمٍ
إِنَّمَا الْمِيلُ فِي الْغَرَائِزِ نَبَاتًا رُومًا وَمَنْ ذَا يَرُدُّ تَيَّارَ يَمٍّ
أَطْعِمِ الْعَقْلَ مَا اشْتَهَاهُ مِنَ الْعِلْمِ وَإِلَّا اسْتَقَاتَ مِنْ سُوءٍ هَضَمٍ
لَيْسَ فِي أَرْوُسِ الرِّجَالِ دِمَاقٌ هَاضِمٌ فِي ذِكَاثِهِ كُلُّ عِلْمٍ
فَمَنْ النَّقْصُ أَنْ تَحَاوِلَ أَنْ تَضْرِبَ رِبَّ فِي كُلِّ ذِي الْعُلُومِ بِسَهْمٍ (٣)
حَسِّنْ فِهْمَ الْأَخْصِ أَكْثَرَ نَفْعًا لِدَوِيهِ مِنْ قَبْحِ فِهْمِ الْأَعْمِ
وَبُغَاةِ الْعُلُومِ مِثْلَ رِمَاةِ الصَّيْدِ فَاعْلَمْ وَلَيْسَ مِثْمٌ كَمُصْمِي (٤)
وَإِذَا مَا اشْتَعَلَتْ بِالْجِدِّ سَاعًا تَفْهَازِلُ سُوءِيَّةً وَاسْتَجِمَّ (٥)
وَتَرَفَّقَ إِذَا جِهْدَتْ فَإِنَّ الزَّرَّ فَقُّ يَذْكِي الْفَوَادِ وَالْعَنْفُ يُعْمِي
وَلَقَدْ يَبْلُغُ الْعَجُولُ مَدَاهُ بِالتَّائِي بِلُوحٍ خَضَمَ بِقَضَمٍ (٦)

- (١) قوله أخص: فعل أمر من أخصى طالب العلم. إذا نعلم علما واحدا وطريقة الاختصاص في العلوم هي التي وصل بها أهل الغرب إلى ما وصلوا إليه.
- (٢) الواو في قوله «والذي هي ترمي»: واو المعية. واسم الموصول مفعول معه. وترمي: تقصد. من رمى المكان إذا قصده. وعائد الموصول محذوف. أي والذي هي ترميه.
- (٣) قوله «من النقص»: الجار والمجرور خبر مقدم. «وأن تحاول»: مبتدأ مؤخر. «وأن تضرب»: مفعول لتحاول. والمحاولة لإرادة. وقوله «أن تضرب في كل ذي العلوم بسهم»: معناه أن تأخذ من كل العلوم نصيباً؛ يقال ضرب في كذا بسهم: إذا أخذ منه نصيباً.
- (٤) قوله «وليس منكم كصم»: المنمى: اسم فاعل. من قولهم أتيت الصياد الصيد: إذا رماه فأصابه ولم يقتله. ثم ذهب عنه ثبات: والمصمى: اسم: فاعل من قولهم أصمى الصيد: إذا رماه فقتله مكانه وهو يراه. وفي الحديث كل ما أصميت: ودع ما أنجيت. والمعنى: أن طالب العلم كرامى الصيد. فإذا أخصى في العلم وأتقنه كل الاقنان: كان كالمصمى الذي ينتفع بصيده. وإلا كانت كالمصمى الذي رمى الصيد فأصابه ولم ينتفع به شيئا. فهذا هو معنى قوله «وليس منكم كصم».
- (٥) الجيد بالكسر: ضد الفزل. وقوله استجيم: أي استفرح.
- (٦) المراد بالخضم هنا: الأكل ملء الفم. والخضم: الأكل بأطراف الأسنان قليلا قليلا.

كل من كانت العلوم لديه جَمَّةٌ كان نفعه غيرَ جَمٍّ (١)
 أيُّ فضلٍ لعالمٍ غيرِ بدَّعٍ ليس في العلم يُرتجى لهم (٢)
 سار شوطاً الكلَّ علمٌ وإنَّ لم ينل فيه غايةَ المستم (٣)
 هبه أبدى من العلوم نجوماً في ليالي من المشاكل دهم
 أو ليس البدرُ التَّامُ وإنَّ كما ن وحيداً يربو على ألف نجم
 كن قوياً في كل ما تدعيه إنما الفوز للقوى الملم (٤)
 أيُّها العاجزُ الضعيفُ رويداً أقرن الضأن فأنك بالأجم (٥)

اليتيم المخذوع (*)

قضى والليلُ مُعتكراً بهمٍ ولا أهلٍ لديه ولا حَمِيمٍ
 قضى في غير موطنه قتيلاً تَمَجَّ دَمَ الحياة به الكُوم (٥)
 قضى من غير باكية وباءٍ ومن يبكي إذا قتل اليتيم
 قضى غَضَّ الشَّبية وهو عَفٌّ مُطْمَرةً مآزره ككريم

= وقد ضمن هذا البيت المثل وهو قولهم « قد يبالغ الحضم بالقضم » . أي الشبعة تبلغ بالأكل
 بأطراف الفم . أي الغاية البعيدة تدرك بالرفق .

(١) جمَّة : كثيرة . وغير جم : غير كثير .

(٢) شوطاً : مفعول مطلق . وانشوط : هو الجري مرة إلى الغاية .

(٣) الملم : بكسر الميم وفتح اللام . وفي آخره ميم مشددة : هو الشديد من كبل شيء . يقال :

رجل ملم .

(٤) الأقرن من الضأن : الذي له قرنان . والأجم : الذي لاقرن له . والمعنى : أن القوى

فأنك بالضعيف لا محالة . (*) من الجزء الأول .

السيب الذي دعا شاعرنا إلى نظم هذه القصيدة : أن رجلاً يهودياً مطرباً من حلب اسمه (سليم) .
 خدع غلاماً مسيحياً يتيماً من أهاليه ، وأتى به بغداد ، فأراد منه المنكر بعض أهلها ، فأبت نفس الغلام
 الزكية الطاهرة ذلك ، فجاءه يوم وهو سكران والغلام في نادي طرب يضم المئات من الناس ،
 وأطلق عليه الرصاص . فسقط ذلك اليتيم المخذوع على الأرض . فحمل إلى مستشفى الغرباء هناك ؟
 وقبض على الجاني . وزج به في السجن . فنظم معروف أفندي هذه القصيدة حاكياً بها هذه
 الحادثة المؤلمة .
 (٥) الكوم : الجروح .

سقاها من الردى كسًا دهاقا
تجرعها على طربٍ ولكن
على حين الرّابة فى نواح
بحيث رقائق الألحان كانت
كأن ترنم الأوتار نعي
لجاء الموت ملتفعا بخزي
فأطلق من مسدسه رصاصا
فخرّ إلى الجبين به « نعيم »
فبان مودعا بعد ارتثاش
نحن لم تبك من أسفٍ عليه
ولو درت النجوم له مصابا
عسى الشهباء تثاره فتبدى
ولم يقتله « إبراهيم » فيما
أليس « سليم » الملعون أغوى
وأخرجه من الشهباء غرا
وجاء به إلى بغداد حتى
سأبكيه ولم أعبأ بلاج
ولما أن ثوى ناديت أرخ

عَفَافُ النفس والعِرضُ السليم^(١)
بكفّ اليم ليس له نديم
يساجلها به العود الرخيم
بها الأشجان طافية تعوم
وصمت السامعين لها وجوم^(٢)
وملء إهابه سقاه ولوم^(٣)
به فى الرمي تنخرق الجسوم
كما انقضت من الشهباء الوجوم^(٤)
حياة لا تناط بها الوصوم^(٥)
سفاهتنا فقد بكت الحلوم^(٦)
بكته على ترفعها النجوم
إلى الزوراء ما يبدى الخصيم^(٧)
أرى بل إن قاتله « سليم »
« نعيما » فهو شيطان رجيم
يتما ما له أبدا زعيم
تخرّمه بها قتل اليم
وأندبه وإن سخط العموم
ثوى قتلا بلا مهل « نعيم »

(١) دهاقا : ممتد .

(٢) الوجوم : الاطراف لشدة الحزن أو الغيظ .

(٣) الاماب : الجلد قبل أن يدبغ .

(٤) الوجوم : ما يرجم به . مفرد ما رجم .

(٥) ارتث ارتثانا . بالبناء المجهول : حمل من المعركة بجريحا : الوصوم : العيوب .

(٦) الحلوم : العقول .

(٧) الشهباء : حلب . والزوراء : بغداد . تثاره : تصالب بدمه .

ميت الأحياء وحي الأموات (*)

تَبْقَظُ فَمَا أَنْتَ بِالْخَالِدِ وَلَا حَادِثُ الدَّهْرِ بِالرَّاقِدِ^(١)
 فَخَلَّدَ بِسَمْعِكَ مَجْدًا يَدُومُ دَوَامُ النُّجُومِ بِلَا جَا حِدِ
 وَأَبْقَى لَكَ الذِّكْرَ بِالصَّالِحَاتِ وَخَلَّ النَّزْوِعَ إِلَى الْفَاسِدِ^(٢)
 وَرِدَّ مَا يَنَادِيكَ عَنْهُ الصُّدُورُ أَلَا دَرَّ دَرْكٌ مِنْ وَارِدِ^(٣)
 وَسِرٌّ بَيْنَ قَوْمِكَ فِي سِيرَةٍ تَمِيتَ الْخُفُودَ مِنَ الْخَافِدِ
 فَإِنْ فَتَى الدَّهْرُ مِنْ يَدِّعَى فَتَأْتِي أُعَادِيهِ بِالْشَّاهِدِ
 وَلَا تَأْكُ مَرْمَى بَدَاءِ السَّكُونِ فَتَصْبِحُ كَالْحَجَرِ الْجَامِدِ
 وَكُنْ رَجُلًا فِي الْعُلَى حَوْلًا تَفَنَّنَ فِي سِيرِهِ الرَّاشِدِ^(٤)
 إِذَا أُطْرِدَتْ حَرَكَاتُ الْحَيَاةِ وَمَرَّتْ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدِ
 وَلَمْ تَتَنَوَّعْ أَفَانِيهَا وَدَامَتْ بِوَجْهِهَا بَارِدِ^(٥)
 وَلَمْ تَتَجَدَّدْ لَهَا شَمْلَةٌ مِنْ السَّعَى فِي الشَّرَفِ الْخَالِدِ
 فَمَا هِيَ إِلَّا حَيَاةُ السَّوَامِ تَجُولُ مِنَ الْعَيْشِ فِي نَافِدِ^(٦)

وَمَا يَرْتَجَى مِنْ حَيَاةٍ أَمْرٍ كَاءٌ عَلَى سَبْخَةٍ رَاكِدِ^(٧)
 وَابْسَ لَهُ فِي غُصُونِ الْحَيَاةِ سَوَى النَّفْسِ النَّازِلِ الصَّاعِدِ
 يَغُضُّ عَلَى الْجَهْلِ أَجْفَانَهُ وَيَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ بِالْكَاسِدِ
 فَذَاكَ هُوَ الْمَيِّتُ فِي قَوْمِهِ وَإِنْ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ الْخَاشِدِ

(*) من الجزء الأول .

(١) الراقِد : النَّائِمُ .

(٢) النَّزْوِع : الْيَل .

(٣) الصُّدُورُ عَنْ الْأَمْرِ : الرَّجُوعُ عَنْهُ . دَرَّ دَرْكٌ : أَيْ كَثُرَ خَيْرُكَ . وَأَصْلُ مَعْنَى الدَّر : الْإِبْنُ

(٤) الْحَوْلُ : هُوَ الشَّدِيدُ الْإِحْتِيَانِ .

(٥) أَفَانِيهَا : أَنْوَاعُهَا . وَالْأَفَانِي : فِي الْأَصْلِ : الْأَغْصَانُ .

(٦) السَّوَامُ : الْحَيَوَانَاتُ السَّائِعَةُ . (٧) السَّبْخَةُ : الْأَرْضُ ذَاتُ النَّارِ وَالْمَلْحُ .

وما المرء إلا فتى يغتدى
سعى للمعارف فاحتازها
وطالع أوجه أقمارها
فأبدى الحقائق من طيها
إذا هو أصبح نادى : البدار
فكان المجلى في شأوه
وإن بات بات على يقظة
وأحدث مجداً طريفاً له
وما الحق إلا هو الإتكال
فذاك هو الحى حي الفخار
إلى العلم في شرك صائد
وصاد الأنيس مع الآبد^(١)
بعين بصير لها ناقد
وألقى القيود على الشارد
وشمر للسعى عن ساعد
بعزم يشق على الحاسد^(٢)
بطرف لنجم العلى راصد
وأضرب عن مجده التالد^(٣)
على شرق جاء من والد
وإن لحدته يد اللاحد

نحن في بغداد (*)

أيأ سائلاً عنّا ببغداد إننا
علت أمة الغرب السماء وأشرقت
وهم ركضوا خيل المساعى وقد كبا
فنحن أناس لم نزل في بطلالة
خضعنا لحكام تجور وقد حلا
بهاًم في بغداد أعوزها النبت^(٤)
علينا فظلنا ننظر القوم من تحت
بنا فرس عن مقنب السعى منبت^(٥)
كأنّا يهود كل أيامنا سبت
بأفواها من مالنا ما كل سحت^(٦)

(١) الآبد : النائر .

(٢) المجلى : السابق الأول في حلبة الرهان . الشأو : الغاية .

(٣) المجد الطريب : الجديد الحادث . والتالد : القديم الموروث .

(*) من الجزء الأول .

(٤) أعوزها النبت : أى افتقرت إليه .

(٥) ركض فرسه : غمزه برجله ليعدو ويسرع . كبا : عثر . المقنب : جماعة من الخيل

تجتمع للغارة . منبت : منقطع .

(٦) السحت : المكسب الحرام .

وكما قامرتنا ساسة الأمر خُدعةً فقم علينا بالخِدايع لها الدست^(١)
 لماذا نخاف الموت جُبناً فلم نقم إلى الذب عنا من أمور هي الموت^(٢)
 إذا كنت لا ألتى من الموت موثلاً فهل نافعى أن خِفْتُهُ أو تَهَيَّبْتُ^(٣)
 والموت خير من حياة تشوبها شوائب منها الظلم والذل والمقت^(٤)

رقية الصريح (*)

يا عدلُ طال الإنتظار فعجِّل يا عدلُ ضاق الصبر عنك فأقبل
 يا عدلُ ليس على سواك مُعوِّل ههلاً عطفت على الصريح المُعوِّل^(٥)
 كيف القرار على أمور خُكومة حادت بهنَّ على الطريق الأُمثَل
 في الملك تفعل فغائع جورها ما لم تقل ، وتقول ما لم تفعل
 ملأت قراطيسَ الزمان كتابةً للعدل وهي بحكمها لم تعدل
 أضحت مناصبها تُباع وتُشتري فعدت تفوّض للغنى الأَجْمَل
 تُعطى مؤجلة لمن يبتاعها ومضى انقضى الأجلُ المسمى يُعزَل
 فبروح بشرى ثانيا وبما أرتشى قد عاد من أهل الثراء الأَجْزَل
 فيظلُّ في دار الخلافة راشيا حتى يعود بمنصب كالأوَّل
 سوقُ تباع بها المراتبُ سُميت دار الخلافة عند من لم يعقل
 أبت السياسة أن تدوم حكومة خُصت برأى مقدّس لم يُسأل
 مثَلُ الحكومة تستبدُّ بحكمها مثَلُ البناء على نقا متَهَيَّل^(٦)

(١) الدست : سدرالبيت ، والحديبة ، والدست أيضا : هو الذي يكون فيه الغلب في الشطرنج وهذا المعنى أقرب المعاني ليناسب معنى المقامرة .

(٢) الذب : المداغة . (٣) موثلاً : ملجأ .

(٤) تشوبها : تخالطها . شوائب : أخلاط .

(٥) من الجزء الأول .

(٦) الصريح : المستغيث . والمعرن : الذي يرفع صوته بالبكاء أو الصياح .

(٧) القطعة من الرمل . متَهَيَّل : متصيب .

يا أُمَّةً رَقَدَتْ فُطالَ رُقَادُهَا
أَيَكُونُ ظِلُّ اللَّهِ تَارَكَ حَكْمَهُ إِذَا
أَمَّ هَلْ يَكُونُ خَلِيفَةُ لِرَسُولِهِ
كَمْ جَاءَ مِنْ مَلِكٍ دَهَاكٌ بِجَوْرِهِ
يَقْضَى هَوَاهُ بِمَا يَسُومُكَ فِي الْوَرَى
وَيُرُومُ صَبْرُكَ وَهُوَ يَسْقِيكَ الرَّدَى
وَقَدْ اسْتَكْنَتْ لَهُ وَأَنْتَ مُهَانَةٌ
بَاتَ السَّعِيدَ وَبَتَّ فِيهِ شَقِيَّةٌ
تِلْكَ الْحَاقَّةُ لَا حَاقَّةَ مِثْلَهَا
إِنَّ الْحُكُومَةَ وَهِيَ جُمْهُورِيَّةٌ
سَارَتْ إِلَى نَجْحِ الْعِبَادِ بِسِيرَةٍ
فَسَمَوْا إِلَى أَوْجِ الْعِلَاءِ وَنَحْنُ لَمْ
حَتَّى اسْتَقَلُّوا كَالْكُوكِبِ فَوْقَنَا
وَعَلَّوْا بِمِثْ إِذَا شَخَّصْنَا نَحْوَهُمْ
لِبَسُوا ثِيَابَ فُخَارِهِمْ مَوْشِيَّةٌ
نَالُوا وَصَالَ مَنَى النُّفُوسِ وَإِنَّمَا
حَتَّى أَقِيمَ مَجَسَّمًا تَمَثَّلًا
تَمَثَّلَ نَاعِمَةُ الشَّائِلِ وَجْهَهَا

هَبِّي وَفِي أَمْرِ الْمُلُوكِ تَأْمَلِي
مَنْصُوصٍ فِي آيِ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
مَنْ حَادٍ عَنْ هَدْيِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
وَلَوْ أَنَّكَ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ الْأَفْضَلِ^(١)
خَسَفْنَا وَيَنْقِمُ مِنْكَ أَنْ لَمْ تَقْبَلِي^(٢)
وَيُرِيدُ شُكْرَكَ وَهُوَ لَمْ يَتَفَضَّلِ
حَتَّى صَبَرْتَ لِفَتْكِهِ الْمُسْتَأَصَّلِ^(٣)
تُسْتَعْدِمِينَ لَغْيَهُ الْمُسْتَرْسِلِ
خُفَّاءُ فَهَلْ هُوَ مِنْ صَحِيحٍ تَعَقَّلِ
كَشَفْتَ عِمَاءَ قَلْبِ كُلِّ مُضَلَّلِ
أَبَدْتَ لَهُمْ خُفَى الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
نَبْرَحُ نَسُوجٍ إِلَى الْخَضِيضِ الْأَسْفَلِ^(٤)
تَجَاوَزَ الظَّلَامَ بِنُورِهَا الْمُتَهَلَّلِ^(٥)
مَنْ تَحَبَّهْمُ ضَحِكُوا عَلَيْنَا مِنْ عُلَى
بَالَعَزَّ وَهِيَ مِنَ الطَّرَازِ الْأَكْمَلِ^(٦)
حُرِّيَّةَ الْعَيْشِ الرِّغْدِ الْمُخْضَلِ^(٧)
بَيْنَ الشُّعُوبِ عَلَى بِنَاءِ هَيْكَلِ^(٨)
تَزْدَادُ نُورًا مِنْهُ عَيْنُ الْمُجْتَلَى^(٩)

(١) لَوَاك : صَرْفَكَ . قَصْدُ السَّبِيلِ : أَى السَّبِيلِ الْمُسْتَقِيمَةِ .
(٢) سَامَهُ الْحَسَفَ : أَى أَذَلَهُ . (٣) اسْتَكْنَتْ لَهُ : أَى خَضَعَتْ .
(٤) نَسُوجُ : نَفُوسُ . وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى : نَهْوَى ؛ وَلِذَا عَدَاهَا بِأَلَى .
(٥) اسْتَقَلُّوا : ارْتَفَعُوا . (٦) مَوْشِيَّةٌ : مَحْسُوتَةٌ مَزِينَةٌ .
(٧) مَنَى جَمْعُ مَنِيَّةٍ : وَهِيَ مَا يَتِمُّ بِنَاءُ الْإِنْسَانِ . الْمُخْضَلُ : الْغَدَى . مَا خُودُ مِنْ اخْضَلِ الشَّيْءُ بِمَعْنَى ابْتَدَى .
(٨) الْهَيْكَلُ : الْبِنَاءُ الْمُرْتَفِعُ . (٩) اجْتَلَى الشَّيْءُ : نَظَرَ إِلَيْهِ .

أُبعد هذا يا سَراةَ مَواطني نرَضَى ونَقنع بالمعاش الأَرذل
 الغوث من هذا الجُود فإنه تالله أهونُ منه صُمُّ الجندل^(١)
 قد أبجرت شَمُ الجبال وأجبلت لجج البحار ونحن لم نتبدل^(٢)
 ما ضرَّكم لو نسمعون لناصح لم يأت من نسج الكلام بهتان^(٣)
 حَتَّامَ نَبَقِ لُعبةِ لحكومة دامت تجرّعنا نَقيع الخنظل
 تنحو بنا طرق البوار تحيِّفا وتسومنا سوء العذاب الأهول^(٤)
 هذا ونحن مُجدِّلون تُجاهها كالقار مرتعداً تُجاه الخيطل^(٥)
 ما بالنا منها نخاف القتل إن قُنا أما سنموت إن لم نُقتل ؟
 يا عاذلاً فيما نفستُ من الرُّق وعزمت فيه على الصريع المهمل^(٦)
 أنظر لصرعة من رَقَّيت وطولها فإذا نظرت فعند ذلك فأعدل^(٧)

مثنويات شعرية (*)

أشَرُّ فعلٍ البرايا فعلٌ منتحَر وأخش القول منهم قول مفتخر
 إن التمدح من عَجَبٍ ومن أَشَرٍ والبرء في العَجَبِ ممقوت وفي الأَشَرِ^(٨)

يا راحي الأمر لم يطلب له سببا كيف الرماية عن قوس بلا وَتر
 ليس التسيب من عجز ولا خَوَرٍ وإنما العجز تفويض إلى القَدَرِ^(٩)

- (١) الجندل : الحجارة . مفردها حندلة .
 (٢) أبجرت : صارت مجرا . شم الجبال : أعاليها . أجبلت : صارت جبلا .
 (٣) المهمل : الثوب الرديء النسيج . (٤) البوار : الهلاك . تحيِّفا : تظلمنا .
 (٥) مجدِّلون : مطرَحون أرضاً . الخيطل : اسنور . ويطلق على الكلب أيضا .
 (٦) الرق : جمع رقية . وهي العودة التي يحتفظ بها . نفت الراني في العقدة عند الرقية : أي
 يرق براقا يسيرا . الصريع : من أصابه الصرع . (٧) أعدل : لم .
 (*) من الجزء الأول . (٨) الأَشَر : البطر .
 (٩) التسيب : طلب الأسباب . الخور : الضعف والفتور .

دع الأناسيَّ وأنسنيَ غيرهم إن شئتَ للشاء أو إن شئتَ للبقر^(١)
فإن للبشر الراقى بخلقته من قد أنفت به أنى من البشر

ألبس حياتك أحوال المحيط وكن كالماء يلبس ما للظروف من جذر
وإن أبيت فلا تجزع وأنت بها عارٍ من الأنس أو كاسٍ من الضجر

إن رمت عزاً على فقر تكابده فاستغن عن مال أهل البذخ والبطر
فإنما النفس ما لم تنأ عن طمع فريسة بين ناب الذل والظفر

إذا نظرت إلى الجزئيّ تصلحه فأرقبه من مرقب الكلّي في النظر
فإن نفعت شخصاً واحداً ربما يكون منه عموم الناس في الضرر

قد يقبح الشيء وضعاً وهو من حسن كالغش يدهش مرأى وهو من شجر
فالقبح كالحسن في حكم النهي عرض^(٢) وليس يثبت إلا عند معتبر^(٣)

لا تعجبَنَّ لدى عقل يروح به ليُنتج الشرُّ خيرًا غير مُنتظر
فإنما لمعات الخير كامنة بين الشرور ككون النار في الحجر

سبحان من أوجد الأشياء واحدة وإنما كثرة الأشياء بالصور^(٣)

(١) الأناسي : البشر . الشاء : جم شاة .

(٢) النهي : العقل . يقول : إن الحسن والقبح أمران عرضيان أو اعتباريان ، فقد يستحسن شخص ما يستقبحه الآخر ، وقد يحسن الشيء في موضع ، ويستقبح في موضع آخر ، والعكس بالعكس .

(٣) يظهر أن الشاعر قائل بوحدة الوجود ، غير أنه يعيل إلى وحدة الوجود الحادث ، دون الوجود المطلق ، والقائل بالرأى الأخير هم الفلاسفة القدماء والصوفية ، وما قال به شاعرنا معقول ، وأقوال الآخرين غير معقولة .

هَبْ منشأ القوم يبقى مبهماً أبداً فهل ترى فيه عقلاً غيرَ مُنْهَرِ

الحب والبغضُ لا تأمن خِداعهما فكَمْ هما أخذا قوماً على غُرَرِ^(١)
فالبغض يبدي كدورا في الصفاء كما أن الحبة تبدي الصفو في الكدر

وأشنع الكذب عندي ما يمازجه شئاً من الصدق تمويهاً على الفكر
فإن إبطال هذا في النَّبِيِّ عَسِرٌ وليس إبطال تحض الكذب بالعسير

قالوا عشقتَ معيب الحسن قلت لهم كُفُّوا الملامَ فما قلبي بمنزجر
ما العشق إلا العمى عن عيب مَنْ عَشِقْتَ هذى القلوبُ ولا أعني عني البصر

قالوا ابْنُ مَنْ أَنْتَ يا هذا فقلت لهم أبى أمرؤُ جَدُّه الأعلى أبو البشر
قالوا فهل نال مجداً قلت واعجبني أتسألوني بمجدٍ ليس من ثمرى !

لَا دَرَّ دَرٌّ قَصِيدٍ راح ينظمه من ليس يعرف معنى الدَّرِّ والدَّرَرِ^(٢)
بيكى الشعورُ لشعر ظل ينقذه من لا يفرق بين الشعر والشَّعَرِ

قالت « نوار » وقد أنشدتها سحرًا ممن تعلمت نفث السَّحَرِ في السَّحَرِ
فقلت من سحر عينيك الذى سحرت به المشاعر من سمع ومن بصر

(١) غرر جمع غرة ، بالكسر : وهى الغفلة .

(٢) الدر ، بفتح الدال : هو اللبن .

إلى المتقاعدين

من ضباط الجيش

عقل ، وتجربة ، وجدٌّ زائدُ
جعلوا التقاعد للجنود كرامة
ليس التقاعد للرجال بطالةً
لكنه عمل جديد نافع
بالسعى تزدهر الحياة وإنما
إن الحياة ليقظةٌ فعالة
لن تبلغ العلياء في ساحاتها
أنظر تجد شعب الحياة كثيرة
فكان أشغال الحياة مَراجل
يأبها المتقاعدون ألا أتقوا
علمت تجاربكم وأيقن رأيكم
فاستمسكوا بعُر المودة بينكم
كونوا جميعاً في الحياة كأنكم
في الحرب طاب لكم جِلاذٌ قَلتظُّ
تركت أكمم السيوف وعندها
كل الحياة معارك لكننا
ولربما كانت سلاحاً نافذاً
فأتوا من الأعمال ما هو صالح
وتتبغوا سُبُل الحياة ولا يكن
وتصرفوا في أمرها بمهارة
ما عاب من سلّ المهند أنه

هذه صفات حازها المتقاعدُ
كي يسير من الجهاد مجاهد
إن البطالة للرجال مفسد
عما تقوم به الحكومة حائد
لون الحياة بغير سعى كآمد
فالراقد الكسلان فيها بائد
هممٌ مشبَّطةٌ وعزمٌ راقد
فيها من السعى الخيث مَشاهد
والسعى نار والبلاد مواعد
نقداً يصول به عليكم ناقد
أن الحياة تعاون وتعاصد
كيلا يكون تباغض وتحاسد
رجل إذا دعت الدواهي واحد
في السلم أعمال لكم ومقاصد
منكم أشد من السيوف سواعد
فيها سلاح المرء جهْدٌ جاهد
عند اللئام دسائس ومكايد
للناس فيه مصالح وفوائد
منكم إلى غير المكارم قاصد
وذروا السيوف فإنهن جوامد
للسيف من بعد التجالد غامد

دار تربية الطفل

أَيُّ قُدْسٍ يَضُمُّ هَذَا الْبِنَاءَ حَسَدْتُ أَرْضَهُ عَلَيْهِ السَّمَاءُ
 إِنْ يَكُنْ فَوْقَ هَذِهِ الْأَرْضِ شَيْءٌ فِيهِ قُدْسِيَّةٌ فِهَذَا الْبِنَاءُ
 هُوَ مِنْ هَذِهِ الْبَنِيَّاتِ لَكِنْ شَرُفْتُ بِالْمَقَاصِدِ الْأَشْيَاءَ
 كَلَّمَا قَدْ رَأَيْتُهُ تَتَجَلَّى لِي مِنْ تَحْتِ أَسَسِهِ الْعَلِيَاءُ
 هُوَ بَكْرٌ فِي ذِي الْبِلَادِ وَالْأَطْفَالِ فِيهِ حِمَاةٌ عَذْرَاءُ
 لَمْ نَكُنْ قَبْلَ ذَا نَفْكَرٍ فِيمَا فَكَّرْتُ فِيهِ قَبْلُنَا الرُّحَمَاءُ
 كَانَ لِلْبُؤْسِ فِي الْمَوَاطِنِ لَفْحٌ مِنْ سَمُومٍ تَذْوِي بِهِ الرُّضْعَاءُ
 رَبُّ طِفْلِ أَوْدَتْ بِهِ قِلَّةُ الدَّرِّ عَلَى أَنْ أُمَّهُ ثَدْيَاءُ
 أُمُّهُ مِنْ أَبِيهِ آمَتْ فَأَمَسَتْ يَنْهَكَ الْبُؤْسُ جِسْمَهَا وَالشَّقَاءُ
 فَحَسْبُ شَخْصِهَا الْخِيَالَةَ إِذَا لَا حَ ذَبُولٍ بِجِسْمِهَا وَارْتِخَاءُ
 فَهُوَ إِنْ لَمْ يَعِشْ فَمُوتٌ مُرِيحٌ وَهُوَ إِنْ عَاشَ عَاشَ فِيهِ الدَّاءُ
 هَكَذَا كَانَتْ الْمَوَالِيدُ تَحِيًّا وَلَهَا مِنْ حَيَاتِهَا إِفْنَاءُ
 وَمَنْ اللَّؤْمُ أَنْ تَرَى عِنْدَنَا الْأَطْفَالَ تَفْنَى لَأَنَّهُمْ فَقَرَاءُ
 لَا غِذَاءَ فِي جُوفِهِمْ لَا كِسَاءَ لَا وَطَاءَ مِنْ تَحْتِهِمْ لَا غِطَاءَ
 إِنَّهُمْ غَيْرُ مُعْرِينَ وَمِنْ حَسْبِ السَّجَايَا أَنْ تُرَحَّمَ الْعَجَمَاءُ
 عَلَّ مَنْ لَوْ يَعِيشُ مِنْهُمْ لِأَضْحَى فِيهِ لِلنَّاسِ مَأْمَلٌ وَرَجَاءُ
 رَبُّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ مَعَهُ شَرَفٌ بِإِذْخِ لَنَا وَعِلَاءُ
 لَيْسَ مَوْتُ الْأَطْفَالِ هَيِّنًا فَقَدْ يَذُّ بُعْغُ مِنْهُمْ نَوَابِغُ أَذْكَاءُ
 إِنَّمَا هُمْ كَمَثَلِ أَصْدَافٍ بِحَرِّ لَسْتَ تَدْرِي: دُرٌّ بِهَا أَمْ خَلَاءُ
 وَلَعَلَّ الطِّفْلَ الَّذِي مَاتَ مِنْهُمْ مَاتَ عَقْلٌ بِمَوْتِهِ وَوَدَّعَاءُ
 شَأْنُ هَذَا الْبِنَاءِ شَأْنٌ عَظِيمٌ لَمْ تَطَاوُلْهُ فِي الْعُلَى الْجُوزَاءُ
 كَلَّمَا قَدْ رَأَيْتُهُ لَمَعَتْ لِي فِيهِ مِنْ تَحْتِ أَسَسِهِ الْعَلِيَاءُ

ولقد دَلَّ أن من شيدوه سادة في طباعهم كرماء
شكر الله سعيهم من رجال بلغوا من فخارهم ما شاعوا
سوف يبقى لهم على الدهر ذكرٌ فيه حمد لهم وفيه ثناء

شكواى من الدهر

أرى الدهر لا يألو بستر الحقائق
يجرُّ أذيال الخطوب بطرقها
ولو لم يجئنا كل يوم موارباً
كان ليالى الدهر غضبي على الورى
وما طلعت كى تهدي القوم شمسهُ
وكم مدَّع فضل التمدن ماله
وكم عاقل قد عدَّ في الناس أحقاً
وربَّ ذكى لم يكن من ذكائه
وقد تعرَّض الأسماع عن ذى فصاحة
ومن شيم الأيام في الناس أنها
وألف جور الدهر جور يرى به
وما كان كذب القوم في القول وحده
وأقبح مئين في الزمان خرافة
ضلال على مر الجديدين لم تزل

إذا افتقر هن صبح تلاه بغاسق
ليغفوا منها ما بها من سلائق
لما كان فجر كاذب قبل صادق
فتنظر شراً بالنجوم الشوارق
ولكن لتصليهم جسيم الودائع
من الفضل إلا أكله بالملاعق
وما هو لو يبلى سوى متحامق
سوى ما رَوَّه من ذكاء اللائق
وتصنعي إلى ذى الأكنة المتشادق
تجور عليهم باقتطاع العلائق
تدأل معشوق وذلة عاشق
ولكنه في كتبهم والمهراق
تخطُّ بها طرساً يراعة نامق
مغاربتنا من أمره كالمشارك

• • •

فعدَّ عن الأيام إذ لم تجد بها
نقضت من الدنيا يدى لأننى
سوى لفظ يزرى بفصل المناطق
تعرفت منها ما بها من خلائق

فما أنا وقَّاف بها عند منزل ولا أنا بالك من حبيب مفارق
ولا عذبتني في العذيب صباية ولا شافني برق ربع يسارق
تعشقت منها حسن كل حقيقة

وأعرضت عن حسن الحسان الغرائق
إلى كل خل في الزمان موافق
فبينى وبين السكر خمس دقائق
بمستقطر من خالص التمر رائق
بشرب كما عب القطا متلاحق
يخنح من الأنس المضاعف خالق
وقلت لهم ما قلت غير منافق
بمز طري من نقول الحقائق
سوى شكر خلى أو سوى حمد خالق
من السكر أن أحظى به غير سابق
بلا سابق فيها عليه ولا حق
ججاجع من كعب كرام المعارق
يحظ من الجدد المؤئل فائق
يرافقه أكرم من مرافق
وينزل من إحسابه في سرادق
سوى نظير منهم بعين مسارق
بأغزر من ويل الغيوم الدوافق
كوجهك حسنا في العيون الروامق
كأخلاقك الغراء طيبا لناشق
فكان كعقد لمة عاتق

ولى عند إخوان الصفا أريحية
إذا ماعقدنا مجلس الأنس بالطلا
أقوم إلى كبرى الزجاجات مدهقا
فأقرع بالكأس الروية جبهتي
أسابق ندماني إلى السكر طائرا
فنادمت أصحابي على غير حشمة
وأغنيتهم عن نقلهم في شراهم
ولم يبد في السكر عند اشتداده
تعودت سبق في الفخار فلم أرد
كما اعتاد سبقا في المكارم خزعل
أمير تمته للمكارم والعلی
كذلك أعلى الله في الناس كعبه
إذا سار سار المجد في طي برده
فيرحل من أنسابه في مواكب
وإن جاء أغضى من رآه تهيبا
جواد إذا استمطرته جاد كفه
أحاطت به من كل صوب حدائق
وفاحت به للناشقين أزاهر
وزان الخليج الفارسي بناءه

أناف على أعلى السحاب معارضا
حوى منك قرمًا بأسه ضامن له
فلا غرو أن ينتابه كل خائف
ويرجع عنه من يوافيك راجلا
فدى كل قصر في العراق ومن حوى
هنيئًا لك العيد الذي أنت مثله
أبا الأمراء الصيد جئتكم شاكيا
أجرني رعاك الله منها فإنها
أترضى وإني صقر بغداد أنتى
لئن أنكروا حتى فسوف تحقه
أصوغ بها حرّ الكلام لمزعزل

بجودك للعافين جود البوارق
بذل أعاديه وعز الأصادق
فيأمن من وقع الخطوب الطوارق
على لاحق الأطلال من نسل لاحق
لقصر زها منكم بحامي الخثاق
لدى الناس عيد غير أن لم تفارق
إليك جنيات الزمان الماذق
رمت كل عظم في منها بعارق
تقدمني فيها فراخ العقاق
شاهد أقالمي بكفى نواقي
مديحا كسمط المؤنث المتناسق

خزانة الاوقاف

للمسلمين على ضرورة وفريهم
كنز لو استشفوا به من دائهم
ولو ابتغوا للنشء فيه ثقافة
ولو ارتقوا بجناحه في عصرهم
لكنهم قد أهملوه وأعملوا
فاذا نظرت رأيت ثمة أرضه
قد تابعوا الموتى عليه وما وقوا
وقفوا به عند الشروط لواقف
تركوا له في العصر نفعا ظاهرا
لم يستجدوا فيه شيئا واكتفوا

كنز يفيض غنى من الأوقاف
لتوجروا منه الدواء الشافي
لثقفوا منه بخير ثقاف
لأطارهم بقى وادم وخوافي
في جانبيه عوامل الإنلاف
تجرى الرياح بها وهن سوافي
أهل الحياة به من الإحجاف
وتغافلوا عن حكمة الإيقاف
وتعاملوا فيسه بنفع خافي
في كل حال منه بالسفساف

قل للذين تقيّدوا بشروطه
 غرسوه غرساً مثمراً لكن جرت
 هل بين شرط الواقفين وبين ما
 أريد أن يققوا الزمان أمورنا
 الأرض مسجدنا فقيم مساجد
 كان الصلاة بمسجد وبغيره
 هلاًّ جعلن مدارساً فياضة
 ينتابها أبناؤكم كي يأخذوا
 فيفيض فيض العلم حتى يرتوى
 إن لم يكن شرف البلاد محصّناً
 وإذا النفوس تسافلت من جهلها
 هذى الخزانة أنشئت فبناؤها
 ييظن ذو عقل بأن بناءها
 تالله ليس بمنكر تشييدها
 أحيوا بها عصر العلوم للدولة
 عصر الرشيد أبي الخلائف إذ غدت
 في عهد فيصلنا المعظم أنشئت
 فإذا هتفت بحمده وبشكره
 ناديت طلاب العلوم مؤرخاً

ماذا التوقف عند رسم عافى
 غير الزمان فعاد كالصفصاف
 نفع العموم تناقض وتنافي
 وأمورنا هي الزمان قوافى
 أمست تعدّ اليوم بالآلاف
 في الحكم واحدة لدى الأسلاف
 من كل علم بالزلال الصافي
 من كل فن بالنصيب الوافي
 منه بنو الأمصار والأرياف
 بالعلم كان مهدّد الأطراف
 لم يُعلّمها شمم على الآناف
 للأمر فيه تدارك وتلافى
 أمر لشرط الواقفين منافي
 إلا امرؤ خال من الإنصاف
 خلفاؤها من آل عبد مناف
 بغداد رافلةً بمجد ضافي
 علماً يشير لأشرف الأهداف
 ردّ الصدى بنيانها لهتافي
 حجّوا بناء خزانة الأوقاف

التعصب الوطني للأدب

مِنْ جَوْرٍ مِصْرَ عَنِ الْعَرُوبَةِ أَنَّهَا
وَتَحِيدَ عَنِ آدَابِ كُلِّ قَبِيلَةٍ
فَتَرَى بِمِصْرٍ تَعْصِبًا لِأَدِيبِهَا
فَإِذْ كَرَأُونِي الْأَدَابَ مِنْ غَيْرِ الْأَلِي
وَأَشَدِّ بَيْنَ فِي غَيْرِ مِصْرٍ مَنْوَهَا
تَحْفَى بِمَنْشَدِهَا الْقَرِيبَ وَتَدْعَى
فَالشَّاعِرَ الْمِصْرِيَّ فِيهَا فَاضِلَ
وَكَأَنَّمَا أُمِيتَ مَوَاهِبَ رَبَّنَا
هَذَا لِعَمْرِ اللَّهِ جَوْرٌ عَدَدُهُ
آدَابِ كُلِّ مَعَاشِرَ كَعُلُومِهِمْ
لِلْعِلْمِ وَالْآدَابِ فِي كُلِّ الْوَرَى
مَنْ أَيْنَ كَانَتْ مِصْرُ فِي أَقْبَاطِهَا
أَبَتِ الْعَرُوبَةُ أَنْ يَقُوقَ هَزَارَهَا
تَتَعَمَّدُ التَّمْصِيرَ فِي آدَابِهَا
لَمْ تَنْتَحِلْهَا مِصْرُ فِي أَنْسَابِهَا^(١)
مَتَوَالِي النَّزَعَاتِ فِي أَعْصَابِهَا^(٢)
فِي مِصْرٍ يَغْضِبُ مِنْكَ أَهْلَ جَنَابِهَا
مَا إِنْ تَرَى فِيهَا لِقَوْلِكَ آيَهَا^(٣)
أَنْ لَنْ يَكُونَ لَهُ الْبَعِيدُ مِشَابِهَا
وَسَوَاءُ مَفْضُولٍ وَإِنْ يَكُ نَابِهَا
مَقْصُورَةٌ فِيهَا عَلَى كُتَّابِهَا
مَنْ فَرَطَ ضَلَّتْهَا أُولَا أَلْبَابِهَا^(٤)
جَاءَتْ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي اسْتِنَابِهَا
دَارٌ مُحَرَّمَةٌ إِيْجَافُهُ بَابِهَا^(٥)
كَمَوَاطِنِ الْأَعْرَابِ فِي إِعْرَابِهَا
صُرَّدَ زَقَى فِي مِصْرٍ زَقَى غَرَابِهَا^(٦)

عتاب وولاء

أَقِيمَ رَايَةَ تَحْمِيدِي وَشُكْرَانِي
أَقِيمِهَا رَمَزَ تَعْظِيمٍ عَلَى نَشْرِ
لِلشُّهُمِ ذِي الْأَدَبِ الزَّاكِي بِمَحْتَدِهِ
لِلشَّاعِرِ الصَّادِقِ الْإِحْسَاسِ نَعْمَانِ
مَنْ الْقَرِيبُ رَفِيعَ لَيْسَ بِالْدَانِي
فِرْعَ الذُّؤَابَةِ مِنْ عَلِيَاءِ عَدْنَانِ

(١) تحيد : تميل . وانتحليها : مدعيها .

(٢) النزعات : جمع نزعة ، وهي الميل مع الهوى .

(٣) نوبت بفلان : أشدت بك كره وأبه فلان بفلان : غلبت له ، واحتفى به .

(٤) صلتها : ضلالتها .

(٥) إيْجَافُهُ الباب : إغلافه .

(٦) صُرَّدَ : طائر . وزَقَى : صاح وصوت .

من جاءنى بقواف جد زاهية
قد زانهم بوشى من بدائعه
لما شدوت بموسيقى براعته
ينوط بالسمع من ألفاظها دررا
لقد فعلن بنفسى حين أنشدها
فقلت والنفس تطفو فى مسرتها
يا شاعراً تطرب الدنيا نشأته
أنشدتني رقى تحكى بروعتها
شعر يفيض شعوراً قد نكأت به
إن كان بالشجن الماضى يذكرنى
هذا لعمرى شعر قد سررت به

إليك أرسل يا نعمان قافية
أشربت حب بلاد ما نشأت بها
أخلصت حبي لها حتى نسيت به
يا موطناً لست منه فى موادة
فكل من فيك تغنينى سعادتهم
إن سرك الدهر يوماً سرى وإذا
ما ضرنى أن كل الناس تحقرنى
وليس ينفعنى عز ولا شرف
لو ملكونيك عن قهر بلائقة
آليت منذ بلغت الحلم فى وطنى

تنبئك عن شغفى فى حب أوطان
إلا لأدفع عنها كل عدوان
نفسى وأهلى وأحبابى وخلانى
عش بعد موتى عيش الوداع الهانى
وكل أبنائك الأعداء إخوانى
أذاك بالمرجعات الدهر آذانى
إن كنت أنت جليل القدر والشان
إن لم تكن أنت ذا عز وسلطان
ما كنت غير ظلوم فيك خوان
أن لا أقابل نعماء بكفران

وَأَنْ أَكُونَ لَهُ عَوْنًا أَوْ آرْزُهُ
إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَوْفُقْ فِي تَحْرِيرِهِ
لَوْلَا التَّعَاوُنُ بَيْنَ النَّاسِ مَا شَرَفْتُ
لَوْلَا التَّعَادَى الَّذِي تَشَقَّى الْوَحُوشُ بِهِ
يَا قَوْمِ إِنِّي مِنَ الدُّنْيَا ضَحِيَّتُكُمْ
وَاسْتَنْصَرُوا اللَّهَ وَادْعُوهُ لِيُنْقِذَكُمْ
لَا تَحْسِبُونِي مِنْكُمْ جَازِعًا ضَجْرًا
إِنِّي أَلَفْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مَخْصَمَتِي
تَحْتَارُ نَفْسِي الطَّوْى بِالْعِزِّ قَانِعَةً
أَعِيشْ عَيْشَةً (غَنَدَى) وَهُوَ ذُو جَدَّةٍ
الْعِزُّ أَكْثَرُ الْإِنْسَانِ مِنْ شَبَعٍ
فَالذَّلُّ يَقْتُلُ نَفْسًا مِنْهُ بَاقِيَةً
وَمَا الطَّعَامُ بِمَا كَوَّلَ لِلذَّاتِ
وَفِي التَّفَارِ غِنًى لِلْمُسْتَقِيتِ بِهِ
وَكَأَنَّ مَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانَ عَارِيَةً
وَأَنْ ذَكَرْتُ الْفَتَى بَعْدَ الْمَمَاتِ بِمَا

بِالنَّصْرِ أَوَّلُ أَنْصَارٍ وَأَعْوَانٍ.
بَنَيْتُ لِلْمَجْدِ فِيهِ خَيْرَ بَنِيَانٍ
نَفْسٌ وَلَا أَزْدَهَرَتْ أَرْضُ بَعْمَرَانَ
مَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْهَا كُلِّ إِنْسَانٍ
فَقَرَّبُوا مِنْ حَيَاتِي كُلِّ قَرِيبَانٍ
مِمَّا بَكُمْ حُلٌّ مِنْ هَوْنٍ وَخُسْرَانٍ
وَإِنْ يَكُنْ شُظْفِي فِي الْعَيْشِ أَصْوَانِي
فَالنَّعَمُ وَالْبُؤْسُ عِنْدِي الْيَوْمَ سِيَانٍ
وَتَتْرَكَ الْقَصْفَ فِي ذُلِّ لِمَبْطَانٍ
فِي الْهِنْدِ يَمْشِي وَثِيدًا شَبَهَ عَرِيَانٍ
وَالذَّلُّ أَقْتُلُ مِنْ جُوعٍ لَجُوعَانَ
وَالجُوعُ يَقْتُلُ مِنْهُ جِسْمَهُ أَلْفَانِي
وَإِنَّمَا هُوَ تَقْوِيمٌ لِأَبْدَانٍ
عَنِ الْمَطَاعِمِ تَخْلِيطًا بِالْوَانِ
يَزُولُ عَنْهُ وَلَوْ مِنْ بَعْدِ أَحْيَانٍ
يُحْيِي الثَّنَاءَ عَلَيْهِ عَمْرَهُ الثَّانِي

• • •

يَا لَاهُجِينَ بَشْتَسَى فِي مَجَالِسِهِمْ
لَوْلَا تَرْفَعُ نَفْسِي فِي سَفَاهَتِكُمْ
جَادَاتُمُونِي فَمَا أَحْسَنْتُمَا جَدْلِي
وَحُضْمِ الْبَاطِلِ لِنَيْدِي بِنَعْرَتِهِ
وَمِنْ عَنَاءِ الْإِلْيَاسِ أَنْ يَجَادِلَنِي

نَامُوا عَلَى الْأَمْنِ فِي أَحْضَانِ غَفْرَانِي
أَحْرِقْتُمْ مِنْ لُظَى هَجْوِي بَنِيرَانٍ
حَتَّى بَذَيْتُمْ بِذَاءِ الْمَاجِنِ الْخَلَايَا
شَتَّى الْأَقَاوِيلِ مِنْ زُورٍ وَبِهْتَانٍ
مَنْ لَيْسَ يَقْرَعُ بِالْبَرْهَانِ بَرْهَانِي

بل يترك القول من عجز ومن خور
تأبى المروءة إلا أن أخالفكم
وأن لى فى إبانى كل شائنة
ولا أريد قصاصا من شتائمكم
تلكم سجية حر النفس يذكرها
يا منتمين إلى عرب وهم عجم
سمح الملامح فى عشونه صهب
كيف استويتم صقورا فى مجاثمكم
وما بكم غير فرد فى جبلته
إذا تسميتمو عربا فلا عجب
تستنثرون صغاراً فى معاطسكم
ورب مستكبر منكم تتلثاه
فيستكين لهم حتى يكلمهم
كم تظهرون عفافا فى تدينكم
لو كان فى الجن شىء من خباثتكم
هذى قواف دعائى أن أبوح بها
ذاك الأديب الذى باهى بسيرته
وباهرت فى مساعيه مكارمه
أكرم به يافعا شرح الشباب به
إلى التمول عن زهو وطغيان
فالعشر ديدانكم والنصح ديدانى
عزما يؤيده بالله إيمانى
بل أتبع العفو عنها بعض إحسان
عنى الأخلاء من شيب وشبان
من كل أحر هيمان بن بيان
مستعجم القول جافى الطبع مرطان
ولستم فى السجايا غير غربان
وأن يكن جاء فى مسالخ إسان
فى أن يسمى ابن آوى باسم سرحان
وتشمخون إلى آفاق كيوان
أيدي الأجانب تل الجارم الجانى
فى رعدة بنسان الخائف العانى
وتضمرون ضمير الفاجر الزانى
لعاذ بالله منها كل شيطان
شعر أتى من زكى النفس نعمان
كل الكواكب من قاص ومن دان
أهل المكارم من أبناء عدنان
ريان من شرف بالمجد مردان

مناجاة وشكوى

أقول لرب الشعر مهدي الجواهر
فترسلها غرًا هواتفًا بالعُسلَى
وتشدو بها والقوم صُمٌّ عن العلى
أترجو من الحساد عونًا وناصرًا
كأنك لم تبصر سواد قلوبهم
رؤيدك إن القوم ليسوا كما ترى
فلا تغتر منهم بيد فاعما
رمتهم يد الأيام من جشع بهم
بداءين قتالين تحمت نفوسهم
وقد فرقت أهواءهم في بلادهم
لذلك ترى كلاً يعيش لنفسه
إذا جثتهم أبدوا إليك بشاشة
وإن غبت عنهم أوسعوك مدامة
وقد ينكرن العار فيهم تجاهلاً
فدعهم وما هم فيه من جاهلية
فسوف تراهم من تمادي ضلالهم
ونزه بليغ الشعر عنهم بتركة
سكبت بحور الشعر قبلك خائضاً
وسيرت من غر القوافي بلجها
بكيت بها الجدة المضاع بأدمع

إلى كم تناغى بالقوافي السواحِرِ
يرود منها سمعه كل شاعر
فلم تلق إلا غير واعي وذاكر
فتدعو منهم خاذلاً غير ناصر
فهل أنت مغرور ببيض المسافر
لدى كل ذي علم بما في السرائر
ظواهرهم منقوضة بالضمائر
ومن بطر فيهم بداء الضرائر
فساد السجيا والتمساح العناصر
أنانية حنت عقود الأواصر
على عكس عيش عند أهل الحواضر
وحسن ابتسام من ثور مواكر
كأن لم يبتوا منك قِيلاً لوائر
فيلقونهم بالمنظر المتخاير
يدجون منها في الدياحي الكوافر
يعودون في العقبى بصفقة خاسر
لكل كذوب بينهم مقشاعر
اعمرك منها كل طام وزاخر
قصائد سارت كالسفين المواخر
من الشعر شروى الملولو المتناثر

ونحت على الماضي الذي كان زاهراً
فلم أَلَفْ إِلَّا مُنْكَرِينَ مَكَانَتِي
وكما راعني منهم تَمَاسِيحُ خِصَّةٍ
فَقَابَلْتُهُمْ بِالْصَفْحِ عَنْهُمْ تَرْفَعًا
أَنَا الْيَوْمَ مِنْ هَذِي الْحَيَاةِ عَلَى شَفَا
سَأَرْحَلُ عَنْهُمْ عَائِذَا مِنْ شُرُورِهِمْ
مَنَاحَةُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ الْحَرَاثِرِ
يَحِيدُونَ عَنِّي كَالْوَحُوشِ النَوَافِرِ
تَرِيدُ ازْدِرَادِي بِالْخُلُوقِ الْفَوَافِرِ
وَأَعْرَضْتُ عَنْ شَتَمِ السَّفِيهِ الْمُهَاتِرِ
أَشَارَفَ مِنْهُ مَرْقَدِي فِي الْمَقَابِرِ
بِرَبِّ كَرِيمٍ قَابِلِ التَّوْبِ غَافِرِ

في حفلة الميلاد النبوي

وضح الحق واستقام السبيل
قام يدعو إلى الهدى بكتاب
طالباً من المجد غاية قصوى
ووصولاً إلى مقام رفيع
همة دونها الكواكب نوراً
واعتلاء يعلو به ويطول
بعظيم هو النبي الرسول
عربي قرآنه ترتيل
صده عن بلوغها مستحيل
عز من قبله إليه الوصول

• • •

جرد الله منه ثلحق سيفاً
فيه عزم المهلكات قحوم
ودهاء لو ما كرته دواهي
تدلم الخطوب والرأى منه
كل أوصافه الجلياة بدع
كان ضدين حده والفلول
واضطبار للنائبات حول
الدهر طرا لا غتاها منه غول
في دجاها كأنه قنديل
فهو من عبقرية مجبول

• • •

أطلق الناس من تقاليد جهل
كل فرد منهم بها مغلول

وشفاهم بهديه من ضلال	كل فرد منهم به معلول
أنهض القوم للعلاء وكانت	في دنى القوم رقدة وخمول
فاستقالت به على الدهر يقضى	همم يعريية وعقول
تلك في الدين نهضة هي	للعقل انتباه وللهدى تأثيل
نهضة عالمية في وغاها	من أمام البعير فر الفيل
هي كالبرق سرعة والتماعا	كل أفق بفضلها مشمول
خضعت فارس لها عن صغار	وتداعى إيوانها المستطيل
وإني اليوم قائم في الهند منها	أثر مثل طودها لا يزول
يعرف النيل فضلها وعلاها	من قديم ويشهد الدردنيل
وبها الأرض والسماوات ترضى	وتقر التوراة والإنجيل

* * *

غير أنا عن نهجها اليوم حدنا	واستحلنا وكل حال تحول
حيث عدنا وفي النهوض قعود	ورجعنا وفي الصعود نزول
واختلفنا في الدين حتى اختلفنا	فرقا لا يسيغها المعقول
والتزمنا الفروع منه فضاعت	بالتزام الفروع منه الأصول
كل حزب بما لديه فخور	ولمن هم مخالفوه خذول
بدع في حياتنا منكرات	غضب الله فوقها مسدول

* * *

حالة ساءت الرسول وساءت	كل آى بها أتنا الرسول
لو رأنا والشر فينا كثير	مستفيض والخير نزر قليل
وثغور الضلال مبتسمات	ووجوه الهدى عليها محول
والدعاوى في الحق منا كبار	طال فيها التزمير والتطويل

نعبد الله والعبادة لحن	عند بعض وعند بعض عويل
ونحج القبور كالبيت حجا	يكثر المسح فيه والتقبيل
ونعد الركوع للقبر حلا	وهو في الدين ما له تحليل
ونزجى إلى القبور ندورا	فضحايا مسوقة وحول
ونقول التوحيد قولاً وكل	هو للشرك عامد وفحول
قال مستكراً لما نحن فيه :	ما بهذا قد جاءني جبريل
أين دين التوحيد منكم وأين	الأوب لله وحده والتقول
أنا حرمت كل ما كان فيه	شبه للأصنام أو تمثيل
كل من قال منكم إن هذا	هو دين الإسلام فيو جهول
لِمَ لِمَ تحفظون إخوة دين	جاءكم ناطقاً به التنزيل
كان حبل الإخاء فيكم وثيقاً	كيف أمسى وعقده محلول
نست منكم بيأس بل نهوض	منكم بعد فترة مأمول
فأجمعوا الشمال ناهضين فإن	الكفر في الدين عجزم والحول

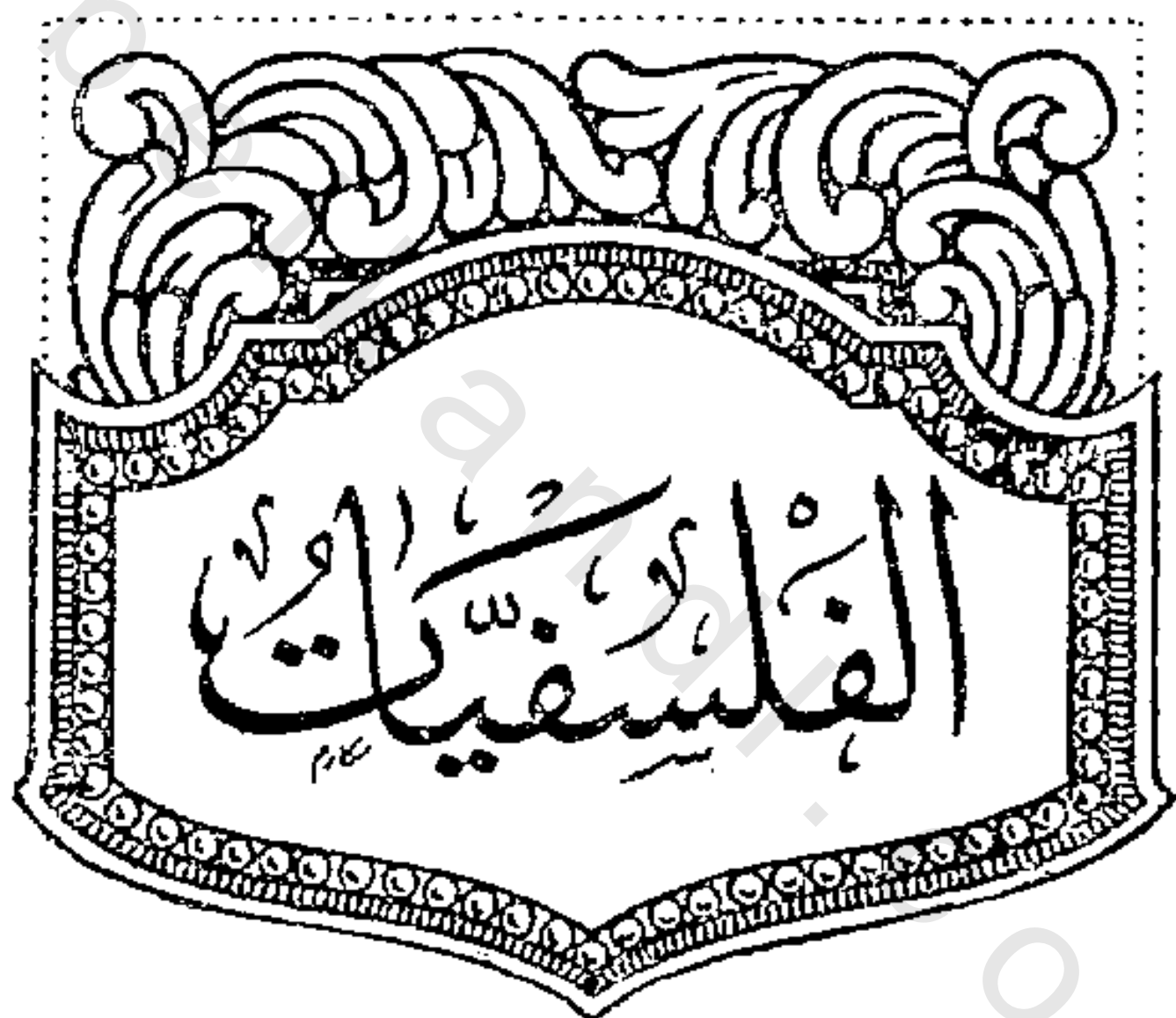
إلى العمال

كل ما في البلاد من أموال ليس إلا نتيجة الأعمال
 إن يطب في حياتنا الاجتماعية عيش فالفضل للعمال
 وإذا كان في البلاد ثراء فبفضل الإنتاج والابدال
 نحن خلق المقدرات وفيها لا حياة للعاطل المكسال
 عندنا اليوم في الحياة نظام قد حوى كل باطل ومحال
 حيث يسعى الفقير يسعى أجير لغنى مستأثر بالغالال
 فترى الكثيرين في طيب عيش أرغذته لهم يد الاقلال

وترى الغائصين في البحر أمسى
وترى المعسرين في كل أرض
أكثر الناس يكدحون لقوم
واحد في النعيم يلهو وألف
حالة في معاشنا أسلكتنا
فترانا بعضا لبعض لبسنا
تلك عاد مستهجنات ورثناها
فإلى كم نشقى وحتى م نبقى
إنما الحق مذهب الاشتراكية
مذهب قد نحى إليه أبو ذر
ليس فضل الزكاة في الشرع إلا
مبدأ ذو مقاصد ضامنت
موصلات إلى السعادة في العيش
ليس للمرء أن يعيش بلا كد
كل مجد يبني على غير معنى
ليس قدر الفتى من العيش إلا
ما رءوس الأموال إلا أداة
مثل شد الأحمال شد المساعي
صاح ماذا تجدى الدنانير لولا
أفتأتى من الطعام بديلا
حاجة المرء أكلة وكساء
إن للعيش حومة في وغاها

لسواهم ما أخرجوا من لآلى
كعبيد والموسرين موالى
قدموا في قصورهم والعلالى
في شقاء وأبؤس واعتلال
طرقات الخاتل الختال
من خياناتنا مسح الثعال
قدما من العصور الخوالى
هكذا في عمارة وضلال
فيما يختص في الأموال
قدما في غابر الأجيال
خطوة نحو مبتغاه العالى
ما لأهل الحياة من آمال
هواد إلى طريق التعالى
وإن كان من عظام الرجال
فهو مجد مهدد بالزوال
قدر إنتاج سعيه المتوالى
المساعى كالحبل للأحمال
ودنانيرها لها كالحبال
همم الدائبين في الأشغال
أفتغنى عن كسوة ونعال
وسوى ذاك بسطة في الكمال
لا تحق الحياة للبطال

إنها مثل حومة الحرب ما دارت
وسوى الخندق ما بها من سلاح
بطل الحرب مثله بطل السعى
ونشاط منه يبيض المساعي
أيها العاملون إن اتحاداً
ما لعيش تشقون فيه مقاماً
فليكن بعضكم لبعض نصيراً
وإذا قلت أنكم أنتم الناس جميعاً
فاعملوا دائبين غير كسالى
ثم قولوا معي مقالا رفيع الصوت
فلتحي زمرة العمال
رحاها إلا على الأبطال
وسوى الكد ما بها من قتال
ومنه الأعمال مثل الصيال
مثل إشراعه لسل العوال
بينكم مُرخص لكم كل غال
بسوى الاتحاد من إبلال
ومعيناً له على كل حال
فلا أكون مغال
وارقبوا ما به ستأتي الليالي
فتم قولوا معي مقالا رفيع الصوت
فلتحي زمرة العمال



خواطر شاعر

تجاه شاعرية الريحاني

لعمرك ما كلُّ انكسار له جبرٌ ولا كلُّ سرٍّ يُستطاع به الجهرُ
لقد ضربت كَفَّ الحياة على الحجا ستارًا فعلم القوم في كنهها نذرُ^(١)
فقمنا جميعاً من وراء ستارها نقول بشوق : ما وراءك يا ستر؟
حكمت سرحة فنواء نبصر فرعها ولم ندر منها ما الأنايش والجذرُ^(٢)
وقد قال بعض القوم إن حياتنا كليل وإن الفجر مطلعه القبر
فإن كان هذا القول فيها حقيقة فياشد ما قد شاقني ذلك الفجر
ورُوح الفتى بعد الردى إن يكن لها بقاء وحس فالحياة هي الخسر
وإن رقيت نحو السماء فحبذا إذا أصبحت مأوى لها الأنجم الزهر

* * *

وأعجب شأن في الحياة شعورنا وأعجب شأن في الشعور هو الحجرُ^(٣)
وللنفس في أفق الشعور مخايل إذا برقت فالفكر في برقها قطر
وما كلُّ مشعور به من شئونها قديرٌ على إيضاحه المنطق الحر
ففي النفس ما أعيا العبارة كشفه وقصر عن تبيانها النظم والنثر
ومن خاطرات النفس ما لم يقيم به بيان ، ولم ينهض بأعبائه الشعر

(١) يقول بهذا البيت والذي بعده : إن لنا من حياتنا سترًا سدولاً على عقولنا . فليس لنا من العلم بما وراء ستر الحياة إلا النزر اليسير ، ولكن عندنا شوق كبير إلى معرفة ما وراء الحياة ، حتى إن كلامنا قائم عند الستار وهو يسأل قائلاً : ما وراءك يا ستر؟

(٢) السرحة : الشجرة العظيمة . وفنواء : كثيرة الأفنان ، واسعة الظل . وأنايش : أصول الشجرة تحت الأرض ، واحدها : أنبوش . وجذر الشجرة : أصلها . بين في البيتين السابقين جم : بما بعد الحياة ، أي بمنتهىها ، وبين بهذا البيت جعلنا بما قبلها : أي بمبتدأها .

(٣) الحجر ، بكسر فسكون : العقل ، والشعور أعم من العقل ، لأنه علم الشيء علم حس ؛ والعقل جوهر تدرك به النفس الكليات من العلوم الضرورية والظارية . يقول : إن ما للحياة من الشعور لعجيب ، وإن العقل أعجب شأن من شعور الحياة ، فانها بما لها من الشعور والعقل أصبحت من المعينات .

ويارب فكر حاك في صدر ناطق
ويارب معنى دق حتى تجاوزت
أرى اللفظ معدوداً فكيف أسومه
وأفق المعاني في التصور واسع
ولولا قصور في اللغا عن مرادنا
ولست أخص الشعر بالكلم التي
وذاك لأن الشعر أوسع من لغا
وما الشعر إلا كل ما رشح الفتى
وحرك فيه ساكن الوجد فاعتدى
فمن نفثات الشعر سجع حمامة
ومن شذرات الشعر حوم فراشة
ومن صحكات الشعر دمة عاشق

فضاق من النطق انفسح به الصدر
إليه من الألفاظ أعينها الخزر^(١)
كفاية معنى فاقه العد والحصر^(٢)
يتيه إذا ما طار في جوّه القسكر^(٣)
لما كان في قول الحجاز لما عذر^(٤)
تنظم أحياناً كما تنظم النذر
يكون على فعل اللسان لها قصر
كما رنحت أعطاف شاربها الخمر^(٥)
مهبجاً كما يستن في المرح المهر^(٦)
على أيكة يشجي المشوق لها هدر^(٧)
على الزهر في روض به ابتسم الزهر
بها قد شكك الموصل ما فعل الهجر

(١) تجاوزت : أى غصت من بصرها شيئاً . يقال : تجاوزت : إذا غص من بصره شيئاً ؛ وكذلك يفعل الناظر إلى شئ . دقيق . والخزر : جمع خزراء ، وهى العين الصغيرة الضيقة . ومعنى البيت : أن من المعاني ما بدق حتى تقصر عن بيانها الألفاظ .

(٢) أسومه : أى أكلفه . يقول إن الألفاظ متناهية ، والمعاني غير متناهية ، فكيف يحيط المتناهي بغير المتناهي .

الفكر : ترتيب أمور معلومة لتأدى إلى مجهول ، والفكر نتيجة مترتبة على الشعور والإدراك . يقول : إن الشعور بمنزلة الخبايل للنفس . والخبايل : هى السحب المنذرة بالخطر ، فإذا برقت في النفس مخايلها ، كان قطرها الفكر .

(٤) يقول : إن البلاء لا عذر ذم في استعانة الحجاز ، إلا كون الألفاظ قاصرة عن أداء المعاني المطلوبة ، فإن قصورها عن أداء المعنى هو الذى يضطرهم إلى الخروج بها عما وضعت له ، لسكى يتوصلوا بذلك إلى أداء المعنى المراد .

(٥) معنى هذا البيت والذى بعده أن الشعر لا يختص بالكلام المنظوم ، ولا بالمتنوع ؛ بل هو أوسع وأعم من الكلام المؤدى باللسان . ثم بين في الأبيات التالية معنى الشعر ، فقال : هو كل ما أثر في المرء ورنحه كما ترنحه الخمر ، وحرك فيه ساكن الوجد ، ثم أخذ يفصل ذلك بقوله : « فمن نفثات الشعر » الخ . . .

(٦) مهبجاً : منفعل متأثر الوجدان . يستن المهر : يعدو . والمهر : ولد الفرس .

(٧) الهدر : صوت الحمام .

ومن لَمَعَاتِ الشعرِ نظرةٌ غادةٌ
ومن بَهْرَاتِ الشعرِ رَنَّةٌ ثا كل
ومن نَفَحَاتِ الشعرِ ترجيعٌ مُطْرِبٌ
وإن من الشعرِ اثتلاقٌ كواكب
وإن لريحانينا شاعرية
وما الشعرُ إلَّا الروضُ أمّا أميننا
وإن لم يكن شعري من الشعر لم يكن
بنجلاء تسبي القلب في طرفها فَنَرٌ^(١)
مُفَجَّعةٌ أودى بواحدِها الدهر
تعاورَ تجرَى صوته الخفضُ والنَّيرُ^(٢)
يُجْحُجُ الدُّجَى باتت يضاحكها البدر^(٣)
من الشعر فيها يقال هي الشعر
فريحانة ، وأُخْلِقَ منه هو النَّشْرُ^(٤)
لَعَمْرُؤُ النِّهَى للشعر عند النِّهَى قَدَرٌ^(٥)

وجه ابن آدم

للهِ سرٌّ في الأنام مُطْلَسٌ
برأ ابنَ آدمَ وهو إن لم تلقه
وإذا نظرنا في العجائب نظرةً
أمّا العجيبُ من ابنِ آدمَ فهو ما
والوجه أعجب ما رأيت وإنه
هو من طرازِ اللهِ إلّا أنه
أما الحواجب فهي فيه كواشفٌ
حار الفصيحُ بوصفه والأعجم^(٦)
في الخلق أقدمَ فهو فيه مُقَدَّمٌ
ظهر ابن آدم وهو منها الأعظم
نسق الكلام به إذا نطق الفم^(٧)
ليحار في سجنائه المتوسم^(٨)
بسرائر النفس الحديثة مُعَلِّمٌ^(٩)
والعين فيه عن الضمير تترجم

(١) نجلاء : عين واسعة .

(٢) تعاور : تراول . النبر : رفع الصوت بالكلام والغناء ونحوهما . (٣) اثتلاق : لسان .

(٤) النشر : الرائحة الطيبة . (٥) النِّهَى : جمع نهية ، وهي العقل .

(٦) المطلسم ، بصيغة المفعول : من طلسم الساحر إذا كتب الطلاسم ، والمراد بكون السر مطلسماً أنه كتب عليه طلسم بالأبجدية يصل إليه أحد .

(٧) أى أن العجيب من ابن آدم هو القوة الناطقة التي إذا تكلم نسق بواسطتها الكلام .

(٨) السجناء : محركة وكصجراء : الهيئة واللون . المتوسم : الناظر إليه المتفرس ، الذي يطلب سمته ، أى علامته .

(٩) الطراز : يطلق على الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيدة ، يقال عمل : هذا الثوب في طراز فلان ، ومن المجاز قولهم الوجه المليح « هو مما عمل في طراز الله » . والمعلم ، بصيغة المفعول : المجهول له علامة ، والمعنى ظاهر .

ولرب خافية يكتُمها الفتي والوجه منه بسرّها يتكلّم
كلّ يشير إلى السريرة وجهه فكأنّه بضميره متلّم
فالوجه فيه من القرونة مسحة للخافيات بها وضوح مبهم^(١)
صرع النهى فالوهم فيه تيقن تحت الملامح واليقين توهم^(٢)
ولرب وجه في تبسمه البكا ولرب وجه في بكاه تبسم
والأنف في وجه ابن آدم زينة فالوجه لو لا أنفه متجهم
كالهذب في شفر العيون فإنه لولاه تنشتر العيون وتسجم^(٣)

إن الوجوه صحائف مطموسة يمحو كتابتها ويثبتها الدم^(٤)
بينك تقرأ حرفها متفهماً يبدو تحرفها فلا تتفهم
فالعقل فيها عالم متجاهل طوراً وطوراً جاهل متعلم
إني أرى هذى الوجوه نواطفاً بالسِرِّ لسنن نطقهنّ مججم^(٥)
وأرى لحاظ عيونها متحدّثاً عنها ولكن الحديث مرجم
فكأنني البدوي يسمع راطناً وكأنما هي أعجمي طيطم^(٦)

(١) القرونة : النفس ، ومعنى قوله « وضوح مبهم » : أنك ترى ما يخفيه الإنسان واضحاً في وجهه ، ولكنه مع ذلك لا يزال مبهماً عندك ، إذ لا تعلمه يقيناً .

(٢) المراد بكونه صرع النهى : أنه غلبها . والضمير في صرع يعود إلى الوجه . والنهى : جمع نهية ، وهي العقل . واللامح : ما بدا من محاسن الوجه ومساوئه ، جم لحة على غير لفظها ، وهو من النوادر ، يقال : في فلان ملامح من أبيه : أي مشابه . ومعنى البيت : أن العقل مغلوب تحت ملامحه ، فهو يتردد بين الوهم واليقين .

(٣) الهذب : شعر أشجار العيين . وتنشتر : أي تكون شتراء ، أي ذات شتر ، وهو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل ، أو انشقاقه ، أو استرخاؤه . وتسجم : أي تسيل الدمع .

(٤) مطموسة : محوّة . والمراد بمحو الدم . كتابتها : عدم فهم شيء منها ، وبإثباته إياها : فهم شيء منها ، أي أن الناظر فيها بين فاهم وغير فاهم ، كما قد فسر ذلك بالبيت الذي بعده .

(٥) مججم ، بصيغة المفعول : أي غير بين ، من مججم الكلام : إذا لم يبينه .

(٦) راطناً : متكلماً بالأعجمية . وأعجمي طيطم : في لسانه عجمة لا يفصح .

وَلَرُبَّ وَجْهٍ يَسْتَبِيكُ بِحَسَنِهِ فَيَرْوَحُ مِنْهُ وَأَنْتَ صَبٌّ مُعْرَمٌ
يَبْدُو إِلَيْكَ وَأَنْتَ خِلْوٌ مِنْ هَوًى وَيَصْدُ عَنْكَ وَأَنْتَ فِيهِ مُتَمِّمٌ
وَإِذَا تَغَيَّبَ فَالْبَدُورُ مُضِيئَةٌ وَإِذَا أَضَاءَ فَكُلُّ بَدْرٍ مُظْلَمٌ
لِلَّهِ فِي وَجْهِهِ ابْنُ آدَمَ حِكْمَةٌ يَعْنُو النَّسْفِيَّةُ لَهَا وَمَنْ يَتَعَلَّمُ

ما وراء القبر

مَتَى تُطْلَقُ الْأَيَّامُ حَرِيَّةَ الْفِكْرِ فَيَنْشَطُ فِيهَا الْعَقْلُ مِنْ عُقْلَةِ الْأَشْرِ (١)
وَيَصْدَعُ كُلُّهُ بِالْحَقِيقَةِ نَاطِقًا وَيَتْرَكُ مَا لَمْ يَدْرِ مِنْهَا لِمَنْ يَدْرِي (٢)
أَرَانَا إِذَا رُمْنَا بِيَانِ حَقِيقَةِ عَزَيْنَا مَعَآذَ اللَّهِ فِيهَا إِلَى الْكُفْرِ (٣)
جَهَنَّمَ أَشَدَّ الْجَهْلِ آخِرُ عُثْرِنَا كَمَا قَدْ جَهِلْنَا قَبْلَهُ أَوَّلَ انْعَمَرِ
هَمَّا سَاحِلًا بِحَرٍّ مِنَ الْعَيْشِ مَا نَجَّ فَفِي أَيِّ أَمْرٍ نَحْنُ بَيْنَهُمَا نَجْرِي
وَمَنْ أَيْنَ جِئْنَا أَمْ إِلَى أَيْنَ قَصَدْنَا ؟ وَفِي أَيِّ لَيْلٍ مِنْ تَشَكُّكِنَا نَسْرِي ؟
كَأَنَّا أَتَيْنَا وَالْعَيْشَةَ لُجَّةَ لَنُجَبِرَ وَالْأَعْمَارَ جِسْرًا إِلَى الْقَبْرِ (٤)
وَمَاذَا وَرَاءَ الْقَبْرِ مِمَّا نُرِيدُهُ وَهَلْ مِنْ مَدَى بَعْدَ الْعُبُورِ عَلَى الْجِسْرِ (٥)
نَسْأَلُنِي نَفْسِي وَالْمَوْتَ حَوَلَةَ أَلَا هَلْ لِكُسْرِ الْمَوْتِ وَيَحْكَ عَنْ جَبْرِ (٦)
لَعَلَّ حَيَاةَ الْمَرءِ لَيْلٌ سَتُنَجْلِي غِيَا هَبِهِ مِنْ سَكْرَةِ الْمَوْتِ بِالْفَجْرِ (٧)
فَإِنْ كَانَ ذَا حَقًّا فَإِنْ حَيَاتِنَا كَمَا قِيلَ سِنَّزٌ وَالرَّدَى كَاشِفُ السَّائِرِ
وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الرُّوحَ تَبَقَّى فَبَلِّ لَهَا عُرُوجَ إِلَى الْأَعْلَى إِلَى الْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
وَهَلْ تَعْرِفُ الْجَنَانَ بَعْدَ عُرُوجِهَا فَتَمَكَّتْ مِنْهُ فِي السَّمَاءِ عَلَى ذِكْرِ

(١) عقلة : ما تعقل به الرجل وتقيده .

(٣) عزينا : نسينا .

(٥) المدى : الغاية .

(٧) غياهبه . جمع غيب ، وهو الظلمة .

(٢) يصدع : يجهر .

(٤) اللجة : الماء الكثير .

(٦) صولة : قوة . ويحك : رحمة لك .

إذا أرضنا كانت سماء لغيرها
 وهل عَرَجَتْ أرواح مَنْ في عطارِدِ
 خيالٍ به رُحْنَا نعللُ أنفُسًا
 وشبهَ بالنهر الحياةَ معاشرَ
 ولكنهم أعياء عليهم مَصَبُهُ
 فياليت شعري أين ينصبّ جارياً
 لعمرِكَ ما هذى الحياة وما الذى
 نحاول عماءً بالحياة وإنَّ ذا
 ونسلك منها في تَجاهلٍ قفرةٍ
 على أننا نَمضى إلى أمر ربنا
 فما من عُرُوج بل نزول إلى القمَرِ
 إلى الأرض أم هذا الكَلَامُ من الهَذَرِ^(١)
 هَزَّ أَنْ بِهِ لَمَّا رَجَعْنَ إلى الحِجْرِ^(٢)
 فمتبعه في رأيهم قَدَمَ الدهرِ
 وإن رَجَّحُوا بالظنِّ في مَنبَعِ النهرِ
 أَعَوْدًا لبدء أم إلى غايَةٍ يجرى
 يُراد بنا فيها من الخير والشر؟
 مَنوط إلى ما ليس يُدرك بالفكرِ
 فنخرج من قفَرٍ وندخل في قفَرٍ
 كما أننا آتون من ذلك الأمرِ

لو

لو أسكرَ الإنسانَ باطلُ أمره
 لو قاس كلُّ شَيْءٍ سواه بنفسه
 لو أنصفَ الخُصمانَ ما اصطاد الرُّشَا
 لو أخلصَ الإنسانَ في إحسانه
 لو لم يَشْكُ رَبَّهُ متفلسِّفٌ
 لم تلق غير مُعَرِّدٍ سَكْرَانٍ^(٣)
 فيما أراد لما تعادى اثنا
 أهلُ القضاء بما ادَّعى الخُصمانُ^(٤)
 لم يرجُحْ أن يُجزى على الإحسانِ^(٥)
 في الدين لم يحتجَّ بالبرهانِ^(٦)

(١) الهذر ، بفتح الهاء : الهذين والكلام الذى لا يعجا به .

(٢) نعلل : نلّى ونلّى . والحجر : العقل .

(٣) يريد : لو كان الباطل مسكراً كالخمر لرأيت الناس كلهم سكارى .

(٤) هذا البيت قريب في معناه من القول المشهور : « لو أنصف الناس استراح القاضي » غير

أن معنى البيت لو أنصف الناس لما فسدت أخلاق القضاة باتخاذهم دعاوى الخصوم آلة لاصطياد الرشاة .

(٥) أى لأن من أحسن وهو يرجو المكافأة على إحسانه لم يكن عسناً في الحقيقة إلا إلى

نفسه ، فهو لذلك غير مخدس في إحسانه .

(٦) أن لأن احتجاجه بالبرهان دليل على ماخامره من الشك .

و أن عقل المرء يغلب حبه
لولا جهود في الشرائع مُمَلِّكَ
لو كان قصد الدين غير سعادة الدُّنْيا
لو أخلص الرجل التقى بدينه
لا خير في تقوى امرئ لو لم يخف
لو كان أمر الحج معتولا لما
لو حكَّم العقل الحجيج بحجهم
لو أخلص الغزى بنصرة دينهم
كذبت قريش لو تقادم عهدُها
لو كان للشيطان معنى غير ما الـ
لو يجعل الناس التعاون دأبهم
لو أن أخلاق الرجال تهذب
ومحبة الأوطان لولاها لما
والنفس لم يلجأ إلى الأديان^(١)
لتغيَّرت بتغيُّر الأزمان
نيا لكان الكفر كالإيمان^(٢)
ما كان ذا طمع بحور جنان
نار الجحيم لَنَجَّ في العُصيان
كان استلام القوم للأركان
أبوا الطواف بتلكم الجدران
ما حلَّ سبي حرائر النِّسوان
في الجند ما خدعت أبا غيثان^(٣)
إنسان ما آمنتُ بالشيطان
تتمتعوا بسعادة العُمران
لتكشفت حجب عن النِّسوان^(٤)
عرف الأنام عداوة الأوطان^(٥)

(١) لاشك أن حب النفس هو الأصل الوحيد الذي يمكن الرجوع إليه في تعليل أفعال الإنسان كلها ، ومعنى البيت أن حب النفس هو الذي يدفع الإنسان إلى التمسك بما تقوله الأديان من الحياة الأخرى ، لأنه يحب الخلود لنفسه ، ولا يرضى لها أن تفنى وتذهب سدى بعد الموت .
(٢) هذا رد لما يقوله بعض الناس من أن غاية الدين أخروية محضة ، لاعلاقة لها بالدنيا ، وهذا باطل ، لأن الدنيا قطرة الآخرة ، وإذا كانت القطرة غير صالحة للعبور تعذر الوصول إلى المصاوب .
ومعنى البيت : أنه لو صبح ما يقوله هؤلاء ، من أن غاية الدين أخروية محضة ، لتساوى الكفر والإيمان في الدنيا ، ولكنهما غير متساويين في الدنيا ، لأن البهانة تشهد بأن صاحب الإيمان أهدي في أمور دنياه من صاحب الكفر .

(٣) فواه أباغيثان : هو رجل من خزاعة كان يلي سدانة الكعبة قبل قريش ، وأسكده قصى ، واشترى منه مغابيح الكعبة بزر خمر ، ثم أفانى نادما ، فضرب به المثل في الحق والندم وخسارة الصفقة . ومعنى البيت ظاهر .

(٤) أى أن تهجيب النساء عندا معاشر الشرقين لم يكن إلا من فساد أخلاق الرجال ، فلو تهذبت أحوالهم لارتفع الحجب .

(٥) أراد بمحبة الأوطان هنا : المحبة السياسية ، التي يتخذها صاحب السياسة ذريعة إلى تهيج الشعوب إلى الحروب ، ولاشك أن هذه المحبة هي أساس العداوات الوطنية بين الأمم قاطبة .

لو كان خير في المجرة لم يكن في الأرض شرّ دائم الغليان^(١)
لو تمّ في فلك الثريا سعدّها لم تَمَنَّ بالعيّوق والدبران
لو لم يكن فزعاً سهيلاً لم يبت في أفقه متتابع الخفقان

حقيقتي السلبية

أحب صراحتي قولاً وفعلاً وأكره أن أميل إلى الرياء
فما خادعت من أحدٍ بأمر ولا أضمرت حسواً في ارتغاء
ولست من الذين يرون خيراً بإبقاء الحقيقة في الخفاء
ولا ممن يرى الأديان قامت بوحي منزل للأنبيا
ولكن هنّ وضع وابتداع من العقلاء أرباب الدهاء^(٢)
ولست من الآلى وهموا وقالوا بأنّ الروح تعرج للسماء^(٣)
لأن الأرض تسبج في فضاء وما تلك السماء سوى الفضاء
ولست من الذين يرون فخراً لمفتخر يهراق الدماء^(٤)
ولا ممن قد ارتبطوا بماض فعاشوا ينظرون إلى الوراء
ولا ممن يرى للناس حكماً سوى الحكام أرباب القضاء
ولا ممن تودّد في حضور وعند الغيب جاهر بالعداء
ولا ممن يرى الأنساب ممّا يمتّ به الأنام إلى العلاء^(٥)

(١) الأرض : كوكب تابع للشمس ، ومنفصل عنها . والشمس : كوكب من كواكب المجرة ، فيصح أن نستدل بما في الأرض على ما في المجرة ، لأنها أى الأرض جزء من المجرة ، ونحن نرى في الأرض شراً دائماً الغليان ، في المجرة شر أيضاً دائماً الغليان . وهذا هو معنى الحديث .

(٢) هذا البيت ينظر إلى بيت المعري في اللازوميات :

أفيقوا أفيقوا يا غواة فإنيما دياناكم مكر من القدماء

(٣) نخرج : تصعد . (٤) يهراق الدماء : إساءتها بالحروب ونحوها من ضروب التعدي .

(٥) يمت إلى الشيء : يتصل به بسبب .

ولا مَنَّ إِذَا وَبَّؤُوا استعاذوا بتمتمة الدعاء من الوباء^(١)
 ولا من معشر حَمَلُوا وصاموا لِمَا وَعِدُوهُ من حسن الجزاء
 ولا مَنَّ يرون الله يجزى على الصلوات بالْحُورِ الوِضَاءِ^(٢)
 ولا مَنَّ يرى الأشياء تقنى بحيث تكون من عَدَمِ هواء
 ولكن هُنَّ في جمع وفرق تبدلُ منهما صُورُ البقاء
 ولست من الذين يَرَوْنَ فضلاً كبيراً للرجال على النساء
 ولكن دالت الأيامُ حتى بهلون بهولاء هؤلأ بهؤلأ

حياة الورى

حياة الورى جِسْرٌ مَدِيدٌ وإنما عليه الورى يمشون مِشْيَةً عابر
 وللموت كَسْرٌ ليس يمكن جَبْرُهُ بَلْفٌ ضَامِدٌ أو بَشْدٌ الجبائر^(٣)
 وقتل الردى قتلٌ جَبَّارٌ فلم تكن لتندرك فيه ثأرها نفس ثائر^(٤)
 فإن مَنَايَاتنا سهام عوائر وكيف اثَّارٌ في السهام العوائر^(٥)
 أرى الناس طُرّاً في الردى غير آتهم ثَوَّوا بين مقبور هناك وقابر
 وما الموت إِلَّا هُوَّةٌ أدلج الورى إليها بمسود الدُّجَّةِ كافر^(٦)
 فهم أبداً يساقطون لقعرها تساقطَ عُثْيٍ في عِمَاقِ الحفائر
 أرى كل حى فى الحياة ممثلاً رواية رُؤْيَا من كتاب المقادر

(١) وبَّؤوا : أصيبوا بالوباء .

(٢) الحور : جمع حوراء ، وهى التى اشتد سواد عينها وبياضها ، وهذا من الجمال عند العرب .
 والوضاء : جمع وضيمة ، وهى الجميلة ، النقية البشرة .

(٣) الضامد : الحرقه تلذ على العضو الكسير أو الجريح . والجبائر : جمع جبيرة ، وهى خشبات تشد بجانب العظم المكسور حتى يصلب ويشتد .

(٤) القتل الجبار : الذى لا دية معه . (٥) السهم العائر : الذى لا يعلم من رماه .

(٦) الإدلاج : السير فى الدلجة ، وهى الليل كله ، أو وقت السحر .

رواية رؤيا قد جرت في ديارنا فجاءتُها حتَّى انتهت في المقابر
لقد قدّم الموتُ الحياةَ أمامه نذيراً ومن يُنذِر فليس بغادر
فلا عجبٌ أنا نرى كل ساعةٍ أكفّ المنايا داميات الأظافر

حبذا النوم

إلى صاحبة مجلة « الفجر »

قل لنَجَلًا نَجَلًا أبا اللّمع إني عاشق نور فجرها الوضاح
هو للعلم خير فجر تجلّى مستنيراً بأشهر الأوضح
وصرير الأقلام في الطُّرس منه كصياح الديوك في الإصباح
كم تصفحت فيه من صفحات عطرتي بنشرها الفياح
فكأنّني في النّفس والطُّرس منها ناظر في بنفسج وأقاحي
ثم إني قرأت فيه لأسماء كلماتٍ بديعة الإفصاح
أيقظتنا بها إلى أن في النّو م ارتياحاً لنا وأى ارتياح
صدقت في الذي تقولُ ففجّوى قولها في غنى عن الإيضاح

• • •

حبّذا النّومُ فهو للرّوح رَوْح من عناء الهموم والأتراح
وهو تجديد قوّة ونشـاط لحسوم رَوّاح أطلاح
حبّذا النّومُ ترتقي النفس فيه عالماً فوق عالم الأشباح
« تِلْفُونٌ » به إلى الغيب نُصغى و « تِلْسَكُونُنا » إلى الأرواح
حبّذا النّومُ إنه شَرَكٌ يَمْتَدُّ في الجسم لاصطياد ارتياح وهو للجسم من دواعي الصّلاح
فهو للنفس من مراقي المعالي

حبّذا النومُ فهو كالزيت للرؤ ح به تضيء كالمصباح
وهو معراجنا إلى أفق غيب لن تنأى أبعاده والنواحي
حبّذا النومُ واصلاً بين حيّ ذى ثواء وميت ذى براح
حبّذا لنوم جامعاً بين معشوق مقيم وعاشق ذى انزعاج
إن النوم لذة هي في الأنفوس أشهى من لذة الأفراح
أدركتها النفوس بالفعل واستغفمت بإدراكها عن الإيضاح
أيها القوم إن للنوم سلطاناً قويا لا يتقنى سلاح
نافذ الحكم في القضاء على الإنسان في حُرته وفي الأفراح
وعلى الأسد وهي في الغاب تدأى وعلى الطير وهي في الأدواح^(١)

بين الروح والجسد

أرى للروح بالبدن اتصالاً خفياً لا تبين له رسوم
تطيف به الهواجسُ شاعرات وتعجز عن حقيقته النفوس
فإن الروح للجسم تسلف به منها ومنه بها رسوم
يتم كلاهما ههنا بهذا كذلك تم أمرهما القويم
فلا جسد يقوم بغير روح ولا روح بلا جسد تقوم
هما متلازمان فما لكل بغير قرينه أبداً لزوم
لذلك كانت الأرواح منا بحيث تهبي إذا وهت الجسوم
ولست أظن أن الروح تبقى إذا محيت من الجسد الرسوم
وربّما يكون لها دوام ولكن غير شاعرة تدوم

(١) دأى له بدأى دأياً ودأوا : إذا ختله ، والدأب يدأى للغزال ، وهي مشية شبيهة بالختل .
والأدواح : جمع دوح ، والدوح : جمع دوحه ، وهي الشجرة الوارفة الأغصان ، الواسعة الظلال .

وما هبطت من الخضراء ولكن من الغبراء أنبتها الحكيم^(١)

وأما هذه الأجسام منا فتبنيها المأكّل والطعوم
وتروّيها المشارب والمحاسي ويؤهّنها التقشّف والتضنى^(٢)
وبعض من مطاعنا غذاء وبعض من مطاعنا وقود^(٣)
له في جوف آكله احتراق تحاك على العظام به اللحوم
تديم به حرارتها الجسوم تكون رماده فيها الشحوم

* * *

والأرواح كالأجساد زاد به تنمو المشاعر والخلوم
هو النعم الرقيق من المثاني هو الأدب الرفيع ، هو العلوم^(٤)
فإن الرّوح تغذوها الأغاني ويحلو همها الصوت الرخيم^(٥)
ويصقلها الجمال إذا رآته وتصدّئها القبايح والمهموم
فلا تنفر بسمعك من غناء به غنتك شادية بغوم^(٥)
ولا تترفعن عن الملاهي ولو شهدت برفعتك النجوم
وكن في المضطربات فتى طروباً فإن الناس أطربها الكريم
وقف عند الحدود بلا تعدٍ إلى ما ليس يحمده الحليم
ولا تشتط في طرب ولهو فكل مقارف شطّطاً ذميم
فإن وافقتني وجريت جرّبي وإلا فانك الطبع السليم

(١) الخضراء : السماء . والغبراء : الأرض .

(٢) يؤهّنها : يضعفها . والتقشّف : التخشن في العيشة . والتضنى : تفعل من الضنى ، وهو الهزل والجهد . والتترف : التمتع . يقال ترف الرجل وترفه : دله وامسكه . وتترف : مطاوع يرفه ، بالتضفيف .

(٣) المثال : جمع مثني ، يوزن مفعول ، وهو ما يثني ويكرر من الكلام ، في الغناء أو الإنشاد .

(٤) الصوت الرخيم : الرقيق الذي ليس غليظاً ولا أجش .

(٥) بغوم : صيغة مبالغة من البغال ، وهو صياح الظبية إلى ولدها بأرحم ما يكون من صوته .

من نواميس الحياة

كل شيء من عالم الذرات كل شيء في كونه كالنبات
كل شيء في بدئه من صغير ثم ينمو في ذاته والصفات
هكذا تكبر الصغار وتقوى في نواميس حادثات الحياة
هكذا ترسل الأصول فروعاً عاليات يأتين بالثمـرات

* * *

إن للفلس في الثراء محلاً كمحل الجذور في الدوحات
إن أصل الثراء فلس وهل سالت سيول إلا من القطرات
هو في قدره حقير ولكن جمعه موصل إلى العظام
يتساوى فيه السخي وذو البخل ورب الأقاليل والمثارة
هو هين على الذي قال ها كم حين يعطيه للذي قال هات

* * *

إن ترد غرس نخلة من ثراء فسوى الفلس ما لها من نواة
فاقتصد في موارد العيش فلساً كل يوم من طائل النفقات
واجعل الفلس فوق فلس تجده مسعداً مسعفاً على الخيرات
واقصد الخير في اقتصادك حتى لا يؤول الثراء للآفات
ليس حسن الأعمال في الناس إلا حسن ما يضمرون من نيات
فدع الفعل كيف كان - حميداً أو ذمياً - وانظر إلى الغايات
حسنات الأنام إن لم تكن ذات عموم ضرب من السيئات
يا شباب العراق هبوا إليه وتوخوا بجمعه البركات
إن تكونوا اعترتم الأمر فيه فالبدار البدار قبل الفوات



أنا والشعر

أرى الشعر أحياناً يحيش بخاطري
وبسكن أحياناً فأشجى وإنما
وقد أتوخي الهزل منه تجارياً
ولكن نفسي وهى نفس حزينه
وقد علم الراون شعري بأنهم
وإني إذا استنبطته من قريحتي
وإني على علم طويت سهوله
وإني لمأخض له بسليقة
وهل يخطر الشعر الركيك بخاطري
ألا لا اهتدت للشعر يوماً هواجسى
ولا غصت في بحر القريض مخاطراً
على أن لي طبعاً لبيقاً بوشيه
إذا انتظمت أبياته في قصائدي

ويبدل ما قد عزّ لي من مَصُونِه^(١)
تحرّك شجوى ناشئ من سكونِه^(٢)
لدهر أراء مَوْغِلاً في نُجُونِه^(٣)
تميل إلى المُشجى لها من حزينه
إذا أنشده أطربوا بلحُونِه
شفيت صدّي الراوى ببرّد مَعِينِه^(٤)
ولم أتحير خابطاً في حُزُونِه
أبت غنّه واستوثقت من سَمِينِه^(٥)
إذا كان في طوعي اختشاب مَتِينِه^(٦)
إذا هي لم تنزع إلى مستَبِينِه^(٧)
إذا لم أفر من دُرّه بشمينه
نزوعاً إلى أبكاره دون عُونِه^(٨)
تري كل بيت ممسكاً بقرينه

- (١) يحيش : يضطرب ويتحرك ، كما تحيش القدر عند الغليان .
(٢) أشجى : من الشجر ، وهو الحزن .
(٣) أتوخي : أقصد . مَوْغِلاً : ذاهباً بعيداً .
(٤) استنبطته : استخرجته . والصدى : العطش . والمنين : الماء الظاهر ، تراه العين جارياً على وجه الأرض .
(٥) الفت : المهزول ، ضد السمين .
(٦) الاختشاب : افتعال من خشب الشعر يحشيه . (من باب ضرب) أى يمرّه كما يجيشه ، ولم يتألق فيه ، ولا تعمل له .
(٧) هجس الأمر بالقلب هجساً ، من باب قتل : وقع وخطر ، فهو هاجس .
(٨) العون : جمع عوان ، وهى من إناث الحيوان : ما كانت وسطاً في السن ، بين الفارض ، وهى المسنة ، والبكر ، وهى الصغيرة ، يقال امرأة أو فرس أو بقرة عوان .

وما كان دَوْحُ الشعور يوماً لُتَجَتَنِي بغير اليدِ الصُّوْلَى ثَمَارُ غصونه
ولم يستَقِدْ إلا لذي المَعِيَّةِ يكون كراي العين رَجْمَ ظنونه^(١)
وإني قد مارسته بَفْطَانَةٍ يلوح سناها غُرَّةً في جبينه

لعمرك إنَّ الشعرَ صَمَامُ حِكْمَةٍ وإنَّ النهيَ معدودة من قِيُونِهِ^(٢)
إذا جَنَّتْ ليلُ الشكوكِ سَمَلَتُهُ عليه فقرَّاه بفجْرٍ يقينه^(٣)
وما الشعرُ إلا مؤنسي عند وحشي ومُسلي قَوَادِي عند وَرَى شُجُونِهِ
تقوم مقامَ الدمعِ لى نَفَثَاتِهِ إذا الدهرُ أبكاني برَيْبِ مَنْوَنِهِ^(٤)
وأجعله لكونِ مِرَاةٍ عِبْرَةٍ فيظهر لى فيها خيال شُؤْنِهِ
فأبصرُ أسرارَ الزمانِ التي أنطوت بما دار في الأحقابِ من مَنَجْنُونِهِ^(٥)
وللشعرِ عين لو نظرت بنورها إلى الغيبِ لاستشفقت مافي بطونه
وأذنَّ لو استصغيتها نحو كاتم سمعت بها منه حديث قُرُونِهِ^(٦)

وليلٍ إلى شعراه أرسات فكرتي رسولاً بشعري حاملاً لِرَقِينِهِ^(٧)
سلي الليل عني نَسْرَهُ وَسِمَاكَهُ ونجمَ سُهَابٍ والجُدَى خَدِينِهِ^(٨)

(١) استفادته الأمر : ذل واتقاد . الأنمية : مصدر صناعي من الألمع . والألمع والألمى ،
واليلمع واليلمى : الداهي الذي يتظن الأمور فلا يخطئ . ، وإذا ألمع له أول الأمر عرف آخره ،
كثني بظانه دون يقينه ، مشتق من النعم ، وهو الإشارة الخفية ، والنظر الخفي .

(٢) الصمصام : السيف . والنهي : جمع نهية ، وهي العقل .

(٣) قرَّاه بتخفيف الرء وتشديد هاء : مزقة .

(٤) النفثات : جمع نفثة ، وهي ما يلفظه الإنسان من فم من بصاق ونحوه . شبهه خواطره
ومعانيه بالنفثات .

(٥) المنجنون : الدولاب ، يستقي به الماء لإرواء الأرض .

(٦) القرون : النفس . (٧) الرقب : الكتاب المزين .

(٨) النسر والسمك والسها والجدي (تصغير جدي) : أسماء نجوم . يريد بسؤالها عنه أنه
طالما سهر في صنع الشعر مراعيًا هذه النجوم ، فبينها وبينه ألفة وصحبة .

فكم بت في نهر المجرة في الدجى من الشعر أجرى مُنشآت سفينه
هو الشعر لا أعتاض عنه غيره ولا عن قوافيه ولا عن فنونه
ولو سلبتنيهِ الحوادث في الدُّنا لِمَا عشت أو ما رُمْتُ عيشاً بدونه
إذا كان من معنى الشعور اشتقاقه فما بعده للمرء غير جنونه

الغروب (*)

قالمها سنة ١٨٩٤ وقد وصف فيها ما شاهده
في الأعظمية عياناً من منظر الغروب

نزلت تَجَرُّ إلى الغروب ذيولاً صفراء تشبه عاشقاً مَبْتُولاً^(١)
تهتز بين يد المغيب كأنها صب تملل في القراش عليل^(٢)
ضحكت مشارقها بوجهك بُكرة وبكت مغاربها الدماء أصيلاً
مذ حان في نصف النهار دلوها هبطت تزيد على التزول نزولاً^(٣)
قد غادرت كبد السماء منيرة تدنو قليلاً نالافول قليلاً^(٤)
حتى دنت نحو المغيب ووجهها كالورس حال به الضياء حُلُولاً^(٥)
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارة عطشت فأيدت صفرةً وذبولاً^(٦)
غربت فأبقت كالشواظ عقيها شفقاً بحاشية السماء طويلاً^(٧)
شفق يروع القنب صاحب لونه كالسيف ضَمَخ بالدماء مسلولاً^(٨)

(*) من الديوان الأول .

- (١) الضمير في نزلت : يعود إلى الشمس بقرينه المقام الذي هو وصف غروبها .
- (٢) الصب : وصف من الصباغة ، وهي العشق . وتملل : تقلب في فراشه من الأرق أو المرض .
- (٣) دلوها : الشمس والنجوم : زوالها عن الاستواء ، ويستعمل في الغروب أيضاً .
- (٤) الأفول : الغروب .
- (٥) الورس : نبت أصفر ، يزرع باليمن ويصنع به . أو هو صنف من الكركم .
- (٦) العرارة : واحدة العرار ، وهو نبت طيب الريح ، قيل هو العرجس البري .
- (٧) الشواظ : بضم الشين وكسر ها : اللهب الذي لادخان فيه .
- (٨) الشفق الحرة التي ترى في المغرب بعد سقوط الشمس .

يحكى دم المظلوم مازج أدمعاً هملت بها عين اليتيم همولا (١)
 رقت أعاليه وأسفله الذى فى الأفق أشبع عُصفراً محلولا (٢)
 شفق كأن الشمس قد رفعت به رُدْنًا يذوب ضيائها مبلولا (٣)
 كأنهود ظلت يوم ودّع إلفها تنو وترفع خلفه المندبلا (٤)
 حتى توارت بالحجاب وغادرت وجه البسيطة كاسفاً مخدولا
 فكأنها رجُلٌ تحرم عزه قرع الخطوب له فعاد ذليلا
 وانحطَّ من عُرف النباهة صاغراً وأقام فى غار الهوان خمولا

* * *

لم أنسَ قُرب (الأعظمية) موقفي والشمس دافية تريد أفولا
 وعن اليمين أرى مروج مزارع وعن الشمال حدائقاً ونخيلاً
 وتروع قلبي للدَّوَالِي نَعْرَةً فى البين يحسبها الحزين عويلاً (٥)
 ووراء ذاك الزرع راعى ثلَّةً رجعت توئم إلى المراح قُقولا (٦)
 وهناك ذو برذونتين قد اثنى بهما العشي من السكراب نحيلاً (٧)
 وبمنتهى نظرى دخان صاعد يعاو كثيراً تارةً وقليلاً
 مدَّ الفروع إلى السماء ولم يزل بالأرض متصلاً يمدُّ أصولاً
 وتراكبت فى الجوّ سُود طباقه تحكى تلولا قد حمان تلولا
 فوقفتُ أرسل فى المحيط إلى المدى نظراً كما نظر السقيم كليلاً

- (١) الضمير فى يحكى : يعود إلى الشفق فى البيت السابق ، أى أن هذا الشفق يشبه دم مظلوم مازجته دموع يتييم ، لأن الدم إذا مازجه الدمع كان لونه فامحاً وهو مع ذلك مشعر بالحزن .
 (٢) العصفور : نبت أصفر ، يصنع به .
 (٣) الردن : أصل السكم .
 (٤) الخود : الفتاة الحسناء الخلق الشابة . والجمع خودات ، وخود بضم الخاء فى الأخير .
 (٥) الدوالي : جمع دالية ، وهى الناعورة تدبرها البقرة . والدرة : بالفتح : المرة من نعر لىء صوت .
 (٦) الثلث : القطيع من الغنم . والمراح : المساكن تروح إلى الدواب ، وتأوى إليه بعد المرعى .
 (٧) السكراب مصدر كرب الأرض كرباً وكرباً : قلبها للحرث ، وأثارها للزرع .

والشمس قد غرّبت ولما ودّعتْ
 غابت فأوحشتِ الفضاء بكثرة
 حتى قضت رُوح الضياء ولم يكن
 وآتى الظلام دجّةً دجّةً
 ليل بغيّبه الشخصُ تلّغمتْ
 ثم انثّيت أخوض غمر ظلامه
 إن كان أوحشني الدجى فتجومه
 سبحان من جعل العوالم أنجما
 كم قد تصادمتِ العقول بشأنها
 لا تحتقرّ صغر النجوم فإنما
 دارت قديمًا في الفضاء رَحَى القوى
 فاقراء كتاب الكون تلق بمتنه
 ودع الظنون فلا وربك إنها
 أبكت حزونًا بعدها ومهولا
 سقم الضياء بها فزاد فحولا
 غير الظلام هناك عزرائيلا
 يُرْخى سدولًا جمةً فسدولا^(١)
 فظلمت أحسب كل شخص غولا^(٢)
 وتخذت نجم القطب فيه دليلا
 بعثت لتؤنسني الضياء رسولا
 يسبحن عَرْضًا في الأثير وطولا
 وسعت لتكشف سرها المجهولا
 أرقى الكواكب ما استبان ضئلا
 فعذا الأثير دقيقها المنخولا
 آيات ربك فصلت تفصيلا
 لم تغن من علم اليقين فتيا

(١) الدجّة: الظلمة . والسدول : جمع سدل ، وهو السر .

(٢) الغيب : شدة سواد الليل والجمل ونحوه .

لمسلة في ملهى^(١)

لما كان الرصافي في الآستانة سنة ١٨٩٨ ، أخذ جماعة من فضلاء فلسطين ، معهم الأستاذ خليل السكاكيني إلى مرقص من مرقص الآستانة في إحدى الليالي ، واقترحوا عليه ان يصفه ، فقال هذه القصيدة :

طَرِبَ الشعر أن يكون نسيباً	مَدَّ أجالت لنا القوامَ الرطيباً
وتجلت في مسرح الرقص حتى	أرقصت بالغرام منا القلوباً ^(١)
أقبلت تنثني بقصدٍ رشيقي	ألبسته البرد القصير قشياً ^(٢)
قصرته منه كمه عن يديها	وأطالت إلى النهود الجيوباً ^(٣)
حبس الحصر حيث ضاق ولكن	أطلق النحر بادياً والتربياً
هو زى يزيد في الحسن حسناً	من تزياً به ، وفي الطيب طيباً
خطرت والجمال يخطر منها	في حشا القوم جثيةً وذهباً
وعلى أروس الأصابع قامت	تخطي تبختراً ووثوباً
يعبس الأنس أن تروح ذهاباً	ويعمد ابتسامه أن تئوباً
فهي إن أقبلت رأيت ابتساماً	وهي إن أدبرت رأيت قطوباً
نحن منها في الحالين ترانا	نرقب الشمس مطيعاً ومعيباً
تضحك الجوّ في الصباح طلوعاً	ثم تبكيه في المساء غروباً
أظهرت في المجال من كل عضو	لعبا كان بالقلوب لعوباً
حسرتنا لما أرتنا عجيباً	فعبجياً من رقصها فعبجياً

(*) من الديوان الأول .

(١) المسرح : المكان تسرح فيه الظباء وتلعب ، وقد استعاره المحدثون للمكان الذي يلعب فيه الممثلون والراقصون أمام النظارة . وبعض الكتّابين يقدم الراء فيه على السين (مسرح) وهو خطأ وقد جرى عليه الشاعر في الأصل .

(٢) القشيب : الجديد فيه خشونة الجدة .

(٣) المراد بالجيب هنا فتحة الطوق ، من عند الرقبة إلى ما بين الشدين ، وليس المراد الفتحة التي يوضع فيها المنديل والكيس ونحوهما .

شابهتْ عَطْفَةَ العُصُونِ انْتِشاءَ
تَلَفَّتْ الجِيدَ للارْجُوعِ انْصِياحا
تَثَبَّ الوَثْبَةُ الخَفِيفَةُ كالْبِرِّ
حَرَكَاتٌ خَالَهَا سَكَنَاتٌ
وُخْطًا تَفْضَحُ العُقُودَ اتِّسَاقًا
بَسَّتْ كُوكِبًا وَمَرَّتْ نَسِيًا
لَوْ غَدَا الشَّعْرُ نَاطِقًا بِلِسَانٍ
أَوْ غَدَا الحَسَنُ شَاعِرًا يَنْظُمُ الحُبَّ
هِيَ كَالشَّمْسِ فِي البِعَادِ وَإِنْ كَا
عَمَّتِ النَّاسَ بِالْغَرَامِ فَكُلُّ
زَهْرَةٍ تُبْهِجُ النُّوَاطِرَ حَسَنًا
هِيَ دَائِي إِذَا شَكُوتُ مِنَ الدَّاءِ
وَأَتَتْ بَعْدَهَا مِنَ الغَيْدِ أُخْرَى
فَأَرْتَنَا مِنَ الجُبَيْنِ صَبَاحًا
حَمَلَتْ بُنْدُوقِيَّةً صَوَّبَتْهَا
وَاسْتَمَرَّتْ رَمِيًا بِهَا عَنِ بَدَانٍ
تَحْسِنُ الرَّمِي تَارَةً مُسْتَقِيمًا
وَانْكَبَابًا إِلَى الأَمَامِ وَإِقْعَا
وَحَكَّتْ خَطَرَةَ النِّسَمِ هَيُوبًا
كَفْطِيمَ رَأَى عَلَى البَعْدِ ذِيبًا^(١)
قَ صُعُودًا فِي رَقْصِهَا وَصُوبًا^(٢)
يَقِفُ العَقْلَ بَيْنَهُنَّ سَالِمًا
نَظَمَتَهَا تَسْرُعًا وَدِيبًا^(٣)
وَشَدَّتْ بَلْبَلًا وَفَاهَتْ خَطِيمًا
لَتَغْنَى بِوَصْفِهَا عِنْدَ لِيَا^(٤)
قَرِيضًا أَبْدَى بِهَا التَّشْبِيهَ
نَ إِلَيْنَا مِنْهَا الشَّعَاعَ قَرِيبًا
قَدْ غَدَا عَاشِقًا لَهَا وَرَقِيًّا
وَرُوءًا وَتَنَعَّشَ الرُّوحَ طِيمًا
وَطَبِي إِذَا أُرِدْتَ طِيمًا
يَقْتَفِي إِثْرَهَا الجَمَالَ جَنِيًّا
وَمِنْ اخْتَدَّ كُوكِبًا مَشْبُوبًا^(٥)
نَحْوَ مُسْتَهْدِفٍ لَهَا تَصُوبِيًّا^(٦)
لَطْفَهُ ضَامِنٌ لَهُ أَنْ يَصِيبَا
وَإِلَى الخَلْفِ تَارَةً مَقْلُوبًا
سَاءَ كَثِيرًا إِلَى الْوَرَاءِ عَجِيًّا

(١) الجيد : العنق . والانصياح . النكوص والرجوع بسرعة .

(٢) صوبًا : انحدر .

(٣) الديب : المشى الثقيل ، كمشية الشيخ الهرم .

(٤) العندليب : طائر من الطيور المغردة . (٥) مشبوب : متلهب .

(٦) البندقية : من آلات الرمي في الحرب . عرفت في القرون الوسطى ، وكانوا يرمون بها حصيات في قنبر البندق الذي يؤكل ، ولذلك نسبت إليه . وتطور الآن شكلها وطريقة استعمالها ، ويرى بها قذائف من الرصاص تنفذ في الجسم ، وتترديه . والمستهدف ، بصيغه اسم الفاعل أو المفعول : الهدف .

وَهَيَّ فِي كُلِّ ذَا تَصِيبِ الرَّمَايَا مَثَلَمَا طَرْفُهَا يُصِيبُ الْقُلُوبَا
لَوْ أَرَادَتْ رَحَى الْغُيُوبِ وَأَغْضَتْ لِأَصَابَتْ خَفِيهَا الْحُجُوبَا

مَشْهَدٌ فِيهِ لِلْحَيَاةِ حَيَاةٌ تَتْرَكَ الْوَالِدَةَ الْحَزِينَ طَارُوبَا^(١)
قَدْ شَهِدْنَاهُ لَيْلَةً جَعَلْتَنَا نَحْمَدُ الدَّهْرَ غَافِرِينَ الذُّنُوبَا
بَيْنَ رَهْطِ شَمِّ الْعَرَانِينَ يَنْفَى أَلْسِنَهُمْ عَنِ حَدِيثِهِمْ وَالْكُرُوبَا^(٢)
كَرِّمُوا أَنْفُسَا وَطَابُوا فِعَالَا وَسَمُّوا مَحْتَدَاً وَعُفُّوا جُيُوبَا
كُلُّ ذِي نَجْدَةٍ تَرَاهُ لَدَى الْفَعْلِ كَرِيماً فِي الْمَقَالِ أَدِيْبَا
تِلْكَ وَاللَّهِ لَيْلَةٌ لَسْتُ أَدْرِ فِي بِلَادِي قَضِيَّتَهَا أَمْ غَرِيْبَا
كِدْتُ أَنْسَى بِهَا الْعِرَاقَ وَإِنْ أَبْقَى نَدُوبَا بِمَهْجَتِي فَنُدُوبَا^(٣)
يَا سَوَادَ الْعِرَاقِ بَيَّضَكَ الدَّهْرُ فَأَشْبَهْتَ مَقَاتِي يَعْقُوبَا
شَمَلْتُ رِيحَكَ الْعَقِيمُ وَقَدْ كَا نَت لُقُوحاً تَهْبُ فَيْكَ جَنُوبَا
أَيْنَ أَنْهَارُكَ الَّتِي تَمَلَأُ الْأَرْضَ ضُ غِلَالًا بَسِيحِهَا وَحُبُوبَا^(٤)
إِذَا حَكَتْ أَرْضُكَ السَّمَاءَ نَجُومَا مَا حَيَاتِ أَنْوَارُهَا الْجُدُوبَا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَضَارَةِ بَغْدَا دَ اسْتَحَالَتْ كَدُورَةُ وَشُحُوبَا
أَيْنَ بَغْدَادُ وَهِيَ تَزْهَوُ عُلُومَا وَزُرُوعَا وَأَرْبَعَا وَدُرُوبَا
أَقْفَرْتُ أَرْضَهَا وَحَاقَ بِهَا الْجَمُّ لَ فَجَاشَتْ دَوَاهِيَا وَخَطُوبَا^(٥)

(١) المراد بالطروب هنا : المسرور . وقد يكون الحزون أيضا في غير هذا الموضع .

(٢) أشم العرنيين : مرتفع قبة الألف ، كناية عن الألباء والشمم وعلو النفس .

(٣) الندوب : جمع ندب ، وهو أثر الجرح .

(٤) السبيح : النهر يسبح مائه على وجه الأرض ، أى يسيل .

(٥) « جاشت دواهيها وخطوبها » : اضطربت من كثرة الدواهي والخطوب .

في انقطار (*)

فلما لم يركب القطار من الآستانة إلى سالانيك سنة ١٨٩٨

تذكرت في أوطاني الأهل والصحبا
فأرسلت دمعاً فاض وابله سكباً

وبت طريد النوم أختلس السكرى

بشاخص طرف في اللجى يرقب الشهباً

كئيب كأن الدهر لم يلق غيره
عدواً فالى أن يهادنه حرباً

يقبل كروباً بعضها فوق بعضها
إذا ما رعى كروباً رأى تحته كروباً

وإني إذا ما الدهر جرّ جريرة
لنأنف نفسي أن أسكمه عتياً

وقد علم القوم الكرام بأننى
غلام على حب المكازم قد شباً

وأنى أخو عزم إذا ما انتضى سيقه
نبا كل غضب عنه أو أنكر الضرباً (٢)

وأنى أعاف الماء في صفوه القذى
وإن كان في أحواضه بارداً عذباً

ولكن لي في موقف الشوق عبء
تساقط من أجفاني اللؤلؤ الرطباً (٣)

إذا ضربت أوتار قلبي شجونهُ
بدت نغمات ترقص الدمع منصباً

• • •

وقاطرة ترمى الفضأ بدخانها
وتملأ صدر الأرض في سيرها رعباً

لها منخر يبدى الشواطئ تنفساً
وجوف به صار البخار لها قلباً

تمشت بنا ليلاً تجر وراءها
قطارا كصف الدوخ تسحبه سحباً (٤)

(*) من الديوان الأول .

(١) « آلى أن يهادنه » أقسم ألا يهادنه . وحذف لا النافية بعد القسم مألوف ، ومنه في القرآن : « تالله نفثاً تذكر يوسف » .

(٢) يقال : انتضى سيقه : إذا سله من قرابه ، وقد شبه عزمه بالسيف . ونبا السيف عن الضربة : رجع ولم يقطع .

(٣) شبه دموعه بالآلى ، ولسكنته جعلها لآلى رطبة .

(٤) الدوخ : جم دوحه ، وهى الشجرة الواسعة الظلال .

فَطَوْرًا كَعَصْفِ الرِّيحِ تَجْرِي شَدِيدَةً وَطَوْرًا رُخَاءً كَالنَّسِيمِ إِذَا هَبًّا^(١)
تَسَاوَى لَدَيْهَا السَّهْلُ وَالصَّعْبُ فِي السَّرَى

فَمَا اسْتَسَهَلْتَ سَهْلًا وَلَا اسْتَصَعَبْتَ صَعْبًا^(٢)

تَدُكُ مَتُونُ الْحَزْنِ دَكًّا وَإِنِّهَا لَتَنْهَبُ سَهْلَ الْأَرْضِ فِي سِيرِهَا^(٣)
يَمُرُّ بِهَا الْعَالَى فَيَتَعَلَّقُ تَسْقَقًا وَيَعْتَرِضُ الْوَادِي فَيَتَجْتَازُهُ وَثْبًا

وَتَحْتَرِقُ الطُّودَ الْأَشْمَ إِذَا انْبَرَى وَقَدْ وَجَدْتَ مِنْ تَحْتِ قُنَّتِهِ نَقْبًا^(٤)

يَرْنُ بِجَوْفِ الطُّودِ صَوْتَ دَوِيَّهَا إِذَا وَجَلَّتْ فِي جَوْفِهِ النَّفَقُ الرَّحْبَا^(٥)

لَهَا صَيِّحَةُ عَثَدِ الْوُلُوجِ كَأَنَّهَا تَقُولُ بِهَا يَا طُودُ خَلِّ لِي الدَّرْبَا^(٦)

وَيَمُضِي مُضَيَّ السَّهْمِ فِيهِ كَأَنَّمَا تَرَى أَفْعَوَانًا هَائِجًا دَخَلَ الثَّقْبَا

تُعَالِبُ فَعَلَ الْجَذْبِ وَهِيَ ثَقِيلَةٌ فَتَغْنَبُ بِالْدَفْعِ الَّذِي عِنْدَهَا الْجَذْبَا

طَوْتُ بِالْمَسِيرِ الْأَرْضَ طَيًّا كَأَنَّهَا

تَسَابِقُ قُرْصَ الشَّمْسِ أَنْ يُدْرِكَ الْغَرْبَا

وَمَا إِنْ شَكَتْ آيُنَا وَلَا سُمِّتْ سُرَى

وَلَا اسْتَهْجَنْتَ بَعْدًا وَلَا اسْتَحْسَنْتَ قَرْبَا^(٧)

عَشِيَّةُ سَارَتْ مِنْ فُرُوقٍ تَقَلَّبْنَا وَتَقْدِيفٍ مِنْ فِيهَا بَوَّجَهُ الدَّجَى شُهْبَا^(٨)

فَمَا هِيَ إِلَّا لَيْلَةٌ وَنَهَارُهَا وَمَا قَدْ دَعَوْنَا مِنْ سَلَانِيكَ قَدْ آتَى^(٩)

فَجِئْنَا وَلَمْ يَعْصِ السَّفَارُ مَطِينَا كَأَنَّ لَمْ نَكُنْ سَفَرًا عَلَى ظَهْرِهَا رَكْبَا^(١٠)

* * *

تَعَالَيْتَ يَا عَصَرَ الْبَخَارِ مَفْضَلًا عَلَى كُلِّ عَصَرٍ قَدْ قَضَى أَهْلُهُ نَحْبًا

(١) رخاء : هادئة لينة . (٢) السرى : السفر بالليل .

(٣) المتن : ظهر الأرض . والحزن : الأرض الغليظة كالهضبة ونحوها .

(٤) الطود : الجبل العالى . (٥) النفق : السرب فى الأرض .

(٦) الدرب : الطريق بين جبلين . (٧) الأين : النعب والكلال .

(٨) فُرُوق : اسم القسطنطينية . وتقلدنا : تحمّلنا

(٩) سَلَانِيكَ : بلد باليونان . (١٠) السفار : السفر .

فكم ظهرت للعلم فيك معاجز
تظاهرت من فعل البخار بقوة
واقسم لو لا المكهرباء فوقه
هو العلم يعبر بالحياة سعادة
فكل بلاد جادها العلم أسرع
متى ينشئ الشرق الذي اغبر أفقه
فإن دبور الذل ألوت بعزه
تبصر إذا دارت رحي الشرق هل ترى

بها آمن السيف الذي كذب الكتبا
يذل أدنى فعلها المطالب الصعبا^(١)
لقلت على كل القوى ته به عبجا^(٢)
ويحطها كالعلم محدودة تنقبي
رباها وصارت تذب العز لا العشا^(٣)
سحابة علم تمطر الشرف العذا
وكادت سموم الجهل تحرقه جدبا^(٤)
سوى الجهل في أثناء دورتها قطبا

الارملة المرضعة

لقيتها ليقنى ما كنت أنقاها
أولابها رثة والرجل حافية
بكت من الفقر فاحمرت مدامعها
مات الذي كان يحميها ويسعداها
الموت أجمعها والفقر أوجعها
فنظر الحزن مشهود بمنظرها
كرّ الجديدين قد أبلى عبايتها
ومزق الدهر ويل الدهر مئزرها

تمشى وقد أثقل الإملاق ممشاها
والدمع تذرفه في الخد عيناها
واصفر كالورس من جوع نحياها^(٥)
فالذهر من بعده بالفقر أشقها
واهم أنحيا والغم أضناها
والبؤس مرآة مقرون بمرآها
فانشق أسفلها وانشق أعلاها
حتى بدا من شقوق الثوب جنبها

(١) تظاهرت بقوة : استعنت بها وتقويت

(٢) المكهرباء : يريد الكهرباء ، والكلمة مقصورة ، ولكن المؤلف جرى على استعمالها
محدودة هنا وفي مواضع أخرى من شعره .

(٣) أمرعت : أنصبت .

(٤) الدبور : ريح الجنوب ، وهي حارة . والسموم : الريح الحارة تحمل التراب والخصى
ونحوه ، وفي الكلام تشبيه للذبل بريح الدبور ، وتشبه الجهل بريح السموم المهلكة .

(٥) الورس : نبت أصفر يصنع به . والحيا : الوجه .

تمشى بأطمارها والبرد ينسجها كأنه عقرب شالت زباها (١)
حتى غدا جسمها بالبرد مرتجفا كالغصن في الريح واصططكت ثناياها

تمشى وتحمل باليسرى وليدتها قد قمطتها بأهدام ممزقة
ما أنس لا أنس أنى كنت أسمعها تقول : يارب لا تقزك بلا لبن
ما تصنع الأم في تريب طفلتها يارب ما حيلتى فيها وقد ذبكت
ما بالها وهى طول الليل باكية يكاد ينقد قبي حين أنظرها
ويأمنها طفلة باتت مروعة نبكى لتشكو من داء ألم بها
قد فاتها النطق كالجماء أرحمها ويح ابنتى إن ريب الدهر روعها
كانت مصيبتها بالفقر واحدة
حملًا على الصدر مدعومًا بيمنها فى العين منشرها سمج ومطواها
تشكو إلى ربها أوصاب دنياها هذى الرضيعة وارحنى وإياها
إن مسها الضر حتى جفت ثديها (٢) كرهرة الروض فقد الغيث أطاها
والأم ساهرة تبكى لمبكاها تبكى وتفتح لى من جوعها فاها (٣)
وبت من حولها فى الليل أرهاها (٤) ولست أفهم منها كنه شكواها
ولست أعلم أى السقم آذاها بالفقر واليتم آها منها آها (٥)
وموت والدها باليتم ثناها

هذا الذى فى طريقى كنت أسمعها هذا الذى فى طريقى كنت أسمعها
حتى دنوت إليها وهى ماشية حتى دنوت إليها وهى ماشية
وقلت : يا أخت مَهْلاً إتنى رجلً أشارك الناس طُرّاً فى بلاياها (٦)

(١) شالت : ارتفعت . والزبانة : الذنب .

(٢) تريب : تربية .

(٣) ينقد : يندق .

(٤) ويلمها : أصله وبل لأمها ، حذف اللام ثم أضيف الأول إلى الثانى ، والويل العذاب .

(٥) ويح ابنتى : بنصب ويح ، أى رحمة لها ، وهو مصدر منصوب ، بفعل من معناه .

(٦) بلاياها : جمع بلية ، بمعنى البلاء والمصيبة .

سمعت يا أخت شكوى تهمسين بها في قالة أوجعت قلبي بفجواها^(١)
 هل تسمح الأخت لي أني أشاطرُها ما في يدي الآن أسترضي به الله
 ثم اجتذبت لها من جيب ملحفتي دراهما كنت أستبقى بقاياها^(٢)
 وقلت يا أخت أرجو منك تكرمتي

بأخذها دون ما من تغشأها^(٣)

فأرسلت نظرة رشاء راجفة ترمي السهام وقلبي من رماياها
 وأخرجت زفرات من جوانحها كالنار تصعد من أعماق أحشاها
 وأجهشت ثم قالت وهي باكية لو عم في الناس حس مثل حسك لي
 ما تاه في فلات الفقر من تاهها
 وكان في الناس إنصاف ومرحمة لم تشك أرملة ضنكا بدنياها

• • •

هذي حكاية حال جمت أذكراها وليس يخفى على الأحرار مغزاهها
 أولى الأنام بعطف الناس أرملة وأشرف الناس من في المال واساها

عهد الصبا

أو نهر الحياة

عهد الصبا سقيما لأيام الصبا أشبه شيء بأزاهير الربا
 إن الصبا كالورد في نضرتها وعمره واللون منه والشذا
 واهي على شرخ الشباب المشتبهى خلف ذكراه بقلبي ومضى^(٥)

(١) فجواها : معناها .

(٢) ملحفتي : الرداء الذي ارتدى به فوق ملابسى .

(٣) لنن : إفساد الصفة بالفخر ونحوه من الأذى .

(٤) أجهشت : أى تهيأت للبكاء ، كما يفعل الطفل .

(٥) شرخ الشباب : أوله وعنفوانه .

لقد ذوى غصن حياتى بعده وكان ريان التصابي والمنى
أطيب عيش المرء فى شبابه فإن تولى فهو هيش مُردرى

* * *

إن حياة المرء ما عاش تُرى أحوالها مختلفات فى الرؤى^(١)
كالنهر الجارى الذى تغیرت أوضاعه فى الأرض كلما جرى
فهو لدى المنبع صَحْضَاح وفى مصبه تلقاه بجرًا قد طما^(٢)
بيناه يجرى فى الترى مُنعطفًا إذا بواديه تَمَطَّى واستوى^(٣)
طورًا كأسياف الوغى منحنيًا فى الأرض ينساب وطورًا كالقنا^(٤)
وربما عادت مجاريه به راجعةً من حيث جاء القمقرى^(٥)
وربما صادف غوطًا فانهوى فيه وقد خرَّ خيرًا ورغًا^(٦)
والماء فيه قد يرى منبسطًا وتارةً منزويًا فوق الثرى
وتارةً تلقاه فى مشجرة يجرى وأخرى بين أصلاص الصفا^(٧)
حتى إذا أبحر مجراه به كان إلى الدأماء منه المنتهى^(٨)
وهكذا أنهار أعمار الورى تجرى فتنصبُّ إلى بحر الردى

* * *

وإنما العمر شباب فإذا زال فحزنٌ وشقاء وضى
ما كان أحلى العيش لو أن الفتى لم يجد الشيب إليه مختطى^(٨)

- (١) الرؤى : جمع رؤية ، أى النظر .
(٢) صحضاح : ليس عميقا . (٣) تَطَى : امتد واستقام .
(٤) القمقرى : الرجوع إلى الوراء على الأعقاب .
(٥) غوطا : أرضا منخفضة . ورثا البعير : صوت .
(٦) مشجرة . أرض كثيرة الشجر . وأصلاص جمع صلد . وهو الصخر الجلد . والصفا : جمع صفاة ، وهى الحجر الأملس .
(٧) أبحر مجراه : اتسع كالبحر . والدأماء : البحر .
(٨) مختطى : مصدر ميمي من اختطى ، بمعنى خطا . يريد ما أحلى العيش لو دام الشباب ولم تجد الشيب إلى المرء سبيلا .

ليت الفتى كالبدور في النشأة إذ
أو ليت له كالشجر الغابت إذ
أوليت هذا الشيب إن كان ولا
شبية الإنسان مِرآة المني
والمرء فيها إن تمرأى راجياً
ويح شباب فتك الشيب به
بُردانٍ هذا من وقارٍ ونهي
لكن وقار الشيب لا يعدل ما

عاد هاللاً كل شهر فما
يُورق في الصيف ويعرَى في الشتاء
بدَّ من الشيب أتى قبل الصبا
بدائع الآمال فيها تُجتلَى
أبدت له مبتسماً ثغر الرجا
إذ لاح كالسيف عليه مُنتضى
حيك وهذا من تصابٍ وهوى
في طيه من لؤثة ومن وني^(١)

• • •

يَا مُسْلِيًّا ذَا الشيب عن شبابه
أَقْصِرْ هَذَا ذِيكَ عَنِ الْقَوْلِ فَلَا
وما الصبا بمانع من الحُجَا
وليس من أصبح يمشي الخيزلي
وما إياة الشمس في تظفيلها
وهل يطيب العيش للهيم الذي
يبيت طول الليل في مضجعه
وإن ظهر الأرض يستقل من

بأنَّ وَخَطَ الشيب أزهارُ النهي
يُقَاسُ ذِيَالِكَ تَاللهُ بذا^(٢)
بل هو في الشيخ يكون والفتى
في مَعْرِضِ السبق كاشي الهَيْذَبِ^(٣)
مثل إياة الشمس في رَأْدِ الضحَى^(٤)
إن همَّ بالنهضة خائنه القَوَى^(٥)
مستأنس السُعلة وحشَى الكَرَى^(٦)
أَمْسَى يَدِبُ فَوْقَهَا عَلَى الْعَصَا

(١) لؤثة ، بالضم ، أى ضعف .

(٢) هذا ذيك : مثني هذاذ ، أى هذا بعد هذ . والهند . القطيع . يريد كف عما تقوله واقطعه ولا تعد إليه .

(٣) الخيزل : مشية تخاذل وتراجع وتفكك . والمراد أنها مشية بطيئة . والهَيْذَبِ ، والهَيْذَبِ : ضربه من مشية الخيل سريعة .

(٤) إياة الشمس : شعاعها . والتظفيل : وقت الأصيل . ورأْد الضحى : ارتفاعه ورواقه حين يعلو النهار .

(٥) الهيم : الرجل المسن البالي ، جمعه أهلام .

(٦) أى حاضر السعال ، نأى الكرى .

السفر في التومبيل

- وَقَدَّ قَاتِمِ الْأَعْمَاقِ مَتَّعَ (١)
بَتُومْبِيلِ جَرَى فِي الْأَرْضِ مَسْرَحًا
يَنَسَابُ مِثْلَ انْسِيَابِ الْأَيْمِ تَحْمِلُهُ
كَأَنَّهَا وَهِيَ بِالْمَطَاطِ مُنْعَلَةٌ
يَمُرُّ كَالرَّيْحِ لَمْ تَسْمَعْ لِأَرْجَلِهِ
وَتَنَسَكِرُ الْخَيْلُ إِنْ جَارَتْهُ فِي سَنَنِ
تُظَلُّ قَبَّةً فِيهِ مُنْجَدَّةٌ
يَخَالُ مِنْ حَلٍّ فِيهَا نَفْسُهُ مَلَكًا
رَكَبَتْهُ وَبَيَاضُ الصَّبْحِ تَحْسِبُهُ
وَالْبَدْرُ فِي الْأَفْقِ الْغَرْبِيِّ مُنْتَقِعٌ
وَلَنَجُومٍ بَقَايَا فِي جَوَانِبِهِ
وَلَنَسِيمٍ هُبُوبٍ فِي مَدَارِجِهِ
فَطَارَ مِنْ غَيْرِ تَحْلِيْقٍ بَرَاكِبِهِ
وَسَارَ سِيرًا دِرَاكًا مَلَأَ مَهْيَعَهُ
- طَوَّيْتُ أَجْوَاذَهُ ضَيَّ الْمَكَاتِبِ (١)
كَأَجْرَى الْمَاءِ فِي سَفْحِ الْأَهَاضِبِ
عَوَامِلٌ عَجَلَاتٍ مِنْ دَوَالِبِ (٢)
تَمْشِي بِأَخْفَافِ أَنْوَاقِ مَطَارِبِ
سَوَى حَفِيفٍ كَنَفَخَ فِي الْأَنْابِيبِ
مَاتَعَرَفَ الْخَيْلُ مِنْ حُضُرٍ وَتَقَرِيبِ (٣)
قَدْ زَانَهَا حَسَنُ تَنْجِيدٍ وَتَقْيِيبِ
يُرْهِى بَتَاجَ عَلَى الْفَوْدَيْنِ مَعْصُوبِ
صَدْرُ الْمَلِيحَةِ مَكْشُوفِ التَّلَايِبِ (٤)
يَرْنُو إِلَى الْفَجْرِ فِي الْخَاطِطِ مَرْعُوبِ (٥)
كَالْعَقْدِ مَنَفْرَطًا مِنْ جِيدِ رُعُوبِ (٦)
مَا يَنْعَشُ الرُّوحَ مِنْ نَشْرِ وَمِنْ طَيْبِ (٧)
بَلْ مَرَّ يَمْطُرُ مَطَرًا فَوْقَ مَلْجُوبِ (٨)
كَالْوَبْلِ يَتَّبِعُ شُوبًا بِشُوبِ (٩)

- (١) القَدَّ : القلة الواسعة لاشئ بها ، أو الأرض الغليظة ذات الحصى ، أو المكان الصلب .
والعمق : ما بعد من أطراف المساويز . أو المظمن من الأرض . والأجواز : جمع جوز ، وهو وسط الشيء .
(٢) الأيم : الحية .
(٣) الحضر : السير السريع . والتقريب : ضرب من السير بطيء .
(٤) التلايب : جمع تليب ، وهو من الثوب ما كان على أعلى الصدر والرقبة ، يقال : أمسك بتلايبه
(٥) ممتقع ، ومقطوع : مصفر اللون .
(٦) منفرطاً : يريد منتثراً ، ولم يسمع في اللغة انفرط بمعنى انتثر . والرعبوب : الشابة المثلثة الحسننة الناعمة .
(٧) مدارجه : مسالكه وطرقه . والنشر : الرائحة الطيبة .
(٨) الملجوب : الطريق الواسع .
(٩) دراكا : متتابعاً . والمهبج الطريق . والشؤبوب : الدفعة من المطر .

فكنت أبصر حولي الأرض جارية
يلوح فصل الربا وصلاً فأحسبها
ما زال يختار بي ما في البسيطة من
حتى بلغت به أقصى مدى عجرت
وكم علا بي أنشازاً تسلقها
لا يعرف الأين منه أين موقعه
وكيف يتعب ما لا حس يتبعه
وإنما هو يجري في مسالكه
كمثل تيار بحر وهو يجري بي
من سرعة المر قد صفت بترتيب^(١)
سهل ومن جبل على الشناخيب^(٢)
عنه العتاق من الجرد السراحيب^(٣)
وشاب في السير تصعيداً بنصويب^(٤)
ولو يواصل إدلاجاً بتأويب^(٥)
ولا يسير على ساق وظنوب^(٦)
دفعاً بقوة غاز فيه مشبوب

...

جربته هابطاً أجزاء أودية
وملأها في سهول الأرض ينهبها^(٧)
فكان أسبق مركوب لغايته
تلك المطية لا ما كان يذكرها^(٨)
لو امتطأها ليبد قبل تاه بها
وظالعا في الثنايا والعراقيب^(٩)
نهباً ويخلط ألحوباً بألحوب^(١٠)
وكنت أقرب طلاب لمطلوب
أديب ذبيان من عيرانة النيب^(١١)
على الخواضر قدماً والأعاريب

- (١) يقول : يخيل إلى راكب السيارة من شدة سرعتها ، أن الربا متصل بعضها ببعض من غير فاصل ، لأنه يقرب ما بينها من مسافات ، فتبدو للعين كأنها متصلة .
(٢) الشناخيب : جمع شخوب وشخابة وشخاب ، وهو رأس الجبل .
(٣) الجرد : التي أنجرد شعرها وذهب ، وهو من صفات العتاق . والسراحيب : جمع سرحوب ، وهي الفرس الطويلة الجسم .
(٤) أنشازاً جمع نشر ، بالتحريك ، وهو المرتفع من الأرض .
(٥) الإدلاج : سير الدجلة في الليل ، والتأويب : السير بالنهار .
(٦) الظنوب : مقدم عظم الساق .
(٧) الأجزاء ، جمع جزع ، بكسر الجيم ، وهو حيث ينجرع الواد والطريق ، أي ينعطف .
(٨) الألحوب : العدو الشديد تلهب منه الأرض الصلبة ، فيخرج منها الشرر .
(٩) أديب ذبيان : هو النابغة الذبياني ، والعيرانة : الناقة تشبه العير ، وهو حمار الوحش ، في وثاقة خالقها وقوتها . والنيب : جمع ناب ، وهي الناقة المسنة .

ولم يَرِ لورأى ابن العبد منظرها من وصف عَوَجائه في كل أسلوب^(١)
ولأطال ابن حجر وصف مُنْجَرِد على السَّراة كَمَيْت اللون يَعْبُوب^(٢)

من ويلات الحرب

مرّت تقول ألا ياربُّ خذروحي مَرَّتْ تقول ألا ياربُّ خذروحي^(٣)
مهزولة الجسم من فقرٍ ومن نُسْكَدٍ مهزولة الجسم من فقرٍ ومن نُسْكَدٍ
باتت بغير عشاء وهي طاوية باتت بغير عشاء وهي طاوية
ضنكُ المعيشة أضوى جسمها فبدت ضنكُ المعيشة أضوى جسمها فبدت
وأذبلتها هموم النفس ناصبةً وأذبلتها هموم النفس ناصبةً
ويألمها عيشة نكداء يابسةً ويألمها عيشة نكداء يابسةً
في طرفها نظراً وإن تردده في طرفها نظراً وإن تردده
تلفعت بدريسٍ من تحرقه تلفعت بدريسٍ من تحرقه
فكم ترى العين خرقاً غير مرتفع فكم ترى العين خرقاً غير مرتفع^(٤)

كى أستريح بموتى من تباريح كى أستريح بموتى من تباريح^(٥)
مُصْفَرَّة الوجه من همٍّ وتريح مُصْفَرَّة الوجه من همٍّ وتريح
وأصبحت وهي غرثى دون تصبيح^(٦) وأصبحت وهي غرثى دون تصبيح
شروى خيالٍ بطرف العين مأموح^(٧) شروى خيالٍ بطرف العين مأموح
فصوّحت وجنتها أى تصوّح^(٨) فصوّحت وجنتها أى تصوّح
لم تُبق من جسمها غير الألوّيح^(٩) لم تُبق من جسمها غير الألوّيح
لمح المريض إذا ما جاد بالروح لمَح المريض إذا ما جاد بالروح
تخال طرّته بعضَ التقاريح^(١٠) تخال طرّته بعضَ التقاريح
فى جانبه وفتقاً غير منصوح^(١١) فى جانبه وفتقاً غير منصوح

- (١) ابن العبد : هو طارقة بن العبد بن سفيان البكرى . وعوجاؤه : ناقته التى وصفها فى معلقته بقوله : « بعوجاء مرقال تروح وتفتدى » والعوجاء : المعوجة من شدّة الضمر ، وممارسة الأسفار ، فلا شحم لها . أو هى لا تستقيم فى سيرها ، من فرط نشاطها .
- (٢) ابن حجر : هو امرؤ القيس بن حجر الكندى . والمنجرد : القصير الشعر . والسراة : الظاهر . والكمت : الأخر . واليعبوب : الجواد البعيد الغاية فى الجرى .
- (٣) التباريح : كلف المعيشة فى مشقة ، وهو من الجمع الذى لا مفرد لها .
- (٤) التصبيح : هنا بمعنى النداء ، أى مايؤكل صباحاً ، وهو اسم يلى على تعيل ، لامصدر .
- (٥) شروى : بمعنى مثل ، أى مثل خيال .
- (٦) التصويح : التجفيف ، أى جففت وجنتها .
- (٧) الألوّيح : جمع ألواح ، جمع لوح ، فهو جمع الجمع ، وألواح الجسد : عظامه العراض . والمعنى : لم يبق فى جسمها غير العظام ؛ يقال للمهزول : لم يبق منه إلا الألواح .
- (٨) تلفعت : تلحفت وتغطت . والتقاريح : جمع التقريح ، وهو رأس نبت أو شجرة ينشعب كبرثن السكب . أى تخال جانب ثوبها المتخرق كرأس هذا النبت المتشعب شعباً .
- (٩) منصوح : أى محيط ، من نصح الثوب : إذا خاطه .

تمشي انخزالاً بعبء الفقر مُثْقَلَةً^(١) كظالع في الطريق الوعر مَكْسُوح^(٢)
خارت قواها فمارت في تخزُّلها يكاد يسقطها هبُّ من الريح^(٣)

* * *

لما دنوت إليها كي أمائلها والقلب في خطرٍ كالأراجيح
تأوَّهت آهة حمراء دامية تشفَّ عن كبدٍ بالهم مجروح
وأجهشت ثم أرخت من محاجرها عنان دمع على الخدين منضوح^(٤)
وأعرضت وهي لم تنبس سوى نظري

يُغني الألباء عن نطق وتصريح^(٥) أبكى لها بين ترجيع وتسبيح^(٦)
من ليس يُبكيه من أبناء جلدته بكاؤهم فهو من جنس التماسيح
ولا يقوم بعبء الجحد مضطلعا من لا يقوم إلى إنهاض مفدوح^(٧)
وما السعادة في الدنيا بحاصلة إلا بإسعادٍ أطلاقٍ مرازيج^(٨)
إنَّ المروءة شيء لا تناوشه إلا سواعدُ أجواد مساميح
أرى كنوز المعالي مالا قفأها غيرُ السماح لعمري من مفاتيح
والعيش غيبٌ آمالٍ وليس لنا سوى التعاون فيه من مصابيح

* * *

(١) الانخزال ، كالنخزل : هو المتعب في ثقْل ؛ يقال : انخزل ونخزل : إذا مشى مثاقلاً .
والظالع : الذي يغمز في مشيه ، أي يميل من رجله ، وكذلك المكسوح ، يقال : جمل مكسوح :
إذا كان به ظلم شديد .

(٢) خارت : سقطت ، يقال : خارت قوة المريض : إذا سقطت قوته . ومارت : أي اضطربت
(٣) أجهشت : همت بالبكاء ، وتهايت له . ومنضوح : مرشوش .

(٤) لم تنبس : أي لم تتكلم ، ولم يستعمل هذا الفعل إلا منفياً .

(٥) الترجيع : هو قول المصاب بحصبة : « إنا لله وإنا إليه راجعون » . والتسبيح : هو قول

المتعجب : « سبحان الله » ! ففي الكلام لف ونشر غير مرتب .

(٦) المفدوح : المثقل ، يقال : فداحة الحمل والدين : إذا أثقله وبهظه .

(٧) أطلاق : جمع طليح ، وهو المعنى والمهزول . وكذلك مرازيج ، يقال : إبل مرازيج ، أي
مهزولة ساقطة .

قامت قيامة أهل الغرب فانبعثت^(١) هزاهز^(٢) بينهم عمت^(٣) بنى نوح^(٤)
 واستفحلت^(٥) فتنة عمياء جائحة^(٦) تمخضت^(٧) في دم الأرض مسنوح^(٨)
 وقامت الحرب باللاأواء^(٩) شاملة^(١٠) كل البسيطة حتى الأبحر الفيح^(١١)
 والأرض قد أصبحت^(١٢) من مكر ساكنها
 حجرة اللوح^(١٣) أو مغبرة الشوح^(١٤)
 ضاقت على الناس وانسدت مسالكها

فعاد كل طريق غير مفتوح
 والحرب أغنت أناساً غنية عجباً^(١٥) وآخرين رمتهم بالجاليح^(١٦)
 ومعشراً أسكنتهم في الذرا غرقاً^(١٧) ومعشراً بطن ملحود ومضروح^(١٨)

أما التي أوجعت قلبي بمنظرها^(١٩) وأوهنته بتبضيب^(٢٠) وتقرح^(٢١)
 فغادة عضت الحرب الضروس^(٢٢) بها عضاً بناب حديد غير مرضوح^(٢٣)
 أمست تكابد من فقر ألم بها^(٢٤) آلام عيش بشيع الطعم مذروح^(٢٥)
 تنو إلى الناس بالشكوى فتحسبها^(٢٦) ظمان يشكو لآل حرقه اللوح^(٢٧)

-
- (١) الهزاهز : الفتن التي تهز الناس ، والمراد ببني نوح : البشر كلهم . لأن نوحاً هو آدم الثاني .
 (٢) اللاأواء : الشدة والمجاعة . والفيح : جمع أفيح ، يقال : بحر أفيح ، أى واسع .
 (٣) اللوح ، بضم اللام : الهواء بين السماء والأرض . والسوح : جمع ساحة ، احرار اللوح ،
 واعتبار السوح : كناية عن وفور القحط والجذب .
 (٤) الجاليح : السنون التي تذهب بالمال ، وهى ذات القحط والجذب .
 (٥) الملحود والمضروح : القبر .
 (٦) عضت بهم الحرب : أى اشتدت عليهم . ومرضو مكسور .
 (٧) مذروح : مسموم .
 (٨) الآل : السراب . واللوح ، بضم اللام هنا ، بمعنى العطش . والمعنى أنها تشكو إلى الناس .
 بلا فائدة . كشكوى الظمان ظمأه إلى السراب .

على جسر مود

قالها بصف بها ليلة مقمرة وهو على جسر مود ببغداد

لاتبك أربعمهم ولا الأطلا لا وارياً بحبك أن يكون حباً لا^(١)
واترك سؤالك للرسوم فإنها مما يزيدك بالسؤال ضللاً
وانظر إلى حسن الطبيعة إنه حسن يفيدك في الحياة كلاً
حسن يقيّد من رآه بحبه ويفكّ من أفكاره الأغلالاً
ويطير في جو السرور مرفقاً بالمشكين كآبةً وملاً
أو ما ترى البدر المنير إذا بدا يكسو الدجى من نوره سرباً لا^(٢)

ولقد وقفت بحسر مود عشيّة والبدر في أفق العلى يتللاً
والليل يلبس من سناه مطارفاً منها يجرّ بدجلة أذلاً
أمّا النسيم فقد جرى متعطراً وحكى بطيب هبوبه الآمالاً
وجبين دجلة قد صفا متألّقا فحكى السماء محاسنا وجمالاً
فحسبت نفسى في السماء مشاهداً تحقّ بدجلة للسماء مثلاً
ورأيت من فوق السماء حقيقة ورأيت من تحقّ السماء خيالاً
فكأنما الجسر الذى أنا فوقه قد مدّ في جو السماء مثلاً
وكأنما أنا في السماء مخلّق طورا أسفّ وتارة أعالى^(٣)

لله ما شاهدته من منظر يدع الكئيب كشارب جريلاً^(٤)
حفّت جوانبه بكلّ بديعة فرها جمالا واستقلّ جلالاً
حتى نخيل الجانبين جميعها قامت له بحفاوة إجلالاً

(١) الخيال : ضرب من الجنون .

(٢) أسف الطائر : دنا من الأرض

(٣) السربال : القميص .

(٤) الجريال : من أسماء الخمر .

على البسفور

وقفتُ على البسفور والريحُ عاصفٌ وللدَّوْحِ ظِلٌّ دونه متقلِّصٌ
وفي البحر تجرى موجة إثر موجةٍ

كجرى طموح الخيل إذ يتوقَّصُ^(١)

ويُزِيدُ أعلى الموج حتى كأنه هضاب إلى أطرافها الثلج يخلص
كأن رياح الجوّ عند هبوبها تغنى وهذا الموج في البحر يرقص
كذا حادثات الدهر تمضي رواقصاً بها العيش يصفو أو بها يتنقص
وفي كل يوم للزمان عجائب بها الناس تغلو أو بها الناس ترخص
وأعجب ما في الدهر أن هباته تزيد لمن فيه المروءة تنقص
وربَّ أفيك جاء يمدُّق ودّه ويظير إخلاصاً وما هو مخصص^(٢)
ولكنه في ودّه الثعلب الذي يروغ أو الكلب الذي يتبصص^(٣)
تعاليتُ عن تبكّيته إذ رأيته جَهولاً على عِلّاته يتعنّفص^(٤)
وقلت له لا تدن مني فأبى بغيضاً إلى الكاذب المتخرّص^(٥)
وإنك عارٍ من سوى العار فابتعد فأبى بأثواب العلى متقمّص
حرّصت على تكريم محضر صاحبي وإني على ذا في المغيب لأحرص
وما غرّني ذو ظاهر متودّدٍ إذا كان فيه باطن متلصّص^(٦)
ويا ربَّ وجهٍ لم يرقني بياضه فلما دنا مني إذا هو أبرص

(١) يتوقَّص : يثب في عدوه وهو يقارب الخطو .

(٢) أفيك : كاذب . ويمدُّق : يخلط . يقال : هو يمدُّق اللبن بالماء .

(٣) بصص الكلب بذنبه : حركة تملأ لصاحبه ، وتبصص الذنب تحرك ، مطاوع بصص ،

وقد ضمن الشاعر الفعل بتبصص معنى يتماق .

(٤) العنفس : البذية القليلة الحياء من النساء ، وقد اشتق الشاعر من هذا الوصف الفعل بعنفس

(٥) المتخرّص : الكاذب . (٦) متلصص : خائن .

فيا شعراء القوم كفوا و غاكم
دعوا كشف مكنون الصدور لفطنتي

فإني بدا من دونكم متخصّص
ذكاء لو اجتزت الجدار بنوره
ولست على الأعقاب في الرأي ناكصاً

إذا كان للمستضعف الرأي منكص^(١)
على أن لي في معرض الشك ربيعة^(٢) ورُبّ يقين ناله المتربّص^(٣)
إذا أنا لم أنكر على الدهر جوراً فلا وطيئت بي موطئ العزّ أخص

إلى غرة آل سعدون

أعبد الحسن السعدون إني أراك مناط أسباب الرجاء^(٤)
وأبصر من فعالك بدر تيمّ يلائي من فخارك في سماء
لذلك قد أتيت إليك أشكو رثاة بزّي وبلي كسائي^(٥)
فقد رقت ثيابي اليوم حتى تكاد تذوب من مسّ الهواء
غدت شفافة حتى كائي لبست بهنّ أثواب الرياء
وليس العري من ثوب معيباً لكاسي النفس من حلّ الإباء
وما ضرّ المهند فقد جفن إذا ما كان محمود المضاء^(٦)
فإن لم تدرك الأيام عري بشوب منك يا غمر الرداء^(٧)
لبست قرار بيتي في نهاري ولم أخلعه إلا في المساء

(١) منكص مصدر ميمى : بمعنى النكوص ، وهو الرجوع .

(٢) ربيعة : وقفة وانتظار . (٣) مناط الشيء : موضع تعليقه .

(٤) بزّي : ثيابي .

(٥) المهند : السيف المنصوع في الهند . والجفن : قراب السيف .

(٦) غمر الرداء : واسع الغطاء .

فإن جاء المساء لبست منه
 وصرت أجول كالخفاش ليلاً
 ولست أريد ثوباً أتحميها
 ولكن بزّة البدوي أبغى
 ومن كوفيّة صحت عقلاً
 فإذا زىي يتم به رجوعى
 وما صيرت ملبوسى خفيفاً
 وكيف وأنت أكرم من حبانى
 ولكنى رغبته عن اكتساء
 وكيف يكون مطلوبى حقيراً
 وهل أنا غير عبد أنت منه
 لأتخذن إخلاصى وصدقى
 وأجعل ما حيت جميل شكرى
 ولست أرى الحياة تطيب إلا
 وأعلم أن ما أشكو إليكم
 ويشمت بى الذين لهم نفوس
 ولم يشمت بأحرار البرايا
 ولكن هوّن البرحاء أئى
 شكوت إلى فتى جمّ المزايا
 فتى يؤليك عند البؤس خيراً
 رحيبُ الباع مؤتلق الحيا

ظلاماً ما تمزق بالضياء
 وألجأ فى النهار إلى الضراء^(١)
 ولا من زى أرباب الثراء^(٢)
 فمن ثوب على ومن عباء
 يكون الرأس منها فى غطاء
 إلى عيش بسيط ذى هناء
 لأنى خفت من ثقل العطاء
 بأكرم ما رجوت من الحباء
 يطول به من الدنيا عنائى
 وأنت أجل من تحت السماء
 خصصت أبا على بالولاء
 لكم من كل موبقة وقائى^(٣)
 لما أسديت من نعم غذائى
 بحسن تحمدى لك والثناء
 يسرّ الماردين على عدائى
 مريض من العيوب بكل داء
 سوى لؤمائم والأدنياء
 شكوت إلى جدير باشتكائى
 كبير النفس منفرد السناء
 ولا ينسأك فى حال الرخاء
 أصيلُ الرأى وقاد الذكاء

(١) الضراء : الشجر المتلف فى الوادى . يقال : نوارى الصيد منه فى الضراء . أو هو ما وارك من أرض

(٢) الأتحمى : الثوب الصفيق المتين النسيج .

(٣) موبقة : مهلكة .

صريحٌ في مقاصده إذا ما أسرَّ القومُ حسواً في ارتقاء^(١)
 زكتُ أخلاقه فصفتُ ورقَّتْ فبينَ لكلِّ مَكْرُمَةٍ مرأى^(٢)
 يلاقى الزائرَينَ يبشرُ وجهِ تجلَّلَ بالمروءةِ والحياءِ
 إذا رَأَسَ البلادَ أبو عليٍّ فقد وضعتُ بها طرقَ العلائِ
 وإن ولى الوزارة وهو أهلٌ فيا حسن السياسة والدهاءِ

الوسام

وفخامة رئيس الوزراء

حَسَنَ الوِسامُ بصدرِ عبدِ الحسَنِ وبدا عليه كزهرَةٌ من سَوَسَنِ
 صدرَ به كُفْتُ سرائِرِ مجدهِ فاستعصمت منه بأشرفِ مَكَمَنِ
 واستأمنته المَكْرُماتُ فأصبحتُ من كلِّ شائنةٍ بأكرمِ مَأْمَنِ
 لاح الوِسامُ بأفُقِ صدركَ لامعا كالنجمِ في الأفقِ السعيدِ الأيمنِ
 هو للعلی من فوقِ صدركَ شارةٌ أكرمَ بصدرِكَ للعلی من معدِنِ
 شرفٌ حُبِيتَ به فكانَ مَسْرَّةً للمخلصين وحسرةً المتخوِّنِ^(٣)
 جعلته لَنَدَنُ للعراقِ كرامةً إذ أكرمتكَ به سياسةُ لَنَدَنِ
 ليكونَ فيكَ علامةٌ منها على ما تبتغيه من اعتزازِ الوطنِ
 فافخرْ به كلَّ الفَخارِ وسِرِّ بنا ماشئتَ سيرَ حضارةٍ وتمدِّنِ
 تتناسبُ الأشياءُ معَ أصحابِها شرفاً فيعظمُ حسنُها في الأعينِ
 وكذلكَ صدركَ والوسامُ كلاهما ذوانسبةٍ في الجَدِّ ذاتِ تَفَنِّ
 فكلاهما عنوانُ مجدٍ قريته فاعجبْ لحسنِ مُعَنونٍ بَمَعَنونِ

(١) الحسوة : الشرب . والارتقاء : شرب الرغوة التي على اللبن ونحوه . وهذا مثل معناه أنه يظهر أنه يشرب الرغوة ، وهو يحسو اللبن الذي تحتها . يضرب لمن يظهر غير ما يبطن .
 (٢) مرأى : جمع مراعاة .
 (٣) المتخوِّن : المتنقم .

يا أصدق الوزراء معرفة بما يَهْدِي البلادَ إلى المآبِ الأحسن
سِرّاً بالبلادِ إلى معالمِ عزّها وأبلغُ بهنّ مَدَى الرقيّ الممكن
إنّا نترجو للعراقِ وأهله بك يا أصيلَ الرأي فضلَ تحسّن

نحن

في يومِ حادثة الرئيس

شاع كالبرق في العراقين يوماً خَبَرَ أترَعَ القلوب ككأية (١)
خَبَرَ قُطَرنا العراقيّ قد زلزل منه حتى خَشِينا انقلابه
شاع أن الرئيس أهوى إليه ذو اعتداء بمُدِيّة فأصابه
إذ رماه بطنعة منه في الزنبد وأخرى في رأسه والذؤابة
فيوَى بِخِيطِ الصعيد صريعاً بدماء قد ضَرَجَتْ أثوابه (٢)
خبرٌ صاح عندَه الناسُ يا لَـللهِ للمجد والندى والنجابه
واستمر الكرام يرجون أن لو حَقَّقَ اللهُ خُلُقَه وكِذابه
ويقولون من أصيب ؟ أعبدُ المـحسَن العبقريّ ليثُ الغابه
أسليلُ الدّاوديّ من آل سـعدونَ أربُّ الشّائلِ المستطابه
ويحكّم ما الذي تقولون لنا س أجِدْ مقالكم أم دُعابه
إن يكن صَحَّ ما نقولون لاصحَّ فَقَدْنا من العلاء لُبابه

• • •

ثم مرّت سُوَيْعَة فتولّت سَحَبَ النعم والأسَى مُنْجابه (٣)
إذ علمنا أن الرئيس بحال غير قتّالة ولا رِيابه
وعلمنا الخطب الذي أكبروه غير خطب وإن يكن ذا غرابه

(١) أترعه : ملأه ، وإناء مترع : ملان .

(٢) ضرجت أثوابه : لطمتها بالدماء .

(٣) انجابه : انكشف .

يَدَ أَنْ الَّذِينَ هُمْ أَكْبَرُهُ أَرْجَفُوا نَافَخِينَ فِي الشَّبَابِ^(١)
فَإِذَا كُلُّ مَا جَرَى هَذَا أَسَدٌ قَدْ عَدْتُ عَلَيْهِ ذِبَابَهُ
فَهَيْئَتَا لَا لِلرَّئِيسِ وَلَكِنْ لِلْعَالِي ، وَلِلنَّهْيِ ، وَالنَّجَابَةِ

فِي مَلْعَبِ كُرَةِ الْقَدَمِ

قَصَدُوا الرِّيَاضَةَ لَاعِبِينَ وَبَيْنَهُمْ
وَقَفُوا لَهَا مَتَشَمِّرِينَ فَأَلْقَيْتُ
يَتْرَاكُضُونَ وَرَاءَهَا فِي سَاحَةِ
رَفْسًا بِأَرْجُلِهِمْ تُسَاقُ وَضَرْبُهَا
وَلَقَدْ تُحَلَّقُ فِي الْمَوَاءِ وَإِنْ هَوَتْ
وَتَحَالُهَا حِينَ قَذِيفَةٍ مِدْفَعٍ
وَلَرَّبَّمَا سَقَطَتْ قَامَ حَيَالُهَا
فَتَحَالُهَا وَتَحَالُهَا كَفَرِيصَةٍ
لَا تَسْتَقَرُّ بِحَالَةٍ فَكَأَنَّهَا
تَنْحُو الشَّمَالَ بِضَرْبَةٍ فَيَرُدُّهَا
وَتَمُرُّ وَائِبَةً عَلَى وَجْهِ الثَّرَى
وَتَدُورُ بَيْنَ اللَّاعِبِينَ فَمُحْجَمٍ
وَكَأَنَّهَا وَالْقَوْمُ يَحْتَوِشُونَهَا
رَاضُوا بِهَا الْأَبْدَانُ بَعْدَ طِلَابِهِمْ
أَبْنَاءَ مَدْرَسَةِ أَوْلَاءَ وَكُلُّهُمْ

كُرَةِ تَرَاضُ بِلَعِبِهَا الْأَجْسَامُ
فَتَعَاوَرَتِهَا مِنْهُمْ الْأَقْدَامُ^(٢)
لِلشُّوقِ مُعْتَرِكُهَا بِهَا وَصِدَامُ^(٣)
بِالْكَفِّ عِنْدَ اللَّاعِبِينَ حَرَامُ
شَرَعُوا الزَّعْوَسَ فَنَاطَحَتِهَا الْهَامُ
فَتَمُرُّ صَائِتَةً لَهَا إِرْزَامُ
لِلضَرْبِ عَيْلِ السَّاعِدِينَ هَامُ
سَقَطَتْ فَزَجَحَرُ دُونِهَا الضَّرْغَامُ
أَمَلٌ بِهِ تَتَقَاذَفُ الْأَوْهَامُ
نَحْوَ الْجَنُوبِ مُلَاعِبِ لَطَامُ
مَرًّا كَمَا تَتَوَاتَبُ الْأَرَامُ
عَنْهَا وَآخِرُ ضَارِبِ مِقْدَامُ
قَلْبٌ عَلَيْهِ تَهَاجَمُ الْأَلَامُ
عِلْمًا تَرَاضُ بِدَرْسِهِ الْأَفْهَامُ
يَفْعُ مَرِيرِ الْمِرْقَقِينَ غِلَامُ

* * *

(١) الشَّبَابُ : نَوْعٌ مِنَ الْمَزَامِيرِ مَوْلَدَةٌ . (٢) تَعَاوَرَتِهَا : تَدَاوَلَتْهَا .

(٣) يَتْرَاكُضُونَ : يَتَسَابِقُونَ فِي الْعَدُوِّ وَرَاءَ الْكُرَةِ .

لا بدّ من هزّل النفوس فجدها تعبٌ وبعضُ مُزاجها استجمام
فإذا شغلت العقلَ فألهُ سويعةً فاللهو من تعبِ العقولِ جِمام^(١)
والفكر منهكة فباستمراره تهنُّ العقولُ وتهزّل الأجسام
إن الجسوم إذا تكون نشيطة تقوى بفضل نشاطها الأحلام
هذى ملاعبهم فجسمك رُض بها واسلك مسالكهم عداك الدّام^(٢)

الاحسان

أنشدت في حفلة افتتاح مدرسة الأيتام التي أسستها الجمعية
الخيرية الإسلامية في بغداد وأنفق على بنائها حضرة المحسن
الكبير مناحيم صالح دانييل من أشراف الملة الموسوية وأغنيائها
في بغداد وذلك سنة ١٩٢٨ :

لو كنتُ أعبدُ قانياً في ذى الدّنا لعبدتُ من دون الإله المحسناً
وجعلت قلبي مسجداً لتعبدي سراً وفهت له بشكري مُعلناً
كي لا أكون مرأياً بعبادتي ولكي أكون بشكره متفناً
في نُجتنى غرس الخليفة لم أجـد

غرساً سوى الإحسان حلو الهـجتنى
هو في الخليفة ذو عجائب سرّها أعيا الأليـب وأعجز المتفطنّا
بيناه يغدو للنفوس مُقيّداً بالحب يطلق بالثناء الألسنا
يستعبد الأحرار وهو صانعهم ويرد بغض المبغضين تحنّنا
كم بلّ نائرة فأطناً نارها من بين مُشترك الصوارم والقنا
ما لاح كوكبه بموهن غمّة إلّا أعاد ضحى سناء الموهنا^(٣)
ما إن تظلل موطن بظلاله إلّا أعزّ الله ذاك الموطنا

(٢) الدّام : العيب .

(١) جِمام : راحة .

(٣) الموهن : الساعة بعد منتصف الليل .

نَفَحَاتِهِ تَمْحُو مَعَايِبَ أَهْلِهِ من حيث تُعْمِي عَنْ رُؤَاهَا الْأَعْيُنَا
لَمْ أَدِرِ وَالْآثَارَ مِنْهُ كَثِيرَةٌ فِي الْغَرْبِ لَمْ تَزُرْ وَقَلَّتْ عِنْدَنَا
أَفْنَحْنَ نَجْمَهُ وَقَدْ عِلْمُ الْوَرَى فِي الشَّرْقِ نَشَأَتْ رِيْبَا بَيْنَنَا
أَوْ مَا أَمَرْنَا فِي عِظَاتِ كِتَابِنَا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ أَنْ نَتَدِينَا

وَيَسِّرُنِي أَنِّي أَشَاهِدُ مَوْطِنِي قَدْ نَالَ مِنْ بَرَكَاتِهِ بَعْضُ الْمُنَى
وَإِذَا اسْتَرْيَبَ بِمَا أَقُولُ فَشَاهِدِي هَذَا الْبِنَاءُ وَمَنْ حَمَاهُ وَمَنْ بَنَى
قَدْ شِيدَ لِلْأَيْتَامِ مَأْوَى وَاهِيَا يَهْتَمُّ بِالْأَيْتَامِ فِيهِ وَيُعْتَنِي
لِيَكُونَ فِيهِ شَفَاؤُهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ

وَمَنْ الظَّمَا وَمَنْ الطَّوَى وَمَنْ الضَّنَى بِالْمَالِ مُشْتَرِيًا بِهِ كُلَّ الثَّنَا
جَادِبِ «دَانِيلَ» الْكَرِيمِ لَذَا الْبِنَا مُسْتَغْرِقَاتٍ بِالثَّنَاءِ الْأَزْمَنَا
فَاسْتَوْجِبِ الْحَمْدَ الَّذِي كَلَّمَاتُهُ إِذْ لَا يَخَاطَبُ مِثْلَهُ بِسُوءِ الْكُنَى
فَلَنَكُنْهُ بِأَبِي الْيَتَامَى بَعْدَ ذَا أَنْ لَيْسَ لِلْإِحْسَانِ دِينَ فِي الدُّنَا
رَجُلٌ عَلَّمَنَا الْيَوْمَ مِنْ إِحْسَانِهِ قَدْ صَارَ طَبْعًا لِلنَّفُوسِ وَدِينًا
لَا يَحْسُنُ الْإِحْسَانُ إِلَّا هَكَذَا حَسَنٌ وَإِلَّا فَهُوَ بُسُّ الثَّمَتَيْنِ
وَالْمَالُ إِنْ جَادَتْ بِهِ يَدُ مُحْسِنٍ عَفَوْا وَعَوَّدَ نَفْسَهُ أَنْ يُحْسِنَا
سَعِدَ امْرُؤٌ بِذَلِكَ الْفَوَاضِلِ لِلرَّيِّ أَدْعُو إِلَى الْإِحْسَانِ مِنْ حَضَرُوا هُنَا
وَالْجَهْدُ مِنِّي هَيْهَنَا هُوَ أَنِّي

الجـرأئـد(*)

وما كانت عليه في الآستانة

إذا شئت أن تسرى بكافرة الصَّوَى يدوَّى بقطريها هَزِيمُ الرواعدِ^(١)
وتذهبَ مِحْيَارَ الظلامِ تَحْبُطًا وتَعَثُّرُ في ظلماتها بالجلامدِ^(٢)
وتمشي فما تدرى إلى قعر هُوَّةٍ تروح بها أم للمدى التباعدا
فطالعُ أراجيف الجرائدِ إننى أرى الويل كل الويل بين الجرائدِ
جرائد في دار الخلافة أضرمتُ لهيب خلاف بينها غير خامد
ولم يكفها هذا الخلاف وإنما أطافت بنقص في الحقيقة زائد
فما بين مكذوب عليه وكاذب وما بين مجحود عليه وجاحد
ترى في فروق اليوم قراء صحفها فريقين من ذى حُجَّةٍ ومعاند
جدال على مرَّ الجديدين دائمٌ بتفنيد رأى أو بتزييف ناقد^(٣)
فدائد منهم عن رمي يردُّه وآخر رامٍ سهمه نحو ذائد^(٤)
وهذا إلى هذى وذاك لغيرها من الصحف يدعو آتيا بالشواهد
وما هي إلا ضجَّة كل صائت بها مدَّ الدنيا حِبالة صائد^(٥)
أضاعوا علينا الحق فيها تعدا وعقبي ضياع الحق سود الشدائد
ولم أر شيئا كالجرائد عندهم مبادئه منقوضة بالمقاصد

(*) من الجزء الأول .

(١) كافرة الصوى : كناية عن الصحراء التي لا علم فيها بهتدى به . ويدوى : يكون له دوى .

وهزيم الرواعد : صوت السحب ذرات البرعد .

(٢) الجلامد : جمع جلمد ، وهو الصخر .

(٣) تفنيد الرأى : نسبه إلى النقد ، والتجريك ، وهو الكذب . وتزييف النقد : نسبه إلى

الزيف ، وهو في الأصل الدرهم غير الجيد . والمراد بإبطال كلامه واعتباره لغوا .

(٤) ادائد : المدافع عن الشيء والمرى : المرمى ، فحبل بمعنى مفعول .

(٥) حباله الصائد : ما يستعين به من الحبال لصيد الجبوان .

يقولون نحن المصلحون ولم أجد
وكيف يبين الحق من نقائصهم
فإياك أن تغترّ فيهم فكلّهم
وكن حائدا عنهم جميعا فإنما
لهم في مجال القول غير المفاسد
وكل له في الحق نقشة مارد
يجرّ إلى قرصيه نار المواقد
يضلّ امرؤ عن غيهم غير حائد

• • •

على رسلكم يا قوم كم تسمعونا مقالة محفود عليه وحاقدا^(١)
ألا فارجعوا بالصفح عن نهج صحتكم

فقد أوردتنا اليوم شر الموارد
وما الصحف إلا أن تدور بنهجها
وأن تنشر الأقوال لا عن طاعة
وألا تعاني غير نشر حقائق
أتبعون في تلقيقها نفع واحد

وتغضون عن إضرارها ألف واحد
وما جاز في حكم النهي كذب رائد
بها تتجلى رؤوسهم للمشاهد
وديون أخلاق لهم وعوائد
به الصحف في طرق العلى والمحامد
كما يهتدى القراء للحق واضحا
ولكن أبى الشرق النعيس تقدما
فلا تحملوا حقا على ما أقوله
وما هي إلا غيرة وطنية

(١) على رسلك : أى تمهل .

وقفه في الروض (*)

ناح الحمام وغرّد الشُّحُورُ هذا به شَجَنَ وذا مسرورُ
 في روضة يُشجِي المشوقَ ترقُّقُ للماء في جنباتها وخرير
 ما قد انعكس الصفاء بوجهه وصفا فلاح كأنه بَلُورُ
 قد كاد يمكن عند ظني أنه بالماس يُوشِرُ منه لى مَوْشُورُ^(١)
 وتسلسلت في الروض منه جداول بين الزُّهور كأنهن سَطُور
 حيث الغضون مع النسيم مَوَائِلُ فكأنهن معاطِفٌ وخُصُور

ماذا أقول بروضة عن وصفها يعيا البيانُ ويعجز التعبير
 عني الربيعُ بوشيا فتنوعتُ للعين أنوارُ بها وزهور
 مثلتُ بها الأغصان وهي منابر وتلت بها الخطباء وهي طيور^(٢)
 متعطرٌ فيها النسيم كأنما جيبُ النسيم على الشذا مزور
 للترجس المظلول ترنو أعين فيها وتيسم للأفاح ثغور^(٣)
 تحذت خزامها البتفسج خدنها وغدا يشير لوردها المَشُور
 وكان محمّر الشقيق وحوله في الروض زهر الياسمين يمور^(٤)
 شمع توقد في زجاج أحمر فغدا حوالبه الفراش يدور

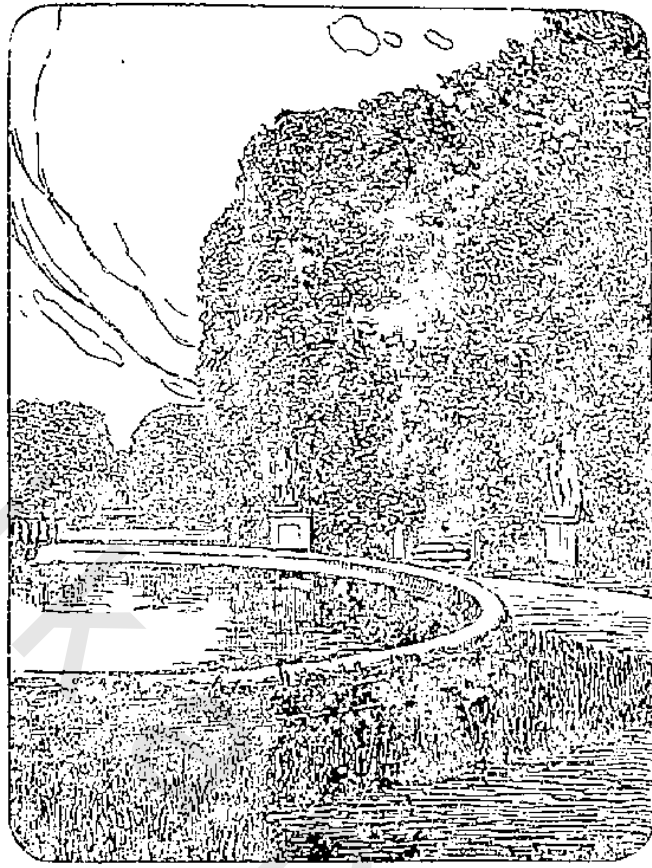
(*) من الجزء الأول .

(١) شبه الماء في البيت الذي قبل هذا بالبلور . ثم زاد في هذا البيت أنه بلور ، وأنه يمكن أن يقطع منه بالماس موشور ، وهو قطعة مستطيلة ذات أضلاع ، إذا مرت خلالها أشعة الضوء انحلت إلى ألوانها السبعة .

(٢) مثلت : انتصبت وقامت .

(٣) المظلول : الذي أصابه الظل ، وهو الندى . والأفاحى : جمع أفتحوان ، وهو نوار أبيض تشبه به الأسنان في بياضها واستوائها .

(٤) يمور : يهتز ويتأيل .



ماء قد انعكس الصفاء بوجهه . . .

وتروق من بُعدٍ بها فوّارة في الجوِّ يَدْفُقُ ماؤها ويفور
يحكي عمودُ الماء فيها آخذاً صُعُداً عمودَ الصبح حين ينيرُ
ناديت لما أن رأيت صفاءه والنور فيه مغلغلٌ مكسور
هل ذاك ذوبُ الماس يحمد صاعداً أم قد تجسم في الهواء النور
تتناثر القطرات في أطرافها فكأنما هي لؤلؤٌ منشور
ينحلُّ فيها النور حتى قد ترى قوس السحاب لها بها تصوير

* * *

كم قد لبست بها الضحى من روضة فيها علّنتي نضرة وسرور
فأجلت في الأزهار لحظ تعجبي ولفكرتي بصفاتهم مرور
فنظرتهن تحسُّيراً ونظرتهن حتى كلانا ناظر منظور
فكان طرف الزهر ثمة ساحر لا رنا وكأنني مسحور

إن الزهور تُكِنِّنَ براعم^(١) مثل العلوم تجنِّهن صدور^(٢)
وتَضَوُّعُ النفحات منها مثله تبينها للناس والتقدير^(٣)
وبتلك قلب الجهل مصدوع كما ثوب الهموم بهذه مطرور
والزهر يُنبِتُه السحاب بمائه كالعلم يُنبِتُ غرسه التفكير
إن كان هذا في الحدائق بهجة يزهو فذلك في النسي تنوير
أو كان هذا لا يدوم فإن ذا ليدوم ما دامت تسكر عصور

ما رأيت في بك أو غلى^(٤)

قالها عند ما ذهب إلى حى بك أو غلى في الآستانة سنة ١٨٩٨
وقد كان إذ ذاك معهما ، وذلك قبل أن يستقبل الطربوش بالعمامة .

ذهبتُ لحي في فروقٍ تزاوجتُ به الخلق حتى قلتُ ما أكره الخلقا
ترى الناس أفواجا إليه وإنما إلى التلعات الزهر في درج ترقى
يضى به ثغرُ الحضارة باسمًا بلامع نور علم السحب البرقا
رأيت مبانيه وجلت بطرقه فما أحسن المبنى وما أوسع الطرقا !
فكم فيه من صرح ترى الدهر مُتِلعا يمدُّ إلى إدراك شرفته العنقا^(٥)
قصور علت في الجوّ لم تأنق بينها وبين النجوم الزهر في حسنها فرقا
هنالك للأرضين أفقٌ برؤجه تضاحك أبراج السموات والأقفا
بروج ولكن شارقات شمسها تدور بأفق يجمع الغرب والشرقا
بحيث ترى ثمر (الطرايش) خالطت (برانيط) سودا كالسلاحف أو ورقا^(٦)

- (١) البراعم : جمع برعم الزهر ، وهو غلافه الأخضر . وتجنِّهن : تستهجن ، وتحفظهن .
(٢) تضوُّع : انتفحات : تحريكها وانتشارها : والنفحات : جمع نفحة ، وهي رائحة الزهر ،
تصبق في الهواء . (*) من الجزء الأول .
(٣) المتاع : الذى يمد عنقه ، يرى شيئا عاليا أو بعيدا .
(٤) الورق : جمع أوراق أو ورقاء ، وهي التي لونها لون الرماد ، مع حمرة خفيفة .

وتلقى الوجودَ البيضُ خُمرًا خدودُها وتلقى العيونُ السودَ والأعينَ الزُّرقا
 خدودُ جَرى ماءُ الشبيبةِ فوقها ففيه عقولُ الناظرين من الغرقى
 محاسن كالأزهار قد طابها الهوى وهبَّ نسيمُ العشق من بينها طلقا
 فمن ذات دَلٍّ أعجز الشعرَ وصفها وإن كان فيها الشعرُ ممتلئاً عَشقا
 ومن ذى دلالٍ رنحَ الحسنُ عطفه إلى أن رجا من حسنه عِطْفُهُ الرَّقفاً^(١)

وكم سَرح فيه الحِسانُ تلاعبتُ تمثَّلُ كيف الناسُ تسعدُ أو تُشقى^(٢)
 حِسانٌ علت في الحسنِ خلقاً وخلقاً وهل خِلقة تعلو إذا سفلتُ خلقاً
 تمثَّلُ ما قد مرَّ منا وما حلا وما جَلَّ من أمرِ الحياة وما دفا
 فتلقَى دروساً لو وعثها حياتنا لبُدِّلَ كِذْبٌ في سعادتها صدقا
 إذ امتلأتْ شكوى الحزين بكَّت لها عيونُ البُلايا والزمانُ ها رَقاً^(٣)
 وإن صَوَّرْتَ حَقَّاهوى كلُّ باطل على رأسه حتى تجدِّلَ مُندفاً^(٤)

وماذا ترى فيهِ إذا زُرتَ حانَةً

ترى الأُنس يشدو في فمٍ يجهل النطقاً^(٥)
 سَكوتٌ على قَرعِ الكُثُوسِ مُغرِّدٌ بلحنٍ سرورٍ يتركُ الهمَّ منشقا
 عليهم سحابُ الإحتشامِ يَظِلُّهم متى همُّ أرادوا سَحَّ من قُبَلٍ ودفا
 أو أنسٌ قد نادى من كلِّ غُرَاقٍ فمنهن من تَسقى ومنهن من تَسقى^(٦)

(١) يقال : رنحَ انشرب الرجن : جمعه يتميل سكرًا . والعطف : الجيد .

(٢) السرح : دار التمثيل ، حيث تمثل العبر والعظات .

(٣) البُلايا : جمع بلية ، وهى الرزية والمصيبة .

(٤) تجدِّل : سقطت على الجدالة ، وهى الأرض . والمندف : المنكسر .

(٥) الحانة : بيت الخمر .

(٦) الأوانس : جمع آنسة ، وهى المرأة التى يؤنس بحديثها . والغرائق : الفتى الشاب اتنام الحسن

فمن ذا يراهم ثم لم يك واغلا
ألت بمعذور إذا أنا زرتهم
فقد لامني لما رآني بحيمهم
فقال أفى الحى الذى شاع فسه
فقلت أجل إن العائم عندنا
ولكننى ما جئت إلا توصلا
عليهم وإن أمسى يُعدّ الفتى الأتقى^(١)
وساجلتهم شوقا فقل ويحك الحقا
فتى منه قحف الرأس مملى حقا^(٢)
تجول ألم تمنع عمامتك الفسقا
لمنع فى لوثاتها الفسق والرزقا^(٣)
لذكرى شقاء فى العراق به نشقى

شقاء تمطى فى العراق تمطيا
فإن العراق اليوم قد نشبت به
تمشت به حتى أعادت سواده
فلنقى على بغداد إذ قد أضاعها
جزوها عقوقا وهى أم كريمة
أدامت لها الأحداث مخضا كأنها
سأبكى عليها كلما جلت سائحا
وأنديها عند الأغاريد شاربيا
وألقى جراننا لا يزحزح واستلقى^(٤)
نيوب الدواهى فهى تعرقه عرقا^(٥)
يساضا ومدت للبوار به ربنا
بنوها فسحقا للبنين بها سحقا^(٦)
والأم أبناء الكريمة من عقا
قد اتخذتها الأحداث لها زقا^(٧)
وشاهدت فى العمران مملكة ترقى
من الدمع كأسا لا أريد لها مذاقا^(٨)

- (١) الواغل : الداخل على القوم فى مجلس الشراب ولم يدع له ، ثقة بكرمهم .
(٢) القحف : كل عظم عريض من عظام الرأس .
(٣) لاث العمامة يلوثها لوثا : لفها حول رأسه ، اللوثة : المرة من اللوث .
(٤) تمطى الحصان ونحوه : مد مطاه ، وهو ظهره ، بأن يقدم يديه ، ويؤخر رجله ، فيكون جسده أطول ما يكون . وفى الكلام تمثيل الشقاء بالحصان . والجبران : مقدم عنق البعير ، وإلقاء الجبران : أن يس البعير الأرض بمقدم عنقه عند بروكه ، وهو كناية عن التمكن والاستقرار .
(٥) نشبت : علق . تعرقه : تأكل ماعلى العظم من اللحم .
(٦) سحقا : بعيدا .
(٧) الزق : وعاء من جلد يحفظ فيه اللبن والخمر ونحوهما .
(٨) الأغاريد : جمع أغرود ، وهو الغناء . والمذق : الخلط ، مذاق اللبن بالماء : خلطه . يريد أنه إذا تشاغل قوم بسماع الغناء وشرب المدامة ، فإن شغلهم هو أن يصيب باكيا بلاده ، شاربا من فيض دموعه كأسا صرفة غير مشوبة بماء .

السد في بغداد (*)

وقال يخاطب حازم بك والى بغداد ، بعد خروجه إلى سد « الحويوة »
من شاطئ الفرات ، الذى انكسر فأغرق بغداد ، وهذه هي الحادثة التى
قال فيها الشاعر قصيدة سوء المنقلب :

نَجَّيْتَ بالسَّدِ بَغْدَاداً مِنَ الْغَرَقِ فَمِمَّهَا الْأَمْنُ بَعْدَ الْخَوْفِ وَالْفَرَقِ (١)
قَدَّمْتَ بِالْحَزْمِ فِيهَا وَالْيَأْ جَرَتْ أُمُورُهَا فِي نِظَامٍ مِنْكَ مُتَسَقِ
لَقَدْ نَجَّحْتَ نَجَاحاً لَا يَفُوزُ بِهِ مَنْ خَالَقَ الْحَزْمَ إِلَّا حَازِمُ الْخَلْقِ
وَيَحِ الْفَرَاتِ فَلَوْ كَانَتْ زَوَاخِرُهُ تَدْرِي بِعَزْمِكَ لَمْ تَطْفَحْ عَلَى الطَّرْقِ (٢)
وَلَا غَدَتِ تَجَرُّفُ الْأَسْدَادَ قَاذِفَةً مِنْهَا بِسَبِيلٍ عَلَى الْأَنْحَاءِ مُنْدَفِقِ (٣)
حَيْثُ « الْحَوِيَّةُ » أُمِسَتْ مِنْكَ طَالِبَةً

رَتَقًا لَسَدٍ بِطَاحِي السَّيْلِ مُنْفَتِقِ
بَاتَتْ تَجِيشَ بَتَّارٍ وَبَاتَ لَهَا
حَتَّى إِذَا أُيْقِنَتْ أَرْضُ الْعِرَاقِ أَنَّ
تَفَنَّى مِنَ الظُّمِّ أَوْ تَفَنَّى مِنَ الْغَرَقِ (٤)
سَمَرَتْ عَنْ هَمِّ تَعْلُو النُّجُومِ وَقَدْ
أَمْسَى الزَّمَانُ إِلَيْهَا مُتَمَلِّعَ الْعُنُقِ (٥)
فَسَكَدَتْ تَمَلُّاً فَرَّغَ الْوَادِيَيْنِ بِمَا
حَشَرَتْ مِنْ طَبَقٍ يَأْتِيكَ عَنْ طَبَقِ (٦)
لَمَّا خَرَجْتَ وَكَانَ الْخَرَقُ مَتَسَعًا
وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ ذِي شَكٍّ وَمَتَّقِ (٧)

(*) من الديوان الأول .

(١) الفرق : الخوف .

(٢) ويح العراق : رحمة له . وزواخرة : جمع زاخر ، وهي أمواجه المتدفقة ، وتطفح : تفيض وتجري

(٣) تجرف : تنجى وتزيل . الأسداد : جمع سد ، وهو حاجز من البناء يعترض به في جري الماء ، لتنظيم تدفقه .

(٤) الظم : المدة التى يعطش فيها الحيوان بين الشربين ، والمراد هنا مطلق العطش .

(٥) متلع العنق : ماد العنق من التطلع إليها .

(٦) فرغ الواديين : اتساعهما ، والواديان : دجلة والفرات ، وحشرت : حشدت وجمعت

والطبق : الجماعة من الناس ، وعن طبق . أى بعد طبق . يريد أنه جمع للعمل في إصلاح السد
الانكسر جموعاً غفيرة من الناس ، ينلوا بعضها بعضاً .

(٧) متق : متعل من الوثوق بالشئ .

قالوا : نحاشقة قصوى وما علموا
فصدق الله ظناً فيك أحسنه
إذ جئت والسد تحت الغمر مكتسح^(١)
وثلمة السد كالمهواة واسعة
سللت صارم رأى قد أزلت به
فما تموج ماء النهر من غضب
ثبت عزمك في أمر يذل به
تقضى النهار برأب الثأى مجتهدا
حتى بنيت وكان النهر منفلقاً
أرسيته جبلاً قامت ذراه على
فراحت الناس تمشي فوقه طرباً
وصار معكس فخر أنت مرجعه
وقد ركزت به الرايات خافقة
من كل أحمر فإن وسطه قر
فظل حاسدك المغبون منطويا
ود الفرات حياة منك يومئذ

بأن عزمك يدني أبعد الشق^(٢)
قوم وكذب ظن الجاهل الخرق^(٣)
والنهر يرغو بموج فيه مصطفق^(٤)
يهوى بها السيل من فوق إلى العمق^(٥)
ما كان في السيل من طيش ومن زرق^(٦)
وإنما أخذته رعدة الفرق
عزم الحصيف لما يحوى من الزلق
وتقطع الليل بالتدبير والأرق^(٧)
سداً عليه رصيناً غير منفلق
أصل مع الموج تحت الماء معتنق
والنهر ينساب بين الغيظ والحنق
كالنور يرجع معكوساً إلى الحدق
ما بين طاقين مرفوعين في نسق
يتلوه نجم بلون أبيض يقق^(٨)
على فؤاد بنار الجهل تحترق
لو غار يسلك تحت الأرض في نفق^(٩)

(١) الشقة : الناحية ، قصوى : شديدة البعد .

(٢) الخرق : الأحمق .

(٣) الغمر : السيل الغزير الشديد . والمكتسح ، بصيغة اسم المفعول ، الذي أزيل عن موضعه . ويرغو : يسمع له هدير كرهاء الإبل ، والمصطفق : الذي تلاطمت أمواجه ، فسمع لها صوت .

(٤) ثلمة السد : الموضع المتهدم منه . والمهواة : الأرض المنهطقة المنخفضة .

(٥) الصارم : القاطم . والزرق : الطيش والحق .

(٦) رأب الثأى : إصلاح القاسد ، وهو من الرؤية ، وهى الرقعة يشعب بها الإناء المكسور من الخرف ونحوه .

(٧) فإن وثاقى : شدة الحمرة ، ويق : يفتح القاف الأولى : أى خالص البياض .

(٨) النفق : طريق تحت الأرض كالدهليز ، مفتوح من أوله وآخره .

لما اقتدحت زناد الرأي مفكرًا
فأدبرَ الهمَّ وانشقتْ غياهبُه
إن الأمور إذا استعصتْ توافرُها
وإن تصاممتْ الأيامُ عن طاب
تنحلَّ بالرأي منك المشكلاتُ لنا
وكما زدتْ تفكيرًا بمعضلة
فالفكر منك كأبعاد الفضاء بلا
يحكى الأثيرَ إذا أجرى تلاطمه
لك الثناء علينا أن نخالده
تالله لو بلغت زُهرَ النجوم يدي
رتبتها حيث كلُّ الناس تقرأها
في الخطب ألهمتْ منه فحمة الغسق
كما قد انشق سَجَفُ الليل بالفلق^(١)
أخذتهم من التدبير في وهق^(٢)
أسمعتهم بصوت منك صهْصَلِق^(٣)
كالنور ينحلُّ ألوانا من الشرق
زادت وضوحا لنا حتَّى على الشفق^(٤)
حد يسابق خطف البرق في الطلق
أبدى سواطع نور منه مُنبِشِق
نقشا على الصخر لا رقما على الورق
من كل جِرْم يصدر الليل مؤتلق
سَطُرا بمدحك مكتوبا على الأفق

(١) غياهب : جمع غيب ، وهو الظلمة ، شبهها بجلد أو ثوب أسود انشق فبان ماتحته والسجف : الستر . والفلق : الصبح .

(٢) الوهق : الحبل المقتول يجعل فيه أنشودة ، فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .

(٣) الصهْصَلِق من الأصوات : الشديد . ورجل صهْصَلِق الصوت : أى شديده .

(٤) الشفق : الحمرة التي ترى في السحاب بعد سقوط الشمس للغروب .

الساعة (*)

وَحَرَسَاءٌ لَمْ يَنْطِقْ بِحَرْفٍ لِسَانُهَا
حَكَّتْ لَهْجَةً التَّمَتُّامَ لَفْظًا وَلَمْ تَكُنْ
لَهَا ضَرْبَانٌ فِي الْحِشَاءِ قَدْ حَكَّتْ بِهِ
جَرَتْ حَرَكَاتُ الدَّهْرِ فِي ضَرْبَاتِهَا
عَلَى وَجْهِهَا خُطَّتْ عَلَامَتُهُمْ تَهْتَدِي
مَشَتْ بَيْنَ آثَاتِ الزَّمَانِ تَقِيْسُهُ
بِهَا يَتَقَاضَى النَّاسُ مَا يُوعَدُونَهُ
غَدَتْ كَأَخِي الْإِيمَانِ تَأْكُلُ فِي مَعَى
تَدُورُ عَلَيْهَا عَقْرَبٌ دَوْرَ حَائِرٍ
تُورِيكَ مَكَانَ الشَّمْسِ فِي دَوْرَانِهَا
فَأَعْجَبُ بِهَا مَصْحُوبَةٌ جَاءَ صَنْعُهَا
بَنْتِهَا النَّهْيُ فِي الْغَابِرِينَ بَسِيطَةٌ
تَنَادَى بَنَى الْأَيَّامِ فِي تَقَرَّاتِهَا
وَلَا تَهْمَلُوا الْأَوْقَاتَ فَهِيَ بَوَاتِرُ

سَوَى صَوْتِ عِرْقٍ نَابِضٍ بِحِشَاهَا
لِتَفْصِيحٍ إِلَّا بِالزَّمَانِ لَعَاهَا
فَوَادًا تَغْشَاهُ الْهَوَى وَحَكَاهَا^(١)
وَبَانَتْ مَوَاقِيتُ الْوَرَى بِعَمَّاها
بِهَا النَّاسُ فِي أَوْقَاتِهَا لَمَنَّاها^(٢)
وَمَا هُوَ إِلَّا مَشِيهَا وَخَطَاها
وَيُرْشِدُ ضَلَالَ الزَّمَانِ هُدَاها^(٣)
وَمَا أَكَلَهَا إِلَّا أَلْتَوَاءَ مِعَاها^(٤)
بَتِيْمَاءَ غَمَّتْ فِي الظَّلَامِ صَوَاها^(٥)
إِذَا حَجَبَتْ عَنْكَ الْغَيُومُ ضِيَاها^(٦)
نَتِيْجَةُ أَفْكَارِ الْوَرَى وَحِجَاها
فَتَمَّ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ بِنَاها^(٧)
أَنْ اسْعَوْا بِجَدِّ بِالْغَيْنِ مَدَاها
تَقْطَعُ أَوْصَالَ الْحَيَاةِ شَبَاها^(٨)

- (*) من الجزء الأول .
(١) ضربان : أى ضرب وخفق .
(٢) مناهي : جمع منية ، وهى ما يرغب فيه الانسان ويتمناه .
(٣) أى أنها تهتدى الجاهل بالوقت إلى معرفة الساعة التى يريد .
(٤) يشير إلى الحديث الذى معناه : « المؤمن يأكل فى مسمى واحد » أى أنه يتناول من الطعام والشراب ، ولا يسرف كما يفعل الكافر الذى يأكل فى سبعة أسماء ، لشربه ونهمته .
(٥) تيماء : صحراء لا يهتدى فيها إلى شىء . وغمت : سترت وحجبت . والصوى : ما ينصب من الأحجار فى الصحارى ، علامة على الطريق .
(٦) يريد أنها تبين حقيقة موضع الشمس من السماء ، إذا سترتها الغيوم .
(٧) النهى : جمع نهية ، وهى العقل . يريد العقل حين فسدت فى حساب الوقت وبيانه ، اخترعت لذلك آلات بسيطة غير مركبة كالزولة ، والازجاجة الرملية ، وانتهى الاختراع بالساعة الدقيقة . وكانت معروفة فى زمن هارون الرشيد الخليفة العباسى .
(٨) بواتر : جمع باتر ، يريد السيف القاطع . والأوصال : جمع وصل ، وهى الأجزاء المتصلة من الجسم . والشبا : جمع شباة ، وهى حد السيف والسكين ، وإبرة العقرب .

ذكرى لبنان (*)

بَرَزَتْ تَمِيسُ كخَطَرَةِ النَّشْوَانِ هَيْفَاءُ نُحْجَلَةٌ غُصُونُ الْبَانِ^(١)
وَمَشَتْ خَفَّتْ بِهَا الصَّبَا فَمَا يَلَتْ مَرَحًا فَأَجْهَدَ خَصَرَهَا الرَّدْفَانُ
جَالُ الْوَشَاحِ عَلَى مَعَاصِفِهَا اتَّقَى قَعَدَتْ وَقَامَ بِصَدْرَهَا النَّهْدَانُ
تَسْتَبْعِدُ الْحُرَّ الْأَبَى بِمُقَلَّةٍ دَبَّ الْقَتُورُ بِحُفْنِهَا الْوَسْنَانُ
وَإِذَا بَدَتْ تَهْفُو الْقُلُوبُ صَبَابَةً فِيهَا وَتَرْكُمُ دُونَهَا الْعَيْنَانُ
أَخَذَ الدَّلَالُ مَوَاتِقًا مِنْ عَيْنِهَا أَلَّا تَزَالَ مَرِيضَةُ الْأَجْفَانِ
تَمَشَى فَتَنْشُرُ فِي الْفَضَاءِ مُحَاسِنًا بَسَطَ الزَّمَانُ لَهَا يَدَيَّ وَلَهَانُ
وَيُلَوِّحُ لِلنَّظَرِ اتَّقَرِيبَ بَوَاجِبِهَا عَقَلَ الْحَلِيمُ وَعَصَمَةَ الصَّبَّيَانِ
لَمْ أُنْسَ فِي قَلْبِي صُعُودَ غَرَامِهَا إِذْ نَحْنُ نَصْعَدُ فِي رُبَا لُبْنَانِ
حَيْثُ الرِّيَاضُ يَهْرُ عِطْفُ غُصُونِهَا شَدُوُ الطَّيُورِ بِأَطْرَبِ الْأَحْنَانِ
لُبْنَانُ تَفْعَلُ بِالْحَيَاةِ جَفَانَهُ فَعَلَّ الزَّلَالُ بَغْلَةً الظُّمَّانُ
وَتَرْدُ غُضْنِ الْعَيْشِ بَعْدَ ذُبُولِهِ غَضًّا يَمِيدُ بِفَرْعِهِ الْقَيْنَانُ
فَكَأَنَّ لُبْنَانًا عُرُوسًا إِذَا غَدَا يَزْهُو بِنَشْرِ غَدَائِرِ الْأَغْصَانِ
وَكَأَنَّمَا الْبَحْرُ الْخِضْمُ سَجَنَجَلٌ يَبْدَى خِيَالُ جَمَالِهَا الْفَتَّانِ
جَبَلٌ سَمَتْ مِنْهُ الْقُرُوعُ وَأَصْلُهُ تَحْتَ التَّبْسِيطَةِ رَاسِخُ الْأَرْكَانِ
تَهْفُو الْغُصُونُ بِهِ النَّهَارَ وَفِي الدَّجَى تَهْفُو عَلَيْهِ ذَوَائِبُ النَّيْرَانِ
وَتَرَى النُّجُومَ عَلَى ذُرَاهُ كَأَنَّهَا مِنْ فَوْقِهِ دُرَّرَ عَلَى تَيْجَانِ^(٢)
لَهُ لُبْنَانُ الَّذِي دَضَبَاتُهُ ضَحِكَتْ مُتَنَازِلَةً مَعَ الْوُدَيَانِ

(١) من الديوان الأول .

(٢) تَمِيسُ : تَخَطَّرَ وَتَنَازَلَ . وَالنَّشْوَانُ : السَّكْرَانُ ، وَهَيْفَاءُ : الضَّامِرَةُ الْهَيَافُ . وَالْبَانُ : شَجَرُ غُصُونِهِ لَدُنْهُ تَمَازِيلُ وَنَهْرٌ .
(٣) ذُرَاهُ : أَعْلَاهُ ، جَمْعُ ذُرْوَةٍ .



(تمشي فتى في النضاء محاسنا . . .)

يجرى النسيم الغضُّ بين رياضه
جَلَّتِ الطبيعة في رُياه بدائعاً
يا صاحبي أتذكر أني فإني
إذ كان يَغِيظُنَا الزمانُ ونحن في
في ليلة حسد الضياء ظلامها
متجاولين من الحديث بساحة
والليل يسمع ما نقول ولم يكن
فكان جولتنا بصدر ظلامه

• • •

ما كنتُ أحسب أن أحلَّ ببقعة
حتى نزلت من الشؤير بجنة
فهصرت أغصان الأمانى ولم يكن
ولقيت شاعرها الذي ارتفعت له
حتى إذا تم اللقاء قصدت من
يا يوم بكفياً وبيت شبابه
وسقى زمانك يادياراً بحسن
فلقد رأيت ضياء مجدك مُشرقاً
أفذكر اللبكي يومَ بحسن
أم ليس يعلم أنني أحبيته

للحسن مُنبتةً وللإحسان
فيها الحياة كثيرة الألوان
غير السرور بهنَّ قِطْفٍ دان^(١)
كف القريض مشيرةً بينان
ربوات بكفياً ظلال جنان
أفديك من يوم بكل زمان
صوب المسر دأهم التهان
في وجه كل حلال ديان
حيث اجتمعنا في حمى كنعان
حباً أذبت بناره سلوانى

- (١) الغض : البليل ، ومرخى الذبول : كناية عن التهلل في السير ، والأردان : جمع ردن ، وهو طرف السكم . (٢) السكهل الذى جاوز سن الشباب ، وغضاضة الشباب : روثه وحسنه . (٣) يغيظنا : يحسدنا . (٤) عنا : ذل وخضم . (٥) يتجاولان في مضمار البيان : أى يتسابقان ويتباريان ، وركض : جرى . والعنان : اللجام : أى جرى البيان كما شاء حراً طليقاً . (٦) هصرت النعنن : جذبت . والقطف : ما يقطف من الثمر .

ليست رباً لبنان ثوباً أخضرا
نثر الربيع بهن زهراً مؤنقاً
فبرزن من وشى الطبيعة بالخلى
وكان صنيئنا أطل مراقبا
تلك الربا أما الجمال فواحد
رجل يسير إلى النجاح وآخر
متخاذلين بها وهم أعوانها
ضعفت مباني كل أمر عندهم
وتفرقوا دنيا كأن لم يكفيهم
وسعوا فرادى للحياة وفاتهم
ياهل ذا الجبل المنيع مكانه
أما محاسنها فهن بمنزل
ومن الفخامة هن في غلوائها
فتبوءوا جناتهن أنيقاً
ماذا يثبطكم بها أن تنهضوا
إني لأرجو أن أراكم للعلی
وأود لو تمشون مشية واحد
لا تقرنوا بتشتت آراءكم
أما جرى لبنان طال غيابكم

وزهت بحيث الحسن أحر قان
يزرى بنظم قلائد العقيان
فكانهن بحسنهن غوان
يرنو هن بمقلة الغيران
فيها وأما أهلها فائتاف
يسعى وغايته إلى الخسران
ومن البلاء تتخاذل الأعوان
ما بين هادمها وبين الباني
في النائبات تفرق الأديان
أن التضامن رائد العمران^(١)
تفدى مواطنكم بكل مكان
تنحط عنه بدائع الأكوان
ومن الشبيبة هن في ريعان^(٢)
وابنوا بهن كأكرم البنیان^(٣)
نحو الفخار كنهضة اليابان^(٤)
متهيجين تهيج البركان
متكاتفين تكاتف الإخوان^(٥)
فالبدر يمحى عند كل قران^(٦)
أين الحنين إلى رباً لبنان

(١) في الأصل : للنائبات ، في موضع الحياة ، ولا معنى للنائبات هنا .

(٢) الغلواء : العنفران والقوة ، وريعان الشبيبة : عفتوانها وأولها .

(٣) تبوء المكان : جعله مباءة ومنزلاً له .

(٤) ثبطه عن الشيء : ثنى عزمه عنه .

(٥) متكاتفين : متعاونين ، وفي الأصل : متكاتفين ، بالتاء ، وهو خطأ مشهور .

(٦) يمحى : أى يكون في الحان ، وهو احتياج ضوءه آخر الشهر لحيولة الأرض بينه وبين الشمس .

هذى مواطنكم تريد وصالكم وتئن شاكية من المهجران
أفترحون أنينها أم أنتم لا ترحون أنين ذى أشجان
إني أرى هجر الرجال بلادهم شيئاً يضيع كرامة البلدان
وإضاعة الوطن العزيز جناية ضلّ الزمان بها عن الغفران
من كان ذا جدّة فأحرّ بمثله ألا يضمن بها على الأوطان^(١)

لبنان

ولع لبنان بالرصافي ، غسارت قصائد شاعر العراق على
ألسننة اللبنانيين ؟ وولع الرصافي بلبنان ، فجاءته قريحته
بقصائد صافية العاطفة ، كسماء هذه الربوع ، عذبة كآهها ،
عليقة كهوائها . وإلى القراء إحدى فرائد الرصافي بلبنان :
(الأحرار — بيروت في ٢٦ آب سنة ١٩٣٦)

أرى الحسن في لبنان أينع غرسه إذا ما رآته عين ذى اللب مشرقا
زكا مغرساً فالذام ليس يؤمّه قسا صخره لكن تفجّر مأوّه
لقد ليس الجوّ اللطيف فزانه ففي الليل لم يزعجك برد نسيمه
وقد عيّدت للسالكين ضربه فمن كان في طرّق التواصل عترة
تضيء نجوم السعد واليمن فوقه ويهيمس في أذن الطبيعة جوّه
وقارب حتى أمكن الكفّ لمسه تنزّت به في مدرج الحب نفسه^(٢)
وطاب جنّي فالسوء ليس يمسّه فلان بكف العيش منه حجسه^(٣)
بما فيه من غرّ الحاسن لبسه وفي الظهير لم تلتفحك بالحرشمه
وحرّر أهلوه وبورك أنسه^(٤) فقد جاز في شرع الحبة دعسه
فمينجاب شؤم الدهر عنه ونحسه فيضحكها فوق الربا الخضر همسه

(١) الجدة : المال والغنى .

(٢) تنزّت : جانت وتحركت ، ومدرجة الحب : طريقه .

(٣) الذام : العيب .

(٤) عيّدت : ذلت مهنت .

كأن النسيم الطلق بين جناحه
كأن جبال المتن حذبة عابد
يقال عن الأضواء في جوف ليله
تزوج صنين الفتى بنت جاره
ونبع الصفا والقاع فيه كلاهما
جری الماء فی وادیهما متدفقا
وإن ترر الشاغور يوما تجد به

من الحسن ما قد خص بالفضل جنسه
جری ماء العذب الزلال حكايا
به الماس صنفوا أو هو الماس نفسه
ترى طبع واديه رءوفا بأهله
شديداً على ما يزعج النفس بأسه
فمن زاره مستوحشا فهو أنسه
ومن جاءه مستنزها فهو قدسه
أحسن لعمري منه مالا تحسه
في الأئمة في حب لبنان إني
فلا تعجبوا من أننى اليوم قيسه
إذا كان لبنان كليلي كحاسنا
أنا اليوم من بعد الأيادي قسه
وإن تحمدوا منه الأيادي فإني
ولم ينفذ حيا وينشق رمه
عجبت لمدفون به بعد موته
تحم في سجن الحماقة حبسه
فمن لم يزره وهو رب استطاعة
وإن كان قبلاً يأسا منه نطسه
ومن زاره مستشفيا زاره الشفا
ولو جاءه من فيه مس ورجنة
مأحله مستوحش النفس واحم
من الناس إلا تم بالضحك أنسه
محل اصطيف الأغنياء من الورى
يعيش عزيزاً فيه من ذل فلسه
فأواه محمود وإلا فمكسه
فمن ببذل الدينار فيما يريده

(٢) دمه ظلامه .

(١) جرسه : صوته .

(٣) صنين : اسم جبل

(٤) النطس : يسكون الطاء : أصله النطس بضمها وهم الأطباء الحذاق المدققون . ولعله جمع

نطيس يوزن أمير . وهو العالم بالشيء . (أنظر تاج العروس) .

كمثل الذي لا تصرف الفأس كغته ولو كان دون الفأس يقلع ضره
كتبت كتاب المدح في وصف حسنه

فضاق ولم يستوعب الوصف طرسه
فما كل ما قالت به شعراؤه سوى ثلث ما يحويه بل هو خمس
ألا إن في لبنان جوا مروفا إذا ماشى السلول لم يحش نكسه^(١)

في مكتبة الأوقاف

أنشدت في حفلة افتتاح مكتبة الأوقاف التي أنشأها معالي
الشيخ أحمد الشيخ داود وزير الأوقاف سنة ١٩٢٨ .

لقد جمع الشيخ هذى الكتب فأنقذها من أكف العطب^(٢)
ورتبها فهي معروضة لمن يتناولها مني كشب^(٣)
وكانت لعمر ك رهن الغبار مكدسة في زوايا الشجب^(٤)
يمر بها الدهر مطمورة تعاني الحراب وتدعو الحرب^(٥)
نسيج العناكب من فوقها ومن تحتها السوس فيها انسرب^(٦)
يعيث بها آكلا طرسها كما تأكل النار جزل الخطب^(٧)
وكانت على علم حرأسها تحف الظنون بها والريب
فمد إليها معالي الوزير يدا دأبها الغوث عند الكرب
فأخرج منها كنوز العلوم لأهل الفنون وأهل الأدب

(١) مروفا : صافيا بما يكدره من غبار ونحوه ، والسلول : من أصابه السل ، وهو تدرت
الرئة والنكسر : الرجوع إلى المرض بعد البرء منه .

(٢) العطب : الهلاك . (٣) من كشب : من قرب .

(٤) رهن الغبار : أي محبوسة في الغبار والذباب . والمكدسة : الملقى بعضها فوق بعض على
غير نظام ، كأنها أكادس الطعام في الجرين . والشجب الهلاك .

(٥) مطمورة : مدفونة ، وتدعو الحرب : أي تنادي : واحربا . والحرب : النكس والهوان .

(٦) انسرب : دخل فيها وعاث .

(٧) الطرس : الصحيفة . الجزل : القوي .

فما إنَّ أرواح من أوقفوا
كما أن أرواح من ألقوا
لقد رضى العلم عن فعله
فما بال قوم غدوا يصرخون
يقولون هذا خلاف لما
فيا للعقول لهذا الغباء
ألسوس أوقفها الواقفوا
إلى كم نطل لأغراضنا
ونجمد في غفلة هكذا
أرى هؤلاء ضعاف العقول
تضيق عن الحق أرواحهم
فهم يقطعون على المصلحين
فسر في طريقك مستعليا
فلشر ما صخب الصاخبون
لقد صننها من طروق البلى
وأعددتها لشفاء العقول
وما كنت في رأى بالمستبد
وقد كان عزمك فيما أردت
فمن كان جذلان فليبتسم

مرفقة فوقها من طرب^(١)
قد ابتسمت كالتماع الشهب
وإن أخذ الجاهلين الغضب
صراخا به يقصدون الشغب^(٢)
لدى الناس في وقفها من أرب^(٣)
ويا للفحول لهذا العجب !
ن ، أم للعناكب ، أم للترب !
نعارض من دون أدنى سبب
ونمرح في لمونا واللعب
وإن قد نراهم غلاظ الرقب
وإن لبسوا واسعات الجب
طريق القيام بما قد وجب
وخل صفادعهم تصطبب
والخير جمعك هذى الكتب
وخلصتها من يد المستلب^(٤)
من الجهل وهو أشد الوصب^(٥)
ولا كنت في الفعل بالمضطرب
يفل ظبي المرهفات القضب^(٦)
ومن كان غضبان فلينتحب^(٧)

(١) رفر الطائر بجناحه : حركهما . والطرب : هنا : نشوة السرور .
(٢) الشغب : الفتنه والافساد . (٣) من أرب : من قصد وغاية .
(٤) يريد : إنك حفظت الكتب من خطرين : الأول أن تمتد إليها يد البلى ، بسبب قلة العناية بها . والثاني : أن تمتد إليها يد السارق ، الذى طالما امتدت يده إلى أمثالها من تحف الشرق ومفاخرة .
(٥) الوصب : الألم .
(٦) يفل : بكسر . والظبي : جمع ظبية ، وهى حد السيف . والمرهفات القضب : هى السيوف المرققة الحادة .
(٧) فلينتحب : أى ليلبك ماشاء .

آل الجميل

آلُ الجميل سرور كل حزين كهف اليتيم وملجأ المسكين^(١)
 تعنو لهم سرّوات كل قبيلة وتهابهم آساد كل عرين^(٢)
 وإذا تماحكت الحصوم فبأسهم يدع الحصيم تجددع العرين^(٣)
 وإذا تلوّثت الجباه بخزيّة فجباههم أنقى من النّسرين
 عزّت بهم دار السلام فيهم بها أركان عزّ كالجبال مكين
 فإذا تقطعت المنى بك فاعتصم منهم بحبل في الرجاء متين
 تتفاخر الأخرى بفضل دفينهم كتفاخر الدنيا بفخر الدين
 ذاك الذي مجدّ الحدود بمجده قد زيد تمكينا على تمكين
 إنّ ابن عيسى بن الهمام محمد لأجل نجلٍ بالثناء قين^(٤)
 يابن الأكا برقد دعوتك ظامئاً ظمأً الحياة فجد بما يرويني^(٥)
 وأنا العليل بحاجة تدرى بها وأظن فضلك ناجدا يشفيني
 قد عاقني الإملاق عن سفرى إلى من طال معتلجاً إليه حنيني^(٦)
 وأنا المشوق ولست ممن شاقهم بقرّ العذيب ولا ميا يبرين
 لكن قلبي لا يزال يشوقه ضيّ أقام بدار قسطنطين
 فأرش جناحي كي أطيرَ بريشه فيكون ظنى في ندادك يقيني^(٧)
 واعدِر فإني بالحقيقة لم أبُحْ إلّا إليك وأنت خير فطين
 إني إذا آوى إليك فأعما آوى إلى ركن أشدّ ركين

(١) كهف اليتيم : ملجأه الذي يعتصم به . (٢) تعنو : تخضع وتذل .

(٣) تماحك الحصوم : تجادلهم بالحجج . الحصيم : الخصم . ومجدع العرين : مقطوع الأنف ، وهو كناية عن انقطاع الحجّة ، لأن قوة الحجّة تورث الإنسان شموخاً بأنفه ، وكبرا على خصمه .

(٤) فلان قين بكذا : جذير به ، مستحق له .

(٥) الظمأ : العطش . (٦) يعتلج : يشتد .

(٧) رش جناحي : أنبت فيه الريش . والقول ثلاثي ، ولكن الشاعر هنا حسبه رباعياً .

الببليل والورد

إِنَّ بَلِيلًا مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ لَمَّا جَرَى فِي الْمَرْبَعِ الْمُخْمَلِ
أَخْبَرَ رِيَّاهُ أَصْحَ الْخَبَرِ عَمَّا جَرَى فِي الرُّوضِ لِلْبَلِيلِ
إِذْ هُوَ مُذْ أُلْقِيَ بِهِ نَاطِرُهُ مِنْ بَعْدِ مَا تُغَرُّ الصَّبَاحِ ابْتِسَمَ
صَادَفَ فِيهِ وَرْدَةً زَاهِرَةً وَالطَّلَّ كَاللَّوْلُو فِيهَا انْتَضَمَ
مُضْمُومَةٌ أَوْرَاقُهَا النَّاضِرَةُ مِثْلَ فَمٍ يَطْلُبُ تَقْبِيلَ فَمٍ

* * *

فَطَلَّ يَرْنُو مُسْتَدِيمَ النَّظَرِ رُنُوءُ ظَمَانٍ إِلَى مَنْهَلِ
وَهِيَ غَدَتِ عَمَّا بِهَا مِنْ خَفَرٍ مَحْمَرَةٌ مِنْ نَظَرٍ مُنْجَلِ
ثُمَّ تَمَادَى غَرْدًا صَادِحًا يُعَلِّنُ لِلْوَرْدَةِ أَشْوَاقَهُ
يَنْطِقُ بِالْحُبِّ لَهَا بِأَحْمَا وَهِيَ الَّتِي تَفْعَلُ إِِنْطَاقَهُ
وَتَنْشُرُ الطَّيِّبَ لَهُ نَافِخًا كَأَنَّهَا تَقْصِدُ إِِنْشَاقَهُ
حَتَّى غَدَا الْبَلِيلُ مِنْذُ الصَّغَرِ فِي حَبِّهَا مِنْطَلِقَ الْقَوْلِ
يَنْشُدُ فِيهَا شَعْرَهُ الْمُبْتَكَرُ وَلَا يَبْنِي فِيهِ وَلَا يَأْتَلِي

* * *

أَمَا تَرَى الْأَزْهَارَ كَيْفَ اغْتَدَتِ فَرَّاشَةُ الرُّوضِ عَلَيْهَا تَطِيرُ
لَهَا جَنَاحٌ هِيَ مِنْهُ ارْتَدَتْ مَلَأَةً مَوْشِيَةً مِنْ حَرِيرِ
فَهِيَ إِلَى الرُّوضَةِ مُذْ وَرَدَتْ أَرْسَلَهَا الْبَلِيلُ نَحْوَ الْأَمِيرِ
تَحْمِلُ لِلْوَرْدِ أَمِيرَ الزَّهَرِ رِسَائِلَ الشُّوقِ مِنَ الْبَلِيلِ
فَشَاعَ فِي الْأَزْهَارِ هَذَا الْخَبَرُ وَاسْتَوْجِبَ الْعُطْفَ عَلَى الْمُرْسَلِ

* * *

حَتَّى إِذَا الْوَرْدُ مَضَى وَانْقَضَى وَعَادَتِ الرُّوضَةُ كَالْبَلَقَةِ
مَسَّتْ حَشَا الْبَلِيلِ نَارُ الْغَضَى مِنْ حُرْقَةِ الْبَيْنِ الَّذِي أَوْجَعَهُ
لَا تَسْأَلِ الْبَلِيلَ عَمَّا مَضَى فِي زَمَنِ الْوَرْدِ لَهُ مِنْ دَعَاهُ

ولكن اسأل في السماء القمرَ عن خبر الورد مع البليل
إذ كان يُصغى منهما للسمر وهو مُطلّ ناظر من علّ

فراشة الروضة ظلتَ إذا تحومُ والأزهارُ من تحتها
تقبلُ الزهرة ذاتَ الشذا طائرةً منها إلى أختها
وتسأل الأزهارَ عَمَّا إذا مرَّ فقيد الورد من سمتها
لِتخبرَ البليلَ بعضَ الخبرِ لعاه غمته تنجلي
فإنه بات حليف السهرِ مُدّ نزع الورد عن المنزل

أغرودة العندليب

سمعت شعراً للعندليب تلاه فوق الغصن الرطيب
إذ قال نفسي نفسٌ رفيعة لم تهو إلا حسن الطبيعة
عشقت منها حسن الربيع أحسن بذاك الحسن البديع

فالعيش عندى فوق الغصون لا فى قصورٍ ولا حصونٍ
أطير فيها لفرط وجدى من غصن ورد لغصن وردٍ
وفى فروع الأشجار بيتى فالظلّ فوقى والزهرُ تحتى

فسلّ نسيم الأسحار عني كم هزّ عطف الأغصان الحني
وسلّ بشدوى زهر الرياض إني بحكم الأزهار راضٍ
فكم زهورٍ لما أفوه أصغت وقالت لأفضّ فوه
يا قوم إني خلقت حرّاً لم أرض إلا الفضا مقرّاً
فإن أردتم أن تونسوني ففي المباني لا تحبسوني
وإن أردتم أن تنطقوني فأطلقوني ، فأطلقوني

الصيف



أَنظُرْ إِلَى الْحَسَنَاءِ فِي رَأْدِ الضَّمْحَى

جاء المصيف فحقت الأنداء	وشكت بيوستها به الأشياء
وتوقدت عند المبحيرة شمسهُ	فتملّطت بأعاليها الصحراء ^(١)
وعلى الديار تراكت من شمسهِ	ملء الفضاء حرارة وضياء
فعلى من الشمس المنيرة أصبحت	غضبي تحيش بصدرها الشخفاء ^(٢)
مدت إلينا في الهجير أشعة	كالسكرباءة نلأوها بيضاء
فحكت أشعتها حراباً أشرعت	بيضا فما تحديدها أصداء ^(٣)
حتى استجار الليل من لفحاتها	ركب مروا فهدتهم الجوزاء

(١) تلمظ : تتبع بلسانه بقية الطعام فيه ، وأخرج لسانه ، فسحبه شففيه .

(٢) الشخفاء : العداوة .

(٣) أشرع الرمح : سدده .

نَظَرُ إِلَى الْحَسَنَاءِ فِي رَأْدِ الضُّحَى تَمْشِي فَتَلْفَحُ وَجْهَهَا الرَّمْضَاءُ^(١)
وَتَمُرُّ لِأَغْبَةٍ وَفَوْقَ جَبِينِهَا عَرَقٌ وَوَجْتُهُ خَذَّهَا حَمَاءُ^(٢)
إِنْ كَانَ حَرُّ الشَّمْسِ لَوَّحَ وَجْهَهَا فَكَذَلِكَ تَوْدِي الضَّرَّةُ الْوَرَهَاءُ^(٣)

* * *

إِنِّي لِأَغْفِرَ لِلْمَصِيفِ ذَنْبِهِ وَلَوْ أَنَّ غَارَةَ هَيْضُهُ شَعْوَاءُ^(٤)
فَالصِّيفُ أَرَأْفُ بِالْفَقِيرِ مِنَ الشِّتَاءِ وَإِذَا تَحَبَّ قَدُومَهُ الْفَقْرَاءُ
قَلَّتْ بِهِ الْحَاجَاتُ فَالْفَقْرَاءُ فِي أَيَّامِهِ وَالْأَغْنِيَاءُ سَوَاءُ
مَنْ كَانَ أَعْوَزَهُ كَسَاءُ مِنْهُمْ فَالصِّيفُ مِلْحَفَةٌ لَهُ وَكَسَاءُ
وَالْأَرْضُ إِنْ طَلَبُوا الرِّقَادَ وَطَأَوْهُمْ مِنْ دُونِ مَنٍْ وَالسَّمَاءُ غَطَاءُ^(٥)
وَلَنْ يَكُنْ كَدِيرُ النَّهَارِ فَلَيْلُهُ طَلَقَ فِي وَجْهِ السَّمَاءِ صَفَاءُ
وَلَنْ قَسَا عِنْدَ الْهَجِيرِ فَرِيحُهُ هَبَّتْ بِحَاشِيَتَيْهِ وَهِيَ رُخَاءُ
أَضْحَى فَطَابَتْ فِي ضُحَاهِ ظِلَالُهُ وَأَنَّى الْأَصِيلُ فَطَابَتْ الْأَفْيَاءُ^(٦)
وَالصِّيفُ أَحْسَنُ مَا بِهِ تُمْشَاهِدُ صَبَحٌ أَغْرُ وَلَيْلَةٌ قَرَاءُ
وَأَجَلٌ مَا يُرْتَادُ فِيهِ جَنِينَةٌ تَرَفُّ الظَّلَالُ بِهَا وَيَجْرِي الْمَاءُ
فَعَلَيْكَ فِيهِ بِسَرَحَةٍ فِي مَنْبَعٍ تَحْنُو عَلَيْكَ غَصُونُهَا الْخَضْرَاءُ^(٧)

(١) رَأْدِ الضُّحَى : وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء .

(٢) لِأَغْبَةٍ : متعبة . (٣) الْوَرَهَاءُ : الخمقاء .

(٤) الْهَيْضُ : الكسر ، وخاصة بعد الجبور .

(٥) مَنْ عَلَيْهِ بِمَا صَنَعَ مِنْهُ : ذكر وعدده ما فعله له من الخير ، وهو تكدير وتعيير .

(٦) الْأَفْيَاءُ : جمع فاء وهو الظل .

(٧) السَّرَحَةُ : الشجرة الطويلة ، أو التي لاشوك لها .

الشَّيْءُ

قد كانت الأغصانُ مخضرةً وكانت الطيرُ بها تسجعُ
فصارت الأوراقُ مصفرةً تسقطها الرّادةُ والزّرعُ^(١)
ثم غدت جرداءَ مزورةً والغيمُ أمست عينه تدمع^(٢)
من أجل هذا المشهدِ الحزنِ

والليلُ قد طال على من شتا وصار ليلاً بارداً مظلماً
لعلَّ هذا الرعدَ مذ صوتنا هرب منه تليكمُ الأنجما
علامَ قد غيمَ ليلُ الشتا فارتاعت الأنجمُ مذ غيماً
واحتجبت فيه عن الأعين

والريحُ من برد الشتا صرصرَ والجو يبدو عابساً مطرقاً
قد حار فيه التّربُّ المعسِرُ إذ لم يجد فيه له مرفقاً^(٣)
يأيها الناس ألا فاذكروا من كان منكم في الشتا مُملقاً
وأحسنوا فالقوزُ للمحسن

إنَّ الشتا أرحمُ للمُعْدِمِ منكم وإنَّ أوجعه برده
لأنه بالعارضِ المُسْجِمِ يُنبِتُ زرعاً يُرتجى حصده^(٤)
حتى تفوزَ الناسُ بالأنعمِ مما لهم أنبّه جوده
ويشبعَ المعدمُ والمغتني

(١) الرّادة : الريح اللينة المبوب . والزّرع : الريح الشديدة تقلقل الأشياء وترزعها

(٢) مزورة : معوجة .

(٣) التّرب : الفقير المعدم . والمرفق : ما يستعان به .

(٤) العارض : السحاب يعترض في السماء . والمُسْجِم : الهاطل المطر .

التمغراف

أو الأسلاك البرقية

للبرق أسلاكٌ تؤدّي الأخبارَ
فوق النَّرى مُدَّت وتحت الأبحار
ما بين كلِّ عشرات الأمتار
شاخصةً أشباحها للأنظار
للكهربائية فيها تيار
جوانب الأنباء نحو الأمصار
في الأرض مجرى الجليل الأخبار
في كنهه أهل النُّهى والأفكار
ولم يزل مُحتجِباً بالأسرار
وكم لها بين الورى من آثار
وتنقل الأخبار ذات الأخطار
فتجعلُ الأصال مثل الأبيكار
وقد تُداوى كلَّ داءٍ ضرَّار
والجرح تأسوه بغير مسبار
لها نفوذ في جميع الأقطار
وفي رياح الجوّ ذات الإعصار
وقد سرت في كل غيمٍ مِدرار
فهى بهذا الكون سر الأمرار

(١) البقار : اسم وادء وامم موضع في بلاد العرب .

(٢) أسفر : انكشف . (٣) العقار : الدواء .

(٤) أسى الجرح . داواء . والمسبار : ما يختبر به الجرح .

بيروت والتباريس

إن لِبَيْرُوتَ بَعْمَرَانِهَا أَمْكَنَةً تَعْلُو التَّبَارِيسَا^(١)
 لَا سِيَا أَرْبَعُ لِبِنَائِهَا تَلْكَ الَّتِي تَحْكِي الْفَرَادِيسَا
 فَكَمْ كِنَاسٍ قَدْ حَوَتْ لِلظُّبَا وَكَمْ حَوَتْ لِلْأَسْدِ عَرِيسَا^(٢)
 وَمَا التَّبَارِيسُ سِوَى مَقْمَرٍ يَقْضِي عَلَى اللَّاعِبِ تَقْلِيسَا^(٣)
 يَشَدُّ بِالْإِفْلَاسِ أَيَّامَهُ مَنْ حَلَّ فِي مَلْعَبِهِ الْكِيسَا
 مَعْرَسٌ يَقْصِدُهُ مِنْ نَحَا فِي أُخْرِيَّاتِ اللَّيْلِ تَعْرِيسَا^(٤)
 وَمَرْقَصٌ تَرْقِصُ فِي بَهْوِهِ أَوَانِسٌ تَحْكِي الطَّوَاوِيسَا
 مَا فِيهِ مِنْ بَارِيسٍ إِلَّا الَّذِي يُؤْثَرُ عَنْ غَادَاتِ بَارِيسَا
 لَكِنَّ بَيْرُوتَ بَلْبِنَانِهَا تَكْشِفُ عَنْكَ الْهَمَّ وَالْبُوسَا
 عُرُوسَ لِبْنَانٍ أَمَا وَالَّذِي صَيَّرَ مِرَآتِكَ قَامُوسَا
 مَا أَنْتِ إِلَّا جَنَّةٌ آمِنٌ آدَمُ فِيهَا مَكْرَ إِبْلِيسَا
 فَيْكِ تَجَلَّى اللَّهُ رَبُّ الْعَالَا بِالْحَسَنِ مَرُئِيَا وَمَامُوسَا
 لَوْلَا جَمَالُ فَيْكِ مَسْتَوْدَعٌ مَا شَرَحَ الْحَبَّ لَنَا عَيْسَا
 كَنِيسَةً لِلْحَسَنِ فِي حُبِّهَا قُلُوبُنَا صَارَتْ نَوَاقِيسَا
 مَا الْحُسْنُ فِي شَيْءٍ بِمَسْتَحْسَنِ إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُ سُوسَا^(٥)
 قَائِنٌ مِنْ هَذَا تَبَارِيسُكُمْ وَأَيْنَ هَذَا مِنْ تَبَارِيسَا

(١) التباريس : الأراضى السهلة اللينة . ولعله هنا اسم موضع .

(٢) الكناس : بيت الطلي . والعريس : بيت الأسد .

(٣) مقمر : ناد للقيار . (٤) المروس : موضع التعريس ، أى النزول بالليل

(٥) السوس : الأصل والطمع .

في المستشفى الملكي

عاد الرصافي صديقه الفاضل عبد المجيد بك الشاوي في أثناء مرضه ،
وقد طال مكثه في المستشفى الملكي ببغداد ، فأشده هذه الأبيات :

أطَلَّتْ أبا سعدون مُكثَّكَ ههنا فحَتَّى متى تبقى مقيماً بمسْتَشْفَى
فَدَعُ عَنْكَ طِبًّا ههنا تستطِبه ففي الجِدِّ طبٌّ ضامنٌ لك أن تُشْفَى
أرى مجلس النَّوَابِ أَوْ حَشْتْ بهوَه وقد كاد من صمتٍ تَعَشَّاهُ أن يَغْفَى ^(١)
فَها هو مُشْتاقٌ إليك منزلُ يكاد إليك الشوقُ يَنْسِفُه نسفا
فإن لم تَدَارِكْهُ بوصلٍ مُعَجَّلٍ تَدَاعَتْ به الجدرانُ أو أَلَقَتِ السَّقْفَا
وما استظَّارْتِ ببغدادُ مَدْحِثَها ههنا مجالسَ فيها كنت تملؤها ظَرْفا
فكم لك في تلك المجالس نَكْتة تهزُّ لها الآدابُ من فَرَحٍ عِطفا
إذا أنت أرسلت الحديث مخاطبا فأَيَّةُ أذنٍ لا تَنْوِطُ بها شَنْفا ^(٢)
رأينا صريحَ القول فيكَ سَجِيَّة فلم تَرْضَ يوما للحقيقة أن تَخْفَى
إذا عَنَّ تبيانَ الحقيقة قَلَمُها ولو أغضبت أهل السياسة والصُّففا
ههنا لحزب أنت منه فإنه بمثلِكَ فردا في النهي يغلب الألفا ^(٣)
تَلَطَّفْتَ في آدابِكَ الغرَّ ناطقا بما قد حوى كل اللطائف واستوفى
فَتُغْرِبُ أحيانا وتَلْحَنُ تارة ولكن بلَاحِنٍ أعجب المنحور والصرفا ^(٤)
أدامك ربُّ الناس للناس مُعلنا مكارم جَلَّتْ أن نحيطَ بها وصفا

(١) غفَى يغفَى من باب ضرب ، وأغفَى يغفَى : نام نومة خفيفة . وقد جعله الشاعر من باب فرح ، ولعلها لاقية .

(٢) ناط به الشيء : علقه . والشأن : القرط في أعلى الأذن .

(٣) النهي : جمع نهية وهي العقل .

(٤) الأعراب هنا : الإبانة عن الشيء وصراحة . والاحن : الكناية عن الشيء أو التورية عنه بغيره وليس المراد الالحن الذي هو الخطأ في الكلام .

إلى عبد اللطيف باشا المنديل

أبا ماجدٍ إني عهدتك مُبْصِراً
إذا خفيت يوماً عليك حقيقةً
وإن ليلةً الخطب ادلهمت كشفها
وتلك مزايا فيك أعلمت الورى
فهل أخفيت حالي عليك وقد بدا
أتيتك من بغداد لم أدر ما لدى
وأحمل في جنبي نفساً غنيّةً
ولو كنت في بغداد أرضى بذلة
ولكنني قد عفت أن أريد الغنى
وما عدل السعدون بي عن وفائه
ولو أنني بهت الثناء بنائل
وإن حديثي عنك غير مرجّم
سأرحل عن ديوانك اليوم أو غداً
وسوف ترى مني لدى الدهر شاكراً
وأكتب للتأريخ ما أنا كاتب

خفايا أمور أعجزت كل مُبْصِرٍ
نظرت إليها من ذكاءٍ بمجهرٍ
بأوضح صبح من فعالك مُسْفِرٍ
بأن بنى المنديل أكرم معشرٍ
لكل صديق أنها حال مُقْتَرٍ
أني بي إلا أنتي في تحييرٍ
وإن شقيت مني بجهنم مُعْسِرٍ
لما جئت إلا ساحبا فضل مَزْرِي
ونفسي في قيد من اللئليّ مُتَقَرٍ
ولكن جرى مجرى القضاء المقدر
لما رضيت نفسي بغيرك مشترى^(١)
وإن مقالي فيك غير مُزَوَّرٍ^(٢)
بعزّة لا وإن ولا متفقيرٍ
وإن كنت أعيا عن تمام التشكر
ليجعله أحدىثة كل مخبرٍ

(١) النائل : المطاء .

(٢) الحديث المرجم : حديث الظنون .

يادار قسطنطين

يادار قُسْطَنْطِينَ أَنْتِ فَرِيدَةٌ
 لَقَدْ اجْتَوَيْتُكَ لَا لَفَقْدِ مُحَاسِنِ
 أَبَدًا سَمَاوُكَ وَجَهُّهَا مَتَلَوْنِ
 وَأَرَى هَوَاءَكَ نَاضِجًا بِرَطُوبَةٍ
 تَسْرَى الرُّطُوبَةُ مِنْهُ بَيْنَ عُرُوقِهِمْ
 فَتَأْتِينَ شِرَّتَهُمْ وَلَيْسَ بِهِمْ ضَنْيُ
 وَتَرَى الْفَتَى مِنْهُمْ يَعُودُ مُحَوِّلاً
 رِيحَانٍ تَتَدَفَّعَانِ فِيكَ فَتَارَةٌ
 أَمَّا الشَّمَالُ فَعَقْرَبٌ لَسَاعَةٍ
 لَا كَانَتَا مِنْ ضَرَّتَيْنِ عَلَى الْوَرَى
 وَأَرَى بِكَ الْأَخْلَاقَ ذَاتَ تَلَوْنِ
 وَطِبَاعَ كُلِّ مَعَاشِرٍ كِهَوَائِهِمْ
 أَمْسَى التَّصَنُّعُ فِي بَنِيكَ صِنَاعَةٌ
 فَإِذَا تَلَالُاتُ الثَّغُورِ تَبَشُّا
 وَلَرَبَّمَا احْتَرَمَ الْبَغِيضُ بَغِيضَهُ
 عَجَبًا فَكَمْ حَمَلٍ رَأَيْتَ وَمَذْنُضًا
 حَلَمْتَ نَمُورُكَ خُدْعَةً وَنَظَاهَرْتَ
 لَمْ أَلْقَ شَيْئًا فِيكَ غَيْرَ مَغْشَشِ
 هَذِي صِفَاتُكَ يَا فَرُوقُ بَرِّغَمٍ مِنْ

فِي الْحَسَنِ لَوْلَا جَوْكَ الْمُتَقَلِّبُ
 لَكِنْ هَوَاؤُكَ عَارِمٌ مُتَذَبِّبٌ^(١)
 فَأَرَاهُ يَبْسَمُ تَارَةً وَيَقْطُبُ
 هِمُّ الرِّجَالِ بِهَا تَجْفُ وَتَنْضُبُ^(٢)
 فَتَكَادُ مِنْ أَعْصَابِهِمْ تَنْحَلِبُ^(٣)
 وَتُشَيِّبُ أَرْؤُسَهُمْ وَمَا هُمْ شَيْبٌ^(٤)
 حَتَّى يَرْوَحَ لِعَنَّةٍ يَتَطَبَّبُ^(٥)
 صِرًّا تَهَبُّ وَتَارَةً تَتَلَهَّبُ^(٦)
 وَعَنِ الْجَنُوبِ وَذِكْرِهَا أُتَجَنَّبُ
 هَذِي تُجَمِّدُهُمْ وَتَلَاكُ تُذَوِّبُ
 كِهَوَائِكَ الْقَلَابُ بَلْ هِيَ أَعْجَبُ
 سَبَبُ الطَّبَاعِ مِنَ الْهَوَاءِ مُسَبِّبُ
 مِنْ كَانَ يَحْسِنُهَا قَدْ ذَاكَ مَهْذَبُ
 فَالْبَرْقُ فِي تِلْكَ الْمِبَاسِمِ خَلْبُ
 كَيْفًا يَقَالُ بِأَنَّهُ مُتَادِبُ
 ثَوْبِي تَصْنَعُهُ إِذَا هُوَ ثَعْلَبُ
 بِصَدَاقَةِ الْخِرْفَانِ فِيكَ الْأَذْوَبُ
 حَتَّى الْمِيَاهُ تَغْشَى فِيكَ وَتَكْذِبُ
 أَنْثَرُوا عَلَيَّكَ بَغِيرَ ذَاكَ وَأَطْنَبُوا

(١) اجتويتك : كرهتك . والعارم : الشديد .

(٢) تنحلب : تسيل .

(٣) الشرة : الحدة والنشاط .

(٤) المحوّل : الضعيف الذي قل أربه في النساء .

(٥) الصر : البرد الشديد .

فلـكس فارس

إِن فِلَيْكُسَ بَنَ فَارِسٍ رَجُلٌ بَنَا افْتِقَارُ إِلَى غَنَى أَدِيهِ
تَمَّ لَهُ السَّبْقُ فِي الْعِلَاءِ بِمَا أَحْرَزَ يَوْمَ الْفَخَارِ مِنْ قَصَبِهِ
مُفَوَّهٌ لَوْ رَأَاهُ يَخْطُبُ فِي الْأَمَحْفَلِ قُسٌّ جِثًّا عَلَى رُكْبِهِ
يَنْطَلِقُ عَنْ فِطْنَةٍ لَهَا حِكْمٌ تَبْرَى قَلْبَ الْجَهُولِ مِنْ وَصَبِهِ (١)
لَمْ يُصْغَرْ مُصْغَرٌ إِلَى خَطَابَتِهِ إِلَّا وَقَدْ رَاقَهُ فَأَعْجَبَ بِهِ
تَعُودُ كُلُّ الْخُطُوبِ هَيْئَةً إِذَا فَرَعْنَا مِنْهَا إِلَى خُطْبِهِ
أَتَعَبُ فِي النَّصْحِ نَفْسَهُ فَأَتَتْ رَاحَةَ أَهْلِ الْبِلَادِ مِنْ تَعْبِهِ
يَطْلُبُ أَنْ تَنْهَضَ الرِّجَالُ إِلَى مَجْدِ يَحْيَى الْكِرَامِ فِي طَلْبِهِ
سَلَّ عَنْهُ لِبْنَانٌ كَمْ تَطَرَّبَهُ مِنْهُ خُطَابٌ فَمَادَ مِنْ طَرَبِهِ
وَسَلَّ دِمَشْقُ الشَّامِ عَنْهُ وَمَا بَعْدَ دِمَشْقِ الشَّامِ مِنْ حَلَبِهِ
كَمْ لَيْلَةٌ لِلشُّكُوكِ دَاجِيَةٌ أَنْارَهَا بِالْيَقِينِ مِنْ شَهَبِهِ
حَرَّ يَوَاحِي فِي الْحَقِّ كُلِّ فِتْنَةٍ حَرَّ وَلَوْ شَطَّ عَنْهُ فِي نَسَبِهِ
إِنْ قَالَ قَوْلًا أَوْ انْتَضَى قَلَامًا فَنُصْرَةٌ الْحَقِّ مِنْتَهَى أَرْبِهِ
فَارَكَنَ إِلَيْهِ وَخَلَّ حَاسِدُهُ مُحْتَرَقًا مِنْ جَوَاهِ فِي لَهَبِهِ

(١) الوصب : المرض والوجع الدائم .

ملیكة غناء العرب

هَلُمَّ إِلَى ذَوْقِ طَعْمِ الْأَدَبِ هَلُمَّ إِلَى نَيْلِ أَقْصَى الْأَرْبِ
 هَلُمَّ إِلَى ذَا الْغَنَاءِ الَّذِي مِنْبِرُهُ مِنْهُ أَتَتْ بِالْعَجَبِ
 أَلَيْسَتْ مِنْبِرُهُ فِي عَصْرِنَا مَلِيكَةً فَفَنِّ غَنَاءِ الْعَرَبِ^(١)
 وَلَا غُرُورَ أَنْ مُلِّكَتْ فِي الْغَنَاءِ وَأَنْ أَحْرَزْتَ فِيهِ أَعْلَى الرُّتَبِ
 فَقَدْ أَذْرَكْتَهُ عَلَى رِسَالِهَا وَنَالَتْ أَقْاصِيَهُ مِنْ كَثَبِ^(٢)
 وَأَيَّدَهَا اللَّهُ مِنْ صَوْتِهَا بِأَكْبَرِ عَوْنٍ وَأَقْوَى سَبَبِ
 أَرَى فِيهَا صَيْغَ مِنْ حِكْمَةٍ وَأَبْجَسَهُ إِنْ أَقْلُ مِنْ ذَهَبِ
 تَلُوحُ فَتَبَيَّرُ بِدُرِّ الدَّجَى وَتَشْدُو فَيَعْتَرُ فَنِّ الْأَدَبِ^(٣)
 بِلَحْنٍ إِذَا امْتَدَّ هَزُّ الْقُتُوبِ وَخَدَّرَ أَبْدَانَنَا وَالْعَصَبِ
 تَرْفُفُ أَرْوَاحُنَا تَحْتَهُ كَمَا رَفَرَفَ الطَّيْرُ لَمَّا انْقَلَبِ
 وَتَحْفُقُ أَحْشَاؤُنَا دُونَهُ كَمَا خَفَقَتْ فِي الرِّيحِ الْعَذَبِ^(٤)
 فَكَادَ إِذَا هِيَ غَنَّتْ نَظِيرَ إِلَيْهَا بِأَجْنَحَةٍ مِنْ طَرَبِ
 وَإِنْ هِيَ قَامَتْ لِإِنْشَادِنَا جَثَوْنَا لَهَا وَثْنَيْنَا الرُّكْبِ
 فَلَوْ سَمِعَ الْقَوْمُ أَلْحَانَهَا لَشَقَّوْا عِمَامَتَهُمُ وَالْجُبِّ
 أَرَى أَلْهَمَ يُتَعَبُ قَلْبُ الْقَتِي وَعَنْهُ الْأَغَانِي تَزِيلُ التَّعَبِ
 فَبَادِرُ إِلَيْهَا وَلَا تَكْثُرْ لَمَّا جَاءَ مِنْ ذِمِّهَا فِي الْكُتُبِ

(١) مَلِيكَة : أي مَلِكَة ، بمعنى رَئِيسَة هذه الصَّنَاعَة .

(٢) أَذْرَكْتَهُ عَلَى رِسَالِهَا : أي فِي تَهْمَلِ وَرَفَقِ .

(٣) تَبَيَّرَ : تَغَبَّ وَتَفَوَّقَ فِي حَسْنِهَا .

(٤) الْعَذَبُ : الْأَطْرَافُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَمَا يَسْدُلُ إِلَى الْخَلْفِ مِنَ الْعِلَامَةِ .

إلى جميع الغواني

وقفتُ عليكِ قلبي الذي يمرُّ به الحبُّ مرَّ السحابِ
وممكنٌ أحببتُ هاتى وذى وألفيتُ عذاباً بكنَّ العذاب

فمنكنَّ بيضاء ما مثلها (عدا حمرة الخدِّ) إلا القمرُ
فتلك التى طاب لى وصلها كما ليلة البدر طاب السمرُ

وممكنٌ حمراء جدابةً حكى وجهها الشمس عند الطلوع
أرى عينها (وهى خلاصة) فأمسك بالكف منى الضلوع

وممكنٌ صفراء فى لونها كأن تردت شعاع الأصيل
إذا ما تمشت على هونها أصحَّت هبوب النسيم العليل (١)

وممكنٌ سمراء تحكى الدعى وتبعث فى القلب ميت الهوى
على شفتيها يلوح الآلى فيضرم فى الصب نار الجوى (٢)

وممكنٌ من هى مثل الرياح لها فى ذرى كل قلب هبوب (٣)
تريد غلاب جميع الملاح وتبغى عذاب جميع القلوب (٤)

وممكنٌ من هى مثل النجوم من البعد ناظرة تبتسم
فتلك عليها فؤادى يحوم وتلك إليها الردى أفتحم

ففيكنَّ طراً بوادى الهوى أهيمن وإن لم تعد عائدة
ألا إن حباً بقلبي انطوى كثير فلم تكفه واحده

(١) مشيت على هونها : أى فى رفق وتؤدة . (٢) الآلى : سواد الشفة ، وهو محبوب عند العرب .
(٣) الذرى : الناحية والجانب . (٤) الغلاب : المنازعة .

قصر البحر (*)

وقال وقد نزل في فندق قصر البحر في بيروت .

لَعَمْرُكَ إِنَّ قَصْرَ الْبَحْرِ قَصْرٌ به يسألو مَوَاطِنَهُ الْغَرِيبُ
وَتَمْتَلِئُ الْعَيُونُ بِهِ ابْتِهَاجًا إِذَا نَظَرْتَ وَتَنْشَرِحُ الْقُلُوبُ
تَرُوقُ النَّاظِرِينَ بِجَانِبِيهِ مَنَاطِرُ دُونِهَا الْعَجَبُ الْعَجِيبُ
فَمَنْ شَمْسٍ يَصَافِحُهَا طُلُوعُ وَمَنْ شَمْسٍ يَعَاقِبُهَا غُرُوبُ
وَمَنْ سَفْنٍ تَجِيءُ بِهَا شِمَالُ وَمَنْ سَفْنٍ تَرُوحُ بِهَا جَنُوبُ
وَأُخْرَى حَوْلَهُ خَدَّتْ لَهَا وَأُخْرَى فِي الْفُؤَادِ بِهَا لَهِيْبُ
أُطْلِقَ عَلَى الْمِيَاهِ فَقَابِلَتَهُ بُوْجُهُ لَا يَمَازِجُهُ شُحُوبُ
يَقْبَلُ جَانِبِيهِ الْبَحْرُ حَتَّى كَأَنَّ الْبَحْرَ مَشْغُوفٌ كَثِيبُ
أَحَاطَ بِهِ فَكَانَ لَهُ رَقِيبًا وَمَغْنَاهُ الْأَنِيقُ لَهُ حَبِيبُ
وَمَا هَذَا التَّمَوُّجُ مِنْ هَوَاءٍ وَلَكِنْ مِنْ هَوًى فَهُوَ الْوَجِيبُ ^(١)
كَأَنَّ الْمَوْجَ فِي الدَّأْمَا رِجَالُ وَهَذَا الْقَصْرُ بَيْنَهُمْ خَطِيبُ ^(٢)
تَخَاطَبُهُمْ مَبَانِيهِ فَيَعْلُو مِنَ الْأَمْوَاجِ تَصْفِيقٌ مَهِيبُ

* * *

تَلَمَّ بِهِ الْمَسَرَّاتُ ازْدِيَارًا فَتَعْرِفُهُ وَتَجْهَلُهُ الْكَرُوبُ
وَمَا انْفَرَدَتْ بِهِ بَيْرُوتٌ حَسَنًا وَلَكِنَّ الْقُصُورَ بِهَا ضُرُوبُ
تَبَسَّمتِ الْبِلَادُ بِكُلِّ أَرْضٍ وَمَا زَالَ الْعِرَاقُ بِهِ قُطُوبُ
فَهَا هُوَ مِنْ تَكَاثُلِ قَاطِنِيهِ تَجَرَّ عَلَيْهِ كَلَّهَا الْخَطُوبُ
إِذَا تَدْعُو الرِّجَالَ بِهِ خَيْرُ يَجِيبُكَ مِنْ تَخَاذُلِهِمْ مُجِيبُ
فِيَا لَهْفَى عَلَى بَغْدَادٍ أُمْسَتْ مِنَ الْعِمْرَانِ لَيْسَ لَهَا نَصِيبُ

(*) من الديوان الأول .

(١) الوجيب : الحققان والارتجاج .

(٢) الدأماء : البحر .

سأبكي ثم أستبكي عليها إذا نصبت من العين الغروب^(١)
أيا بغداد لا جازتكَ سَحْبٌ ولا حلت بساحتك الجُذوب
تطاول ساكنوك على ظلماً فضاقي على مغناك الرحيب
وكم نطقوا بالسنه حـداد يسيل بها من الأشداق حُوب^(٢)
رمانى القوم بالإلحاد جهلاً وقالوا عنده شـك مُريب
ألا يا قوم سوف يجدّ جدّى وسوف يحيب منكم من يحيب
فمن ذا منكم قد شق قلبى وهل كشفت لكم فى الغيوب
فعند الله لى معكم وقوف إذا بلغت حناجرها القلوب
يقينى شرّ فرّيتكم يقينى بأن الله مُطَّلِع رقيب
ولم تُخفّر لكم عندى ذمام ولكن عادة الريح المهبوب

محاسن الطبيعة (*)

الى حضرة الفاضل نذرة بك المطران

البحرُ رهوٌ والسما صاحيه وانفخت فى الليل شبیه السديم^(٣)
والبدرُ فى ضلّته الزاهيه قد ضاحك البحر بشعر بسيم

* * *

والصمت فى الأنحاء قد خيما فالليل لم يسمع ولم ينطق
والبدرُ فى مفرق هام السما تحسبه التاج على المفرق
أغرق فى أنواره الأنجما وبعضها عام فلم يفرق
والبحر فى جبهته الصافية قام طريق للسنا مستقيم
لم تخف فى أثنائه خافيه حتى ترى فيه اهتزاز النسيم

(١) الغروب : جمع غرب ، وهو عرق فى العين ، أو الدمع ، أو جانب العين .

(٢) الحوب : الإثم . (*) من الديوان الأول .

(٣) رهو : ساكن . وانفخت : ضوء القمر . والسديم : الرقيق من الغباب .

وقفتُ والريحُ سرتُ سَجَجَا
أنظر ما فيه يحار الحِجَا
يا منظرًا أضحكَ ثغرَ الدُّجَى
ما أنت إلا صُحُفٌ عاليه
إذا وَعَتَهَا أذنٌ واعيه

(١) وقفةً مبهُوتٍ على الساحل
في الكونِ من عالٍ ومن سافل
وردَّ سَحْبَانٌ إلى باقل^(٢)
كم حار في حكمتها من حكيم
فقد وعَتَ خيرَ كتابٍ كريم

* *

وزان عَرَضَ البحرِ ما قد بدا
عامَ بذَوْبِ الماسِ أو قد غدا
في صامت الليل جري مفردا
من غادة في حسنِها غانيه
ومن فتى أدْمَعَه جاريه

من زَوْرَقٍ يجرى مَجْدَافَتَيْنِ
يسبحُ في لجة ذوب اللَجَيْنِ
وبين جنبيه حوى عاشقين
تَبَسُّمٍ عن لآلَاءِ دُرٍّ نَظِيمٍ
قد صافح العشقَ بجسم سقيم

* *

قابها والحبُّ قد شَفَّه
وظلَّ يرنو تارة خلفه
ثم تدانى واضعا كفه
وخرَّ من وَجَدَ على الناصيه
وهي غدت من أجله جاثيه

وقابلت طلعةً بدر السما^(٣)
وتارة ينظرها مُغْرَمًا
في كفها يطلب أن يَلْمَا
وقلبه يركض ركض الظَّلِيمِ^(٤)
واحتضنته كاحتضان الفطيم

* *

ثم رمى نظرةً مُسْتَرْحِمٍ
وقال قولَ الكَلِفِ المغرم
أيتها الأرض قفى واسلمى

في الكون طَرَفٌ له حائر
في حب ذات النظر الساحر
من أجل هذا المشهد الزاهر

(١) الريح السجسج : المعتدلة اللطيفة .

(٢) سحبان : خطيب يضرب به المثل في الفصاحة وباقل : يضرب به المثل في العي .

(٣) شفه الحب : هزله وأضناه .

(٤) الظليم : الذكر من النعام .

حتى أرى ليلتنا باقية مخوفةً من وصلنا بالنعيم
فإن هذى ليلةً حالیه تزهو ببدرين وطلق النسيم

وأنت يا بدرُ اللطيف السنا في الجوّ قفْ وقفةً غير الرقيب
ما أبهجَ النور وما أحسنا إذا دنا منك لوجه الحبيب
كأنه « ندره » لما دنا نحو المعالي ينتغيها النصيب
فحاز منها جملةً وافيه ما حازها من أحد من قديم
وصار يدعى الرجل الداهيه في الفكر والمجد وخلق عظيم

يا آل مطرانَ لكم « ندره » وأكرم الناس هو النادرُ
لكن معاليكم لها كثرة يعجز أن يحصرها الحاصر
من أجلها أمست لكم شهرة عمّ البرايا صيتها الطائر
حيث معاليكم غدت قاضيه لكم على الناس بفضل عميم
فراية المجد لكم عاليه و « ندره » الشهم عليها زعيم

يا من بنى المجد فأعلى البنا فكان أعلى الناس في مجده
أقبل من العبد جميلَ الثنا وإن يكن قصر عن حده
ومره ثم احكم به إن ونى ما يحكم السيد في عبده
إذ أنت بالثقة الساميه قد خصك الله العزيز العليم
فأهنا ودم في عيشة راضيه رغمَ المعادي وسرور الحميم

ليلة في دمشق (*)

من كان يَارقُ بالهمو م فقد أرقْتُ من السرور
 وطربتُ من صوتِ يحيى ه إلى من غُرِفَ القصور
 صوتِ كان الغانيسا ت أعرنَه هيفَ الخصور
 ونضجن من ماء الحيا ة عليه في شذب الثغور
 سرى الهموم عن الفؤا د بجوف حالكه الستور
 والعود ينطق بالحو ن بلهجتى بمَّ وزير
 يرمى به الصوت الرخي م على الدجى لمعات نور
 ملأ الظلام توقدا كالكهرباءة في الأثير
 يحكى الزلال لدى العطا ش أو الثراء لدى الفقير
 أصغيتُ منقطعا إليه عن المواطن والعشير
 فحسبتُ نفسى فى الجنا ن بغير ولدان وحوور
 وطفقت أدكر العرا ق فعاد صفوى ذا كدور
 فرجعت عن ذاك السما ع وغبت عن ذاك الشعور
 وذكرت من تبكى هنا لك على بالدمع الغزير
 تستوقف العجلان ثمَّة بالرنين عن المسير
 وتقول من مضض القرا ق مقال ذى قلب كبير
 أبنى سر سيرة الأما ن من الطوارق فى خفير
 يا أم لا تخشى فإ ن الله يا أُمى مجبرى
 ودعى البكاء فإن قلىبى من بكائك فى سعي

أعلمت أنى فى دمشق أجرّ أذيالَ السرور
بين الغطارفة الذين تخافهم غير الدهور^(١)
من كل وضاح الجبين أغرّ كالبدن المنير
حرّ الشمائل والفعا ثل والظواهر والضمير

حول البسفور (*)

خليلى قوما بى لنشهد للربا • بجانبى البسفور مشهد أسرار
أجيلا معى الأفكار فيها فإنها • مجال عقول للأنام وأفكار
خليلى إن العيش فى ماء شرشر • إذا الشمس تستعلى وفى ماء خنكار^(٢)
سفوح جبال بعضها فوق بعضها • مكللة حافاتهن بأشجار
يروق بجانبها خير مياها • ويشجى بفطريها ترنم أطيّار
ويجرى النسيم الرطب فيها كأنه • تبخر بيضاء الترائب معطار
معاهد زرها فى الهواجر تلقها • موشحة فيها برقة أسخار
نزلنا بها والشمس من فوق أرسلت • على منحى الوادى ذوائب أنوار
وقد ظل من بين الغصون شعاعها • يوقّع دينارا لنا جنب دينار
كأن التفاف الدوح والنور بينها • جيوب من الأنوار زرت بأزار
تميل إذا هبّ النسيم غصونها • فتأتى بظل فى الجوانب موار^(٣)
ترانا إذا ما الطير فى الدوح غرّدت • تميل بأسماع إليها وأبصار
رياض تنسّمنا بها الريح ضحوة • فمّت لنا من طيبهنّ بأسرار
يلوح بها ثغر الطبيعة باسمها • فيفتر منها عن منات أزهار
مشاهد فى تلك الربا ومناظر • تجلّت على أطرافها قدرة البارى

(١) الغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد السخى السرى . وغير الدهور : تقلباتها .

(*) من الديوان الأول .

(٢) شرشر وخنكار : موضعان بالقرب من البسفور .

(٣) الموار : المضطرب المتحرك .

تأثير التربية (*)

قالها في بيروت بعد أن شاهد مسرح الحيوانات

إليك ما شاهدت عيني من العجب
خافوا به أن تقوم الأسد واثبة
وحصنوه من الأعلى بمشترك
به الأسود تمطى في مراتبها
والذئب يبصر جدى المعز مقتربا
أما الكلاب فجاءت وهي كاسية
قامت على أرجلي تمشى معامة
تخشى مؤدبها والصولجان له
ترنو إليه بعين الخوف فاعلة
خضعن للسطو حتى إن أعقدها
وكانت الأسد تجرى في إطاعتها

مجرى الكلاب يحكم الخوف والرهب
محدد الناب قذافاً إلى العطب
أن الغرائز لم تطبع على الشغب
لابد فيه سوى الأطباع من سبب
لكن أحواله فراساً يد السغب (١)
بدافع الجوع نحو القتل والسلب
أكسبرها وهو من ترب إلى الذهب

(*) من الديوان الأول .

(١) القشب : جمع قشيب ، وهو الجديد .

(٢) السغب : الجوع .

هذا إذا حَسُنَتْ أما إذا قُبِحت فالمندلى بها يمسى من الخطب^(١)
فكل ما هو فى الإنسان مكتسبٌ فلا تقل فيه شيء غير مكتسب
إنى أرى أسوأ الآباء تربيةً للابن أخرى بأن يدعى أعق أب
والمرء كالنبت ينمو حسب تربته وليس ينبت نبعٌ منبت الغرب^(٢)
من عاش فى الوسط الزاكى كاخلاقاً حتى علا فى المعالى أرفع الرتب
فاحرص على أدب تحيا النفوس به فإنما قيمة الإنسان بالأدب

يقظة الشرق

أنشئت فى مأدبة نادى المعلمين ، لتكريم وفد الجامعة
المصرية مساء ٩ شباط سنة ١٩٣١ فى أو تيل « كارلتون » ببغداد .

أرى — بعد نوم طال — فى الشرق يقظةً
مُوضِيَّةٌ فيها طموحٌ إلى المجدِ
ففى « مصر » شيدت للعلوم معاهدٌ
على أسس التحليل والبحث والنقد
فلم تتخذ غير التجارب منهجاً لتحقيقها من جوهر العلم ما يجدى
وفى الأفق « التركى » سارت إلى العلى
جيوش بأعلام التجدد تستهدى
وفى « الهند » قامت للتحرر ثورة
سياسية عزلاء قائدها « غندى »
و« فارس » حلت عقدة من جهودها وحت بمسعاها إلى سالف العهد
وفى « الصين » حرب نارها وطنية تزيد بمرّ الدهر وقداً على وقد
و « بغداد » بين الأجنبى وبينها مزيد صراع فى السياسة مشدّ

(١) المندلى : عود يتبخّر به ينسب إلى المندل من بلاد الهند .

(٢) النبع : شجر صلب تتخذ منه السهام والقسى . والغرب : شجرة تتخذ منه الأقذاح .

على أن حول « النيل » مثل صراعنا
ولكنه بين الحكومة و « الوفد »
ولم تحل من أعشابها بتجدد
على جذبها أرض « الحجاز » ولا « نجد »
زمان أتى من كل قوم بنهضة
تباشر صباح لاح بعد نحوسة
فيا وفد مصر أتم خير شاهد
لقد جئتم رؤاد علم وحكمة
ترودون أهل العلم مرعى ومنزلاً
وقد زرتم « دار السلام » زيارة
ومن ذكرها في كل عصر ومواطن
وتمتدين « النيل » منها و « دجلة »
سلام على « مصر » التي أرسلت بكم
لكم عند أهل « الرافدين » تجلة
سياسية حتى أتت نهضة « الكرد »
مشيرا إلى ما نرتجيه من السعد
على يقظة في الشرق وارية الزند
فحييتهم أركى التحيات من وفد
وتجتنبون الهزل في معرض الجدد
ستذكرها الأقلام بالشكر والحمد
ستستشق الأيام أطيب من ورد
مدى الدهر أسباب التعارف والود
فضاحل علم لا تحيد عن القصد
على قدر ما للرافدين من الرغد

إلى القزويني

هو المرحوم أبو العز السيد محمد القزويني العالم المشهور .

قف بالديار الدارسات وحيها
واقر السلام على جاذر حيا (١)
وانشد هنالك للمقيم مهبجة
فنييت من الأهواء في عذريها
وسل المنازل هل علمن بأنني
قد شف جفاني الهوى بظبيها
يا قلب أي هوئى أصابك عند ما
أصبيت بالاحظات من ثعلبيها (٢)

(١) الجاذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

(٢) ثعلبيها : رام منسوب إلى بني ثعل ، وهم حي من طيء مشهورون بالرعى ، قال امرؤ القيس :

رب رام من بني ثعل مخرج كفيه من ستره

رَشَاءٌ إِذَا أَبَدَى ابْتِسَامَةً شَائِقَ
شَغَلَ الْقُلُوبَ بِحَبِّهِ وَلَطَامَا
مَنْ لِي بِلَثْمٍ مُقْبَلٍ مِنْ شَادِنٍ
يَاعَاذِلًا صَدَعَ الْقُلُوبَ بِلُومِهِ
مَنْ ذَا اسْتَطَاعَ يَرُدُّ عَنْ غَى الْهَوَى
دَعُ يَا عَذُولُ أَخَا الْغَرَامِ مَعْظَمًا
كَأَفَاضِلِ «الْفِيحَاءِ» حَيْثُ تَفَاخَرَتْ
السَّيِّدُ السُّنْدُ الْهَمَامِ مُحَمَّدُ
كَمْ شَاعَ لِلْفِيحَاءِ بَيْنَ بِلَادِنَا
ذَاكَ الَّذِي كَمْ مِنْ مَنَاهِلِ فَضْلِهِ
يَا سَيِّدَا فِي الْمَجْدِ أَحْرَزَ شَهْرَةَ
وَالْتَبَكَ نَفْسِي تَرْتَدِي بِكَ سَوْدَدَا
لَمْ لَا أَسْوَدُ بِحُبِّكُمْ فِي أُمَّةٍ
زَهَتْ الْمَكَارِمُ فِيكَ حَيْثُ لَبَسْتَهَا
فَعَشَقْتُ مِنْكَ عَلَى الْبِعَادِ خَالِقًا

شغلت — وحقت — مهجتي عن حبيبها

فَالْيَكْبَا عِزَاءً عَزَّ قِيَادُهَا
وَأَفْتَكُ فِي «رَمَضَانَ» تَنْشُرُ مَدْحَةً
لَتَشْدَّ مَعَكَ عُرَا الْوَدَادِ وَثِيقَةً
إِنِّي لِأَغْبِطُهَا إِذَا هِيَ أَنْشَدَتْ
وَعَدَتْ تَجِيدُ الْمَدْحَ مِنْكَ لَسِيدُ

لَوْلَا مَدِيحُكَ لَمْ تَبْحُ بِرُويهَا
عَبِثَتْ نِهَانِيكَ الْحَسَانُ بِطِيَّهَا
بِيدٍ ، وَلَاؤُكَ كَانَ خَيْرَ حَلِيٍّهَا
بَنْدَى عَفِ الذَّيْلُ مِنْكَ ذَكِيَّهَا
شَهْمُ الْغَطَارِفَةِ الْكَرَامِ أَيْيَّهَا

(١) الرشاء : ولد الطيبة .
(٢) القبل : الفم . والشادن : ولد الطيبة .
(٣) هي مدينة الحلة . والسري : السيد الشريف السخي . والجحجج : السيد المسارع إلى المكارم .
(٤) الحلاوة : العطاش المطرودة عن الماء .

إلى حماة الأطفال

سبق للجمعية حماية الأطفال أن اعتبرت لإنعامة مهرجان كبير .
حاولت أن يكون الأول من نوعه ، وقد تفضل شاعر العرب
الحال المرحوم الأستاذ معروف الرصافي ، فأرسل هذه القصيدة
العصماء ، ووعد أن يلقيها بنفسه ، ونحن فنشرها اليوم ليرى
القراء جانباً من إحساس الفقيد العظيم نحو أطفال الوطن .

دارُ السلام تفاخرتُ برجالٍ	قاموا بأمرِ حماية الأطفال
وعُنُوا بتربية البنين عناية	زادوا بها شَمًا على الأجيال ^(١)
وَبَنُوا لهم داراً بما جادت به	أيدى أكارمهم من الأموال
صانوا بها الأنسالَ من أمراضها	ومن الحقوق صيانة الأنسال ^(٢)
دار تقيمهم بالأوقى كلَّ ما	يُخشى من الأوجاع والأوجال ^(٣)
ضمنت لأيتام الأرامل طيبهم	وعِذاءهم وبشائر الإقبال ^(٤)
لم يخش فتك السقم فيها رُضع	في البؤس قد وُلدوا وفي الإلال
لله تلك الدار من متبوأ	بذّ النجوم بقدرة المتعال ^(٥)
هي مفزع المعسرّين وملجأ	يأتيه كل ضن من الأطفال ^(٦)
أحياة أطفال الأيامي إنكم	جُدراء بالتمظيم والإجلال ^(٧)
مرت لكم تلك السنون وكلها	غرر تُزانُ بأنفع الأعمال
كانتم الأدوية في أيتامنا	دأباً بغير كلاله وملال

(١) شَمًا : أصل الشم الارتفاع في قصة الأنف ، والمراد هنا الارتفاع مطلقاً : والأجيال : جمع جيل .

(٢) الأنسال : جمع نسل ، وهم الذراري .

(٣) الأوقى : أصناف الوفاق ، جمع وافية . والأوجال : الخواف ، جمع وجل .

(٤) الأرامل : جمع أرملة ، وهي الفقيرة ، أو التي مات زوجها . والإلال : الخروج من المرض .

(٥) متبوأ : مكان التبوء ، وهو النزول في المكان . وبذّ : بالذال أخت اللال ، وبالزاي أيضاً ،

يقال بزه وبذّه : أي فاقه .

(٦) مفزع : ملجأ ومعتصم . والضنى : المهزول .

(٧) الأيامي : جمع أيم ، وهي التي لا زوج لها .

فِي حَوْمَةِ الْإِحْسَانِ طَالَ صِيَالُكُمْ حَقًّا فَأَنْتُمْ أَشْرَفُ الْأَبْطَالِ^(١)
 سِيدُومَ مَسْعَاكُمْ وَيَبْقَى دَابُّكُمْ فِي الدَّهْرِ غَيْرَ مُهَدَّدٍ بِزَوَالِ
 وَلَسَوْفَ يَذْكُرْكُمْ وَيُشْكِرُ سَعْيَكُمْ مَنْ سَوْفَ يَخْلُفُكُمْ مِنَ الْأَجْيَالِ
 اللَّهُ أَنْتُمْ مِنْ أَفْضَلِ خُلَصِ فَاقْوُوا الْأَنَامَ بِأَشْرَفِ الْإِفْضَالِ
 إِنِّي أَحَاوِلُ أَنْ أَكُونَ مُعِينَكُمْ لَوْلَا مَوَانِعُ يَعْتَرِضُنِ حَوَالِي^(٢)
 لَوْ أَنَّ ذَاتَ يَدَيَّ اسْتَطَاعَتْ رِفْدَكُمْ مَا فَاقَ نَوْلُ الرَّافِدِينَ نَوَالِي^(٣)
 وَلَوْ أَنَّ أَيَّامِي تَجُودُ بِصَحْتِي مَا جَالَ أَقْوَى الْعَامِلِينَ بِجَالِي
 إِنْ لَمْ أَعْنَكُمْ بِالْفِعَالِ فَإِنِّي مَا زَلْتُ مِنْ أَعْوَانِكُمْ بِمَقَالِي
 فَالْيَكُمُ هَذَا الثَّنَاءُ مَخْلَدًا مِنْ مَادِحٍ فِي الْمَدْحِ غَيْرِ مَغَالِ

شاعر البشر

حَيْهَلْ يَا أَخَا مُضَرَ نَذَّرَ خَيْرَ مَذَّكَرٍ^(٤)
 نَذَّرَ شَاعِرَ الْبَشَرِ خَيْرَ مَنْ قَالَ وَافْتَكَرَ

حَيْهَلْ أَيُّهَا الْمَلَأَ نُحْيِي ذِكْرِي أَبِي الْعَلَا^(٥)
 شَاعِرِ شَعْرُهُ اجْتَلَى صُورًا كُلَّهَا غُرَّرَ

(١) الحومة : موضع القتال . والصيال والمصاولة : المنازلة في الحرب .

(٢) حوالى : حولى .

(٣) الرغد : العطاء . والنول والنوال : العطاء .

(٤) حيهل : اسم فعل أمر ، معناه : أقبل . وأخا مضر : هو من : ينسب إلى مضر . وهم من ولد إسماعيل . أما اليمينيون فأولاد يعرب بن قحطان . ولعل الشاعر هنا يريد جنس العرب مطلقا ، مع غض النظر عن أصولهم الأولى ، وآية ذلك أن القصيدة في الدعوة لذكرى شاعر البشرية الأكبر ، أبي العلاء المعرى ، وهو من تنوخ ، وتنوخ من قحطان ، لا من مضر . ونذكر أصله نذكر بذال مدغمة ، فأبدلها ذالا .

(٥) الملأ . أصله : الملأ ، وهو جماعة من الناس ، أو أشرف القوم وعليهم .

شاعر يملأ القضا نفسه صعبة الرضا
دونه كل من مضى دونه كل من غبر^(١)

هو بالفكر منذ سما كان من نوره العمى^(٢)
شاعر الأرض والسما شارق الشمس والقمر^(٣)

حلّ في ذروة الأدب آتيا منه بالعجب
لا تقل شاعر العرب إنه شاعر البشر

جعل الصدق ديدنا تاركا هذه الدنيا^(٤)
إن تنأى أو ادنى فهو للحق ينتصر

عبرى بشعره عالمى بفكره^(٥)
يعربى بنجره تشرف العرب إن ذكره^(٦)

-
- (١) من غبر : من يأتى فى المستقبل . وقد يكون غير بمعنى مضى ، فى غير هذا الموضع .
(٢) كان من نوره العمى : كان العمى سبب توقد ذكائه .
(٣) شارق الشمس والقمر : كاد يبلغهما سناء ومجدا .
(٤) ديدنا : عادة . والدنا : جمع دنيا ، أى أنه قال الصدق ولم يخش أهل هذه الدنيا ، لأنه لم يكن يرجو منهم نفعا يحمله على مدهانتهم ومراءاتهم بقول الكذب .
(٥) عبرى : منسوب إلى عبرى ، ينسب إليها كل شىء نفيس ، وقد زعموا أنها مدينة للجن بأرض اليمن . وعالمى : يعنى أنه لم يقصر شعره على ذكر العرب وحدهم ، وإنما تناول شعره بنى الإنسان عامة ، لأن آفاق فكره فسيحة ، فهو يسبح فيها ويخلق فى ذرها ، واصفا أحوال البشر ، مشيدا بفضائلهم ، ناعيا عليهم مخازيهم .
(٦) يعربى : منسوب إلى يعرب بن قحطان أبى عرب اليمن . والنجر والنجار : الأصل .

جعل الشعرَ وَحْيَهُ مُوقَظًا فِيهِ وَغْيَهُ
ما وَرَى فِيهِ وَرْيَهُ قَبْلَهُ كُلِّ مِنْ شَعْرٍ^(١)

* * *

خَطَّ سِفْرًا بِهِ ابْتَغَى غُنْيَةَ الرُّوحِ بِالرُّغَى^(٢)
جَامِعًا أَفْصَحَ اللَّغَا حَاوِيَا أَكْبَرَ الْعِبَرِ

* * *

حَكَّمَ الْعَقْلَ وَاجْتَهَدَ وَتَغَابَى عَنِ الْقَدَرِ^(٣)
هُوَ فِي الْقَوْلِ مَا اعْتَمَدَ غَيْرَ مَا ذَاقَ وَاخْتَبَرَ

* * *

شَعْرَهُ شَفَّ عَنْ دَهَا مَالَهُ فِيهِ مُنْتَهَى^(٤)
بِنِظَامٍ هُوَ النَّهْيُ وَحُرُوفٍ هِيَ الدُّرَرُ^(٥)

* * *

شَعْرَهُ شَعْرٌ مُتَّقِنٌ فِيهِ شُلُوكٌ لِمُوقِنٍ^(٦)
فِيهِ كُفْرٌ لِمُؤْمِنٍ فِيهِ إِيمَانٌ مِنْ كُفْرٍ^(٧)

* * *

نَفْسَهُ وَهِيَ ثَائِرَةٌ تَرَكَتْ (غَيْرَ خَاسِرَةٍ)^(٨)
كُلَّ دُنْيَا وَآخِرَةٍ وَنَفَتْ كُلَّ مَا اسْتَقَرَّ

- (١) « ما وَرَى فِيهِ وَرْيَهُ » أي لم يقدح شاعر زناد فكر ، ولا أتى بمنزل ما أتى به أبو العلاء من المعاني .
(٢) الرغى ، يضم الراء وفتحها : الحديث غير الصريح . « وخير الحديث ما كان لحنا » .
(٣) تغابى عن القدر : لم ينسب إليه شيئاً من إسماء الناس أو إشقيائهم . يقال : تغابى عن الشيء : إذا تظاهر بالغباء عن فهمه ، وهو في الحقيقة عارف له .
(٤) شف عنه : أبان عنه .
(٥) النهي : جمع نهية ، وهي العقل . يريد أن نظم أبي العلاء الشعر بحكم إحكامه لا خلل فيه ، كأن من العقل الخالص .
(٦) فيه شك لموقن : يريد أن بعض شعره مما يشكك الموقن في دينه .
(٧) يريد أن شعر أبي العلاء بعضه مما يكفر بقوله المؤمن ، وبعضه إيمان خالص ، فهو جامع لمظاهر تفكيره الطليق ، وتأمله الحر .
(٨) يريد أن ثورة نفسه جعلته لا يطأ حظاً في دنياه ولا آخرته .

جَمَلُ الْحَقِّ ذَوْقَهُ بِاذْلا فِىهِ طَوَقُهُ (١)
شَاعِرٌ لَيْسَ فَوْقَهُ شَاعِرٌ مِنْ بَنَى الْبَشَرِ

شَاعِرُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ هُوَ بِالْفِكْرِ مَذْ سَمَاءِ
أَبْصَرَ الْحَقِّ بِالْعَمَى لَمْ يَضِرْهُ عَمَى الْبَصَرِ

هُوَ بِالشَّعْرِ إِنْ شَدَا يَتَجَلَّى لَكَ الْهُدَى
مَدْرِكًا أَبَدَ الْمَدَى بِالْمَعْنَى الَّتِي ابْتَكَرَ

جَانِبَ النَّاسِ وَاعْتَزَلَ قَائِلًا إِنَّهُمْ هَمَلٌ (٢)
شَرُّهُمْ غَيْرَ مُحْتَمَلٍ خَيْرُهُمْ غَيْرَ مُتَقَطَّرٍ

دِينُهُمْ مِنْ رِيَاءِهِمْ وَهُوَ فِي أَغْيَابِهِمْ
لَيْسَ فِي أَذْكِيائِهِمْ غَيْرٌ مِنْ مَانٍ أَوْ مَكْرٍ (٣)

مَا بِهِمْ غَيْرَ حَاسِدٍ دَائِبٍ فِي الْمَسَاكِدِ
مُبْعَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْجَوْرُ إِنْ قَدَّرَ

كَوْكَبٌ قَدْ تَوَقَّداً فِي سَمَاءِ مِنْ الْهُدَى
عِنْدَ مَا غَمَّهُ الرَّدَى أَظْلَمَ الْجَوْ وَاعْتَكَرَ (٤)

(١) جمال وجدانه زائده في تمييز الحق عن الباطل من الديانات . وطوقه : طاقته واستطاعه .

(٢) الهمل من الحيوان : ما ليس له راع يحوطه ويرعاه .

(٣) مان من المين : وهو الكذب . والمكر : الغش والخداع .

(٤) غمه الردى : ستره الموت .

ليس للهوتِ عندهُ من تقاريعِ بعدهُ^(١)
إن عرا الحى ردهُ فاقد الحس كالحجرِ

* * *

فيه قد يأمن الفتى كل ما راع أو عتا
لا مصيف ولا شتا لا نعيم ولا سقر

* * *

نحن أسرى ذواتنا خشيةً من بماننا
كم وكم فى حياتنا مبتدا ما له خبر

ذكرى المآثر التيمورية

وهى من أواخر شعره

« لأحمد تيمور » مآثر لم تزل تشيرُ بتعظيمِ إليها الأنامل^(٢)
شوامخُ كالأطوادِ عاليةُ الذرا ولكنّها لا تعترّيهما الزلازلُ
تزيدُ على كَرِّ الجديدين جدّةً وتبلى الدواهي دونها والغوائل^(٣)
إذا ذكّرتُ فى القوم حلت لها الحبا

وقام لها جمعُ من القوم حافل^(٤)
هو العالمُ الخبرُ الذى كان علمه كأخلاقه فيه النهى والفضائل^(٥)
إذا لم يزن علمُ الفتى حسنُ خلقه فما هو فى شيء على الناس طائلُ

(١) تقاريع : كذا بالأصل المخطوط الذى بأيدينا ، وقد قرأ : تقاريع . وهى غامضة

(٢) المآثر : جمع مآثرة ، وهى ما يبنى ويروى خبره من المفاخر .

(٣) الغوائل : جمع غائلة ، وهى المهلكة . وفى الأصل المنقول عنه ، وهى جريدة « البلاد »
التي نشرتها القصيدة : الغوائل . ولعله تحريف .

(٤) الحبا : جمع حبة ، وهى ما يشده العربى رجله إلى ظهره من شمة أو عمامة أو نحوها ،
إذا جلس فى ندى قومه . وحل الحبا : كناية عن الاهتمام بالأمور ، يقال للشيء المهم : هذا أمر
تحل له الحبا . واجمع أخافل : الكثير العدد .

(٥) يريد أن علمه تتمثل فيه قوة العقل وأدب النفس .

به فقدت «مصر» العزيزة فاضلا له في مغانيها مَسَاعٍ فواضل
أقام بها ما فاقَ في الفضل نيلها خزانة كُتِبَ تَنْتَحِيها الأفاضل ^(١)
مناضدها لتأهين معالم ^(٢) وأسفارها للظامئين مَنَاهِل ^(٣)
إذا غَمَّ أَفُقُ العلم أبدت أثارة ^(٤) تقوم بها للحائرين دلائل ^(٥)
عليه سلامُ اللهِ ما هيبَ عالم ^(٦) وعيب ياهمال التعلّم جاهل
ولا برحت مصرٌ ينير لها الدجى رجال عظام من بنيتها أمثال
الأعظمية : ١٤ كانون الثاني سنة ١٩٤٥

أبو الطيب المتنبي

كان أبو الطيب امرأً قوله يبتكر الشعر مذكيا شُعله
صاحب نفس كبيرة شرفت فشرفت حله ومرتحله
كان هو الشاعر الذي انتشرت أشعاره في البلاد منتقلة
أوجد للشعر دولة عظمت به فعزت من قبله دولة
من كل معنى أغر موتلق في لفظة كالعروس في الحجله
وربما برق لفظه فبدت في شعره كل كلمة ثمله
وربما لم تبين مقاصده لأنها فيه غير مبتذله

• • •

فسائلن عن قريضه حلما كم قطقت من زهره خصله
خلد ذكرا لسيف دولتها أيام وشى بمدحه خلله

(١) تنتحيا : تقصدها .

(٢) مناضدها : جمع منضد ، وهو الخزان توضع عليه الكتب وترص . والمناهل : جمع منهل ، وهو مورد الماء .

(٣) غم أفق العلم : أظلم . والأثارة : البقية من الشيء ، كذا في جريدة « البلاد » ولعلماء معرفة عن إنارة . يريد إذا غام الأفق بالشبه ظهر منها نور يوضح أمام الحائرين .

فأعجب لسيف لم تبل جدته وشاعر بالمديح قد صقله

ليرحاز موسى مضاء عزيمته ما تاه في التيه عندما دخله
وهو الذي اجتازه ببيعمله تحمل منه الهيام لا التكله
قد بات كافور من جراتها على المواي بمهجة وجله
إذا عجزته بالسير عن طلب لا خيله تخشى ولا أبله
فسل به النيل يوم ناقته تغمرت منه وانتحت جبله
كيف أتى مصر كالعقاب لكي يبلغ فيها بشعره أمله
وكيف أحيا بالمدح أسودها ثم وشيكا بهجوه قتله

في شعره حكمة مهذبة وروعة بالذكاء مشتغله
ونعمة بالشعور صادحة وصنعة بالفنون متصله
قدرته في البيان واسعة ينيه فيها السؤال والسأله
إذا المعاني بشعره ازدحت ما ربكت في انتقامها حيله
كم شاعر قد قفى له أثرا وناقد راح يبتغى زاله
فأخفقوا عاجزين عن درك لبعض ما كلفه تيسر له

قل لابن عباد أي منقصة من أجلها كنت مكثرا عذله ؟ !
أمن شعره والعصور ما برحت تسعى بكل استجدادة قبله
لكننا رمت من مدائحهم ما لم تكن سالكا له سبله
طماعة منك غير واعية وهى لعمري حماقة وباله

أكبر من أكبر القريض به وأكبر القاتلين من قتله
يا فاتايه لو تعلمون به إذا قتلتم نفوسكم بدله
قتلتم الشعر والاحادة والأ — م — بداع يا الألم القتله
لستم بهذا القتل من بنى أسد بل أنتم فيه من بنى ورله

لم يزل الدهر بعد مقتله يضرب في الشعر للورى مثله
كان له عند كل بادهة بدائع في القريض مرتجله
يصطاد في الشعر كل شاردة من القوافي بفطنة عجيده
فلا تقسه بغيره أدبا ! وهل تقاس المطار بالتفلة !

كم شاعر يدعي وليس له من شعره غير منطق الحجله
ان أنت انشدت شعره هزءا رجعت منه كأكل البصله
ورب شعر اذا لفظت به من هجنة فيه تأنف السبله
الشعر معنى ألفاظه حسنت فنسقت في بلاغة جماله
وكأما قصرت قوالبه عن حسن معناه أوسعت خلاله
حسن المعاني بلفظها شوه كحسن حسناء ثوبها سماه

من ذاق في الشعر طعم معجزه فأحمد الشاعر الذي أكله
أى مقام هيجاءه احتدمت بالشعر يوما ولم يكن بطله
كان عزيزاً يأتى الهوان فما قر عليه يوما ولا قبله

إلى الجواهري

ما أوحته إلى قصيدتك

كتب المرحوم الشاعر معروف الرصافي تحت هذا العنوان القصيدة التالية ،
رداً على قصيدة للشاعر الأستاذ محمد مهدي الجواهري نشرها في صحيفة « البلاد »
وتقدم بين يديها هذه الكلمة :

أردنا — عندما نأغينا الشاعر العربي العجم الأستاذ « الرصافي » ، أن
يكون له شرف تذكره وهو في عزائه الموحنة . فكان لنا إلى جانب ذلك
أيضاً شرف ابتعاد شاعريته النذرة ، التي حالت حوائل المرض والامزال
و « النذرة » : دور تنم المعجزة في شتى الأقطار العربية بفتاحها .

أما وقد مرزنا الأستاذ الرضا الضائي نزعاً بعينه ، انتطوى على نفسه
ألماً وغضباً وكبرياء ، فليكن لنا شرف الاستماع إلى زهيره .

فليضم المتعنون بشعر الأستاذ « الرصافي » هذه التهمة الجديدة إلى
بحوثهم ، وهذه « الزفرة » الخارة إلى السلسلة « المقطوعة » من أخواتها .
وسلام على « عبس » الداعر المتمرس « بالأزلي » ، والفكر في
« الأخرى » هذا العيش « الحر الطليق » الذي خانتها كلمة « وفصلت »
في التعبير عن مقدار إعجابنا « بطبيعته » واحترامنا له ولصاحبه .

وسلام على الشعر « الرصافي » المتفتح نوره عن ذهن المشوب ، والفكر
الحار ، والنفس الحائرة ، والمستجيبة بفيضها ، والقلب المراج بالمواليف
الزاهرة ، والزاج بصاحبه في شتى المهادي .

ذلك « الشعر » الرصافي « الذي أعجبنا » لأنه لم يكن « حبلاً » مرغمة
« أوائله » التي تنقي والأوخوا . وذلك « العبس » « الرصافي » ، صاحبه
وحاضره المتراكم بعضه فوق بعض بدون « تنسيق » ولا « اختيار » بل
يوحي من « الفكر الحر » ، و « الصراحة » ، و « الجرأة » ، و « عبس
الطبيعة » ، وفي بعض الفترات منه يوحي « الضرورة » . وهذه هي عناصر
عظمته عند وفي هذا جواب « الاستعجاب » الرقيق .

قال الرصافي :

بك الشعرُ لا بى أصبحَ اليومَ زاهراً وقد كنتُ قبلَ اليومِ مثلكَ شاعراً
فأنتَ الذي أَلَقْتَ مقاليدَ أمرها إليه القوافي شُرّداً ونوافراً
إذا قُلْتَ شِعْراً قنته في بداعة فكانَ به المعنى بديعاً وناهما
وإن أنتَ أَطَلَقْتَ النفوسَ من الأسَى

بإنشاده يوماً أسَرَّتْ المشاعرا

بلغت من الإبداع أرفع ذروة هوى النجم عنها صاغرا متقصرا
وإنك أرقى الناطقين تكلم بحق وأنقى الساكتين ضمائرا
إذا شيء ظلمت للظلم رادعا وإن شيء حق قمت للحق ناصرا

• • •

أئن كنت تنمى للجواهر نسبة لقد كنت تحلو بالبيان جواهرها
فماك أب بالعلم شيد مجده وخلد منه في الزمان المآثرا
ومد من الآداب فيه سرادقا وأكثر فيه للبنيين المفاخرها
فلا عجب أن تنظم الشعر رائعا أنيق المعاني زاهى اللفظ زاهرا
وقد تبصر الماء الزلال به القذى فتغمض عنه بالإباء النواظرا
ما أوحته إلى قصيدتك :

ألا إني رغم انتباهي لم أزل بأكثر ما قد قلته أنت حائرا
تحدثت عن ماضٍ حديثا مجمعا كأنك فيه لم تكن لى عاذرا
وما كنت مختاراً كما أنت قائل من العيش مألولا ما كنت شاعرا
ولا اخترت عيشا بين مؤسقا ولا كنت فيما أبتغيه مشاورا
ولكن هي الأقدار تجري بغير ما يريد الفتى جريا على الأمر قاسرا
فتجعل ليث الغاب يتلو فراثا وتترك صقر الجوّ يخشى القنابرا
وكم أقدرت من كان في الناس عاجزا كما أعجزت من كان في الناس قادرا
وما المرء إلا مجبر في حياته وإن ظنّ فيها أنه كان خائرا^(١)
ولدنا وعشنا ثم متنا وكلّ ذا على غير إذن جاء بل جاء دامرا

• • •

أجل كنت من تين الحياتين آخذا بواحدة تأبى القسيم للغياب
وجاداني قوم بغير دراية ولست أبالي ذا العناد المكابرا

وَأَسْأَلُ قَامُنُنْ بِالْجَوَابِ تَفَضُّلاً
أَأَنْتَ الَّذِي فَضَلْتَ عَيْشاً مَعِيناً
فَصُرْتَ بِهِ فِي الْقَوْمِ شَاعِرَ مَجْدِهِمْ
إِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا مِنْكَ وَاقِعاً
عِلَامَ إِذْنٍ تَشْكُو وَشِكْوَالِكُ كُلِّهَا
وَمَنْ ذَا الَّذِي قَدَّعَاشَ فِي النَّاسِ رَاضِياً
وَلَوْ كَانَ عَيْشُ النَّاسِ وَفَّقَ اخْتِيَارَهُمْ
سُؤَالاً عَنْ اسْتَعْتَابِي الْخِلَ صَادِرَةً
لِنَفْسِكَ حَتَّى كُنْتَ فِيهِ الْمُشَاوِرَ
إِذَا قُلْتَ شَعراً جِئْتَ بِالشَّعْرِ سَاحِراً
فَقَدْ كُنْتَ فِي حَسَنِ اخْتِيَارِكَ مَاهِراً
كَشَكْوَايَ تُدْمِي بِالْبِكَاءِ الْحَاجِراً
وَمَنْ ذَا الَّذِي قَدَّعَاشَ فِي النَّاسِ شَاكِراً
لَمَا كُنْتَ تَلْقَى شَاكِياً أَوْ مُخَاطِراً

* * *

لَحَى اللَّهُ دُنْيَا كُلَّنَا مِنْ جَرَائِمِهَا
وَنَحْنُ مَدَى الْأَيَّامِ نَشْكُو بَعِيثِنَا
نَرَى وَاحِداً يَقْتَادُ أَلْفَا لَعِيشِهِ
وَلَوْ وُزِنَتْ أَعْمَالُهُمْ بِاقْتِدَارِهِ
فَمَا عَاشَ فِي مَحْيَاهُ عَيْشاً مُرَفَّهاً
شَقَاءٌ عَلَى كَرِّ الْجَدِيدِينَ آخِذاً
نَخْوِضُ الرِّزَايَا رَاكِبِينَ الضَّرَائِرِ
فَسَادَ نِظَامٌ يَجْعَلُ السَّكْدَ بَائِراً
وَيَنْظُرُ لِلْأَلْفِ الْمُسَخَّرِ سَاحِراً
لَسَكَانِ بِهَا كَيْنُونَةُ الصَّفْرِ شَاغِراً
مَنْ النَّاسِ إِلَّا مَنْ تَحْيَلُ مَا كَرَا
بِأَعْنَاقِنَا إِلَّا الْقَلِيلُ الْمَاكِرَا

* * *

وَمَا الشَّعْرُ بِالْحَبْلِ الَّذِي قَدْ ذَكَرْتَهُ
فَمَا الشَّعْرُ إِلَّا مِنْ بَرَقِ دَوَائِرِ
إِذَا لَمَعَتْ فَوْقَ الطُّرُوسِ فَإِنَّهَا
وَقَدْ بَرَأَ اللَّهُ الْعَوَالِمَ كُلَّهَا
نَرَى كُلَّ شَيْءٍ عَائِداً نَحْوَ بَدْئِهِ
لَكِنَّهُ بَرَقَ تَمْوِجَ دَائِرَا
تَدُورُ أَوَالِيهَا لِتَلْقَى الْأَوَاخِرَا
تَرُدُّ إِلَى التَّبَرِّ الْمَذَابِ الْحَاجِرَا
دَوَائِرُ فِيهَا حَارٌ مِنْ ظِلِّ فَاكِرَا
إِذَا نَحْنُ حَكَمْنَا النَّبَى وَالْبَصَائِرَا

* * *

إِذْنٌ لَمْ أَكُنْ فِي عَالَمِ الشَّعْرِ مُرَغَماً
نَعَمْ كُنْتُ فِي تِلْكَ الْأَمَادِيحِ شَاتِماً
لِأَوَّلِهِ حَتَّى يُبْلَقَ آخِرَا
زَمَانَا يُوَالِي كُلَّ مَنْ كَانَ جَانِراً

وكنْتَ بذاك المدح هاجياً وكنْتَ بذاك الشعر للشعر حاقراً
إذا الدر أُمسى كالسَّخَابِ مُخْفَرًا شددت به للنابحات سواجراً^(١)
وما العار في هذا على وإنما على من أضاعوا مجدهم والمفاخرا

الثناء المخالفة

ألا بلنوا عنى رسالة مُنْشِدٍ أبا الماجدِ النجلِ النجيبِ محمدٍ
رسالةً من لا يُنْشِدُ الشعرَ مادحاً به الناسَ إلا شاكراً غيرَ مُجْتَدٍ
ألا يا بن عيسى بنِ الهمامِ محمدٍ وأكرمَ من يُنمى لأكرمِ مُجْتَدٍ
سأقرض في شكرى ملك الشعر خالداً وأرسله نوراً به الناسُ تهتدي
أقْبِده بالمدح والمدح مطلقاً وأطلق فيه الحمد غير مقيّدٍ
أرجع في الإنشاد أنعامَ لحنه بصوت كصوت البلبل المتغرد
وأجعلهُ شعراً إذا ما تنوَّشت قوافيه يوماً أسكنت كلَّ مُنْشِدٍ
عليك به أثنى ثناءً مخفداً ومثلك أهلُ للثناء الخلد
وقنت من العُلياء في خير موقفٍ وشوهدت بالإحسان في خير مشهدٍ
وجددتُ مجداً غير بالٍ وإنما بمسعاك زادت جِدَّةُ المتجددِ

* * *

تفقدتني في العيشة الضنك منعماً فيالك في الإنعام من مُتَفَقِّدٍ
على حين قد أنسى الرجال زمانهم ذويهم ومن يختصهم بالتودد
ومدَّ أحابيل القطيعة بينهم وأقعدهم للشرِّ في كل مرصدٍ
وأغلى غلاء في المعيشة فاحشاً يروح به ذو الاحتكار ويفتدى

(١) السواجر : جمع ساجور ، وهو الفلادة التي توضع في عنق الكلب .

الرصاصى يقرض كماً بالاً للزهاوى

هذا كتاب فيه يتضح الهدى علنا فتسطح للعقول حقائق
يا ظلمة الشبهات والكذب انجلي فلقد بدا للحق (فجر صادق)

الأفول المشرق

أيها الأنجم التى قد رأينا عبرا فى أفولها كالشموس
إن هذا الأفول كان شروفا فى دياجير طالع منحوس
وسياتى الزمان منه بسعد تنجلي منه داحيات النحوس
شنقوكم ليلا على غير مثل ثم دسوا جسمكم فى الرموس
أفكانوا فى ظلمة الليل تجرا هربوا المال من جباة المكوس ؟
هكذا الخائف المريب يوارى فعلة السوء منه بالتفليس
شنقوكم لأنكم قد أبيتم أن تكونوا فى ربة الانكليس
فأستحقوا اللعن الذى كررته خاليات القرون فى ابليس
سيدى الزمان لعنا عليهم شائع الذكر فى بطون الطروس

* * *

أيها الأنجم التى تركتنا فى أسى من مصابها محسوس
فى سبيل الأوطان متم ففترتم بأجل التمجيد والتقدیس
وستبقى الذكري لكم ذات رمز هو تعظيمكم بخفض الرؤوس
وسيجرى احترامكم فى مجارى شرف خالد لكم قد موس
ان يوما به نعیم الینا يوم بؤس كحرب يوم البسوس
قد حكاها طولا وشؤما وبغيا وتلظ بحر نار الجوس

فيه أبدت منا الوجوه كلوحا في شحوب وغيرة وعبوس
إذ سكنا وفي القلوب ارتجاج مثل تيار لجة القاموس
وأطلنا عن الكلام سكوتا معربا عن نشيجنا المهموس
ووجعنا حزنا ورب وجوم يتأتى من صاحبات النفوس
برأت ذمة المروءة منسا ان نسي يوم شفقكم أو تنوسي

وقال هذه الأبيات مترجما

فيك يا أغلوطة الفكر حار فكري وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما رجحت إلا أذى السفر
رجعت حسرى وما وقعت لا على عـين ولا أثر
◻ ◻ ◻

يا واحد الذات كثير السعى ومن تجلى ظاهرا واحتجب
أنت لدى القرس تسمى خدا أنت تسمى الله عند العرب
◻ ◻ ◻

أول أنت ولكن أول ماله في سانح الفكر ابتداء
آخر أنت ولكن آخر ماله في راجح الحجر انتهاء

إلى طه الراوى

بأى سلام أم بأى تحية إليك أزين اليوم بدء خطابي
فإنك أهل للتحيات كلها وما أنا فيما أدعى بمحاب

إلى البطل عبد الكريم الريفى

أعبد الكريم وأنت البطل وفيك الرجاء وفيك الأمل
لئن قر سيفك فى غمسه فما ذاك من خور أو ملل
ولكم كما دهرنا قلب وأيامه من قديم دول
تهز البطولة أعطافها إذا ما جعلناك فيها مثل
سيخلد ذكرك فى الناهضين وثنى عليك الضبي والأسل

بداعة لا خلاعة

مثلت فى دلالها عريانه فأرتنى محاسنا فتانه
حيث طارحتها الغرام بيت بالمرايا قد زوَّقوا جدرانها
فكأنى وقد نظرت لمعراها من النور مبصر اسطوانه
وتجلى خيالها فى المرايا حاكيا من جمالها أعيانه
فتأملت فى تقاطيع جسم جعل الحسن كله عنوانه
ظالت أرنو إلى الجمال بعين يشتميه وتتقى هجرانه
فأريها من الغرام فنونا وتربى من حسنها افتانه
ثم أسامت للمليحة قلبا أوجب الحسن بالهوى إيمانه
وتتحدث موهج الحب حتى أصبح القلب صاليا معمعانه

* * *

هناك من وصفها وإن شئت فاعذر أو فلم تملك الغرام عنانه
هى غمازة الاحاظ لعب ذات دل ظانته لثامه
بضة ، نعمة ، ليس ، رداح غادة ، أحرورية ، بهنانه
ناهد النوداين مخطوطة المتنبين خود رجراجة وركانه

خدلة ساقها مبهمة الخصر كهاب ، براقه ، سيفانه
 ذات وجه كأنه بدر تم رقوام كأنه خوط بانه
 نو رآها كسرى الملوك تلخى ملكه تاركا لها ايوانه
 عقصت شعرها وقد زينته بحلى من تقارس مزدانه
 فحكى شعرها على الرأس تاجاً وحكت فى جلالها خاقانه
 وتدل قرط بالفتيمها رصمت فيه ماسة بحجانه
 فحكى قرطها بقرب الحيا زهرة الجو قارت زبرقانه
 وأظلت جبينها وهو صبح طرة غيبية ، فينانه
 فكان الجبين باقة نسر يسـن تلات من فوقها ريحانه

• • •

وقفت فى عـريانه فتقدمت إليها بذلة واستكانه
 فتمشت تخاماً وتنت وتلوت كأنها خيزرانه
 ثم صلت فأدبرت عن دلال ثم عادت فأقبلت عن بحجانه
 ولقد راعى وزاد فؤادى ولها ما رأيت تحت المانه
 ركبا ، كعبا ، عضوضا ، مصوصا ناشرا ، ذا بضاضة ورزانه
 مشرف السطح رابثا ذا انتصاب حامى الجوف ضنكه ، ريانه
 قد حكى كومة من الأولو الـ رطب وإن كان فائقا أثمانه
 نعمة العيش أترفته وأخلت أسكتيه من الأذى وعجانه
 عطر الريح قد تشممت منه إذ تشممت شذى أقحوانه
 وشربت الرحيق وهو تجاهى جاشم فاتخذته فنجانه
 لو رآه العنين يوما لأمسى مبرا من رخاوة وعنانه

• • •

شغفتنى تلك المليحة حتى علمتنى بكر الهوى وعوانه
سلسلت فى انقيادها بعد أن قد أظهرت لى تمنعا وحصانه
فدعتنى إلى الكفاح بغمز كمرتته من عينها الوسنانه
وغدت فى تجضمّ واعتلاج بشفاه وردية غيسانه
واضعا فاهى فوق فيها كل قد أمضى الضجيج منه لسانه
فخذت فى ارتهازها تتلكا بكلام لا تستتم بيانه
ثم قالت وقد ذوت متلاتها وشكت من فؤادها خفقانه
أطعن الطاعنين للضاد من بالضاد قد أنطقى الآله لسانه

فى دار النقيب

أما وقد طالع الرجاء يشع أنوار السرور
فى دار مولانا النقيب بوجه مولانا الأمير
فأذهب شأنك أيها اليأس الحميم فى الصدور

ماذا يريد المرجفون بكل بهتان وزور
من بعد ما بدت المنى للقوم باسمه الثغور
فى دار مولانا النقيب بوجه مولانا الأمير

ماذا يخاف القوم من ميل الزعانف للنفور
بعد اقتران النيرين الساطعين بكل نور
فى وجه مولانا النقيب ووجه مولانا الأمير

مد النقيب إلى الأمير يد المعاضد والنصير
فلينخر كل مشاعب في القوم يلهج بالشور
وليحى مولانا النقيب حياة مولانا الأمير

الحق المغتصب

مما كتبه إلى العلامة عبد الوهاب النائب بعد عودته النيابة
بمحكمة الشرعية .

قد أخذ الحق من اغصاب وعاد ممنوحاً إلى النائب
عالم بغداد وإنسانها والمنهل العذب إلى الشارب
تختلف الناس إلى فضله من ذاهب منهم ومن آيب
في علمه ووعظه تهتدي وتقتدى في رأيه الثاقب
وبالبشر قد لاحت أساريه بمجبة المطلوب وانطالب
زدار شرع الله مردانة في جانب تزهو إلى جانب
بعد ظلام دامس أرخوا أشرق شرع الله بالنائب

١٣٢٥ هـ

تحت تصوير النائب

بذ غاب عنا في المنية شخصه فانظر إلى تصويره من غائب
تلقى المعاني المعربات عن العلي في صورة لأبي الحسين النائب

إلى عبد الكريم العلاف

ومحب ذي أدب أتى مستنداً شعراً أنوّه فيه بالعلاف
فأجبتّه عبد الكريم محقق من شعره بقوادم وخوافي
فلسكم سمعت له قوافي جمة كانت لعمر الله خير قوافي



لارصافي عدة قصائد قالها في وصف ما شاهد في الآستانة من الحريق الذي يكثر وقوعه في تلك المدينة ، فرأينا أن تثبت تلك القصائد هنا على حدة تحت عنوان الحريقيات . فمنها القصيدة الآتية :

وقفه عند شراغان^(١)

أصبحتُ أعْدِلُ نَوَابًا وَأَعْيَانًا عَدْلًا كَنَارِ تَلَطَّتْ فِي « شَرَاغَانَا »
قَصْرٌ أَطْلَّ عَلَى الْبِسْفُورِ مَرْتَعًا إِلَيْهِ يَشْخَصُ طَرْفُ الْعَقْلِ حَيْرَانَا
ذَوِ زُخْرُفٍ يُبْهِجُ الْعَيْنَ الَّتِي نَظَرَتْ حَتَّى تَرَاهُ لَهَا نُورًا وَإِنْسَانَا
رَاقَتْ مَبَانِيهِ إِتْقَانًا وَهَنْدَسَةً مُسْتَوْفَا صَنْعُهَا مِنْ مَرٍّ عَجَلَانَا
كُلُّ الْقُصُورِ عَبِيدٌ وَهُوَ سَيِّدُهَا إِذْ كَانَ أَكْرَمَهَا صَنْعًا وَبَنِيَانَا
يَمْشَى الْمُهَنْدِسُ فِيهِ وَهُوَ يَنْظُرُهُ مَشَى الْمُقَيَّدِ يَسْتَقْصِيهِ إِمْعَانَا
يُضْمُّ كَفِيهِ لِلْإِبْطِينَ مِنْبَهْرًا مُقَلِّبًا فِي الْأَعَالَى مِنْهُ أَجْفَانَا^(٢)
عَرْشٌ بِهِ تَعْرِفُ النَّاسُ الْجَلَالََةَ إِذْ لَاحَ الْجَمَالُ عَلَى مَبْنَاهِ أَلْوَانَا
لَوْ كَانَ عَرْشًا لِبَلْقِيسَ لَمَا خَضَعَتْ لِلْأَمْرِ حِينَ أَتَاهَا مِنْ سَلِيمَانَا
فِيهِ الْحَوَادِثُ أُمْسَتْ وَهِيَ نَاطِقَةٌ بِاللِّسَنِ دَلَعَتْهَا فِيهِ نِيرَانَا^(٣)
فَلَوْ رَأَيْتَ وَقَدْ شَبَّ الْحَرِيقُ بِهِ وَالرِّيحُ تَصْفِقُ لِلنِّيرَانِ أُرْدَانَا^(٤)

(١) « شراغان » : قصر ملوكي على ضفة البسفور في الآستانة ، بناه السلطان عبد العزيز ، وهو أعظم القصور فخامة في الآستانة ، وأدقها صنعة وأبهجها منظرا . ويقال إنه صرف على بنائه ملايين . ولما أعلن الدستور العثماني اتخذ مجلسا للنواب ، وكان ذلك يسمى من أحمد رضا بك رئيس مجلس النواب ، فشب به الحريق ، وكان الرصافي في الآستانة ، فقال هذه القصيدة .

(٢) ضم اليدين إلى الإبطين : من علائم الحيرة والتعجب عند الإفرنج ، كما هو المشاهد منهم . والمعنى أن المهندس عند ما يمشي في هذا القصر تأخذ الدهشة من بدائع الصنعة فيه ، فيضم كفيه إلى إبطيه ، متعجبا مقلبا أجفانه في أعالي بنيانه .

(٣) أى أن الحوادث قد نطقت في هذا باللسن النيران ؛ ولسان النار : هو لهبها الذي يمتد على شكل اللسان . وقوله دلعته : أى أخرجتها . يقال دلع الرجل لسانه : أخرجته من فيه .

(٤) الأردن : جمع ردن ، وهو أصل السكم ، أو طرفه الواسع .

رَأَيْتَ مَلَكًا كَبِيرًا تَمَّ مُحْتَرَقًا يَذِيبُ مِنْهُ لَهَيْبُ النَّارِ عَقِيَانَا^(١)
طَالَتْ بِهِ أَلْسُنُ النَّارِ تَلَحُّسُهُ لَحَسَا يَدُكَ قُوَى الْبَنِيَانِ إِيهَانَا^(٢)

* * *

يَا دُرَّةً فِي ضَفَافِ الْبَحْرِ ضَعِيفَا قَوْمٌ وَكَانَ بِهَا الْبُسْفُورُ مَزْدَانَا
كَمْ قَدْ أَضَاءَتْ بِوَجْهِ الْبَحْرِ مَشْرِقَةً وَرَصَّعَتْ مِنْ رُيُوسِ الْهَضْبِ تَيْجَانَا
يَأْيِهَا الْقَصْرُ مَذَامُ سَيْتٍ مُحْتَرَقَا أَبَكَيْتِ فِي الْبَحْرِ أَسْمَاكَ وَحَيْثَانَا
لَمْ يَبْقَ مِنْكَ لَهَيْبُ النَّارِ بَاقِيَةً وَلَا لَدَى الْقَوْمِ أَبْقَى عَنْكَ مُلُونَا
مَعْلُولٌ مِنْ شَوَاطِئِ النَّارِ هَادِمَةٌ يَا لَلْعَجَائِبِ كَالْأَطْوَادِ جَدْرَانَا^(٣)
قَنَا أَمَامَكَ وَالنِّيْرَانِ صَائِلَةٌ تَذَكُّ مِنْكَ عَلَى الْأَرْكَانِ أَرْكَانَا
كَمْ هَدَّةٌ لَكَ بَيْنَ النَّارِ تَفْزَعُنَا حَتَّى نَخْلُكَ مِنْهَا صَرْتِ بَرْكَانَا^(٤)
يَهْتَزُّ فِيكَ لَهَيْبٌ حِينَ نَبْصُرُهُ نَهْتَزُّ بِالْحُزْنِ أَرْوَاحًا وَأَبْدَانَا
فَأَنْتِ تَمْلَأُ صَدْرَ الْجَوِّ أَدْخَنَةً وَنَحْنُ نَمْلَأُ صَدْرَ الْأَرْضِ أَحْزَانَا
مَا أَشْرَفَ الْقَوْمَ لَوْ كَانَتْ مَدَامَعُهُمْ مَطَافِنَا لَكَ تُجْرَى الدَّمْعُ غُدْرَانَا
وَيَلِ لِمُرْتَلِسٍ قَدْ قَامَ بِمَجْتَهِدَا يَسْعَى بِجَعْلِكَ لِلنَّوَابِ دِيْوَانَا
حَتَّى إِذَا كُنْتَ لِلنَّوَابِ مَجْتَمَعَا بَافَتْ عَوَاقِبُ ذَلِكَ السَّعَى خَسْرَانَا
لِلنَّارِ فِيمَكَ حَسِيسٌ كُنْتَ أَحْسَبُهُ ضَحَكًا عَلَى مَنْ بِسُوءِ الرَّأْيِ أَبْكَانَا^(٥)
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ قَلْبًا لَا يَطَاوَعُنِي أَلَّا أَكُونَ عَلَى الْأَوْطَانِ غَيْرَانَا
يَا قَوْمَ إِنْ بِصَدْرِ الشَّعْرِ مَوْجِدَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا سِتْرًا وَكُتْمَانَا
مَا بَالُ نَوَابِنَا أَمْسَوْا نَوَائِدُنَا إِذَا لَا يَبَالُونَ مَكْرُوهًا تَغْشَانَا

(١) الْعَقِيَانُ : الْذَهَبُ الْخَالِصُ .

(٢) اللَّحْسُ : لَعَنَ الشَّيْءَ بِاللَّسَانِ ، وَلَحَسَا : مَفْعُولٌ مَطْلُوقٌ ، وَالْجُمْلَةُ بَعْدَهُ : صِفَةٌ لَهُ . وَلِإِيهَانَا :
أَيُّ إِضْعَافًا ، تَمْيِيزٌ بِمَحْوُلٍ عَنِ الْفَاعِلِ ، وَالْأَصْلُ يَذِيبُكَ إِيهَانَهُ قُوَى الْبَنِيَانِ ، أَوْ هُوَ مَنْصُوبٌ بِزَعِ
الْحَافِظِ . أَوْ إِيهَانِ . (٣) الشَّوَاطِئُ : الْهَبُّ الَّذِي لَا دَخَانَ فِيهِ ، أَوْ حَرُّ النَّارِ .

(٤) الْهَدَّةُ صَوْتُ وَقَعَ جِدَارٌ أَوْ صَخْرَةٌ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ . وَالْبَرْكَانُ : جَبَلُ النَّارِ . وَهُوَ مِنْ مَعْرَبَاتِ الْمُؤَلَّدِينَ .

(٥) الْمُرَادُ بِالْحَسِيسِ هُنَا صَوْتُ اشْتِعَالِ النَّارِ وَتَلَهُّبِهَا .

أما كفى أنهم لم يعملوا عملاً
هم يطلبون قصورا يتعمون بها
ليس الجلوس ببهو القصر مفخرة
قد ضيعوا الحزم حتى إنهم ندموا
يعيش ذو الحزم مسرورا ومغتبطا
وأحزم الناس من إن نام بات له
أين الطريق إلى العلياء نسلكتها
لا الشعب يخلع أثواب الخمول ولا
الناس تسعى لدنيا نحن نهملها
حتى أرادوا اجتماعا في شراغنا
ونحن نطلب للأوطان عمرانا
لمن هم اليوم أشقى الناس أوطانا
على الذي كان منهم بعد ما كانا
وتارك الحزم لا يتفك ندمانا
طرف على حدثان الدهر يقطانا
فإننا لم نزل يا قوم عميانا
نوابه يلبسون الصدق قصانا
ما أسعد الناس في الدنيا وأشقانا

أم الطفل في مشهد الحريق^(١)

ما للديار تراءى وهي أطلال
كانت بها السمرات الخضر زاهية
ما بالها وهي أقفاص مبعثرة
هل هدد بنيانها من فوق صاعقة
بل قد عفتها ولم تترك بها أثرا
شب الحريق بها ليلاً مشيدة
أثارت النار في أطرافها رهجاً
حتى حكمت معركاً خرت بساحته
هل خف بالقوم عنها اليوم ترحال
واليوم لا سمر فيها ولا ضال^(٢)
تغير فيهن أبكار وآصال^(٣)
أو هدد بنيانها من تحت زلزال
ريح لها من لبيب النار أذبال^(٤)
فما أتى الصبح إلا وهي أطلال
من الدخان كأن النار أبطل^(٥)
صرعى بيوت وأموال وآمال

(١) هذه القصيدة قبلت في حريق شب في حارة الفاع من مدينة إستانبول . وهو حريق هائل اجتاح عدة حارات ، فتركها قاعاً صفصفاً .

(٢) السمرات : جم سمرة بفتح فضم : واحدة السمر ، وهو شجر من العضاء . والضال : شجر من السدر ، والمراد به هنا مطلق الشجر .

(٣) مبعثرة : أى مبددة ومقلوبا بعضها على بعض .

(٤) عفتها : درسناها ومحتها . (٥) الرهج : غبار الحرب .

دار السعادة أمست من تحرُّقها دار الشقاء وقد ضاقت بها الحال
ترنو إلى البحر ترجو نفع غلتها لحظاً المهجر إذ يبدو له الآل^(١)
تنهال كالرمل بالنيران أدورها حتى تكاد لها الأرواح تنهال
ياريح مهلاً فلا تدرى الرماد بها إن الرماد الذى تدرين أموال

* * *

قد رحت للحى مذعورا أئيمه ولى عن الزمر الباكين تسأل^(٢)
وفى العراض ديار القوم خاوية وفى الشوارع نسوان وأطفال^(٣)
جلسن والشمس فوق الرأس دانية وللغبار بعرض الحى تجوال
ولا خمار فيرددن الغبار به ولا يقيهن حرّ الشمس سربال
حتى وقفت وقلبي كله جزع وأدمعى لجج طورا وأوشال^(٤)

* * *

ما أنس لا أنس أم الطفل قائلة وفوق وجنتها للدمع تهطل
إني تجرّدت من دنياى حاسرة مالى سوى طفلى الباكي بها مال
أى امرئ بعد هذا اليوم ذى جدّة يعولنى حيث لا زوج ولا آل^(٥)
أودى الحريق بدار كنت أسكنها وكنت من بعضها للقتل أكتال^(٦)
واليوم أصبحت لا دار ولا وزر آوى إليه ولا عم ولا خال
إن الحريق خبت نيرانه ومضت وما خبت فى فؤادى منه أوجال^(٧)

-
- (١) المهجر : الذى يسير فى الهاجرة ، وهى نصف النهار فى القيظ خاصة ، وتكون شديدة الحر . والآل : السراب .
(٢) أئيمه : أقصده .
(٣) العراض : جمع عرصة وهى ساحة الدار ، أو كل بقعة ليس فيها بناء .
(٤) الأوشال : جمع وشل ، وهو الماء القليل .
(٥) ذى جدّة : ذى غنى : ويعولنى : يكتفل معيشتى . والآل : هنا بمعنى الأهل .
(٦) أى ذهب الحريق بدار كنت أسكن فى بعضها ، وأكرى الناس بعضها الآخر ، فأنتال بكرائها قوتى .
(٧) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .

يَا رَبِّ رُحْمَاكَ إِنِّي الْيَوْمَ عَاجِزَةٌ
يَا رَبِّ قَدْ ضَقْتُ ذَرْعًا بِالْحَيَاةِ فَمَا
عَمَّا دَهَا وَبَظَهَرِي مِنْهُ أَثْقَالُ
أَدْرِي حَنَانِيكَ رَبِّي كَيْفَ أَحْتَالُ

وعند ما قد شجاني من مقاتلتها
دنوتُ منها قليلاً وهي باكية
حتى وقفت وإيناساً لوحشتها
وقلت يا أختُ لا تستينسي جزعاً
أتجزعين ابتئاساً بين أظفرنا
مالي أراكِ بعين اليأس باكية
ألستِ من أمة أيدي الرجال بها
حتى لقد أصبحوا أبناء واحدةٍ
مستعصمين بحبلٍ من أخوتهم
أمسى التعاضد كالحصن الحصين لهم
فاستبشري اليوم فيما مس من ظمإٍ
وأن حقاك عَوَّلَ في مساكنهم

لفظ يقطعُه في البين إغوال
ومن بكأها بقلبي هاج بلبال
حنيتُ رأسي وَحَنِي الراسِ إجلال
فإنما الدهر إدار وإقبال
وكلُّنا عنك للبأساء حمال
كانَّ أمرُك عند القوم إهمال
قد فُكَّ عنهنَّ بالدستور أغلال^(١)
في المرزئات وهم في الحكم أشكال^(٢)
يسمو بهم للعلا فضل وإفضال
إذا تصادم بالأهوال أهوال
بأنَّ وردك عند القوم سَسْال
وما همُّمُ بأداء الحقِّ بُحَال

تلك التي قد شجنتني في مقاتلتها
فهل يُصدِّق قومي ما ظننت بهم
فالجِد يدرك مرماه البعيد فتى
وأكثر المال حمداً ما يُعان به
يا قوم هذي سبيل العُرفِ واضحة
ومن تَكُ الحال فيها لا تساعده

وكم لها في نساء الحى أمثال
حتى تقوم لهم في الجِد أفعال
رحبُ الذراعين طلق الكف مفضال
من عضهم من نيوب الدهر إقلال
فليمض فيها بكم وَخَدَّ وإِرقال^(٣)
«فليسعدِ النطقُ إن لم تسعدِ الحال»

(١) لا وقع هذا الحريق كانت المملكة العثمانية قريبة عهد بالدستور، ولهذا يقول أَلستِ من أمة الخ

(٢) وهم في الحكم أشكال : أى متشاكلون متساوون .

(٣) الوخد والإرقال : كل منهما ضرب من ضروب مشى الإبل .

ثالثة الاثاني (١)

فألها في الحريق الكبير الذي حدث في حارة إسحاق باشا من مدينة
إسطنبول ، وكان هذا الحريق ثالث حريق كبير حدث هناك في العهد الأخير .

قَعَدَتْ بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ تَنُوحُ^(٢) وَالطِّفْلُ يَجْذِبُ رُدْنَهَا وَيَصِيحُ^(٣)
تَبْكِي وَقَدْ ضَحَكَ الْحَرِيقُ بِدَارِهَا ضَحِيَتْ وَقَدْ قَلَصَ الظَّلَالُ فَوَجِهَا^(٤)
جَرَّ الْحَرِيقُ عَلَى الدِّيارِ ذِيولَهُ وَلَقَدْ وَقَفْتُ حِيالَهَا وَمَدَامَعِي^(٥)
فَقَدْ يُلَقِّنِي الْأَسَى مِنْ عَيْنِهَا لَحْظُ بَرْقَاقِ الدَّمْعِ سَبُوحِ^(٦)
يَا أَيْمًا أَجْرَى الْعُدَاةَ دَمُوعَهَا بَيْتٌ بِجَانِحَةِ الْحَرِيقِ مُجُوحِ^(٧)
لَا تَهْلِكِي جَزَعًا فَإِنْ بِيوتِنَا مَا لِلْمَلِمِّ بِأَهْلِهَا تَسْرِجِ^(٨)
أَعْلَيْكَ أَنْتِ تَضِيقُ كُلَّ دِيَارِنَا هَذِي وَأَكْثَرُهَا دِيَارٌ فَيَحِ^(٩)
فَاقِنِي عِزَّاءَكَ فَالْحَيَاةُ وَإِنْ أَرْتِ بَعْضَ السَّرُورِ فَكُلْهَا تَتَرَجِ^(١٠)
قَفْ بِالْديَارِ فَقَدْ أَنَاخَ بِهَا الْبَلَى وَانْظُرْ فَقَدْ قَرَعْتَ بِهِنَّ السُّوحِ^(١١)
نَزَلَ الْحَرِيقُ بِهَا فَشَتَّتَ شَمْلَهَا قَعَدَتْ عِرَاصًا وَهِيَ قَبْلُ صُرُوحِ^(١٢)
بَكَرَ الشَّوَاظُ بِهَا يَنْضَضُ أَلْسُنَا مِنْ هَوَلٍ مَطْلَعَهَا تَذُوبُ الرُّوحِ^(١٣)
نَشْرَ اللَّيْلِبُ عَلَى الْبُيُوتِ مُلَاءَةً حَمَاءَ تَصْفِقُ جَانِبَيْهَا الرِّيحُ

- (١) هذه القصيدة قيلت في حريق عملة « إسحاق باشا » في الأستانة ، وهو حريق كبير كالذي قبله .
(٢) قارعة الطريق : أعلاه أو معظمه ، وهو موضع قرع المارة .
(٣) ضحيت : أي أصابتها الشمس ، أو انكشفت بعد أن كانت في ستر . وقلم الظلال : أي أقبضت ، وذلك يكون في وقت الظهيرة . وفي وجهها تلويح : أي تغيير وسفع .
(٤) رقائق الدمع : هو الدمع الذي يتفرق أي يتحرك في العين ولا يسيل .
(٥) الأيم : المرأة التي فقدت زوجها . والجائحة : المنازلة العظيمة التي تحتاج المال ، أي تستأصله ، ومجوح : أي مستأصل ، وهو صفة لبنت . والمراد أنها أيكأها اجنياح الحريق بينها .
(٦) فيح : جمع فيحاء أي واسعة . (٧) فني : حفظ : وادخر . والتترج : الإحزان .
(٨) السوح : جمع الساحة . وقرعت السوح : أي خلت من الناحية .
(٩) بكر الشواظ : أي أتى بكرة . والشواظ : لهب النار الذي لا دخان فيه . وينضض ألسنا .
يحركها . والمراد بألسن الشواظ : ما يمتد على شكل اللسان .

فَتَعَبَّسَتْ مِنْهُ السَّمَاءُ وَأَمْطَرَتْ نَارًا وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُيبُ يُسِيحُ
وَعَلَى الدِّخَانِ عَلَى الْبُيُوتِ سَحَابًا بَرَقَ الْمِهَالِكُ بَيْنَهُنَّ لُجُوحُ
أَمَّا الشَّرَارُ فَكَانَ وَيلاً مُنْبِتًا نُوبًا بِرَأْحَةِ الدَّمَارِ تَفُوحُ
وَالشَّمْسُ قَدْ كُسِفَتْ بِجَوْنِ دَخَانِهِ وَبَدَتْ عَلَيْهَا سَفْعَةٌ وَكُلُوحُ^(١)

• • •

يَا قَوْمُ سَاءَ مُصِيرُكُمْ فَإِلَى مَتَى لَا تَسْمَعُونَ لِمَا يَقُولُ نَصِيحُ
هَلَّا أَخَذْتُمْ لِلْخُطُوبِ عِتَادَهَا كَيْلًا يَكُونُ لَهَا بِكُمْ تَبْرِيجُ^(٢)
هَذَا الْخَرِيقُ وَكُلُّ يَوْمٍ نَارُهُ تَعْدُو عَلَيْكُمْ تَارَةً وَتُرُوحُ
فَالنَّارُ مَا بَرَحَتْ تَفْوَهُ بِاللِّسَنِ ذُرْبُ وَإِنْ كَلَامُهَا لَفَصِيحُ^(٣)
لِمَ لَمْ تَعُوا مَا قَلَنْ قَبْلُ مَكْرَرًا أَوْ مَا كَفَاكُمْ ذَلِكَ التَّنْصَرِيحُ
نَحْنُ إِلَى نُوبِ الزَّمَانِ فَإِنْ أَتَتْ قَتَمٌ كَمَا يَتَمَلَّلُ الْمَذْبُوحُ
وَأَهْلَكُمْ أَذَى الْأُمُورِ وَفَاتَكُمْ نَظَرٌ إِلَى الْأَمْرِ الْقَصِيِّ طَمُوحُ
كَمْ فِي الْحَوَادِثِ مِنْ نَذِيرٍ قَدْ أَتَى فَيْكُمْ بِأَسْرَارِ الزَّمَانِ يَبُوحُ
أَمَّا الْخَرِيقَانِ اللَّذَانِ تَقَدَّمَا فَكَلَاهَا شِقٌّ لَكُمْ وَسَطِيحُ^(٤)
قَدْ أَنْذَرَاكُمْ بِالْخُرَابِ وَأَنْبَأَا أَنَّ التَّرَاخِيَّ فِي الْأُمُورِ قَبِيحُ
عَجَبِي إِلَى تِلْكَ الْمَصَائِبِ كَيْفَ قَدْ نُسِيتَ وَلَمْ تَبْرَأْ لَهْنِ جُرُوحِ
سَرَّعَانِ مَا تَنْسَوْنَ عُظْمَ مُصَابِكُمْ وَلَوْ أَنَّ شَقَّةَ مَنَهَاهُ طَرُوحُ^(٥)
لَا تَسْتَنِيمُوا لِلزَّمَانِ فَأَخَذَهُ خَلْسٌ وَقُوسُ الْحَادِثَاتِ ضَرُوحُ^(٦)

(١) بجون دخانه : أى بدخانه الأسود . وقوله سفعة : أى لون أسود مشرب بحمرة . وكُلُوح : أى عبوس واكفهرار .

(٢) عتادها أى عتدها . وتبرج : أى جهد وأذى شديد .

(٣) بالسن ذرب ، بضم فسكون : يقال لسان ذرب ، على وزن طرب : أى حديد .

(٤) شق بدون أل : علم لكاهن من كهان العرب ، كان فى أيام سطيح ، وسطيح : لقب لكاهن اليمن المشهور ، واسمه ربيع الدئى .

(٥) شقته منتهاه : أى مسافة منتهاه . وطروح : بعيدة .

(٦) قوس ضروح : أى شديدة الدفع والحفز للسهم .

ديوان الرصافي

الجزء الثاني

أتم شرحه وصححه

مطفى السقا

الأستاذ المساعد بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

الطبعة الرابعة

بها قصائد لم تنشر من قبل

١٣٧٣ = ١٩٥٣

مكتبة الطبع والنشر
دار الفكر العربي

obeykandi.com

obesity.com



الغبرة فما هي إلا خبوة ترقى بها.....

واصد ديقاه

فالها وهو في الآستانة ، عندما ما بلغه منعى
صديقه الشيخ محيى الدين الحياط في بيروت .

تفكرت في كنه الحياة فلم أكن
وكم بت فيها أخبط الليل راميا
فلا أهتدى من أمرها لمقدم
على أننى مهما تقدمت نحوها
وهبها كما قد قيل أحلام نائم
تأملت آثار الحياة فلم يلح
سوى أننى آنست شعلة قابس
فبيننا سناها يبهج العين لامعا
فما هى إلا خبوة ترمى بها
كذلك محيى الدين إذ غاله الردى
عليك العفا بيروت هل لك بعدها
فقي كان ركنا فيك للعلم والحجاء
فقدنا به صلت الجبين مهذبا
لقد عاش شيخا في العلوم مقدما
وما مات من أبى طيب الثنا
نعا لى الناعى فكان كأنه

لأزداد إلا حيرة في تفكرى
إليها بلحظ الطارق المنور^(١)
ولا أتهى من أمرها لمؤخر
رجعت رجوع الناكص للتهقر
أما فى بنى الدنيا لها من مبرر
لعينى منها وجه ذاك المؤثر^(٢)
توقد فى مستن هو جاء صرصر^(٣)
أنته كقطع الليل هبوة معصر^(٤)
إلى ظلمات صبحها غير مسفر
فأطفأ منه نيرا أى نير
قضى فيك محيى الدين من متصبر
وغرّ التوافى والكلام الحبر
كريم سجايا النفس عف المؤزر
فما ضره أن مات غير معمر
لدى الناس من باد ومن متحضر
لدى نعيه أهوى إلى مخنجر

(١) خبط الليل : سار فيه على غير هدى . والطارق : الآتى ليلا . والمنور : الذى يمد بصره
لعله يرى نورا بالليل .

(٢) القابس : طالب النار . والمستن : الطريق الواضح . والهوجاء : الريح العاصفة التى لا تستوى
فى هبوطها . والصرصر : الشديد البرد ، أو الشديد المبوب .

(٣) الهبوة : القبار تثيره فى الجو الريح الشديدة . والمعصر : الريح ذات الأعاصير .

ولو لم يكن شدى الحيازيم دونه خربت كما خرَّ الصريع لَمَنْخَرٍ^(١)
 خاليت عوجا بنى على قبرٍ ماجدٍ بيروت يحوى كل فضل ومفخر
 قفا نحتقِر دمعَ العيون تجملةً لمن فيه من ذاك الجليل الموقر
 ونندب في ملحوده المجد والعلی ونسقيه غيثَ الدمع من كل محجرٍ^(٢)
 عسانا بذا نقضى له بعض حقه وإن حلَّ أن يُقضى بدمع محقر

في الملكوت الأعلى

فالها وهو في الآستانة يرثي بها محمود شوكت باشا
 الصدر الأعظم ، الذى قتله أناس من حزب الخائفين .
 لقد بت مطروف النواظر بالشهد تقبلى فوق الفراش يدُ الوجد
 تُساورنى رَقْشَاء من لاجعِ الجوى ويقدح فى قلبى الأسى وارى الزند
 فأرقب تغويرَ النجوم بمقلة ترققُ فيها الدمعُ منفطرَ العقد
 أقول وفرعُ الليل أسحُم والأسى يدب ديب السّم فى العظم والجلد^(٣)
 متى يسفرُ الصبح الذى أنا راقب أليس قميص الليل عنه بمنقذ
 إلى أن رأيت الفجر قد لاح خيطه كما أصلت السيفُ الجُرازُ من الغمد^(٤)
 فما أنا إلا غفوة خيالة لدى العالم العلوى فى ربوة الخلد

رأيتُ كأنى قتت حول سُرّادقٍ من النور مرفوع الدعائم ممتدّ
 أقاموا لواء الحمد فوق عماده وخطّوا على حافاته سورة الرعد
 وقد أشرقت ملء السموات حوله قناديلُ خضرٍ تستنير بلا وقد
 وقد لاح لى محمود شوكت جالسا به فوق كرسى الجلالة والمجد

- (١) الحيازيم : جمع حيزوم ، وهو وسط الصدر . والمنخر : الأنف .
 (٢) اللجود : المدفون ، أى الميت وبحجر العين : العظم النائر بها .
 (٣) الفرع : الشعر . والأسحُم : الأسود . وصف الليل بالسواد ، فأتى له بالشعر لسواده
 (٤) الجراز السيف القطاع .

وفي يده سيفٌ أجيدٌ صقاله
وفي الرأس تاجٌ بالثناء مرصع
وقد جمَلته بردةٌ سندسية
وبين يديه زُمرَةٌ من ملائِك
تُهَنِّئُه بالفوز طوراً وتارة
وقد قام من حول السراق موكب
على أنه من صنعة الله لا الهند
فُوَيْقُ جبينٍ مشرق بسنا الجند
ومن تحتها درع إلهية السرد
مجنحة الأيدي غرائقة مُرد^(١)
تحميه بالفض الطرى من الورد
عظيم به اصطفت ألوف من الجند

* * *

فلما رآني واقفاً بحيالهِ
أشار أن أقرب يا رُصافي مالنا
فجئت وجسمي قد تغشته رجفة
فقممت لديه وانحنيت أمامه
فقال لقد آنست إذ جئت إنا
ولا ترتجف هوّن عليك فإمّا
فأبلغ تحيأتي إلى الوطن الذي
وقل لبنيه إني لست حاقداً
وإني لمّا أن تمثت قائماً
طلبت لهم عفواً من الله سابقاً
ويا رب إني قد قصدت نجاحهم
وإني لأرجو منك مرّجة لهم
فإني أرى موتي بخدمة أمتي
ألا فاهدم يا رب للمجد والعلی

وقد كنت بين الجند معتزلاً وحدي
نراك وحيداً قد وقفت على بُعد
كما يرجف المقرور من شدة البرد
فقبّلت بالنعظيم حاشية البرد
عهدناك في زورانا مخلص الود
نزات قرين الأمن في منزل السعد
سعيتُ إلى إعلائه باذلاً جهدي
عليهم فثلي لا يميل إلى الحقد
بديوان ذي العرش الذي جلّ عن ندي
وقلت له يا رب لا تُخزهم بعدى
فحقّق لهم يا رب ما كان من قصدي
وإن قتلوني ظالمين على عمد
حياةً به طعم الشهادة كالشهد
فما من مُضلّ في الأنام لمن تهدي

(١) الغرائقة : ج غريق ، وهو الشاب الأبيض الجميل .

وقال أتدرى من همُّ الجند إنهم
 من استشهدوا في حرب أعدائنا اللدِّ
 ألم ترهم دامين حتى كأنما تسربل كلُّ لبدة الأسد الورْد^(١)
 فسوف بحول الله أرأب صدعهم
 وأغزو العدا فيهم على الضمر الجرد^(٢)

* * *

وأذن في الحى المؤذن غُدوةً فأيقظنى التكبير من سِنَّة الرِّقْد
 فقامت وبنى من خشية الله رعدة
 وأحسست من رؤياى برِّداً على كبدى
 وأصبحت لم أملك بوادى عبدة
 سابكى وأستبكي الجيوش على فتى
 فقدناه فقد الغيث فى الزمن الصلْد^(٣)
 فتى كان فى أفق الوزارة كوكبا
 به فى دجى الخطب الخلافة تستهدى
 وقد كان فى وجه الخطوب تبسماً
 إذا عبست يوماً بأوجهها الرُّبْد^(٤)
 وما مات محمود الخصال وإنما
 تنقل من هذا الفناء إلى الخلد
 لمن غيبت عنا مراكبه فى الثرى
 فما غيبت عنا معاليه فى اللحد
 وما هو إلا السيف قد كان مُصَلَّتاً

على الدهر وهو اليوم قد قرَّ فى الغمْد
 سبقت له الذكر الجميل مؤبداً تمرُّ به الأيام حالية الأيدى

(١) الورْد : الأحمر من الأسود ، وهو شجاع جرىء .

(٢) رأب الصدع : أصلحه . والضمر : الخيل اللطيفة الجسم ، المحضية البطن . والجرد : القليلة الشعر

(٣) الصلْد : الصلب الأملس ، أو الأرض التى لا تنبت شيئاً ، ويعنى به الزمن الشديد .

(٤) الربْد : جمع أربد ، وهو المغير اللون .

والحمد لله

قيلت في رثاء محمد فوزى باشا العظم وكان موته فجأة .

أَيُّ خَطْبٍ دَهَا رُبُوعَ الشَّامِ يَوْمَ أَمَسْتُ تَبْكِي بِطَرْفِ دَامٍ
وَبَائِيَّ الْأَمَى رَمَتْهَا اللَّيَالِي فَكَتَسْتُ لِلْحِدَادِ ثُوبَ ظِلَامِ
إِنْ تَكُنْ أَفْجَعْتُ بِشَهْمِ بَنِي الْعَظَمِ فَأَعْظَمُ بِخَطْبِهَا الْمَتْرَامِ
ذَلِكَ الْمَاجِدُ الَّذِي أَدْرَكَ الْجَسَدَ بِأَيْدٍ إِلَى الْعِلَاءِ سَوَامِ
سَلِّ دِمَشْقًا تَجْبُكُ عَنْ شَيْمٍ فِيهِ تَعَالَتْ عَنْ أَنْ تَزْنَ بِدَامِ (١)
قَدْ بَكَتْهُ شَجَوًا بِسَهْمِ عَيُونٍ فِي رَبَاهَا تَجُودُ بِالتَّسْجَامِ
وَرَثَتْهُ بِاللُّسْنِ مِنْ مَحَالِيهِ حَدَادٍ تَقْلُ حَدَّ الْحَسَامِ
فَقَدْتُ مِنْ مُحَمَّدٍ خَيْرَ نَدَبٍ ذَائِدٌ عَنْ حِيَاضِهَا وَحُمَامِ (٢)
وَعَدْتُ تَشْتَكِي إِلَى بَرَدَاهَا مِنْ أَحَرِّ الْأَسَى أَحَرَّ الْأَوَامِ (٣)
لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ سَاعَةً أَوْدَى مِنْ كَرِيمٍ غَمَّرَ الرِّدَاءُ نُهَامِ
إِنْ قَلْبِي قَدْ اسْتَطِيرَ بِمَنْعَا هِ اخْتِطَافًا بِمَنْسِرِ الْآلَامِ
فَكَاَنَّ النَّاعِي لَدَى النَّعَى أَهْوَى نَحْوِ قَلْبِي بِمُرْهَفِ صُمَامِ
قَدْ فَقَدْنَا مِنْهُ خَلَائِقَ تَحْكِي زَهْرَ الرُّوْضِ غِيبَ صَوْبِ الْغَمَامِ (٤)
يَا أَبَا خَالِدٍ وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ مَعْدَّةٍ لِمَقَامِ
إِنْ تَكُنْ هَالِكًا فَكَمْ لَكَ ذَكَرٍ فِي الْعُلَى خَالِدًا مَدَى الْأَيَّامِ
خَطَفَتْ عَمْرَكَ الْمُنُونُ اخْتِلَاسًا كَاخْتِلَاسِ الْمَنَى يَدُ الْأَوْهَامِ
فَكِدَانُ الْمُنُونِ خَافَتْ عَلَى تِلْكَ الْمَعَالَى ذَبُولَهَا بِالسَّقَامِ
فَلِذَا أَحْرَزْتَكَ غَضًّا طَرِيًّا وَكَذَا كَمْ يَكُونُ مَوْتُ الْكَرَامِ
فَسَقَى اللَّهُ تَرَبَةً أَنْتَ فِيهَا ثُوبَ وَطْفَاءٍ مِنْ غَوَادٍ هَوَامِ

(١) تزن بشيء : تنهم به ، والدام : العيب . (٢) الندب : السريع إلى الفضائل .
(٣) بردي : نهر يدهشق . والأوام : العطش . (٤) غيب : يهد ، وإثر . والصوب : المطر .
(٥) الوطفاء : السجاية المسترخية لكثرة ماها . والغوادي : جمع غادية وهي السجاية تنشأ
غدوة . والهواي : جمع هامية ، وهي المطرة .

واسـيخاه !

أزمتَ عنا إلى مولاكَ ترحالاً لما رأيتَ مُنَاخَ القومِ أوحالاً
 رأيتنا في ظلامٍ ليس يعقبُهُ صبحٌ فشمّرتَ للترحالِ أذبالاً
 كرهتَ طولَ مقامٍ بينَ أظهورنا بحيثَ تبصرنا للحقِّ خُذالاً
 ولم تَرُقْ نفسُكَ الدنيا ونحنُ بها لسنا نؤكدُ بالأفعالِ أقوالاً
 وكيف تحلو لدى علمِ إقامته في معشرٍ صحبوا الأيامَ جهالاً
 لذلك كنتَ اعتزلتَ القومَ منفرداً حتى أقاربك الأذنين والآلا
 وما ركنتَ إلى الدنيا وزُخرفِها ولا أردتَ بها جاهاً ولا مالاً
 لكن سلكتَ طريقَ العلمِ مجتهداً تهدي به من جميعِ الناسِ ضلالاً
 (محمود شكري) فقدنا منك خبرَ هُدًى

للمشكلاتِ بحسنِ الرأيِ حلالاً

قد كنتَ للعلمِ في أوطاننا جبلاً إذا تُقسّمَ فيها كان أجبالاً
 ومجرَ علمٍ إذا جاشتِ غواربُهُ نقاذفَ الدرِّ في لُجِّيهِ مُنْهالاً
 يا من بشوّالٍ قد شالتِ نعمامته نغصتَ بالحزنِ شهرَ العيدِ شوالاً^(١)
 أعظمَ برزتك في الأيامِ من حدّث هزتَ علىَّ به الأيامَ عسلاً^(٢)
 أمستَ لروعته الأبصارَ شاخصَةً أمّا القلوبُ فقد أجفانُ إجمالاً
 طاشتِ حصاةُ العلالِ لما نُعيّتَ لها وكلّ ميزانٍ علمٍ بالأسى شالاً
 إذا نعيك وافي (مصر) منتشراً جثا (أبوالهول) يشكو منه أهوالاً
 وإن أتى البيتَ (بيت الله) رُجَّ به

وأوجس (الركن) من منعاك زلزالاً

أما (العراق) فأمسى (الرافدان به)

سَطْرين للدمع في خديه قد سالاً

(١) شالت نعمامته : مات .

(٢) العسال : الريح المهتزّ لينا .

بكي الوري منك حَبْرًا لا مثيل له
 بكَوْكَ حتى قد احمرت مدامعهم
 ولو لفظنا لك الأرواح من كَدِّ
 ولا نخصَّص في رزء بتعزية
 فإن رُزءك عمَّ الناس قاطبة
 شكر الأقاليم الثلاثي كشفت بها
 كتب في العلم أسفارًا سيدرسها
 أمددتها بمداد ليس يعقبه
 وكنت أنت بطاسي العلوم بها
 يا مطلقا في سماء الفكر أنجمه
 لو أنني بلغت زهر النجوم يدي
 ما غرَّ من بعد ما خلدت من كُتُب
 إذا ذكرناك يوما في محافلنا
 إني أخفُّ لدى ذكراك مضطربا
 لأشكرناك (يا شكرى) مدى عُمرى
 فأنت أنت الذى لقنتنى حكما
 أوجرتنى من فنون العلم أدوية
 فصحَّ عقلى وقبلا كنت مُشْتَكِيَا
 أنا المقصر عن نعمائك أشكرها
 فاعفر عليك سلامُ الله ما طلعت

أقواله ضربت في العلم أمثالا
 كأنهم نضحوا فيهنَّ جريالا
 لم تقص من حَقِّك المفروض مثقالا
 إلا علوما أضاعت منك مفضالا
 يا أكرم الناس أعماما وأخوالا
 عن أوجه العلم أستارا وأسدالا
 أهل البسيطة أجيالا فأجيالا
 دمع الأنام وإن يبكرك أحوالا
 وكن في سَبْرٍ جرح الجهل أميالا^(١)
 تهدي إلى العلم رُحالا وقُتالا
 نحتها لك بعد الموت تمثالا
 ألا نرى لك بين الناس أنجالا
 قنا لذكراك تعظيما وإجلالا
 وإن حملت من الأحران أثقالا
 وأبكينك أبكارا وآصالا
 بها اكتسيت من الآداب سربالا
 شفت من الجبل داء كان قَتالا^(٢)
 من علة الجبل أوجاعا وأوجالا
 ولو ملأت عليك الدهر إعوالا
 شمس وما ضاء بدر الليل أولالا

(١) أوجرتنى : سقبتنى .

(٢) الأميال : جمع ميل ، بكسر الميم ، وهو عويد صغير من زجاج يسير به عمق الجرح .

في موقف الأسمى

لمن تركت فنون العلم والأدب أما خشيت عليها من يد العطب
تلك المدارس قد أوحشتها فعدت خلوا من الدرس والطلاب والكتب
ما إن تركت لها في العلم من وطير ولا لمنتابها في الدرس من أرب
إن (الألوسى) محمودا عرته لدن لا قالك (محمود شكري) خفة الطرب
فاهتز لابن أب في قبره وغدا يبدى الحفاوة خيرا بن خير أب
بحرين في العلم عجّاجين قد ثويا فانصب مضطرب في جنب مضطرب
من فخر أزماننا في العلم أنهما علّامتا هذه الأزمان والحقب
عليك (شكري) غدت شكري مدامنا

تكفيك أدمعها السقيا من السحب

ما كنت فخر (الألوسيين) وحدهم

بل كل من ساد من صيابة العرب^(١)

ولا رزأت النهى والعلم وحدهما بل قد رزأت صميم المجد والحسب

ولم يخص الأسي دارا نعت بها بل عم مبتعدا من بعد مقترب

من العراق ، إلى نجد ، إلى يمن

إلى الحجاز ، إلى مصر ، إلى حلب ،

لقد ترحلت في يوم بنا انقلبت حوادث الدهر فيه شرّ منقلب

حتى تقدم ما في القوم من ذنب فصار رأسا وصار الرأس في الذنب

وبات يحسو الطلا بالكأس من ذهب

من كان يشرب رنق الماء بالعلب^(٢)

(١) صيابة القوم : لبابهم وخيارهم .

(٢) الطلا : الحمر . ورنق الماء : الماء الكدر .

فأذهب نجوت رعاك الله من زمن من عاش فيه دعا بالويل والحرب
تستثقل الصدق فيه أذن سامعه وتطرب القوم فيه رنة الكذب

واخير قد ضاع حتى إن طالبه

لم يلق منه سوى المسطور في الكتب
أما الرجال فنار الشر موقدة
فيهم وهم بين نفاق ومحتطب
لكن تراوغ بين الجد والاعب
تلق القوارص فيها ذات مضطخب
ما شد منها بهم عن خطة الأدب
كأنا الشتم مدعاة إلى الطرب
كما استلذ بحك الجلد ذو جرب
كأنهم غير مخلوقين من عصب
كأنما القوم منجورون من خشب
يذرفن منسكبا في إثر منسكب
وأى نفس لداعى الموت لم تجب
من فاته السيف منهم مات بالوصب

هذى جيوش الردى في الناس زاحفة

لكنهن بلا نفع ولا لجب
بين الدواء وبين الداء معترك
والناس فيه عتاد للحمام فلا
وإن للموت أسبابا يسبها
لا يخلق الله مخلوقا يحول به
ولا يميت بلا داء ولا سقم

وليس ذلك من عجز بخالقنا عن أن يَرْجِّحَ بنا في قبضة الشَّجَبِ (١)
لكنَّه جعل الدنيا مسبَّبة لكل أمرٍ بها لا بد من سبب

* * *

يا من إذا ما ذكرناه تقوم له على الأخامص أو نجتو على الركب (٢)
لقد تركت يتيم العلم منتجبا والكتب راثية منه لمنتجب
إن كنت في هذه الدنيا لمتقطعا إليه عن كل موروث ومكتسب
أعرضت عنها مُشِيحا غير ملتفت إلى المناصب فيها أو إلى الرتب
أولعتَ بالعلم تنميه وتجمعه منذ الشباب وما أولعت بالنشب (٣)
فعمشت دهرًا حليف العلم تنصره حتى قضيت فقيد العلم والأدب

ذكرى الرجال من حياة الاءمم

أراد شبان فلسطين أو يقيموا حفلة تأبين لروحي بك الخالدي ، وكان
الرصافي إذ ذاك في القدس ، فطلب إليه أحد أصدقائه ، وهو عادل أفندي
جبر ، أن ينشد في الحفلة المذكورة ما يناسب المقام ، فقال هذه القصيدة :

لعمرك لو كانت حديدا جسومنا لأبْلَتْهُ من كَرِّ اللَّيْلِ إلى مَبَارِدُ
فكيف ولسنا بالحديد وإنما جوارحنا هذى الدماء الجواسِدُ (٤)
إذا ما افْتَكِرنا بالحياة وأصلها وغايتها هانت علينا الشَّدائدُ
وماذا عسى يُجِدِي التَّوَجُّعُ والأسى من الموت إذ كلُّنا على الموت وَّارِدُ
نُعِينُ منايانا علينا بحزننا فيقرب من آجالنا المُتَبَاعِدُ
وليس برزء أن نرى المرء هالكا إذا حَيَّيت بالذكر منه المحَامِدُ
بل الرزء كل الرزء أن يذهب الفتي وليس له من بعده الدهر حامدُ

(١) الشَّجَب : الهلاك .

(٢) الأخامص : جمع أخمص ، وهو ما لا يصيب الأرض من باطن القدم .

(٣) النشب : العقار ، أو المال الآصيل .

(٤) الجواسد : الدماء اليابسة .

ويُدفن في التُّرب اسمه دَفِنَ جِسْمِهِ
ومن تقن بعد الموت آتَارُ مجده
فَتَّى أَعْدَتْ مِنْهُ الْمُنُونُ مَهْنَدًا
يُعَدُّ بِأَلْفٍ مِنْ رِجَالِ زَمَانِهِ
لَقَدْ بَقِيَتْ لِلخَالِدِينَ بَعْدَهُ
وَكَمْ حَبَّرَتْ أَقْلَامُهُ مِنْ صَحَائِفِ
نَمَاهُ إِلَى الْمَجْدِ الصُّرَاحِ مُتَمِّمَا

فَلَمْ يَتَفَقَّدْهُ مِنَ النَّاسِ فَاقِدُ
فَأَثَارُ رُوحِي الْخَالِدِيَّ خَوَالِدُ
وَأَيُّ حُسَامٍ مَالَهُ الدَّهْرَ غَامِدُ
عَلَى أَنَّهُ فِي الْأَلْمَعِيَّةِ وَاحِدُ
مُنَاقِبُ غُرِّ دُونِهِنَّ الْفَرَاقِدُ^(١)
بِحَيْدِ الْعَلِيِّ مِنْ دُرِّهِنَّ قَلَانِدُ
بِهِ فُخْرُهُ السَّيْفِ الْإِلَهِيِّ خَالِدُ

* * *

دَعَانَا ابْنُ جَبْرِ أَنْ نُلَمَّ بِذِكْرِهِ
فَقَمْنَا لَذِكْرِي مَجْدَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ
وَنَسْتَشْهَدُ الدُّنْيَا عَلَى حَسَنَاتِهِ
وَإِنِّي وَإِنْ لَمْ أَحْظَ مِنْهُ بِرُؤْيَا
أَلَا يَا ابْنَ جَبْرٍ أَنْتَ أَيْقَظْتَ لِلْعَلِيِّ
فَقُلْتَ اذْكُرُوا يَا قَوْمَ فَضْلَ رِجَالِكُمْ

لَدَى مُحْفِلٍ قَدْ ضَمَّنَا وَهُوَ حَاشِدُ
نُبَاهِي بِهِ أَحْيَاءَنَا وَنَمَاجِدُ
وَقَدْ كَثُرَتْ فِيهَا عَلَيْهَا الشُّوَاهِدُ
لَيْشْهَدَ لِي مِنْ (عَادِلٍ) فِيهِ شَاهِدُ
عَوَاطِفَ كَانَتْ وَهِيَ فِينَا رَوَاقِدُ

وَسِيرُوا عَلَى آثَارِهِمْ وَاهْتَفُوا بِهَا
فَفِي الْغَرْبِ أَمْوَاتٌ أُقِيمَتْ لَذِكْرِهِمْ
أَعَادِلُ قَدْ أَنْهَضَتْ لِلْعِلْمِ جُثْمًا
أَقَمْتَ لَذِكْرِي الْخَالِدِيَّ مَقَامَةً
وَجَاهَدْتَ فِي إِنْهَاضِ حَيِّ بَمِيَّتِ
ذَكَرْتَ مَزَايَاهُ وَذَكَرْتَنَا بِهِ
فَسَعِيكَ مَشْكُورٌ وَرَأْيُكَ صَائِبُ

لِيَنْشَطُ كَسْلَانُ وَيَنْهَضُ قَاعِدُ
تَمَائِيلُ فِي كُلِّ الْبِلَادِ أَوَابِدُ^(٢)
فَأَنْتَ لَنَا فِي نَهْضَةِ الْعِلْمِ قَائِدُ
بِهَا حَسُنْتَ لِلْقَوْمِ مِنْكَ الْمَقَاصِدُ
فَجَهْدُكَ فِي إِنْهَاضِ قَوْمِكَ جَاهِدُ
وَهَلْ يَذْكُرُ الْأَعْجَادُ إِلَّا الْأَمَاجِدُ
وَفَعْلُكَ مَحْمُودٌ وَسِيرُكَ رَاشِدُ

(١) الفراقِد : يقصد بها الفرقد ، وهو نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به .

(٢) الأوابد : الغرائب التي لا مثيل لها .

ذكرى الشيخ الخالصى

أشهدها في الحلقة التأيينية التي أقامها نادى الإصلاح في بغداد عند منعى الشيخ محمد مهدي الخالصى أحد علماء الجعفرية بمدا ما أخرجته الحكومة العراقية إلى إيران .

أَدَهَقَ الدهرُ بالمنية كآسَه من قديمٍ وطافَ يسقى أناسَه (١)
كيف يُرجى طولُ البقاءِ حتى جعل الله عمرَه أنفاسَه
تعت هذه الحياة وإن كا نت لعمرى خلافة حساسَه
قصرتها يدُ الحوادث لكن قد أطالت بها على الحى بآسَه
غيرَ أن السعيد من بان عنها وهو مستثمرٌ بها أغراسَه
والذى عاش مؤنسا وحشة النا س مُدًا بفضله إيناسَه
مثل ذاك الشيخ الذى مَدَّ فَقَدْنَا هُ فَقَدْنَا بهِ النَّهْيَ والكياسَه
نُعِي الخالصى فارتجت الأنفـس حزنًا مضرِّجًا بحماسَه
هو ذاك (المهديّ) أحرز سبقا حين أجزى إلى الهدى أفراسَه
هو ذاك الحبر الذى كان للشر ع مقيا دليـله وقياسَه
كان فى الدين آية الله أفنى العمـر فيه رِعايةً وحراسَه
أفق العلم قد بدا مكفهرًا عند ما أطفأ الردى نبراسَه
إن بكاه الدينُ الحنفى شجوا فَإِنَّ كان ركنه وأساسَه
كان رِداءً للحق مرتدىً التـقوى فكانت طول الحياة لباسَه (٢)
ولقد كان فى العلوم إمامًا حيث فيها انتهت إليه الرياسَه

أنا أبكى عليه من جهة العلم—م وأغضى عن خوضه فى السياسة
لا لِأنى أراه فيها ملومًا بل لِأنى أعيب فعل الساسَه

ليس في هذه الكلمات السياسيّات إلا ما يتجلى عن خُصّاسه
 قد أبت هذه السياسة إلا أن تكون الغشّاشة الدسّاسه
 وأبت أن تصافح الناس إلا بيدٍ من خديعةٍ فرّاسه
 كلّما مسّت الأمور بكفّ لوثتها بما بها من نجاسه
 إن في هذه السياسة سهما جعل الله باطلاً قرطاسه
 ما تعاطى غير الخداع « غلادستون » فيها كلّا ولا « ديلكاسه »
 إن أحسّت بقوةٍ من خصيم كانت الظبي لم يُزايِل كُناسه^(١)
 وهي إن آنست من الخصم ضعفا كانت الليث مُبرِزا أضراسه
 لو أردنا إفاضةً في هجاها لكتبنا لكم به كُرّاسه
 فلهذا أجِلُّ عنها رجالا شغلتهم علومهم بالدراسه

رحم الله شيخنا إنه كما ن بعيدا عما تريد السياسة
 ليت تلك العلوم قد شغلته عن أمور لا تُشترى بنُحاسه
 أنتجت بعده فأوحش أرضا في العراقين عودت إيناسه
 فقضى بعد نأيه عن أناس طلبوا علمه وراموا اقتباسه

أيها القوم إن هذا رأيي في فقيد لم تشهدوا إرماسه^(٢)
 فإذا كنت قد أصبت وإلا فانبذوا ما أقوله في الكناسه
 لستُ بالشاعر الذي يُرسل اللفظ جزافا لكي يصيب جناسه
 أنا لا أبتغي من اللفظ إلا ما جرى في سهولة وسلاسه
 إنما غاييتي من الشعر معني واضح يأمن اللبيب التباسه

(١) الخصيم : الخصم . وكُناس الظبي : بيته في أصل شجرة ونحوها .

(٢) الإرماس : الدفن .

على ضريح النائب

هي دنيا بقاءها مستحيلٌ فأيقفُ عند حدِّه التأملُ
 ليس يُعني فيها عن المرء شيئاً شرف باذخ ومجد أثيل
 إنما الراحة المرجاة فيها تعب والهدى بها تضليل
 كل شيء في أهلها مستعار من سواه وكلُّ حال تحول^(١)
 ليس ما قد جنى علينا بها الإفـ قمارٌ أدهى مما جنى التَّمويل^(٢)
 رتلتُ ألسُن الذائد أي العيش فيها فغرَّنا الترتيل
 فرجونا طول البقاء وإن كُـ نأنا علمنا بأننا سنزول
 وطلبنا تعالَّةً لنفوس ليس يشقى غليلها التعليل
 قد قتلتُ الحياة خُبراً ولكن أنا منها بحيرتي مقتول
 كل ما قيل في الحياة ظنون جرَّها في افتكارنا التخيل
 قد وهمنا في البدء منها وأما منتهاها فسـيره مسـدول
 إن يك العقل في دجى الشك نجماً فخفَى مثل الشها وضئيل^(٣)
 ويك إن المعقول ما صحَّ عندي ففتى صحَّ عندك المنقول
 كلنا خابطون في ظلمات حائر بائر بهنَّ الدليل
 إن حب الحياة أوهم أن الـ موت نوم تحت الثرى لا يطول
 إنما هذه الجسوم مبانٍ قد بناها من الزمان عمول^(٤)
 نزلتها الأرواح حيناً فأضحت عامراتٍ ما دام فيها النزول
 ثم لا بد أن ترحل عنها فيُسمَّى بالمولت ذاك الرحيل

(١) تحول : تنغير من حال إلى حال .

(٢) التَّمويل : الغنى ، وصيرورة المرء ذا مال .

(٣) السهام : كوكب خفى من بنات نعل الصغرى .

(٤) العمول : المطبوع على العمل .

إنما هذه الجُسوم رُسوم مَوْحِشَات بعد الرَّدَى وطُأُول
 ما بَسِطَ اللَّوَى مَثَانٍ وَلَكِنْ بِسْقُوطِ الْبَلَى هُنَّ مَثُولٌ^(١)
 ليس يسلى الفتى عن الموت إِلَّا خَلَفَ صَالِحٌ وَذَكَرَ جَمِيلٌ
 مثَلَمَا مَاتَ شَيْخُنَا «النَّائِبُ» الْحَبْرُ فَسَالَتْ مِنَ الدَّمْعِ سَيُولُ
 إن عبد الوهاب عاش جليلًا الْقَدَرُ فَرَدَا وَمَاتَ وَهُوَ جَلِيلٌ
 وَقَضَى عَادِمَ الْمَثِيلِ فَأَمْسَى مَا لَمَنْعَاهُ فِي الْخَطُوبِ مَثِيلٌ
 حَادِثٌ أَظْلَمَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَاسْتَوَى حَشْ مِنْهَا حَزُونُهَا وَالسَّهُولُ^(٢)
 إن أَسِيدَنَا أَسَى عَلَيْهِ كَثِيرًا فَكَثِيرَ الْأَمْسَى عَلَيْهِ قَلِيلٌ
 كَانَ فِخْلُ الْفَحُولِ عِلْمًا وَفَضْلًا فَلِهَذَا بَكَتْ عَلَيْهِ الْفَحُولُ
 كَيْفَ لَا تَجْزَعُ الْعُلُومُ لَمَنْعَى رَجُلٍ بَاعَهُ بَيْنَ طَوِيلٍ
 قَدْ بَكَتْهُ مَدَارِسُ عَامِرَاتٍ هُوَ فِيهَا الْمُدْرِسُ الْمَسْئُولُ
 وَبَكَاهُ الْكِتَابُ ذُو الذِّكْرِ شَجْوًا وَعُلُومٌ إِلَى الْكِتَابِ تَسْئُولُ
 وَبَكَتْهُ آيٌ بِهِ مَحْكَمَاتٌ وَبَكَاهُ التَّفْسِيرُ وَالتَّأْوِيلُ
 وَبَكَتْهُ أَرَامِلٌ وَيَتَامَى جُدَّ عَنْهَا بِمَوْتِهِ التَّنْوِيلُ
 إن يَكُنْ أَغْدَى الرَّدَى مِنْهُ فِي الْقَبْرِ حُسَامًا فَذَكَرَهُ مَسْأُولُ
 أَوْ رَمَى حَدَّهَ الرَّدَى بِقُلُولٍ فَعَالِيَهُ مَا بَيْنَ فَلُولٍ^(٣)
 أَوْ خَلَّتْ مِنْهُ دُورُهُ مَوْحِشَاتٍ فَذَرَاهَا بِفَضْلِهِ مَأْهُولُ^(٤)
 كَيْفَ لَا هَوْلَاءُ أَبْنَاؤُهُ الْعَمْرُ شُهُودٌ بِمَا أَقُولُ عَدُولُ
 كَلِيمٌ فِي الْعِلَاءِ مِثْلُ أَبِيهِ حَسَنُ الْخُلُقِ فَاضِلٌ بِهَيْئُولٍ^(٥)
 هَلْ تَطْيِبُ الْفُرُوعَ فِي النَّاسِ إِلَّا حَيْثُ طَابَتْ فِيهِمْ لَهْنٌ أَصُولُ

(١) سقط اللوى : موضع ، ويشير هنا إلى بيت امرئ القيس الذى ذكر فيه هذا الموضع .

(٢) الحزون : جمع حزن ، وهو ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٣) القلول : جمع قل ، وهو الثلعة فى الحد . (٤) يقال فلان فى ذرى فلان : أى فى ظله

(٥) البهلول : السيد الجامع لكل خير .

عِذْرَةٌ يَا أَبَا الْحُسَيْنِ بِمَاذَا نَصَفَ الرُّزْءَ وَهُوَ رِزْوٌ جَلِيلٌ^(١)
وَإِذَا طَاشَتْ الْحُلُومُ بِمِصْرٍ فِيهِ فَارَقْتَنَا فَمَاذَا تَقُولُ
أَخْرِسَ الشَّعْرُ يَوْمَ مَنَعَاكَ لَكِنْ نَابَ عَنْهُ تَأَوُّهُ وَعَوِيلُ
وَإِذَا أَسَكَّتِ التَّقَاوِيلَ حُزْنَ تَرَجَّتْ عَنْهُمْ دُمُوعُ تَسِيلُ
فَصَانَتْكَ الْمَنُونُ عَنَّا وَلَكِنْ أَنْتَ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَا مُوصُولُ
لَاكَ فِي الْعِلْمِ رَتَبَةٌ لَنْ تُسَامَى فَاخْلُ التَّوَمَ عِنْدَهَا مَفْضُولُ
وَحَيًّا صَلَّتْ الْجَبِينُ طَلِيقُ يَتَلَالَا كَأَنَّهُ قَنَدِيلُ
وَيَدٌ يَجْمَعُ الشِّفَاءَ عَلَيْهَا كَلَّمَا قَدْ مَدَدَتْهَا التَّقْصِيلُ
إِنَّمَا قَدْ ذَكَرْتُ بَعْضَ مَزَايَاكَ إِلَّا فَشْرَحْنَهُ يَطْشُولُ
وَإِذَا الْقَوْلُ لَمْ يَقْدَمْ اخْتِصَارُ لَمْ يَقْدَمْ الْإِطْنَابُ وَالتَّفْصِيلُ

دموع الصداقة

أُنشِدَتْ فِي الْمَأْتَمِ الَّذِي أَقِيمَ فِي بَغْدَادِ الْمَرْحُومِ عَبْدِ الْجَبِيدِ بَكِ الشَّامِيِّ
عَبْدُ الْجَبِيدِ قَضَى قَوًّا أَسْفَا مَاذَا يُفِيدُ تَأَسَّفِي جَزَعَا
قَمِ وَيْلَكَ نَبِكَ الْجَدِّ وَالشَّرَفَا وَنُغِزَّ طَرْفَ الْعَيْنِ مَا دَمَعَا
فَلَقَدْ فَقَدْنَا سَيِّدَ الظُّرْفَا وَأَجَلَّ سَاعَ الْعِلَاءِ سَعَى
لَمْ يَتَّخِذْ غَيْرَ الْعَلَا هَدَفَا عَنْ قَوْسِ هِمَّتِهِ إِذَا نَزَعَا^(٢)
خَبِرَ طَوَيْتُ حَشَايَ مَرْتَجِفَا مِنْ هَوْلِهِ وَسَقَطَتْ مُنْصَدِحَا
أَلْقَى بَوَاجِهُ حَيَاتِنَا كُفْلَا أَوْ عَادَ لَوْنُ الْعَيْنِ مَمْتَقِعَا^(٣)
فَالدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي إِذَا وَكَّفَا جَلَلْتُ وَإِنْ أَرْسَلْتَهُ دَفْعَا^(٤)
صَاحِبَتْ مِنْهُ أَخَا نَهْيٍ وَوَفَا يَزْهَوُ النَّدَى بِهِ إِذَا اجْتَمَعَا

(١) العذرة : المَعذرة . (٢) نزع : رى بالسهم .

(٣) الكلف : جمع كلفة ، وهى اغترار لون الوجه .

(٤) وكف القمع : سال قليلا قليلا .

فسمعت من أقواله طُرْفًا ورأيت من أفعاله بِدَعًا
 ساء المكارم كونه دَنَفًا يشكو إلى عَوَّاده الوجعا
 الداء أذهب نفسه تلقًا بُذِلَ الداء له فَمَا نَجَا
 بيروت منه أحرزت شرفًا لَمَّا غدت لعلاه مُضْطَجَعًا
 لكننا قلب العراق هَفَا حزنًا عليه إذ به فُجِعَا
 وكفى بسعدون له خلفًا لفعاله في الجُود مُتَّبِعَا
 يمشى على آثاره الخَطَفَى ويقوم بالأعباء مضطلعًا

عبدُ المجيدِ قضى فوَحَرَبًا ماذا يردُّ إليَّ واحرِبي
 إن الرزايا قد قضت عجبًا مما رُزِنَاهُ من الحسب
 رُزْءٌ أثار الحزن ملتَهَبًا في كل قلبٍ أَىِّ ملتَهَبِ
 وأسأل غرب الدمع منسكبًا من كل عينٍ إثر منسكب
 وأمرٌ حلو العيش فائقلبًا بمَحاوليه شر منقلب
 فبكاه من بغداد مُنتَجِبًا في جانبيها كل ذى أدب
 يا راحلا بالداء مغتربا يبغي الشفاء له من الوصب
 أوتيت فضلا في النهى عجبًا يأتي من الآراء بالعجب
 كم كنت تكشف فيه محتجبًا وتقال أقصى الأمر من كُثْبِ
 فبليت مجدا منك مكتسبًا من بعد آخر غير مكتسب
 وبك العروبة قد زهت نسبا يُزْهِى بغبطة كل ذى نسب
 قد كنت من عريّة عَصَبًا والحسّ مصدره من العصب
 إِنَّا فقدنا الظرف والأدبا وفقدت ياسعدون خير أب
 يا أكرم المتهذبين أبا صبرا لفقدك أكرم العرب
 إذ كنت أنت لثله عَقِبَا أَكْرِمُ بِمَثَلِكَ أَنْتَ من عَقِبِ

هلم نبك

هلم نبك النسي والعلم والشرفا
هلم نبك الذى كانت شمائله
هلم نبك الذى لم يغل واصفه
عطا الخطيب الذى آل الخطيب به
تبكى لمبكاكم حزنا بحيث نرى
قد فاجأته المنايا وهو معتدل
قامت بحساده الأطماع هائجة
فعارضوه بسيل من مكايدهم
وعرقلوا بدواعيهم مساعيه
فظل يرسف فى مسعاه مرتطبا
كانوا يمدّون سبل الكيد مندققا
حتى قضى راسبا فى مكرهم غرقا
وبعد ما قتلوه هكذا علموا
والمرء تظهر بعد الموت قيمته
لو عجل الله لاجساد اعنته
لكن يؤخرها عنهم إلى أجل

فقد قضى من بهذا كان متصفا
كمثل قطر الغواذى رقة وصفا
بالخير إلا رآه فوق ما وصفا
فتت مصيبتهم أكبادنا أسفا
بدر التمام بأعلى أفتهم خسفا
كالرمح دق على الصفواء فانقصفا^(١)
لما رأوه مجدا يطلب الترفا
قد سال فاكتسح الآمال واجترفا
ومدّوا من دواهيهم له كفافا^(٢)
فيما يكيدون حتى خالط التلغا
وكان يبنى له من سعيه رصفا^(٣)
إذ عطل الموت منه الكف والكتفا
بأنهم قد أصابوا الجحد الشرفا
كمغرق اليم بعد الإنتفاخ طفا
لكن أسقط منها فوقهم كسفا
يخزى به كل من قد جار واعتسفا

هم جاوزوا العدل والإنصاف فى رجل

ما كان قط عن الإنصاف منحرفا

فتى رزئناه بالأخطار مضطلعا بالجحد مشتملا بالفضل ملتحفا

(١) الصفواء : الحجر الصلد الضخم .

(٢) السكف : جمع كفة ، وهى حباله الصائد وشبكته .

(٣) الرصف : الحجارة المرسوف بعضها إلى بعض فى مسيل الماء .

لما رمى عن قسيّ الرأي مجتهدا لم يتخذ غير أسباب العلا هدا
ما شبَّ إلا على التقوى وكان له قلب سليم بحب الخير قد شُغِفَا
مهذب الطبع عفّ النفس ذو خلق قد شابه الورد مشموما ومقتطفَا
إذا تصورت في يوم خلائقه فقد تصوّرت منها روضة أنفاً^(١)
وإن نظرت بإمعان مساعيه فقد نظرت بعيني رأسك الشرفَا
بيناه يدرك من دنياه زهرتها إذ جاءه الموت يمشي نحوه الخطفَا^(٢)
أعْظَمَ به طودَ مجد طال طائله فكيف في ساعة بالموت قد نسفا
قد شرّفت بقعة الجليل حفرته كما ضريح عليّ شرف النجفا

دمعة على صديق

قالها في رثاء صديقه الحميم عبد الوهاب الحمد أنفا .
مضى عبدٌ وهَّاب الهبات لرَبِّه فللَّهِ من ماضٍ إلى ربه حُرٌّ
مضى وهو محمودُ الخصال مخلقا له عندنا آثار أخلاقه الغُرُّ
مضى وله في كل قلب مكانة تُدِيم له ذكراة بالحد والشكر
كذلك كنّا معه قبل وفاته نبجّاه في السرّ منا وفي الجهر
وما زادنا إلا أسمى بفراقه فأمسى الأسمى فينالهِ مالىء الصدر
إذا ما ذكرناه تفوح خالاه فننشق من تذكراها أطيّب النشْر^(٣)
ونلجأ عند الإذكار إلى البكا
أخا سالمٍ ما زلت عندي سالما
تملك الذكرى لعيني جالسا
وتمزح طورا ثم تنصاع ذاهبا
إلى الجدّ تُغرّي بالحقيقة من تغرى

(١) الروضة الأتف : الجديدة الذبت ، لم يرعها أحد .

(٢) الخطفي : مشية سريعة .

(٣) الحلال : جم خلة وهي الحصلة . ونشق : شم . والنشر : الريخ عامة ، أو الطيبة منها .

فتغضب أحيانا وتطرب قارة فتطرب من ذكر الحقيقة في شعري
طواك الردى عنى وشخصك لم يزل بذكراك بعد الطى متصل النشر
فما أنت ميتا إذ خيالك ساح مدى العمر نصب العين فى ساح الفكر
ولا عجب ، إن الحياة خيالة

فلا فرق عندى بين شخصك والذكر
سأثر دمعى فىك ثر لآلى وأنظم شعرى فى رثائك من در
اعلى بذا أقضى إخاءك حقه وإن كان لا يقضى بنظم ولا ثر

ميتة البطل الاء كبر

أنشدت فى دار المرحوم عبد الحسن بك السعدون فى اليوم الثالث من انتحاره

هكذا يدرك فى الدنيا الكمال هكذا يشرف موت المبتغى
هكذا فى موتها تحيا الرجال شرفا ليس إذا ريم يُقال
من كعبد المحسن الشهم الذى حقه بالموت عز وجلال
ما بعبد المحسن السعدون إذ رام قتل النفس مس أو خبال
بل رأى أوطانه يرهقها من بنى الغرب انتداب واحتلال
فانتضى الهمة كى ينقذها كانتضاء السيف ما فيه كلال
مارس الأحوال حتى إنه شاب فى إصلاحها منه القذال^(١)
أعمل رأى وقد جادله فيه بعض القوم واشتد الجدل
خذلوه فاغتدت آراؤه كسهم كسرت منها النصال
كم غدا ينصحهم حتى إذا راء أن الداء فى القوم عُضال^(٢)

(١) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

(٢) راء : رأى .

ورأى أن الذى يرجوه من
جاء للأوطان منه بدم
والفتى الحر له فى موته
إنه لما أرادت نفسه
ميتة الأبطال فيها شمم
نال بالموت حياة ما لها
هو حتى أبد الدهر فما
إن يكن قد زایل القوم فما
أويكن عن أعين القوم اختفى
وإذا التاريخ أجرى ذكره
فاندبوا يا قوم منه بطلا
وافتقوا منه نصيحا مخلصا
وأقيموا عالیا تتماله
واقصدوا مرقده حجا فلا
واتركوا الغرب وأهليه ولا
وعلى أنفسكم فاتكلوا
فالمواعيد التى قد وعدوا
كلما قال لنا ساستهم
هكذا كونوا وإلا فاعلموا

طلب استقلالهم شئ محال
لسوى أوطانه ليس يسأل
سعة إن ضاق بالنفس المجال
ميتة حمراء ما فيها اعتلال
طأطأت من دونه الشمم الجبال
أبد الدهر فناء وزوال
ضره من هذه الدنيا انتقال
لمساعيه عن القوم زيال
فله من أنفس القوم خيال
أخذ التاريخ بالفخر اختيال
هو للأبطال حسن وجمال
هو للإخلاص فى الدنيا مثال
فهو للأوطان عز وجلال
غرو أن شدت لمثواه الرحال
تسمعوا منهم إلى ما قد يقال
خاب من فيه على الغير اتكال
كلها منهم خداع واحتيال
نقضت أقوالهم منهم فعال
أنما استقلالكم شئ محال

ميتة البطل الأكبر

منظر الرافدين

شبّ الأسى في قلوب الشعب مُستعيراً

يومَ ابنِ سعدونَ عبدِ الحسنِ انتَحَرا

إذ كان إنسانها في الدمع منغمرًا

غداة أدّى إلى أقصاها الخبرا

واستنزفوا من شئون الدمع ما غزرا

سَطَران للدمع في الخدين قد سَطَرا

يومٌ به كلُّ عين غير مبصرة

يوم به البرق رجَّ الرافدين أسى

فلو ترى القوم قاموا في ضفافهما

خِلت العراقين خدّى ثا كل وها

الشعر والدمع :

بالأمر يُعْمَن في تديره النظرا

كما قد انهلّ فيه الدمع منتثرا

وبالقوافي بكت في يومه الشعرا

والدمع قد قرّح الأجفان منحدرا

كلاهما حَكَا في يومه الدُّرَا

تسابقا في انسجام عند ما انهمرا

والدمع من هذه الأوطان بلّ ثرى

لله يومٌ قدّنا فيه مضطلعا

يوم قد انهلّ فيه الشعر منتظما

فبالدموع بكت في يومه شيعٌ

فالشعر قد قرّط الأسماع مندققا

والدمع والشعر من قد بكى بهما

كلاهما انسجما حتى كأنهما

فالشعر من هذه الأكبَاد بلّ صدّى

أبو عليّ وعزائمه :

أبو عليّ قوىّ في عزائمه
أخلاقه كالخضمّ الرّهُو تحسبه
إذا أتاه شَكِيّ القوم قابله
ويهزم الجمع مجتثاً مكايده
لما رأى الوطن المحبوب محتملاً
سعى لإنقاذه بالرأى مجتهداً
كم بات سهران في تحقيق مُنيّته
وكم سعى راجياً تخلص موطنه
حتى إذا لم يجد للأمر متّسعاً
أرغمي مسدسه في صدره بيدٍ
فيا لها رَمِيّة حمراء دامية
قد كان يحيا حياة غير خالدة
لو نفّثرى صحف التاريخ نساها
لما رأينا كبيراً مات ميّتته
ما كان أشرفها من مية تركت
كنا نقاسى ضلّالاً قبلها فإذا

لورام بالعزم دَحَرَ الجيش لاندحرا
سهلاً ولكنّه صعب إذا زَخراً^(١)
بكا النسيم جرى في روضة عَطِراً^(٢)
بكا العواصف هبّت تقلع الشجرا
من الأجانب ما قد عمه ضررا
بالعزم متشحا بالحزم مؤثرا
وفي الأمانيّ ما يستوجب السهرا
والشعب كان لما يرجوه منتظرا
ولم يجد عن بلوغ العز مُصْطَبراً
لا تعرف الضعف في المرمى ولا الخوّراً
قد مات منها ولكن بعدها نُشِراً
واليوم يحيا حياة تملأ العُصراً
عَمَّن يساويه في الدهر الذي غيّر^(٣)
ولا وجدنا وزيراً مثله انتحرا
في نفس كل فتى من غبطة أثرا
بها الطريقُ إلى استقلالنا ظهرا

(١) الخضم : البحر العظيم ، والرهُو : البحر الساكن .

(٢) الشكى : المشتكى .

(٣) افترى : تتبع واستقصى . وغبر : مضى .

يا أهل لندن :

يا أهل لَنْدَنَ ما أَرْضَتْ سِياسَتُكُمْ
 إنَّ انتِدابَكُم في قلب موطننا
 وللمَّشورة في أوطاننا شَبَحٌ
 يَجُول في طَرِقاتِ البَغْيِ مُحْتَقِباً
 لَمْ يَكْفِهِ أَنَّهُ لِلْحَكْمِ مَغْتَصِبٌ
 إِذا رَأَى نَهْضَةَ المَجْدِ أَقْعَدَها
 فَكَمْ ضَعائِنَ بَيْنَ القَوْمِ أَوْجَدَها
 في كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مَعَكُمْ مِعاہِدَةٌ
 حَفَّتْ بِها سِرْحَةٌ اسْتَقْلالنا عَطْشا
 تَقْسُو قُلُوبُكُمْ لَمَّا تَفاوَضْكُمْ
 أَمَّا مِواهِدُكُمْ فِہی الَّتِی اِنْكَشَفَتْ
 لا تَفخَروا أَنَّ كَسْرَ تَمِ غَرَبَ شَوْكِتْنا
 لا فِخْرَ لِلصَّقرِ في أَنَّ یَقْتُلُ النِّعْرَ (١)
 لا تَسْتَهینوا بِنّا مِنْ ضَعْفِ قِوَّتِنا
 هَذِی البِلادِ اِغْرَسُوا فِیها مِودَتِكم
 نَكُنْ لَكُم حِلْفَ صَدَقٍ في سِیاسَتِكم
 نَمْشِ إلى المِوتِ مِنْ جِرائِكم زُمرًا
 لَسْنا بِقَوْمٍ إِذا ما عاہدُوا نَكثُوا
 وَلَوْ جَرى الدَّمُ حَتّى أَشْبَهَ النِّهْرُ

(١) المرح الغبر : الذى اندمل على فساد ثم انتفض .

(٢) احتقب : جمع .

(٣) السريحة : الشجرة الطويلة ، أو التى لا شوك بها .

(٤) المين : الكذب .

(٥) الغرب : الحدة . والنفر : الليل ، أو فرخ العصفير .

ولا نحالف أحلاقا فنخذلهم
فنحن أوفى الورى بالعهد شلشنه^(١)
ولو لبسنا المنايا دونهم أزرأ
ونحن أرفعهم فى المكرمات ذرأ^(٢)

سعد وسعدون :

سعد وسعدون محمود مقامهما
كلاهما قد فدى بالنفس أمته
فكان بينهما بون وإن غدوا
فإن سعدون داني الشمس منزلة
هذا هنا قد سعى للمجد مبتدرا
يا أهل مصر وأنتم مثلنا عرب
إن كان قد أرخص الأموال سعدكم
هذا هنا قد سعى للمجد مبتدرا^(٣)
هذا بمصر وهذا ههنا اشتبرا
لكن سعدون لا سعدا قد انتجرا
فى الشرق أعظم مذكورين ماذ كرا
وإن سعدا بمصر فارن القمرأ
وذا هناك سعى للمجد مقتدرا^(٤)
ما قلتم عندما أعلمتم الخبرأ
فإن سعدوننا قد أرخص العمرأ

أيها البطل :

نم أيها البطل الفادى بمجته
نم نومة تجعل التاريخ محتفيا
فليعتبر بك هذا الشعب مفتديا
فسوف تحمدك الأوطان شاكرة
نم مستريحا فإن الشعب مرتقب
أتركون الذى قد كنت تطلبه
فالشعب منهم مرید ما أردت له
يا من له مينة بكر معظمة
أوطانه نومة تستيقظ العبرا
بها لنهضة أهل الشرق مدكرا
إن كان شعبك بعد اليوم معتبرا
وسوف يذكرك التاريخ مفتخرا
ماذا ستفعله من بعدك الوزرا
أم هم سيقضون من مطلوبك الوطرا
وليس يقبل عذرا ممن اعتذرا^(٥)
لا غرو أن قلت فيك الشعر مبتكرا^(٦)

(١) الشلشنه : الحلق والطبيعة . والذرا : جمع ذروة ، وهى القمة .

(٢) ابتدرا المجد : سارع إليه . (٣) المينة البكر : التى لم يمت أحد مثلها من قبل

ذكرى فتي السعدون

إذا ما الفتى فى دهره أحسن الظنّا
وما الحزم إلّا أن نرى الدهر هاجما
وما الدهر إلّا مُبِيرٌ فى طباعه
يروع بنيهِ صائلا بيناته
يَذف عليهم بالظُّبى من خُطوبه
وما شُبهه إلّا مخالب كيده
إذا ما تَشَمَّتَ الزمان وطبعه
فما أدرك المَغزَى ولا فهِم المعنى
فنبنى من تديبرنا دونه حصنا
يفرّر بالأقوام يفتنهم فتننا^(١)
فقدضلّ مَنْ من دهره يطلب الأمانا^(٢)
فكم جدعت أنفا وكم صامت أذنا^(٣)
تمدّ بجوف الليل دامية حُجنا^(٤)
تشمّت من أعماق طينته نَتنا

إليك فتي السعدون جئتُ مهنتا
إذا ما ذمنا الدهر يوما وأهله
أتى يومك الدّامى بذكراك حافلا
ففى مثل هذا اليوم بت مضرّجا
وفى مثل هذا اليوم فى حفرة البلى
عشيّة أطلقت المسدس ناره
فلله نارٌ قد بردت بحرّها
لئن أفقدت بالموت قلبك نبضة
وكم أنطقت دمع الحاجر بالأسى
فيا طلقة ربيع العراق بصوتها
بما نلتّه عند الإله من الحسنى
فإنك من تلك المذمّات مُستثنى
فجدد فى كل البلاد لنا حزنا
وبتنا نحاكى فى مدامعنا المزنا
جعلنا بك الآمال مدفونة هنا
على قلبك الخفاق من يدك اليمنى
وإن سال منها دمعا بالجوى سُخنا
فكم أنبضت بالحزن أفئدة مِنّا
على أنها بالهول أخرست اللّسنا^(٥)
فبانت به الآفاق عابسة دُكنا

(١) المبهر: اسم فاعل من أبهر: إذا جاء بالعجب (لسان العرب) .

(٢) بنات الدهر: حوادثه .

(٣) ذف عليه: أجهز عليه . والظُّبى: جمع ظبة، وهى حد السيف أو سنانه .

(٤) الحجناء: العوجاء . جمعها: حجن .

(٥) اللسن: جمع ألسن ولسناء، وهو الفصيح البليغ .

وردد مجرى الزافدين لصونها

صدى الحزن من أقصى العراق إلى الأدنى
لقد جمع الأموال باسمك معشر
وما علموا أن المبادئ كلها
لتخليدكم ذكرك في معهد يبنى
وأعظم تخليداً لذكرك منهم
وإن قويت نفى وذكرك لا يفنى
فعمالتك الغراء والخلق الأسنى
وما كنت في يوم على القوم ممتناً
سعت إلى استقلال قومك مخلصاً
بهمة لا وإن ولا ناكس جبناً^(١)
أصالة رأى قط لم يعرف الأفنا^(٢)
سوى أن خصم القوم في كيده افتناً
فإن كنت لم تنجح فليس لعل

زكت لك نفس بين جنبيك حرّة
فلا أظهرت كبراً ولا أضمرت ضيقنا
لنا المثل الأعلى بحملك والندى
فكم بهما أثنى عليك الذي أنى
فأحنف ربّ الحلم في الحلم فقتنه
وفي الجود قد فقت ابن زائدة معنا
أست الذي قد رام قتلك قاتل
فأطلقته عفواً وأوسعته مناً^(٣)
سبقي على الأيام ذكرك خالداً
به صحف التاريخ قاطبة تعنى

فيا بطلاً بالنفس ضحى وإنما
بذلك لاستقلالنا سنة سينا
فعلمنا أن التفادى واجب
على كل قوم حاولوا شرف المغنى
سنسعى إلى ما قد سعت من العلى
بصادق عزم ينكر الضعف والوهنا
وإننا لقوم مستقلون فطرة
إذا أنكر استقلالنا منكر ثرنا
فلو جعلت تبرا سبيكا بيوتنا
ولسنا بحكام أبينا بها السكفي

(١) الوانى : الضعيف . (٢) الأبن : ضعف الرأى . (٣) المن : الإدام .

يهون علينا في السياسة أننا نصَلِّب في الأعواد أو ندخل السجنا
 ولستنا نبالي دون إحياء مجدنا أعشنا على وجه البسيطة أم مُتَّنا
 إذا أدرك الجمد المؤئل معشر أحاد ، فإننا نحن ندركه متنى
 نفوسا ورثناها كبارا أبية أبت في الدُّنا أن تحمل الضيم والغبنا

ابن جبران

من سامع قصة لي كنت شاهداها على الرب بالخضر من جنات لبنان
 فقد رأيت غلاما صبيغ منفردا بالحسن يصبو إليه كل إنسان
 البدر يبدو حقيرا عند طلعه في الشمس تعنو لوجه منه نوراني^(١)
 في عينيه حور في ثغره شنب يفتّر عن عقد درّ وسط مرجان^(٢)
 إذا رنا ناظرا يرنو بساحرة أو اثني ينثنى عن عطف نشوان
 عليه ثوب بديع النسيج طرته من صبيغة الجدد زينت بألوان
 في جانب منه تلقى الدرّ منتظما والدرّ منتثرا في الجانب الثاني
 وللعواطف في أشائه صور جادت بها ريشة في كف فنان
 تفواح الطيب من أردانه عبقا كما تفواح أزهار بيستان^(٣)
 تستخلص النفس من فجوى ملامحه

أن الغرام الذي يُخفيه روحاني توحى إلى كل قلب وحي أحزان
 أبصرته واقفا يبكي وأدّمعه تهبو بأفئدة منا وآذان
 يبكي وألحان موسيقاه مُشجّية تهتزّ منهمن أرواح بأبدان
 يبكي وأنغام موسيقاه مطربة

(١) عنا : خضع وذل .

(٢) الحور : شدة بياض العين وسواد سوادها .

(٣) تفواح الزهر : انتشرت رائحته . والأردان : جمع ردن : وهو أصل السكم . والعبق :

الذي تفوح منه رائحة الطيب .

بيكى فيرفض عقد الدمع منتثرًا بغير وزن وأحيانًا بميزان
لما أراني جلال الحسن متمزجًا بروعة الحزن أشجاني فأبكاني
فقت بين أناس حوله وقفوا مستعبرين وكلُّ نحوه ران^(١)
وكلهم وقفوا مستسلمين إلى تهدات وآهات وإرنان
حتى سألت عن الباكي وقصته فقيل هذا هو الشعر ابن جبران
أبوه جبران أفناه الردى فعدا من بعده رهن يَم حلف أشجان^(٢)
فقلت لم يقن جبران بميتة من خلف ابنًا كهذا ليس بالقانى
بل أصبحت بابه ذكراه خالدة مادام لبنان مأهولاً بإنسان
إني أرى روح جبران مرفرفة على الربا الخضر من جذات لبنان

جبر ضومط

بكى الفضل لما أن قضى نَحْبَهُ جبرٌ وليس لكسر الموت في طَبْنًا جبرٌ
طوى الموت من جبر ضوامط فاضلاً لغرّ المساعى كان في عيشه نَشْرٌ
مضى بعد ما أمضى حياة سعيدة تبسم فيها العلم والفضل والفخر
وخلف آثارًا خوالد بعده يطيب له مدَّ الزمان بها ذكر
على اللغة الفصحى أياديه جمّة وآثاره في نشر آدابها غُرٌ
وما كان يبدى رأى فيها مُقلِّداً ولكن له الإبداع والفكرة البكر
وما كان في استقراءه العلم جامداً ولكن له العلم كان له فكر
يشق حجاب المشكلات برأيه كما شق بُرد الليل مذ طلع الفجر

(١) المستعبر : الباكي .

(٢) رهن يتم : أى ملازمه .

ومن شك فليُنظر بكل مدينة
فيمصر منهم من حِجاء مثقف
رُزْنَاهُ في كلية العلم هاديًا
سَبِيكِيَّة في كلية العلم منبر
فواجعنا في ذى الحياة كثيرة
ألا إنما هذى الحياة رواية
ولو لم تكن للفاجعات فصولها
مثلة ما كان آخرها القبر

أبو الملوك

بدا وجهُ العروبة في حُلُوكِ
قضى متنازلاً بعد اعتلاء
قضى في المجد ليس بذي نظيرٍ
مَلِيكٌ واصلَ الإقدام حتى
أقْد سلاك الطريق إلى المعالي
وجدد للعروبة غرس مجدٍ
وأحدث نهضة في العرب هزّت
وأثبت بالسيوف لهم حقوقاً
ولكن غشّه الخلفاء حتى
وخانوا لم يقوا بعد انتصار
غداة قضى الحسين أبو الملوك
كذلك الشمس تجنح للدُّلُوكِ^(٢)
وفي العزَمَات ليس بذي شريك
أتاه بهلكه يوم الهُلُوكِ
إلى أن مات محمود السلوك
قديم كان كالعَذْق التَّريِكِ^(٣)
جنوب الأرض كالريح السَّهْوِكِ^(٤)
مؤيدة بكل دمٍ سَفِيكِ^(٥)
أتوه من الثعالب في مُسُوكِ^(٦)
بما كتبوه في بطن الشُّكُوكِ

(١) كثر : كثيرون .

(٢) جنح : مال ، والدُّلُوكِ : الغروب .

(٣) العَذْق : عَفُود العنب ، أو ما يشبهه من النخلة . والتَّريِك : المتروك ، أو الذى أكل كل ما عليه ، أو بقى فيه شيء قليل .

(٤) الريح السَّهْوِك : العاصفة الشديدة .

(٥) الدم السَفِيكِ : المسفوك .

(٦) المسوك : جمع مسك ، بفتح الميم ، وهو الجلد .

خطبنا وُدَّهم فتقبَّلونا — بعاطفةٍ كعاطفةِ القُرُوكِ^(١)
 وكم وعدوا بنى قحطان وعدا — به انقلب اليقين إلى شكوك
 لقد ستروا شنيع الغدر منهم — بثوبٍ من سياستهم مُحُوك
 فساستهم إذا وقعوا بضنك — أرونا الودَّ في وجه ضحوك
 وأبدوا في الرخاء لنا عُبوسا — وهذا عدَّ من شيم الهلُوكِ^(٢)
 ونحنُ العُربُ نأبى غيرَ عزٍّ — ونطمح في الحياة إلى السُّموكِ^(٣)
 ويومَ الروع ننقُظُ المنبأيا — ولم تكن السيوف سوى سلوك
 ونمضغ في الهياج الموت دون الـ — على مضغ الأوانس للهلُوكِ^(٤)
 وما عاب الفتى جسمٌ هزيل — إذا ما كان ذا شرف وديكِ^(٥)
 وما الشرف الحميد سوى فَعَال — حميد من معادننا سبيك
 قرينَ القبلتين عليك نبكى — دما بالدمع من طَرَفِ مَسِيكِ^(٦)
 فقدنا منك خير زعيم قوم — وخير نضيج تجربةٍ حَنِيك
 لقد ناح العراق عليك حزنا — وضجَّ من الخليج إلى دهُوك
 وناح المسجِدَ الأقصى جميعا — إلى أرض الشَّامِ إلى تَبُوك
 لقد نُزَّهتَ من غمز ولمزٍ — كما نُزَّهتُ من شعر ركيك

(١) القُرُوك : المبعضة للناس عامة ، أو التي تبغض زوجها .

(٢) الهلُوك : الفاجرة ذات الشهوة الشديدة .

(٣) السُّموك : جمع سمك ، وهو السقف أو أعلى الشيء .

(٤) الهلوك جمع هلك ، وهو اللبان . (٥) وديك : سمين .

(٦) الطرف المسيك : العين التي لا تدمع كثيرا . وفي الطبعة الثانية : « وما » في مكان :

« دما » . يريد أننا نبكى عليك دما من عين تبخل بالدموع على غيرك .

الشيخ قاسم

مدرس جامع النعمانية

على قاسم شيخ الطريقة قد بكت
بكاه التقى والعلم والحلم والنهى
فقدنا الذى قد كان فى العلم عيلا
لئن قد طواه الموت عنا فذكره
رُزئناه حبرا فى الطريقة مرشدا
عفت أربع الارشاد بعد ارتحاله
حليف التقى ما ذنُس الدهر ثوبه
ترحل للأخرى وأبقى مناقبا
يصوم نهار الصيف لله طائعا
إذا ما بدا للقوم لاحت بوجهه
ولما مضى للخلد قلت مؤرخا
جواهر فضل ما لها الدهر قاسم
وحسن السجيا والعلو والمكارم
فماجت لمنعه البحار العيالم^(١)
من العلم منشور على الدهر دائم
به اتضحت للسالكين المعالم
وكانت به منها تقام الدعائم
بإثم ولامرت عليه المحارم
تضىء من الدنيا بهن المواسم
ويحيى الليالى وهو لله قائم
دلائل من نور الهدى وعلام
«لقد بات فى أعلى الفراديس قاسم»

غريق دجلة

يا من قضى بين المياه غريبا
قد كنت فينا درة فلاجل ذا
سعديك يا (توماس) إنك لم تمت
لكن رقيت إلى السماء لتجتبى
يا كوكبا عجل الردى بأفوله
أذكرى فراقك فى القلوب حريقا
تخذ الحمام لك المياه طريقا^(٢)
مادام ذكرك فى الحياة عريقا
لله فى أعلى السماء رفيقا^(٣)
من بعد ما ملأ السماء شروفا

(١) العيلم : البحر ، أو البحر الزاخر .

(٢) تخذ : اتخذ .

(٣) اجتباه : اصطفاه واختاره .

إن كنت غيبت عن العيون فإنما
 عشقتك كلُّ فضيلة وعشقتها
 هصرتك أيدي الموت غصنا ناضرا
 إن العراق على بضاضة قطره
 لله منعاك الجليل فإنه
 إن كان شخصك بات في قيد الثرى
 فجميل ذكرك لا يزال طليقا

شهداء الطيران

قضوا شهداء ليس لهم بواء
 قضوا لعزير موطنهم ضحايا
 لهم في موتهم هذا حياة
 تباشرت الجنان بهم فأمست
 وحيا « جعفر الطيار » منهم

• • •

وطائرة مرفعة الذنابي
 يحول بها من البنزين روح
 بعصر الكهرباء أتت فأمسى
 تمر كأنها في الجو نسر
 وتحتبط الهواء بساعديها

(١) ومقه : أحبه .

(٢) هصر : كسر . الوريق : المورق ، أى ذو الأوراق .

(٣) البواء : الثل والنبد .

فتمضى فى الفضاء مضى سَهم
 فيبصر كالنجوم لها علو
 وقد ترمى الصواعق مُحْرِقات
 قد امتطوا الرياح بها فطاروا
 سمو فتضاءلوا فحكوا نجومًا
 وفيهم كان للأوطان حبًا
 عن القوس الضُّرُوحُ له ارتقاء^(١)
 ويُسمع كالرعود لها رغاء
 بها فى الأرض يندك البناء
 إلى حيث احتفت بهم السماء
 يصغُرُها بأعيننا السَّناء
 وفى أوطانهم منهم رجاء

• • •

ألا يا طائرَين قد استقلت
 لقد نزل القضاء بكم أليًا
 فتمَّ مِيتَةً بيضاء منها
 لقد عظمت مناحتكم فقامت
 وشقَّت الجيوب لكم رجال
 غبطنا مِيتَةً قد أعقبتمكم
 لكم بسقوطكم شرف فقيه
 ولا تأسوا على الوطن الملقى
 فهم خلفكم فيما أردتم
 بهم فى الجو ربح جرَّيباء^(٢)
 ولا مَنجاة إن نزل القضاء
 بأعيننا قد اسودَّ القضاء
 تنوح بها الحرائر والأماء
 ولطمت الحدود لكم نساء
 حياة ليس يدركها الفناء
 لموطنكم نهوض واعتلاء
 ففى شبابه لكم الكفاء
 ولولا ذلكم عزَّ العزاء

(١) الضروح : الشديدة الدفع للسهم .

(٢) الريح الجرياء : ريح الشمال أو بردها .

إلى أمين نحلة

حَقٌّ لِلدَّعِ أَنْ يَكُونَ نَشِيدًا فِي رِثَائِي أَبَا أَمِينٍ رَشِيدًا
أَلْمَعَى تَبَوَّعَ الْمَجْدَ حَتَّى حَازَ مِنْهُ قَرِيبَهُ وَالْبَعِيدَا (١)
وَتَعَالَى إِلَى أَعَالِيهِ حَتَّى نَالَ مِنْهُ قَدِيمَهُ وَالْجَدِيدَا
أَنْجَبَتْهُ أَصُولُ «نَحْلَةٍ» حَتَّى أَطْلَعَتْهُ لِلْمَجْدِ طَلْعَا نَضِيدَا (٢)
فَمَا فِي بَوَاسِقِ الْمَجْدِ فَرْدَا مَسْتَظِلًّا مِنْهُمْ ظِلًّا مَدِيدَا (٣)

كَانَ شَهْمًا إِنْ جِئْتَهُ فِي الْمُلَمَّا تِ وَقِيدًا أُوتِيَ رَكْنَا شَدِيدَا (٤)
وَشَجَاعًا إِنْ جِئْتَهُ يَوْمَ هَيْجٍ تَلَقَى فِي الْهَيْجِ بُهْمَةً صَنِيدَا (٥)
وَكَرِيمًا زَكَتْ سَجَايَاهُ حَتَّى كَانَ بَدْعًا فِي الْمُسْكِرُمَاتِ فَرِيدَا (٦)
وَفَصِيحًا إِنْ أَنْشَدَ الْقَوْمُ شَعْرًا كَانَ فِي الشَّعْرِ مُفْلِقًا وَمُجِيدَا (٧)
كَانَ أَطْرُوقَةَ الزَّمَانِ ظَرِيفًا فَكَبَا مَازِحًا رَقِيقًا سَدِيدَا
رِقَّةً فَاقَتْ النَّسِيمَ إِلَى شَدَّةِ بِأَسْ تَفَقَّتْ الْجُلُودَا
إِنْ شَدَا بِالْقَرِيبِ لَمْ تُبْصِرِ الْأَدَّ مَعَ إِلَّا مَسْتَحْضِنَا مَسْتَفِيدَا
سَادَ فِي النَّاسِ يَافِعًا ثُمَّ كَهَلَا ثُمَّ شَيْخَا فِي التَّجَرُّبَاتِ عَمِيدَا (٨)
جُبِلَتْ نَفْسُهُ عَلَى الْخَيْرِ حَتَّى لَمْ نَجِدْهُ إِلَّا لَخِيرٍ مَرِيدَا
بَلَغَ الْمَقْتَبَى مِنْ الْمَجْدِ حَتَّى لَيْسَ فِي الْمَسْتَطَاعِ أَنْ يَسْتَزِيدَا

(١) تبوع المجد : مد باعه إليه .

(٢) اطلع : الثمر . والنضيد : المنضد النظام .

(٣) البواسق : جمع باسقة ، وهي العالية .

(٤) الوقيد : الشديد المرض ، المشرف على الموت .

(٥) الهيج : الحرب . والبهمة : الشجاع الذي لا يعرف قرنه من أين يتغلب عليه . والصنديد : السيد الشجاع .

(٦) البدع : الفريد الذي لا مثيل له .

(٧) الشاعر المفلح : المبتدع .

(٨) عميد القوم : سيدهم وسندهم .

يا سليلَ الفقيدِ أعظمَ بمجد
أنا شاطرتك الأسى بدموع
قد رزئناه في أهلك مجيدا
كن للحزن في القواد وقودا
خلفنا للفقيد ضاهي الفقيدا^(١)
قادرا باجتهاده أن يسودا
فلها أقول قول مُعزٍّ
يا أمين الرشيد أودعك الوا
لدي مجدا في الماجدين تليدا
كيف لا نرتجي وأنت أمين
إن يكن مُبدئين آباؤك العرُ فكن أنت يا أمين مُعيدا

في يوم أبي غازي

الحريذة العشاء التي ألقاها شاعر العرب الكبير
الأستاذ معروف الرصافي في حفلة تأبين فقيد العرب العظيم
المنفور له الملك فيصل الأول ، طيب الله ثراه :

أبو غازي قضى فأقيم غازي
وأطلقنا المدايح والمرائي
فأنطقنا التهاني والتعازي^(٢)
بإنشاء هن وبارتجازي^(٣)
وحننا حاشدين بصدر يوم
غداة قلوبنا امتلأت سرورا
وحننا يجريان على التوازي^(٣)
خوافق في جوانحنا نوازي^(٣)
وكن من ابتهاج في هدوء

• • •

قضى بدر الكارم والعالى
فيا لله يوم نعاها ناع
وحيدة المكارم والمغازي
لمرزية تحت كل المرازي

(٢) الارتجاز : قول الرجز .

(١) ضاهي : شاكل ومائل .

(٣) النوازي : المتوالية الخافقة .

رُزِّئْنَا ابْنَ الْحُسَيْنِ فَحَنُّ مِنْهُ بَرَزَ لِلْحُسَيْنِ أَوَّلُو اجْتِيَاظِ
فَمَا مَيَّزَ الْحَرَمَ مِنْ جَمَادِي بَفَرَقَ فِي الْبَكَاءِ وَلَا امْتِيَاظِ
لَهُ كَفٌّ تَقْيِضُ نَدَى وَنَبَلَا لَهَا بِهِمَا غَنَى عَنْ حَذُو حَاذِي (١)
بَنَى مَجْدًا عِرَاقِيًّا جَدِيدًا فَاسَّسَهُ عَلَى الْخِجْدِ الْحِجَازِي
وَسَارَ مِنَ السِّيَاسَةِ فِي طَرِيقِ بِحَسَنِ الرَّأْيِ مُعَلِّمَةَ الطَّرَازِ
فَمَا تَرَكَ الْجَبُودَ بَلَا نَجَاحِ وَلَا فُرْصَا تَمُرُّ بَلَا انْتِهَازِ
إِذَا اعْتَزَمَ الْأُمُورَ مَضَى وَأَمَضَى وَإِنْ سَلَ الْمُهَيَّدُ قَالَ مَازِ (٢)

• • •

أَبَا غَازِي فَقَدْنَا مِنْكَ قَرَمًا يُنَاجِزُ دُونَنَا يَوْمَ النَّجَازِ (٣)
حَلَّتْ مِنَ الْعِرَاقِ وَأَنْتَ رِكَزٌ بِحَيْثِ الْأَرْضِ جِمْدَةُ الرَّكَازِ (٤)
فَلِ الْيَمْنِ مِنْذُ حَلَّتْ فِيهِ وَقَبْلًا كَانَ عَنْهُ ذَا انْحِيَاظِ
تَقَدُّ وَفَقَّتْ بِالْقَلَمِ الْمَسْلَى كَمَا وَفَقْتَ بِالسَّيْفِ الْجُرَازِ (٥)
وَمَهَّدْتَ الْأُمُورَ لَنَا فَفَزْنَا مِنْ الْأَمَالِ بِالْعُرْرِ الْعِرَازِ
وَدَرَّتْ ذَاتُ أَيْدِينَا وَكَانَتْ كَحَلْبِ النَّوْقِ أَيَّامَ الْغِرَازِ (٦)
وَلَوْلَا سَعْيُكَ الْمَشْكُورُ كُنَا كَذِي سَقَرٍ يَسِيرُ بَلَا جَوَازِ
إِذَا الْمُكَاءُ أَوْقَى مِنْكَ حَظًا يَطِيرُ إِلَى الْعَلَى بِجَنَاحِ بَازِ (٧)

• • •

(١) الحدو : المخاكة .

(٢) المهيد : السيف من صنع المهيد . وماز الشيء : قرزه عن غيره .

(٣) القرم : السيد . ويناجز بقاتل .

(٤) الركنز : الرجل الحكيم الكريم . والركاز : ما ركزه الله أي أحده ودفنه في المعادن من ذهب وفضة وغيرهما .

(٥) السيف الجراز : القاطع .

(٦) درب ذات يده : اتسعت حاله واغتنى . وأيام الغراز : التي لا لبن فيها .

(٧) المكاء : طائر من القناير ، له تصعيد وهبوط في الجو ، أبيض اللون ، وله صغير حسن .

والبازي : من الطيور الجارحة .

لأهل الرافدين عليك حزن
فأنت هَدَيْتَهُمْ سُبُلَ المعالي
كأن لبسوا الحداد عليك حزنا
وما هم بالبكاء جزوك شيئا
له بقلوبهم فضل ارتكاز
كما جَنَّبْتَهُمْ طَرِيقَ المجازي
فقد ألبستهم ثوب اعْتَزاز
ولكن الإله هو المجازي

لقد قَوَّيْتَنَا مِنْ بعد عَجَز
وكنا كالبُغَاثِ قَمِيتَ فينا
فنحن اليوم إِذْ دَهَمَتْ خطوب
نقوم إلى الهياج بلا تَوَانٍ
فلسنا من صروف الدهر نخشى
ونحن من الالَى في كل عصر
نراعي الحق في سلمٍ وحرب
ولو شَكَتِ الحَقِيقَةُ لَانْتَزَعْنَا
وقد علمت بنو آثور أَنَا
فنحن بسيفك الماضي جَزَزْنَا
به كنا نَجِي—د عن البراز^(١)
بما صرنا به مثل البَوَازي^(٢)
نظرنا للخطوب بطرف هازي
ونبتدر الأمور بلا احتراز
عَوَادِي ذات سَلْبٍ وابتزاز
عزائم للمكارم كلُّ عاز
ونترك في مغارمنا التَّجَازي
شكايتهم — بتضحية المجاز
أولو بأس يعرقب كل ناز
نواصي جمعهم أَي اجتزاز

أَفِيضْ نَمِّ بَقِيرِكَ مستريحا
فإن المالك بعدك ملكٌ غازي

(١) البراز : المبارزة والقتال .

(٢) البُغَاث : طائر أعبر أصغر من الرخم ، بطيء الطير ، يضرب به المشي في الضعف .

ذكرى الكاظمي

أنددت في حفلة أقيمت في بغداد سنة ١٩٣٥ لتأبين
شاعر العراق الشيخ عبد المحسن الكاظمي وكان توفي بمصر

ليس في غاية الحياة البقاء فلذا خاب في الخلود الرجاء
غير أن الحياة بالعز عند الرجل الحر غاية غراء
أي فخرٍ للناعمين بعيش لم تجلله عزّة قعساء
حسب من رام في الحياة خلوداً أنه بعد موته علواء^(١)
وكفى المرء بعد موت حياة أن ذكره حلو حسناء
قد قضى الكاظمي وهو جدير أن تعزّي في موته الشعراء
عاش منسى عارفيه ولما مات فاضت بنعيه الأنباء
ذكرته نعاته بنعوت قبله حاز مثلاً العطاء
فلئن كان ما يقولون حقاً أفهم بالذي نسوا لؤماء
كيف ينسون في الحياة أدبياً عبقرية عنت له الأدباء
أفئدسى حياً ويذكر ميتاً إن هذا ما تنكر العقلاء
إن هذا أمر يتيه ضلالاً في بوادي تفسيره الحكماء
ضحكوا منه في الحياة ومنذ ما تَ تعالى نحيبهم والبكاء
أيها النادبون :

أيها النادبون غيّر غرّوا برح اليوم لايب الخفاء^(٢)
يكرم الميت بالثناء وتحيا عندكم في المهانة الأحياء
كل من يخبر الأناس خبري لا يبالي أحسنوا أمام أساءوا
أنا جرّبتهم إلى أن تساوى الـ يوم عندي سيئاتهم والثناء

(١) (علواء) : كذا رأيها في القصيدة بخط الشاعر نفسه ، ولم أقين المراد منها .

(٢) برح الخفاء : زال اليبس والغموض .

غَرَى النَّاسُ بِالْهَوَىٰ فَضَلَّالٌ كُلُّ مَا يَفْعَلُونَهُ أَوْ رِيَاءٌ^(١)
قد تَمَادَى فِي الْقَاتِلِينَ غُلُوٌّ وَتَوَالَى فِي الْفَاعِلِينَ رِيَاءٌ
أَيُّهَا الْكَاطِمِي نَمِّ مَسْتَرِيحًا حَيْثُ لَا مَبْغُضٌ وَلَا إِيْذَاءٌ
عَشْتُ فِي مِصْرَ بِاحْتِرَامٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ الْأُمَائِلُ الْفَضْلَاءُ
إِنْ لِلنَّيْلِ مِنْ جَزَائِكَ شُكْرًا سَتُؤَدِّيهِ دَجَلَةُ اللِّسَانِ
لَمْ تَعِشْ عَيْشَةَ الرِّفَافِ وَلَكِنْ لَكَ فِي الْعَيْشِ عِزَّةٌ وَعِلَاءٌ
أَيُّ حَرٍّ فِي الشَّرْقِ عَاشَ سَعِيدًا لَمْ تَشِبْ صَفْوَةَ عَيْشِهِ الْأَقْدَاءُ
وَهَنِيئًا إِذْ لَمْ تَعِشْ فِي الْعِرَاقِ—مِثْلَ مِثْلِكَ— مُضَاعًا تَنْتَابُكَ الْأَرْزَاءُ
مِنْ شَقَاءِ الْعِرَاقِ أَنْ ذَوِيَ النِّعَمِ فِيهِ أَجَانِبٌ غُرَبَاءُ
إِنْ جَفْتَنَا بِلَادُنَا فَهِيَ حَبٌّ وَمِنْ الْحَبِّ يُسْتَلَذُّ الْجَفَاءُ^(٢)
لَمْ نَحُلْ عَنْ عَهْدِهَا مَذْجَفْتَنَا بَلْ لَهَا الْوَدُّ عِنْدَنَا وَالْوَفَاءُ
قَدْ بَكِينًا شَجَّوْا عَلَيْهَا وَمِنْهَا وَعَنَانًا سَقَمَها وَالشِّفَاءُ^(٣)
كَمْ أَرَدْنَا سَخَطًا عَلَيْهَا وَلَكِنْ غَلَبَ السَّخَطُ فِي الْقُلُوبِ الرِّضَاءُ
إِنَّمَا هَذِهِ الْمَوَاطِنُ أُمَّ مُسْتَحَقٌّ لَهَا عَلَيْنَا الْوَلَاءُ
إِنْ خَدَمْنَا فَلَا نَرِيدُ جِزَاءً وَمِنْ الْأُمِّ هَلْ يُرَادُ جِزَاءُ

(١) غرى الناس بالشئ : أولعوا به .

(٢) الجفاء : الإعراض والغلظة .

(٣) شجوا : حزنوا . وعنانا : أهمنا وشغلنا .

رثاء شوقي شاعر مصر الأكبر

(أُلقيت في الحلقة التأسيسية الكبرى في نابلس سنة ١٩٣٢)

الشعر بعد مصابه بكبيره في مصر جل مصابه بأميره
بيناه يبكي حافظا بشقيقه إذا به يبكي أحدا بزفيره
لم يقض بعض حداده لتصيره حتى أحدا أسى لفقد مجيره
ما أن خبت في الأفق شعله نوره حتى انطوت في الجولمة نوره
بالأمس ظل مرزاً بميينه واليوم بات مفجعاً بمنيره
أخذت فرزدقه المنون وضاعفت جلى مصيبته بأخذ جريره
رزآن ملتهبان قد نضحتهما على العلى من دمعها بغزيره
فالشعر بعدها استطال بكأوه وتموجت بالحزن كل بحوره
وهزاره ترك الصلاح وليته أمنت أعاديه سماع زئيره

* * *

يانيرا فجع القريض بموته فبكنه عين وزينه وكسيره
وخلت سماء الشعر بعد أفوله من مشرقات شموحه وبدوره
ومؤمرا لم تنتفض بوفاته في الشعر بيعته على تأميره
إذ لن يقوم نظيره من بعده هيهات أن تأتي الدنى بنظيره
لاك في الخلود مكانة مانالها فرعون في ديماسه وحفيره
إن الدفين مضمخا بمنوطه دون الدفين مخنطا بشعوره
إن المتوج فوق عرش ذكائه يعلو المتوج فوق عرش سريره
مامات من تركت لنا أقلامه صورا خوالد من بنات ضميره
صورا تمثل ذاته وصفاته حتى يقمن لنا مقام نشوره
فكأنه وهو الدفين بقيره حي يعيش بحزنه وسروره

وكانه في القوم ساعة حفاهم متكلم بنظمه — وشيره

* * *

لأبي على من قريحة شعره
كم قد رمى الغيب الخفى فؤاده
وتصور المعنى الدقيق فرده
يأتيك بالمعنى الجميل قد اكتسى
فالشعر قد دكت جبال فنونه
ياراحلا ترك القوافي بعده
لهفى على ذيلك القلم الذى
الشعر كنت أميره وسميره
حررته من رق كل تصنع
سخرت من أوتاره ما لم يكن
ولكم شدوت بنعمة من بمة
تتايل الأبدان فى إنشاده

وحى أتى من جبرئيل شعوره
بذكائه فأصاب ككشف ستوره
كالصبح مفتلقا أوان ظموره
من وشى سندس لفظه وحريره
إذ موت شوقى كان نفخة صوره
محتاجة الحيا إلى تفكيره
يتطرب الأرواح لحن صريره
فمن المسامر بعد فقد سميره؟
فبدت فنون الحق فى تحريره
ليطيع غيرك قط فى تسخيره
ولكم صدحت بنعمة من زيره
طربا وليس يمل من تكريره

• • •

يا أهل مصر عزاءكم فصابكم
الشعر قد ثلت بمصر عروشه
علمان من أعلامه كانا به
لكلبيهما الهرمان قد خسعا أسى

أمر قضاء الله فى تقديره
ب وفاة سيده وموت أميره
يتنازعان سبق فى تحبيره
والنيل مد أنينه بخبره

نسائیات

المرأة في الشرق

ألا ما لأهل الشرق في برحاء^(١) يعيشون في ذُلٍّ به وشقاء^(٢)
 لقد حكموا العادات حتى غدت لهم بمنزلة الأقياد^(٣) للأسراء
 إذا تخبرهم في الحياة تجد لهم حياة تخطت خطة السعداء
 وما ذاك إلا أنهم في أمورهم أبوا أن يسيروا سيرة العقلاء
 لقد غمطوا حق النساء فشدوا عليهن في حبس وطول ثواء
 وما ألزموهن الحجاب وأنكروا عليهن إلا خرَجَةً بغطاء
 أضاقوا عليهن الفضاء كأنهم يغارون من نورٍ به وهواء
 قد اتبذوا عنهن في العيش جانباً فما هن في أمر من الخلطاء
 وقد زعموا أن لسن يصلحن في الدنيا

لغير قرار في البيوت وباء^(٤)

فما هن إلا متعة من متاعهم وإن صنَّ عن بيع لهم وشراء
 أهانوا بهن الأمهات فأصبحوا بما فعلوا من الأُمِّ اللؤماء
 ولو أنهم أبقوا لهن كرامة لكانوا بما أبقوا من الكرماء
 ألم ترهم أمسوا عبيداً لأنهم على الذل شبُّوا في حجبٍ وإماء
 وهان عليهم حين هانت نساؤهم تحلُّ جور الساسة الغرباء
 فياقوم إن شئتَ بقاء فنازعوا سواكم من الأقوام حبل بقاء
 أيسعد تحيَّاءكم بغير نساءكم وهل سعدت أرض بغير سماء
 وما العار أن تبدو الفتاة بمسرح تمثل حالي عِزَّة وإياء
 ولكن عارا أن تزيَّ رجالكم على مسرح التمثيل زيَّ نساء
 أقول لأهل الشرق قول مؤلَّب وإن كان قولي مُسَخِّطاً السفهاء

(١) البرحاء : الشدة والأذى ، أو الشر .

(٢) الأقياد : القيود .

(٣) الدنيا : جمع دنيا .

ألا إن داء الشرق في كبرائه
وأقبحُ جهل في بني الشرق أنهم
وأكبر مظلوم هو العلم عندهم
لو اقتصر أهل العلم للعلم منهم
ولاستأصل الموتُ الوحيُّ نفوسهم
ولكنَّ حَمُّ الله أبقى عليهم
لقد مرَّ قوا أحكام كل ديانة
وما جعلوا الأديان إلا ذريعةً
فما علماء الجهل إلا مساقم
ألا يا شباب القوم إني إلى العلى
أما أن لا أوطان أن تنهضوا بها
فقد ربح صوتي واستشاطت جوانحي
على أن لي فيكم رجاء وإن يكن
وما أنا في وادي الخيال بهائم

فبعثوا لهم في الشرق من كبراء
يسمُّون أهلَ الجهل بالعلماء
فقد يدَّعيه أجهلُ الجهلاء
لصَّبَّ عليهم منه سوطُ بلاء
ونادى عليهم مُؤذِنًا بفناء ^(١)
فعاثوا ولو في ذلة وشقاء
وخالطوا لهم منها ثيابَ رياء
إلى كل شَغَب بينهم وعداء
رمت جهلاء العلم بالقوباء ^(٢)
لَدَاعٍ فهل مَنْ يَسْتَجِيبُ دعائي
لأدراكِ مجدٍ وابتغاءِ علاء
وقل اصطباري واستطال بكائي
من اليأس مسدوداً طريقُ رجائي
وإن كنت معدوداً من الشعراء



(١) الموت الوحي : السميع .

(٢) القوباء : داء معروف .

نساؤنا

إلى صاحبة مجلة الحدر

ألا خلياني في الكلام من السجع
وإن أنا أرسلت الحديث فأصغيا
فإني ما أطلعت شمس حقيقة
ولست أبالي بعد إفهام سامعي
وإني إذا قبلت رأساً ولم أجد
إذا كان علم الأصل عندي حاصلاً
فإن بان لي سير الكواكب لم أبل
شكوت إلى رب السموات أرضه
فقد جار في الأرض البسيطة خلقه
وإن السموات العلى لكثيرة
وإني لأشكو عادة في بلادنا
وذلك أنا لا تزال نساؤنا
وأكبر ما أشكو من القوم أنهم
أفى الشرع إعدام الحمامة ريشها
وقد أطلق الخلاق منها جناحها
فتلك التي ما زلت أبكي لأجلها
بكيت بلا دمع ومن كان حزنه
قيا ربة الحدر اسمعي ما أقوله

ولا تجريا في القول إلا على الطبع
وإلا فما يجدي لسمعكما قرعى
لمستمع إلا لتغرب في السمع
أكان بخفض لفظ ما قلت أم رفع^(١)
به فضل عقل كان أجدر بالصفع
فقيم اهتمامي بعد ذلك بالفرع
أكان يجذب ذلك السير أم دفع
وما الأرض إلا من سماواته السبع
على خلقه جوراً إلى الحزن يستدعي
وإن لم نعد اليوم منها سوى تسع
رحى الدهر منها هضبة المجد بالصّدع
تعيش بجهل وانفصال عن الجمع
يعدون تشديد الحجاب من الشرع
وإسكانها فوق الغصون عن السجع
وعلمها كيف الوقوع على الزرع
بكاء إذا ما اشتد أدّى إلى الصرع
شديداً بكى من غير صوت ولا دمع
لعل مقالى فيه شيء من النفع

(١) الخفض والرفع : من مصطلحات النحو ، ومراد الشاعر أنه لا يتأنق ولا يهرب في عبارته .
وليس مراده أنه يجوز رفع المنصوب أو خفضه ، ونصب المرفوع أو خفضه ، لأن ذلك لا يجوز
في الإنشاء الرفيع ، بل في كلام العوام .

أَيَّابَنَةُ « فَنَدَى » إِنَّ لِلْمَجْدِ غَايَةً
وَإِنِّي أَرَى فِي الْقَوْمِ بَعْضَ خَيَالٍ
فَقَدْ لَا يُرَوِّينَا السَّحَابُ بِمَائِهِ
يَقُولُونَ لِي إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصٌ
فَأَنْكَرْتُ مَا قَالُوهُ وَالْعَقْلُ شَاهِدِي
إِذَا النِّخْلَةُ الْعَيْطَاءُ أَصْبَحَ طَلْعُهَا
وَلَكِنْ عَلَى الْجَذْعِ الَّذِي هُوَ نَابِتٌ
وَوَاللَّهِ مَا إِنْ ضَمْتُ دَرْعًا بِقَوْلِهِمْ
أَمْزَقَ دَعْوَاهُمْ إِذَا مَا طَعْنَتْهَا
أَلَا فَاصْدَعِي يَارَبَّةَ الْخُدْرِ الَّذِي
فَأَنْتِ مِثَالُ الْكَمَالِ الَّذِي حَوَى
أَدَامَكَ رَبُّ النَّاسِ لِلنَّاسِ حِجَّةً

وَإِنِّي فِي إِدْرَاكِهَا بِأَذَلِّ وَسْعَى
وَأَحْذَرُ مِنْ أَنْ يَنْقَشِعَنَّ بِلَا هَمٍّ (١)
وَإِنْ كَانَ فِيهِ الْبَرْقُ مُتَّصِلَ اللَّمَعِ
وَيُذْكَرُونَ فِيهَا هُمْ يَقُولُونَ بِالسَّمْعِ
وَمَا أَنَا فِي إِنْكَارِ ذَلِكَ بِالْبِدْعِ
ضَعِيفًا فَلَيْسَ اللَّوْمُ عِنْدِي عَلَى الطَّلَعِ (٢)
بِمَنْبِتِ سُوءٍ فَالْتَقِيصَةُ فِي الْجَذْعِ
وَلَكِنَّمَا قَدْ ضَاقَ مِنْ فَعْلِهِمْ ذَرْعِي
وَلَوْ أَنَّهَا كَانَتْ مِنَ الدِّينِ فِي دِرْعِ
تَرَيْنَ مِنَ الْآرَاءِ فِي الرَّدِّ وَالرَّدْعِ
مَنْ الْعِلْمُ أَسْبَابًا تَجَلَّى عَنِ الْقَطْعِ
عَلَى مَنْ نَمَى نَقْضُ النِّسَاءِ إِلَى الطَّبْعِ

حرية الزواج عندنا

ظَلَمُوكَ أَيُّهَا الْفَتَاةُ بِجَهْلِهِمْ
طَمِعُوا بِوَفْرِ الْمَالِ مِنْهُ فَأَخْجَلُوا
أَفْكَوْكَبَ تَحْسِيقَارٍ فِي الْوَرَى
فَإِذَا رَفَضْتِ فَمَا عَلَيْكَ بِرَفْضِهِ

إِذَا أَكْرَهُوكَ عَلَى الزَّوْاجِ بِأَشْيَبَا
بِفَضُولِ هَاتِيكَ الْمَطَامِعِ أَشْجَبَا (٣)
مَنْ سَعِدَ أَخْبِيَةِ الْعَوَانِي كَوَكْبَا
عَارٍ وَإِنْ هَاجَ الْوَلِيُّ وَأَغْضَبَا

(١) الخيال : جمع مخيلة ، وهي السحابة المبشرة بالخير ، ضربها مثلاً للصفت التي تنبئ عن حسن الاستعداد في الإنسان . والجمع : الإمطار .
(٢) العيطاء : المرتفعة . والطلع : الثمر .
(٣) وفر المال : المال الكثير . وأشعب : عرني يضرب به المثل في الطمع ، كان في عهد بني أمية .

إِنَّ الْكَرِيمَةَ فِي الزَّوْجِ لِحَرَّةٌ
 قَلْبُ الْفَتَاةِ أَجَلٌ مِنْ أَنْ يُشْتَرَى
 أَتُبَاعُ أَفْتَدَةُ النِّسَاءِ كَأَنَّهَا
 هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ يَا بِي مِثْلُهُ
 بَيْتُ الزَّوْجِ إِذَا بَنُوهُ مَجْدَدًا
 يَأْمَنُ يُسَاوِمُ فِي الْمُهْوَورِ مَغَالِيَا
 أَقْصِرْ فِكْمَ مِنْ حَرَّةٍ مُذًا نُزَلَتْ
 إِنْ الزَّوْجُ مَحَبَّةٌ فَإِذَا جَرَى
 لَا مَهْرَ لِلْحَسَنَاءِ إِلَّا حَبَّهَا
 خَيْرُ النِّسَاءِ أَقْلَهَا لَخَطِيبَهَا
 وَإِذَا الزَّوْجُ جَرَى بَغِيرَ تَعَارَفِ
 هُوَ عِنْدَنَا رَمَى الشَّيَاكُ بُلْجَّةٌ
 أَوْ مِثْلُ مُحْتَطَبٍ بَلِيلِ دَامَسٍ
 وَلِقَوْمُنَا فِي الشَّرْقِ حَالٌ كَمَا
 تَرَكُوا النِّسَاءَ بِحَالَةٍ يَرْتِي لَهَا
 قَلٌّ لِلْأَلَى ضَرَبُوا الْحِجَابَ عَلَى النَّسَاءِ
 شَرَفُ الْمَلِيحَةِ أَنْ تَكُونَ أَدِيبَةً
 وَالْوَجْهَ إِنْ كَانَ الْحَيَاءُ نِقَابَهُ
 وَاللَّوْمُ أَجْمَعُ أَنْ تَكُونَ نِسَاؤُنَا
 هَلْ يَعْلَمُ الشَّرْقِيُّ أَنْ حَيَاتِهِ
 وَقَضَى لَهَا بِالْحَقِّ دُونَ تَحْكَمِ

وَالْحَرُّ يَا بِي أَنْ يَعِيشَ مُذَبِّدًا
 بِالْمَالِ لَكِنْ بِالْمَحَبَّةِ يُحْتَبَى^(١)
 بَعْضُ الْمَتَاعِ وَهَنٌْ فِي عَهْدِ الصَّبَا
 مِنْ عَاشَ ذَا شَرَفٍ وَكَانَ مَهْدَبًا
 بِالْمَالِ لَا بِالْحُبِّ عَادَ مَخْرَبًا
 وَيَعْمَلُ فِي أَمْرِ الزَّوْجِ إِلَى الْحَبَا^(٢)
 فِي مَنْزِلِ الرَّجُلِ الْغَنَى بِهَا نَبَاً
 بِسِوَى الْمَحَبَّةِ كَانَ شَيْئًا مَتَعْبًا
 فَبِحَبِّهَا كَانَ الْقِرَانُ مَحْبَبًا
 مَهْرًا وَأَكْثَرُهَا إِلَيْهِ تَحَبُّبًا
 وَتَحَبُّبٌ فَالْخَيْرُ أَنْ نَتَرَهَبًا
 أَتَصِيبُ أَخْبَثَ أَمْ تَصَادِفُ أَطْيَبَا
 أَيْدُوسُ أَفْعَى أَمْ يِلَامَسُ عَقْرَبَا^(٣)
 زِدْتُ افْتِكَارًا فِيهِ زِدْتُ تَعْجَبًا
 وَقَضَوْا عَلَيْهَا بِالْحِجَابِ تَعْصَبًا
 أَفْتَعْلَمُونَ بِمَا جَرَى تَحْتَ الْعَبَا^(٤)
 وَحِجَابُهَا فِي النَّاسِ أَنْ تَتَهَبَّا
 أَغْنَى فَتَاةَ الْحَيِّ أَنْ تَتَنَقَّبَا
 مِثْلَ التَّعَاجِ وَأَنْ نَكُونَ الْأَذْوَبَا
 تَعْلُو إِذَا رَبَّى الْبَنَاتِ وَهَذَبَا
 فِيهَا وَعَالِمُهَا الْعُلُومُ وَأَدْبَا

(٢) الحبا : المهر . وأصله : الحياء ، ممدود .

(١) يحتبى : يختار ويصطفى .

(٣) المحتطب : جامع الخطب . والدامس : الشديد الظلمة .

(٤) العبا : أى العباءة .

فالشرق ليس بناهض إلا إذا أدنى النساء من الرجال وقربا
فإذا ادّعت تقدما لرجالها جاء التأخر في النساء مكذبا
من أين ينهض قائما من نصفه يشكو السقام بقالج متوصبا^(١)
كيف البقاء له بغير تناسب والذهر خصص بالبقاء الأنسا
والشعر ليس بنافع إنشاده حتى يكون عن الحقيقة معربا
تلك الحقيقة للرجال أزفها ولها أقيم من القوافي موكبا

المرأة المسلمة

لم أر بين الناس ذا مظلمة أحق بالرحمة من مسلمة^(٢)
منقوصة حتى بميراثها محجوبة حتى عن المكرمه
قد جعلوا الجهل صوانا لها من كل ما يدعو إلى المأثمه^(٣)
والعلم أعلى رتبة عندهم من أن تلقاه وأن تعلمه^(٤)
ما تصنع المرأة محبوسة في بيتها إن أصبحت معدمه
ضاقت بها العيشة إذ دونها سدت جميع الطرقي المعلمه

كم في بيوت القوم من حرة تبكي من البؤس بعيني أمه
قد لوحت نار الطوى وجهها وأعمل الفقر به ميسمه^(٥)
عاب عليها قومها ضله أن تكسب القوت وأن تطعمه^(٦)

- (١) السقام : المرض . والفالج : الشلل يصيب نصف الانسان طولا . والمتوصب : المريض .
(٢) المظلمة بكسر اللام : ما يطلبه المظلوم عند الظالم .
(٣) الصوان ، بتثنية الصاد : ما يسان به الشيء ويحفظ .
(٤) من أن تلقاه ، بتشديد القاف : أصله تتلقاه ، حذف منه إحدى التامين .
(٥) الطوى : الجوع . ولوحت نار الطوى وجهها : أى غبرته وسفنته . والميسم : المكواة ،
وهى حديدة يكوى بها .
(٦) ضلة ، بالكسر : وهى مفعول مطلق ، أى عيب ضلة ، والواو فى قوله « وأن تطعمه »
معنى .. ، وليست بماطفة ، لأنهم لا يعيبون عليها أن تطعم القوت .

من أى وجهٍ تبتغى رزقها وطرقها بالجهل مُستبهمه
وكيف والقوم رأوا سعيها في طلب الرزق من الملامه

• • •

وكم فتاة فتتدت بعلمها من بعد ما قد ولدت توءمه^(١)
فانقطعت في العيش أسبابها وأصبحت للبؤس مُستسلمه
تبيت لمحمد لفرط الجوى لا قر الليل ولا النجمه
من حيث لا تملك من دهرها ما جل أو دق ولو سيمسه
جف على مرضعها ثديها فاضطرها ذلك أن تقطعه^(٢)
فعاش عيش الأم لم يؤفه تلبسه الدهر ولا مطعمه
فشب منهوك القوى مثلها يشكو من الدهر الذى أئتمه^(٣)

• • •

فهذه حالة نسواننا وهى لعمري حالة مؤله
ما هكذا يا قوم ما هكذا يأمرنا الإسلام فى المسلمه
فهل بكم من راحم للنساء فمن أولى الناس بالمرحمة^(٤)



(١) التوءمة : مؤنث التوعم ، وهو المولود مع غيره فى بطن .

(٢) على مرضعها ، بصيغة المفعول : أى على طفلها المرضع . وقوله فاضطرها ذلك : أى فاضطرها جفاف ثديها .

(٣) منهوك القوى : أى خسر القوى ، هزىلا ضعيفا .

(٤) فهل بكم : أى فهل فيكم ؟ غالباء لاظرفية بمعنى فى .

التربية والأمهات (*)

هي الأخلاق تنبت كالنبات
تقوم إذا تعهدتها المرءى
وتسمو للمكارم باتساق
تُنْعَش من صميم المجد رُوحاً
ولم أرَ للخلائق من محلّ
فحِضْن الأم مدرسة تسامت
وأخلاق الوليد تقاس حسناً
وليس ربيبٌ عالية المزايا
وليس النبت ينبت في جنانٍ

إذا سُقِيَتْ بماء المَكْرُماتِ
على ساق الفضيلة مُشِرَاتِ
كما اتَّسَقَتْ أُنَايِبُ القَنَاةِ^(١)
بأزهار لها مُتَضَوِّعَاتِ
يُهْدِيهَا كحِضْن الأمهاتِ
بتربية البنين أو البناتِ
بأخلاق النساءِ الوالداتِ
كمثل ربيبٍ سافلة الصفاتِ
كمثل النبت ينبت في القَنَاةِ

• • •

فما صدر الفتاة رَحِبَتْ صدرها
نراك إذا ضممتَ الطفلَ لَوْحاً
إذا استند الوليدُ عليك لاحتُ
لأخلاق الصبي بك انعكاس
وما خسرَ بانُ قلبك غير درس
فأول درس تهذيب السجايَا
فكيف نظنُّ بالأبناء خيراً
وهل يُرَجَى لأطفالٍ كمالٌ
ها للأمهات جهان حتى

فأنت مَقَرُّ أسمى العاطفاتِ
يفوق جميع ألواح الحياةِ
تصاويرُ الخفافِ مصوِّراتِ
كما انعكس الخيالُ على المِراةِ
لتلقينِ الخصالِ الفاضلاتِ
يكون عليك يا صدر الفتاةِ
إذا نشئوا بحضن الجاهلاتِ
إذا ارتضعوا تُدِيّ الناقصاتِ
أتين بكل طيَّاشِ الحِصاةِ^(٢)

(*) من الديوان الأول .

(١) القَنَاة : الزمَج وكل عصا مستوية .
(٢) الطيَّاش : الذي لا يقصد وجهاً واحداً لثمة عقله . والحِصاة : العقل والرأى ، يقال فلا
دو حِصاة ، أى هو وقور . وماله حِصاة ولا أسافة : أى رزانة . قال كعب بن سعد الفزري :
وإن لسان المرء ما لم تمكن له حِصاة على عورانه لدليل

حَنَوْنَ عَلَى الرُّضِيعِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَاعَ حُنُوءُ تِلْكَ الْمَرْضَعَاتِ

أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ نَشْكُو مصيبتنا بجمل المؤمنين
فَتِلْكَ مَصِيبَةٌ يَا أُمَّ مِنْهَا « نَكَادُ نَغْصُّ بِالماءِ الْفِرَاتِ »
تَحِذُنَا بِعَدِّكَ الْعَادَاتِ دِينَا فَأَشَقُّ الْمَسْلُومُونَ الْمَسْلَمَاتِ
فَقَدْ سَلَكَوا بَيْنَ سَبِيلِ خُسْرِ وَصَدَّوهُنَّ عَنْ سَبِيلِ الْحَيَاةِ
بِحَيْثُ لَزِمْنَ قَعَرَ الْبَيْتِ حَتَّى تَزَلْنَ بِهِ بِمَنْزِلَةِ الْأَدَاةِ (١)
وَعَدَّوهُنَّ أَوْضَعُ مِنْ ذَبَابٍ بِلا جَنَاحٍ وَأَهْوَنَ مِنْ شَذَاةِ (٢)
وَقَالُوا شِرْعَةُ الْإِسْلَامِ تَقْضَى بِتَفْصِيلِ « الَّذِينَ » عَلَى « الْمُلُوتِ »
وَقَالُوا إِنْ مَعْنَى الْعِلْمِ شَيْءٌ تَضِيقُ بِهِ صُدُورُ الْغَانِيَاتِ
وَقَالُوا الْجَاهِلَاتِ أَعَفُّ نَفْسًا عَنْ الْفَحْشَاءِ مِنَ الْمُتَعَلِّمَاتِ
تَقْدَرُ كَذِبُوا عَلَى الْإِسْلَامِ كِذْبًا تَزُولُ الشَّمُّ مِنْهُ مُزَلَّزَلَاتِ
أَلَيْسَ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ قَرَضًا عَلَى أَبْنَائِهِ وَعَلَى الْبَنَاتِ
وَكَانَتْ أَمْنَا فِي الْعِلْمِ بِحَرًّا تَحِلُّ لِسَائِلِهَا الْمَشْكَلاتِ
وَعَلَّمَهَا النَّبِيُّ أَجَلَ عِلْمٍ فَكَانَتْ مِنْ أَجَلِ الْعَالَمَاتِ
لِذَا قَالَ ارْجِعُوا أَبَدًا إِلَيْهَا بِثَلَاثِ دِينِكُمْ ذِي الْيَمِينِ
وَكَانَ الْعِلْمُ تَلْقِينًا فَأَمْسَى يُحْصَلُ بِانْتِيَابِ الْمَدْرَسَاتِ (٣)
وَبِالتَّمَرُّيرِ مِنْ كُتُبِ ضَخَامٍ وَبِالْقَلَمِ الْمَمْدِّ مِنَ الدَّوَاةِ
أَلَمْ نَرَ فِي الْحَسَنِ الْعِيدِ قَبْلًا أَوَانَسَ كَاتِبَاتِ شَاعِرَاتِ

(١) الأداة : الآلة ، يريد بها ما يستعمل في البيوت كالآنية . والشاعر يقرع بذلك بعض من لا أخلاق لهم ، ممن أضاعوا حقوق المرأة ، وسلبوها ما منحها الله من المقام السامي ، غير ناظرين إلى ما ورد فيها من الآيات والأحاديث انفاضية بتكريمها ، وجعلها مساوية للرجل ، وجعله قواما عليها بواسطة .
(٢) لشذاة : كسر العود .

(٣) هذا البيت وما بعده جواب لا اعتراض . تقديره : أن الذي لم يعلم عائشة العلم بطريق تعليمها القراءة والكتابة ، بل بطريق التلقين .

وقد كانت نساء القوم قديماً
يكنن لهم على الأعداء عوناً
وكن منهم من أسيرت وذات
فهاذا اليوم ضرر لو التفتنا
فهم ساروا بنسج هدى وسرنا
نرى جيل الفتاة لها عفاً
ونحنقر الحلائل لا لجرم
ونلزمهن قبر البيت قبرا
أين وأدوا البنات فقد قبرنا
حجبناهن عن طاب المعالي
ولو عدت طباع القوم لوئماً
وتهذيب الرجال أجل شرط
وما ضرر العنيفة كشف وجه
فدى للحلائق الأعراب نفسى
فسكر برزت بحيمهم الغواني
وكن خشف بمربهم وظي
ولولا الجمل ثم لقلت مرحى

يرحن إلى الحروب مع الغزاة^(١)
ويضمدن الجروح الداميات
عذاب الهون في أسر العدا
إلى أسلافنا بعض التفات
بمذبح التفريق والشئات
كان الجبل حصن الفتاة
فتوذهن أنواع الأداة^(٢)
ونحسبن فيه من الهنات^(٣)
جميع نساينا قبل الممات^(٤)
فمشن بجهلن مهتكات
لما غدت النساء محجبات^(٥)
لجمل نسايم متهدبات
بدا بين الأعفاء الأباة
وإن وصفوا لدينا بالجفاة
حواسر غير ما متربات
يمر مع الجداية والمهابة^(٦)
لمن ألقوا البداة في القلاة^(٧)

(١) أراد بهن البيت وما بهن إمامة الدليل على عدم الحجاب في صدر الاسلام .

(٢) الحلائل : الزوجات .

(٣) الهن : كناية عن كل اسم جنس ، ومعناه شيء ، ومؤنثه هنة ، وجدها هنوات وهنات .
يريد بذلك أننا نحسب المرأة من جهلنا شيئاً من أشياء البيت .

(٤) وآد البنت : دفنها حية .

(٥) الدبيب في تحجب النساء : فساد طباع الناس ، فلو تجردوا عن أوم الضيمه لأبيح للمرأة كشف وجهها ، كما كانت في زمن النبي وأصحابه .

(٦) الخشف : انطوى . الجداية والمهابة : انزلة . وفي الكلام مجاز لا ينحى .

(٧) ثم : هناك . مرحى : كلمة يقال عند إصابة الشيء ، كما أن يرحى يقال عند الخطأ فيه .

المهجورة

أو مشهد الحسد في الحزن

وبيضاء أغناها عن الحلى ثغرُها
إذا ابتسمت في ظلمة اليأس أشرقاً
نرى وجهها بدرأً محاطاً من السنأ
يذكّرني من مطلع الشمس شعرُها
بسمطين من درّ مضيتين في الثغر^(١)
فعدنا من الآمال في أنجم زهر
بصبحين من ثغر وضئ ومن نحر
ذوائب ترخي من أشعتها الصفر



كشفت به ما كان من حجب العمى . . .

ترأّت فأما نفسها فخرينة
بدت في حداد ترسل الطرّف وأنيا
رأيت بها بدرأ تردي دجنة
فكانت لها سود الجلايب حلية
تبسم حيناً ثم تجش لبسكا
وأما محياها فكالكوكب الدرّي
يفضّ على وجد ويفتح عن سحر
غداة أميط السجف من جانب الخدر^(٢)
ولاعجب أن الدجى من حلي البدر
فمن لؤلؤ تبدى ومن لؤلؤ تدرى^(٣)

(١) السمط : العقد . (٢) الدجنة : الظلمة . (٣) أذرى الدمع : أسقطه .

كأن تلاميح الأسى في جبينها
 وكم أبصرت عيناي لما تنهدت
 فقد كان منها الصدر يعاود يرتدى
 ومما شجبا نفسي ذبول بخدها
 ولما انقضى صبرى وقفت تجاهها
 فقلت وقد ألفت على الصدر كفها
 لك الخير من حرّ يسائل حرة
 سقاني بكأس الحب حتى شربتها
 فلما رآنى قد سكرت بحبه
 ألا إن قلبى اليوم إذ مسّه الجوى
 ليفزع ممن يدعى الحب قلبه
 على أن قلبى لم يعد عنه صابرا
 إذا أشرقت شمسى تناسيت ذكره
 وإنى على ما نابى من جفائه
 ولما شكت لى حرقة فى فؤادها
 أرى قطرات الدمع فى وجناتها
 هنالك أمت راحتها بوجهها
 وقالت وقد كان النشيج يصدّها
 ساحل ما قد حمّلتنى يد الهوى
 فقلت أما والله لو أن لى يدا
 لشددت فى زجر الحبين إن جفوا

بقايا ظلام الليل فى غرة الفجر
 تموج بحر الحب من عاصف الهجر
 فبيعت بى شجوا يموج به صدرى
 كما ذبلت فى بيتها باقة الزهر
 أسائل عما ناب من نوب الدهر
 تشد ضلوعا ينطوين على جمر
 شككت هجر بعل لم يكن بالفتى الحر
 ولم أدري أن الحب ضرب من الخمر
 صحا قلبه من حيث لم أضح من سكرى
 وإذ مال بعل فى هوى إلى الغدر
 كما فزعت قمرية الروض من صقر
 ألا لا آمال الله قلبى إلى الصبر
 وإن جنّ ليلى بت منه على ذكر
 لأقنع منه بالخيال الذى يسرى
 ترقق دمع العين فى خدها يجرى
 فأحسبها الياقوت رصع بالدر
 تكفكف أسرابا من الدمع بالعشر
 عن القول إلا عن كلام لها نزر
 من الوجد حتى يحملونى إلى القبر
 على كل حكم جاء من ظلم الدهر
 وعاقبت منهم من يميل إلى الهجر

إلى الحجابيين

مناسبة كتاب السفور والحجاب . للآنسة نظيرة زين الدين

قل للحجابيين كيف ترونكم
كشفت بهما كان من حجب العمى
سفر أقام على السفور أدلة
بالاجئين إلى العناد خصومة
هل من نظير بينكم لنظيرة
هدمت نظيرة ما بنت عاداتكم
أفتمكثون على العناد وقد بدا
نحن السفوريين أعلم بالذي
أيكون ما شرع النبي محمد
إن اعتزالكم النساء ترفعا
حتى رجال الصين تحترم النساء
كلًا ولكن عادة همجية
من بعد سفر السفور مبين
عنكم «نظيرة» بنت «زين الدين»
تركت ذبابكم بغير طنين
ما كان حصن عنادكم بحصين
أو من فقيه مثلها وفطين^(١)
من كل سحن للنساء مهين
من بعدليل الشك أصبح يقين
شرع النبي محمد من دين
شيئا يخالف شرعة التمدن
أمره يناقض حكمة التكوين
أف نحن ننقص عن رجال الصين
جعلتم حربا لكل حسين^(٢)

هو ان المرأة عندنا

ما أهون على ذكرنا
ضعفت فحجتها البكاء لخصمها
هي متعة المستمعين وليتها
فوليها عند الدفاع يبيعها
وكلاهما متحكّم في أمرها
فلقد شجاني ذلها وخضوعها
وسلاحها عند الدفاع دموعها
كانت لزما لا يجوز مبيعها
وحليها عند الطلاق يضييعها
هذا يعريها وذاك يجيعها

(٢) الحسين : الحسن .

(١) الفطين : صاحب الفطنة .

التاريخيات

ضلال التاريخ

- أقول وطرفي في الحال مُحَدَّقُ (١)
أما لفيزاء الزمان مُنَسَّرُ (٢)
لقد خمرتني في الزمان وأهله
أرى الدهر في أمرين يعمل دائماً
يُجَدِّدُ للموتى مناقبَ لم تكن
فكم من قبور عظم الناس أهلها
ورُبَّ امرئ قد عاش يستقطرُ الثنا
سقى الدهرُ للأموال غرسَ مناقب
أرى كل ميت ما تقادم عهده
فأقربهم عهداً أقلُّ غضاضةً
كان كراماتِ الفقيدِ بواسق
إذا شطَّ جيلٌ خط من جاء بعده
فما كتب التاريخ في كل ما روتُ
- أبا الدهر مَسَّ أم بأهليه أولقُ (١)
فقد حار فيها الأملُ المدققُ (٢)
شكوك عليها يُعَذِّرُ المتزندقُ (٣)
صَنَعَ اليدين فيهما يتأنقُ (٤)
لديهم والأحياء بُيِّلَ ويُخَيَّقُ (٥)
بما لم يكن عند النسي يتحقق
فالما قضى سال الثنا يتدققُ (٦)
بمَن فظلل الغرس ينمو فيبسقُ (٧)
تقام له سوقُ الثناء فتنفقُ (٨)
وأقدمهم عهداً أغضُ وأسمقُ (٩)
يؤبرها كَرَّ القرون فتعذقُ (١٠)
أكاذيبَ عنه بالثناء تزوقُ (١١)
لقرأتها إلا حديث مُلَقَّقُ (١٢)

(١) الأولي : الجنون .

(٢) لفيزاء : تصغير لفز . والألمع والألمى : الذكي المتوقد .

(٣) خمرتني : داخلتنى وذهبت باي . والمتزندق : من لا يؤمن بالآخرة ولا الربوبية .

(٤) رجل صنع اليدين وصنع اليدين : حاذق ماهر في العمل بهما .

(٥) مناقب : محامد . جمع منقبة .

(٦) يستقطر الثناء : يطلبه من الناس قطرة قطرة . وقضى : مات .

(٧) المين : الكذب . ويبسق : من اليسوف : أي يعلو ويطول في السماء ، كما تبسق النخلة .

(٨) تنفق : تروج . وقوله « ما تقادم » ما هنا : زائدة لا نافية ، لأن المعنى على التحقيق ،

لا على الظني . يريد قد تقادم عهده .

(٩) الغضاضة : مصدر الغض ، وهو الطرى من النبات والجم ونحوها

(١٠) يؤبرها : يلقحها ويصلحها . وتعذق : تثر .

(١١) تزوق : تخلط وتموه .

(١٢) ملقق : مصنوع من عناصر غير متجانسة ، فهو كذب .

نظرنا لأمر الحاضرين قرابتنا فكيف بأمر الغابرين نصدق^(١)
وما صدقتنا في الحقائق أعين فكيف إذن فيمن يصدق مرق^(٢)
وهل قد خصصنا دون من مات قبلنا
بحبث السجايا ، شد ما نتحقق !^(٣)

• • •

لعمرك أقصاني الزمان المفرق فهل أنا من بعد التشاؤم معرق^(٤)
خليلى هل من بالرضافة عالم بأنى إلى من بالرضافة شيق^(٥)
بلاد إذا ما هبت الريح نحوها تمنيت لو أنى بها أتعلق
أبيت على شوق وقلبي موثق بهمى ودمعى فوق خدى مطلق
إذا ما تذكرت العجوز بكيتها بدمع به الأهداب تطفو وتغرق^(٦)
وما شرقي بالدمع يأم وحده ولكن بروحى عند ذكراك أشرق
ويهفو بقلبي الشوق حتى كأنما تحطفه من بين جنبي سودق^(٧)
فيا أم صبرا إن لانبك همة إلى المجد ترمى أو إلى المجد تسبق
تضايق عنها الدهر مستعظما لها وأهلوه عنها يا أميمة أضيق^(٨)
أكلف منها الدهر ما لا يطيقه فليس بعسارى أننى فيه مخفق
لقد صغرت بغداد عن أن تضمها وما وسعيتها بعد بغداد جلق^(٩)

- (١) يقول : إذا قسنا أمر الماضين على ما نشاهده بأعيننا ، ضاعت الثقة بالتاريخ ، لأننا نرى بأعيننا أمورا لا يصدق التاريخ في ذكرها .
(٢) المهرق : نوع خاص من الصحف . كانوا يكتبون عليه كتب المعاهدات ونحوها .
(٣) شد ما نتحقق : ما أشد حاجتنا !
(٤) التشاؤم هنا : الذهاب إلى الشام . ومعرق : داخل العراق . ويقال أشأم : فهو مشم ، وأعرق فهو معرق .
(٥) شيق : مشائق .
(٦) يريد بالعجوز أمه .
(٧) هنا بقلبه الشوق : ذهب به . والصقر أو الشاهين .
(٨) صغر لفظ أم ، لانها ونحننا إليها . (٩) جلق : دمشق .

ومنها :

أبت كتب التاريخ للحق ما لمتقى
فإن شَرَّقت في الحق فهو مغرَّب
تجور بها الأهواء جوراً وإنما
فيأيها التاريخ أغرق مغالياً
قتلت الورى خيراً فليس بخادعى
ولى في بنى الدنيا حصاة رزينة
ومنها :

هذا ذيك لا تحفل مقال مؤرخ
كذاب على وجه الطروس مسطر
فدع عنك لغو الناطقين وخذ بما
فإن ذكروا النعمان يوماً فلا تنق
فأصدق منهم في المسمع لهجة
تنورت وجه الحق في ظلماتهم
ملككت من الدنيا حقيقة أهلها
ولا يستفزنك الكلام المشقق^(١)
يخص به العقل السليم ويشرق
رواه من الآثار ما ليس ينطق^(٢)
بأكثر مما قال عنه الخورنق^(٣)
ضفادع في المستنقعات تنطق^(٤)
فلم أر نوراً غير ذا يتألق
وإلى على الدنيا بها أتصدق^(٥)

- (١) الموق : الحاجز بين الشيئين .
(٢) زلقت الرجل : دبت وسقطت .
(٣) أغرق في الشيء : أعمق فيه وأبعد . والمبالغة : المبالغة في الشيء . يقول مخاطباً التاريخ :
قد عرفناك مغالياً في تقدير الأشياء ، فلا يهمننا ما تقول ما دما نعرف سجيبتك .
(٤) النظرية : التزيين والتجسين ، وهي بمعنى التعميق .
(٥) حصاة : عقل . وتنرق : تطيش وتضل .
(٦) هذا : أسرع ، وهذا ذيك : إسراعاً بعد إسراع ، وهو من المصادر المنصوبة مثل
حنانيك ، أى حنان بعد حنان . يقول أسرع ولا تملت عند قراءة التاريخ ، فما يستحق أن يوقف
عنده . والكلام المشقق : الفصيح الذى ذنب فيه القائل مذاهب التجمل والتجسين .
(٧) يريد لا تقول إلا على ما تنطق به شواهد الآثار الصامته .
(٨) الخورنق : من آثار ملوك الحيرة ، يريد لا تنق بأخبار الكتب ، وعول على ما ينطق به
البناء من عظمة صاحبه .
(٩) تنطق : تصوت .

جالينوس العرب أو أبو بكر الرازي (*)

أَلَا لَفَتْنَا مَنَّا إِلَى الزَّمَنِ الْخَالِي
تَلَوْنَا أَنَاسًا فِي الزَّمَانِ تَقَدَّمُوا
أَلَا فَادْكُرُوا يَا قَوْمَ أَرْبَعٍ مُجْدِكُمْ
تَطَلَّبْتُمْ صَفْوَ الْحَيَاةِ وَأَنْتُمْ
رَمَا أَنْتُمْ إِلَّا كَسَكْرَانٍ طَافِحٍ
مَشَى بَارْتَعَاشٍ فِي الطَّرِيقِ فَنَارَةٌ
يَمُدُّ إِلَى الْجُدْرَانِ كَفَّ اسْتِنَادَهُ
وَيَنْفَتَحُ لِلطَّرَاقِ مُقْسِلَةً حَانِقَ

فَنَقِيطُ مِنْ أَسْلَافِنَا كُلِّ مِفْضَالٍ^(١)
وَكَمْ عِبْرَةٌ فِيمَنْ تَقَبَّلَ لِقَاءَ^(٢)
فَقَدْ دَرَسْتُ إِلَّا بَقِيَّةَ أَطْلَالٍ^(٣)
بِجَهْلٍ ، وَهَلْ تَصِفُوا الْحَيَاةَ لُجْهَالٍ ؟
تَحْسَى مِنْ الصَّهْبَاءِ عَشْرَةَ أَرْطَالٍ^(٤)
يَقُومُ وَأُخْرَى يَنْهَوِي فَوْقَ أَوْحَالٍ
فَتَقْذِفُهُ الْجُدْرَانُ قَذْفَةً إِذْلالٍ
فِيُخَمِّضُهَا خَزْيَانٌ عَنْ شَتَمِ عُدَالٍ

• • •

رَمَى الدَّهْرُ قَوْمِي بِالْخَمُولِ فَامْتَنِعْ
فَهَاجَ الْبُسْكَاءُ يَا سَيِّدَ الْبَكِيَّةِ
نَظَرْتُ إِلَى الْمَاضِي وَفِي الْعَيْنِ حُمْرَةٌ
فَشِمْتُ بِرُوقِ الْأَوَّلِينَ مِنْبِرَةٌ
« تَنُورَتِهَا مِنْ أَذْرَعَاتِ وَأَهْلِهَا
وَأَوْسَعْتُهُمْ عَذْلًا فَلَمْ يُجِدْ تَعْدَالِي^(٥)
بِدَمْعِي حَتَّى بَلَ دَمْعِي سِرْبَالِي
كَأَنَّ عَلَى أَمَاقِهَا نَضْحَ جَرِيَالٍ^(٦)
عَلَى أَفْقٍ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَنِ الْخَالِي^(٧)
يَبْثُرُ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرَ عَالٍ^(٨) »

(*) من الديوان الأول .

(١) النقطة : تعني ما هو للغير من غير أن تريد زواله عنه .

(٢) تلونا : تبعنا .

(٣) الأربع : الديار . اندرست : انمجت . الأطلال : آثار الديار .

(٤) تحسى : شرب . الصهباء : الخمر . (٥) العذل والتعادل : اللوم .

(٦) الأماق : جمع ماق ، وهو طرف الدين مما يلي الأفق ، وهو مجرى الدمع من العين .

النضح : رشاش الماء ونحوه . الجريال : صبغ أحمر .

(٧) شمت : نظرت . والشيم : هو النظر إلى البرق خاصة .

(٨) تنورتها : نبصرتها . أذرعات : بلد بالشام . يثرب : اسم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

أى نظرت إلى دارها وأنا بالشام وأهلها يثرب . والمعنى أن إفراط الشوق يخيّلها لي ، فكأنني =

وقلّبتُ طرفي في سماءِ رجاها
فأنتِ آثارا وهم سلك درّها
ولما طلّوتُ الدهر بيني وبينهم
قعدتُ بأوساط القرون فجاءني
فتى عاش أعمالا جساما وإنما
حكيمٌ رياضيٌّ طيبٌ منجّمٌ
أتى فيلسوفا للنفوس مهذباً
لقد طبّب الأرواح من داء جهلها

وهم فوق عرشٍ للجلالة محلّال^(١)
وأبصرت أعمالا وهم جيدها الحالّ^(٢)
على بعد أزمان هناك وأجيال
«أبو بكرٍ الرازي» فقتت لإجلال^(٣)
تقدر أعمار الرجال بأعمال
أديب وفي الكسياء حلالٌ إشكال
بأفضل أفعال وأحسن أقوال
كما طبّب الأجسام من كل إلال

مولده :

تولد عام الأربعين الذي انقضى
إلى زكريّا ينتمى ، إنه له
على حين كانت بلدة الريّ عادةً
مدارسُ بالشبان تزهو ودونها

لثالث قرْنٍ ذى مآثر أزوال^(٤)
أبٌ تاجرٌ في الريّ صاحب أموال^(٥)
إلى العلم تعطو جيدها غير معطال^(٦)
كتاتيب للتعليم تزهو بأطفال

== أنظر إلى نازها . والبيت لامرئ القيس بن حجر الكندي ، من تصديده التي مضاعفها :
ألا عم صابحا أيها الطلل البالي وهل بعمن من كان في العصر الحالّ
وقد ضمنه شاعرنا .

- (١) المحلل : المكان الذي يحل كثيرا ، وهو صفة لعرش .
(٢) آنت : أبصرت . الجيد : العنق . الحالّ : المعلى بالقلادة ونحوها .
(٣) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الحكيم ، صاحب الكتب المصنفة ، مات بالري بعد
منصرفه من بغداد سنة ٣١١ .
(٤) أزوال : جمع زول ، وهو العجب ، ومنه (سير زول) أي عجيب في سرعته وخفته ،
وهذا (زول من الأزوال) : أي عجب من الأعجاب ، والعامّة عندنا تقول : زول ، بضم
الزاي ، وهو خطأ .

- (٥) الري : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن .
(٦) العادة : المرأة الناعمة اللينة الأعطاف . تعطو : ترفع . المعطال : التي ليس في جيدها حلي .

بهاجُلْ درس القوم طِبَّ وحَكْمَةً^(١) وفلسفة فيها لهم أَى إِيغال^(١)
وكانت نفيسات الصنائع عندهم يحاولها ذو الفقر منهم وذو المال
وما كان هذا الحال في الرّىّ وحدها

بل الحال في البلدان طُرّاً كذا الحال
فإن هَدَى الإسلام أبهى فتوحه وأصلها للحد أحسن إيصال
وبدّل أبطال الحروب من الورى بأبطال علم للجبهة قتال^(٢)
فدارت رحي تلك العلوم وقُطِبها ببغداد مركز بربرة إجلال^(٣)
وكانت يد المأمون في ذلك أخجلت لسان العلى في شكره أَى إخبجال^(٤)
منشؤه :

تدرّج في تلك المدارس ناشئاً مترجماً يسعى بجدّ وإقبال^(٥)
تعلم فنّ الصوت بادىء بدئه ومارس تفصيلاً به بعد إجمال
فكانت بموسيقى اللّحون دروسه تغنى بأهازج وتشدو بأرمال^(٦)
وقد جاوز العشرين سناً ولم يكن لشيء سوى فن الغناء بميال
فراهم أبوه منه تحويل عزمه يجذب إلى شغل التّجار وإدخال
فقال له دعنى مع العلم إنتى إذا ما أمتّ الجهل أحييت آمالى
وهل يستطيع المرء شغلاً إذا غدا له شاغل بالعلم عن كل أشغال

(١) الإيغال : مصدر أوغل في الشيء ، بمعنى أبعد في الذهاب فيه ، وبالغ ، وأسرع .

(٢) قتال : جمع قاتل .

(٣) الرحي : أصل معناها الطاحون . والقطب : حديدة في الطبقي الأسفل بدور عليها الطبقي الأعلى .

(٤) المأمون : هو عبد الله بن هرون الرشيد صاحب الأيادى البيض في نشر العلم وترجمة السكتب العلمية باللغة العربية .

(٥) مترجماً : أى الذى نذكر ترجمته ، يعنى أبا بكر الرازى .

(٦) الإهازج : مصدر أهازج المثنى إذا أنى بالهزج ، وهو نوع من الأغاني ، فيه ترنم . وأهازج

الشاعر : نظم شعراً من الهزج ، وهو بحر من بحور الشعر ، وزنه « مفاعيلن » أربع مرات .
الأرمال : مصدر أرمال المثنى : إذا أتى بالرمال ، وهو لحن من ألحان الموسيقى .

هناك استقى الرازي من العلم شربة^(١) فجاد بإعلان له بعد إنهال^(٢)
 سنى سعيه نحو التعلم بأدنا^(٣) بعلم ندى أهل التفلسف ذى بال^(٤)
 وقد كان مفتاح العلوم تنفس^(٥) تفكك به من جهلهم كل أغلال^(٦)
 فزاول أنواع العلوم تنقلا^(٧) بأبين أوضاع لها غير أغفال^(٨)
 انضا^(٩) شمة في العلم مشحودة الشبا

جلت ما لحرب الجنيل من ليل قسطل^(١٠)
 وقد أكل الطب المفيد قراءة^(١١) على الطبرى الخبر أحسن إكمال^(١٢)
 سياحته :

ومذ جاوز الرازي الفلأين واغتنى^(١٣) مدلا على أقرانه أى إدلال^(١٤)
 رأى من تمام العلم المر أنه^(١٥) يسبح بضرب في البلاد ونحوال^(١٦)
 وما العسلم إلا بالسياحة إليها^(١٧) لمن عملوا في علمهم درس أعمال^(١٨)
 فقام وشد الرحل والفرز وامتعلى^(١٩) التقطع الغيا في متن هو جاء شمالال^(٢٠)
 فجاء بلاد الشام تورا^(٢١) وجازها^(٢٢) إلى مصر في وخذ حثيث وإرقال^(٢٣)

(١) الإعال : السقى بعد السقى . الإنهال : السقى الأول .

(٢) الأغلال : القيود .

(٣) الأوضاح : جمع وضوح ، وهو الضوء ، ورياض الصبح . الأغفال : جمع غفل ، وهو ملا
 علامة فيه توضحه وتبينه ، طريقا كان أو غيره .

(٤) انضا : جرد . مشحودة : مسنونة . الشبا : جمع شبة ، وهى حد السيف . القسطل :
 القطار ، أو هو خاص بفبار الحرب .

(٥) الخبر : العالم .

(٦) أدل على أقرانه إدلالا ، فهو مدل ، بمعنى تاه عليهم وتعالى .

(٧) ضرب في البلاد : سافر .

(٨) الرحل : مركب البعير . الفرز : ركاب الرجل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد
 فهو ركاب ، امتعلى : ركب . الغيا في : الأراضى المقفرة . المتن : الظهر . الهو جاء : الناقة السريعة
 السير . الشمالال : الناقة السريعة الخفيفة .

(٩) الوخذ : سير البعير السريع . حثيث : سريع . الإرقال : الإسراع ، أو هو نوع
 من سير الخبيب .

- وخاض عُبَابَ البحر للغرب قاصدا
ففيها اجتلاه العز مذلاح طالعا
وحلَّ حلول البدر في السعد نائلا
وهب هبوب الريح ثمة ذكره
وودَّعها من بعد ذلك راجعا
ومنها إلى بغداد سافر قاطعا
فالتقى عصا التسيار من عرصاتِها
وبغداد كانت وهي إذ ذاك جنة
كأن رجال العلم في عُرفاتها
فكم تحفل للكتب فيه خزانة
ولما غدا الرازي ببغداد باسطا
أقيم لما رستاتها عن كفاية
فرتب مرضاه وأصلح شأنه
وظلَّ به يسعى طبيباً ممرضاً
- مواطن للإسلام لم يسألها السالى^(١)
لها كهلال يُجْتَلَى عند إهلال^(٢)
بقرطبة آباله ناعم البسال^(٣)
يطير على صيت من العلم جوال
إلى مصر لا توديع مستكره قال^(٤)
إليها الفلا ما بين حل وترحال
بمغرس عرفان ومنبت إفضال^(٥)
بها العلم أجرى منه أنهار سلسال^(٦)
بلابل تشدو غدوة بين أدغال^(٧)
وكم مرصد دان وكم مرقب عال^(٨)
من العلم أبواعاً له ذات أطوال^(٩)
رئيسا بتطبيب وتدير أحوال
بما كان لم يخطر لسابق أجيال^(١٠)
ويبذل جهدا لم يكن فيه بالآلى^(١١)

(١) يريد بقوله مواطن للإسلام : بلاد الأندلس .

(٢) اجتلاه : نظر إليه .

(٣) قرطبة : مدينة عظيمة بالأندلس (أسبانيا) وسط بلادها ، وكانت سريرا للكهنة وقصبتها ، وبها كانت ملوك بني أمية ، ومعدن الفضلاء ، ومنبع البلاء من ذلك الصقع ، بينها وبين البحر خمسة أيام . وقد خرج منها كثير من أهل العلم والفضل والأدب .

(٤) قال : مبعوض .

(٥) عرصاتُها : ساحات ديارها .

(٦) السلسال : الماء العذب السهل الدخول في الحلق ، لغذوبته وصفائه .

(٧) الأدغان : جمع دغل ، وهو الشجر الكثير الملتف .

(٨) المراد بالمرصد والمرقب هنا : المسكان الذي ترصد فيه النجوم وترقب .

(٩) الأبواع : جمع باع ، وهو قدر المد التواضع ، ويكنى به عن الشرف والفضل ، كما هنا . ذات أحوال : ذات أفضال ، وهو جمع طوبى .

(١٠) إن أبا بكر الرازي هو أول من وضع نظاما لترتيب المستشفيات وبنائها .

(١١) الآلى : المختصر .

وَيُلْقِي السَّرِيرَاتِ وَهِيَ مَسَائِلُ لَمِ سُرُرُ الْمَرْضَى تُقَرَّرُ فِي الْحَالِ^(١)
فَقَدْ كَانَ يَلْقِيهَا عَلَى الْقَوْمِ نَاطِقًا بِأَوْضَحِ تَبْيَانٍ وَأَحْسَنِ إِمْلَالِ^(٢)
مَآثِرِهِ الْعَامِيَةِ :

تَقْدَ أَشْغَلَ الرَّازِي بِبَعْدَادَ شُغْلُهُ عَدَا الطَّبَّ فِي الْكِمَاءِ أَعْظَمَ إِشْغَالِ
فَقَضَى بِهَا أَيَّامَهُ فِي تَجَارِبِ وَوَاوَلَّ أَبْكَارًا لَهْنًا بِأَصَالِ^(٣)
فَلَقَبَ فِيهَا بِالْمُجَرَّبِ حَرَمَةً تَفَرَّدَ مَخْصُوصًا بِهَا بَيْنَ أَمْثَالِ
وَأَصْبَحَ مَشْهُورًا بِأَسْنَى مَآثِرِ مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا وَأَعْمَالِ
فَإِنْ أَبَا بَكْرٍ لَأَوَّلُ مَفْصَحِ إِلَى النَّاسِ بِالدَّرْسِ السَّرِيرِيِّ مِقْوَالِ
وَأَوَّلُ مَنْ أَبْدَى لَهُمْ كَيْفَ يُبْتَقَى وَيُقَرَّشُ مَارِسَتَانِهِمْ قَصْدَ إِبْلَالِ^(٤)
وَأَلَّفَ فِي الْمُسْتَشْفَيَاتِ مُؤَلَّفًا تَقَصَّى بِهِ فِي وَصْفِهَا دُونَ إِغْفَالِ^(٥)
وَلَا تَنْسَ لِلرَّازِي الْكَحُولَ فَإِنَّهُ يُجَدِّدُ طَوْلَ الدَّهْرِ ذِكْرَاهُ فِي الْبَالِ
وَمَنْ عَمِلَ الرَّازِي انْعِقَادًا لِسَكَّرِ وَمَا كَانَ فِي مَحْصُولِهِ غَيْرَ سَيَّالِ
أَخْلَاقِهِ :

أَرَى الْعِلْمَ كَالْمَرَاةِ يَصْدَأُ وَجْهُهُ وَلَيْسَ سِوَى حُسْنِ الْخُلَاقِ مِنْ رِجَالِ
أَخُو الْعِلْمِ لَا يَغْلُو عَلَى سُوءِ خُلُقِهِ وَذَوَا الْجَهْلِ إِنْ أَخْلَاقُهُ حَسُنَتْ ظَالِ^(٦)
وَلَوْ وَازَنَ الْعِلْمُ الْجِبَالَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنُ خُلُقٍ لَمْ يَزِنْ وَزْنَ مِثْقَالِ

(١) سرر : جمع سرير .

(٢) الإملال : الإملاء يقال : أمليت الكتاب على السكاتب إملا ، وأملته إملاء .

(٣) الابكار : هو من طلوع الشمس إلى الضحى . الآصال : جمع أصيل ، وهو الوقت ما بين العصر إلى المغرب .

(٤) الإبلال : مصدر أبل المريض بمعنى شفى من مرضه .

(٥) تقصى المسألة : بالغ الغاية في البحث عنها .

(٦) يغلو : يكون غالباً . يقول : إن العالم السيئ الأخلاق لا يعاب به ، ولا نكون قيمته غالية . والجاهل الحسن الأخلاق غال ، معبوه به ، لحسن أخلاقه .

وإن المساوى وهى فى خُلقِ عالمٍ
ولكنما الرازى قد ازدان علمه
خلائق غرّة إن أردتُ بيانها
فتى كانت مملوء الجوانح رحة
يزور بيوت البائسين بنفسه
ويأتيهم بالمال والعلم مُسعداً
وما كان يقنو المال إلا لئله
وكان حليف الجدم لم يألُ جهده
فكم راح مخذولاً به متطبيبٌ
وكان سليماً فى العقيدة قلبه
وخلّ تفاصيل الألى ينسبونه
عوده إلى الرى :

ولما قضى الرازى ببغداد برهةً
فلما أتى تلك البلاد غداً بها
وألف للمنصور إذ ذاك باسمه
ولم تصفُ للرازى أواخرُ عمره
فقد عميت عيناه من بعد واغتدى
مضى قافلاً لارى شوقاً إلى الآل^(٧)
طبيباً لدى المنصور صاحبها الوالى
كتاباً حوى فى الطب أحسن أقوال
وعاد أخاهم شديداً وبليال
يجول من الفقر الشديد بأسمال^(٨)

(١) الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر ، كالضلوع مما يلي الظهر . الاقلال : الفقر .

(٢) الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف .

(٣) يقنو : يقتنى .

(٤) الهزال : الكثير الهزل ، وهو ضد الجدم .

(٥) الإلحاد : الطعن فى الدين ، والانحراف عنه . الختال : الخداع .

(٦) الزيع : الميل ، وكثير استعماله فى الضلال ، وهو الميل عن الحق .

(٧) البرهة : قطعة من الزمان طويلة ، واستعملها لاقطعة القصيرة منه كما درج عليه الكتاب

اليوم خطأ محض . قافلاً : راجعاً . الآل : الأهل .

(٨) الأسمال : الثياب البالية .

- وإن عِدَاءَ الدهرِ شِفْشِفَةٌ له يصول بها قهراً على كلِّ مفضال^(١)
 وما انتهى نحرُ النمانينِ عمرُهُ قضى نحيبه من غيرِ مالٍ وأنسال^(٢)
 ولكنه في الناس خَلَفَ بعده من العلمِ آثاراً قليلةً أمثال
 فكُم كُتِبَ أبقي بها الذكرُ في الرِّى وألقبها نسباً على غيرِ منزل
 وما ضرَّ من أحياءِ له العلمُ بعده على الدهرِ ذكراً أنه مَيَّتَ بال^(٣)
 وإنى وإن أطنبت في بحرِ علمه لمقتصرٌ منه على بعضِ أوْشال^(٤)
 وهأنا أنهي القولَ لا تمامه ولكن بمجرى عن نهوضِ بأجبال^(٥)
 وأجعل هذا الشعرَ مسكاً ختامه بما قال في بيتين معناهما حال
 « لَعَمْرِي وما أدري وقد آذَنَ البالي بعاجلٍ ترَ حالٍ إلى أينَ ترَ حالٍ »
 « وأينَ يحلُّ الروحَ بعدَ خروجها
 من الهيكلِ المنحلِّ والجسدِ البالي »^(٦)

(١) الشفشة : العادة والطبيعة .

(٢) أنسال : جمع نسل ، وهو الولد والذرية .

(٣) يقول : ماذا يضر الإنسان موته وبلاؤه إذا أحياء علمه له ذكراً خالداً مدى الدهر .

(٤) الأوشال : جمع وشل ، وهو في الأصل : الماء القليل يتحب من جبل أو شجرة ولا يتصل مطره ولا يكون إلا من أعلى الجبل .

(٥) الأجبال : جمع جبل .

(٦) الهيكل : يطلق على مكان ، منها الصورة والشخص .

الحرب في البحر (*)

أو وقعة توشيا بين الروس واليابان

- سَعَرَوْهَا فِي الْبَحْرِ حَرْبًا ضَرُوسًا تَأْكُلُ الْمَالُ نَارُهَا وَالنَّفُوسَا (١)
قُرْبَ «جُوشِيم» قَدِ تَصَادَمَ أُسْطُو لَانَ أَرْدَى الْيَابَانَ فِيهِ اَرُوسَا
يَوْمَ «طُوغُو» دَهَا بِأُسْطُولِهِ الرُّو سَ قَتَلًا وَكَانَ يَوْمًا عَبُوسَا
فَخَذَاهَا بِوَارِجًا تَمَلُّا الْبَحْرَ وَقَارَا طُورًا وَطُورًا بُوسَا (٢)
كُلَّ مَخَارِقَةٍ إِذَا حَرَّكَتْ دُفًّا عَمَّا خَضَخَضَتْ بِهِ اِنْقَامُوسَا (٣)
مَذَبَنَوْهَا لَهُمْ كَنِيْسَةً حَرْبٍ تَخَذَتْ كُلَّ مِدْفَعٍ نَاقُوسَا
عَرْشٌ بَلْقَيْسٍ فِي الْمَنَاعَةِ لَكِنْ قَدْ حَكَتْ فِي احْتِشَامِهَا بَلْقَيْسَا
أَلْبَسُوهَا مِنَ الْحَدِيدِ وَشَاحَا فَتَهَدَّتْ عَلَى الْعُبَابِ عَرُومًا (٤)
وَإِذَا تَنَشَّرَ الْبَنُودُ بَنُودَ النَّصْرِ فِيهَا تَحَالُمَا الطَّلُوسَا
وَإِذَا جَنَّتْهَا عَلَى الْبَحْرِ لَيْلٌ أُطْلَعَ الْكَيْرْبَاءُ فِيهَا شُمُوسَا (٥)
قَدْ أَبَى بِأَسَاسِهَا الشَّدِيدُ سِوَى الْفَوْ لِأَذٍ دِرْعًا لَجْسَهَا وَلَبُوسَا
سَيَّرُوا الْبَرْقَ بَنِيْنًا رَسُوْلًا صَادِقًا لَيْسَ يَعْرِفُ التَّكْدِيْسَا
فَهُوَ فِيهَا لَسَانٌ صَدَقَ يُؤَدِّي ذُوْنَ سِلَاقٍ كَلَامُهَا الْمَأْنُوسَا
إِنَّمَا سِنُّكَ الْأَثِيرَ الَّذِي رَا حَ بَطْنٌ أَهْتَازَهُ مَدُوسَا
جَهَّزَوْهَا مَدَافِعًا فَغَرَّتْ أَفْوَءَ نَارٍ قَدْ اِنْتَقَمْنَ الشُّوسَا (٦)

(١) من السيوان الأول .

(٢) الضروس : المهلكة .

(٣) حذاها : ساقها .

(٤) الدفاع : الشيء العظيم يدفع به مثله . وأراد به ما يكون في وخر الباخرة ليندفعها لسيور ، وهو الذي تسميه العامة « الرقاص » . خضخضت : هيجت وحركت . القاموس : البحر ، ومعظمه ، ووسطه .

(٥) العباب : معظم الماء .

(٦) جنها : سنها .

(٦) فغرت : فتحت . الشوس : جمع أشوس ، يطلق على الذي ينظر بمؤخر عينه تسكبرا أو تغيطا ، وعلى الجريء على القتال الشديد .

دَلَعْتُ ألسنا من النار مُخْمَرًا وِيلَ من قد نَغَدَا بها مَلْحُوسًا
تَرْسِلُ المَوْتَ في قَنَابِلَ كالشُّهْبِ ذَرِيْعًا مُسْتَأْصِلًا عِترِيسًا^(١)
طَلَمًا بِانْفِجارِها انْفَلَقَ البَحْرُ انْفِلَاقًا مَذَكَّرًا عَهْدَ مُوسَى

بَثَّ أَسْطُولَهُ فَلَبَّسَهُ « طَوْ » غَوْ « بِأَسْطُولِ خَصْمِهِ تَلْبِيسًا
حَيْثُ قَدْ أَجْفَلْتَ مِنَ اللَّجَجِ الحِيسَ تَحْشَى من اللَّيْبِ مَسِيسًا
وَعَلَا البَحْرَ مَكْفَهْرٌ غَمَامٍ من دُخَانِ هَمَى وَلَكِنْ بُوْسَى^(٢)
ثَارَ طَرَادُهُمْ بِمَحِيشِ بَنَسَا فَاتِ سُنَنِ لَهِمِ سَجَرَنَ الوَطِيسَا^(٣)
كَجِبَالٍ تَرَى البَرَاكِينَ فِيهَا تَقْذِفُ المَوْتَ جَارِفًا وَالنَّحُوسَا
فَأَبَاحُوهُمْ هُنَالِكَ قَتْلًا وَاغْتَنَمُوا نَفُوسَهُمْ وَالنَّفِيسَا
فَسَلَّ الِيمَ كَمِ تَضَمَّنَ مِنْهُمْ مُغْرَقًا فِي عُبَابِهِ مَغْمُوسَا^(٤)
هَاجَمُوهُمْ وَلِلْهِاجِ سَمِيرٍ مَلَأَتْ وَاسِعَ الخَضَمِّ حَسِيسَا^(٥)
فَكَسَوْهُمْ مِنَ الْهَوَاتِ لَبُوسَا وَسَقَوْهُمْ مِنَ الْمَنُونِ كُئُوسَا
صَرَعَتْ فِي الْوَعَى لُيُوثٌ مِنْ أَيْمَانِهَا بِأَنْ أَسْطُولَ خَصْمِهَا مَفْرُوسَا
فَأَتَتَصَوَّهَا عَزَائِمًا مَاضِيَاتٍ طَاطَأَ الرُّوسُ دُونَهُنَّ الرُّيُوسَا^(٦)
وَجَلَّوْهَا فِي الرِّزْقِ بَيْضَ فِعَالٍ أَقْرَأَتْهُمْ كُتُبَ الْفَخَارِ دُرُوسَا
إِنْ يَوْمًا لَهِمِ تَقْضَى بِجُوشِيْمَا لِيَوْمٍ بِالذِّكْرِ زَانِ الطُّرُوسَا
بَاتِ « طَوْغُو » يَجْنِي الْأَمَانِي إِذَا بَا تَ قَنُوطًا عَدُوَّهُ وَيَتُوسَا

(١) الذريع : من الحبل الخفيف السير . والواسع الخطو . ويقال : موت ذريع : أى قاس ، وقتل ذريع : أى فظيع . استأصله : قلع أصله . واستأصل القوم : قطع أصلهم . العتريس : من معانيه : الجبار الغضبان ، والنول الذكر ، والداهية ، والضابط الشديد .

(٣) البوسى : ضد التعمى .

(٢) سيجرن : أشعلن . الوطيس : التنور . يقال : حمى الوطيس ، كناية عن اشتداد الحرب .

(٤) اليم : البحر . (٥) الخضم : البحر .

(٦) اتقضى حسامه : جرده .

قائد لم يرد لظى الحرب إلا مُصدراً رأيه لها جاسوساً^(١)
تاه أسطوله على اليم عجباً حين أضحي مثله مرءوساً^(٢)
إن شهما تقلد العقل سيفاً لحرى بأن يكون رئيساً
ومليكا ولي الأمور ذويها لجدير بمكة أن يسوسا
وسل البر عنهم كم سَعَوْا فيه خيساً عرمرما فخميساً^(٣)
رجلا يملأ الفضاء وخيالاً حملت نوغى الكُمة الشُّوساً^(٤)
صوبوها بنادقا تطلق المو ت رصاصا به أبادوا النفوسا
هكذا شيدوا بناء المعالي هكذا أحسنوا لها التأسيسا

(١) لظى الحرب : نارها :

(٢) الضمير في أضحي : قائد للأسطول . وفي مثله : راجع لطونغو .

(٣) الخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير .

(٤) الكُمة : جمع كمي ، وهو الشجاع . والشُّوس : تقدم معانها .

هلاكو^(١) والمستعصم^(*)(٢)

هو الدهر لم يرحم إذا شدّ في حرب
يُزجر أحيانا ويضحك تارة
فلا هو في سلم فئامن بطشه
يسالم حتى تأخذ القوم غرة
أرى الدهن كالميزان يصعد بالحصى
أدال من العرب الأعاجم بعدما
ولم أرَ للأيام أشنع سبة^(٨) .
لعمرك من ملك العلوج على العرب^(٨)
ولم يتند إما تمخض بالخطب^(٣)
فيظهر في بُردين للجِدِّ واللَّعب^(٤)
ولا هو في حرب فنقعد للحرب
فيهم زحفا في زعارعه النكب^(٥)
ويهبط بالموزون ذو الثمن المرّبي^(٦)
أدال بني عباسها من بني حرب^(٧)

(١) هلاكو : هو هلاكو خان الطاغية الملعون ابن طلو بن جنكيز خان ملك التتر ، الذي أسر المستعصم بالحديعة ، ثم قتله وامتلك بغداد ، بعد أن قتل ما لا يحصى من العلماء والصلحاء وعامة الأهالي ، حتى فعل هو وجيوشه الجرارة الأفاعيل ، وضروب المنكر ، من قتل النساء والأطفال ، وشق بطون الحوامل ، وقتل الأجنبية ، وركوب الفواحش ، وقد دام القتل والنهب فيها أربعين يوما ، ثم نودي بالأمان . والتتر شعوب من الترك ، مساكنهم بلاد الصين ، مما وراء نهر سيحون ، وهم أمم كثيرة .

(*) من الديوان الأول .

(٢) المستعصم : هو آخر خلفاء بني العباس ؛ وكان ضعيف الرأي ، قد غلب عليه أمراء دولته ، لسوء تدبيره ، ولم تعلم كيفية قتل هلاكو له . وإنما يعلم أنه بعد أن انهزم جيش الخليفة ، خدع الخليفة بواسطة وزيره ابن العلقمي ، مدعيا أنه إن خرج إلى هلاكو ، فإنه يبقيه في الخلافة ، فخرج لما به المستعصم ، في جمع من أكابر أمجابه ، وفيهم العلماء والأماثل ، والسادة والمدرسون ، فلما تكامل جمعهم قتلهم التتر عن آخرهم .

وابن العلقمي هذا وزير المستعصم : هو الذي كاتب هلاكو بأن يحضر ويغزو بغداد ، انتقاماً من الخليفة وابنه أبي بكر ؛ لسبب سبذكره في موضعه من القصيدة .

(٣) يتند : يتمهل : تمخض بالخطب : أتى به وأظهره ، كأنه من الخاض .

(٤) يزجر : يكثر الصخب والصياح والزجر . البرد : الثوب ...

(٥) غرة : غفلة . الزعازع : الشدائد من الدهر . النكب : جمع نكباء ، وهي ريح انحرفت عن مهاب الرياح ، ووقعت بين ريحين ، أو بين العبا والشمال .

(٦) المرّبي : الرائد .

(٧) يقال : أدال الله بني فلان من عدوهم : أي جعل السكره لهم عليهم ؛ وأدال الله زيدا من عمرو : أي نزع الدولة من زيد ، وحولها إلى عمرو . والمراد بالأعاجم : هم التتر . بنو حرب : هم بنو أمية ، وقد انتصر العباسيون عليهم ، وانتزعوا الملك من أيديهم ، كما انتصر التتر على بني العباس ، وأخذوا الملك منهم .

(٨) السبة : العار . العلوج : جمع علج ، وهو الرجل الضخم من كفار الأعاجم .



- صفت لبني العباس أحواضُ عزهم زمانا وعادتُ بعدُ مُخْلِبةُ الشُّربِ (١)
عَنَّتْ لهم الدنيا فساموا بلادها بعدلِ أضاء الملك في سالفِ الحُقبِ (٢)
فكانوا طِفاحِ الأرض عِزًّا ومنعَةً
خلائفَ ساسوا بالسيوف وبالكتُبِ (٣)
لقد ملكوا مُلُكا بكتِ أخرياتُهُ بدمعِ على المستعصِمِ الشَّهْمِ مُنْصَبٍ
تشاغلُ بالذاتِ عن حَوَظِ ملكه
فدارتِ على ابنِ العَلَقَمِيِّ رَحَى الشَّغْبِ (٤)
أطال هجوداً في مضاجعِ لهوه
على تَرَفٍ والِدَهرِ يَقْظانُ ذُو أَلْبِ (٥)

(١) مُخْلِبة : فاسدة ذاتِ حمأة ، يقال : أخْلَبَ الماءُ : إذا كان ذا خَلْبٍ ، أى حمأة .

(٢) الحُقب : الدهر .

(٣) الطِفاح : المِلء ، هو طِفاحِ الأرض : مأوئها .

(٤) الشَّغْب : تهيجُ الشر .

(٥) الأَلْب : التدبير على العدو من حيث لا يعلم .

لقد غرّه أن الخطوبَ روايض ولم يدْرِ أن الليثَ يرْبُضُ للوثب^(١)
فكان كمرّانِ الحمارِ إذ انقضتْ به دولة مدّت يدَ الفتح للغرب^(٢)

* * *

جَرَتْ فتنَةٌ من شيعة الكَرخِ جَلَّتْ

على شيعة في الكَرخِ بالقتل والنَّهب^(٣)
فقامتْ لدى ابنِ العَلَقَمِيِّ ضغائنٌ تحجَّرنَ من تحت النِّياطِ على القلبِ^(٤)
فأضمرَ المستعصمُ الغَدْرَ وانطوى

على الحِقْدِ مدفوعاً إلى الغش والكذب
وخادعه في الأمر وهو وزيره مواربة إذ كان مستضعف الإرب^(٥)
فأبعد عنه في البلاد جنوده وشنتهم من أوب أرض إلى أوب^(٦)
ودس إلى الطاغى هلاكاً رسالة مغلغلة يدعوها فيها إلى الحرب^(٧)
وقال له إن جئت بغداد غازياً تملأكتها من غير طعن ولا ضرب
فأر هلاكاً بالمغول تؤمّه

كتابٌ خُضِرَ تضرب السهل بالصعب
وقاد جيوشاً لم تَمُرَّ بمُخَصِّبٍ من الأرض إلا عاد ملتهب الجذب

- (١) روايض : الربوض للفرس والسبع والبقر وغيرها : مثل البروك للابل .
(٢) مروان الحمار : هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وهو رابع عشر خلفاء بني أمية وآخرهم ، قتل في كنيسة في بوسير ، من أعمال مصر ، بعد أن انهزم في الزاب ، طعنه إنسان برمح سنة ١٣٢ هـ وبموته انقضى ملك بني أمية في المشرق .
(٣) جلع عليه : أى أقدم عليه إقداماً سديداً وكاشفه بالمداوة ، وخلاصة هذه الفتنه : أن وزير المستعصم كان شيعياً ، وكان أهل الكرخ شيعة أيضاً ، فجرت فتنه بين السنية والشيعة ، فأمر أبو بكر بن المستعصم ، وركن الدين الدوادار العسكر ، فتهبوا الكرخ ، وهتكوا النساء ، وركبوا منهن القواحش ، فعظم ذلك على الوزير ابن العلقمى ، وكاتب التتر ، وأطعمهم في ملك بغداد ، وسمى في تفريق جيش المستعصم عن بغداد إلى آخر ما ذكرناه في ترجمة المستعصم .
(٤) النياط : القواد ، وعرق نبط به القلب إلى الوتين ، فإذا قطع مات صاحبه .
(٥) الإرب : الدهاء .
(٦) الأوب : الجهة .
(٧) الرسالة المغلغلة : الحمولة من بلد إلى بلد .

جُيُوشٌ تَرْدُ الْمُضْبُ فِي السَّيْرِ صَفْصَفًا وَتَعْرُكُ فِي تَسْيَارِهَا الْجَنْبَ بِالْجَنْبِ
فَمَا عَتَمَتْ حَتَّى بَنَتْ بُغْيَارَهَا سَمَاءً عَلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ مِنَ التُّرْبِ
وَلَمَّا أَبَادَتْ جَيْشَ بَغْدَادَ هَالِكًا عَلَى رَغَمِ فَتْحِ الدِّينِ قَائِدَهُ النَّذْبِ
أَقَامَتْ عَلَى أَسْوَارِ بَغْدَادَ بُرْهَةً تَعَضُّ بِهَا عَضَّ الثَّقَافِ عَلَى الْكَعْبِ
تَقْضَاقُ عَلَيْهِمْ بِالْحِصَارِ خِنَاقُهَا وَغَصَّتْ بِكَرْبٍ يَا لَهُ اللَّهُ مِنْ كَرْبِ
بَوَقْدِ حُمٍّ فِيهَا الْأَمْنُ بِالرُّعْبِ فَانْبَرَتْ

لَهُ رَحَضَاءٌ مِنْ عَيُونِ أُولَى الرُّعْبِ (١)
هَنَّاكَ دَعَا الْمُسْتَعَصِمِ الْقَوْمَ بِأَكْيَا بِدَمْعٍ عَلَى لَحْيَيْهِ مِنْهُمْ لِي سَكَبِ
فَأَبْدَى لَهُ ابْنَ الْعَلَقَمِيِّ تَحْزُنًا

طَوَى تَحْتَهُ كَشْحًا عَلَى الْمَكْرِ وَالْخَلْبِ
وَقَالَ لَهُ قَدْ ضَاقَ بِالْخَطْبِ ذَرْعُنَا وَأَنْتَ تَرَى مَا لِلْمَغُولِ مِنَ الْخَطْبِ
فَكَمْ نَحْنُ نَبِيٍّ وَالْعَدُوِّ مُحَاصِرُ نَذِلُ وَنَشْقَى فِي الدِّفَاعِ وَفِي الذَّيْبِ
وَمَاذَا عَسَى تَجْدِي الْحِصُونَ بِأَرْضِنَا وَهُمْ قَدْ أَقَامُوا رَاصِدِينَ عَلَى الدَّرْبِ
فَدَعِ « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ » قِتَالَهُمْ عَلَى هُدُنَةٍ تَبْقِيكَ مِلْتَمَ الشَّعْبِ
وَلَسْنَا « وَإِنْ كَانَتْ كِبَارًا قِصُورُنَا » تَرُدُّ هَلَاكُو بِالْقِتَالِ عَلَى الْعَقْبِ
فَهَادِنُهُ وَاخْرِجْ فِي رَجَالِكَ نَحْوَهُ وَصَاهِرُهُ وَاشْدُدْ مِنْهُ أَرْكَ بِالْقُرْبِ
وِإِلَّا فَإِنَّ الْأَمْرَ قَدْ جَدَّ جِدُّهُ وَلَيْسَ سِوَى هَذَا لَصَدْعِكَ مِنْ رَأْبِ

* * *

فَلَمَّا رَأَى الْمُسْتَعَصِمُ الْخَرْقَ وَاسْمَا وَأَنْ لَيْسَ لِلدَّاءِ الَّذِي حَلَّ مِنْ طِبِّ
مَشَى كَارَهَا وَالْمَوْتُ يُعْجِلُ خَطْوَهُ يَوْمٌ لَفِيفًا مِنْ بَنِينَ وَمِنْ صَحْبِ

(١) الرَحَضَاءُ : عِرْقٌ يَنْصَبُ عَقِيبَ الْحِمَى . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : أَنَّ الْأَمْنَ لَا صَارَ مَحْمُومًا بِالرُّعْبِ ،
كَانَتْ رَحَضَاؤُهُ الدَّمُوعَ الْمُنْسَكَةَ مِنْ عَيُونِ الْمَرْعُوبِينَ .

وراح بعقد الصلح يجمع شمله
فأمسكه رهنا وقتل صحبه
وأغوى بغداد الجنود كما غدا
فظلّت بهم بغداد شكلى مِرْنَة
وجاسوا خلال الدُور ينتهبونها
وأمسى بهم قصر الخلافة خاشعا
وبانت به من واكف الدمع بالبكا
وراحت سبايا للذول عقائل
لقد شربوا بالهون أو شال عزها
فقلص ظل كان في الملك وارقا

كمن راح بين النون يجمع والغضب^(١)
هلاكو ولم يسمع لهم قط من عتب
بأدماء يُرمى كلبه صاحب الكلب
تفجع بين القتل والسبي والذهب
وصبوا عليها بطشهم أيما صب
متهمّة استاره خائف السرّب
عيون المهاشراء منزوعة الهدب
من اللاء لم تمدد لهم يد الثاب
وما أساروا شيئا لعمر ك في القعب
وأحل ملك كان مغلوب العشب

• • •

لقد بات إذ ذاك الخليفة جاثما
وخارت قواه بالسعار لنته
فقال وقد نقت ضفادع تطنه
فقال هلاكو عاجلوه بقصعة
وقولوا له كل ما بدا لك إنها
ألست لهذا اليوم كنت ادخرتها
وكنت بها دون الممالك معجبا

على الخسف مرقوبا بأربعة غلب
ثلاثة أيام عن الأكل والشرب^(٢)
ألا كسرة يا قوم أشفى بها سغبى^(٣)
من الذهب الإبريز والؤلؤ الرطب^(٤)
لآلىء لم تعبث بهن يد الثقب
فدونك فانظر هل تنوب عن الحب
وفاتك أن المقت من ثمر العجب

(١) النون : الحوت . والضب : حيوان يعيش في البر والمعنى : أنه راح يجمع بين الضدين .

(٢) السعار : الجوع .

(٣) نقت : صوت . والكسرة : اللقمة . والسغب : الجوع .

(٤) الإبريز : الخالص . والؤلؤ الرطب : أى المستخرج من البحار .

وَوُكِنْتَ فِي عِزِّ الْبِلَادِ أَهْنَهَا وَأُنْزِلَتْ مِنْهَا الْجُنْدُ فِي مَنْزِلِ خِصْبِ
لَمَّا أَكَلْتَكَ الْيَوْمَ حَرْبِي وَإِنْ غَدْتُ تَذِيبُ لُظَاهَا عِنْدَ صِرَاحِ الْجَبْرِ انْصَابِ
سَأْبِلُهَا دُونَ الْجُنُودِ أَزِيدُهُمْ صِيَالًا بِهَا فَوْقَ الْمَطْهَمَةِ الْقُبِّ (١)
وَسَوْفَ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ إِلَّا حَدِيثُنَا تَمِيزُ مَلُوكِ الْأَرْضِ دَأْبُكَ مِنْ دَأْبِي (٢)

هَنَالِكَ وَأَنْطَوَيْتُ أَفْتَى بِقَتْلِهِ قَرَرَهُ يَقْتُلُ آدِبٍ أَفْجَعَ الْأَدْبِ
أَشَارَ هَلَاكِي نَحْوَ عِلْجٍ فَتَلَّهِ فَخَرَّ صَرِيحًا لِلْيَدِينِ وَلِلْجَنْبِ (٣)
فَأُدْرِجُ فِي لِبْدٍ وَدَيْسٍ بِأَرْجَلِ إِلَى أَنْ قَضَى بِالرَّفْسِ نَمَّةً وَالضَّرْبِ (٤)
وَقَدْ أَتَخَنَتُ بَغْدَادَ مِنْ بَعْدِ قَتْلِهِ جُرُوحُ بَوَارٍ جَاءَ بِالْحِجَجِ الشُّهْبِ (٥)
وَمَا أَنْدَمِلَتْ تِلْكَ الْجُرُوحُ وَإِنَّمَا بَبَغْدَادٍ مِنْهَا الْيَوْمَ نَدْبٌ عَلَى نَدْبِ (٦)

-
- (١) صيالا : شدة واستطالة ، والمطهمة : يريد الخيل المطهمة ، وهي البارة الجمال ، والقب : جمع أقب ، وهو : الضامر ، وهو من صفات جياد الخيل ، وخاصة خيل الحرب .
(٢) الدأب : المادة والطريقة .
(٣) العليج : واحد العلوج ، وهو الرجل الضخم من كفر الأعاجم . وتله : صرعه .
(٤) أدرج : لف .
(٥) أتخنت : أوجعت قاتلت ، والحجج : السنون ، والشهب : جمع شهباء ، وهي البيضاء ، كناية عن سنة الجذب والتقطع والجوع .
(٦) الندب : أثر الجرح ، جمعه ندوب . واندمل الجرح : التأم وبرأ .

أبو دلالة والمستقبل (*)

قضت المطامع أن نطيل جدالاً وأبينَ إلّا باطلاً ومحالاً^(١)
 في كل يوم للمطامع ثورةً باسم السياسة تستجيش قتالاً^(٢)
 ماضراً من ساسوا البلاد لو أنهم كانوا على طلب الوفاق عيالا^(٣)
 أمن السياسة أن يقتل بعضنا بعضاً ليذكر غيرنا الآمالا^(٤)
 لادرّ درّ أولى السياسة إنهم قتلوا الرجال ويتموا الأطفالا^(٥)
 غرسوا المطامع واغتدوا يسقونها بدم هريق على الثرى سيالا^(٦)
 نثروا الدماء على البطاح شقائقها وتوهوها الروضة الحلالا^(٧)
 تقف الجيوش ولا ضغائن بينها سبقت ولا ترة ولا أدحالا^(٨)
 قالوا كرهت الحرب قلت لأنها دارت لتغتصب الحقوق ألالا^(٩)
 وأجالت فكري في الحروب فلم أجد أبدا لمن سوى الخمر مثالا^(١٠)
 طاشت منافعها الصغار عن الورى ورست مآثمها الكبار جبالا^(١١)
 ما أوجع الحرب الضروس فإنها تحسو النفوس وتأكل الأموالا^(١٢)
 كم سح من رهج الحروب على الرّبا وبّل الدماء فزادها إحمالا^(١٣)
 لولا الحروب ومحرقات صواعق منها لأبقت الربا إبقالا^(١٤)

(*) من الديوان الأول .

(١) المحال : المكر والكيد والاحتيال .

(٢) تستجيش : أى تعد جيشاً . أو هو من جيشان القدر إذا غلت واضطربت . وقتالاً : منصوب على أنه مفعول لأجله ، أى لأجل القتال .

(٣) عيالا : جمع عيل . يريد متسكبين .

(٤) الروضة الحلال : التى يحلها الناس كثيراً ، ويطلقونها ، وضدها روضة أنف : أى لم توطأ بعد .

(٥) الأذحال : جمع ذحل ، وهو بمعنى الترة .

(٦) الألال : كسحاب : الباطل ، وهو هنا نائب عن المفعول المطلق ، أى اغتصاباً باطلاً .

قُبِحت بنا الأرض النضا وماحوت في غير ما زمن الفِطْحَلِ جَمالاً^(١)

* * *

أَبْنَى السِّيَاسَةِ إِنْ سَلَكَتُمْ بِالْوَرَى	طُرُقَ الرِّشَادِ فَعَمَّوْا الْجَهْلَالَ
إِنْ جَرَّتِ الْحَرْبُ الْكَيْلَ لَأَمَةٍ	فَالْعِلْمُ أَحْرَى أَنْ يُجْرَ كَيْلَا
إِنَّ الْحَيَاةَ كَثِيرَةٌ أَعْمَالُهَا	فَدَعَوْا الْأَنَامَ وَحَارَبُوا الْأَعْمَالَ
وَتَقَحَّمُوا حَرْبَ الْحَيَاةِ فَلَيْهَا	لِلْحُرِّ أَضْيَقُ مَأْزِقًا وَجَمَالًا ^(٢)
وَاسْتَلْتُمُوا زَرَدَ الْوُفَاقِ وَأَشْرَعُوا	فِيهَا تَعَاوَنَكُمْ قَنًا وَنِصَالًا ^(٣)
وَاقْنُوا لَكُمْ بَيْضَ الْمَسَاعِي شُرْبًا	تَجْرَى رِعَالًا لِلْمُنَى فِرْعَالًا ^(٤)
وَاعْلُوا عَلَى صَهَوَاتِهِنَّ رَوَاكُضًا	لِلْمَكْرُمَاتِ تَسَابِقِ الْآجَالَا
وَدَعُوا صِيَالًا فِي الْمَلَا حِمِّ إِنْ فِي	هَذِي الْحَيَاةِ مَلَا حِمًّا وَصِيَالًا ^(٥)
أَوْ كَلَّمَا طَمِعَ الْقَوَى شِرَاهَةً	أَكَلَ الضَّعِيفَ تَحِيْقًا وَاغْتِيَالًا ^(٦)
لَا غُرُو أَنْ يَلِدَ الزَّمَانُ بِمِرَّةٍ	كَأَبَى دُلَامَةً مِنْ بَنِيهِ رَجَالًا ^(٧)
إِذْ رَاحَ يَقْتُلُ بِالْعَوَاطِفِ قِرْنَهُ	قَتَلَا أَدَامَ حَيَاتِهِ وَأَطَالَا
إِذْ جَهَّزَ «الْمَنْصُورُ» جَيْشًا قَادَهُ	«رَوْحُ» يَرِيدُ مَعَ «الشُّرَاةِ» قِتَالًا ^(٨)
فَضَى فِيهِ أَبُو دُلَامَةٍ مُكْرَهَا	لِلْحَرْبِ أَخْرَجَ كَيْ يُصِيبَ نَكَالَا

(١) زمن الفتح: زمن قديم قبل أن يخلق الناس على الأرض .

(٢) تقهّموا الحياة: خوضوا شدائد الحياة ومصاعبها . والمأزق: مضيق الحرب .

(٣) استلتموا: البسوا اللأمة ، وهي الدرع . وأشرعوا: أرفعوا . القنا: جمع قناة ، وهي

الرمح . والنصال ، جمع نصل ، وهو حديدة السيف والرمح ونحوهما .

(٤) شربا: جمع شارب ، وهو الضامر من الناس أو الحيل من غير هزال . والرعال: جمع

رعيل ، وهو الجماعة من الحيل .

(٥) الملاحم: جمع ملحمة ، وهي الحرب ، والوقعة الشديدة .

(٦) تحيقا: جورا وانتقاصا . واغتيال حقه اغتيالاً: أخذه .

(٧) لا غرو: لا عجب .

(٨) الشراة: هم الخوارج . وروح: قائد من قواد أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي .

حتى إذا ألتقت الجيوش وعُيِّنت
برز السكى من الشراة مجرّدا
فأجال رَوْحٌ في الجنود لحاظه
فدعا إليه أبا دلامة قائلا
فجری إليه أبو دلامة هازلا
فشكا لِرَوْحٍ جوعه فأزاده
فانصاع من عَجَلٍ وسمط زاده
صفاً وصفاً يَمَنَّةً وشمالاً
للسيف يطلب من يُضيق بزالا^(١)
والقوم ينتظرون منه مقالاً^(٢)
يا ليتْ دونك ذلك الرّئبالا^(٣)
ثم استقال فلم يكن ليقالا^(٤)
بدجاجتين ، وحنه استعجالا^(٥)
ومضى يحبّ لقمرته فختالا^(٦)

فأتى وقد شهِر السكى بوجهه
فدنا إليه أبو دلامة قائلاً
إني أتيت وما أتيت مقاتلاً
فاسمع مقالة من أتناك ولم يكن
واعلم بأنى لا أخاف منيتى
لكن أرى سفك الدماء محرّماً
أمن المروءة أن تُريق دمائنا
سيفاً يَرُوع غراره الأغوالا^(٧)
مَهْلاً فأغمد سيفك القصّالا
من أسّ أظلب عنده أذحالا
فيما يقول مُخادعا محتالا
جُبنا ولا أنهيّب الأبطالالا
وأعيذ رأيك أن تراه حلالا
سَفها لمطمع طامع وضلالالا

(١) الشراة : جمع شار ، وهم الخوارج ، أقب لهم ، وانزال : ملافة الأقران في الحرب .

(٢) لحاظه : نظره بالفاظ عينه ، وهو في مؤخرها .

(٣) الرّئبال : الأسد .

(٤) استقال : طاب الإقالة ، أى الخروج من ، أزق الحرب .

(٥) أزاده : زوده ، أى أعطاه زادا .

(٦) انصاع من عجل : انقل راجعاً . وسمط زاده : من التسميط ، وهو التعاقب . يريد أنه

علق الزاد على حصانه . والحب : ضرب من السير بتقارب الخطو ، في سرعة خفيفة . والقرن :

الذى ينال في الحرب . ومختالا : من الحيلة ، وهى العجب .

(٧) السكى : البطل . وشهر السيف : رفعه . والفرار : حد السيف . والأغوال : جمع

غول ، وهو حيوان منسكّر الخلق ، تؤم العرب أنه يقتل الناس في الأسفار ونحوها .

هل كنت من قبل اللقاء رأيتني يوما وهل منى لقيت نكالا
أم هل طرقتُ خيام قومك جانبا أم هل خربتُ بحيمهم آبالا^(١)
ماذا جرى بيني وبينك قبل ذا مما بجرُ خصومةً وجدالا
حتى شَهَرْتَ على سيفك تبغى ضربا يقطع مني الأوصالا
فأربأ بنفسك أن تكون من الألى زحفوا جنونا للوغى وخبالا

• • •

فرأى الكميُّ مقالَه متعاليا حقاً وكل حقيقة تتعالى
فعنا وأذعن للحقيقة مغمدا سيفاً أجادته القيون صقالا^(٢)
ولوى العنان من المطهم قائلاً رُح بالأمان فلا لقيت وبالا
فمضى إليه أبو دلامة مُخْرِجا زادا تعلق بالشموط مُشالا
ودعا، يا بن أولى المكارم راشدا أكرم أخاك بوقفةٍ إمهالا
إني لأرجو أن تكون مؤاكلي في ذا الشواء ألا تحبُّ إكالا
فتدانيا متخالفين وأقبالا وهما على فرسيهما إقبالا
حتى إذا أكلا شواء أدبرا بعد الوداع ووليا الأكفالا^(٣)

• • •

رجعا فسار أبو دلامة ظافرا والمهر يجفل تحته إجفالا^(٤)
حتى إذا وافى الأمير وقام عن كُتب ترجلُ دونه إجلالا
وغدا يقول وكان رَوْحٌ ضاحكا إني كفيئتُك قرني الرئبالا
وقتلته بالقول لا يمهندي والحربُ أخرى أن تكون مقالا

(١) خربت : سرفت : والحارب : اللص .

(٢) عنا : خضع وانقاد . والقيون : جمع قين ، وهو صانع السيوف وكل شيء من حديد والصفال : الجلاء والصفل .

(٣) الأكفال : جمع كفال ، بتحريك الفاء ، وهو مؤخر الحصان عند ذيله .

(٤) يجفل : يسرع العدو .

وَأُخِذْتُ فِي الْمِيجَا عَلَيْهِ مَوَاتِقًا أَلَّا يَعُودَ يُنَازِلُ الْأَبْطَالَ

إِنْ الْهَوَاتِفَ لَا تَزَالُ بِمُسْمَعٍ مَنِّي تَقُولُ إِذَا شَكُوتُ الْحَالَا
لَا تَيَاسِّنُ فَلِلزَّمَانِ تَنْفُسُ فَارْقِبْهُ أَنْ يَتَبَدَّلَ الْأَبْدَالَا
وَالدَّهْرُ طَاهٍ سَوْفَ يُنْضِجُ أَهْلَهُ بِالْحَادِثَاتِ يَزِيدُهَا إِشْعَالَا^(١)
إِنْ الدَّهْوَرُ وَهْنُ أَمْرٍ سَابِكٍ سَتَرْدُ أَضْدَادُ الْوَرَى أَشْكَالَا
حَتَّى كَأَنِّي بِالطَّبَاعِ تَبَدَّلْتُ غَيْرَ الطَّبَاعِ وَزُلْزَلْتُ زِلْزَالَا
وَكَأَنِّي بِلَبْنِي الْمَلَا حِمٍ أَصْبَحُوا لِأَبْنَى دُلَامَةٍ كُلِّهِمْ أَمْثَالَا^(٢)

أَطَالَالُ الْعِلْمِ*

أَوِ الْمَدْرَسَةِ النَّظَامِيَّةِ فِي بَغْدَادِ

قَوَّضَ الدَّهْرُ بِالْخَرَابِ عِمَادِي وَرَمَتْنِي يَدَاهُ بِالْأَنْكَادِ
كَمْ أُنَادَى وَلَيْسَ لِي مِنْ مَحْيٍ وَاضِياعَاهُ جَهْرَةً كَمْ أُنَادَى
ضَعُفَ الدَّهْرُ مِنْ بِنَائِي أَرْكَا نَا شِدَادًا طَالَتْ عَلَى الْأَطْوَادِ^(٣)
طَالَمَا رَفَرْتُ مِنَ الْعِلْمِ رَايَا تَ فَخَارَ مِنِّي عَلَى بَغْدَادِ
كُنْتُ لِلْعِلْمِ رَوْضَةً بَاكَرَتْ أَزْ هَارَهَا الْغَرَّ بِالْعِهَادِ الْغَوَادِي^(٤)
وَجَمِيعَ الْأَنَامِ تَضْرِبُ أَكْبَا دَ الْمَطَايَا كِي تَجْتَنِي أَوْرَادِي^(٥)

(١) الطاهي : الذي يطعم الطعام ، وهو الطباخ ينضج الطعام .

(٢) يريد أن الزمان المستقبل كفيّل بأن يميل من أبنائه من يأتي أن يرقّ الدماء ظالمًا وعدوانًا ، فلا يجيب دعوة الحرب التي لا عدل فيها ولا رحمة .

(*) من الديوان الأول .

(٣) الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل العالي . (٤) الغوادي : جمع غادية ، وهي السحابة تنفث غدوة أو تمطر غدوة . والعهدة جمع عهد ، وهو المطر بعد المطر .

(٥) الأوراد : جمع ورد ، والمراد به هنا : الجزء الذي يقرؤه العالم من العلم ، أو القارىء من القرآن في المرة الواحدة .

فَالْغَزَالِيُّ سَلَّمَ بِي وَأَبَا إِسْحَاقَ عَمَّا حَوَيْتُ مِنْ إِرْشَادٍ^(١)
 سَلَّمَ إِذْ فِي طَالِبِي الْإِبِلِ النَّجَسُ تَحْفَى مَضْرُوبَةُ الْأَكْبَادِ
 فَرَمْتَنِي صَوَاعِقُ الدَّهْرِ فَانْهَدَّ بِنَائِي وَصَرْتُ بَعْضَ الْوَهَادِ
 فَبِكْتَنِي مِنَ السَّمَاءِ دَرَارِيهَا وَكَانَتْ تُعَدُّ حُسَّادِي

• • •

أَهْلَ بَغْدَادَ مَا لِأَعْيُنِكُمْ تُغْمِضُ عَنْيَ كَأَنَّكُمْ فِي رُقَادٍ
 أَهْلَ بَغْدَادَ هَلْ تَرِقُّ قُلُوبٌ مِنْكُمْ رَاعِيَا انْقِضَاضِ عِمَادِي
 رَقَّ حَتَّى قَلْبُ الْجَمَادِ لِفَقْدِي فَلْتَكُونَنَّ قُلُوبُكُمْ مِنْ جَمَادٍ
 أَفْلا تُتَجَدُّونَ مَدْرَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَعَهْدِي بِكُمْ أُولَى إِنْجَادٍ
 أَيْنَ مَا شِيدَ مِنْ نِظَامِي رَبُّعِي فَلَقَدْ كَانَ نَجْمَةُ الْمُرْتَادِ
 أَيْنَ تِلْكَ الْعُلُومُ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ رَبُّوعِي تُذَيِّعُهَا فِي الْبِلَادِ
 كَيْفَ قَضَّتْ خِيَامَهَا زَعْرُ الدَّهْرِ وَكَانَتْ رَصِينَةُ الْأَوْتَادِ^(٢)
 أَقْقَرْتُ سُوحَهَا وَقَدْ نَعِيَ الْعَالَمُ فَلَاحَتْ تَجَرُّ ثُوبَ الْحِدَادِ
 وَتَوَارَتْ بِالْجَهْلِ ظِلْمًا وَكَانَتْ خَافِقًا فَوْقَهَا لَوَاءُ الْإِشَادِ
 أَيُّهَا الدَّهْرُ كُلِّ مَا شِئْتَ فَافْعَلْ إِذْ حَادَا فِي رِكَائِي غَيْرُ حَادٍ
 وَرَعَانِي مِنْ رَاحٍ مِنْ ظِلْمِهِ الْعَدَا لَ فَقِيدَا مِيعَادِهِ فِي الْمَعَادِ
 فَرَّقُوا جَمْعَ أُمَّةٍ قَبْلَهُمْ كَانَتْ لِعَمْرِي وَحِيدَةً الْإِتِّحَادِ

(١) أَبُو إِسْحَاقَ : هُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ يُونُسَ الشِّيرَازِيُّ الْفَيْرُوزَابَادِيُّ ، كَانَ مِنْ مَشِيخَةِ بَغْدَادَ ، وَإِمَامَ الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ بِهَا ، تَوَلَّى النِّظَامِيَّةَ وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَمِنْ تَأْلِيفِهِ : الْمَذْهَبُ وَالتَّنْبِيهُ فِي الْفَقْهِ ، وَاللَّعْمُ وَشَرْحُهَا فِي أَصُولِ الْفَقْهِ ، وَالنَّاسِكُ فِي الْخِلَافِ ، وَالتَّبَصُّرَةُ وَالْمَعُونَةُ ، وَالتَّلْخِيسُ فِي الْجِدْلِ . وَلَدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ ، أَوْ خَمْسَ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ (ابْنُ خُلِّكَانَ) .
 (٢) قَضَّتْ خِيَامَهَا : أَذْهَبَتْهَا ، مِنْ قَضَى . وَالْمَشْهُورُ فِي هَذَا : قَوَّضَ الْخِيَامَ أَيْ هَدَمَهَا .

في سلالنيك*

قالها عندما زحف جيش سلالنيك إلى الأستانة بقيادة محمود شوكت باشا،
وذلك لقمع الحركة الرجعية التي حدثت في ٣١ مارس سنة ١٩٠٨

لقد سمعوا من الوطن الأنيبا فضجُّوا بالبكا له حيننا
وناداهم لنُصْرته فقاوموا جميعاً للدفاع مسلّحيننا
ثاروا من مَرايضهم أسوداً بصوت الإتحاد مُزجّريننا^(١)
شبابٌ كالصوارم في مضاء يروُن ، وكالشموس مُنوّريننا
سالانيكُ القناة حوت ثراء بهم فقضت عن الوطن الديونا
لقد جمعوا الجوع فن نصارى ومن هُودٍ هناك ومسلمينا
فكانوا الجيش ألف من جنود مجنّدة ومن متطوعينا
تراهم فيه متّحدين عزماً وما هم فيه متّحدين ديننا
هي الأوطان تجعل في بنينا إزاء في محبتها رصينا
وتتركهم أولى أنفٍ كباراً يروُن حياه ذى ذل جنونا
وإن الموت خير من حياة يظلُّ المرء فيها مستكيننا^(٢)

* * *

مشوا والوالدتُ مُشيقاتُ خرجن وراءهم والوالدونا
يقُلن وهن من فرح بواكٍ وهم من حزنهم متبسمونا
على الباغين منتصرين سيروا وعُودُوا للديار مظفّرنا
ولا تُبقوا الذين قد استبدوا وراموا كيدنا وتخونونا^(٣)
فإن لم تُنقذوا الأوطان منهم فلستم يا بنين لنا بنينا
فقد هاجوا على الدستور شراً بدار الملك كي يستعبدونا

(*) من الديوان الأول .

(١) الهجرة : صوت فيه غلظ وجهاء .

(٢) مستكيننا : خاضعا ذليلا .

(٣) تخونونا : خانونا ولم يراعوا حقوقنا .

هم الأشرار باسم الدين قاموا فعاثوا في المواطن مُفسدين
فما تركوا من الدستور (شُررى) ولا أبقوا لنغمته (طيننا) ^(١)

وكم قد قلن من قول شجى
ومذ حان الوداع دتُون منهم
وما أنسى التى برزت وقالت
ألا يا راحلين الحرب قوم
خذونى للوغى معكم خذونى
وإن لم تفعلوا فخذوا رداى
لهم فتركهم متهيجين ^(٢)
فقبلن الصوارم والجفونا ^(٣)
وقد لقتوا لرؤيتها العيون
لئام ضيعوا الوطن الثمينا
ممرضة لجرحاكم خنونا
به شدوا الجروج إذا دميننا

ولما جد جدّهم استقلوا على ظهر القطار مسافرين
فطاروا فى مراكبه سراعاً بأجنحة البخار مرفرفينا
وظلّ الجيش صبحاً أو مساءً تسير جموعه متابعينا
فلم يتصرّم الأسبوع إلا وهم برّبا فروع نخيمونا
هنا لك قت مرتحلاً إليهم لأبصر ما أوّمل أن يكونا ^(٤)

وبأخرة علت فى البحر حتى حكّت بمُبابه الحصن الحصينا
يؤثر جريها فى البحر إثرا تكادُ به تظن الماء طينا
فترك خلفها خطاً مديداً بوجه البحر يمكث مستيينا
ركبتُ بها على اسم الله بحراً غدا بسكون لجته رهينا

(١) يشير إلى ما حل بجزيرة طنين إذ ذاك، وبمحل إدارتها، من الهدم والتخريب فى تلك الحادثة.

(٢) الشجى، يؤزن فعيل : ذو الشجر، وهو الحزن.

(٣) الصوارم : السيوف . والجفون : جمع جفن، وهو الغمد.

(٤) لما حدثت حادثة ٣١ مارس فى الآستانة، كان الرضا فى صلاتيك، فلذلك قال : هنالك

فرحنا منه ننظر في جمال يعز على الطبيعة أن يهونا
ومرأى البحر أحسن كل شيء إذا لبست غواربه السكونا^(١)
كأنك منه تنظر في سماء وقد طلعت كواكبها سفينا

أثينا دار قسطنطين صبحا وقد فتحت لهم فتحاً مبينا
وظل الجيش جيش الله يشفي بحد سيموفه الداء الدينا
فأزهى أنفس الطاغين حتى سقام من عدائهم المنونا
ورد الخائنين إلى جزاء أحلهم المقابر والسجونا
وخطوا قصر يلدز عن سماء له فانحط أسفل سافينا
وأصبح خاشع البنيان يغضي عيوننا عن تطاوله عمينا
خلا من ساكنيه وحارسيه فلم تر فيه من أحد قطينا^(٢)
هوى عبد الحميد به هوىاً إلى درك الملوك الظالمينا
وأُنزل عن سرير الملك خلعاً وأفرد لا نديم ولا قرينا
فسيق إلى سلايك احتباساً له كي يستريح بها مصونا
ولكن كيف راحة مستبدٍ غدا بديار أحرار سجيننا
يراهم حول مسكنه سجاجا ويعجز أن يُنيم له عيوننا
وموت المرء خير من مقام له بين الذين سقوه هونا

لقد نقض اليمين وخاف فيها فذاق جزاء من نقض اليمين
وقد كانت به البلدان تشقى شقاء من تجبره مميننا
فكم أذكى بها ريران ظلم وكم من أهلها قتل المئيننا

(١) الغوارب : جمع الغارب ، وهو في ذوات الحف ما بين السنام والعنق ، وفي الكلام استعارة .

(٢) قطينا : أى قاطنا وساكننا .

وكان يدير من سفه رَحَاهَا بِجَعْجَعَةٍ ولم يُرْهَا طَحِينَا^(١)
 وقد كانت به الأيام تمضي شُهُورًا والشهور مضت سَنِينَا
 ولما ضاق صدرُ الملك يَأْسًا وصارَ يُرَدِّدُ الوطنُ الأَنِينَا
 أتى الجيشُ الجليلُ له مُغِيثًا فصَدَّقَ من بنى الوطن الظَنُونَا
 وأضحى سيفُ قائده المَفْدَى على الدستورِ محتفظًا أَمِينَا
 حماه من العداة فكان منه مكانَ الليثِ إذْ يحسى العَرِينَا
 وأسقط ذلك الجبارَ قَهْرًا وأنبأه بصارمه اليَقِينَا
 فقرَّتْ أعين الدستور أَمْنًا وشاھتْ أوجه المتمردينَا^(٢)

وقفه عند يلدز (*)

فألها عقب خلع عبد الحميد وإرساله إلى سلاطيك سجينًا

لَمَنِ القصر لا يجيب سؤالي أهلاتُ رُبُوعه أم خوالي ؟
 مُشْمَخِرَ البناءِ حيث تراءى باليًّا مجده بلي الأطلال
 لم تصبه زلازل الأرض لكن قد رمتـه السماء بالزلزال
 وكسته الأيام بالصمت لما نطقت فيه حادثاتُ الليالي
 فقرأت أبقاره شاحباتٍ باكياتٍ بأعين الأصال

أيها القصرُ إيه بعض جوابٍ لا تكن ساكنًا على تسالي^(٣)
 ليت شعري والصمت فيك عميق ذاكر أنت عهدهم أم سال ؟

(١) الجعجعة : صوت الرحى ونحوها . وفي المثل : أسمع جعجعة ولا أرى طحينا ؛ يضرب
 للرجل الذي يكثر الكلام ولا يعمل ، والذي يعد ولا يفعل .

(٢) شاھت : قبحت . والمتمردون : المنجربون الظالمون .

(*) من الديوان الأول .

(٣) إيه : هات .

ما تداعى منك البناء ولكن
كنت كل البلاد في الطول والعرض
كنت مأوى العلى ، مثار الدنيا
كنت جباً وأى جب عميق
مورد الخائنين كنت وكانت
قصر عبد الحميد أنت ولكن
أين خاقانك الذى كان يدعى
ما أرى اليوم ذلك المجد إلا
هل وقوفى على مبانيك إلا
قد تداعى بناء تلك المعالى^(١)
ض وكل العباد فى الأعمال
مهبط العز ، مصدر الإذلال
بالعنا للنفوس والأموال
منك تدلى مطامع العمال
أين يا قصر أين عرش الجلال
قاسم الرزق ، باعث الآجال
كخيال يمر بعد خيال
كوقوفى على الطلول البوالى^(٢)

قد تخونتنا ثلاثين عاما
تلك أعوام رفعة للأداني
تلك فيما جرت به نقطة سوء
يثب العدل طافرا كلما سر عليها مشمر الأذبال
ملأت خطة الزمان شناراً فأبتها كل العصور الخوالى^(٣)
وكأنى أرى اضطراب نفوس
أسمع الآن فيك ما كان يعلو من أنين لها ومن إعوال
حاتمات على الذى فيك أبقين دفيناً من الرفات البالى
تلك يا قصر أنفك منك فطارت إلى سماء المعالى
وترقت إلى ذؤابة أعلى كوكب فى سمائه جوال

(١) تداعى البناء : انهار وسقط بعضه فى أثر بعض .

(٢) الطلول : جمع طال ، وهو الشاخص البارز من آثار الديار عند العرب .

(٣) تخونتنا : تعهدتنا .

(٤) الشنار : العيب والمار .

وهي اليوم أحرقتك بشيب قذفها عليك ذات اشتعال
لم يضع مجدها وإن هي أمست ضائعات الأشلاء والأوصال

كيف نسي تلك الخطوب اللواتي انفتحت منك حربها عن حبال^(١)
يوم كنا وكان للجمل حكم خاذل كل عالم مفضل
أمر من عتوه كل أمر يغرس البغض في قلوب الرجال
أفأصبحت نادما أيها القصير تبالي بالقوم أم لا تبالي؟
لم تغدك الندامة اليوم شيئا قضى الأمر فاصطبر باحتمال
وعزاء فليست أول قصر نكس الدهر من ذراه العوالى
قد تداعى من قبل إيوان كسرى بعد أن طال شاهقات الجبال^(٢)
وكأين من قصر ملك تراهى ساقطا بالملوك والأقيال^(٣)
فابق يا قصر عابس الوجه كيا يصبح الملك باسم الآمال
وتعثر فلا لعا لك حتى ينهض العدل ناشطا من عقال^(٤)
إنما نحن أمة تدرأ الضيقتهم وتأبى أن تستكين لوانى
أمة سادت الأنام وطابت عنصرا من أواخر وأوالى^(٥)
فإذا ما غلا الغشوم نهضنا فقفناه — افلا من عال
نملأ الأرض إن مشينا لحرب بزئير الغضنفرا لرئبال
وإذا ما غلا المليك رددنا ذليلا يقاد بالأغلال^(٦)

(١) انفتحت الناقة : ضربها الفحل فحملت . والحيان : عدم الحمل . يريد إنك هيبت تلك الحرب
عد أن كانت ساكنة .

(٢) طال شاهقات الجبال : أى زاد عليها فى الطول ولأرتفاع .

(٣) الأقيال : جمع قيل ، وهو الملك الصغير يتبع الملك الكبير ، كبعض ملوك الولايات فى
إمبراطورية كبيرة .

(٤) لا لعله : لأنعه الله إذا سقط .

(٥) أوالى : أصلها : أوائل ، أخرت الهزيمة بعد اللام ، ثم سهلت .

(٦) غلا : تجبر وجاوز الحد فى الظلم . وفى الأصل : غل ، بغين ولام . شدة ، ولا أراه إلا
محرفا عن غلا ، أو عن غلا بمعنى تكبر .

نحن من شُعلة الجحيم خلقنا لأولى الجور لا من الصلصال
يا ملوك الأنام هلاً اعتبرتم بملوك تجور في الأفعال
ليس عبد الحميد فردا ولكن كم لعبد الحميد من أمثال
فاتركوا الناس مُطلقين وإلا عِشْتُمْ مُوثَقين بالأوجال^(١)
هل جنيت من التجبر إلا كلَّ إثمٍ عليكم ووبال

تموز الحرية (*)

إذا انقضى مارتُ فأكسر خلفه الكوزا

واحفل بتموز إن أدركت تموزا^(٢)
أكرم بتموز شهراً إن عاشره
قد كان للشرى تكريماً وتعزيراً
شهر به الناس قد أضحت محررة
من رق من كان ينفقوا إثر جنكيزا
سل أهل باريز عن تموز تلقى لهم
يوماً به كان مشهوداً لباريزا
كانت لهم فيه لما ثار ثائرهم
بسالة هدَّت البستيل مبزوزا^(٣)
وإن تموز شهر قام فيه أنا
على البقاع لواء العز مركوزا
في شهر تموز صادفنا لما وعدت
بيض الصوارم بالدستور تنجيزا
هي المساواة عمّتنا فما تركت
فضلاً لبعض على بعض وتميزا
أدست لنا قسمة بالملك عادة
حكماً وكانت على علائها ضيزى^(٤)
كنا من الجور عياناً وليس لنا
من قائدين ولم نملك عكا كيزا

(١) يريد : إنكم إن لم تطلقوا المحكومين أحراراً من إفساد ظلمكم وجوركم ؛ فإنكم تعيشون أبداً على خوف وتريب وانتظار للشر من ظلمتموهم .

(*) من الديوان الأول .

(٢) يشير إلى أن مارت شهر مشعوم ؛ لحدوث الحادثة الرجعية فيه ؛ وأن تموز شهر مبمون ؛ لأن إعلان الدستور كان في تموز .

(٣) مبزوزا : مغلوباً . وفي المثل . من عزير : أى من قوى تغلب وانتصر .

(٤) قسمة ضيزى : أى جائرة .

حتى نهضنا إلى العليا تقدمنا
 إن تلقهم تلق منهم في الوغى جبلا
 قوم إذا طعموا في حومة تحذوا
 قمنا على الملك الجبار نقرعه^(١)
 حتى تركناه في هيجاء معضلة
 إنا لنأبى على الطاغى نهضنا
 ونأكل الموت دون العز تمضغه
 لا عاش من لا يخوض الموت مرتضيا
 راعت سلا نيك دارا ألك فانتبهت
 حتى غدت وهى في تموز ناكسة
 فالشاه في شهر تموز هوى وكذا
 يا شهر تموز لا راعتك راعة
 يا شهر تموز قد زينت رايتنا
 من لى بأنجم هذا الأفق أنظمتها
 أو أنحت الماس أقلاما معرصة
 وأجعل الجو في تموز أمده^(٢)
 عصابة برزت في المجد تبريزا
 أوهجتهم للمنايا هجت راموزا
 قصاعهم من قحوف القوم لا الشيزى^(٣)
 بالسيف منصلتنا والرمح مهوزا^(٤)
 ألقت خراما على الطاغين مأوزا
 حتى نهوز في الهيجاء تهوزا^(٥)
 كمضغنا التمر برنينا وسهريزا^(٦)
 بقاءه بعضى الذل موكونا^(٧)
 من ذاك طهران تخشى أمر تبريزا
 رايات شاه رماء الخلع مجنوزا^(٨)
 عبد الحميد هوى في شهر تموزا
 ولا تقيت من الأحداث إرزيزا^(٩)
 بالعدل توشية فيها وتطريزا
 قصائدنا فيك مدحا أو أراجيزا
 أمدها ذهباً في الطرس إبريزا
 طرسا أجادته كف النور ترزيزا^(١٠)

(١) الفخوف هنا : عظام الجاجم . والشيزى : قوع من الخشب تصنع منه النجان .

(٢) هرقه : بالهاء : فعلو فرعه ؛ وهو رأسه . وفي الأصل : نقرعه .

(٣) هوز نهوزا : مات موقا .

(٤) البرنى : يفتح الباء : ضرب من التمر أصفر مدور . والسهريز بالسين والشين : بضمهما ويكسرهما : نوع من التمر ؛ معرب .

(٥) موكونا : مدفوعا مطعوننا .

(٦) الشاه : الملك في لغة فارس . والمجنوز : المحجوز المستور .

(٧) الإرزير : الرعدة .

(٨) يقال : رزرت لك الأمر ترزيزا : أى وطأته لك .

المجلس العمومي (*)

يا شرقُ بشرِكْ أبدى شمسك الفلَكُ وزال عنك وعن آفاقك الخَلَكُ
أضخى بك القوم أحراراً قد اعتصموا

من النجاة بحبل ليس ينبئك (١)

ناد به القولُ عن أهليه مستمع والحق متبع ، والأمر مشترك
ناد إذا فرت عنا الأمور به لمن يمد من نسج النهى شرك
يُسطاد فيه شرود الحق عن كُتب كالماء يُسطاد في صَحْضاحه السك
إن السحاب لم تظهر بوارقها ما لم يكن للقوى فيهن معرك
وللتدابر حرب لا يخيب بها قوم بمستنقع الآراء قد برّكوا
هذا هو المجلس الرحب الذى وسعت

أحكامه الناس من عاشوا ومن هلكوا

هو السماء التى تعلو السماء بها تبدو من العدل فى آفاقها حبك (٢)
دارت بها شمس عز الملك حيث هنا حرية العيش برج والنهى فلأك
قد أصبح الأمر شورى بيننا فيه على الرعية لا يستأثر الملك
وأصبح الناس فى قُرْبى وإن بُعدت أديانهم ، ما بهم جحد ولا حسك (٣)
هذا الذى جاءنا الدين الحنيف به وحيًا من الله مبعوثا به الملك
هذا به نهض الإسلام نهضته من قبل إذ قام يستولى ويمتلك
يا قوم قد حان حين تسخرون به

من بكم سخروا من قبل أو ضحكوا

مات الزمان الذى من قبل كان به يحيا امرو لم يكن فى السعى ينهمك
هالا نظرتما فى الغرب من سنن كل به سائر طلقا ومُتسك

(١) ينبئك : ينقطع . (٢) حبك جمع حبيكة ، وهى الطريقة .

(٣) حسك الصدر : حقد العداوة ؛ يقال : إقته لحسك الصدر .

لم تَلَقِ للحق وجيهاً فيه مُحْتَقراً
 في الغرب أصوات علم يبعثون بها
 فشمروا يارجال الشرق عن هِمَمٍ
 ولست أطلب منكم فعل ما فعلوا
 بل فاذكروا أوليكم كيف قد سلفوا
 واستخلصوا عسجد الجمد الذي بلغوا
 لا عذر للشرق عند الغرب بعدئذ
 واستنجدوا العلم إن العلم شِكَّتْهُ
 أما المدارس فلترفع قواعدها
 منابع العلم إن غاضت بمملكة
 من شاد مدرسة للعلم هدَّ بها

سجنا لمن أفسدوا في الأرض أوفتكوا^(٦)
 تبطأهن دم في الأرض منسفك
 هذا الفسوق وذاك الفوز والنسك^(٧)
 وهل تُرى يتساوى الثور والحللك
 ياقوم ساهوز، حيث الأمر مرتبك
 حتى لقد ملَّ من مَضْغ لها الحنك

(١) السكك ، بوزن سبب : الصمم .

(٣) الشكك : جمع شكة ؛ وهى السلاح .

(٤) مؤتفك : منقلب . يقال : انثفكت بهم الأرض : انقلبت .

(٥) ادواهي : المصائب .

(٦) يتضمن هذا البيت معنى الحكمة المشهورة : من فتح مدرسة أغلق سجنا .

(٧) النسك : العبادة . أى أن العلم هو العبادة الحق ، قال تعالى : (إنما يخشى الله من

عباده العلماء) .

يا قوم قد طلعت شمس الهدى وبها للناس قد وضحت من رشدهم سلك
وأشد الشرق مسروراً يؤرخها
« حُرِّيَّةُ الْمُلِكِ أَهْدَى شَمْسَهَا الْفَلَكَ »

يوم العروس

زُفَّتْ إِلَيْنَا الْعُرُوسُ	وزوجها الأَنْسَكَلَيْسُ ^(١)
زُفَّتْ إِلَيْنَا زِفَافًا	فيه الشقا والنحوس
الْمَهْرُ مِنَّا دِمَاءٌ	والعروس حرب ضروس
كَمْ مَزَّقَتْ حُرُمَاتٍ	وكم أضيعت نفوس
وكم أدبرت علينا	من المنايا كبؤس
وكل هذا لتخطي	بالبعل تلك العروس
يوم العروس لعمري	يوم كرية عيوس

(١) الأَنْسَكَلَيْسُ والأَنْقَلَيْسُ ، بفتح الهمزة : سمك شبيه بالحيات ، ردىء الغذاء .

السيد السيد
السيد السيد

إلى الأمة العربية^(١)

هو الليل يُغريه الأسى فيطولُ
أبيتُ به لا الغاربات طرالعُ
وينشر فيه الصمت لبداء مضاعفا
ولى فيه دمع يلذع الخدَّ حره
بكيت على كل ابن أروع ماجد
يليح من الضيم المنلى بفرّة
من العرب : أمّا عرضه فهو فر
له سلف عزّوا فبزّوا نباهة
وساروا بنهج المكرّمات تُقلّهم
ويُرخي وما غير الهموم سدّول^(٢)
على ولا الطالعات أقول
فتطويه منى رنة وعويل^(٣)
وحزن كما امتد الظلام طويل
له نسب في الأكرمين جليل
لها البدر تربّ والنجوم قبيل^(٤)
مَصون ، وأمّا جسمه فهزيل
ولم تعتورهم فترة وخيول^(٥)
قلأص من سعي لهم كخول

(١) مثل شبان العرب في الآستانة رواية وفاة السموءل في مسرح (تبه ماثي) الكبير ، السكائن في حي (بك أوغلي) ، وطلبوا إلى الرصافي أن يحضر وينشدهم شعرا ، فقال هذه القصيدة يعارض بها لامية السموءل المشهورة وقد أنشدهم إياها في المسرح المذكور ، وكان المبحان غاصاً فمن كان في الآستانة من رجال العرب ، وكثير من رجال الترك .

(٢) يغريه : يحضه . أى أن الأسى يحض الليل على الطول فيطول .

(٣) اللبد : بكسر فسكون : كل شعر أو صوف متلبّد . وتمهيداً لبيان معنى البيت نقول : إن الصوت إنما ينتقل إلى سمع السامع بتوج الهواء ؛ فإذا حال بين السمع وبين توج الهواء حائل يمنع وصول ذلك التوج إلى السمع ؛ انقطع الصوت ولم يسمع ؛ واللبد أمنع حائل لوصول التوج إلى السمع ؛ إذ ليس فيه على الحائل ما يمكن أن ينفذ فيه الهواء . وعليه فقد شبه الشاعر الصمت وهو عدم الصوت السكائن في الليل ؛ بلبد منشور على الأطراف ؛ قد حال بين السامع وبين كل صوت ؛ فلا ينتقل إليه الهواء بتموجه صوتاً ؛ لأن هذا اللبد المنشور قد أحاط به من جميع أطرافه ؛ فنح وصول كل صوت إليه . ووصف اللبد بكونه مضاعفاً ؛ ليسكون أبلغ في منع الصوت ؛ ثم قال : « فتطويه منى رنة وعويل » أى لأنه لا يسمع في الليل إلا صوت بكائه وعويله ؛ فكأن بكاءه يطوى ذلك اللبد المنشور ؛ فيعود يسمع صوت البكاء والرنين . وحاصل المعنى : أنه لا صوت في ذلك الليل سوى صوت بكائه فيه .

(٤) يليح : أى يخاف ويحاذر ؛ والباء في قوله بفرّة : المصاحبة ؛ أو هي للتعدية ؛ على تضمين

يليح معنى يحيد ويعدل ؛ فيكون المعنى : يحيد مليحاً من الضيم بفرّة .

(٥) عزّوا فبزّوا : أى غلبوا فسلبوا . ونباهة : تمييز للنسبة ، وهو محمول من الفاعل .

وكانوا إذا ما أظلم الدهر أشرقَتْ
أولئك قوم قد ذوى روضُ مجدهم
وقد أعطشته السحب حتى لقد علَّتْ
رعى الله من أهل الفصاحة معشرا
ترامى بهم ريب الزمان كأنما
فأمت من العمران خلوا بلادهم
وعادت مغاني العلم فيها دوارسا
وقوَّضت الأيام بنيانَ مجدها
به عُرِّر من مجدهم وحُجول
ولم تسر فيه نسمة وقبول
على الزهر منه صفرة وذبول
لهم كان فوق الفرقدين مقبل
له عندهم دون الأنام دُحول
فهن حزون قفرة وسهول
تجربها للرامسات ذبول^(١)
فرجع المعالي بينهن نحول^(٢)

• • •

نظرتُ إلى عَرْض البلاد وطولها
ولم تبد لي فيها معاهدُ عزها
نظرتُ إليها من خلال دوارف
فكنت كراه من وراء زجاجة
ولم أتبين ما هنالك من على
هناك حنيت الظهر كالقوس رابطاً
وأوسعتُ صدرى للكتابة فاعملتُ
وأرسلت دمع العين فانهل جارياً
أأمنع عيني أن تجودَ بدمعها
فما راقى عَرْض هناك وطول
ولكن رسوم رثة وطول
من الدمع طرقي بينن كليل
بعينه كيا يستبين ضئيل^(٣)
لكثرة ما قد دب فيه نحول
بكفى على قلب يكاد يزول
بأرجائه تحت الضلوع تجول
له بين أطلال الديار مسيل
على وطني ، إني إذن له خيل

- (١) تجر : بالبناء للمفعول ، وذبول : نائب الفاعل ، والرامسات : الرياح ، وسميت رامسات :
أى دافعات ؛ لأنها تدفن الآثار بهبوبها .
(٢) نحول : بفتح الميم : أى مجذب .
(٣) شبه نفسه وهو ناظر إلى الديار من خلال الدروع الدوارف ؛ برجل وضع على عينيه زجاجة
ينظر من وراءها ؛ والمراد بالزجاجة ما تسميه العامة اليوم بالنظرة أو بالعوينات .

فإن تعجبوا أن سال دمعى لأجله
وما عشت أنى قد تناسيت عهدى
وإن امرأاً قد أثل الهمُّ قلبه
أفى الحق أن أنسى بلادى ساوةً
أقول لقومى قول حيران جازع
متى ينبجلى يا قوم بالصبح ليلكم
وينطق بالمجد المؤئل سعيكم
تريدون للعليا سبيلاً وهل لكم
أنشدكم أين المدارس إنها
وأين الغنى المرتجى فى بلادكم
بلادٌ بها جهل وفقير كلاهما
أجل إنكم أنتم كثير عديدكم
ولو أن فيكم وحدةً عصبيةً
ولكن إذا مستهض قام بينكم
وأى فريق قام للحق صدّه
وإن كان فيكم مصلحون فواحد
على أن لى فيكم رجاء وإن أكن
ألستم من القوم الألى كان علمهم
لهم هم ليس الطباعة تفلها

فإن دمعى من أجله سيسيل^(١)
ولكن صبرى فى الخطوب جميل^(٢)
كقلبي ولم يلق الردى لحمول
ومالى عنها فى البلاد بديل
تهيج به أشجانه فيقول
فتذهب عنكم غفلة وذهول؟
فيسكت عنكم لأثم وعذول
إليها وأنتم جاهلون سبيل
على الكون فيكم والحياة دليل
يجود على تشييدها ويطول^(٣)
أقول شروب للحياة قتول
ولكن كثير الجاهلين قليل
لهم عليكم للمرام وصول
تلقاه منكم بالعناد جهول
فريق طلوب للمحال خذول
فقول وألف فى مداه قتول
إلى اليأس أحيانا أكاد أميل
به كل جهل فى الأنام قتيل^(٤)
وإن كان منها فى الطباعة فلول

(١) أن فى البيت : مصدرية ؛ وهى وما بعدها مجرورة بلام محذوفة ؛ هى صلة تعجبوا ؛
والقدير : فان تعجبوا لأن سال دمعى .

(٢) وما عشت أنى : أى لآنى ؛ حذف الجزاء ؛ وحذفته قبل أن وأن قياس .

(٣) يطول . من الطول . بفتح الطاء : أى ينعم ويفضل .

(٤) به : صلة قتيل . وكل جهل : مبتدأ . وقتيل : خبره . والجملة فى عمل نصب خبر كان .

ألا نهضة علميَّة عربيَّة فتُنْعَش أرواح بها وعقول
ويشجع رعيده ويعتز صاغر وينشط للمسعى الحثيث كسول^(١)
فإن لم تقم بعد الأناة عزائم فعتبي عليكم والملام فضول

شكوى إلى الدستور^(٢)

شكاية قلب بالأسى نابض العرق إلى قائم الدستور والعدل والحق
ملوك على كل الملوك ثلاثة لها الحكم دون الناس في الفتق والرتق^(٣)
وأقسم أني لا أكون لغيرها مطيعا ولو من أجلها ضربت عنقي
فهل أيها الدستور تسمع شاكيا بك اليوم يرجو أن يرى نهضة الشرق
لقد جئت من أفق الصوارم طالعا علينا طلوع الشمس من منتهى الأفق^(٤)
فصادفت منا أمة قد تعشقت لقاءك حتى جاوزت مبلغ العشق
ولم تبد عنفا حين جئت وإنما هتفنا جميعا بالوفاق وبالرفق
وظلنا نرجى منك للخرق راقعا ولكن تراخى الأمر متسع الخرق
بك اليوم أشقانا الألى أنت مسعد لديهم فيا لله المسعد المشتى^(٥)
نراك بأيديهم على الخلق حجة وأنت عليهم حجة لا على الخلق
قد استأثروا بالحكم وارترقوا به وسدوا على من حولهم منبع الرزق

(١) الرعيد : الجبان ، والصاغر : الدليل .

(٢) نشرت هذه القصيدة في المؤبد بمصر سنة ١٣٢٧ هجرية . قالها لما سقطت وزارة حلمي باشا ، وقامت بعدها وزارة حقي باشا ، ينتقد بها خطه الاتحاديين عقب الدستور ، أيام كانوا يؤلفون الوزارات من غير رجالهم . ويحملونها نايبة في أعمالها لما يصدره مركزهم العمومي من الأوامر والنواهي . فرجال الوزارة هم المسئولون تجاه الأمة . والأمر فيها يفعلونه للاتحاديين .

(٣) أي لا طاعة إلا لهذه الأمور الثلاثة : الدستور . والعدل . والحق . فهي الملوك على كل الملوك . ولها الحكم في كل أمر .

(٤) يريد بطلوع الدستور من أفق الصوارم : أنه أعلن حكمه بقوة السيف . على ما هو معلوم من ثورة الاتحاديين في سلانيك .

(٥) قوله « بك اليوم أشقانا الخ » . أي اتخذوك آله لاستنثارهم بالحكم . فكأنك آله بأيديهم لسماعتنا وشقائنا . واللام الأولى في قوله « فيا لله المسعد » : مفتوحة . وهي لام المستغاث به . والثانية : مكسورة . وهي لام المستغاث له .

- كأنّا لهم شاء فهم يجلبوننا
وهم يأخذون الزبد من بعد مخضها
أترضى بأن تختص بالحكم معشراً
وهم يردون الصفو منك ولم نرد
فما نحن إلّا كالظماء وإنهم
ألم تر أننا طول عهدك لم نقم
ولم نك ندري لاهتضام حقوقنا
ولم نستغفد إلّا مسقوط وزارة
وماضهم لو أستطوا نهج سيرهم
ألم يُبصروا للعدل غير طريقهم
وماذا عسى يُجدي سقوط وزارة
مضى كامل من قبل حلمي وإن جرى
وما لهم عندي بالذي قد ذكرته
ولكن وراء الستّر كف خفية
ولولا يد شدت لساني بفسحة
- وكم مخضوا أوطاننا مخضة الرقي^(١)
ولم يتركوا لساكنيها سوى المذق^(٢)
وتصبح للباقيين حبراً على رقي^(٣)
سوى نغمة من بعض سورهم الرني^(٤)
كساق يرينا الماء عذبا ولا يسقي
نسابق أهل الجد في حلبة السبق^(٥)
أنحن من الأحرار أم نحن في رقي؟
وتأليف أخرى مثل تلك بالفرق
وساروا بمنهاج التبصر والحدق
فإن طريق العدل من أوضح انطرق
إذالم نقم أخرى على العدل والصدق
كما جرياً حتى فمناهما حتى^(٦)
وإن كان يشجيني ويدعو إلى الزرق
تزعزع من شاء عن الأمر أو تبقى^(٧)
لُبحت بسر كالشجاء هو في حلقى^(٨)

- (١) قوله « مخضوا أوطاننا » : أي استندروا خبرها بمخضها . وتقلب الأمور فيها . كما يخض الزق ، وهو السقاء ، ومخض الزق : تحريكه بعد وضع اللبن فيه . لاستخراج الزبد .
(٢) المذق : هو اللبن المزوج بالماء . المستخرج منه زبدة .
(٣) الرقي . بفتح الراء : الصحيفة البيضاء . وأخبر : المداد . والمراد بكونه حبراً على رقي : أنه لا حكم له . وأنه غير معمول به .
(٤) النغمة . بفتح النون وبضمها : الجرعة . والسور . بالضم : بقية الماء التي يثبتها الشار في الإناء . الرني . بفتح فسكون : السكر .
(٥) حلبة السبق : هي الدفعة من الخيل في الرهان خاصة . يقال : هو يركض في كل حلبة من حلبات الجد .
(٦) كامل وحلمى وحقي : أسماء وزراء في الدولة العثمانية .
(٧) يشير بهذا البيت إلى ما كان عليه الاتحاديون إذ ذاك . من تسييرهم الأمور من دون أن يتقلدوا المناصب . فهم العاملون . وغيرهم المشغول . فهم في ذلك كالعامل من وراء ستار .
(٨) النسعة . بالكسر : حل من آدم . والشجاء : عظم يعترض في الحلق . وهو عندهم مثل للأمر المزعج .

فيايها الدستور فاقض بما ترى
ولسنا نريد اليوم حكماً عليهم
تعالوا إلى أمرٍ تساويه بيننا
فإن يفعلوا هذا فيأمرحبا بهم
سنطلب هذا الحق بالسيف والقنا
بكل ابن حرب كلما شدّ هزّها
تراه إذا ما عبّس الموت وجهه
من العرب مطبوع الطباع على العلى

وأبرق ولكن لا تكن خلّب البرق
ولكن نناديهم وندعو إلى الحق
وبينكم في الجلّ منه وفي الدق^(١)
وإلا فيأسحق المعاند من سُحق
وشيب وشبان على ضمير بلق^(٢)
بعزم من السيف المهند مشق
بوجه يلاق الموت مبتسم طلق^(٣)
بديع معاني الحسن في الخلق والخلق

في معرض السيف^(٤)

هي المني كنفور الغيد تبسم
دع الأمانى أو رمم من خطبة
والجد لا تبسه إلا على أسس
لو لم يك السيف ربّ الملك حارسه
من سله في دجى الآمال كان له
إذا تطربها الصمصامة الخدم^(٥)
فإنما هنّ من غير الظبي حلم
من الحديد وإلا فهو منهم
ما قام يسعى على رأس له القلم
فجرا تحلّ حباها دونه الظلم^(٦)

- (١) الجل والدق . وكلاهما بالكسر : الجليل والدقيق . أى العظيم والحقير .
(٢) أى على خيل ضمير بلق ، جمع ضامر ، وهو القليل اللحم ، الدقيق ، وجمع أبلق ، وهو انتهى فيه سواد وبياض .
(٣) تراه : تبصره . وقوله « بوجه » فى موضع الحال من ضمير المفعول فى تراه ، والباء : للمصاحبة ، فكأنه يقول : تراه مصاحبا لوجه مبتسم عندما يعبس الموت .
(٤) لما قام الإصلاحيون فى بيروت يطالبون الدولة العثمانية بالإصلاح ، قال الرصافى هذه القصيدة يؤيدهم بها ، ويدعو جميع العرب إلى الانضمام إليهم . ثم لأنهم لما عقدوا مؤتمراتهم المشهور فى باريس ، تبين للرصافى أنهم ليسوا على هدى من أمرهم ، فرد عليهم بقصيدة كتبها تحت عنوان (ماهكذا) . وستأتى هذه القصيدة .
(٥) تطربها : حملها على الطرب ، قال الشاعر : « ولم تطربنى بنان مخضب » .
(٦) « تحمل حباها » بضم الحاء : جمع حبة . وهى اسم بمعنى الاحتماء . وتطلق على ما يحتبى به الرجل من ثوب أو عمامة . لم ويقال « حل فلان حبوته » : إذا نام ، كما يقال : عقد حبوته : إذا قعد . والمراد بكون الظلم فى هذا البيت تحمل حباها ، أنها نزول دون ذلك الفجر .

- والعلم أضيع من بذر بمسبحة^(١) إن الحقيقة قالت لى وقد صدقت
والحق لا يجتنى إلا بذى شطب^(٢) إن أسمع ألسن الأفلام ظالمها
فالحسام صليل يرتى شررا^(٣) هب اليراعة ردء السيف تآزره^(٤)
فالعالم ما قارنته البيض مفعرة^(٥) وإنما العيش للأقوى فن ضعفت
والعجز كالجهل فى الأزمان قاطبة^(٦) والمجد يأنل حيث البأس يدعمه^(٧)
وإن شأوا المعالى ليس يدركه^(٨)
- إن لم تجلله من نوء الظبى ديم^(١) لا ينفع العلم إلا فوقه علم^(٢)
ماء المنية فى غريبه منسجم^(٣) بعض الصرير كمن يبكى وينظم^(٤)
مفتقا أذن من فى أذنه صمم^(٥) فهل على الناس غير السيف محتم^(٦)
والحق ما وازرته السممر محترم^(٧) أركانه فهو فى الثاوين مخترم^(٨)
دء تموت به أو تمسخ الأمم^(٩) حتى إذا زال زال المجد والكرم^(١٠)
عزم تسرب فى أثائه السأم^(١١)

* * *

- أها فأها على ما كان من شرف^(١) أيتام كانوا وشمل المجد مجتمع^(٢)
كانوا أجل الورى عزاً ومقدرة^(٣) وأربط الناس جأشاً فى موافقة^(٤)
قرم إذا فاجأتهم غمة بدروا^(٥) للعربيين قد ألوى به القيد^(٦)
والشعب ملتئم والملك منتظم^(٧) إذا الخطوب بحبل البغى تحترم^(٨)
من شدة الرعب فيها ترجف اللمم^(٩) وأوفرتهم إلى تكشيفها الهمم^(١٠)

(١) قوله « بمسبحة » : صفة لمخدوف ، أى بأرض مسبحة ، وهى التى تكون سبخة ، أى ذات سباخ ، وهى الأرض التى تحترق ولا ينمو فيها زرع . « إن لم تجلله » : أى لم ترممه . يقال : جال المطر الأرض : إذا غمها وطبقها .
(٢) « بذى شطب » : صفة لمخدوف ، أى بسيف دى شطب . والشطب : جمع شطبة ، وهى طريقة السيف فى مننة . وقوله « فى غريبة » أى فى حديد . والضمير : يعود إلى السيف .
(٣) الصليل : صوت وقع السيف .
(٤) الردء : العون والناظر ، وتآزره : تقويه .
(٥) يأنل : أى يتأصل . ومنه يقال : مجدأئيل : أى أصيل . وقوله (يدعمه) : أى يسند . ويقويه .
(٦) شأوا المعالى : أى مداها وغايتها . وتسرى : دخل .
(٧) بدروا : أسرعوا . وأوفرتهم أمجلتهم .

على الحصافة قد ليثت عماثمهم^(١) وقضوا أعراباً أقحاحاً وأعقبهم^(٢)
 جار الزمان عليهم في تقلبه^(٣) دبّ التباغض في أحشائهم مرصاً^(٤)
 فأصبح الذلّ يمشى بين أظهرهم فأكثر القوم من ذلّ ومسكنة^(٥)
 كم قد نحت بهم في اللوم قافية وكمنصحت فما أسمعت من أحد

وبالجزماء شددت منهم الخزم^(١) خلف هم اليوم لأعرب ولا عجم^(٢)
 حتى تبدلت الأخلاق والشيم به انبرت أعظم منهم وجف دم^(٣)
 مشى الأمير وهو من حوله خدام تلتى الذباب على آناهم يم^(٤)
 من الحفيظة بالتقريع تحترق حتى لقد جف لي ريق وكلّ فم

• • •

يارا كبا مثن منطاد يطير به يمرّ فوق جناح الريح مخترقا^(١)
 يعلو إلى حيث يستجلى النعيان له حتى إذا حطّ منقضا على بلد^(٢)
 أبلغ بنى تاطى عنى مغلاة ما بالهم لم يفتقوا من عمايتهم^(٣)
 إلى متى يخفرون المجد ذمته ومن يعيش وهو مضياغ لفرصته^(٤)
 وكل من يدعى في المجد سابقة

كما يطير إذا ما أفرغ الرخم^(١) عرض الفضاء ويعدو وهو معتم^(٢)
 مانعه الأفق أو ما وارت الأكم ينقضّ والبلد الأقصى له أمم^(٣)
 في طيها كلم في طيها ضرّم وقد تبلى أصبح المنى لهم^(٤)
 أليس للمجد في أنسابهم رحم^(٥) ذاق الشقاء وأدعى كفه الندم^(٦)
 وعاش غير مجيد فهو متهم

(١) قد ليثت ، بالبناء المجبول : أى قد لفت .

(٢) أفتاح : جمع فتح ، بالضم ، وهو الخالص من كل شيء . يقال : هو أعرابى فتح ، أى خالص .
 والخلف ، بسكون اللام : الجبل ، بعد الجبل ، ولا يستعمل إلا فى السوء . يقال : هؤلاء خلف سوء ،
 فإذا كان صالحا قيل خلف ، بفتح اللام .

(٣) ونم الذباب يم : إذا سنج . ومصدره الويم .

(٤) المنطاد : آلة تركب ، ويطار بها فى الهواء ، ويسمى بالبالون . والرخم : طائر أبيض يشبه
 النسر فى الحلقة . والواحدة منه رجمة .

(٥) خفر فلانا : أى نفى عهده ، وغدر به ، يقال : خفرت ذمة فلان ، وذمته فى البيت :
 بدل اشتغال من المجد ، فكأنه قال : إلى متى تخفرون ذمة المجد .

ما هكذا (*)

أصبحت أوسعهم لوما وتشرييا
وأهبت منهم الأهواء جارية
وأرسلوهن مِرْحَاةً أَعْنَتَهَا
فَارْتَهَجُوا الشر حتى إن هَبوته
رأوا الصلاح وقد جاءوا بلائحة
قد كلفوا شَطَطًا فيها حكومتهم
عدوا النصارى وعدوا المسلمين بها
قد حكموا الدين فيها فهي مُعْرِبة
مَنْ مَبْلَغُ القوم أن المصلحين لهم
ما بالهم وطريق الحق واضحة
لَمَّا امْتَطَوْا غارب الإفراط مركوبا
إلى التفرق أهوبا (١) فأهوبا (١)
يُوغِلُنَ في الأمر إحضارا وتقريبا (٢)
مدت سُرَادِقَهَا في اللوح مضروبا (٣)
خرقاء تترك شمل الشعب مشعوبا
وخالفوا الحزم فيها والتجاربيا
ونحن نعهد لهم طُرًّا أعاريبا (٤)
عما يكون لدعوى القوم تكذيبا
أمسوا كمن لبس الجلباب مقلوبا (٥)
لا يسلكون إلى الإصلاح ملحوبا (٦)

(*) لما أطاع الشاعري على لائحة الإصلاحيين في بيروت ، ورأى فسادها ، قال هذه القصيدة يؤنبهم ويفند رأيهم في ذلك ، وفي عهدهم مؤتمرا في باريس .

(١) أهبت منهم الأهواء : في الكلام استعارة بالكناية ، حيث شبه الأهواء بالخيال العادية . ومعنى أهبت : اجتهدت في عدوها حتى أثارت الغبار . والأهوب : اسم بمعنى الإغراب .

(٢) الضمير في أرسلوهن : يعود إلى الأهواء التي شبهها بالخيال في البيت المتقدم . ويوغل يسرعن ويمعدن . والإحضار والتفريب : ضربان من عدو الخيل ، وفي البيت كله تخيل الأهواء المشبهة بالخيال .

(٣) أرهجو الشر : أي أثاروا رهبج الشر ، أي غباره . والمهبة : الغبرة . واللوح ، بضم اللام لهواء بين السماء والأرض .

(٤) يقول : نحن نعهدهم عربا متمسكين بالعريية ، فلم جاءوا في لائحهم هذه بأحكام تختص بالمسيحيين ، مع أن كلا الفريقين عرب .

(٥) أي أمسوا ضحكة للناس ، حيث فعلوا ما أضحك منهم الناس ، إذ أفسدوا وهم في طلب الإصلاح ، فصاروا كمن لبس جلبابه مقلوبا . جاعلا أسفله أعلى . وأعلاه أسفل . فصارت الناس نهزا به . وتضحك منه .

(٦) ملحوبا : أي واضحا . وهو صفة وصوف مخدوف . أي طريقا ملحوبا .

أفنى مصالح دنياهم وهم عربٌ
 ما ضرهم لو نَحَوُوا في الأمر جامعةً
 لكنهم أمةٌ تأبى مشاربهم
 قد حاولوا الحقَّ واشتطوا بمطلبه
 قد يطلب الحقَّ طيَّاشٌ فيبطله
 قاموا يريدون إصلاحاً فقامت لهم
 ورحت احتشمتهم حدواً بقافية
 حتى إذا محضوا آراءهم ظهرت
 ساروا وسرت فكان السير مختلفاً
 كانوا أحقَّ البرايا مطلباً فغدوا
 راموا انشقاق العصب بالشغب ملتباً
 إلى الأبصر في بيروت قائبةً
 أو أكرّة من «ديناميت» إذا انفجرت

فصارها تنسِفُ الشُّبَّانُ والشُّبَّاءُ
 وقد رأيت أناساً واصلين بها
 وآخرين بمصرٍ يطلبون لها
 وهم يباريزُ مِبارودِ أنبوا^(٦)
 تفرقوا يجعل المغمور مخروباً

- (١) اشتطوا : تبعادوا عن الحق . وجاوزوا القدر . والغريب : الأسود .
 (٢) يشير بهذا البيت والذي بعده إلى قصيدة « في معرض السيف » التي كتبها قبل هذه القصيدة يدعو القوم إلى الانضمام إليهم في طلب الإصلاح .
 (٣) التأبى : الضعف ، والركاكة . والتخبيب : الغش والإنساد .
 (٤) الشغب : بفتح فسكون . وقد تحرك العين : تهيج الشر .
 (٥) القائبة : البيضاء . والقوب : الفرخ . والمعنى ظاهر .
 (٦) مبارود : أصله من البارود . فحذفت نون من الجارة . وانصلت بالمجرور خطأ . وقد جاء استعمالها كذلك في شعر الأقدمين . وجملة : « وهم يباريز » معترضة . وأنبوا : مفعول لواصلين . ومبارود : حال من أنبوا .

ويترك الناس في دهياء مضلمة
قليل للعريسي والأنباء شائعة
علام تعقد في باريز مؤتمرا
وهل تعمّد «حقى العظم» فعلته
إذراح يستنجد الإفرنج منتصفاً
يرتد منها بياض الشمس حليوبا^(١)
والصحن ترؤى لنا عنه الأعاجيبا
ما كنت فيه برأى القوم مندوبا
لما نعى خبراً «الطآن» مكذوبا^(٢)
كأنه حمل يستنجد الدنيا

خافوا التذبذب في أعمال دولتهم
وكان خوفهم حقاً لو أنهم
لكنهم جاوزوا نهج الصواب إلى
ولم يبالوا بما أبدوه من جنف
فهم كمن فر من قطر يباله
لو كان في غير باريز تألبهم
لكن باريز ما زالت مطامعها
ولم تزل كل يوم من سياستها
هل يأمن القوم أن يحتل ساحتهم
من أن يجر على الأوطان تحريبا
لم يعدلوا عن طريق الحق تنكيبا
وادی تهاك فاستقصوا به الحوبا^(٣)
أن يمسى الوطن المحبوب محروبا
ثم انتحى السيل أو جاء الميازيبا
ما كنت أحسبهم قوماً مناكيبا
ترنو إلى الشام تصعيداً وتصويبا
تلقي العراقيل فيها والعراقيبا
جيش يدك من الشام الأهاضيبا

يأيها القوم لا يغركم نفر
جاءت رسائلهم بالشر مغرية
ضجوا بباريز إفسادا وتشعيبا
تفان في المكر أسلوبا فأسلوبا

(١) الحبوب : الأسود الحالك . يقال : أسود حبوب وسحكوك وغريب .
(٢) لما عقد المتهوسون من العرب مؤتمراً في باريز . أرسل حقى العظم إذ ذاك عصر . تلغرافا
إلى جريدة الطان الباريزية . يطلب فيه من الحكومة الفرنسية أن تتدخل في أمر سورية . ففي
هذا البيت وما بعده إشارة إلى هذا التلغراف الذي أرسله حقى العظم .
(٣) وادی تهاك . بضم التاء والهاء وتشديد اللام المكسورة : هو الباطل . ويستعمل ممنوعاً
من الصرف .

فطالعوهن بالأيدى مطالعة تسطو عليهن تمزيقا وتأريبا^(١)
 إن يصدقوا إنهم لا يلبسون سوى تحض النصيحة في الدعوى جلايبا
 فسوف يقرع كل سنة ندما ويسبل الدمع في الخدين مسكوبا

في ليلة نابغية^(٢)

خاض الدجى وظلام الليل مختلط صوت به الوجد مثل السيف مختلط^(٣)
 بيت في الليل حزنا لو أحس به لبان في لمتيه الشيب والشمط^(٤)
 أبديه منقبضا منه على شجن فيملا الليل إرانا وينبسط
 أرسلت منه أنينا فأت أوله سمعي وآخره بالقلب مرتبط
 والليل أرسل وحفا من غدائره كأنه بثريا الأفق يمتشط^(٥)
 وانجم في القبة الزرقاء تحسبه فرائدا وهي من فيروزج سقط^(٦)

(١) قوله « فطالعوهن بالأيدى » المطالعة : إنما تسكون بالعبون لا بالأيدى . واسكنه أراد أن يقول : مزقوهن . فنزل التمزيق منزلة المطالعة . تهكما واستهزاء . وقال طالعوهن بالأيدى . نفى الكلام استعارة تبعية مصرحة . حيث حذف المشبه . وذكر المشبه به . وأثبت له ما يلائم شبه . وهو قوله بالأيدى . ثم أوضح مراده بقوله مطالعة إلى آخره .

(٢) لما نضر الرصافي قصيدته « ما هكذا » التي انتقد بها دعاة الإصلاح واللامركرين ، ضج له ضجيج القوم ، وأخذت صحفهم تشنع عليه الأمر ، وترميه بما هو منه براء وخلاء ، فبلغه الخبر وهو إذ ذاك في الآستانة ، فبات له قلق الحشا ، فكتب هذه القصيدة وكأنه كان في ليلة نابغية ، ولذا عنون القصيدة بهذا العنوان .

(٣) مختلط : أى معسكر شديد السواد ، فاختلط الظلام : شدة سواده ، كأنه كر بعضه على بعض ، وامتزج حتى تضاعف . والوجد : الحزن . ومختلط : بصيغة المفعول : أى مسلول .

(٤) بيت : ينشر . وضمير الفاعل المستر في بيت يعود إلى الصوت ، وضمير الفاعل في أحس يعود إلى الليل . والشمط : بياض الشعر ، فعطفه على المشيب من قبيل عطف التفسير .

(٥) قوله « وحفا من غدائره » : الوجد ، بفتح فسكون : الشعر الكثير الأسود الحسن . والغدائر : جمع غديرة وهي اللؤابة . وأراد بغدائر الليل سدول ظلامه ، فشبه الليل بحسنة أرسلت ذوائبها ، لنسرح شعرها وتمشط ، وجعل الثريا كالمشط في يدها .

(٦) الفيروزج : حجر كريم ، يكون بلون السماء . وهو المعروف بالفيروز (مغرب) . والسقط فتحتين : وعاء مقرر مستدير كالقفة . أكثر ما تستعمله النساء لوضع حلينها . ومنه قولهم : « يوجد في الأسقاط . ما لا يوجد في الأسفاط » .

كَمْ قُلْتُ وَاللَّيْلُ جَثْلُ الشَّعْرِ فَاحِجُهُ شِعْرًا بِهِ كَادَ فِرْعَ الْبَلِيلُ يَنْمِطُ^(١)
يَنْجَابُ لَيْلُ الْعَمَى عَنْ قَلْبِ سَاءِ مَا كَالْفَجْرِ إِنْ لَاحَ فَالظَّالِمَاءُ تَنْكَشُطُ^(٢)
لَهْنِي عَلَى حِكْمٍ مَا زِلْتُ أَنْثَرُهَا دُرًّا ثَمِينًا وَمَا فِي الْقَوْمِ مَا تَقِطُ
ضَاعَ الدَّوَاءُ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَوْجِرُهُ مَنْ لَيْسَ بِشَرْبِ أَوْ مَن لَيْسَ يَسْتَعِطُ^(٣)
تَقُولُ لِي أَنْ غَبَطْتُ الْقَوْمَ تَجْرِبَتِي لَا تَغْبِطَنَّ فَمَا فِي الْقَوْمِ مَغْبِطُ^(٤)

قُلْ لِلَّيْلِ نَطَقُوا بِالضَّادِ مُدَّغَمًا لَمْ يُدْغِمِ الضَّادَ آبَاءُ لَكُمْ فَرَطُوا^(٥)
أَيَحْسُنُ اللَّحْنُ إِذَا آبَاؤُكُمْ فَصَحُوا أَمْ يَحْسُنُ الْحِجْزُ إِذَا آبَاؤُكُمْ نَشِطُوا
فِيكُمْ غُلُوٌّ وَتَقْصِيرٌ وَبَيْنَهُمَا ضَاعَ الْمَرَادُ أَأَنْتُمْ أُمَّةٌ وَسَطُ
إِنِّي ابْتُلِيتُ بِقَوْمٍ يَبْعَرُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَإِذَا عَنَقْتَهُمْ ثَلَطُوا^(٦)
شَطُوا بِأَقْوَالِهِمْ حَتَّى لَقَدْ غَضِبُوا إِذْ قُلْتُ يَا قَوْمُ فِي أَقْوَالِكُمْ شَطَطُ^(٧)
فَبَدَّلُوا الْقَوْلَ إِنْ صَحَّتْ عِزَّتُكُمْ فِعْسًا وَإِلَّا فَإِنِّي يَأْسُ قَنِطُ
قَدْ حَرَّتْ فِي الْأَمْرِ : إِنِّي حِينَ أُسْخِطُهُمْ
يَرِضُونُ عَنِّي وَإِنْ أَرْضَيْتَهُمْ سَخِطُوا

قَارَ الَّذِي كَانَ فِي أَحْوَالِهِ وَسَطًا فَالْمُرُّ يُعْقَى وَإِنْ الْخَاوِ يُسْتَرْطُ^(٧)

- (١) الجثْل ، بفتح فسكون من الشعر : الكثير اللين ، والفاحش : الأسود ، والفِرْع : الشعر النام . وينمط : يتساقط ويتمرط . والمراد بفِرْع اللَّيْل : ظلامه ، وبانمطاه : انجلاؤه وإضاءته .
(٢) ينجاب : أى يندشق وينجلي . وتنكشط : تنكشف وتزول .
(٣) قوله « أوجره » . تقول : أوجرت المريض الدواء : إذا صببته في فيه . ويستعط : يدخل السعوط في أنفه . والسعوط : الدواء الذى يستعط .
(٤) المراد بكون الضاد مدغما : النطق به كاللهمزة المدغمة ، وكذلك تنطق به العامة اليوم في سوربة . وقوله « فرطوا » : أى سبوا وتقدموا .
(٥) يبعرون : أى يرمون رجيعهم بعرا ، وهو رجيع ذات الحف . وقوله « ثلطوا » : أى سلحوا سلحا رقيقا . يقال للانسان إذا رقى نجوه : هو يثلط ثلطا . ومعنى البيت : إني إذا اتهم على خطيئهم الصغير ، فبدل أن يكفوا عنه يأتون بخطأ أكبر .
(٦) شطوا بأقوالهم : أى جاروا وأفرطوا . والشطط ، محركة : مجاوز القدرة والحد .
(٧) يعقى ، بالبناء للمفعول : أى يكره ويماف ويلفظ . وهذا الشطر من البيت يتضمن المثل المشهور : « لا تكن حلوا فتسترط ، ولا مرا فتعقى » .

قل للأعاريب قد هانت مكارمكم
برئت للعرب العرباء من فئة
أين المكارم إن هم أصبحوا عرباً
إن يغمطوني لأني جئت أنمضهم
ثم كالضفادع فاسمعهم إذا رطنوا
يستنثرون صغارا من معاطسهم
العار يرحل معهم أينما رحلوا
من كل أشوة لاحت من مغامره
قد رث عرضاؤا إن جدت مآزره
تراه يشخر عند الأكل من جشع
الخلق كالخط لا تقرأ لئامهم
إن رمت تشبع من مجد فكل همما
نفسى تجيش لأمر لو صدعت به

حتى ادعاهم أناس كلهم نبط^(١)
ينمون للعرب إلا أنهم سقط^(٢)
فإنها في طباع العرب تشتط
فأى مستنقض ذى نجدة غمطوا^(٣)
فإن هئالك إلا اللغو واللفظ^(٤)
ولا يبالون أن قالوا وأن ضراطوا
والخزى يهبط معهم أينما هبطوا
في وجه كل حياة حوله نقط
من كل نخزية في وجهه شرط^(٥)
كأنما هو عند الأكل يتمخط
واشطب عليهم بنعل إنهم غلط
كأكلك السمن ملبوكا به الأقط
لزلزلت دونه البلدان والخطط

(١) النبط ، بالتجريك : جبل من العجم ، ويستعمل أيضا في أخلط الناس وعوامهم .
(٢) قوله « إلا أنهم سقط » السقط بالتجريك : ما لا خير فيه ، والحسب الرذل من كل شيء .
(٣) إن يغمطوني : أى يستحقرون ويزدروا .
(٤) رطنوا : أى تكلموا بالأعجمية . ومراده بالأعجمية هنا : اللغة العامية ، فإنها أعجمية بالنسبة إلى الفصحى . واللغو : ما لا يعتد به من الكلام . واللفظ : بالتجريك : أصوات مبهمة غير مفهومة .
(٥) الشرط : بالتجريك : العلامة .

آل السلطنة

ثُمَّ يَعْتَدِرُونَ بِالْمِثَالِ ذُكُوراً وَإِنَاثاً لَهُمْ قُصُورٌ مُشَاهِلَةٌ^(١)
 وَلَهُمْ أَعْبَادٌ بِهِمْ وَإِمَاءٌ وَنَعِيمٌ وَرَفْعَةٌ وَجَلَالَةٌ
 تَرَكُوا السَّعْيَ وَالتَّكْسِبَ فِي الدُّنْيَا وَعَاشُوا عَلَى الرِّعْيَةِ عَالَةً^(٢)
 يَتَجَلَّى النَّعِيمُ فِيهِمْ فَتُبْكِي أَعْيُنُ النَّاسِ مِنْ نَعِيمِ الْبَطَالَةِ
 يَأْكُلُونَ اللَّبَابَ مِنْ كَدِّ قَوْمٍ أَعُوزُهُمْ سَخِينَةٌ مِنْ نَحَالَةٍ^(٣)
 فَكَأَنَّ الْأَنَامَ يَشْقَوْنَ كَدّاً كِي تَنَالُ النَّعِيمَ تِلْكَ السَّلَالَةُ
 وَكَأَنَّ الْإِلَهَ قَدْ خَلَقَ النَّاسَ لِمَحْيَا آلِ السَّلَاطِينِ آلَةً
 نَعِمُوا فِي غَضَارَةِ الْمَلِكِ عِشَاً وَحَمَلْنَا مِنْ دُونِهِمْ أَثْقَالَهُ
 فَإِذَا صَاوَلَ الْعَدُوَّ خَرَجْنَا دُونَهُمْ لِلْمَوْغَى نَرُدُّ صِيَالَهُ^(٤)
 وَإِذَا هُمْ جَرَّوْا الْجُرَائِرَ يَوْمًا فَعَلِينَا تَبْكُونَ فِيهَا الْحِمَالَةَ^(٥)
 وَإِذَا مَا اسْتَهْلَ فِيهِمْ وَلَيْدٌ فَعَلِينَا رَضَاعَهُ وَالْكَفَالَةَ^(٦)
 قَدْ رَضِينَا بِذَلِكَ لَوْلَا عَتَوُا أَظْهَرُوهُ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
 مَا بِهِمْ مَا يُمَيِّزُهُمْ عَنْ بَنِي السُّوقَةِ إِلَّا رَسُوخُهُمْ فِي الْجَهَالَةِ^(٧)
 هُمْ مِنَ النَّاسِ حَيْثُ لَوْ غُرِبَ النَّاسُ لَكَانُوا نُفَايَةً وَحَثَالَةً
 وَمَنِ الْجَهْلُ حَيْثُ لَوْ صُوِّرَ الْجَهْلُ لَكَانُوا بَيْنَ الْوَرَى تِمْنَالَةً
 حَمَلُونَا مِنْ عَيْشِهِمْ كُلِّ عِبَاءٍ ثُمَّ زَادُوا أَصْهَارَهُمْ وَالْكَفَالَةَ^(٨)

- (١) مُشَاهِلَةٌ : مرفوعة عالية . (٢) العالة جمع عائل ، وهو الفقير . والمراد به هنا : الكل الذي يعتمد على غيره ، ولا يسعى لنفسه . (٣) سَخِينَةٌ : طعام أو حساء يتخذ من دقيق وتمر ، يؤكل أيام الجهد . والنَحَالَةُ : ما يبقى في المنخل بعد نخل الدقيق من قشر الحب .
 (٤) المصاولة : المواجهة . وفي الأصل : وإذا ما صال . تحريف
 (٥) الحِمَالَةُ : ما يتجمله المحاربون من ديات القتلى .
 (٦) استهمل : صاح عند الولادة . (٧) السوقة : من عدا الملك من الرعية .
 (٨) الكفالة : ذوا القرابة غير الوالد والأولاد . يريد من لبسوا شديدي القرابة .

فكفينا أضرارهم مؤنة العيش فكانوا ضِعْفًا على إباله^(١)
تلك والله حالة يقشعر الحَقُّ منها منها وتشمئز العدالة
هي منهم دناءة وشنار وهي مِنَّا حماقة وضلالة
ليس هذا في مذهب الإشتراكية إلا من الأمور المُحالة
وهو في الملة الحنيفة اليأساء كفرًا ربنا ذى الجلالة

الوطن والأحزاب^(٢)

مضى نرجو لغمتنا انكشافا وقد أمسى الشقاق لنا مطافا
ملأنا الجو بالجدل اصطخابا وكنا قبل نملؤه هُتافا^(٣)
وما زلنا نهم بكل وادٍ من الأقوال نرسلها جزافا^(٤)
ونرجف في البلاد بكل رُعب يهز فرائص الأمن ارتجافا^(٥)
وتتهم الحكومة باعتساف ونحن أشدُّ ظالما واعتسافا
ويك من ناعب في القوم يدعو بوشك البين تحسبه الغدافا
تبا كينا على الوطن اختداعا فأندبنا بأدمعنا « الخلافا »^(٦)

(١) الضغث : ما علاء الكف من قضبان أو حشيش أو شماريح . والابالة : الكرامة الكبيرة منه .
(٢) قال الرصافي هذه القصيدة عند ما سقطت وزارة الاتحاديين ، وقامت وزارة أحمد مختار باشا
الغازي ، وذلك قبل الحرب البلقانية ، وكان الخلاف بين الاتحاديين والانتلافيين في أشد حالاته .
(٣) الجدل ، بالجرىك : شدة الخصومة . والاصطخاب : اختلاط الأصوات واشتدادها .
والهتاف : الصياح . وأراد بالاصطخاب : الصوت في الثمر ، وبالهتاف : الصوت في الخير . وفي
الجملة الثانية حذف ، دل عليه قوله بالجدل في الجملة الأولى ، وتقدير الكلام : وكنا قبل نملؤه
بالوفاق هتافا .

(٤) قوله « نرسلها جزافا » : أي معدولا بها عن منهج الصواب ، كالبيع الذي يكون بمجازفة ،
بلا كيل ولا وزن .

(٥) نرجف : أي نخوض في الأقوال السيئة ، والأخبار المرعبة ، التي تهيج فرائص الأمن مهتزة
مرتجفة . وارتجافا في البيت مفعول مطلق ، سلبط عليه عامل من معناه ؛ أو هو نائب عن المفعول
المطلق ، على حذف مضاف . وفي قوله « فرائص الأمن » استعارة مكنية .

(٦) الاختداع : بمعنى الخدع ، وهو في البيت مفعول لأجله . وفي قوله « فأندبنا بأدمعنا الخلافا »
تورية ، فإن الخلاف هو التخالف . والخلاف أيضا : شجر ، وهو صنف من الصفصاف .

أَجَاعَتْنَا الْمَطَامِعُ فَاخْتَلَفْنَا لِنَسْلًا فِي مَوَائِدِنَا الصَّحَافَا
وَلَكِنَّا مِنَ الْوَطَنِ الْمَفْدَى نَخِيطُ عَلَى مَطَامِعِنَا غِلَافَا^(١)

* * *

أَرَى أَنْفَ الْحَوَادِثِ مُشْمَخِرَا غَدَا يَتَشَمُّ الْحَدَثَ الْجُرَافَا^(٢)
وَيُوشِكُ أَنْ يَمْزِقَ مَنَخِرِيهِ عُطَاسٌ يَمَلَأُ الدُّنْيَا رُعَافَا
فَهَلْ لِمُوزَارَةِ « الْغَازِي » اقْتِدَارُ تَرَدُّ بِهِ الْهَزَاهُزُ وَالنَّقَافَا^(٣)

• • •

أَقُولُ وَلَوْ يَسُوءُ الْقَوْمَ قَوْلِي بَيَانًا لِلْحَقِيقَةِ وَأَعْرَافَا
قَدْ اخْتَلَفَ الْبَرِيَّةُ وَاخْتَلَفْنَا فَكُنَّا نَحْنُ أَسْوَأَهَا اخْتِلَافَا
فَلَا تَغْرُرْكَ أَحْزَابُ شِدَادِ بَأْسٍ لَمْ أَقْلُوبِلَا لِطَافَا
فَإِنْ بَوَاطِنَ الْقَوْمِ اخْتِرَاصُ وَإِنْ أَبَدَتْ ظَوَاهِرُهُمْ عَفَافَا
وَمَا اخْتَلَفُوا لِمَصْلَحَةٍ وَلَكِنْ لِيَأْكُلَ أَقْوِيَاؤُهُمُ الضُّعَافَا
هُوَ الدِّينَارُ مُنِيَّةُ كُلِّ رَاجٍ وَبُعْيَةِ كُلِّ مَنْ دَابَّ احْتِرَافَا
نَحْجُجُ لِأَجَلِهِ بَيْتَ الْخَازِي وَنَكْثِرُ حَوْلَ كَعْبَتِهِ الطَّوَافَا
تَرَى كُلَّ الْأَنَامِ بِهِ سُكَارَى وَغَيْرَ هَوَاهُ مَا ارْتَشَفُوا سُلَافَا
خَبُّ سِوَاهُ فِي الْأَفْوَاهِ جَارٍ وَلَكِنْ حَبَهُ بَلَغَ الشُّغَافَا
هُوَ الْحَرْبُ الَّتِي زَحَفَتْ إِلَيْهَا كَتَائِبُ كُلِّ مَنْ طَلَبُوا الزَّحَافَا
وَكَمْ قَدَّرَتْ فِي أَمَلٍ مُخَافٍ فَأَمِنْ صَوْتِهِ الْأَمَلُ الْخَافَا
إِذَا خَطَبَ الْوَضِيعَ بِهِ الْمَعَالِي أَقَامَ لَهُ بَنُو الشَّرَفِ الزُّفَافَا
أَرَى الْأَحْزَابَ مِنْ طَمَعٍ وَحِرْصٍ قَدْ اخْتَرَقُوا إِلَى الْفَنَنِ السَّجَافَا

(١) يريد : إنا اختلفنا للمطامع ، ولكننا نغطي مطامعنا بغطاء من حب الوطن ، ونجملها في غلاف منه ، تمويهها وسترا لمطامعنا .
(٢) الجراف : الجارف . يقال : سيل جراف .
(٣) الهزاهز : الحروب والفتن التي تهز الناس . والنقاف : هو المضاربة بالسيوف على الرؤوس .
ووزارة الغازي : هي وزارة أحمد مختار باشا الغازي . وفي هذا البيت وما قبله كناية وتنبؤ عن المستقبل ، بالأخبار عن وقوع حروب وفتن ، وقد وقعت بعد ذلك حرب الأمم البلقانية مع الدولة العثمانية .

يخاف بعضهم في الرأي بعضاً وبئس الرأي ما التزم الجتافاً^(١)
 إن خطأت من راموا «اتحاداً» فاصوبت من راموا «اتلافاً»
 فإن مشارب العدوان منها كلاً الحزين يرتشف ارتشافاً
 وهم كانوا الديانة كل حزب يراه أحق بالحق اتصافاً^(٢)
 وماذا نفع أقوال سمانٍ إذا أفعالهم كانت عجافاً
 وأنى يصلح الأوطان قوم بها أشتى تدابرهم وصافاً
 فكان منهم على طرف بعيدا وحاذر أن تكون لهم مضافاً
 فهم كالبحر يهلك راكبه ويسلم منه من لزم الضمافاً

عند سياحة السلطان^(٣)

قل للحكومات في البلقان هل علقَت آمالكم من مواعيد إنجاز
 إن الذي تضمرون اليوم من طمعٍ أمسى لأشعب يعزو مثله العازي
 لم تعرفوا منذ كنتم عرق نخوتنا إذ قد كنتم بكف ذات قفار
 إنا نعرف لغزاً في سياستكم وما السياسة إلا بيت الغار
 ألم تروا أننا مستوفزون لكم إذ نحن منكم على حذر وأوفاز^(٤)
 زار المليك بلاد الروم حيث غدا يلقي الدسائس منكم كل هماز^(٥)

(١) قوله « يخاف بعضهم في الرأي بعضاً » : أى يفصل بعضهم عن بعض ، انفصلاً منظوياً على بعض وعداوة .

(٢) أى أن هذه الأحزاب السياسية يشابهون أهل الأديان المختلفة ؛ إذ كل منهم يرى نفسه على الحق ، غيره على الباطل ، وكل حزب بما لديهم فرحون .

(٣) أخذت حكومات البلقان تشتعل بإيقاد الفتن السياسية في مقدونية وبلاد الألبان ، وخرج السلطان رشاد إلى البلاد المذكورة سائحاً سياحة سياسية ، وقال الرصافي هذه القصيدة ، وقد رفعها إلى السلطان ، فأجازه عليها بساعة من ذهب ، ذات سلسلة ذهبية .

(٤) مستوفزون : متهيئون للوثوب عليكم . وفسر ذلك بقوله « إذ نحن منكم إلخ ... » . يقال : نحن على أوفاز ، أى حد عجلة . أو على سفر قد أشخصنا ، والأوفاز : جمع وفر ، وهو العجلة .

(٥) الهماز ، كشداد : الغياب الطعان

فسرنا كل فساد كان مُنتشراً
حتى اطمانت قلوب الناس هادئة
وأصبح المخرج من مظالمهم
ولاعبت نسيات الحب ألوية
بأيها الملك انساني بحكمته
قدسى في وصف ما أوتيت من حكم
غزوت غزو سلام دون غايته
ملكك بالعمو والإحسان أفئدة
وأنت لو شئت إرهاباً لجيشهم
لكنا جيشهم بالعمو تأخذهم
فاغداً سيوفك إن العفو منصت
بالترى بالروم بالآلبان قاطبة
أما بنو العرب فالإخلاص يرغمهم
إذ هم عماد لعرش أنت ماسكه
ورض بهم كل صعب ، إنهم فئة
وهم ركاز العلى لو زرت أرضهم
إن يعجز الأمر عن شئ فهم سفلة
وإن خشيت على البلاد أن جنتها

من عنتكم بين إغراء وإعزاز
وكل قلب لكم من غيظه نازي^(١)
يرنو إليكم بطرف سنخر هازي
من الرثاد أقيمت فوق أنشاز^(٢)
والمبدل الناس من ذل بإعزاز
كلاً كلامي إطنابي وإيجازي
غزو الحروب فأنت الفاتح الغازي
كانت إلى السيف فيها بعض إعواز
بصارم لنواصي القوم جزاز^(٣)
والعمو أفضل ما يجزى به الجزى
واهناً بشعب محب غير منجاز^(٤)
بالأرمنيين بالبلغار باللاز
إلى مقام على الأقوام ممتاز
فاضرب بغات العدا منهم بأبواز
تبغى الصدور ولا ترضى بأعجاز
يوماً لأركزت فيها أى إركاز^(٥)
لو كنت مسندة منهم بعكاز
فقطب بها من سهاهم بعض أحرار^(٦)

- (١) نازى : أى واثب ، اسم فاعل من نزا ينزوا ، بمعنى وثب .
(٢) أنشاز : جمع نثر ، بالتحريك ، وهو المكان المرتفع .
(٣) جزاز : فعال من الجز ، بمعنى انقطع ، والنواصي : جمع ناصية ، وهى مقدم الرأس . وجز الناصية فى كلامهم : كناية عن القبر والإدلال .
(٤) غير منجاز : أى غير عادل ولا حائد . ونقدير الكلام غير منجاز عنك . فحذف الصلة من الجز والمجور اضيق المقام ، ولدلالة الكلام عليها .
(٥) الركاز : ما ركزه الله فى المعادن من ذهب وفضة . يقال : أركز الرجل : إذا وجد الركاز ، ومعنى البيت ظاهر .
(٦) أحرار : جمع حرز ، وهو الحوذة التى تكتب ، وتعلق على الإنسان من امين والنقرع والخنون .

وسيفُ ملكك إن رئتُ جمائله أغنوك في رأسها عن كل خراز^(١)
 زر أيها الملكُ المحبوب موطنهم ولو زيارة عجلان ومجتاز
 وانظر إليه بعين منك شافية ما نابه اليوم من جهل وإعواز
 أشتم وأعرق وروح بعد محتجزا وأيمن بعزم غير هزهاز^(٢)
 ماذا على ملك الدستور من وطن لو جال منه بأطراف وأجواز

الحق والقوة

أرى الحق لم يغش البلاد وإنما مشى ضارباً في الأرض تلفظه الطرُق
 فيصبح في أرض ويمسى بغيرها وحيداً فما يؤويه غرب ولا شرق
 توطن قفر الأرض مبتعداً بها إلى حيث لا إنس ولا طائر يزقو
 وقد يهبط الأمصار وهو محجب ويظهر أحيانا كما أومض البرق
 ومن عجب أن الورى يدعونه وهم من قديم الدهر أعداؤه الزرق
 أعدوا له في البر والبحر قوة إذا ظهرت ينسد من دونها الأفق
 وطاروا بطياراتهم يمتطرونه قذائف من نار كما أمطر الودق^(٣)

• • •

يقولون إن الحق في الخلق قوة نذل لها الأعناق قهراً وتندق
 فما باله يمسى ويصبح شاكياً ولا يتحاشى عن ظلامته الخلق
 إلى الله نشكو الأمر من مدنية

تعارض في أوصافها الكذب والصدق

وكم قد سمعنا ساسة الغرب تدعى بأشياء من بطلانها ضحك الحق

(١) في رأسها : أى في إصلاحها . والضير يعود إلى الجمائل . والخراز : فعال من الخرز ، وهو خياطة الجنود .

(٢) احتجز الرجل : أتى الحجاز . وأيمن : أتى اليمن . وكذلك أشأم وأعرق : أتى الشام والعراق . وقوله « بعزم غير هزهاز » أى غير مضطرب .

(٣) الودق المطر كله : شديدته وهيبته .

فهم منعوا رِقَّ الأسير وإنما
ألم تر في القطار العراق أمة
قد اختطَّ فيه السيف للقوم خِطَّةً
وأوجرهم مِمَّا من الذل ناقمةً
فدجاجة من وقع الشوائب أصبحت
وإن الفرات الغمر أمسى وماؤه

° ° °

رعى الله بين الراديين مواطننا
قَضَيْتَ بها عصر الشباب فلي بها
فلا تعجبوا من أننى عند ذكراها
وأنى إذا أبصرتها مستضامةً
ألم ترها قد أصبحت من إسارها
تجرَّ قيود الذلِّ راسفةً إلى
ويحلب شطريها العدو ضرائباً
سلام على وادى السلام الذى به
سنفديه حتى لا حياة عزيزة
ونُدرك فيه ثأرنا بكتائب
وإن الليالى بالخطوب حوامل
فتنتج حرباً ما يبوخ سعيها
بكل أخى عزم كأن مضاءه
تُلفَّ رايات العلى بسواعد
فإما المنايا نستطب بطبها
إذا نحن لم نملك على الدهر أمره

إذا ذكرت يهتز بي نحوها عشق
خواطرم لم يسمح بإفشاءها النطق
أنوح عليها مثلما ناحت الورق
يكاد لها قلبى من الحزن ينشق
تُليح بطرفى فى لوحظه العتق
تكاليف حكم فى سياسته الحق
ويمخضها ذراً كما يُمخض الرق
تفاقم هول الخطب واتسع الخرق
ونبذل حتى لا نفيس ولا علق
لها نسب من صلب يعرّب مشق
ولا بد يوماً أن سيأخذها الطلق
وتستن فى ميدانها اللثم والبلق
مُشطبة بيض ومسنونة زرق
لهن بتصرف الفنا فى الوغى حذق
وإما منى فيها يتم لنا سبق
فلا دام فينا نابضا للعلى عرق

صبيح الأمانى (١)

تَبَلَّجَ أَفْقُ الشَّرْقِ مِنْ بَعْدِ مَا اغْتَبَرَا وَكَثُرَ عَنْ صَبِيحِ الْأَمَانِ مُفْتَرَا (٢)
وَلَوْ كَانَ صُبْحًا نَاصِعَ الْوَلَوْنَ مَرَرَا وَبَرَدَ حَرًّا كَانَ فِي كِبْدِي الْحَرَى
وَلَكِنَّهُ صُبْحٌ يَلُوحُ لِنَظَرِي بِحَاشِيَةِ الزَّرْقَاءِ كَالْدَمِ مُحْمَرَا
أَرَاهُ كَوَجْهَ الْغَادَةِ الْخُودِ رَاقِي بِحَسَنِ وَلَكِنْ قَدْ تَجَهَّمُوا وَارْوَرَا (٣)
لَحِثَ تَبَاشِيرِ الْمُتَى مِنْ خِلَالِهِ ضَيَّالًا كَهَوْلِكَ غَدَا يَشْتَكِي الضَّرَا (٤)
وَلَمْ أُدْرِ لِمَا اسْتَبَهَمْتُ أَخْرِيَانَهُ أَطْطَمِعُ أَمْ أَسْتَشْهَرُ الْيَأْسَ مَضْطَرَا
وَلَوْ كُنْتُ أُدْرِى مَاورَاءَ أَحْمَرَارِهِ لَسَرَّيْ عَنْ النَّفْسِ الْكَثْبِيَّةِ مَا سَرَى (٥)
وَلَكِنَّهُ وَرَى عَوَاقِبَ أَمْرِهِ

فَزَادَتْ شَكْوَاكَ النَّفْسَ مِنْ أَجْلِ مَاوَرَى

يَهَامِسُنِي بِالْوَعْدِ قَوْلًا مُجْمَعًا كَأَنْ هُوَ يَخْشَى أَنْ أَذِيعَ لَهُ سِرًّا (٦)
وَأَنْى لِأَخْشَى أَنْ أَكُونَ بِوَعْدِهِ وَإِنْ أَسْفَرْتَ أَوْضَاحَهُ الْغَرْمُغْتَرَا

(١) نشرت الجرائد مقالا لشكري غانم يبارس ، صرح فيه بالتبرؤ من الأمة العربية ، قائلا : اننا معاشر السوريين أو اللبنايين اسنا بعرب ، وإن تكلمنا بالعربية ، وإنما نحن فينيقيون . فقال الرصافي هذه القصيدة يرد على شكري غانم .

(٢) يشير بقوله « تبلاج أفق الشرق » إلى حكومة دمشق العربية وكفى عنها بالفرار الشرق عن صبيح الأمانى .

(٣) شبه هذا الصبح في عدم وضوحه وصدقه ، بوجه الغادة الحسناء ، الذى فيه تقليب وبسور ، فهو على حسنه متجههم لناظرين ، أى كالح . ومزور عنهم : أى منحرف .

(٤) تباشير المتى : أوائلها التى تبشر بها . وضئال : جمع ضئيل ، وهو الدقيق الحقيق ، والمتهوك : المنضى الذى أضطعه المرض .

(٥) قوله « لسرى عن النفس » : أى لكشف عنها الهم . وقوله « ولكنى ورى » فى البيت الذى بعده : أى ولكنى أخفى عواقب أمره .

(٦) يهامسنى بالوعد : أى يكلمنى به همسا . والهمس : الصوت الخفى . وقوله « قولاً مجمعاً » : أى قولاً غير مبين . وهو منصوب على أنه مفعول مطلق ، مسلط عليه عامل من معناه ، وهو يهامسنى .

وما كل صبح يرتجى الناس خيره
ولا كل ليل مظلم يضمم الشرا
فإن كنت يا صبح الأمانى صادقا
بوعد حيا الله طلمعتك الغرا

• • •

خليلي هل من عاذر في قصيدة
أقول بها حقا وإن قلت مرأ
أرى هبوة سوداء في الجوا أسبلت
حجابا بأفاق العراقين ممثرا (١)
وأرخت بأرض الشام منها على الربا
سُدولاً بها جو السماء قد اغبرا
ومدّت على بيروت منها غياية
بها عاد وجه الأفق أسفع مكذرا (٢)
وما هي إلا عارض من تناكر
به مَرَبَع الآمال أقفر واقورا (٣)
تري القوم فيه نوعهم متخاذل
وآماهم أمست كتيبتهما فرى (٤)

• • •

عجبت لقوم أصبحوا ينكرونا
وقد عرفونا في الزمان الذي مرأ
هم أسمعونا نغمة عريّة
فدوى صداها في المسامع مضطرا (٥)
فكم من خطيب قام فيها مثرثرا
فطرى لنا من يابس القول ما طرى (٦)
وكم شاعر قد أرخص الشعر دونها
وكم قلم فوق الطروس بها صرا (٧)
وكنا أجبناهم إليها إجابة
بها قد تركنا جانب الدين مزورا
رجاء اتحاد في طريق سياسة
تعم مراميها بنى يعرب طرا

- (١) الهبوة : الغيرة . وأسبلت حجابا : أى أرسلته وأرخته . وفوله ممثرا : أى مارا بأفاق العراقين ، وهو اسم فاعل من امتر ، افتعل من المرور ، يقال امتر به أى مر به .
(٢) الغياية : كل ما أظل الانسان من فوق رأسه . كالغبرة والسحابة ونحو ذلك . وأسفع : ذو سواد وشحوب . ومكذر : أى كدر . وهو اسم فاعل من اكذر كاجر . بمعنى كدر .
(٣) أقفر : خلا من السكان . وانور : ذهب ثباته .
(٤) قوله « نوعهم متخاذل » : أى ضعفاء غير متففين ولا متناصرين : وقوله « أمست كتيبتهما فرى » بضم الفاء . وتشديد الراء : أى منهزمة .
(٥) النغمة : الصوت بالخشوم . ودوى صداها : أى سمع له دوى . ومضطرا : مصطخبا .
(٦) مثرثرا : أى مكثّر الكلام . وطرى : من التطرية : أى جعله طريا .
(٧) صر القلم صريرا : سمع له صوت عند الكتابة .

فخذ حان أن يَحْضِلَّ غَضْنَ اعْتَازَنَا ويرجع بعد اليئس رطباً ويَحْضُرَا
نصبنا خيائهم الرجاء ليريجهم فهبت لنا نكباء عاتية صِرَا^(١)

* * *

لعمرى لقد ساء الكرام ابنُ غانم بهاريس إذ قد قال ما يُحْجِلُ الحرَا
نقى عن مناميه العروبة وادعى جُزَافاً وخلقى منهمج القوم وابتَرَا^(٢)
وهل حسبوا أن العروبة في الورى من العرّ حتى أنكروا ذلك العرَا^(٣)
كأن لم يقيم من بينهم ناعراً بها ولم يكْضُرْنَا بها أمس من ضَرَا^(٤)
فما أحدٌ منهم وفى بعهوده ولا أحدٌ منهم بما قال قد برَا
وكان غروراً كل ما حالفوا به وشر الحليفين الذى خان أوغَرَا
وعاد الذى كنا نؤمل منهم إلى غير ما كنا نؤمل مُنْجَرَا
وقد صوّحت تلك الأمانى كُلَّهَا

فما كنت نبات الأرض إذ هاج مصفرًا^(٥)
وأصبح فينا شامتاً كلُّ من غدا لأبناء قنطوراء يغضب مُقَرَّا^(٦)

-
- (١) نكباء منحرفة عن مهاب الرياح ، وعاتية : شديدة العصف ، مجاوزة الحد ، وصرا ، بكسر الصاد ، وتشديد الراء : أى شديدة البرد .
(٢) نقى عن مناميه : أى عن مناسبه . والعروبة : العربية . ابتَر : من الإبتار ، وهو الاعتزال والانفراد عن الأصحاب .
(٣) العر بالفتح : العيب .
(٤) قوله ضَرَانَا بها : أى أغرانا ، يقال : ضراه بكذا تضرية : أى ألحقه به ، وأغراه ، وعوده إياه .
(٥) قوله صوّحت تلك الأمانى : أى يبست وجفت .
(٦) أبناء قنطوراء : الترك . وقوله سَمَرَا : أى نأتنا عرقه ، يقال امقر الرجل امقرا : إذا نأ عرقه ، ويكون ذلك عند الغضب .

نوح دجلة

قالها بعد سقوط بغداد في أثناء الحرب العامة ، جوابا

عن قصيدة للشاعر التركي الشير سليمان نظيف بك :

هِيَ عَيْنِي وَدُمُعُهَا نَضَّاحُ . كُلُّ حُزْنٍ لَمَامُهَا يَمْتَحُ
كَيْفَ لَا أَذْرِفُ الدَّمُوعَ وَعِزِّي بِيَدِ الذِّلِّ هَالِكُ مُجْتَحُ
قَدْ رَمَتْنِي يَدُ الزَّمَانِ بِخُطْبٍ جَلَلٍ مَا لِلَّيْلِ إِصْبَاحُ
حَيْثُ غَمَّتْ عَلَيَّ وَجْهَ سَمَائِي ظُلُمَاتٌ تَخْفَى بِهَا الْأَشْبَاحُ
وَتَوَارَى عَنِ أَعْيُنِي مَضْمُجًا شَرَفٌ فِي مَوَاطِنِي وَضَّاحُ
يَوْمَ أَمْسَيْتُ لَا حِمَاةَ تَذُودُ الضَّيْمَ عَنِّي وَلَا ظُبِّي وَرَمَاحُ
فَأَنَا الْيَوْمَ كَالسَّفِينَةِ تَجْرِي لَا شِرَاعَ لَهَا وَلَا مَلَّاحُ
ضَيَّقْتُ ذُرْعًا بِمَحْنَتِي فَتَرَاءَتْ قَيْدَ شِبْرِ لِي الْفِجَاجُ الْفِسَاحُ
أُخْرَسَ الْحُزْنُ مَنطِقِي بِنَحِيبِ أَلْسُنِ الدَّمْعِ فِيهِ ذُلُّقُ فِصَاحُ
نُحْتُ حَتَّى رَأَيْتُ الْعَدُوَّ لِحَالِي وَاعْتَرَانِي مِنَ الْعَوِيلِ بُحَاحُ
فِيَاهِي هِيَ انْسِكَابُ دُمُوعِي وَخَرِيرِي هُوَ الْبُكَاءُ وَالنُّوَاحُ
أَوْ مَا تَبَصَّرُ اضْطِرَابِي إِذَا مَا خَفَقَتْ فِي جَوَانِبِي الْأَرْوَاحُ
لَيْسَ ذَا الْمَوْجِ فِي مَوْجًا وَلَكِنْ هُوَ مِنِّي تَنْهَدُ وَصِيَا
إِنْ وَجَدِي هُوَ الْجَحِيمُ وَلَوْلَا أَدْمَعِي أَحْرَقْتَنِي الْأَتْرَاحُ
لَوْ دَرَى مَنبَعِي بِمَا أَنَا فِيهِ مِنْ أَسَى جَفَ مَاؤُهُ الضَّحَضَاحُ (١)
عَلَّه قَدْ دَرَى بِذَلِكَ فَهَذَا هُوَ بِأَكْ وَدُمُعُهُ سَفَّاحُ .

* * *

أَيْنَ أَهْلُ الْحِفَازِ هَلْ تَرَكُونِي نَهْبَةً فِي يَدِ الْعَدُوِّ وَرَاحُوا
بِرِحْوَا وَادِي السَّلَامِ عِجَالًا أَفْجَدُ بِرَاحَتِهِمْ أَمْ مُرَاحُ

(١) الضحضاح : الذي ليس بعميق ،

ما هُم يَبْعُدُونَ عَنِّي انْتِزَاحًا وَعَزِيزُ مِنْهُمْ عَلَى انْتِزَاحٍ^(١)
 أَوْ مَا يَعْلَمُونَ أَنَّ حَرِيمِي لِلْعَادِينَ بَعْدَهُمْ مُسْتَبَاحٌ
 فَلَنْ يَبْعُدُوا فَإِنِ فُؤَادِي لَأَلَيْهِمْ^(٢) بَوْدَهُ طَمَّاحٌ
 تُرَكُونِي مِنَ الْفِرَاقِ أَقَاسِي أَلَمَّا مَا تَطِيقُهُ الْأَرْوَاحُ
 لَوْ رَأَوْنِي سَبِيًّا بِأَيْدِي الْأَعَادِي لَبَكَوْا مِثْلَمَا بَكَيتُ وَنَاحُوا
 لَا مَسَابِي بَعْدَ الْبَعَادِ مَسَاءَ يَوْمٍ بَانُوا وَلَا الصُّبْحُ صَبَاحُ
 أَتَمَنَّى بَأَنَّ أَطِيرَ إِلَيْهِمْ بِجَنَاحٍ وَأَيْنَ مِنِّي الْجَنَاحُ
 أَنَا أَدْرِي بَأَنَّهُمْ بَعْدَ هَجْرِي لَمْ يَذُوقُوا غَمًّا وَلَمْ يَرْتَاحُوا
 بَلْ هُمُ الْيَوْمَ عَازِمُونَ عَلَى الزَّحْفِ بِجَيْشٍ بِهِ تَغْصُّ الْبَطَاحُ^(٢)
 إِنْ تَأَنَّنَوْا فَرَبْضَةُ اللَّيْلِ تَأْتِي بَعْدَهَا وَثْبَةٌ لَهُ وَكَفَاحُ
 كَيْفَ يُغْضُونَ عَنْ إِغَاثَةِ وَادٍ زَانَهُ مِنْ وَدَادِهِمْ أَوْضَاحُ
 فَعَلِيهِ مِنْ فَخْرِ عُثْمَانَ تَاجٌ وَلَهُ رَايَةُ الْهَلَالِ وَشَاحُ
 أَنَا بَاقٍ عَلَى الْوَفَاءِ وَإِنْ كَا نَتُّ بِقَلْبِي مِمَّنْ أَحَبَّ جِرَاحُ
 فَاِلَيْهِمْ وَمِنْهُمْ الْيَوْمَ أَشْكُو بَالُغِيهِمْ شَكَايَتِي يَا رِيَّاحُ

(١) الانتزاح : النأي والبعد .

(٢) تغص : تمتلئ . والبطاح : جمع بطحاء ، وهي الأرض المدينة السهلة .

بعد براح الشـام

- قد صحَّ عزمك والزمانُ مريضُ حَتَّامٌ تذهبُ في المني وتليضُ^(١)
 ما بالُ هَمِّكَ في الفؤادِ كأنهُ عَظُمَ يَقلُّقَلُ في حشاك مَهِيضُ^(٢)
 كم بتَّ مُعتَلِجَ الهمومِ بليلاً ما لالَظلامِ بقجرتها تقويضُ^(٣)
 طنَّتْ بِمَسَمِعِكَ المَواجِسُ في اللُّجى
 فننَّتْ كَرَكَ كَمَا يَطنُّ بَعُوضُ^(٤)
 تنبؤ جنوبك عن فراشِ ناعمٍ فكأن مضجَعَكَ اللميثَ قَضيضُ^(٥)
 وكأنَّ جنبك بالجوَى متقرِّحُ وكأنَّ قلبك بالهمومِ رَضيضُ^(٦)
 كبرتَ لَنفْسِكَ في الحياةِ لُبانةً ضاقت سَماواتُ بها وأَروضُ^(٧)
 ما زلتَ تفتنهمُ المِهالكَ دونها فالهولَ تركبُ والصَّعابَ تَروضُ^(٨)
 لله أنتَ فأىَّ هولٍ تمتطى أم أَىَّ مُعترِكِ الخطوبِ تخوضُ

* * *

- ولربَّ قافيةٍ كؤُتلقِ السنا يجلو الشكوكَ يَقيمتُها الممحوضُ^(٩)
 صرَّحتَ في إنشادها بحقيقةٍ فات الأنامَ بِمثلها التعريضُ^(١٠)

(١) آخى يثييض أيضا : رجع .

(٢) هيض العظم : كسر بعد الجبور ، فهمى مريض .

(٣) محتاج الهموم : شديدتها ، تقويض الحيمة ونحوها : هدمها . شبه الظلام بالحيمة .

(٤) الطنين : صوت الدبابة ونحوه . كأن المواجهس من كثرة معاودتها له ، صارت ذات طنين ،

فأزالت عنه النوم .

(٥) نبا جنبه عن الفراش : لم يوافقه فتركه . والدميث : الوثير اللين . والفضيض : الحصى الصغار .

(٦) الجوى : الحزن . ومتقرح : ذو قروح ، وهى الجروح . والرضيض : فعيل بمعنى

مفعول ، أى مرضوض ، أى مكسور .

(٧) كبرت : عظمت . واللبانة : الحاجة . والأروض : جمع أرض .

(٨) تفتنهم المِهالك : تلقى نفسك فيها . وتروض : تسوس وتدلى .

(٩) السنا : الضوء . والممحوض من المحض ، وهو الخالص .

(١٠) تعريض : أن تشير إلى الشيء من طرف خفى ، تجمهم ولا تصرح .

- ولقد أَجَرْنِي القَرِيضُ عِنَانَهُ (١)
وَأَتَى المَدَى يَوْمَ السَّبَاقِ مَجْلِيًّا
قد كُنْتُ أُنَبِّطُ للقَرِيضِ قَرِيحَةً
ولكم وَقَفْتُ من السِّيَاسَةِ مَوْقِفًا
مُسْتَنْهَضًا بِالشَّعْرِ قَوْمِي لِلْعَلَى
أَيَّامٌ لَمْ يَنْطِقْ بِذَلِكَ شَاعِرٌ
حَتَّى إِذَا دَارَ الزَّمَانُ مَدَارَهُ
وَعَدَا يَنَارَعُنِي الحَرُورَةُ شَاعِرٌ
وَيَبْزَنِي ثَوْبَ الأَمَانَةِ خَائِنٌ
كَمْ مَدَّعٍ دَعَاوَى فِي وَطَنِيَّةٍ
من كُلِّ عِبْدٍ فِي السِّيَاسَةِ بَاعَهُ
تَعَسَّ المَخَاصِمُ إِنَّ لِي لِقَصَائِدًا
فَإِذَا ادَّعَيْتُ فَمَنْ فِي دَعَاوَى لِي
- وَنَحَا بِي المِضْمَارَ وَهُوَ مَرُوضٌ (١)
يَجْرِي سَبُوحٌ خَلْفَهُ وَرَكَوْضٌ (٢)
بِمَفَاخِرِ العَرَبِ الكِرَامِ تَفْيِيزٌ (٣)
مَحْيَايَ فِيهِ عَلَى التَّوَى مَعْرُوضٌ (٤)
إِذَا كَانَ فِيهِمْ فَتْرَةٌ وَرُيُوضٌ (٥)
قَبْلِي وَلَمْ يَنْشُدْ هُنَاكَ قَرِيضٌ
خَابَ القَرِيضُ وَعَادَ وَهُوَ جَرِيضٌ (٦)
مَا كَانَ حُرًّا شَعْرُهُ المَقْرُوضُ (٧)
كَأَبِي بَرَأَقَشَ طَبَعُهُ المَرْفُوضُ (٨)
أَنَا كُنْتُ أَبْنِيهَا وَكَانَ يَقُوضُ (٩)
وَشَرَاهُ هَذَا الدَّرْهَمُ المَقْبُوضُ
طَرَفُ المَعَانِدِ دُومَهَنٌ غَضِيضٌ (١٠)
حُجْجٌ دَوَامُغٌ مَا لَهْنٌ دُحُوضٌ (١١)

- (١) أَجَرْنِي القَرَسُ عِنَانُهُ : أُلْسِنِي لِي قِيَادَهُ . وَالْمِضْمَارُ : الْمِيدَانُ ضَمِنَ فِيهِ خَيْلُ السَّبَاقِ .
وَالْمَرُوضُ : الْمَدْرَبُ عَلَى الْحَرَى فِي السَّبَاقِ .
(٢) الْمَجْلَى : مَنْ خَيْلُ السَّبَاقِ : السَّابِقُ الْمُتَقَدِّمُ . وَالسَّبُوحُ : الْقَرَسُ الْخَفِيفُ فِي عَدْوِهِ ، كَأَنَّهُ
يَسْبِجُ فِي الْهَوَاءِ . وَالرَكَوْضُ : الشَّدِيدُ الْعَدُو .
(٣) أُنَبِّطُ الْبُئْرَ : حَقَرَهَا . وَتَفْيِيزٌ : يَنْزِرُ مَائِهَا حَتَّى يَسِيلَ عَلَى الْجَوَانِبِ .
(٤) تَوَى يَقْوَى تَوَى مِنْ بَابِ فَرَحَ : هَالِكٌ . يَرِيدُ : وَقَفْتُ فِي السِّيَاسَةِ مَوَاقِفَ كَثِيرَةٍ
تَعَرَّضْتُ فِيهَا حَيَاتِي لِلْحَمَامِ .
(٥) فَتْرَةٌ : فَتَوْرٌ . وَرُيُوضُ النِّعَمِ : بَرُوكُهَا عَلَى الْأَرْضِ ، يَرِيدُ الْكَسْلَ وَالْفَقُودَ عَنْ
السَّاعَى الشَّرِيفَةِ .
(٦) الْجَرِيضُ : غَصَصُ الْمَوْتِ . وَفِي الْمَثَلِ « حَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ » .
(٧) الْحَرُورَةُ ، بَفَتْحِ الْحَاءِ ، كَالْحَرِيَّةِ وَالْحَرُورِيَّةِ ، وَالْحَرَارَةُ وَالْحَرَارُ : وَهِيَ الْعَتَقُ وَالنَّفَاسَةُ .
(٨) يَبْزَنِي : يَسْلُبُنِي . وَأَبُو بَرَأَقَشَ : حَيَوَانٌ لَا يَزَالُ جِلْدُهُ يَتَلَوَّنُ أَلْوَانًا فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ .
(٩) يَقُوضُ : يَهْدُمُ . وَالَّذِي فِي مَعَاجِمِ اللُّغَةِ : يَقُوضُ بِتَشْدِيدِ الْوَاوِ .
(١٠) غَضِيضٌ : مَغْضُوضٌ ، أَيْ مَكْسُورٌ . (١١) دَحَضْتُ حُجَّتَهُ : بَطَلْتُ

وَسَلِّ الْيَرَاعَ يُجِبْكَ عَنِ نَاطِقًا بِمَقَالِ صِدْقٍ لَيْسَ فِيهِ غَمُوضٌ ^(١)

لَمَّا تَكَرَّهْنِي الْأَرَاذِلُ سَرَّيْنِي أَنِّي إِلَيْهِمْ يَا أُمِّمٍ بَغِيضٌ ^(٢)

وَلَقَدْ بَرِئْتُ إِلَى الْوَفَاءِ مِنْ أَمْرِي عَهْدَ الصَّدَاقَةِ عِنْدَهُ مَفْقُوضٌ ^(٣)

وَجَزَيْتُ كُلَّ صَنِيعَةٍ بِمِثْلِهَا إِنْ الصَّنَائِعُ فِي الرِّجَالِ قُرُوضٌ ^(٤)

لَا نَطْلُبُ مِنَ الزَّمَانِ حَقِيقَةً مَالِ الْحَقِيقَةِ فِي الزَّمَانِ وَمَيْضٌ ^(٥)

وَإِذَا مَحَضَّتْ مِنَ اللَّيَالِي صَرْفَهَا أَبْدَى الْعَجَائِبَ صَرْفَهَا الْمَخُوضُ ^(٦)

وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ مِثْلُ نِسَائِهَا فِي الْحُكْمِ تَطَهَّرُ تَارَةً وَتَحْمِضُ

وَلَرُبَّمَا أُتْنَجَنَ كُلُّ كَرِيهَةٍ سُدُودًا تَقْنَأُ فِي وَغَاهَا الْبَيْضُ ^(٧)

قَدْ سَاءَ مُنْقَلَبُ الْبِلَادِ بِأَهْلِهَا فَانْحَطَّ أَوْجٌ وَاشْمَخَرَّ حَضِيضٌ ^(٨)

ذَهَبَ الْحَيَاءُ فَكَمْ رَأَيْنَا صَاغِرًا قَدْ جَاءَ وَهُوَ لِمَذْرُوبِهِ نَفُوضٌ ^(٩)

وَوَقَّحَ تَعَامَى عَنْ مَدَانِسِ عَرْضِهِ فَرْهَاهُ عُجْبًا ثُوبُهُ الْمَرْحُوضُ ^(١٠)

غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى الْأَنَامِ فَخِيرَهُمْ دَثٌّ وَقَطَرٌ شُرُورُهُمْ إَغْرِيبُضٌ ^(١١)

(١) (اليراع : جمع يراعة ، وهى القصة التى تبرى للسكرتابة .

(٢) (تكررهنى : كرهنى . وأميم : مرخم أميمة ، تصغير أم .

(٣) (نقض الشيء : المقتول كالجبل : إذا نكثته وحله .

(٤) (الصنعة : المعروف . والصنائع قروض : لأن المارة لا بد أن يجزى بعمله ، فكأن الجليل

رعى يرد إليه ولو بعد حين .

(٦) (المحض : وضع اللبن فى السقاء وتحريكه لاستخراج الزبد منه . يريد إذا اعتبرت بحوادث

الدهر رأيت ما دهشتك ، فكلمة نعمة فى ثوب نعمة ، وكلمة نعمة فى ثوب نعمة .

(٧) (تقنأ تحمر . والوغى : الحرب ، وأصله أصوات الأبطال ، فى ساعات النزال . والببيض :

السيوف ، جمع أبيض .

(٨) (الأوج : أعلى الشيء . والحضيض : أسفل الجبل . واشمخر : علا وارتفع .

(٩) (الصاغر : الدليل الحقير . والمذروان : مثنى مذرى ، وهو طرف الألية . ونفوضى :

محر . أى كم حقير دليل جاء يستطيل على غيره ويهدده .

(١٠) (الوقح : الجريء السوء الأدب . ونعاهى : تظاهر بأنه أعمى وليس كذلك . والممانس :

جمع مدنس ، وهو الدنس . وزهاه : ملأه . والمرحوض : المغسول .

(١١) (الدث : أشمف المطر وأخفه . جمعه دثاث . والاعريض : قطر كبار .

كيف السعادة في الحياة والورى
أم كيف تبتدع المعالي أمة
لن تعدم الدنيا الشقاء بأهلها
ويح الذكاء فقد تأخر أهله
أخرى البلاد مفسداً بلده به
وإذا القى قعدت به أفعاله
والمرء إن عدمت سجيته العلى
في قوس كل ضغينة تنفيض^(١)
في العلم قل نصيبها المفروض
ما دام ملك في البلاد عضوض^(٢)
حتى تقدم من قضاة عريض
مقيت الأديب وأكرم العربض
أعياه بالنسب الرفيع نهوض
لم يبتثقه إلى العلى تحريض

تجاه الريحاني

شكوى العامة

هذه هي القصيدة التي أنشدتها الرصافي في حفلة أقيم بها المعهد العلمي تكريماً
لأمين الريحاني ، عند قدومه بغداد في أيلول سنة ١٩٢٢

إن العراق بعرضه وبضوله
يهتز بتهيجا بمقدم ضيفه
ومرحبا بالشكر في ترحيبه
بربيب أبنسان ، بريحانية
بالعبرى ، بفيلسوف زمانه ،
بأصح أحرار الأنام تحرراً
إننا نبجل منه خير مبعجل
أأمين جئت إلى العراق لكي ترى
وبرافديه وبنسقات تحيله
ويكش مبتسماً بوجه نزيه
وموهلاً والحمد في تأهيله
بكبير معشره ، بفخر قبيله
بأديب أمته ، بداهي جيله
في فكره ، وبفعله ، وبقييله
تبجيل كل الفضل في تبجيله
ما فيه من غرر العلى وحجوله

(١) الضغينة : الضغن والمقد . والتنفيض : يقال نبض قوسه نبضا : إذا جذب وترها ثم أرسله لترن وتصوت . وهذا من قول المتنبي :

كلما أنيت الزمان فتنة ركب المرء في الفتنة سنانا

(٢) ملك عضوض : أى يعرض عليه بالنواجز ، حرصا عليه ، يقتل في سبيله الابن أباء والأب ابنه .

عَفَوا فُذَاكَ النَجْمُ أَصْبَحَ آفَلا
أَوْ مَا تَرَى قُطْرَ المَرَاقِ بِحَسَنِهِ
أَمَّا الحَيَا فِيهِ فُذِيَاكَ الحَيَا
وَرَبِيعُهُ ذَاكَ الرِّبْعُ وَإِنْ شَكَ
فَأَقِمَّ بِهِ ذَاكَ الغَنَى بِفُرَاتِهِ
وَأَنْزَلَ عَلَى وَادِي السَّلَامِ مَمْتَعًا
وَالْحَمْدُ بِهِ تَغَرَّ الطَّبِيعَةُ بِاسْمَا
وَتَرَقَّبَتْ أَسْحَارَهُ حَتَّى إِذَا
وَانْظَرَ مُحَاسِنَ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
فَالْجَوَّ فِيهِ مُنِيرَةٌ أَوْضَاحُهُ
وَاللَّيْلُ فِيهِ مَكْلَلٌ بِمَرْصَعٍ
وَتَرَى النَّهَارَ بِهِ كَذَهْنِكَ وَقَدْ
وَتَرَى ضِيَاءَ الشَّمْسِ فِيهِ مَغْلَفًا
وَإِذَا وَقَفْتَ بَدَارِسَ مِنْ تَجْدِهِ
وَانْتَحَبَ كَانَحِبَ الْحَزِينِ مُكَنَّفًا
فَلَقَدْ عَفَا الْمَجْدُ الْقَدِيمُ بِأَرْضِهِ
وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى قُلُوبِ رِجَالِهِ
تَجِدُ الرِّجَالَ قُلُوبُهَا شَقَى الْهَوَى

وَالْقَوْمُ مُحْتَرِبُونَ بَعْدَ أَقُولِهِ (١)
قَدْ فَاقَ مُقَرَّرُهُ عَلَى مَا هُوَ (٢)
لَكِنْ مَسِيلُ الْمَاءِ غَيْرُ مَسِيلِ
مَنْ جَوَلَ سَاكِنَهُ اشْتِدَادَ مُحُولِهِ (٣)
عَنْ قُطْرٍ مَصْرَ وَعَنْ مَوَارِدِ نَيْلِهِ
رَغِيدَ عَيْشٍ تَحْتَ ظِلِّ نَخِيلِهِ
يَشْفِي مِنَ الْمُسْتَقَاتِ حَرَّ غَلِيلِهِ (٤)
هَبَّ النِّسِيمُ فُجْسَ نَبْضِ عَلِيلِهِ (٥)
وَانشَقَّ أَرْيَحُ شَمَالِهِ وَقَبُولِهِ
وَالْحَسَنُ فِيهِ دَقِيقَةُ كَجَالِيلِهِ
وَكَوَاكِبُ الْإِكْلِيلِ مِنْ إِكْلِيلِهِ
بِالشَّمْسِ تَشْرِيقِ فِي وَجْهِهِ سَهُولِهِ
بِنَظِيرِهِ وَمُسَاسَلًا بِمِثْلِهِ
فَكُوْقَةُ الْبَاكِينَ بَيْنَ طُولِهِ
غَرْبِ الدَّمُوعِ بِجَانِبِي مَنَدِيلِهِ
وَعَلَيْهِ جَرَّ الدَّهْرُ ذَيْلَ خَمُولِهِ
فَانْظُرْ حَدِيدَ الطَّرْفِ غَيْرَ كَلِيلِهِ
مَدَّ السَّقَاتِ بِهَا حِبَالَةَ غُولِهِ (٦)

(١) محترِبون : يحارب بعضهم بعضاً ، لذهاب نور العز الذي كان يهديهم . والأقوال غروب الكواكب .

(٢) أى أن إناليم العراق يقل فيه العمران ، بحيث إن الأراضى البور فيه أكثر من الأراضى الخصبة الغامرة

(٣) المحول : الجذب . (٤) حر غليله : شدة عطشه .

(٥) أى المسألة عن علته ، والبحث فى مظاهر تأخره .

(٦) الحباله الشبكه ينصبها الصائد فى طريق الصيد ليقنصه بها . والغول : شىء توهمه العرب كأنه حيوان يشع يسكن القفار ، وبهلك من يظفر به من الأناسى .

متناكرين لدى الخطوب تناكراً
فالجار ليس بأمنٍ من جاره
والدينُ فيه يقولُ ذو قرآنَه
وإذا تأوّل قولهم متأوّلٌ
وإذا تكلمَ عالمٌ في أمرهم
حالٌ لو افترَكَ الحكيمُ بكنهه
من ذا يبدّله فإن قوارعى
والجهل لا يُبقى على أربابه
أأمينٌ لا تغضبُ على فإنتى
من أينَ يُرجى للعراق تقدّم
لا خير في وطن يكون السيف عند جباهه ، والمال عند بجليه
والرأى عند طريده ، والعلم عند غريبه ، والحكم عند دخيله
وقد استبدّ قليله بكثيرة
إني إذا جدّ المقال بموقف
وإذا المخاطب كان مثلك واعياً
يا من يكتمُ فضله متواضعاً
شكوى بحت بها إليك وليس في
إن المريض ليستريح إذا اشتكى
وكذا الحزين إذا تهيج حزنه
إني لأنف أن أبوح بمضمري
ولدى إن وصل الحبيب تمسكٌ

يعيا لسان الشعر عن تمثيله
والخليل ليس بواثق بجليه
قولاً يحاذر منه ذو إنجمله
صرفوه بالكفر عن تأويله
خفروا ذمام العلم في تجهيله
طول الزمان لعيّ عن تعليله^(١)
يئست لعمر الله من تبديله^(٢)
كالسيف ليس براحم لقتيله
لا أدعى شيئاً بغير دليله
وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير في وطن يكون السيف عند جباهه ، والمال عند بجليه
والرأى عند طريده ، والعلم عند غريبه ، والحكم عند دخيله
وقد استبدّ قليله بكثيرة
إني إذا جدّ المقال بموقف
وإذا المخاطب كان مثلك واعياً
يا من يكتمُ فضله متواضعاً
شكوى الزميل غضاضة لزميله
مما به لطيبه وخليله
يبيكي فيسكنُ حزنه بعويله
إلا لتتسدر على تحصيله
بالعز يمنعُ فأي من تقبيله

(١) كنه الشيء : حقيقته .

(٢) قوارعى : جمع قارعة ، وهي الكلمة الشديدة ، تفرع الآذان بشدها .

بعد النزوح

فلما في برب سنة ١٩٢٢ كان قد خرج من بغداد على ألا يعود إلى العراق

- هي المواطن أدنيها وتقصيني
قد طال شكواي من دهر أكا بده
كأنني في بلادى إن نزلت بها
حتى متى أنا في البلدان معترب
فتارة في المواصي فوق مؤقرة
كم أغرقني الليالى في مصائبها
أنا ابن دجلة معروف بها أدبي
قد كنت بلبكها الغريد أنشدها
حيث الفصون أقلتني مسكلة
فبينما كنت فيها صادحا طربا
إذ حل فيها غراب كان يوحشني
حتى غدت طريدا للغراب بها
فطرت غير مهال عند ذاك بما
- (١) مثل الحوادث أبلوها وتبليني
أما أصادف حرا فيه يشكيني
نزلت منها بيت غير مسكون
نوايب الدهر بالأنياب تدميني
(٢) وتارة في الطواصي فوق مشحون
فعمت فيهن من صبرى بدلفين
(٣) وإن يك الماء منها ليس يوريني
أشجى الأناسيد في أشجى التلاسين
بالورد ما بين أزهار البساتين
أستشفق الطيب من نفح الرياحين
(٤) وكان تنعابه بالبين يؤذيني
وما غدت طريدا للشواهين
(٥) تركت من نرجس فيها ونسرين
(٦)

ويل لبغداد مما سوف تذكره عني وعنها الليالى في النواوين

- (١) أبلوها : اختبرها . وتبليني : نال مني وتضعفني .
(٢) المواصي : جمع موصاة ، وهي الصغارى المفردة . والمؤقرة : الناقة التى حملت عليها الأوقار ،
وهي الأعمال الثقيلة . والطواصي : جمع طاي ، وهو البحر . والمشحون : صفة لمخدوف ، أى
انفلك المشحون .
(٣) الدلفين : حيوان بحرى ، يحمل القرى إلى الشواطىء . ولعله هنا يريد لفينة تشبه
الدلفين في صورتها .
(٤) تنعابه : صياحه . والبين : الفراق .
(٥) الشواهين : جمع شاهين ، وهو من جوارح الصيد .
(٦) النرجس : زهرة جميلة ، والنسرين : ريحان عبق الرائحة .

لقد سَقَيْتُ بَفِيضِ الدَّمْعِ أَرْبَعَهَا
 ما كنتُ أَحْسِبُ أَنِّي مَذْ بَكَيْتُ بِهَا
 أَنِّي المَرْوَّةُ أَنْ يَعْتَزَّ جَاهِلُهَا
 وَأَنْ يَعِيشَ بِهَا الطَّرْطُورُ ذَا شَمَمِ
 تَاللهُ مَا كَانَ هَذَا قَطُّ مِنْ شَيْمِ
 وَلَسْتُ أَبْذُلُ عَرْضِي كِيْ أَعِيشَ بِهِ
 أَغْنَتْ خَشَوْنَةُ عَيْشِي فِي ذَرَى شَرْفِي
 عَاهَدْتُ نَفْسِي وَالْأَيَّامَ شَاهِدَةَ
 وَلَا أَصَادِقَ كَذَابًا وَلَا مَلِكًا
 أَمَّا الْحَيَاةُ فَشَيْءٌ لَا قَرَارَ لَهُ
 سَيَّانٌ عِنْدِي أَجَاءَ الْمَوْتُ مُحْتَرِمًا
 مَا بِالسِّنِّينَ يُقَاسُ الْعُمْرُ عِنْدِي بَلْ
 لَوْ عَشْتُ سِتِينَ عَامًا لَا اسْتَعْضَتُ بِهَا
 فَإِنَّمَا أَطْوَلُ الْأَعْمَارَ أَجْمَعَهَا
 إِنَّ اللَّثِيمَ دَفِينٌ قَبْلَ مِيتَتِهِ
 وَلَيْسَ مِنْ عَاشٍ فِي ذَلٍّ يَمْتَنِبُطِ

• • •

ما كنتُ أَحْسِبُ بَغْدَادًا تُحَلِّثُنِي
 عَنْ مَاءِ دَجَلَتِهَا يَوْمًا وَتُظْمِنُنِي^(٤)
 حَتَّى تَقْلُدَ فِيهَا الْأَمْرَ زِعْنَفَةً
 مِنَ الْإِنْسَانِ بِأَخْلَاقِ السَّرَاحِينِ^(٥)

- (١) أسام : أكلف . والجذع : القطع . والعرين : مقدم الأنث .
 (٢) تأدمت : اتخذت لإداعي . والادام : ما يؤكل بالخبز والزقوم : شجرة يطعم منها أهل النار
 المذبذبون . والغسلين : ما يسيل من أجسام أهل النار من صديد ونحوه .
 (٣) ذرى شرفي ، بفتح الـ ذال : ظله وجانيه .
 (٤) تحلثني : تمنعني وتطاردني .
 (٥) الزعائف جمع زعنفة ، وهم أراذل القوم . والسراحين : جمع سرحان ، وهو الذئب .

ما ضرني غير أنى اليوم من عَرَب
تالله ما ضاع حتى هكذا أبداً
علام أ مكث في بغداد مضطرباً
لأجعلنّ إلى بيروت مُنْتَسِبِي
خابت ببغداد آمال أوامها
فليت سورية الوطناء مُرْتَبِها
قد كان في الشام الأيام منذ زمن
إذ كان فيها النشاشيبي يسعفى
وكان فيها ابن جبر لا يقصر في
إن كان في القدس لي صحب غطارفة
لا يعضبون لأمر ليس يرضيني
لو كنت من عجم صهب الغنائين^(١)
على الضراعة في محبوبه الهون^(٢)
لعلّ بيروت بعد اليوم تؤويني^(٣)
فهل تخيب إذا استدرت بصنين^(٤)
عن العراق وعن واديه تغينني^(٥)
ذنب محته الليالى في فلسطين^(٦)
وكنت فيها خليلاً نلسكا كيني
جبر انكسار غريب الدار محزون
فكم بيروت من غر ميامين

(١) الصهب : جمع أصهب ، وهو أصفر اللون . والمثاين : جمع عشون ، وهو شعر الدقن .
(٢) الهون : الهوان والذل .
(٣) تؤويني : نصمنى وتسكننى .
(٤) صنين : اسم جبل في لبنان .
(٥) الوطف : استرخاءه في جوانب السحابة ، لكثرة الماء . ومزاة وطفاء : كثرة الماء .

إلى هرب صموئيل

ألقى يهودا محاضرة تاريخية ، ذكر فيها مدينة العرب في الغرب والشرق .
ولما أتمها قام هرب صموئيل ، المندوب السامي من قبل إنكائنة في فلسطين ،
وألقى على القوم خطاباً مؤثراً . وعندهم فيه مواعيد سياسية سر بها الحاضرون
الذين كانوا قد حضروا بدعوة من راجب بك النقاشيني رئيس بلدية القدس .
فقال الرصافي في هذه القصيدة مسجلاً بها ما قاله المندوب . وشاكر له على ذلك .

خطابُ يهودا قد دعانا إلى الفكرِ وذكّرنا ما نحن منه على ذكّرِ
ومجد ما للعرب في الغرب من يد وما لبني العباس في الشرق من فخر
لسى يحفل في القدس بالقوم حافل نبوّاه هرب صموئيل في الصدر
دعاهم رئيس القدس ذو الفضل راجبٌ

إليه فلبّوا دعوة من فتى حُرٍ
فأمسوا وفي ليل الحاق اجتماعهم
فيا ليلة كادت وقد جلّ قدرها
تكون على علّاتها ليلة القدر
ولما تنهى من يهودا خطابه
وقد سرّنا من حيث ندرى ولا يدرى
تصدّى له هرب صموئيل ناطقاً
بسحر مقال جلّ عن وصمة السحر
فصدّق ما للعرب من تالد العلى
وما لهم في العلم من خالد الذكر
وزاد بأن أو ما إلى ما لصنعهم
على صخرة البيت المقدس من أثر^(١)
وقال وقد أصغى له القوم إننا
سنرأب ما أثّرت منكم يدُ الدهر^(٢)
وننفضكم في منهج العلم نهضةً
مقومة ما اعوج فيكم من الأمر
فكانت لهذا القول في القوم هزة
سرورية من دونها هزة السكر

(١) أوما : أصله أوما : أشار برأسه . والأثر : الأثر .
(٢) نرأب : نصلح . وأصله من الرؤية ، وهي القطعة من الخشب أو الخرف يصلح بها
الإناء المكسور . وأثّرت : أفسدته .

حنانيك ياهرب بر صموئيل كم لنا
لنا قلب الدهر الخمون مجننه
وأغرى بنا الأحداث مبتكراً لها
وقد أفنت الأيام كل عنادنا
فلسنا وإن عضت بنا اليوم ثابها
فمن سامنا قسراً على الضيم يلقنا
لنا أنفس تحيا بثروة عزها
إذا نحن عاهدنا وفينا ولم تكن
فإن شئت ياهرب بر صموئيل فاختر

على الدهر من حق مضاع ومن وتر^(١)
وكر علينا لأبساً جلدة النسر^(٢)
فلم بأتينا إلا بمحادثة بكر
سوى ماورثنا من إباء ومن صبر^(٣)
نقر على ذل وننقاد عن دعر^(٤)
مصاعيب لا نعطي المقادة بالقسر^(٥)
وإن نشأت بين الخصاصه والفقر^(٦)
إذا ما اتئمتا جانحين إلى الختر^(٧)
خلائق منا لا تميل إلى القدر

* * *

وعدت فأمسى القوم بين مشكك
فكذب وأنت الحر من ساء ظنه
ولسنا كما قال الألى يتهموننا
وكيف وهم أعمامنا وإليهم
وإني أرى العربى للعرب ينتمى
ها من ذوى القربى وفى لغتهم
واكننا نخشى الجلاء ونتقى
وهل تثبت الأيام أركان دولة
وها أنا قبل القوم جئتكم معلناً

ومنتظر الإنجاز منشرح الصدر
فقد قيل إن الوعد دين على الحر
نعدى بنى إسرائيل فى السر والجمهور^(٨)
يمت بإسماعيل قدماً بنو فهر
قريباً من العبرى ينمى إلى العبر
دليل على صدق القرابة فى النجر
سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر
إذا لم تكن بالعدل مشدودة الأزر
لك الشكر حتى أملاً الأرض بالشكر

- (١) حنانيك : تخنن مرة بعد مرة . والوتر : الذحل .
(٢) المجن : النسر يتقى به المحارب قرنه . وقلب المجن : كناية عن الاستعداد للمنازلة فى الحرب . ويقال أيضاً : تنمر فلان لفلان . أو لبس له جلد النمر : إذا كاشفه بالعداوة .
(٣) العتاد : ما يمد به الانسان للشدائد من وسائل المقاومة . والاباء : الأنفة من الضيم والذل .
(٤) نقر نسكن ونظمئن . والذعر : أشد الخوف .
(٥) مصاعيب : جمع مصعاب . وهو الذى لا ينقاد . والقسر : القهر والاذلال .
(٦) الخصاصه : الفقر والحاجة .
(٧) الختر : الخيانة .
(٨) يتهموننا . بسكون التاء : يخفف من يتهمونا بتشديدها . لأجل الشعر .

مظاهر التعصب في عصر المدنية

قالها بعد ما أتى الجنرال غورو على المسلمين خطابه المشهور في بيروت

رؤيدك «غورو» أي هذا الجنيرال
أتيت بلاد الشرق من بعد هُدنة
فجاء إليك ابن «الدنا» وهو مسلم
وقام خطيباً معرباً عن عواطف
فقت له في محفل القوم خاطباً
فذكرته أهل الصليب وحر بهم
وقلت عن الإفرنج قومك إنهم
فخرت حزنًا كان في الشرق ساكنًا

وجددت عهداً منه في الشرق أوجال
من الأمر فاستاءت عصور وأجبال
بها اليوم قد تمت لقومك آمال
بما قلته فاهتاج بالشرق بلبال^(١)
تشابه كَرْدِناها والجنيرال
لأنحى علينا بالتمعصب عدال
وإن خالفوا وجه الصواب بما قالوا
فلا تصمن الحرب بعد انقضائها
ولا تنس فضل الشرق إذ كان ناصراً
لقومك فيما أحرزوه وما نالوا

(١) الفرحة : الجرح . ونسكاتها أزالت ما عليها من قشرة . فدميت ثانية .

(٢) والبلبال . الخاطر . فلا تصمن : فلا تحدث وصمة وهي العيب .

فقد قادت الأعرابُ نحو عدوكم
وقامت لكم منهم بمكة راية
لقد أغضبوا البيت الحرامَ وربّه
ولو أن عهد المسلمين كعهدهم
ولكنهم باعوا الديانة بالدُّنا
لذلك قام ابن «الدُّنا» عن دناءة
ولا تحسبَنَّ مخلصاً في مقالته
فكان قتيلاً بالمطامع عِزّه
خيولاً لها في حومة الحرب تجوال
لكم فتحت فيهما من القدس أقال
وهم بمقام البيت لا شك جهال
قديمًا لحالت دون ذا النصر أهوال
غالت لعمري منهم اليوم أحوال
يحاييك فيما فيه للقوم إذلال
ولكنه في مكسب المال محتال
فذل وإن الحرص للعزّ قتال

خيلِي قوماً بنى نطاطي رءوسنا
لدى جدث تغنولن ضمّ أجبال
لدى الجدث الفرد الذي فيه قد ثوى

من الملك الفرد ابن أيوب رِثبال^(١)
كما قد بكت من فقدتها الأمّ أطفال^(٢)
كما استنزفت دمع الحبين أطلال
لينهض ثاوٍ في مطاويك مفضال
أصيب بها قلب العلى فهو مُغتال
وحزنا كما دارت بسكران جرّيال^(٣)
بها غدوات كالحات وأصال
وأسمى حمى الإسلام تنتاب روضه
فترعاه من سرج المعادين آبال^(٤)

(١) الجدث : القبر . وثوى : نزل وأقام . والرِثبال : الأسد .

(٢) الرجام : جمع رجة . وهي الأحجار توضع على القبر ليعرف بها .

(٣) الجرّيال : الحمر . (٤) آبال : جمع لابل .

ولسون

بين القول والفعل

قال قولاً به استحقَّ احتراماً وتعدّاه فاستحقّ ملاماً
 رجلٌ قد تنكَّب الحقَّ قوساً ومن البطل ظلٌّ يرمى سهاماً^(١)
 كان منه المقال نورا فلما حان حين الفعل كان ظلاماً
 خاض حرب العدا بمقول حرٍّ فاق فيها المنند الصمصاماً
 وبذا عرّف الورى أنّ قول المرء في الحرب قد يفوق الحساما
 إذ غدا ناطقا بمرّقد واشنطون نطقاً شفى به الأسقاما
 معرباً عن مبادئ محكماتٍ ساميات تحرّر الأقواما
 قال حرّية الأنام هي الغاية لي في الوغى فغرّ الأناما^(٢)
 فاشرب الورى إليه وظفوا أنهم سوف يبلغون المراما^(٣)
 واطمأنت له القلوب بفوز يغتدى في فم الزمان ابتساما
 شام منه الورى بوارق غيمٍ من وراء البحر المحيط ترامى
 فتصدّى لغيشه كل قومٍ قد شكوا غلةً بهم وأواما
 ثم خابت ظنونهم فيه لما مرّ في الجرّ خلباً وجهاما

* * *

مدّ ولسون في السياسة حبلاً جمع النقض فيه والإبراما
 فلبعض الأنام كان عصاماً ولبعض الأنام كان خصاصا
 ملأ الدهر في فيومة فخرًا وبأزمير أخجل الأياما

(١) تنكّب الفوس ، وضعها على منكبيه . استعدّاداً للحرب .

(٢) غر الأنام : خدعهم وغشهم .

(٣) اشرب الورى إليه : مدوا أعناقهم تطلعا إليه .

إِنَّ أَرْمِيرَ صَيَّرَ مَا لَوْلَا ن مَنْ الْفَخْرَ فِي فَيَوْمَةٍ دَامَا^(١)
 فَهَلِ الْحَقُّ عِنْدَهُ فِي سِوَى الْغَرِّ ب حَقِيرٌ أَقْلٌ مِنْ أَنْ يُحَاجِيَ^(٢)
 أَمْ هَلِ الشَّرْقُ وَحْدَهُ فِي الْأَقَالِيْمِ مُبَاحٌ أَنْ يُسْتَبَى وَيُضَامَا^(٣)
 أَمْ هَلِ الْقَوْمُ عَاهَدُوا اللَّهَ فِي أَنْ لَا يُرَاعُوا لِلْمُسْلِمِينَ ذِمَامَا^(٤)
 مَا لَمْ أُرْهَقُوا بَنِي الشَّرْقِ ظَلَامًا وَعَلَى التُّرْكِ أَشْلَوْا الْأَرْوَامَا^(٥)
 فَاسْتَبَاحُوا حَرِيمَ أَرْمِيرَ نَهَبًا وَاسْتَحْلَوْا مِنَ الدَّمَاءِ حَرَامًا
 حَيْثُ جَاسُوا خِلَالَهَا بِجُنُودٍ رَكِبَتْ فِي عَتُوِّهَا الْآثَامَا

أَيُّهَا الْمَجْلِسُ الرَّبَاعِيُّ مَهْلًا فَلَقَدْ جُرْتُ فِي الْأُمُورِ احْتِكَامًا
 أَنْتَ سَكْرَانُ خَمْرٍ النَّصْرَ فَاحْذَرِ حِينَ تَصْحُو نَدَامَةً وَلَوْ أَمَا
 لَكَ عَيْنٌ تَرَى السُّهَاءَ فِي الدِّيَاجِي وَعَنِ الشَّمْسِ فِي الضَّحَى تَتَعَامَى^(٦)
 أَوْ لَمْ تَدْرِ أَنْ لِلدَّهْرِ عَيْنَا إِنْ تَنْمَ عَيْنُ أَهْلِهِ لَنْ تَنَامَا
 لَا تَكُنْ تَابِعًا هَوَى النَّفْسِ فِيمَا أَنْتَ فِيهِ تَقَرَّرُ الْأَحْكَامَا
 فَهَوَى النَّفْسِ قَدْ يُضِلُّ ذَوِيهِ فَيَطِيشُونَ فِي الْوَرَى أَحْلَامَا
 وَيَرُونَ الْجُسَامَ أَمْرًا صَغِيرًا وَيَرُونَ الصَّغِيرَ أَمْرًا جُسَامَا
 لَا يَغْنِيكَ الزَّمَانُ إِذَا مَا لَكَ أَبَدِي بِشَاشَةٍ وَابْتَسَامَا
 كَمْ أَشَالُ الزَّمَانَ أَعْلَامُ قَوْمٍ فِي الذُّرَى ثُمَّ نَكَّسَ الْأَعْلَامَا^(٧)
 مِثْلَمَا دَارَ لِلْفَرْنَجِ عَلَى الْجُرِّ مَنِ حَرَبًا فَأَدْرَكُوا الْإِنْتِقَامَا

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لَسْتُمْ مِنَ الْغَرِّ ب بِحَالٍ تَسْتَوْجِبُونَ احْتِرَامَا

- (١) الدَّامُ : الْعَيْبُ .
 (٢) يُحَاجِي : يُجْعَلُ سَبَبًا . وَيُضَامُ : يَذَلُ .
 (٣) الذِّمَامُ : الذِّمَّةُ وَالْعَهْدُ . (٥) أَشْلَى السَّكَابِ عَلَى الْعَصِيدِ : سُلْطَةُ عَلَيْهِ لِيَصِيدَهُ .
 (٦) السُّهَاءُ : نَجْمٌ صَغِيرٌ لَا تَتَكَادُ تَرَاهُ الْعَيْنُ لِعَبْدِهِ .
 (٧) أَشَالُ : رَمَعُ . وَنَكَّسَ الْأَعْلَامَ : خَفَضَهَا وَبَلَبَهَا .

إنما أنتم لدى الغرب قومٌ خَلِقُوا عن سوى الشرور نياما
فإذا ما وسَّعْتُمُ النَّاسَ حِلْمًا عُدَّه الغرب شِرَّةً وعُراما^(١)
وإذا ما ملأتم الأرض عدلاً عُدَّ جَوْرًا أو مفخرًا عُدَّ ذاما
وإذا ما فعلتم الخير يوما حسبوه جنابةً وأناما^(٢)
وإذا زلَّةً لكم دَفَنَ الدهرُ أملاً بنبشها الأفلاما
وإذا ما افترى عليكم عدوٌ أيدوه وصدقوا الأوهاما
وإذا ماجنى عليكم أناسٌ سكنوا عنهم ومروا كراما
كم بأرض البلقان منكم قتيلٌ وأيامي مُضاعةٌ ويتانى
نثر الظالمون في الأرض منهم جثثاً تملأ الفضاء وهاما
لو أتينا تلك البلاد رأينا اليوم منهم جحاجحا وعظاما
ما نضاً للدفاع عنهم بنو الغر ب حُسنا ولا أحاروا كلاما
إن تكن هذه السياسة عدلاً فإلى الظلم نشتكى الآلاما
رحم الله أمة أصبح الغر ب يرى كل ذنبها الإسلاما

يا محب الشرق

أنشدت في حفلة كبيرة أقامها الحزب الوطني في بغداد
لتكريم المستر كراين الثرى الأمريكى الشهير . بمناسبة مجيئه
إلى بغداد سنة ١٩٢٩ .

يا محبَّ الشرق أهلاً بك يا مستر كراين
مرحباً بالزائر المشهور في كل المدائن
مرحباً بالقدام المشكو ر في هذى المواطن
فضلكم بادٍ على الشر ق وشكر الشرق عالن
كم لكم من وقفات دونه ضدَّ المشاحن

جئت يا مستر كراين فانظر الشرق وعاین
فهو للغرب أسيرٌ أسرَ مَديون لدائن
إن هذا الشرق والغرب لمعبونٌ وغابن
فترى الشرق تجاه الغرب يسعى سعى ما هن
وترى الغرب عليه واقفاً موقف خائن
مُذكرًا منه المزايا موجدًا فيه المطاعن
غاصبًا منه الموانى شاحناً فيه السفائن
حافراً فيه المعادن نابشاً فيه الدفائن^(١)
فهو يتمصُّ دماء الشرق من كل الأماكن
بأذرا من كيده فى أهله يذر الضغائن
حاكماً فيه على أهليه حُكمَ المشايون
جاعلاً فى رجله قيود الونى والقييد شائن^(٢)

(٢) الونى : الفتور والحوول .

(١) المعادن : التاجم .

فترى الشرق لهذا ماشيا مشية واهن
أفهيذى يا محبَّ الشَّرْقِ أفعال المهادين^(١)
أين ما قد قاله وليسسن^(٢) يا مستر كراين^(٣)

لم يكن ولن فردا إن فى الغرب ولاسن
فعلام الغرب لا ينفك للشرق مضاعن
كم يسوم الغرب أهل الشَّرْقِ خسفا ويخاشن
وإلى كم ساسة الغرب ب تداجي وتداهن^(٤)
كم وك نسمع منهم قول خداع ومائن^(٥)
إن فى الشرق ثجاء الغرب نيرانا كوامن
سوف ينشق حجاب الد هر عنها بالدواخن^(٦)
وإذا قامت حروب من بني الشرق طواحن
فمن المسئول عن ذ لك يا مستر كراين

وإذا تسبَّأل عمّا هوفى بغداد كائن
فيهو حكم مَشْرِقِ الضَّرْعِ غربي الملائن^(٧)
وطنى الاسم لكن إنكليزى الشَّـ ناشن^(٨)

(١) المهادن : السالم الذى بينك وبينه هدنة .

(٢) الرئيس ولسن : كان رئيس حكومة الولايات المتحدة الأمريكية عند ما وضعت الحرب العظمى الأولى أوزارها . وله شروط خامسة لدخول أمريكا الحرب ضد ألمانيا . قبلتها دول الحلفاء قبل نهاية الحرب . ولكنها لم تنفذ بعدها .

(٣) داجي فلان فلانا بالعداوة : سائره بها . وأخفاها عنه . وتداهن : تظهر خلاف ما تنصهر .

(٤) مائن : كذاب مخادع . (٦) الدواخن : جمع دخان على غير قياس .

(٦) الملائن : قالب يوضع فيه اللبن . يريد أن الحكم فى بغداد تنفذه رجل من الشرق ، ولكن أعاطه غريبة أجنبية .

(٧) الشناشن : جمع شنشنة . وهى الطبيعة والخلقة السجية .

عربي أعجمي — ميّ معرب اللهجة راظن
فيه للإيعاز من لندن بالأمر مكامن
هو ذو وجهين وجه ظاهر يتبع باطن
قد ملكنا كل شيء نحن في الظاهر لكن
نحن في الباطن لا نملك تحريكاً لساكن
أهذا جائز في المغرب يا مستر كراين

إلى بطل الشرق الأكبر

قالها عقب انتصار الغازي مصطفى كمال على اليونان سنة ١٩٢٣

سمي المصطفى لا زلت تعلو إلى أوج يطاول كلّ أوج
فدّر كالشمس في قلّك المعالي وحلّ من الكمال بكلّ برّج
نصرت على بني يونان نصراً أقام الغرب في هرج ومرج^(١)
وأطلع في سماء الشرق شمساً تفيض عليه أنواع الترجى^(٢)
فسرّ الخلقين وكلّ حرّ وساء الخائنين وكلّ سمج^(٣)
وما اليونان كفؤك في نزال وإن ملئوا السهول وكلّ فجّ
ولكن قد غلبت جيوش قوم أذلّوا بالبوارج^(٤) كلّ لجّ
تركت جيوشهم من فرط رعب تعاهد للهزيمة كلّ نهج^(٥)
إذا ذكروا سمالك ولو مناماً تحاموا ذكره بسوى التهجي^(٦)
لئلا يسمعه فيعتريهم ضنى داءين من شلل وفلج
هم اليونان الأم كل قوم وأخوف في الوغى من فرخ قبج^(٧)

(١) هرج ومرج : فتنه واختلاط واضطراب .

(٢) أنواع الترجى : أي الرجاء . وهو ما يتوقع له من الخير الكثير بعد النصر .

(٣) السمج والسميج : الفبيج . (٤) البوارج : السفن الحربية الكبيرة .

(٥) النهج : الطريق الواسع الواضح . (٦) سمالك ، بضم السين : اسمك .

(٧) القبيج : نوع من الطير يسمى الحجل والكروان .

أَرْقُ سَجِيَّةً مِنْهُمْ وَأَرْقُ
فَلَا تَغْرُكْ أَوْجُهُمْ بَيَاضًا
وَجُوهٌ قَدْ حَكَّيْنِ الشَّلَجَ لَوْنًا
فِيَا أَمْضَى الْوَرَى رَأْيَا وَسَيْفَا
لَقَدْ أَنْقَذْتَ مِنْ أَرْمِيرِ خَوْدَا
وَقَفْتَ عَلَى الْبِلَادِ مَقَامَ عَيْسَى
فَعَالَجْتَ الْفَتُوقَ بِحَسَنِ رَتَقِي
وَرَحْتَ إِلَى التَّجَدُّدِ فِي الْمَعَالِي
وَتَخَطَبْتَ فِي الْجُمُوعِ يَوْمَ حَقْلٍ
وَتَأْتِيكَ الْوُفُودُ مِنَ الْأَقَاصِي
فَقُودُكَ نَالِقُولُ يَوْمَ سَلَمٍ
لَقَدْ جَدَّدْتَ لِلْأُوطَانِ عَهْدَا
لَتَبْدُرَ الشُّعُوبُ إِلَى الْمَعَالِي
وَتَنْهَجَ مَنْهَجُ الْعُمُرَانِ فِيهَا
وَأَنْتَ الْيَوْمَ حَارِسُهَا الْمُفَقِّدَى
وَتَبْدُرُ الْمُلَمَّ إِذَا عَرَاهَا
إِذَا ذَكَرَ الْمَبُوطَ فَأَنْتَ مُعَلٍ
وَتَشْرَبُ أَنْتَ كَأْسَ الْجَدِّ صِرْفَا

تَحِيرُ الْوَحْشَ سَارِحَةً بِمَرْجٍ^(١)
فَإِنْ طِبَاعَهُمْ كَطِبَاعِ زَنْجٍ
وَلَكِنْ فَاتَهُنَّ نَقَاءُ ثَلَجٍ
وَأَعْرَفَهُمْ بِمَصْعَدِ كُلِّ أَوْجٍ
تُسَامُ الْخُسْفَى فِي يَدِ كُلِّ عِلَجٍ
عَلَى مَرْضَاهُ مِنْ عُمَى وَعُرْجٍ
وَلَاءَمَتْ الْخُرُوقَ بِحَسَنِ نَسَجٍ^(٢)
تَقُودُ النَّاهِضِينَ بِهَا وَتَرْجِي
كَأَنَّ خُطْبَ النَّبِيِّ يَوْمَ حَجٍّ
لَتَسْمَعَ قَوْلَ مِذْرَهِيَا الْمِثْجِ^(٣)
كَقُودِكَ لِلْجِيُوشِ يَوْمَ هَيْجٍ^(٤)
تَجَارِي فِيهِ أَوْطَانُ الْفَرْنَجِ
وَتَبْلُغُ مَا تَرِيدُ وَمَا تَرْجِي
بِهَا لِلنَّاسِ مِنْ دَخْلٍ وَخَرْجٍ
تَحُوطُ أُمُورَهَا مِنْ كُلِّ هَرْجٍ
فَتَعْرِوِي الْجَوَادَ بِغَيْرِ سَرْجٍ^(٥)
وَإِنْ خِيفَ الْحَبُوطُ فَأَنْتَ مُنْجٍ
وَيَشْرَبُهَا سَوَاؤُكَ ذَاتَ مَرْجٍ

(١) المرج : المر أرض ذات كلاً ترعى فيه الدواب .

(٢) الفتوق : جمع فتق . وهي الأحداث والفتن والقلاقل .

(٣) مدره القوم : الحامى عن أحسابهم . والمثج : الفصيح الغزير الماددة كلاماً الغزير . الذى

لنصب كلامه صبا .

(٤) الهيج : الحرب . (٥) تعروى الجواد : تركبه عرياً من غير سرج ولا أداة .

تجاه الرياحاني (هي النفس)

أشدها في حقة أقيمت في بيروت لأمين
الرياحاني ، بعد رجوعه من سياحته في بلاد العرب :

هي النفس أغشى في رضاها المعاطباً
تُكَلِّفني أن أخبط الليل بالسرى
وتنهضني للمجد بالعزم ماضياً
ولم ترض إلا كالجبال معزّة
إذا أنا أنزلت النجوم لأرضها
وترفض مني كل عيش مُنعم
ولم تبغ لي إلا الحقيقة بغية
تقول إذا أوردتها ماء مذنب
وإني لأشكوها إليها تظالماً
على أن لي منها حصاة رزينة
لقد تعبت فيما تروم من العلى
ألم تر ما لاقى ابن لبنان في العلى
تيمم من بعد الحجاز تهامة
وجاء إلى أرض العراق مبحراً

وأهل منها بين جنبي قاضباً^(١)
وأن أمتط فيه من الهول غارياً^(٢)
وبالهمّ متلاقاً وبالرأى صائباً
ولم تهو إلا كالشموس مناقباً
أبتهن إلا أن يكن ثواقباً^(٣)
إذا ازورّ ذاك العيش بالذلّ جانباً
ولم ترض لي إلا الكريم مصاحباً
رد البحر بي غمراً وخل المذانباً^(٤)
فأرجع عنها بعد شكواي خائباً
قتلت بها كل الأمور تجارياً^(٥)
كذلك نفس الحرّ تلقى المتاعب
من الأين لمساح في الأرض ضارباً
وراح إلى صنعاء يزجي الركائب
وكرّ إلى نجد يحوب السباباً^(٦)

(١) المعاطب : الممالك . وأصل القاضب : السيف القاطع ، شبه نفسه بالسيف في مضائها .

(٢) خبط الليل : سار فيه على غير هداية . والسرى : سير الليل . وغارب البعير : ما بين سنامه وعنقه .

(٣) ثواقب : جمع ثاقب . وهو المضىء .

(٤) المذانب ، جمع مذنب كبير : وهو كهيفة الجدول .

(٥) الحصاة : العقل .

(٦) السباب : جمع سبب . وهو القفز والمفازة .

ليجمع من أبناء يَعرُبَ شملهم
أخوهم لو مدَّ باعاً إلى العلى
له قلمٌ عزَّ الفرائحَ شاعرا
كما ابتزَّ فُرسانَ البلاغة كتاباً^(١)
ويقتضى حقاً للمواطن واجباً
لأوشك منها أن ينال الكواكباً

* * *

لقد زُرتَ نجداً يا أمينُ قفل لنا
فما حالة الإخوانِ فيها فإننا
فهل كفروا من ليس يُرسلَ لحيةً
وما أنا من قوم يدينون باللاحى
ودعْ عنك أخبارَ العراقِ فإننى
فويحاً لأهل الرافدين إذا انطووا
ألا عدَّ عما فى العراقِ فإننى
معايبُ لو أنى هتكت ستارها
فلا تحسبْنه أنه ذو حكومةٍ
لئن ألّفوا بالكذب فيه وزارةً
وإنى لأهوى الفجر إن كان صادقاً
أتذكر من أخبار نجد جوائباً^(٢)
نرى الناس عنهم يذكرون الغرائب
وهل فسقوا من ليس يُخفى الشوارباً^(٣)
ولم يقبلوا إلا من الحلق تائباً
لأعلم منها ما يفوق العجائب
على اليأس من نور يشق الغياهباً^(٤)
أراه بأخلاق الزمان معاييباً
لأرسلت منها للمعاند حاصباً^(٥)
ولو ضربوا ظلماً عليه الضرائب
فإن بها للكاذبين مآرباً
وتنكر عني الفجر إن كان كاذباً

* * *

تبسمُ لُبنانُ بعود أمينه
أخا الفضل قد آنست لُبنان حاضراً
وما أنت إلا البدرُ يبهج طالعا
مُحييتك فى بغداد إذ جئت قادماً
وأضحى لأذيال المسرة ساحبا
كما كنت قد أوحشت لُبنان غائباً
ويحزن آفاق المواطن غاربا
يُحييتك فى بيروت إذ جئت آتياً

(١) عز الفرائح : غلبها . وابتز : فاق وغلب .

(٢) الجوائب : جمع جائبة . وهى الأخبار تجوب الأرض من بلد إلى بلد .

(٣) لإخفاء الشارب : الأخذ منه .

(٤) فويحاً : رحمة . والرافدان : دجلة والفرات . والغياهب : جمع غيب ، وهو الظلمة .

(٥) الحاصب : الريح تحمل الحصباء . وهى صغار الحجارة .

في المدرسة الحربية

أيُّها القومُ مالكمُ في جُهودِ
كُلِّما قد هزرتكم النهوضِ
طال عَتبي على الحوادث فيكمُ
ففتى سعيكم وما ذا التواني
أنا غرَّيدُ شاردات القوافي
كنت قبلاً أثني عليكم لأنني
فانقوا اليوم صولةً من يرَاعِ
أيُّها القومُ نحن في عصر علم
جعل الحرب تُدرّس اليوم فنّاً
إن للعالم في حروب بني العَصْرِ
إذ بدا بأسه الأشدَّ فأنسى
أيُّها القومُ فادخلوا العهدَ الحرَّ
واستعدوا لردِّ كلِّ عدوّ
وأعزّوا الملك الذي نبتغيه
قد دعيتكم أوطانكم فأجيبوا
نحن لا نقصد الحروب ولكن
أرأيتم مُلكاً بغير جنود
فاجمعوا الجيش في العراق ليرعى
أَوْ ما يَسْتَفْزِزُكُمْ تَفْنِيدِي^(١)
عُدْتُ مِنْكُمْ بِقَسْوَةِ الْجُمُودِ^(٢)
مَثَلًا طَال مَطْلُهَا بِالْوَعْدِ
وَإِلَى كَمْ أَحْكُمُ بِالنَّشِيدِ
أَفَلَمْ يُشْجِكُمْ بِهَا تَغْرِيدِي^(٣)
أَبْتَغِي الْحَثَّ بِالنَّشَاءِ الْحَمِيدِ
وَاقِفِ فِي مَوَاقِفِ التَّنْذِيرِ^(٤)
جَعَلَ الْحَرْبَ فِي طِرَازٍ جَدِيدِ
مَغْنِيَا عَنْ شَجَاعَةِ الصَّنْدِيدِ
إِنَّمَا يَفُوقُ بِأَسِ الْحَدِيدِ
كُلَّ بِأَسٍ مِنَ الْحَدِيدِ شَدِيدِ
بِيَّ طَوْعًا وَانْضُؤًا ثِيَابَ الْجُودِ^(٥)
أَنْكَرَ الْحَقَّ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ
بِمَجْنُودٍ مَبْثُوثَةٍ فِي الْحُدُودِ
دَعْوَةَ الْأَمْرَيْنِ بِالتَّجْنِيدِ
نَبْتَغِي الذَّوْدَ عَنْ تَرَاثِ الْجُدُودِ
إِنَّمَا الْمَلِكُ قَائِمٌ بِالْجُنُودِ
مَا بِهِ مِنْ طَرِيفِكُمْ وَالتَّلِيدِ

(١) يستفزكم : يزعجكم ويحرككم . والتنفيذ : اللوم وتضعيف الرأي .

(٢) الجمود : الصخر القوي .

(٣) تغريدي : غنائِي . والقوافي الشاردة : السائرة في الآفاق .

(٤) ندبت به تنديداً : أسمته القبيح ، وشتمته ، وشهرته ، وسمعت به .

(٥) انضؤوا : اخلعوا .

(٦) الطريف والظارف : الحديث . والتلبد والتلبد : القديم الموروث .

ويردّ العدوّ عنكم ويحمي
لا تقرّوا على الهوان وأنتم
يكرهون الحياة إلا حياة
أشرف الموت عندهم هو موت
وأعزّ الأعمار عمر قصير
وأذلّ الحياة عندي حياة
عيشكم من شوائب التنكيد
عرب من بنى الاباة الصيّد^(١)
ذات عزٍّ بيأسهم صيهود^(٢)
في صها الخيل تحت خفق البنود^(٣)
تحت ظلّ من السيوف مديد
قد أهينت حقوقها بجحود

العلم والعلم

لواعجُ الهمّ في جنبيّ تضطرمّ
كم قد أذاقتني الأيامُ من حرقٍ
أكلما قلت شعرا قال سامعه
ما بال شعرك مثل النار ملتهبها
إنّا لنعجب من شعرك تؤججه
لا تعجبوا فالأسمى في النفس ملتهب
استبردّ النار من حرّت عزائمها
وكيف يصبح من دنياه في دعة
والهمّ مقداره من أهله الهمم^(٤)
من فوقيا أسف من تحتها ألم
نار تفوه بها للناس أم كليم؟
يذكو، على أنه كالماء مُنْسَجِم
نارا ولم يحترق في كفك القلم
والعزم مُتَقَدِّمٌ والهمم محتدم^(٥)
واستصغر الخطب من في نفسه عظيم
من بات في نفسه الآمال تزدهم

* * *

- (١) الأباة : جمع آب ، وهو الذي يأبى الضيم . والصيّد : جمع أصيد ، وهو الذي يرفم رأسه عن الناس كبرا .
(٢) أصل الصيهود : الشديد الحر ، والمراد هنا الحياة القوية .
(٣) صها الخيل : جمع صهوة ، وهي الظهر .
(٤) اللواعج : جمع لاعج ، وهو الذي يتحرك في النفس . ويضطرم : يتقد ويشتعل . بقول : إن الهموم بتدر الهمم .
(٥) احتدمت النار : انتقدت .

أما المُعْزَّانِ في الدنيا فإيهما
كلاهما ضامن للنَّاسِ حُرْمَتِهِمْ
من لم يك العلم الخفَّاق شارَتَهُمْ
وليس ينفع قومًا لا علوم لهم
فالعلم في أُمَّة ليست بحكمة
والعلم أوهن من أن يُسْتَظْلَّ به
ما أحسن العلم الخفَّاق منتصبا

هما على ما أراه العلم والعلم
هذا له الحكم أو هذا له الحكم
فليس يُجديهم العلم الذي علموا
أن يُنْشَرَّ العلم الخفَّاق فوقهم
كالسيف يحمله في الحرب منهزم
إن لم تقم من سيف تحته دعم^(١)
به تشير إلى استقلالها الأمم

قد علمتني الليالي في تقلُّبها
وأن أصدق برق أنت شأمة
وأخصب الأرض أرض لا تسحُّ بها
من كان يكذبني أن الحياة مئى
وأنه في كلا الخالين منبعها
وأنه وهو فوق الأرض منتثر
إني أرى المجد في الأيام قاطية
فالجد يَنْبُت حيث العلم منتشر
والجد أعطى الطَّبِي ميثاق معترف

أن الموفق فيها السيف لا القلم
برق تبسم عنه الصارم الخدم
إلا من النقع في يوم الوغى ديم
فليس يكذبني أن الحياة دم
يدور في الجسم أوفى الأرض ينسجم
كمثله وهو تحت الجوف منتظم
إلى عبيط دم الحيا به قرم
من حيث تعترك الأبطال والبهم^(٢)
أن ليس يضحك إلا حين تبسم

فليذهب اليأس عني خاسئا أبداً
ولست ممن إذا يسعى لحادثة

إني بحبل رجائي اليوم معتصم^(٣)
يسعى وأرجله بالخوف تصطدم

(١) دعم : جمع دعمه : بمعنى الدعامة .

(٢) البهم : جمع بهمة ، بوزن غرفة ، وهو البطل الذي لا يعرف قرنه من أين يناله ، لقوته
وشدة حذره .

(٣) خاسئا : مبعدا طريدا .

لا تسأمن إذا حاولت منزلةً فيها يرفّ عليك المجدُّ والكرّمُ
فالعيش تستبشع الأذواق مطعمه إذا تسرّب في أثنائه السّامُ
وكن صليلاً إذا عصّتك حادثة تعصّ منك بعود ليس ينفعج^(١)
إن الخصال التي تسمو الحياة بها عزم ، وحزم ، وإقدام ، ومقتحم^(٢)
لا يكسب النفس ما ترجوه من شرفٍ

إلا الإباء وإلا العسز والشّمم
لا يؤنسك أن الحرّ محترق^(٣) عند اللّثام وأن الوغد محترم^(٤)
فالعقل يتهم الدهر المسىء بذا وما يعيبك أن الدهر متهم
هذى ملامتكم يا قوم فاستمعوا منها إلى كليم في طيها حكم
قد أنشد الشعر تعريضاً بسامعه فهل وعى ما أردت السامع الفهم

السجاياء فوق العلم وفوق العلم

وقد نظم الشاعر الكبير الأستاذ الرصافي هذه القصيدة الاجتماعية
الجبارة ، جواباً عن قصيدة الشاعر الأمير عادل أرسلان : وقد كان
الأمير عادل أرسلان اطلع على قصيدة الأستاذ الرصافي في العلم
والعلم ، التي ينصح بها الأمة العربية ، ويحضها على الجهاد في سبيل
الحرية ، فنظم قصيدة يعارضها بها .

علم يعزّزه من دولة علم في كل عصر به قد سادت الأمم
ودولة القوم لم تثبت قواعدها إلا بأن سجاياهم لها دعم^(١)
فليس للعلم مهما اعتزّ جانبه نفع إذا ما السجاياء الغرّ تنعدم
إذا استحال سجاياء القوم فاسدة فليس ينفعهم علم ولا علم
وليس يخلّ حبلُ الملك مضطرباً إلا إذا اختلّت الأخلاق والشّم
لولا سجاياء على حُب العلى جيلت ماسادت الناس لا عرب ولا عجم

(١) ينجم : يتأثر بالعجم ، وهو العنصر بالأسنان . (٢) منفعهم : اقتحام الصعاب .
(٣) الوغد : اللّثم الحقيق . (٤) دعم : جمع دعمه ، وهي الدعامة .

لاخيرَ في العيش يغدو فيه صاحبه
ما بال قومي على الإرهاق قد صبروا
قد أنهضتهم إلى العلياء وحدثهم
كان التعاون غرزا في غرائزهم
ثم اغتدوا بعد حين في جوانحهم
قد زال روح التغاды منهم ونما
ألقى التخاذل ضعفا في عزائمهم
تعاضوا لعظام يفخرون بها

وأنفه باحتمال الذل مُزْدَلِمٌ (١)
كأن أشهر قومي كلها حُرْمٌ (٢)
واليوم أقعدهم عنها أن انقسموا
حازوا به الشرف الوضاح واغتموا
نارُ التخاذل بالشحناء تضطرم (٣)
روح التغاды إلى أن ماتت الهمم
فالأجنبي عليهم ظل يحتمكم
وهل يكون بعظم رمة عظم (٤)

* * *

داء التأخر منا في خلائقنا
كانت خلائقنا للعز ضامنة
وأصبحت عندنا الغايات تابعة
تمشى من الجول في ظلماء ظالمة
حرية الفكر فينا غير جائزة

فقد فشا الداء حتى استفحل السقم
حتى فسدن فزال العز والشمم (٥)
إلى هوى النفس فيما شأنه عم (٦)
بليتائها علينا الظلم والظلم
والحر منا مهان ليس يحترم

* * *

لأدرَ دَرُّ رجال الدين إهمهم
واستعملوه كما نهوى مآربهم
تالله ما كان في الإسلام من حرج
بل كله جاء تيسيرا وتبصرة

قد أظهروا فيه منهم غير ما كتبوا
كأنه ليس إلا آلة لهم (٧)
على الأنام ولا في نهجه غمم
للعاملين وأحكاما بها حكم

(١) مزدلم : متطوع .

(٢) أشهر الحرم : التي حرم العرب فيها القتال وهي ذو القعدة ، وذو الحجة ، والحرم ، ورجب .

(٣) الشحناء : العداوة والحصام . وتضطرم : تنقد وتشتعل .

(٤) عظم رمة : أى عظم بال .

(٥) أصل الشمم : ارتفاع في قصبة الأنف . والمراد : العز .

(٦) أمر عهم ، تام عام .

(٧) الغمم ، بالتجريك : أن يسيل الشمر حتى يضيق الوجه والفقا . والمراد هنا : ضيق الطريق .

لكنما القوم ظلوا جامدين على ما منه قد وهوه بئس ما وهوا
إذا سلكت إلى الإصلاح مسلكه فأنت في رأيهم بالكفر متهم
وإن تصادمت بالعادات تذكرها فأنت في زعمهم بالدين تصطدم
وإن أتيت ببرهان فأعجزهم لم يحسنوا الرد بل من عجزهم شتموا
وإن تقل لهم قولاً لتقنعهم شدوا عليك وردوا قبلاً فيهموا
خلائق كظلام الليل من يرها يقل بأمثال هذى تمسخ الأمم

لله درّ بني معروف إذ صبروا على التجالد ما كلوا ولا سئموا
أخلوا منازلهم للكرّ ثانية كالأسد ترتد خلفاً ثم تقنحهم
ولازموا الفقر ، عاشوا في مجاهله عيش القناعة لأخلو ولا دسم
بذاك حبهم الأوطان يأمرهم إذ هم بسياء حب المواطن اتسموا
باتت دمشق لهم ترنو نواظرها كما رنا للطبيب المسدنف السقم
أيام لم يبق من بيت بغوطتها إلا ذكت فيه نار أو أريق دم
ثم انضوى بعدما اجتاحت معالمها منها إلى جمعهم أبطالها البهم
فاستقتلوا في سبيل الذود عن وطن صينت له من قديم عندهم ذمم
كانوا أشد مضاء من صوارمهم فليس يثنى عليهم ثان إذا هجموا
عند الهجوم كعوج البحر تبصرهم

وكالجبال الرؤاسى هم إذا التحموا
صلت سيوف بأيديهم بسان كما حتى حكين الغواذى حين تهتمز (١)

(١) صلت ضليلاً : صوتت . والغواذى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ فقط غدوة . وتهتمز : من الهزيم ، وهو صوت الرعد .

من مُبْلِغِ الْأَمِيرِ الشَّيْخِ مَأْلُكَةً إِلَى فُتًى آلِ رَسُلَانِ الْأَثَلَى رَسِخَتْ لِبَعْضِهِمْ شَهْرَةٌ بِالسَّيْفِ وَاحِدَةٌ كَهَادِلٍ وَشَكِيبٍ فِي أَكْفَيْهِمَا صَبْرًا فِدَيْتِكَ فَالْعُقُوبَى وَإِنْ بَعْدَتْ وَلَمْ يَقْنُتْكَ نَجَاحٌ فِي مَحَارِبَةٍ يَا عَادِلًا كَأَسْمِهِ لَا تَنْسَ مَظَالِمَتِي

كَأَشْمَسٍ تُشْرِقُ إِلَّا أَنَّهَا تَكَلِمُ^(١) فِي مَعْدِنِ الْمَجْدِ مِنْ قَدَمٍ لَهُمْ قَدَمٌ وَبَعْضُهُمْ شَهْرَتَاهُ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ جَالِ انْبِرَاجٍ وَصَالِ الصَّارِمِ الْخَذَمِ^(٢) لِلصَّابِرِينَ وَعُقُوبَى الْخَائِنِ النَّدَمِ أَقْلٌ مَا حَزَتْ فِيهَا الْمَجْدُ وَالْكَرَمُ عِنْدِي خُصُومٌ وَمَا عِنْدِي لَهُمْ حَكَمٌ^(٣)

الحرية في سياسة المستعمرين

يَاقُومُوا لَا تَتَكَلَّمُوا إِنَّ الْكَلَامَ مُحَرَّمٌ
نَامُوا وَلَا تَسْتَيْقِظُوا مَا فَازَ إِلَّا النُّوْمُ
وَتَأْخِرُوا عَنْ كُلِّ مَا يَقْضَى بِأَنْ تَتَقَدَّمُوا
وَدَعُوا النَّفْسَ جَانِبًا فَالْخَيْرُ إِلَّا تَفْهَمُوا
وَتَثْبِتُوا فِي جَهْلِكُمْ فَالشَّرُّ أَنْ تَتَعَلَّمُوا
أَمَّا السِّيَاسَةُ فَاتْرَكُوا أَبَدًا وَإِلَّا تَنْدَمُوا
إِنَّ السِّيَاسَةَ سِرًّا لَوْ تَعْلَمُونَ مَظَالِمَكُمْ^(٤)
وَإِذَا أَفْضَيْتُمْ فِي الْمُبَايَعَةِ خَ مِنْ الْحَدِيثِ فَجَمَعُوا
وَالْعَدْلَ لَا تَتَوَسَّمُوا وَالظُّلْمَ لَا تَنْجَهَمُوا^(٥)
مَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَعِيشَ الْيَوْمَ وَهُوَ مُكَرَّمٌ
فَلْيُخْشِ لَا يَسْمَعْ وَلَا يَصْرُخَ بِيَدِهِ وَلَا يَمُ

(١) المألوك والألوك : الرسالة يؤدونها الرسول بلسانه .

(٢) سيف خذم ومخدم ، بكسر الميم : أى فاطم .

(٣) ناطلة ، بكسر اللام : اسم ما أخذ منك من الحقوق طالما .

(٤) مظلّم : أى مكثوم . (٥) تنجّمه : نلقاه بالغاظة والوجه الكريه .

لا يستحق كرامةً إلا الأصم الأبكم
ودعوا السعادة إنما هي في الحياة توهم
فالعيش وهو منعم كالعيش وهو مذموم
فارضوا بحكم الدهر — ما كان فيه تحكم
وإذا ظلمتم فاضحكوا طربا ولا تنظموا
وإذا أهنتم فاشكروا وإذا أطمتم فابسموا
إن قيل هذا شهدكم مر ، فقولوا : علقم
أو قيل إن نهاركم ليل ، فقولوا : مظلم
أو قيل إن ثمادكم سيل ، فقولوا : مقعم^(١)
أو قيل إن بلادكم ياقوم سوف تقسم
فتحمّدوا ، وتشكروا وترنّخوا ، وترنّموا^(٢)

غادة الانتداب

دع مزعج اللوم وخلّ العتاب^(٣) واسمع إلى الأمر العجيب العجّاب^(٣)
من قصة واقصة غصة تضحك بل تدعو إلى الانتجاب^(٤)
في الكرخ من بغداد مرّت بنا يوماً فتاة من ذوات الحجاب
لبنتها موقرة بالحلي وكفها مشبعة بالخضاب^(٥)
ووجهها يطمس سحناء عنا ظلام من سواد النقاب^(٦)

(١) الثماد : جمع ثمّد ، بالتحريك ، وهو الماء القليل ، والمنعم بكسر اللعين : المائي .
وبفتحها : المملوء .

(٢) الترنخ : التمايل على الجافين ، من سكر أو فرح . والترنم : رفع الصوت بالغناء .

(٣) العجّاب : صفة كالعجيب .

(٤) واقصة : اسم فاعل من وقصه : إذا دق عنقه . والمراد أنها مؤلمة أشد الألم والنصبة : ما يعترض

في الحلق من طعام أو شراب أو عظم ، فيسده . والانتجاب والنجيب : البكاء بصوت

طويل ممدود . (٥) اللبة : موضع القلادة . وموقرة : محلاة .

(٦) سحناء الوجه وسحنته : يفتح السبن فيهما : لونه وحاله وهيئته .

تمشي العرَضَى في جلابيها مشية إحدى المومسات القحباب^(١)
تختلب الناس بأوضاعها وكل ما يصدرُ منها خلاب
قد وضعت تاجاً على رأسها يلمع في الظاهر كَمع الشَّهاب
يحسب من دُرٍّ بتمويهه وهو إذا حقيقته من سِخاب^(٢)
كاسية الجسم أرقى السكسى موشية الثوب بوشى كذاب
قد غولط الناس بأثوابها في أنها من مَعمل الانتخاب
وهي كعمري دون ما ريبة منسوجة في منسج الإغصاب
قالعش في لُحمتها والسدى وكل ما يدعو إلى الارتياب
قال جليسى يوم مرّت بنا من هذه الخادة ذات الحجاب ؟
قلت له تلك لأوطاننا حكومة جاد بها الانتداب
تحسبها حسناء من زيتها وما سوى (جنبول) تحت الثياب^(٣)
ظاها فيها لنا رحمة والويل في باطنها والعذاب
مصائبنا أمسى فظيماً بها يارب ما أقطع هذا المصاب
تالله قد حق لنا أننا نحشو على الأروُس كلَّ التراب^(٤)

(١) مشي العرضى : أى لم يستقم في مشيه ، وإنما سار في ميل واعتراض من فرط نشاطه وبغيه .
والمومسات : جمع مومس ، وهى البغى ، والقحباب : جمع قحبة ، وهى المومس . وأصل القحبة :
السعلة . وهى من السكنايات ، لأن المومس تسعل ، كما أنها تدعو إلى نفسها بذلك .
(٢) السخاب : كسكتاب : خيط ينظم فيه خرز ، تلبسه الصبيان والجوارى .
(٣) جنبول : علم على جنس الانجليزية .
(٤) حشا التراب يحشوه حشوا ، ويحشيه حشياً : هاله ورماه .

الفيل والحمل

أنشدتها يخاطب بها الزعيم الهندي محمد علي ، وقد كان مدعوا معه
في مأدبة أنامها له الأستاذ الفاضل عند مروره ببغداد سنة ١٩٢٩ .

إليك زعيم الهند أُورِدُ ههنا
فحين هنا في مجلس ذى أمانة
إذا ما سمعتُ الهند في قول قائل
ترجيه كف الأجنبي مُسَخَّرًا
وَيَبْرُكُ أحيانًا على الأرض رازحًا
وينخس أحيانًا فتعلوه رجفة
وإني أظن الفيل صاحب قوة
فلو قام هذا الفيل واستجمع القوى
ولو لم تكن بالفيل عندي علاقة
لنا حمل وهو العراق نظنه
فإن ينتج هذا الفيل من قيد أسرهِ
فإن لم يكن هذا صحيحًا فما الذى
ومن بعد هذا يا محمد إننى

سؤالاً له أرجو أجوابَ تفضلاً
فلم يخشَ فيه الحرُّ أنْ يثقلوا
تخيلاتُ فيلاً بالحديد مُكَبَّلًا
فيمضى بأعباء الأجانب مُثْقَلًا (١)
له أنّة من ثقل ما قد تحملاً (٢)
فيمضى على رغم القيود مُهْرَولًا (٣)
تكون له لو شاء من ذاك مؤثلاً
لهز بها شمّ الجبال وقَلَقَلًا (٤)
لما رمت عن هذا جوابًا مفصلاً
غدا من وراء الفيل للذئب مأْكَلًا
نجوبا وإلا أصبح الأمر معضلاً (٥)
ترون سوى هذا عليه للمعولاً
أحييك باسم الناهضين إلى العلا

(١) ترجميه : تسوقه وتوجهه .

(٢) رزح تحت الحمل يرزح رزحاً : أن من ثقله .

(٣) النخس : الشك بالابرة ونحوها . والمهزول : الذى يعنى الهزولة ، وهى مشية سريعة .

(٤) شم الجبال : الجبال العالية .

(٥) أعضله الأمر : غلبه .

دمشق تندب أهلها

أنشدتها في حفلة أقيمت في بغداد لجمع الاعانات
لنكوبى سورية سنة ١٩٢٦

بكت في ظلام الليل تندب أهلها
وباتت وقد جل المصاب حزينه
تئن وقد مدّ الظلام رواقه
إذا هي مدت في الدجنة صوتها
وتلهب منه في الفضاء شرارة
وتهبوله في ساحل النيل هبوة
بصوت له الصخر الأصم يلين
لها في ضواحي الغوطين أنين
وخيم صمت في الدجى وسكون^(١)
تميد له في الغوطين غصون^(٢)
فتبصرها في الرافدين عيون^(٣)
أبو الهول منها واجد وحزين^(٤)

* * *

ومن بعد وهن أشرق البدر طالعا
فأبصرت منها الوجه أزهر مشرقاً
جمال بديع بالجلال متوج
وبرقعها حزن فكان لوجهها
فتاة جثت في الأرض نبكي وحوّلها
فضمت إلى الصدر اليدين وعينها
وقد شخّصت نحو السماء بطرفها
وما أنس لا أنس العشية أنها
وأن غزير الدمع خدد حدها
فأسفر منها عارض وجبين^(٥)
بجديه مرّ للجمال مصون
له سيب في المكرمات متين
مكان من الحسن المهيّب مكين
صريع على وجه الثرى وطعين
تقاذف منها بالدموع شئون
لها كل آن زفرة وحنين
تورّم منها بالبكاء جنون
فلاحت من الأشجان فيه فنون

(١) الرواق : بضم الراء وكسرها : الفسطة والقبّة وموضع الجلوس .
(٢) الدجنة : الظلام . تميد : تميل . والغوطين : أرض تضاف إلى دمشق ، وهي من بساتين الدنيا .
(٣) بلاد الرافدين : هي العراق .
(٤) هبا يهبو ، كعلا يعنوا : سطع .
(٥) العارض : جانب الوجه . والجبين : من منبت الشعر الرأس إلى الحاجبين .

ولما انقضى صبرى تراميتُ نحوها
وقلتُ لها : مَنْ أَنْتَ رَحْمَاكَ إِنِّى
فمالتُ وقد أَلَقْتُ إِلَىٰ بِنظَرَةٍ
أنا البلدة التَّكَلَّى دمشقى ابنة العَلَى
ألم ترَ أبنائى يُساقونَ للردى
فأين أباة الضيم من آل يَعْرُب
فقلتُ لها لبيك يا أُمُّ إِنْهُمْ
سندرك فيك الثَّأْرَ من أنفـس العدا

كما ترتى بالعاصفات سفين
لك اليوم خِلٌّ صادق وأمين
عن القصد فيها معرِب ومُبِين
أما أنت فى مَعْنَى دِمَشق قَاطِن^(١)
فمنهم قتيل بالظُّبَا وسَجِين^(٢)
ألم يأت منهم ناصرٌ ومعين
سيأتيك منهم بارزٌ وكَمِين^(٣)
ونوقد نار الحرب وهى زَبُون^(٤)

* * *

فبذى دمشق يا كرام وهذه أحاديثُ عنها كلَّهنَّ شُجُون^(٥)

(١) التكللى من النساء : التى فقدت زوجيا : أو أولادها . وقطين : قاطن .
(٢) الردى : افلاك ، ردى يردى : من باب فرح . والظبا : جمع ظبية ، وهى حذو السيف .
(٣) بارزٌ وكَمِين : أى ظاهرٌ وخفى .
(٤) الزبون : الدفوع . يقول ناقة زبون ، وحرب زبون ، أى تدفع الناس إلى الهلاك كما تزينهم الناقة بحقها .
(٥) الشجن : الهم والحزن . والجمع : شجون وأشجان . والشجون أيضا : تطريب الحمامة ونوحها .

مبتدئ الأهواء

فالها يمثل حالة الصحف في الآستانة عقب الهدنة للحرب العامة :

- | | | |
|-----|---|--|
| (١) | تَمَادَوْا فِي الْخُصُومَةِ وَالسَّخَافَةِ | أَرَى الْأَتْرَاكَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ |
| (٢) | مِنَ الْقَوْلِ الْمَخَالِفِ لِلشَّرَافَةِ | غَدَوْا يَتَطَاعَنُونَ بِكُلِّ هُجْرٍ |
| (٣) | كَمَا عَمَلَتْهُ أَقْلَامُ الصَّحَافَةِ | فَمَا عَمِلَتْ رِمَاحُ الْخَطِّ فِيهِمْ |
| (٤) | وَشَمَّرَ عَنْ سِوَاعِهِ لِحَافَهُ | تَرَى كَلًّا تَهِيًّا لِلتَّامِي |
| (٥) | لِيُطْلَخَ وَجْهٌ مِنْ يَبْدَى خِلَافَهُ | وَأَتَرَعَ كَفَهُ حَمًّا نَتِينًا |
| (٦) | كَشَدَّقَى حَالِبَ شَرِبِ النَّشَافَةِ | تَرَاهُمْ مُزْبِدِينَ لَهُمْ شَدُوقٌ |
| (٧) | وَقَدْ شَرَبُوا الْمَطَامِعَ كَالسُّلَافَةِ | لَهُمْ صَخَبٌ كَعَرْبَدَةِ السَّكَارَى |
| | يَذِيْقُهُمُ الْمُسْذَلَّةَ وَالْمَخَافَةَ | عَلَى حِينِ الْعَدُوِّ بِهِمْ مُحِيطٌ |
| (٨) | وَهُمْ لَا يَحْسَنُونَ لَهَا الْقِلَافَةَ | سَفِينَةٌ مَلِكُهُمْ فِيهَا خُرُوقٌ |
| (٩) | وَلَمْ تَأْمَنْ مِنَ الْمَوْجِ انْقِذَافَهُ | وَقَدْ وَقَفْتُ بِدُرْدُورٍ شَدِيدٍ |
| | يُقَوِّمُهَا بِسَكَّانِ الْعَرَافَةِ | وَأَيْسَ لَهَا هُنَاكَ مِنْ عَرِيفٍ |
| | بَكُونِ الْإِخْتِلَافِ عَلَيْهِ آفَةٌ | عَجِبْتُ لَهُمْ إِذَا اخْتَلَفُوا بِمَلِكٍ |

- (١) السخافة : أن يكون نسج الثوب رقيقا واهيا .
 (٢) الشرافة : الشرف ، وكلاما مصدر شرف الرجل : إذا علا في الدين أو الدنيا .
 (٣) الخط : بلد في البحرين تصنع فيه الرماح الجياد .
 (٤) اللجاف هنا : ما يلتحف به المرء من ثوب فوق الثياب ، كالعطف والكساء ونحوها .
 (٥) الحمأ : الطين .
 (٦) المزبد : البعير الذي خرج الزبد حول فيه ، وهو الرغوة ، من شدة الهياج . والنشافة : الرغوة التي تعلو لبن الأبل والغنم إذا حلب .
 (٧) الصخب : ارتفاع الصوت في الجدال ونحوه ، وعربدة السكران : سوء خلقه وحركته المضطربة . والسلافة : الخمر .
 (٨) قلف السفينة خرز ألواحها بالليف . وجعل في خلاها القار . والقلافة : اسم تلك الصناعة .
 (٩) الدردور : موضع في وسط البحر يجيش مائه ، لا تسكده أسلم منه سفينة ، يقال : ألججوا قويعوا في الدردور . قال الجوهري : هو الماء الذي يدور ويخاف منه الغرق .

كأنى إذ أراهم فى احتراب بمالكٍ يطلب الغرب انتصافه
أرى كبشين ينتطحان جهلاً لدى الجزار فى دار الضيافة
خصامٌ يضحك السفهاء منه ويبيكى منه أربابُ الحصافه
وإن تدابر الأقوام شئ يثول إلى الندامة والأسافه

نقشة مصدور^(١)

خليلى هل من منصتٍ فأبته شجون فتى يشكو الأليم من البث^(٢)
فإنى سئمت العيس فى عنفوانه ويسأم مثلى كلُّ مُحترثٍ حرث
أقول وليل الغرب ليس بنائم أما لنيام القوم فى الشرق من بعث
لقد جاح هذا الشرق بعد اعتزازه

جوائحُ أودت منه بالسكّرش والفرث^(٣)
فساء من الإملاق والجهل خلته وصار سمينُ القوم يبطش بالعت^(٤)
وعاد هزيباً تجده متلفعاً بسحقٍ دريسٍ من مفارقة رث^(٥)
وهبت هوج الرياح فلم تدع من العلم جذراً فوقه غير مجت^(٦)

- (١) قال الرصافى هذه القصيدة وهو فى الآستانة ، وأنشدها شبان العرب فى المنتدى الأدبى .
(٢) البث : أشد الحزن . وقوله فأبته شجون فتى : الضمير : مفعول أول ، وشجون : مفعول ثان ، أى فأطلعه على شجون فتى .
(٣) جاح هذا الشرق : أى استأصله . وجوائح : فاعل جاح ، وهى جمع جائحة ، وهى النازة العظيمة التى تجتاح كل شئ . والسكّرش : لكل مجتر من ذوات الحب والظلف : بمنزلة المدة للإنسان . والفرث : السرجين ما دام فى السكّرش . ومعنى قوله « أودت منه بالسكّرش والفرث » : أنها ذهبت منه بما عز وبما هان ، فضرِب السكّرش والفرث مثلاً للجليل والحقير .
(٤) الإملاق : الفقر . وأراد سمين القوم : قويمهم . وبالف : ضعيفهم .
(٥) متلفعاً : ملتفحاً . وسحق فى قوله « بسحق » صفة لمخدوف ، أى بثوب سحق : وهو البلى من اثتياب . والدريس : الخلق ، وكذلك الرث . والمفقر : وجوه الفقر ، لا الواحد لها . وقيل : واحدها فقر ، على غير قياس .
(٦) هوج الرياح : هى التى لا تستوى فى هبوبها ؛ وتقلع البيوت ؛ واحدها : هو جاءه وجذر الشئ : أصله . ومجت : أى مقتل .

أرى غشياناً في النفوس وهل ترى
 فيا قومنا أين المساواة عندهم
 وأين موثيق الأخوة إنني
 وإن بصدري للقريض لفورة
 أراكم فأهجو ثم أطرق ذاكراً
 وأبكي على الجد الذي كان دونه
 يقولون إن الإرث في الخلق سنة
 فهلا ورثتم ثلث ذاك الذي بنوا
 قعدتم وقاموا واستكنتم وفاخروا
 وما أتعب المستنضيمكم فإنهم
 أما والعلى واهاً لها من أليّة
 لأحتقرن الموت في معرك المني
 وأركب من الهول دون لبانتى
 وأجرى بمستن الخطوب مشمراً
 ولولا إيبأى أن أخاطب ماجناً

نفوساً على خبث المطاعم لا تغني
 فقد طال عنها في مواطنكم بحى ؟
 أرى حبايها في كل يوم إلى النكث ؟
 يزيد بها من طول غفلتكم نفى^(١)
 أوائلكم قبلاً فأنذب أو أرثي
 على ربيته ندهر من خشية يجنى
 فهل بطلت في خلقكم سنة الإرث ؟
 من الجدة لا، لا، بل أقل من الثلث !
 بعز على وجه البسيطة منبت
 يحشون منكم للعلى غير محنت
 عدمت العلى إن بت منها على حنت
 وأسئر أفق اليأس بالرهج الكث^(٢)
 ولست أبالي بالكوارت^(٣)
 وأخبط ليل المزجمات بلا لبث
 كتبت هجاء الدهر بالقلم الثلث^(٤)

(١) افورة : أى حدة وغضا . وقوله نفى : أى نفخى من الغضب : تقول : هو ينفخ
 على غضبا : أى كأنه ينفخ من شدة الغضب .
 (٢) الرهج : الغبار . والكث : الكثيف .
 (٣) الكوارت : الشدائد . وكرشها : اشتدادها .
 (٤) القلم الثلث : أصله قلم الثلث وهو الذى يكتب به فى ثلث الطومار ، والطومار : نوع
 من الورق ، متفق على مقدار طوله وعرضه وهذا من اصطلاح كتاب الدواوين . وقد جرى
 الشاعر على أسلوب عامة المتكلمين . فجعل الثلث وصفاً للقلم . يريد القلم . العريض .

إخفا. الذمم

أو عبد العزيز شاووش

فالها في الآسنانة عند ما أسلمت وزارة أحمد مختار باشا
الغازي الشيخ عبد العزيز شاووش إلى الحكومة المصرية :

إني عهدتك لا تكون يئوسا مهبما لقيت مصائباً ومُحوسا
كم قد صدمت النائبات بهمة جعلت لها الصبر الجميل لبوسا
غذروك يا عبد العزيز وإنما غدروا الشهامة فيك والناموسا^(١)
ما أساموك إلى الخديو وإنما قد أساموا شرفاً لهم قدّموسا^(٢)
هدموا بأيديهم قواعد تجدهم فهوى وأصبح رسمه مطموسا
وأحق شيء بالثناء لدى الورى شرف بأرجل أهله قد ديسا
وأقل أبناء الزمان حمية من كان بيت نزيلهم مكبوسا^(٣)
قد أخجلوا علم الهلال بفعالهم هذا فأصبح رأسه منكوسا
وغدا بنوه وإن تقادم فخرهم عند الفخار يطأطئون رهوسا
ماهنت أنت وإنهم بفعالهم هانوا لدى أهل الحفاظ نفوسا
جارت سياستهم عليك فأغضبت أهل العدالة سائساً ومسوسا
لو كان هذا الشعب يعرف نفسه لأقام حرباً من جرّاك ضروسا^(٤)
ولو أن أخلاق الرجال صحيحة ما كن حقتك عندهم مبيئوسا
إن العلى همست إليك بسرّها ولقد فهمت كلامها المهبوسا
فنهضت بين المسلمين تلمهم وتجدد منهم تخلفاً ودريساً^(٥)

(١) الناموس : وعاء العلم .

(٢) المكبوس : الذى يهجم عليه ويفتس .

(٣) من جرّاك : من أجلك .

(٤) تلمهم : تجمعهم حول غرض واحد . وتجدد : تجدد . والخلق : البالى . الدريس :

الدراس البالى .

فرماك منهم حاسدوك بتهمة
 إن يمتنوك فإن حبك لم يزل
 والشمس تشهد أن فضلك مثلها
 ياليت شعري أي كأس مرة
 وبأي سلسلة رموك مكبلا
 قد بت من جزعي عليك منجما
 إن يسجنوك فإن ذكرك مطلق
 أو يوحشوك بقعر سجنك مفردا
 وائن أقيمت أذى فكم من مصلح
 ضحكك وجوه الترهات ولم يزل

مأثوا الفضاء بزورها تدليسا
 في قلب كل مؤحد مغرورا
 يحبي النفوس ويقتل الحنديسا^(١)
 لك أدهقوا إذ جرعوك البؤسا^(٢)
 وبأي سجن غادروك حبيسا^(٣)
 في الليل عنك أسائل البرجيسا^(٤)
 ينجي الثناء ويقطف التقديسا
 فالحق عندك قد أقام أنيسا
 لقي الأداة مفعجا متعبوسا
 وجه الحقيقة في الأنام عبوسا^(٥)

-
- (١) الخندس : الظلام : والخنديس : الخندس ، وقد أشبع كسرة الدال ، فوجدت الياء ، كقول الآخر : « نفى الدراهم تقاد الصياريف » . والأصل : الصيارف .
- (٢) ليت شعري : ليتني أشعر وأعلم . وأدهقوا : ملأوا ، وكأس دهاق : مملوءة .
- وجرعوك : سقوك شيئا في إثر شيء . والبوس : البؤس .
- (٣) غادروك : تركوك . حبيسا : أي محبوسا .
- (٤) البرجيس نجم ، قيل : هو المشتري .
- (٥) الترهات : زعم ترمة ، وهي الباطل .

يا سدين باشا

قالها بلسان أحد المتظاهرين ، وكان إذ ذاك في دمشق ، لا دبرت حكومة الشام العربية بواسطة رجال الانكليز مكيدتها المعلومه لياسين باشا الهاشمي ، فأخذوه واعتقلوه في الرملة ، وكان ذلك قبل دخول الفرنسيين بلاد الشام .

ياسينُ إنك بالقلوب مُشيعٌ
أخذوك يا بطلَ المعامع غيلةً
ولو أنهم تركوا الخداع وحاولوا
أو ليس يدرى أخذوك بأنهم
أين الذمام ونحن من حلفائهم
أفيجهلون بأننا من أمةٍ
لا تجزَعَنَّ فإنَّ خلفك أمةٌ
إن أخرجوك من المواطن مُكرِّها
أو غيبوك فإنَّ أمرك حاصرٌ
فلنملاًنَّ بك البلادَ هزاهراً
ولننهضنَّ إلى الهياج بهمةً
ولنسعرنَّ معامعاً يصلونها
ولنرمينهم بمعضلةٍ إذا
ونقودها خرساء يُنطقها الردى
ياراحلا عنا بكيد عدونا

أفأنتَ للوطن العزيز مُودّعٌ
بيد الخداع ومثلهم من يخدع^(١)
لثقيك أعجزهم إليك المطلع
هاجوا بما أخذك الخطوب وزرعوا
سرعان ما تقضوا العهود وضيعوا
في المجد تأمر من تشاء فيسمع
تمشى كمشيك للعلاء وتبغ
فالشعب خلفك هائج لا يهجع
أو تبطوك فإنَّ جيشك مُسرِع^(٢)
حتى يضيق بها الفضاء الأوسع^(٣)
ثماء يبصرها الجبان فيشجع
ورءوسهم فيها لسيفك رگم
ترمى الجبال بمثلها تتصدع
فيصلي صمصامٌ ويصرخ مدفع^(٣)
أبشر فإنك عن قريب ترجع

(١) المعامع : جمع معمة ، وهي المعركة . والغيلة : الحيلة والغدر .

(٢) الهزاهز : الفتن والثورات التي تهز الناس وتقلقهم .

(٣) خرساء : كتيبة خرساء .

كيف نحن في العراق؟

أبكتفينا من الدُّولات أنا تعلّق في الديار لنا البُنودُ
وأنا بعد ذلك في افتقار إلى ما الأجنبيُّ به يوجد
تجوز سيادة الهندى فينا وأمّا ابن البلاد فلا يسود
إذن فالهند أشرف من بلادى وأشرف من بنى قومي الهندودُ
وكم عند الحكومة من رجال تراهم سادة وهم العبيد
كلابٌ للأجانب هم ولكن على أبناء جلدتهم أسود
وليس الإنكليز بمنقذينا وإن كُتبت لنا منهم عهد
متى شفق القوى على ضعيف وكيف يعاهد الخرفان سيد
ولكن نحن في يدهم أسارى وما كتبوه من عهد قيود
أما والله لو كنا قرودا لما رضيت قرابتنا القرودا

في طريقى إلى حلب

جئت إلى الدير ضحى يوم الأحد أقصدُ منه حلبا فيمن قصدُ
فاعترضتنى شرطة ذات رصدٍ تطلب تصديق جوازى فى الصدد^(١)
فعاقتنى ذاك من اليوم لغدٍ كأننى والغيط فى قلبى اتقدُ
سفينة أمسكها ماء بجمدٍ حتى لقد يئست من فتح السدد^(٢)
وقلت من يأسى وقد قل الجلدُ كأن من يمر من هذا البلدُ
يمر زحفا بين أشداق الأسدِ لولا كرامٍ أدركونى بالمددُ
لكننى أبقي زمنا من غير حدٍ يا صاحب الشرطة ما هذا اللدد^(٣)

(١) الشرطة : رجال النظام والحفظ . وارصد : المسكان ترصد فيه الداخلون إلى البلد والمخرجون منه ، أى يرقبون ويفتشون . والصدد : الطريق .
(٢) السدد : مجارى الماء .
(٣) اللدد : شدة الخصومة والجدال .

لم أدر جد فعلكم أم هو دد^(١) فإن أجنادك جاءوا بالفند^(٢)
 إذ في عاثوا عيث ذئب في نقد^(٣) تعاورتني منهم يد فيد^(٤)
 أفاد كالقاتل قيد للقود^(٥) حتى ثيابي قشوها والجسد^(٦)
 كأتني سارق مال مفتقد^(٧) ما أنا ممن جر جرما فشرد^(٨)
 ولست ممن سيم حقا فيجد^(٩) كئلا ولست جانبا على أحد^(١٠)
 نكنا الأمر لديهم قد فسد^(١١) والحكم قد جار عليهم واستبد^(١٢)
 فالقوم : أما حظهم فقد رقد^(١٣) عنهم ، وأما سعدهم فقد خمد^(١٤)
 منهم ، وأما نحسهم فقد وقد^(١٥) وقد أضاعوا محدهم إلى الأبد^(١٦)
 وقد وقد ، وقد وقد ، وقد وقد

حكومة الانتداب

أنا بالحكومة والسياسة أعرف^(١) ألام في تنفيذها وأعنف^(٢)
 سأقول فيها ما أقول ولم أخف^(٣) من أن يقولوا شاعر متطرف^(٤)
 هذى حكومتنا وكل شموخها^(٥) كذب ، وكل صنيعها متكلف^(٦)
 غشت مظاهرها وموّة وجهها^(٧) فجميع ما فيها بهارج زيف^(٨)
 وجهان فيها باطن متستر^(٩) للأجنبي وظاهر متكشف^(١٠)
 والباطن المستور فيه تحكم^(١١) والظاهر المكشوف فيه تصلف^(١٢)

علم ودستور ومجلس أمة كل عن المعنى الصحيح محرف^(١)
 أسماء ليس لنا سوى ألفاظها أما معانيها فليست تُعرف^(٢)

(١) اندد : ألأب واللبو . والفند : ما يلامون عليه .
 (٢) عاثوا : أفسدوا . والنقد : ضرب من صغار الغنم ؛ كالغز .
 (٣) القود : القصاص .
 (٤) تنفيذها : لومها ومعانيها . والتعنيف : أشد اللوم .
 (٥) البهارج : الذي يروى لك مظهره . ولا تسرك حقيقة .
 (٦) تصلف : تكبر .

مَنْ يَقْرَأَ الدِّسْتُورَ يَعْلَمُ أَنَّهُ وَقَفًّا لَصَكِّ الإِنتِدَابِ مُصَنَّفٌ
مَنْ يَنْظُرِ الْعِلْمَ الْمَرْفُوفَ يَلْقَاهُ فِي عِزٍّ غَيْرِ بَنَى الْبِلَادَ يُرْفَرَفُ
مَنْ يَأْتِ مَجْلِسَنَا يَصْدَقُ أَنَّهُ لِمَرَادٍ غَيْرِ النَّاخِبِينَ مُؤَافٍ
مَنْ يَأْتِ مَطَرَدَ الْوِزَارَةِ يُلَاقِيهَا بِقِيُودِ أَهْلِ الإِسْتِشَارَةِ تَرْسُفٌ^(١)

* * *

أَفْهَكَذَا تَبَقَّى الْحُكُومَةُ عِنْدَنَا كَمَا تَمَوَّهَ لِلْوَرَى وَتُزْخَرْفُ
كَثُرَتْ « دَوَائِرُهَا » وَقَلَّ فَعَالُهَا كَالطَّبْلِ يَكْبُرُ وَهُوَ خَالٌ أَجُوفُ
كَمْ سَاعَاتٍ مِنْهَا وَمِنْ وَزَرَائِهَا عَمَلٌ بِمَنْفَعَةِ الْمَوَاطِنِ مُجْجَفٌ^(٢)
تَشْكُو الْبِلَادُ سِيَاسَةَ مَالِيَةٍ تَحْتَاجُ أَمْوَالَ الْبِلَادِ وَتُتَلِفُ^(٣)
تُجْبَى ضَرَائِبُهَا الثَّقَالُ وَإِنَّمَا فِي غَيْرِ مَنْفَعَةِ الرِّعْيَةِ تُصَرَفُ
حَكَمَتْ مُشَدَّدَةً عَلَيْنَا حَكْمَهَا أَمَا عَلَى الدُّخْلَاءِ فَهِيَ تُخَفَّفُ^(٤)
يَاقُومُ خَلَاوُ الْفَاشِسِيَّةِ . إِنَّمَا فِي السَّائِسِينَ فِظَاظَةً وَتَعَجَّرَفُ^(٥)
لِلْإِنْكَالِيزِ مَطَامِعُ بِلَادِكُمْ لَا تَنْتَهِي إِلَّا بِأَنْ تَنْبَلِشَفُوا^(٦)

* * *

بِاللَّهِ يَا وَزَرَائِنَا مَا بِالْكُمُ إِنْ نَحْنُ جَادِلُنَا كُمْ لَمْ تَنْصِفُوا
وَكُنَّا وَاحِدَكُمُ لَفَرَطُ غُرُورِهِ تَمِيلُ تَمِيلُ بِجَانِبِيهِ الْقَرَقَفُ^(٧)
أَفْتَقِنُونِ مِنَ الْحُكُومَةِ بِاسْمِهَا وَيَفُوتُكُمْ فِي الْأَمْرِ أَنْ تَنْصَرَفُوا

- (١) المطرد : مكان الاطراد ؛ وهو الجرى والتتابع . يريد الميدان أو الطريق الذي تجرى فيه .
الوزارة . وترسف : تمشى متى المقيد .
(٢) مجحف : جائر على منفعة أهل البلاد .
(٣) تحتاج : نهلك . والجائحة : الآفة المهلكة .
(٤) يريد بالدخلاء : الأجانب النازلين بأرض العراق من غير العرب .
(٥) تعجرف : خشونة .
(٦) نبلشف يتبلشف ، فعل أخذه الشاعر من لفظ البلشفية ، وهي مذهب سياسي واقتصادي ينافي الرأسمالية ، وهو النظام السائد الآن في روسيا وشرق أوروبا .
(٧) القرقف : الحُر .

هذى كراسى الوزارة تحتكم
أنتم عليها والأجانب فوقكم
أبعد فخرًا للوزير جلوسه
كادت لفرط حياءها تنقص
كل بسلطته عليكم مشرف
فرحًا على الكرسي وهو مكتف

* * *

إن دام هذا في البلاد فإنه
لا بد من يوم يطول عليكم
فإننا لكم لم يغن شيئًا عنكم
الشعب في جزع فلا تستبعدوا
وإذا دعا داعى البلاد إلى الوغى
أيذل قوم ناهضون وعندهم
كم من نواص للعدا سنجرها
إن لم نضاحك بالسيوف خصومنا
بداومه لسيوفنا مستترعف^(١)
فيه الحساب كما يطول الموقف
نسن تقول ولا عيون تذرّف
يوما تنثور به الجيوش وترحف
أتظن أن هناك من يتخلف
شرف يعزّز جانبيه المرهف^(٢)
ولحي بأيدي الثائرين ستنتف^(٣)
فإنجد بالك والعلّى تتأفف^(٤)

* * *

زُر ردهة التاريخ إن فناءها
قد كان للعرب الأكارم دولة
عاش الأديب منعمًا في ظلها
أيام كان المساعون من الورى
ثم انقضى عهد العروبة منذ غدا
للمجد من أبناء يعرب متحف^(٥)
من بأسها الدول العظيمة ترّجف
والعالم النحرير والمتفلسف
في ظلها لهم الحلّ الأشرف
عنها الزمان بسعده يتحرف^(٦)

(١) مستترعف : مسبب لارعاف ، وهو سيلان الدم من الأنف ومن حد السيوف .

(٢) المرهف : السيف أو السنان المشحوذ .

(٣) النواصي : جمع ناصية ، وهى الشعر فى مقدم الرأس . ونجر : تقطع .

(٤) نضاحك خصومنا بالسيوف : أى نمازحهم بالسيوف ، وفى الكلام استعاره .

(٥) الردهة : المكان المنسج بين البيوت ، وهى ما نسمه الآن بسان العصر « صالة »
يريد أن المكان الذى يدرس فيه التاريخ يحوى من أخبار العرب ومفاخرها ما تحويه المتاحف

ودور العاديات من مجد الأمم القديمة . (٦) يتحرف : ينحرف .

حتى تقلص بعدُ من سلطانها ظلُّ بأقصى المشرقين مؤرّف^(١)
وغدت ممالكها الكبيرة كلها لسهام كل دويلة تستهدف^(٢)
فبنو العروبة أصبحوا في حالة منها العروبة لا أبالك تأنف
والمسلمون بحالة من أجلها تالله ضجَّ بما حواه المصحف

الوزارة المدنية

دارَ ذا الدهرُ مدارَه فرأى الناسُ ازوراره^(٣)
كلُّ فعل الدهر فعلٌ فيه للجرِّ إثارة
أهلَ بغدادَ أفيقوا من كرى هذى الغرارة^(٤)
إن ديك الدهر قد با ض ببغدادَ وزاره
شأنها شأنٌ عجيبٌ قصّرت عنه العبارة
هى للجاهل عزٌّ ولدى العلم حقاره
ملك البدو بها الأمر على أهل الحضاره
كم لها من هفوات تسلب الطودَ وقاره
حببت للوطى الحجرَ أن يهجر داره
بيع للأطاع فيها حقكم بيع الخساره
فكان الحكم والعد ل بها قطُّ وقاره
كم وزير هو كالوزر ر على ظهر الوزاره
مقحّم لو كان لفظا شخصه كان استعاره
ووزير ملحق كالد يل في عجز الحماره^(٥)

(١) مورف : متسع . (٢) تستهدف : تصير هدفا وغرضا .

(٣) ازوراره : اعوجاجه .

(٤) الغرارة : الغفلة وقلة الانتباه للشر ، وعدم البحث عنه . والمراد الجاهلة بشئون السياسة والحياة .

(٥) عجز ، يسكون الجيم ، مخفف من عجز بضمها ، وهو المؤخر .

ذَنبٌ أَصْبَحَ لِحُكْمٍ بِهِ أَقْبَحُ شَارِهِ
 ذَنبٌ يَسْتَوْجِبُ الْإِخْلَاصُ وَالصِّدْقُ انْتِبَاهَهُ (١)
 قُلْ لِلرَّبِّابِ الْوِزَارَةُ عَذْلًا أَضْرَمَتْ نَارَهُ
 أَنْتُمْ الْأَصْنَامُ لَوْلَا نَزَقَاتٌ مُسْتَطَارَهُ (٢)
 أَحْلُومُ كَفَرَاشٍ وَقُلُوبٌ كَحِجَارِهِ (٣)
 أَمْ جُيُوبُ زَرْهَا الدَّهْرُ عَلَى كُلِّ دَعَارِهِ (٤)
 أَمْ وَجْوهُ لَوْ بَدَتْ لِلشَّمْسِ مَسْ لَمْ تَتَشَرَّ حَرَارِهِ
 أَمَعَ الذَّلَّةُ كَبُرَ أَمْ مَعَ الْجُبْنِ جَسَارِهِ
 كَيْفَ لَا تَحْشَوْنَ لِلْأَحْرَارِ فِي الْبَطْشِ مَهَارِهِ
 يَا بَنِي الْأَوْطَانِ هُبُوا وَانْفَضُوا هَذِي انْفِرَارِهِ
 إِنْ وَجْهَ الْحَقِّ بَادَ كَسْرَاجٍ فِي مَنَارِهِ
 أَدْرَكُوا الْحَقَّ فَقَدْ شَدَّتْ عَلَى الْحَقِّ الْإِغَارِهِ
 لَا تَسْلُ عَنْهُ وَزِيرُ الْقُيُومِ وَاسْأَلْ مُسْتَشَارَهُ
 فَوْزِيرُ الْقَوْمِ لَا يَمْلِكُ مِنْ غَيْرِ إِشَارِهِ
 وَهُوَ لَا يَمْلِكُ أَمْرًا غَيْرَ كُرْسِيِّ الْوِزَارَةِ
 يَأْخُذُ الرَّاتِبَ إِمَّا بِنِعْمِ الشَّهْرِ سِرَارِهِ (٥)
 ثُمَّ لَا يَعْرِفُ مِنْ بَعْدُ : خَرَابٌ أَمْ عِمَارِهِ
 حَدَّثَ النَّاسَ الْقُيُومُ عَنْ هَذِي الْخُشَارَةِ (٦)
 فَلَعَلَّ الدَّهْرَ مِنْهُمْ بَدَمٌ يَغْسِلُ عَارَهُ

(١) انتباهه : بتره وقطعه .

(٢) النزقات : جمع نزقة ، وهي المرة من النزق . وهو الطيش والخفة .

(٣) حلوم كفرأش ، أى طائشة ، لا تعرف ، كما لا تعرف القراشة ، ما يضرها وما ينفعها لأنها تنهاقت في النار ، فتتحرق نفسها .

(٤) الدعارة : الفجور والخيانة .

(٥) السرار : الظلام الذي لا يظهر فيه القمر آخر الشهر .

(٦) الخشارة والخشار : الردىء من كل شيء ، وخص الخشيانى به ردىء المناع .

يوم الفلوجة

أيها الإنجليز لن نناسي
ذاك بغي لن يشفي الله إلا
بالمواضي جريحه وشجيجه^(٢)
هو كرب تأبي الحمية أنا
هو خطب أبكي العراقيين والشام
وركن البتية المحجوجة^(١)

• • •

حلها جيشكم يريد انتقاماً
يوم عاثت ذئاب آثور فيها
قاستهنتم يالسامين سفاهاً
وأدرتم فيها على العزل كأساً
واستبحتم أموالها وقطعتم
أفهدا تمدن وعلاء
أم سكرتم لما غلبتم بحرب
قد نتجنا لقوحها عن خداج
هل نسيتم جيشا لكم مبدعراً
وهوى بانهمزاه حصن أقریط
سوف ينأى بحزبه وبعار
وهو مفر بالساكنين علوجه^(٣)
عيثة تحمل الشنار سميجه^(٤)
واتخذتم من اليهود وليجه^(٥)
من دماء بالغدر كانت مزيجه
بين أهل الديار كل وشيجه^(٦)
شعبكم يدعى إليه عروجه
لم تكن في انبعاثها بنضيجه
فلذاك انتهت بسوء النتيجة^(٧)
شهدت جيشه سواحل إيجه^(٨)
وأمسى قذى على عين فيجه^(٩)
عن بلاد تريد منها خروجه

(١) الفلوجة : قرية على الفرات . وقريتان عند بغداد : الفلوجة الكبرى والفلوجة الصغرى ، وأصل معنى الفلوجة : القرية من قرى السواد .

(٢) الشجيج : المشجوج .

(٣) مفر : مسلط محرض . والعلوج : جمع علج ، وهو الرجل الضخم من كفار العجم .

(٤) الشنار : العجيب والعار . والسميج : القبيح .

(٥) وليجه : بطانة .

(٦) الوشيجه : العلاقة التي تربط بين أبناء الأسرة أو البلدة . من دين أو لغة أو دم أو وطن .

(٧) نتج الناقة : ولدها . والقوح : الحامل . والخداج : نزول المولود قبل استكمال مدة الحمل .

(٨) المبدع : المتفرق . وسواحل إيجه : أى بحر إيجه ، وهو بين بلاد الأناضول وبلاد اليونان .

(٩) أقریط : يريد أقریطش ، جزيرة جنوبي بلاد اليونان .

لا تغرّنكم شيباك كبارٌ أصبحت لاصطيادنا منسوجة
استمّ اليوم في الممالك إلا جعلاً تحت صدره دُحروجة^(١)

* * *

وطن عشت فيه غير سعيد عيش حرّ يأتى على الدهر عوجه
أتمنى له السمادة لكن ليس لي فيه ناقة منتوجة^(٢)
أخصب الله أرضه ولو أنى لست أرعى رياضه ومُروجه
كل يوم بعزه أتعنى جعلاً ذكره عزّه أهزوجه^(٣)
ما حياة الإنسان بالذل إلا مرّةً عند حسوها بمجوجه
فتنأى للراقدين وشكراً وسلاماً عليك يا «فلوجّه»

الانكيز في سيماساتهم الاستعمارية

لقد جمع الدهر المكاييد كلها بقدر كبير صيغ من معدن الخبيث
وصب عليها من بثار صروفه سجالاً من انكذب الموه والحنث
وأقع فيها ما يعادل ثلثها من الكبر بل ما قد يزيد على الثلث
وفتت أرتالا من الغدر فوقها وعالجها بالدق والدالك والدث^(٤)
وأوقد ناراً للخديعة تحتمها تزيد على نار الغضى أو على الرمث^(٥)
فغارت ملياً فيه ثم تصعدت بخارا بأنبيق من السحر والنقث^(٦)
فصاغ طباع الإنكيز من الذي تقاطر في الأنبيق كالمطر الدث^(٧)

(١) الجمل : ذكر اخنافس . والدحروجة : كرة يكورها من خرّيه ، يدحرجها ويجرى وراءها .

(٢) منتوجة : والده .

(٣) الأمزوجة : واحدة الأهازيج ، وهى نوع من نظم القريض يتغنى به .

(٤) الدث : مصدر دث أى دقق التراب على وجه الأرض بالقدم أو باليد .

(٥) الغضى : شجر جزل ، ناره قوية . والرمث : شجر يشبه الغضى لا يطول ، ولكن ينسطورة .

(٦) الأنبيق : جهاز معروف يستعمل في التقطير .

(٧) المطر الدث : الضعيف الخفيف .

دع اللّومَ واسمع ما أقولُ فإنّي
كأنّهم والناسَ عثَّ وصَوْفَةٌ
فكم حَرثُوا في أرضٍ مستعمراتهم
وكم أبقظُوا والناسَ في الدُّورِ نومٌ
وهم يا كاون الزُّبد من مُنتجاتها
فيحظون منها بالتفائس دونهم
زُر الهند إن رمت العِيان فكم تَرى
على الأرض من عُبرٍ هناك ومن شُعث

* * *

يقولون إنا عاملون لسعدكم
فكم بعثوا في الشرق حرباً ذميمة
وكم أرسلوا دسّاً جواسيس مكرهم
وهم سلبوا أرض العراق سمينها
إذا ما رأيت القوم في فتح مكرهم
فلا ترج في الدنيا وفاء لعهدهم
وما الحكم إلا عندنا كِمِطَّة
ولم يعملوا غير الكوارث والكُرث^(١)
تمل في أهوالها ساعة البعث
على الناس يشتدون بالنش والنَّبث
ولم يتركوا للقوم فيها سوى الغث^(٢)
رَقَمَتْ لهم تبكى على القوم أو ترثي
فلا بد في الأيام للعهد من نَكْثٍ
رَمَوْهَا إلينا كي يَرَوْا لَعِبَةَ الطَّثِ^(٣)

(١) العث : حشرة تلحس الصوف .

(٢) الدجن : الغيم . الوعث : المكان السهل الكثير التراب ، تغيب فيه الأقدام .

(٣) القرث : السرجين ما دأب في الكرش .

(٤) السقيط : سقط المتاع . والخُرثي : أردأ متاع البيت .

(٥) كَرِثه الأمر كَرِثاً : اشتد عليه .

(٦) الثث : المهزول ، وهو ضد السمين .

(٧) الططنة : لعبة للصبيان ، يرمون بخشبة مستديرة عريضة ، يدقق أحد رأسها نحو القلة .

بين الانتداب والاستقلال

سَلِّ الْإِنْكَازِيَّ الَّذِي لَمْ يَزَلْ لَهُ
أَنْتَ وَزِيرٌ أَمْ عَمِيدُ وَزَارَةٍ
فَهَا أَنْتَ مُلْقَاةٌ إِلَيْكَ أُمُورُنَا
وَتَأْخُذُ مِنَّا رَاتِبًا كَمَوْظَفٍ
أَتَحْمِلُ مِنْكَ الْيَوْمَ عِبَاءَ تَحْكُمِ
وَمَا شَأْنُ ذِيكَ السَّفِيرِ الَّذِي لَهُ
وَكُنْتَ لَكُمْ مِنْ قَبْلِ فِينَا اسْتِشَارَةٌ
تَبَدَّلْتُمْ اسْتِقْلَالَنَا بِانْتِدَابِكُمْ
خَلَقْتُمْ لَنَا مِنْ كُلِّ عَمِيدٍ مَمُوءَةً
إِلَى أَنْ غَدَا اسْتِقْلَالُنَا ضُحْكَةً الْوَرَى
وَصَارَ كَسِيفٌ قَاطِعٌ فِي أَرْكَفِكُمْ
غَرَرْتُمْ بِهِ الْأَغْرَارَ وَاللَّهُ شَاهِدٌ
وَهَلْ يَسْتَقِلُّ الشَّعْبُ فِي حَكْمِ نَفْسِهِ
فَمَا هُوَ إِلَّا الْمَيِّنُ فِيكُمْ أَعَانَكُمْ
وَمَاسَكَتِ الْأَحْرَارُ عَنْ نُحْزِيَاتِكُمْ
وَلَا تَعْجَبُوا أَنْ يَمُتَّ الشَّعْبُ دَأْبَكُمْ

فيظهر وهو السـاخط المتمرد

رُويْدًا فَإِنْ رَمَيْتُمْ مِنَ الشَّعْبِ وُدَّهُ
وَكُونُوا لَهُ عَوْنًا عَلَى مَا يُهْمُّهُ
وَالَا فَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ وَإِنَّمَا
أَخُو الظُّلْمِ مَاخُوذٌ بِمَا يَتَعَمَّدُ

(١) الدست : صدر البيت ، وعند المتأخرين ، الديوان ومجاس الوزارة والرياسة .

(٢) معبد : مذل .

(٣) لفظ مجرد : أى خال من المعنى .

بنی وطنی

بنی وطنی ماذا أؤمل بمد ما
أقول لمن قد لآمنى فى تشدّدى
لو اسود وجه المرء من قُبْح فله
ولو نال بالإخلاص مثر ثراءه
نحاول عزّا بابتذال نفوسنا
ومن جهلنا استكرهنا فى معاشنا
سأرحل عنكم الذى قد أقامنى
أبيت لنفسى أن تحلّ مكانه
ولو أن هذا الصبح كان انبلاجهُ
فلا أبتغى بالذل عيشاً مرفهاً
وما أنا كإبن العبد إذ عاتق الرّدى
إذا ابتسمت لى عفتى ونزاهتى
أقابل أخلاق الرجال بمثلها
فأغوى ابن يغوى وأفسو لمن قسا
ولست أجازى المعتدى باعتدائه
وما أنا من أهل الدعارة وانحنا
ونسكن لى فيكم يراعاً إذا شدا

تفشّت سعايات لىكم بالتجسّس
على كل تدليس آتى من مدّلس
لما كنت تلقى عندنا غير مدّفس^(١)
لما كنت تلقى بيننا غير مدّفس
فتشّرى خسباً بالثمين المقدّس
شقاء نزيها^(٢) للنعيم المدّفس
على موحش من أمرهم غير مؤنس
من العيش إلّا فوق عز مؤسس
بغير شروق الشمس لم يتنفّس
ولو عشت فى العزّى بقول مدّفس^(٣)
لجدوى أبتها رغبة المدّفس^(٤)
فلمست أبالى بالزمان المدّفس
وأعرف منهم وجهها بالنفّس
وأظهر كالغطريس المتغطرس
ولكن بصفح القادر المتحمّس
ولا من أولى حلّ السلاح المدّفس
أناكم بكاف من علاه ومخرّس

(١) المدّفس : الذى اسود وجهه من غير علة . (٢) كذا بخط الشاعر : يريد شقاء خالصاً .
(٣) القول المدّفس : معروف فى مصر . واشتقاقه من دمس الشيء فى الأرض : إذا دفنه
وخبّاه ، وإنضاج القول بدفنه على مستوفد الحمامات طريقة معروفة فى مصر .
(٤) ابن العبد : طرفة بن العبد البكرى الشاعر العربى الجاهلى المشهور ، والمدّفس : جرير بن
عبد المسيح شاعر معروف ، ولهما قصة فى وفادتهما على عمرو بن هند ، ومنادتهما أخاه قابوساً
(أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة) .

وما خالق إلا كوان إلا المهندس
تجلى على أكوانه بصفاته
وأقبسهم نوراً شديداً جلاله
وألبسهم حر العرائز فاغتنوا
وما مقبس عند النهى غير قابس
فأيان جال الطرف لم ير غيره
حقيقة مخلوقاته لم تكن سوى
إلا أننى للكائنات موحـد

وإن جلّ عن تعريفه بالمهندس^(١)
وأغلس فيهم كنهه كل مغلس^(٢)
فساروا به كالعمى فى كل حنـدس
بحمرتها عن كل ثوب مؤرّس^(٣)
ولا لابس عند النهى غير ملبس
إذا كان فى الملاحظة غير مبس^(٤)
حقيقته دع عنك حدس الحدس
ولو أرغمت كل المذاهب معطسى^(٥)

يوم سنغافورة

أطالوا الحرب طاحنة زبونا
وقد زحفت لهم فيها جيوش
لقد خربوا البلاد ودوخوها
ولم ترد الشعوب لها انتقادا
أولاك هم الجناة بها علينا
إذا ذكر الورى جشعا وحرصا
وما رزقت فيها غير جان
أعان على الهياج وقال حيدى

فعدوا بالشهور لها السنين
تجاوزت الألوف مع المثينا
وجنّوا فى تناحرهم جنونا
فأوقد نارها المسترّسونا
أولاك هم البغاة الطامعون
فشرشل أكبر المنجسينا
يزور فى إطالتها الميونا^(٦)
حياد فأعجب المتكذبين^(٧)

- (١) الأيات من هنا إلى آخر القصيدة فى الفلسفة ، وليست من السياسة فى شيء .
(٢) أغلس : أبهم وأخفى .
(٣) حر العرائز : كذا بخطه ، ولعله يريد العرائز المعجبة ، فإن الحمرة شعار الحسن .
والورس : المصبوغ بالورس ، وهو الزعفران .
(٤) الملبس : من الابلّاس ، وهو الخيرة .
(٥) المعطس : الأنف .
(٦) يزور : يعد ويهين . والميون : جمع مين ، وهو الكذب .
(٧) الهياج : الحرب والشر . وحيدى : كلمة يقولها المارب من شيء يخافه .

فما دعواهم في الحَيَوَانِ إِلَّا كدَعْوَى العِفَّةِ المتهتكونا
كذلك ساسة الأَقْوَامِ فِيمَا بِهِ عَنْ رَأْيِهِمْ يَتَفَوَّهُونَا
خداع لا يراه ذُووه شَيْئَنَا وَلَا يَمْسِي بِهِ أَحَدٌ مَشِينَا
° ° °

بِسِنَاغُورَةِ الْيَابَانِ شَبُّوا عَلَى أَعْدَائِهِمْ حَرِيًّا طَحُونَا
لَمْ فِيهَا طَوَائِرُ صَاعِقَاتِ لَهَا قَصَفٌ تَذَكُّ بِهِ الْحَصُونَا
رَوَاعِدُ نَمَلٍ الْآفَاقِ رَعَا وَرَسَلٌ فِي نَهْزُمِهَا الْمَمُونَا
تَزَلَزَلَتِ الْحَصُونُ بِهَا وَكَانَتْ تَطَاوَلُ فِي مَنَاعَتِهَا الْقُرُونَا
حَصُونٌ تَسْتَخْفُ بِكُلِّ طَوْدٍ وَتَسْتَعِشِي بِرَوْعَتِهَا الْعَيُونَا^(١)
لَقَدْ سَكَّتْ مَدَافِعُهَا وَجُومُهَا لَجِيشٌ حُلَّ مَرَصَفَتِهَا الْحَصِينَا^(٢)
عَلَى بَحْرِ بُلُجَّتِهِ أَقَامُوا لَفَلَقَ الْبَحْرُ مِنْ نَارِ كُرِينَا
وَقَدْ بَشَا الْبَوَارِجُ فَاسْبَطَتْ تَجُولُ بِهِ فَوَارِدَ أَوْ ثُبِينَا^(٣)
تَرَى الْحَيَاتِ فِيهِ قَدْ اشْرَأَبَتْ تَرْدُدُ فَوْقَهُ نَظَرًا شَقُونَا^(٤)
وَتَنْطَفُو نَارَةً وَتَغْوِصُ أُخْرَى وَتَبْدَى مِنْ تَمَاقُلِهَا فَنُونَا^(٥)
وَتَضْرِبُ بِالزَّعَانِفِ جَانِبَيْهَا فَتَنْتَقِلُ الظُّهُورُ بِهَا بَطُونَا^(٦)
بَحِثٌ يَقُولُ مَنْ يَدْنُو إِلَيْهَا لَعَلَّ بَيْنَ صَرَعًا أَوْ جَنُونَا^(٧)

° ° °
وَبَحْرِ الْهِنْدِ أَصْبَحَ فِي اضْطِرَابٍ يُرْجَمُ فِي عَوَاقِبِهِ الظَّنُونَا^(٨)
أَيُفْتَحُ بَابُهُ فَيَكُونُ حَرًا لِمَنْ يُزْجِي بُلُجَّتَهُ السَّفِينَا

- (١) تستخف : تهرب ، والطود : الجبل العالي . وتستعشي : تنسبها إلى المشاء وهو سوء اليأس .
(٢) المرصف : رصيف البناء . حيث ينزل المسافرون . وتفرغ السفن وتشتعن .
(٣) اسبطرت : استطالت ، وفوارد : مفردات ، وثبين : جماعات .
(٤) الفشعون : النظار إلى الشيء نظر المتعجب منه .
(٥) يقال : تماقل الزبيلان في الماء : إذا تماخضا . (٦) الزعانف : أجنحة السمك .
(٧) كذا بخط الشاعر ، وفي نسخة أخرى بغير خطه : وبحيث يقول ثمة من يراها .
(٨) يرمي بالظنون : يرمى بالظنون على غير ثبوت ، ودون نظر صحيح .

وَيَمْسِي الْهِنْدُ عِنْدَهُ طَلِيقًا من الأثر الذي قطع الوَتِينَا^(١)
فَبُشِّرَى لِلْبِلَادِ إِذْ ذَنْفٌ وَبُشْرَى لمصر والعراق بما هَوَيْنَا^(٢)
فَسَوْفَ تَكْفِ عَنْهُنَّ اللَّيَالِي مطامعَ ساسةٍ متحكِّمينَا

* * *

هَذَاكَ حَفْرَةَ الْأَطْمَاعِ يَمْسِي خِدَاعُ الْإِنْكِلِيزِ بِهَا دَفِينَا
وَتَحْتَدِمُ الْحَفَائِظُ فِي الْبَرَائِيَا فَتَضْرِمُ فَوْقَ مَدْفَنِهِ أَتُونَا^(٣)
وَتَتَسَعُّ السِّيَاسَةُ لِلتَّصَافِي فَيَسْتَصْنِي الْخُلْدِينَ بِهَا الْخُلْدِينَا
وَيَصْبِحُ كُلُّ تَمْوِيهِ وَغَشٍ لِأَنْظَارِ الْبَرِيَّةِ مُسْتَدِينَا
وَيَصْبِحُ كُلُّ خِدَاعٍ كَذُوبٍ رَجِيمًا فِي سِيَاسَتِهِ لَعِينَا
وَيَصْبِحُ كُلُّ شَعْبٍ مُسْتَقْلًا عَزِيزًا لَنْ يَذُلَّ وَلَنْ يَهُونَا^(٤)
وَيَمْسِي النَّاسُ قَاطِبَةً سَوَاءً بَدِينِ أَخَوَةٍ مُتَدِينِينَا
يُعَاوَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُؤْوِي قُوَّيَهُمُ الضَّعِيفَ الْمُسْتَكِينَا^(٥)
تَسِيرُ بِهِمْ شَرَائِعُ عَادِلَاتٍ إِلَى أَوْجِ السَّعَادَةِ مُرْتَقِينَا
سَوَاءً لَا يَفْرَقُهُمْ لِسَانٌ وَلَا دِينَ بِهِ يَتَعَبَّدُونَا^(٦)
فَمَا مِنْ سَائِدٍ أَوْ مِنْ مَسُودٍ وَلَا مِنْ دَائِنٍ يُرْبِي الدَّيُونَا
وَيَصْبِحُ كُلُّ مُحْتَرِّثٍ مُشَاعًا لِمَنْ فِيهِ نَوَا تَوَاتُفُ مَوَاطِنِنَا^(٧)
وَمَا أَهْلُ الْبِلَادِ سِوَى عِيَالٍ عَلَى الْعَمَلِ الَّذِي هُمْ يَحْسِنُونَا^(٨)

(١) أوتين : عرق في القاب إذا انقطع مات صاحبه .

(٢) في نسخة : « مصر والعراق » .

(٣) الحفائظ : جمع حفيلة ، وهي الغضب . والأتون : موضع النار .

(٤) في نسخة : « كل قطر » في موضع كل شعب .

(٥) في نسخة : المستعينا وفي موضع ، المستكينا . (٦) في نسخة جاء هذا البيت قبل سابقه .

(٧) جاء هذا البيت في نسخة بغير خط الشاعر ، متقدما على موضع هذا بخمسة أبيات ،

وبالرواية الآتية :

وَيَصْبِحُ كُلُّ مُزْدَرَعٍ مُشَاعًا لِمَنْ هُمْ أَرْضُهُ مُتَوَطِّنُونَا
وَالْمُحْتَرِّثُ وَالْمُرْدَرَعُ : موضع الحرث والزرع . والمشاع : الشائع بين الناس لا يختص به أحد .
وَتَوَى بِالْمَسْكَنِ : أقام وتوطن .

(٨) في نسخة : « وليس بنو البلاد سوى عيال » . . . الخ

نحن والحالة العالمية

صاح إن الخطوبَ في غَليانٍ فماذا يُطَرِّقُ المَلَوَانُ^(١)
 جلَّ رب الأنام في كل يوم هو من كبريائه في شان
 خالق السكون ذو الجلال قديم واحد عنده القرون ثوانى
 كل ما ضمَّ ملكه كلمات وإليه انتهت جميع المعانى
 نسمع اليوم للخطوب أزيزا كأزيز التمور في الفوران
 إننى مُبصرٌ تباشير صبح مستفيض على ظلام الأمانى
 ليس تلك الدماء في الحرب إلا شفا من ضيائه الأرجوانى
 إننى أَسْتَشْف من غير الدهر انقلابا يعم كل مكان
 سيلوح الدانى به وهو قاص ويلوح القاصى به وهو دان
 ويكون المعزَّ غير معزَّ ويكون المهان غير مهان
 وسيغدو الضعيف محترم الحق ويُمسَى الظلوم في خسران
 والثريا ستعتلى في أمان من عدا العيوق والدبران^(٢)
 وستبدو أم النجوم رهوما يتدانى من ثورها الفرقدان
 يتجلى رب السماوات والأر ض علينا بعدله والحنان
 فيبوء « المستعمرون » بخسر وتضىء البلاد بالعُمران

معشر العرب أين أنتم من القو م إذا ما تم انقلاب الزمان
 أنيسامُ والدهر يفتح فيكم من جديديه مقلتي يقظان
 نقض القوم عهدكم قبل هذا واستخفوا بحفظه في حوانى^(٣)
 واستهانوا بالوعد إذ أحلفوه واستغلوا دفائن الأوطان

(١) يطرق : أصل الطرق : الاتيان ليلا . ولم أجد في المعاجم التطريق بهذا المعنى الذى يريد الشاعر . والمَلَوَان : الليل والنهار .

(٢) الثريا ، والعيوق . والدبران : أسماء نجوم ، وكذلك الثور والفرقدان .

(٣) الحوانى : الضلوع ، جمع حانية .

وأقاموا بها قواعد جَوٍّ
ثم بثوا بها العيون يَعِشُو
ثم ساروا بحكمها سِيرُ فُلْكَ
كل هذا وأنتمُ مستقلو
تَقِيدُوكم لنفعهم بعهود
أوثقوكم بها إسارا وقالوا
ليس تلك العهود ياقومُ إلا
أفلا تذكرون في أوليكم
يوم ساروا والعز فيهم يمشي
وتعات راياتهم خافقات
فانهضوا اليوم مستجدّين مجدًّا
إن للمجد في المساعي محلا

لاحتشاد الجنود والطيران
ن فسادا في سُوحِها والمباني^(١)
هم بها آخذون بالسُّكَّان
ن بَزَعَمٍ من عندهم وامتنان
ناطقات من أمركم بلسان
ليس هذا لكم سوى إحسان
كعهود الذئاب للحُمْلان
أنفًا من مَسِيرِهِم بهوان
حزبهم بالمشطَبِ الهندواني^(٢)
في جيوش عنا لها الخافقان
كالذي كان دونه القمران
عاليا لا يُحله المتوانى

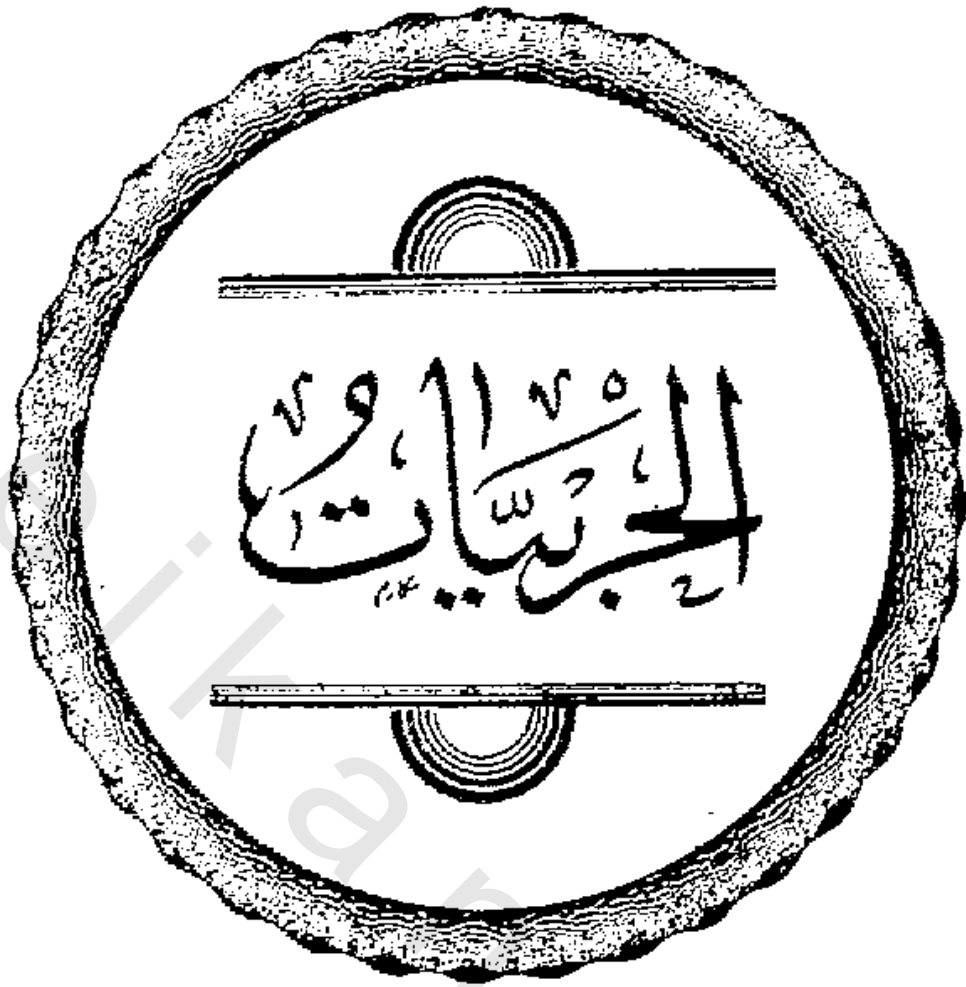
• • •

قل لمن رام صدّ عنا شقاق
وَيْلَكَ إن الإسلام أوجد فينا
فاعتصمنا منها بحبلٍ وثيق
ليس معنى توحيدنا الله في الملّة إلا اتحادنا في الصّكّيان
فلهذا نعم ! لهذا ، لهذا
وحدة لا يَفُكُّها المتوالى
وحدة جاءنا من الله فيها
فهدانا بها إلهٌ قديم
مانرى سلطنة علينا خلق

أنت كالوعل ناطح الصّفّوان^(٣)
وحدة مثل وحدة الرحمن
هو حبل الإخاء والإيمان
نحن دِنًا بوحدة الدّيان
من صروف الدهور والأزمان
مرسل بالكتاب والفرقان
واحد ، عنده القرون ثوانى
غير سلطان خالق الأكوان

(١) سوحها : جمع ساحة ، وهى الأرض الفضاء لا بناء به تكون بين الدور .
(٢) المشطَب : السيف ذو الشطب ، وهى الطرائق . والهندوانى : المنسوب إلى الهند .
(٣) الصّفّوان : الحجر الشديد الأملس .

obeykandi.com



وجدنا للرصاصى عدة قصائد قالها فى حروب مختلفة ، كحرب الظليان
فى طرابلس الغرب ، والحرب البلقانية ، والحرب العامة ، فرأينا أن
نثبتها هنا على حدة ، تحت عنوان الحربيات .

إلى الحرب

ألا انهض وشمر أيها الشرق للحرب

وقبل غرار السيف ، واسل هوى الكتب^(١)

ولا تغتر أن قيل عصر تمدن

أأست تراهم بين مصر وتونس

وما يؤخذ الطليان بالذنب وحدثهم

فإني أرى الطليان منهم بمنزل

فلولاهم لم ينقض العهد ناقص

بلاد غدت في الحرب تندب أهلها

قد اغتالها الطليان وهي بمضجع

من الأمن لم يقض برعب على الجنب^(٥)

(١) شمر: فعل أمر من شمر الرجل تشميرا إذا مر جانا ، أو هو من شمر للأمر : إذا أراحه .
و غرار السيف : حده . والمراد من قوله « وقبل غرار السيف » : أى عول على السيف ،
لأنه أصدق أبناء من الكتب .

(٢) قوله « أن قيل » : أى بأن قيل .

(٣) قوله جميع الغرب أى : جميع أمم الغرب .

(٤) أغرى السكاب بالصيد : أى حرضه عليه وأرسله . والمعنى : أن منزلة الأمة الطليانية من
سائر أمم الغرب ، كمنزلة السكاب من الصيد الذى يغريه ، ويحرضه على الصيد . وتحرير المعنى : أن
أهل الغرب لو لم يوافقوا الطليان على ما أرادوا ، لما هجموا علينا . وقد أوضح هذا المعنى البيت
الذى بعده .

(٥) قوله « يقض » يقال : أقض عليه المضجع يقض لإقضا إذا خشن وترب ، وتحقيق معنى
قولهم أقض المضجع : أنه صار فيه القرض ، وهو فتات الحصى والتراب ، وإذا أقض المضجع امتنع
النوم ، ومعنى البيت أن الطليان قد أخذوا طرابلس الغرب على غرة ، فهجموا عليها وهي نائمة في
مضجع الأمن ، الذى ما أقض على جنبها بالرعب . وتحرير المعنى : هى فى مضجع مدمت بالأمن لم
يخشوشن بالرعب .

فما انتبهت إلا لصرخة مدفع
فأمست وأفواه المدافع دونها
صواعق من سحب الدخان تدكها
غدت ترمى فيها عشيا وبكرة
وما إن شكك من عضة الحرب أهلها
فما خفقت عند الهياج قلوبهم
ولكن جرت نكب الرياح بأرضهم

فجرت عليها كلكل الحجج الشهب^(٢)

* * *

يعز علينا أهل برقة أنكم
وأنا إذا ما تستغيثون لم نجد
وقد علم الأعداء أن سيوفنا
ولكن هو البحر الذي حال بيننا
ولولاه فاجأنا العدو بفيالق
فياجر فاجد أو فغر إن جيشنا
وياسحب هـلاً نزلين فتحمل

إلى الحرب جيشا ينشر النفع كالسحب

(١) عضة الحرب : شدتها ، على الحجاز . وكذلك عضة الجذب ، أى المحل . ويجوز أن تروى الثانية غصة ، بمعجمة فهمة . يشير بهذا البيت إلى ما كان في طرابلس الغرب من الجذب والقحط في تلك الأيام . وقد أوضح هذا البيت بالبيتين اللذين بعده .

(٢) قوله « نكب الرياح » : جمع نكباء ، وهى الريح المائلة عن مهبها ، ونكب الرياح عندهم من دواعي الجذب والمحل . والحجج : جمع حجة ، وهى السنة . والشهب : جمع شهباء : يقال سنة شهباء ، أى مجدبة لا خضرة فيها .

(٣) الضمر : جمع ضامر ، وهو من الخيل : القليل اللحم ، اللاحق البطن . والقاب : جمع أقاب ، وهو الدقيق الحصر من الخيل .

ويارمَحُ قَدْ ضِقْنَا فَهَلْ لَكَ طَاقَةٌ
بِحَمْلِ مَنَابِنَا إِلَى الْمَرْكَ الرَّحْبِ
إِلَى خَيْرِ أَرْضٍ دَاسَهَا شَرُّ مَعْشَرٍ
بِأَرْجَائِهِمْ قُطُنَ مَنْ أَرْجُلِ جُرْبِ

أَمَّا وَالْعُلَى يَا أَرْضَ بَرَقَةٍ إِنَّمَا
نُرَاكَ عَلَى بُعْدِ نَسَامِينَ ذِلَّةٍ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا الْإِثْ شَدَّتْ قِيودُهُ
بَرَى الشَّبَلِ مَا كَوَلَا فَيَزَارُ مَوْتَهَا
فَلَا يَسْتَطِيعُ الْوُثْبَ إِلَّا تَمْطِيًا
وَيَأْهَلُ بِنَغَازِي سَلَامٍ فَقَدْ قَضَتْ
حَيَاتُكُمْ جَمَى الْأَوْطَانِ بِالْمَوْتِ دُونَهَا
وَمَنْ مُبْلِغٌ عَنَّا السَّنُوسَى أَنَّهُ
فَيَانَا لَنَرْجُو أَنْ يَقُودَ إِلَى الْوَعَى
فِيحْمَى بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعِدَا
فَإِنَّ حَسَا الْإِسْلَامِ أَصْبَحَ دَاسِيَا
فَقَمَّ أَيُّهَا الشَّيْخُ السَّنُوسَى مَدْرَكَا
وَكُنْ أَنْتَ بَيْنَ الْجَنْدِ قُطْبَ رَحَى الْوَعَى

وَهَلْ مِنْ رَحَى إِلَّا تَدُورُ عَلَى قُطْبِ

وَيَا مَعْشَرَ الطُّلِيَّانِ قُبِّحَتْ مَعْشَرًا
وَلَا كُنْتَ يَا شَعْبَ الْخَائِنِثِ مِنْ شَعْبِ
تُرَكَّتْ وَرَاءَ الْبَحْرِ مَزْحَفُ جَيْشِنَا
وَأَجَّجَتْ نَارًا فِي طَرَأِ بُلْسِ الْغَرْبِ

(١) مَنْ جَرَاكَ بِشَدِيدِ الْمَرَاءِ : أَيُّ مَنْ أَجَلَاكَ .

(٢) بِهَذَا الْبَيْتِ وَمَا بَعْدَهُ ضَرَبَ الشَّاعِرُ مَثَلًا لِحَالَةِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ تَجَاهَ حَرْبِ الطُّلِيَّانِ فِي طَرَا بُلْسِ الْغَرْبِ ، فَشَبَّهَ حَالَتَهَا بِحَالَةِ الْإِثِ الَّتِي وَصَفَهَا فِي الْآيَاتِ .

أَتَحْسِبُ هَاتِيكَ أَلْدِيَارَ وَقَدْ خَسَّاتُ^(١) من الجند تَخْلُو من ضِرَاحِمَةٍ غُلَبٍ^(٢)
فَمَا هِيَ إِلَّا أَرْضُ أُكْرَمٍ مَقْشَرٍ

من العَرَبِ لَمْ تُنْبِتْ سِوَى الْبَطَالِ النَّدْبِ

مَتَرَجِعَ عَنْهَا بِالْفُضِيحَةِ نَاكِصًا وَتَذَكَّرُ الْأَيَّامَ بِالْعُنِّ وَالسَّبِّ
مَشَيْتُمْ إِلَيْنَا مُعْجِبِينَ بِجَمْعِكُمْ تَظُنُّونَ حَرْبَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ اللَّعْبِ

فَلَمَّا حَلَّتْكُمْ أَرْضُنَا ذَقْتُمُ الرَّدَى بِأَسْيَافِنَا حَتَّى صَحَوْتُمْ مِنَ الْعُجْبِ

سَنَلْبِسُكُمْ ثَوْبَ الْإِهْمَالِ ضَافِيًا وَنَحْمَلُكُمْ مِنْهَا عَلَى مَرْكَبِ صَعْبِ

وَنَسْتَمْطِرُ الْأَهْوَالَ حَتَّى تُخَيِّضَكُمْ بِسَيْلِ دَمٍ فَوْقَ الْبَسِيطَةِ مُنْصَبِّ

وَمَا دَعَا «الْبَابَا» لَكُمْ مُسْتَجَابَةً فَقَدْ أَغْضَبَتْ طُغْوَاكُمْ غَيْرَةَ الرَّبِّ

أَجَلُ إِنْكُمْ أَغْضَبْتُمْ اللَّهَ فَاتَّقُوا

وَإِنْ رَضِيتَ تِلْكَ الْحُكُومَاتِ فِي الْعَرَبِ

أَيَا زَعَمَاءَ الْعَرَبِ هَلْ مِنْ دَلَالَةٍ لَدَيْكُمْ عَلَى غَيْرِ الْخُدَيْعَةِ وَالْكَذِبِ

تَقُولُونَ إِنْ الْعَصْرَ عَصَرْتُ تَمْدُنْ أَمِنْ ذَلِكَ قَتْلُ النَفُوسِ بِلَا ذَنْبِ

أَلَمْ تَبْصُرُوا الْقَتْلَى تَمَجَّ دِمَائُهَا

عَلَى الْأَرْضِ وَالْجُرْحَى يَأْتُونَ فِي الْحَرْبِ

أَفَى الْحَقِّ أَمْ فِي الْعِلْمِ الْإِسْوَاءُكُمْ وَيُحْجَلُكُمْ شَنْ الْإِغَارَةِ لِلْعَصَبِ

وَهَلْ أَغْلَفْتُ هَذِي الْعُلُومَ قُلُوبَكُمْ بِأَغْطِيَةٍ قُدَّتْ مِنَ الْحَجَرِ الصُّلْبِ^(٣)

كَذَبْتُمْ فَإِنَّ الْعَصْرَ عَصَرُ مَطَامِعِ تُقَدُّ لَهَا الْأَوْدَاجُ بِالصَّارِمِ الْعَضْبِ

فَلَا تُغْضِبُوا الْإِسْلَامَ إِنْ سَيُوفُهُ مَوَاضٍ كَمَا قَدْ كُنَّ فِي سَالِفِ الْحُقُبِ^(٤)

(١) الضِرَاحِمَةُ : جمع الضِرْغَامِ ، وهو الأسد . والغَلَب : جمع الأغلب ، وهو من صفات الأسد ، ومعناه الغالبُ العنق .

(٢) أغلقت قلوبكم : أى جعلت لها غلانا . والأغطية : جمع غطاء . وقُدَّتْ : أى قطعت واشتقت . وحاصل المعنى : ما بال هذه العلوم التي توصلتم بها إلى المدينة قد جعلت قلوبكم في غلاف من الحجارة ، حتى أصبحت غلفا لا تعى ولا ترق .

(٣) الحُقُب : أصله الحقب بضمين ، ثم تخفيفه الشاعر . ومعناه : الدهر .

في طرابلس

هو النصر معقود برايتنا الحمرا
على أنه في الحرب آيتنا الكبرى
حليفان من نصر مبين وراية
به وبها نعلو على غيرنا قدرا
أبى أدبر «الطلليان» عند كفاحنا
فإن لهم في بطش شجعاننا عذرا
فإننا لقوم إن نهضنا لحادث
من الدهر أفزعنا بنهضتنا الدهرا
نذك هضاب الأرض حتى تثيرها
غباراً على أعدائنا يكشح الذعرا^(١)
ونأكل مر الموت حتى كأننا
نلوك به ما بين أضراسنا تمرا^(٢)
فسل جيش «كانينا» بنا كيف قومتم

شِفَارُ مواضينا خدودهم الصعرا^(٣)
وكيف هزمناهم فولوا كأننا
وإياهم أسد الشرى تطرد الحمرا
وكم قد نثرنا بالسيوف جاجها
نظمنا بها فوق الثرى للعدا شعرا
وما جزعى للحرب يحمى وطيسها
ولكن لأرواح بها أزهقت صبيرا^(٤)

لك الله يا قتلى طرابلس التي
بها حاكم الطليان أسيافهم غدرا
أداموا بها قتل النفوس نكاية
إلى أن أصاروا كل بيت بها قبرا
ولما أحاط المسلمون بجيشهم
فعاد الفضاء الرحب في عينه شبرا
تقهقر يبغي في الديار تحصنا
ففر بها من خشية الموت واستدري^(٥)

(١) يكشح الذعر : أى يسفيه ويندوه ، فيرميه عليهم .

(٢) نلوك : أى نمضع ونملك .

(٣) الصعر : جمع أصعر ، وهو ذو الصعر ، وهو الميل ، يقال : صبر خداه إذا أماله عن النظر إلى الناس ، تهاونا وكبرا .

(٤) قوله « يحمى وطيسها » : أى تشدد . والوطيس : التنور ، ويطلق على المعركة ، وحتى الوطيس : كناية عن اشتداد الحرب . وقوله « أزهقت صبيرا » : أى قتلت صبيرا . يقال للرجل قتل صبيرا : إذا شدت يده ورجلاه ، وأمسك رجل آخر حتى يضرب عنقه ، أو حبس حتى يقتل . يشير بهذا البيت إلى ما فعله جنود الطليان في مدينة طرابلس ، من الفتك بأهلها الضعفاء .

(٥) استدري : استتر واختبأ .

وأصبح يُنْكِى أهاليا من تَفِيطٍ
فأوسعهم بالسيف ضرباً رقابهم
وما ضرب « كانيقا » اللعينَ لو أنه
أُيْحِجِمُ عنا هارباً بعُجُوجِه
وهل حسبوا قتل النساء شجاعةً
لقد شجعوا والموت ليس له يد
يعزّ على أسيافتنا اليومَ أنْهَا
ولم تك لولا الحربُ تعلو سيوفنا
ومن مُبْكِيات الدهر أو مضحكاته
فبقتلهم صبرا وبرهقهم عسرا^(١)
وأنافهم جدعاً وأجوافهم بقراً^(٢)
تقحّم في الميجاء عسكرنا المجرأ^(٣)
ويبغى بقتل الأبرياء له فخراً^(٤)
وقد تركوا عند الرجال لهم ثأراً
ولم يشجعوا والموت يطعنهم شزراً^(٥)
تقارع قوماً قرعهم بالعصا أخرى^(٦)
رءوساً نرى ملء القُحُوف بها عيراً^(٧)
لدى الناس حرٌّ لم يكن خصمه حرّاً

* * *

لَئِنْ « أَيُّهَا الْقَتْلَى » أُرِيقَتْ دِمَاؤُكُمْ
سَتَنَارُ حَتَّى تَسَامَ الْحَرْبُ ثَأْرَنَا
وإني لتغشاني إذا ما ذكركم
فما ذهبت عند العدا بعدكم هدراً
ونقتل عن كل امرئ أنفساً عَشْراً
لواعج حزن ترتبي في الحشا جعراً^(٨)

(١) ينكى أهاليا : أى يقهرهم بالقتل والجرح ويرهقهم عسرا : يكلفهم إياه .
(٢) أوسعهم ضرباً : أى أكثر ضربهم ، فضرباً : تمثيل بحول عن المفعول . وأصل الكلام :
أوسع ضربهم ، أى أكثره ، ورتابهم بدل من الضمير ، بدل بعض من كل . وأنافهم جدعاً :
مطوف على ما قبله ، أى وأوسع أنافهم جدعاً . والجذع : قطع الأنف . والبقر : شق البطن ،
(٣) تقحّم عسكرنا : أى هجم عليه ، وهو مأخوذ من تقحّم الفرس النهر : إذا دخله ، ورعى
نفسه فيه بشدة . والمجر : الكثير .
(٤) الاحجام : ضد الأقدام . والمعوج : جمع عوج ، بكسر فسكون ، وهو الرجل الضخم من
كفار العجم .

(٥) يطعنهم شزراً ، وهو الطعن من جانب اليمن أو الشمال .
(٦) قوله « قرعهم بالعصا أخرى » : أى ليسوا بأحرار ، بل هم عبيد وقد قيل :
العبد يقرع بالعصا . والمجر تكفيه اللامه
(٧) القُحُوف : جمع قحف ، وهو عظم الرأس المجوف . والعير : العجور .
(٨) اللواعج : جمع لاعج ، واللاعج من الحزن : الشديد منه المحرق .

على أن قرص الشمس عند غروبها يذكرني تلك الدماء إذا أحمر
فأبكي ثجاء الغرب والبدر لأفح

من الشرق حتى أبكي الشمس والبدرا
ويأهل هانيك الديار تحية
توفيكم الشكر الذي يرأس الشكرا
تذودون عن أحواضها البغي والنكرا
غدا كل سيف في برائنها ظفرا^(١)
سهمهم حتى تنطق الفتكة البكرا^(٢)
فتبلغ في إبعادها الأنجم الزهرا
لكم واتخذت البدر في رأسها طفرا
مدايحها تستوعب الكون والدهرا
ولو أن كفى تستطيع تناوشا
لرتبت منها في السماء قصيدة
وخلدتها آيا لكم سرمدية

* * *

يقولون إن العصر عصر تمدن
إلى الله أشكو في الوري جاهلية
أتنا بثوب العلم تمشى تبخترا
فلا تلتعظ في مدحها متمطعا
لقد ملك الإفريج أرض مرا كشي
فما باله أمسى عن الحق مزورا
يعتدون فيها من تمدنهم عصرا
إلى الخير لكن قد تأبطت الشررا
فإن أظهرت حلوا فقد أبطنت مررا
وقدملكوا من قبلها نؤيس الخضررا

(١) البرائن : جمع برثن ، وهو من السبع بمنزلة الاصبع من الانسان .

(٢) مشيعة : أى جادة ، أو مقبلة على الحرب ، مانعة لما وراء ظهرها ، وهمهم : أى تردد
زئيرا في صدورها . يقل همهم الأسد : إذا سمعت له دويا . والفتكة البكر : التى لم تسبق بعلتها .

(٣) قوله « فلا تلتعظ » : الالتعظ كالتعظ ، تتبع الطعام والتذوق . وقوله متمطعا : من التمتع
وهو أن يصوت الأكل باللسان والغار الأعلى ، وذلك عند استطابته المأكول ، فيلصق لسانه بنطع
فيه مع صوت .

فَفَاجَأَنَا الصَّلَاحُ مِنْ بَعْدِ مُلْكِهِمْ لَكِي يَسْأَلُونَا فِي طَرَابُلسِ الْأُمَرَا
وَقَالُوا أَلَمْ تَأْتِ الْفَرَنْجَةُ تُونِسًا وَهَذِي جِيُوشُ الْإِنْكِيلِيزِ أَتَتْ مِصْرًا
فَخَالُوا لَنَا مَا بَيْنَ هَذِي وَهَذِهِ وَإِلَّا قَسَرْنَا كُمْ عَلَى تَرْكِهَا قَسْرًا
فَقَالُوا: إِنَّا أَحَقُّ بِمِلْكِهَا وَلَكِنْ زَنْدُ قَوَّتِنَا أَوْرَى
أَهَذَا هُوَ الْعَصْرُ الَّذِي يَدْعُونَهُ فَسُحِّقَا لَهُ سُحُّقًا وَدَفِّرَا لَهُ دَفْرًا^(١)

أَدْرِئَةُ^(٢)

أَدْرِئَةُ مَهْلًا فَإِنَّ الظُّلِيَّ سَتَرَعَى لَكَ الْعَهْدَ وَالْمَوْتِئَا
وَدَاعًا لِمَغْنَاكَ زَاهِي الرُّبَا وَدَاعًا وَلَكِنْ إِلَى الْمُلْتَقَى

* * *

عَرَاءَ لِمَسْجِدِكَ الْجَامِعِ أَفَارِقَ مَحَارِبُهُ الْمُنْبَرَا
وَهَلْ فِي مُصَلَّاهُ مِنْ رَاكِعٍ يَجِيبُ الْمُؤَذِّنَ إِنْ كَبَّرَا
فِيَا نَسْقُوطُكَ مِنْ فَاجِعٍ بِهِ فَجَعَ النَّهْرُ أُمَّ الْقُرَى^(٣)
وَقَبْرَ النَّبِوَّةِ فِي يَثْرِبَا وَمَتَوَى ضَجِيعِيهِ مَتَوَى التُّقَى
وَمَنْ فِي الْبَقِيعِ وَمَنْ فِي قُبَا وَمَنْ شَهِدُوا انْفَتَحَ وَالْخُنْدَقَا^(٤)

* * *

رُؤَيْدًا أَدْرِئَةُ لَا تَجْزَعِي وَإِنْ قَدْ أَمْضَاكَ هَذَا الْأَذَى^(٥)

(١) سحِّقَا لَهُ : أى بعدا . ودَفِّرَا لَهُ : أى نَقْنَا .

(٢) هذه القصيدة قالها المصطفى لما سقطت « أدريئة » ، وأخذها البلغار ، وذلك في الحرب البلقانية الثانية .

(٣) قوله يالسقوطك : النداء هنا للتعجب ، واللام فيه مفتوحة كلام المستغاث ، ولا مانع من جعل النداء للاستغاث ، وحينئذ تكسر لامه على أن تكون لام المستغاث لأجله ، والمستغاث محذوف .

(٤) البقيع : مقبرة بالمدينة المنورة ، دفن فيها كثير من الصحابة ، ومنهم عثمان بن عفان . وقبا : موضع قرب المدينة نزل به النبي صلى الله عليه وسلم عند ما هاجر إليها ، وبني فيه مسجدا يعرف بمسجد قباء ، وقوله ومن شهدوا المنتح : أراد بالفتح فتح مكة . وبالخندق : يوم الخندق في المدينة ، وهو يوم مشهور .

(٥) رؤيدا : أى مهلا . وأمضاك : أى أوجعك وآلك .

إذا أنتِ بالسيفِ لم تُرجعي فلا حبّذا العيشُ لاحبّذا
ألا أنتِ «ألزاسُنا» فاسمعي ونحن الفرنسيس من بعد ذا^(١)
سلامٌ على قطركِ المُجَنَّبِي سلام على أفقكِ المُنتَقِي
أَيُّمَسِي لِسِرِّكَ العِدا مَلْعَبَا وكان لتوحيدنا مَعْبَقَا
* * *

لقد حلّ فيها لواءٌ مُريبٌ حلولُ الحقارة بين الجلال^(٢)
فظَلَّتْ بِأدمعها والنحيبُ تنسوحُ على نجمها والهلالُ
أَنزَنِي أدرنةَ عما قريبُ إذن لا بلغنا العلى والسكّالُ
فسوف على الرغم من أوربّا نقوم لها فيلقا فيلقا
فتُبكي هزاهزنا المغربَا وتضحك أسيافنا المشرقَا^(٣)
* * *

أرى الدهرأنهض كلَّ العدا على حين قد قعدَ المسلمونُ
فكم جرّعونا كئوس الردى ونحن على كيدهم صابرون
أَيَحْسُنُ ياقومُ أن نقعدَا وقد آن أن ينهض القاعدونُ
فَسِيلُ المصائب غَطِي الزُبَى وغيمُ النوائب قد طبّقَا^(٤)
وأوشكت الأرض أن تُقلبا وصبحُ القيامة أن يفلقَا
* * *

دع الغربَ ينعِم في باله وإن لقي الشرقُ منه الكُروبُ
ولا تسألنه بأفعاله فعهدُ التمدن عهد كذوبُ
فنحن اغترنا بأقواله ولكنّا بعد هذى الحروبُ

(١) «ألزاس» : مقاطعة من بلاد فرنسا ، كانت قبل الحرب عند الألمان . يقول مخاطب
أدرنة : أنت ألزاسنا ، أي أنت عندنا بمنزلة الألزاس عند الفرنسيين ، لا ننساك كما لم ينسوها .
(٢) لواء مريب : أي مقلق ومزعج . (٣) هزاهزنا : أي وقائعنا وحروبنا .
(٤) قوله « فسيل المصائب غطي الزبي » : أي اشتد الأمر ، حتى انتهى إلى غاية بعيدة .
والزبي ، بالزاي المعجمة ، كالزبي بالراء المهملة : وزنا ومعنى .

سنأبى عليه أشدَّ الإبا فإما الفناء وإما البقا
ونركبُ من عزمنا مَرَكبا ونرقى وإنَّ صَعْبَ المرتقى

لقد آنَ يا قومُ تركُ الونى وتركُ الشَّقاق وتركُ الدَّدر^(١)
إلى كم نكابد هذا العنا ونخبطُ في جهلنا الأسود
وبالعلم من قبل نلنا المنى وفزنا من العيش بالأرغد
ولكنما العلمُ قد غربا فلا عيش إلا إذا شرقا
فهبوا إليه هبوب الصَّبا عسى أن يسحَّ ويغدو دقا

الجيش بقائده^(٢)

أوهزيمة «لولا برغاز»

ياموطننا ما انتضيهاها مُهنَّدةً إلا لردع الأعداى عن إهانتها
ولا ركبنا مَنايانا مطَّمةً إلا لنكسب عزاً من صياتها
سقىا ورعيا لروض منك ذى أنقى

قد كادت الحربُ تَدُوى غصنَ بانته^(٣)

تالله لم ينكسر فى الحرب عسكرنا من أجل قِلته أو من جبانته
وكيف وهو تفوق الطَّيسَ كثرته وتستعيرُ الرَّواسى من رزانتها^(٤)

(١) الدد : اللهو واللعب .

(٢) قال الرصافى هذه القصيدة لما انكسر الجيش العثمانى فى معركة « لولا برغاز » وذلك فى الحرب البلقانية العثمانية ، وكان قائد الجيش العثمانى اذ ذاك ناظم باشا ، الذى قتله الاتحاديون فى الآستانة .

(٣) قوله « ذى أنقى » بفتحين : أى ذى نبات حسن معجب . وهو فى الأصل مصدر ، فسعى به النبات المذكور . وتذوى : تذبل .

(٤) الطيس : كل ما فى وجه الأرض من التراب والقمام ، والكثير من الرمل وغيره . والراد به هنا مجرد الكثير .

اكن قائده ما كان يمانه
 حتى لقد نفذت في الحرب عينته
 فظل يرسف في النيران مرتبكا
 حتى غدا جله للنار مأكلة
 ولا استكان لهول الحرب من فرقى
 فحاض غمر المنايا صابرا وأبي
 ليس الفرار لجند المسلمين ألا
 وكيف يغلب جيش كان قائده
 فالجيش تلتهم النيران أنفسه
 أقام في القصف والأجناد طاوية
 صبحان غبقان في أقصى معسكره
 تلقاه من بين ذاك الرهط في مراح
 لهفي على الجيش جيش المسلمين فقد
 ولا يبالي بأمر من معانته^(١)
 بحيث لم يبق سهم في كنانته^(٢)
 مستفرغا كل جهد من متانته^(٣)
 وما ترحز شبرا عن مكانته
 بل كان يفرق من هول استكانته^(٤)
 على الفرار انفجارا في مهانته
 إن الفرار لكفر في ديانته
 يحفه بمجوش من خيانتته
 وقائد الجيش لاه في مجانته^(٥)
 معاقرا بهناء بنت حانته^(٦)
 محرورا بين رهط من بطانته
 كأنه الجأب ينزو بين عانته^(٧)
 قضى ولم يقض شيئا من لبانته

(١) قوله « ما كان يمانه » أى ما كان يقوته . يقال مأن القوم بمأنتهم مأنا : إذا احتملوا وتوكلوا على قوتهم . والمأنة : العون كالمعونة .

(٢) قوله « نفذت عينته » المينة بالسكسر : مادة الحرب ، وهى ما تسميه العامة اليوم بالمهمات الحربية .

(٣) يرسف : أى يعمى متاثلا مشى المقيد . وقوله « في النيران مرتبكا » : أى ناشبا فيها مضطربا .

(٤) استكان : ذل وخض . « ومن فرق » بفتحين : من خوف . ومعنى البيت أنه ذل ولا خض لهول الحرب ، بل كان يرى الاستكانة لذلك هولا ، فهو يخاف من هذا الهول لا من هول الحرب .
 (٥) في مجانته : أى في لهوه ولعبه .

(٦) أقام في القصف : أى فى الأكل والشرب والاهو .

(٧) الجأب : الفجل الغليظ من حمر الوحش ، والعانة : القطيع من حمر الوحش .

الوطن والجهاد^(١)

يا قومُ إنَّ العِدَا قد هاجموا الوَطَنَا

فانضُّوا الصَّوَارِمَ واحمُوا الأهلَ والسَّكَنَا^(٢)

واستنفِروا لعدوِّ الله كُلَّ قِتَّى من نأى في أقاصى أرضكم ودَنَا

واستنهضُوا من بنى الإسلامِ قاطِبَةً من يَسْكُنِ البدو والأريافَ والمُدُنَا

واستقتلوا في سبيلِ الذودِ عن وَطَنٍ به تقيمون دينَ الله والسُّنَنَا

واستلثموا للعدَا بالصبرِ واتخذُوا صدقَى العزائمِ في تدميرهم جُنُنَا^(٣)

واستنكفوا في الوغَى أن تلبسُوا أبدَا

عارَ المَزيمةِ حتى تلبسُوا الكفَنَا

إن لم تموتوا كرامًا في مواطنكم مُتُّمٌ أذلاءً فيها مِيتَةٌ الجَبَنَا

لا عذرَ للمسلمينَ اليومَ إن وهَنُوا في هَوَاشَةٍ ذلَّ فيها كلٌّ من وَهَنَا^(٤)

ولا حياةَ لهم من بعدُ إن جَبَنُوا كلاً وأى حياةٍ لاذى جَبَنَا

عارَ على المسلمينَ اليومَ أنَّهم لم ينقذوا مصرَ أو لم ينقذوا عَدَنَا

قلْ لِحُسَيْنَيْنِ في مصرٍ رُوِيَ كَمَا قد خنما الله ولإسلامِ والوطنا^(٥)

شايعًا الإنكليزَ اليومَ عن سَفَهٍ تالله ما كان هذا منكما حسَنَا

قد بعثا الدينَ بالدنيا مُجَازِفَةً فكنتما في البرايا شَرًّا من غُبِنَا

(١) قال الرصافي هذه القصيدة عند دخول الدولة العثمانية في الحرب العامة الكبرى يستنهض المسلمون إلى الجهاد في سبيل الذود عن الوطن .

(٢) الكن ، بالتحريك : كل ما يسكن إليه وفيه ، ويستأنس به .

(٣) استلثموا : تدرعوا . وقوله : « جننا » جمع جنة ، بالضم ، وهي كل ما وقى من سلاح .

(٤) في هوشة : الهوشة : الفتنة والهيج والاضطراب . وأراد بها الحرب العامة .

(٥) يعني بالحسينين : حسين كامل ووزيره حسين رشدى .

لا تفرحوا بالوسامين الذين هما
قد مثلاً منكم للناس قاطبةً
ما ازدان صدرا كما شيئاً بحملهما
إن الحية لم تنظر بمقلتها
ما كان أغلاها إذ قد غدت لهما
ستندمان ولا يُجديكما أبداً
هذى جيوش بنى التوحيد زاحفةً
اترسلن عليكم كل راعدةٍ
حتى تعود إلى مصر كرامتها

طَوْقًا إِسَارَةً مِصْرٍ فَيْكُمَا اقْتَرَنَا^(١)
عَجَلًا أَضَلَّ الْوَرَى مِنْ قَبْلُ أَوْ وَثْنَا
بَلْ أَصْبَحَا فِي كَلَا صَدْرِيكُمَا دَرْنَا
إِلَى وَسَامِيكُمَا إِلَّا بَكَتْ حَزَنًا
خَزَائِنُ النَّيْلِ فِي أَيْدِي الْعَدَا ثَمْنَا
أَنْ تَقْرَعَا السَّنْ أَوْ أَنْ تَقْبِضَا الذَّقْنَا
عَلَى الْعَدَا وَعَلَى مَنْ ضَلَّ مَفْتَنَنَا
تَهْمِي الدَّمَاءَ وَتَمْرِيهَا ظُبِّي وَقْنَا
وَيَطْهَرُ النَّيْلُ مِنْ مَاءٍ بِهِ أَجْنَا

لازلت يا وطن الإسلام منتصرًا
يرد عنك يد الأعداء خاسرةً
سعديك من وطن جلّت مفاخره
تالله إن معاليك التي سلفت
كم قد أقيمت على الأيام من شرف
إننا نحبك حبًا لا انتهاء له
نفديك منّا بأرواح مطهرة
إذا دهمت من الأيام داهيةً
وإن فتنت بإحدى المزعجات نرق
فقر عينا وطب نفسا وعش أبداً

بالجيش يزحف من أبنائك الأمانا
ويكشف الغم عن أفتيك والمحننا
عن الزوال فلا تخشى بلى وفنا
تعي الفصاحة والتبيان واللسنا
لنا وأنت من نبع العلى غصنا
يستغرق الأرض والأكوان والزمننا
أخلصن لله فيك السر والعلنا
فلا رعى الله عينا تألف الوسنا
مننا الدماء إلى أن نخمد الفتننا
وفز بما شئت من حمدٍ وطيب ثنا

(١) يشير إلى الوسامين الذين أهدتهما الحكومة الانكليزية إذ ذاك إلى حسين كامل وحسين رشدي .

وَرُبَّ مُسْتَصْحَبٍ لِي قَالَ بَخِيرْنِي
فَقُلْتُ : دَعْ عَنْكَ هَذَا ، إِنَّهُ خَيْرٌ
إِنْ صَحَّ أَنَّ الْعَدُوَّ الْيَوْمَ مُقْتَرِبٌ
إِنْ الْعِرَاقَ لِعَمْرٍُ اللَّهِ مَسْبُوعَةٌ
دُونَ الْوَصُولِ إِلَيْهِ كُلُّ مُشْعَلَةٍ
فَإِنْ فِيهِ رَجَالًا مِنْ بَنِي مُضَرٍّ
قَوْمٌ لِقَاحُ آبَا أَنْ يَخْضَعُوا أَبَدًا
تَحْمَلُوا كُلَّ عِبٍّ فِي حَيَاتِهِمْ
لَوْ أَنَّ أُمَمَاتِهِمْ مَنَّتْ عَلَى أَحَدٍ
هُمْ الْمَغَاوِيرُ إِنْ صَالُوا بِمَلْحَمَةٍ
بَنَوْا فَأَعْلَوْا بِنَاءً الْمَجْدُ فَارْتَفَعُوا
فَكَيْفَ تَقْعُدُ عَنْ حَرْبِ الْعَدَا فِتْنَةٌ

إِنَّ الْعَدُوَّ إِلَى أَرْضِ الْعِرَاقِ دَنَا
سِوَاهُ يَبْعَثُ فِي أَحْشَائِي الشَّجَنَاءَ
إِلَى الْعِرَاقِ فَقَدْ أَكْدَى وَقَدْ أَفْنَا^(١)
تَوَائِبُ الْأَسَدُ فِيهِ مِنْ هُنَا وَهُنَا
شَعْوَاهُ تَتْرَكَ وَجْهَ الشَّمْسِ مَكْتَمَنَا^(٢)
إِذَا تَحَارَبُ لَا تَسْتَفِيعُ الْهَدَنَاءُ
إِلَى الْمُلُوكِ وَإِنْ أُعْطَوْهُمْ الْمُدُونَا^(٣)
إِلَّا الصَّغَارَ وَإِلَّا الضَّيْمَ وَالْمَمِينَا
مَنْهُمْ بِالْبَانِيَا لَمْ يَشْرَبُوا اللَّبْنَا
فَلَا يَرَوْنَ لَهُمْ غَيْرَ الْمُنُونِ مِنْ
بِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ قَدْ شَادَهُ وَبَنَى
أَبَتْ سِوَى الْعِزِّ مَأْوَى وَالْعُلَى وَكُنَا^(٤)

(١) أَكْدَى : أَخْفَقَ ، وَلَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ . وَأَفْنَى : ضَعَفَ رَأْيَهُ وَطَاشَ .
(٢) مُشْعَلَةٌ : بِصِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ : صِفَةُ الْمَوْصُوفِ مَحْذُوفِ أَيْ غَارَةِ مُشْعَلَةٌ ، وَهِيَ الْغَارَةُ الْمُتَفَرِّقَةُ
الَّتِي تَنْصَبُ مِنْ كُلِّ أَوْبَةٍ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ شَعْوَاهُ : أَيْ مُتَفَرِّقَةٌ . وَالْمَكْتَمُنُ : الْخُتْمَانِي .
(٣) قَوْمٌ لِقَاحُ : أَيْ لَا يَدِينُونَ الْمُلُوكَ ، أَوْ لَمْ يَصْبِهِمْ سِبَاءٌ ، فَقَوْلُهُ « أَبَوْ أَنْ يَخْضَعُوا » الْح :
بِعَنْزِلَةِ التَّفْسِيرِ لِقَوْلِهِ قَوْمٌ لِقَاحُ .
(٤) قَوْلُهُ وَالْعُلَى وَكُنَا : أَيْ وَأَبَتْ سِوَى الْعِزِّ وَالْعُلَى وَكُنَا ، وَهِيَ جَمْعُ كُنَى ، وَهِيَ مَأْوَى الْعَائِثِ .
وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا الْمَأْوَى مُطْلَقًا .

رؤياى الصادقة

حيّاكم الله أيها العربُ فاستمعوا لى قصصى عجب
قد بتها ليلةً مطوّلة يعقد جفنى بنجمها الوصب^(١)
أنجمها الزهر غير سائرة كأنما كل نجمة قطب
تحسبى فى مضاجعى حسك^(٢) يتقلبى وخزّه فأقلب^(٣)
أمشى إلى النوم وهو منهزم مشى ديب ومشيّه حَب
حتى بدا الفجر لى وقد طَفقت تغرق فى فيض نوره الشهب
عندئذ خدر الأسى عصبى فتمت والنوم جرّه التعب
فطاف بى طائف لرؤيته يرتجف القلب وهو مرّ تعب
رأيتنى قائما على نشز^(٤) من ساحل البحر وهو مضطرب^(٥)
والأفق محمّرة جوائبه كأنما الجوّ ملؤه لهب
وفى عنان السماء قد طلعت أهلة فى إزائها صلب
والأرض قد بُعِثت ضرائحها مكشوفة لا تغمها التراب
والموت كالكبش فى جوائبها يرعى نفوسا كأنها عشب
وبين تلك القبور غانية ياعم فى حرّ وجهها الحسب^(٦)
لها جبين كأنه قمر تحت شعور كأنها الذهب
ووجنة باللّطام دامية تحملها دون سوقها الركب^(٧)
قد أذبل الجوع وُرد وجنتها فاصفرّ وامتنصّ ماءه اللّغ^(٨)
شاخصة الطرف وهى جائية تحملها دون سوقها الركب

(١) الوصب : المرض والوجع الدائم .

(٢) الحسك بالتجريك : عشبة شوكها مدحرج . والمراد به هنا مطلق الشوك . وقوله « فى

مضاجعى » خبر مقدم . وحسك : مبتدأ مؤخر . والجملة : مفعول ثان اتحسبى .

(٣) الذنز ، التجريك : المكان المرتفع .

(٤) حر الوجه : ما بدا من وجنتيه أو ما أقبل عليك منه . (٥) اللغ : بفتحين أشد الاعياء .

حاسرة الرأس غير ناطقة
فلحظها فوق رأسها صعد
مكتوفة الساعدين منكسر
قد وتدوا القيد في مخايلها
ترى خدوشا على مقلدها
وحولها أنفـس مـصرعة
واحتوشتها كلاب مجزرة
تنهشها تارة وآونة
وفوقها الطير وهي حائمة
بيض المناقير ذات أجنحة
يقدمها طائر قوادم—
تضطرب الأرض والسماء له
وقفت أرنو إلى ملاحها
حتى تعلمت أن سجنتها
وبينا كنت ممعنا نظرى
إذ هاتف في السماء يهتف بى
يقول لى إنها « طرابأس »
وهذه الطير حيث تبصرها
فتلك رؤياى غير كاذبة

إلا بدمع لسانه ذرب^(١)
ودمها تحت رجلها صب
من حزن طرفها ومكتب
ومددوه كأنه طنب^(٢)
كأنها فى صفيحة شطب^(٣)
يسرح فيها ويمرح العطب
مهترشات يهيجها الكلب^(٤)
تنبح من حولها وتضطرب
تبعد من رأسها وتقرب
خضر وریش كأنه العطب^(٥)
تلمع كالبرق حين يلتهب
إذا غدا بالجنح يضطرب
ووجهها بالدموع منتقب
للعراب الأكرمين تنتسب^(٦)
فيها وقلبي كقلبها يجب
كأنه فى الغمام محتجب
تبكى على أهاها وتنجب
محمد والصحابة الثجب
فيل تغيثون أيها العرب

(١) ذرب : بفتح فكسر : أى حديد ، يقال : هو ذرب اللسان : أى حديده .

(٢) وقد وتدوا : أى ثبوا . ويجوز أن يقرأ بتشديد التاء أيضا .

(٣) الصفيحة : السيف العريض ، والشطب : جمع شطبة ، كظلمة ، وهى طريقة السيف فى مقناه .

(٤) قوله « واحتوشتها » : أى أحاطت بها ، فجعلتها فى وسطها ، والمجزرة : موضع إجتزار

الجزور ، ومهترشات : متواتبات ، متحرشا بعضها على بعض .

(٥) العطب ، بضمين ، وبضم فسكون : القطن . (٦) السحنة ، بفتح السين : الهيئة واللون .

يا شيخ روما ومن لرايته وتاجه يُنتمى ويُنسب
 لست ولا قومك اللام بمن تعرف أمّ لشلم وأب
 وإنما أنتم بنو زمن إذا ذكرناه فنجل الحقب
 بروية قبل وهي مبلولة بالسكم الدهر وهو مغرب
 فعشتم في الورى سواسية لا حسب عندكم ولا أدب^(١)
 ما أوقد الدهر نار محزية إلا وأنتم لتارها حطب
 أغسل شعري إذا هجوتكم لأنه من هجاءكم جُنب

أنشودة الحرب

نحن للحرب العوان ولإدراك الأماني
 لا نعدّ العرس إلا يوم ضرب وطعان
 يوم نحسو من دم ال أعداء لا بنت الدنان
 ما صليل السيف إلا عندنا صوت المثاني
 شغنا الحب لبيض السهند لا البيض الحسان^(٢)
 نشتهى غممة الأبطال لا عزف القيان^(٣)
 نحن لا نفخر إلا بلسان من سينان
 شيم ينظر من تحّت إليها الفرقدان
 وبها قد شهد النجوم أنا والقمران
 ملّ بنا كل زمان سلّ بنا كل مكان
 هل بنينا المجد إلا بالحسام الهندوانى

(١) سواسية : أى متساوين فى الحسة واللؤم .

(٢) شغنا الحب : أى هزلنا وأوهنا .

(٣) غممة الأبطال : أصواتها عند القتال . والعزف : الصوت فى الغناء . والقيان : جمع قبنة
 وهى الجارية المغنية .

كم جلونا عُمّة الهيجاء ذات المَعَمَّان (١)
 بسيف أضحكت في الرّوع وجه الحدّثان
 وكاة بُبِتْ حَيْثُ تَزَلُّ الْقَدَمَان
 كل رَحَب الباع صَعْبُ الْمُتَقَيَّ ثَبَتِ الْجَنَان
 رابطِ الجأش وقور النفس جَوَّالِ الْعِنَان
 حيث شخص الموت في المَأْزِقِ بادٍ لِلْعِيَان (٢)

* * *

يا عُلُوج الصُّرْب والبُلْغار أولاد الزواني
 لم يكن إبعادكم بالـحرب غير الهذيان
 إنما الحرب لدينا من تمام الحيوان (٣)
 فاتركوا الإبعاد يا أَبْنَاءَ حَمراءِ الْعِجَان (٤)
 ودعوا الحرب فليس الـحرب من شأن الجبان
 وتزيّوا يا مخائيلُث بأزياء الغواني
 إنما أنتم تيموسُ أولعت بالـنزوان
 سوف تُرْمَوْنَ من الرّعب بدءاً اليرقان
 وستُذْمَوْنَ بقرع السنّ أطراف النّيسان
 وتذوقون من الموت الزّوام الأرجوان
 حين تلقون أسوداً طافحات الهيجان
 ذات بأس يترك الصخّر قرين الذّوبان

(١) ذات المعمان : أي ذات الحر الشديد .

(٢) المأزق ، كجلس : موضع الحرب .

(٣) قوله « من تمام الحيوان » : أي من تمام الحياة .

(٤) قوله « يا أبناء حمراء العجان » : أي يا أعاجم ، يقال : يا بن حمراء العجان . أي يا أجمي ؛ وهي كلمة شتم ، كانت تجري على ألسنة العرب . وفي حديث علي أن أجمياً عارضه فقال : اسكت يا بن حمراء العجان .

وزئير تأخذ الأَرْضَ ضَ لَه بِالرَّجَفَانِ
 وقلوبٌ طَبَعَتْ مِنْ حَدَّةِ السَّيْفِ الْيَمَانِي
 جَهَلَتْ فِي غَيْرِ مَا الرَّا يَهْ مَعْنَى الْحَقَّقَانِ
 إِنَّمَا نَحْنُ كَرَامَ عِزَّنَا غَيْرُ مُهَانٍ ^(١)
 نَتَفَانِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدَّ عَنْ هَذِي الْمَعَانِ
 نَشْتَرِي الْمَوْتَ بِنَقْدِ الرَّحْمَةِ فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ
 إِذْ نَقِّمُ الْمَوْتَ مَعْرَا جَاءَ إِلَى أَعْلَى الْجِنَانِ
 سَوْفَ نَكْسُو الْحَرْبَ ثَوْبًا لَوْنُهُ أَحْمَرُ قَانِ
 فَتَضُكُونَ الْأَرْضَ مِنْهَا وَرَدَةً مِثْلَ الدَّهَانِ ^(٢)
 قَدْ أَظْلَمَتْهَا سَمَاءُ مِنْ شَوَاطِئِ وَدُخَانِ
 تَرْسُلُ الْمَوْتَ عَلَيْكُمْ فِي شَأْيِيبِ الْهَوَانِ
 فَيَقِيمُ الذِّلُّ فِيكُمْ مُلْقِيًا كُلَّ جِرَانٍ ^(٣)

(١) أى أن هذه القلوب لا تخفق من الخوف ، فهي تجهل معنى الحققان ، ولا تعرفه يكون إلا في راياتها في الحرب .

(٢) وردة : أى وجرء . الدهان : الأديم الأحمر .

(٣) الجران : من البعير مقدم عنقه ، من مذبحه إلى منحره ، ومعنى كونه ملقيا كل جران : كونه ثابتا مقبلا .

الشيطان والظليان

قالها بمناسبة دخول إيطاليا في الحرب العامة

رأيت إبليسَ عدوَّ البشرِ
قد لبسَ الوشَى على قبحه
وهو يهتئ حزبه قائلاً
اليومَ قد طابت لنا أمةٌ
واليومَ قد هان الخلود الذي
إذ أمةُ الظليان قد أصبحت
زلتْ إلى العار بها زلةٌ
فهي التي هان بكفرانها
لو ألقى الصخر بمخزاتها
ولو أصاب البحر من عارها
يخطب في جمع له قد حضر
وخضب الشيب وقصَّ الشعر
يا مَنْ عصى الله ومن قد كفر
جاءت من الله بحكم القدر
قدّره الله لنا في سقر
أكبر من خان ومن قد غدر
شنعاء لا تُحمى ولا تُغفر
كفران من زاع وأبدى البطر
لأنفت من فرط الحيا وانفطر
لغار منه ماؤه وانحسر

* * *

نحن الشياطين على أننا
عبرنا إلى جنب بني رومة
فلا نبالي اليوم من لامنا
إذ في بني رومة عذر لنا
فهم على الله لنا حجةٌ
وأن يوماً تقضوا عهدهم
فلنتخذهم خير عيدٍ لنا
ولنَجعلنه يومَ أفراحنا
جئنا من اللوم بإحدى الكبر
ننفر من نافرنا وافتخر
في رفضنا آدم أو من عذر
يستسلم السمع له والبصر
في أننا أفضل هذا البشر
فيه ليوم خزيه مبتكر
نذكر فيه فوزنا والظفر
نجنى به الأنس ونقضى الوطر

* * *

ثم انشأ الشيخ أبو مرة
حتى إذا أكل أشراطه
ثم دعا من بينهم واحدا
وقال يا « خنزب » باهر إلى
واذهب إلى « عماويل » الذي
وقل له إن أبا مرة
فإن يقل أين ؟ فقل : إنه
مقعد خزي كتبوا حوله

يرقص فيما بين تلك الزمر
رنا إليهم وأحد النظر
مشوه الوجه كثير القدر
رؤمة وأدخلها قبيل السحر
دب البلي في مجده فاندثر
أحاك يدعوك إلى المستقر
في دركة سافلة من سقر
بأحرف النيران : أين المفر ؟



وتشمل بعض قصار القصائد

قصر الحمراء

قِفْ عَلَى الحمراء وَأَنْدُبْ مُضَرَ الحمراء فِيهِ (١)
وَأَسْأَلُ الْبَنِيانَ يُتَبُّكَ بِأَنْبَاءِ ذَوِيهِ
وَيُحَدِّثُكَ حَدِيثَ الْمَجْدِ وَالْعِيشِ الرَّفِيهِ
بِكَلَامٍ مُحْزَنٍ اللَّهُمَّ جَعَلْهُ يُبْكِي مَنْ يَعِيهِ
فَيَقُولُ الْقَلْبُ آهًا وَقُولِ الْأُذُنُ إِيهِ (٢)
صَاحٍ لَوْ كَانَ لَذَا الدَّهْرِ حَيَالًا يَقْتَنِيهِ
مَا رَمَى الْعُرْبُ أَبَا الضَّحِيمِ بِالْخَطْبِ الْكَرِيهِ
لَا وَلَا جَرًّا بَغَرْنَا طَةً أَذْيَالَ سِنِيهِ
حَيْثُ هَذَا الْقَصْرُ أَمْسَى خَالِيًا مِنْ مَبْتَنِيهِ
فَازْدَرِ الدَّهْرَ وَسَفَّهُ كُلِّ مَنْ لَا يَزْدَرِيهِ
وَإِذَا كُنْتَ حَلِيمًا فَابْكِ مِنْ دَهْرِ سَفِيهِ

ياضاربا بالكمان

ياضاربا بالكمان يَفْتَنُ كُلَّ افْتِنَانٍ
سَحَرَتْ سَمْعِي وَعَقْلِي بِصَوْتِ تِلْكَ الْمَثَانِي (٣)
ضَرَبْتَ لَحْنًا بَدِيعًا حَوَى بَدِيعَ الْمَعَانِي
فَكَانَ شَيْئًا عَجِيبًا إِذْ سَرَّتْنِي وَشَجَانِي

(١) مضر: مضاف إلى الحمراء ، والمراد بالخرء الذهب .

(٢) إيه : اسم فعل ، للاستزادة من حديث أو فعل .

(٣) المثاني : جمع مثني ، وهو الوتر الثاني في العود .

يَا دَهْر

أُطَلَّتْ يَا دَهْرُ نَحْسِي مَتَى تَجُودُ بِسَعْدِي
فَقَدْ تَضَاءَلُ صَبْرِي كَمَا تَعَاظَمُ وَجْدِي
إِذَا تَعَشَّقْتُ هُنْدًا مَنَحْتَنِي وَصَلَ دَعْدِي
وَإِنْ تَعَشَّقْتَ دَعْدًا مَنَحْتَنِي وَصَلَ هِنْدِي
أَمَّا تَعَوَّدَتْ إِلَّا بِأَنْ تَجُودَ بِضِدِّي
إِنِّي أُرِيدُ عِدْوِي فَهَاتِ بَعْضَ أَوْدِي
وَجُدْ عَلَيَّ بِوَصْلٍ فَقَدْ رَضِيتُ بِصَدِّي
كَلًّا ، فَإِنْ مَقَالِي هَزَلٌ وَلَيْسَ بِمَجْدِي
بَلْ أَنْتَ أَحَقُّ عِنْدِي مِنْ أَنْ تَجُودَ وَتُجْدِي
إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ أَشَقَى بِأَوْجُهُ مِنْكَ رُبْدِي^(١)
رَبَّاتُ عَنْكَ بِذِمِّي كَمَا رَبَّاتِ بِحِمْدِي^(٢)
إِذْ لَسْتَ أَنْتَ بِكُفِّي وَنَسْتَ أَنْتَ بِبِدِّي
لَوْ كُنْتُ بِدَهْرٍ حُرًّا وَجِئْتُ تَخْدُمُ عِنْدِي
لَمَا ارْتَضَيْتُكَ عَبْدًا وَلَا خُوَيْدِمَ عَبْدٍ
وَكَيْفَ أَرْضَاكَ عَبْدًا وَأَنْتَ أَوْغَدَ وَغَدِي^(٣)

الحقائق الملعنة

لَقَنْتُ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ حَقَائِقًا فِي الدِّينِ تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَفْهَامُ
ثُمَّ انْقَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَطَيْشُهُ فَإِذَا الْحَقَائِقُ كُلُّهَا - أَوْهَامُ

(١) رِبْدٌ : جَمْعُ أَرْبَدَ وَهُوَ الَّذِي تَغْيِرُ مِنَ الْغَضَبِ .

(٢) رَبَّاتٌ : تَرَفَعْتَ عَنْكَ . (٣) الْوَغْدُ : اللَّيْمُ الْحَقِيرُ الْأَصْلُ

الخطوة الأولى

قدم السيد عادل جبر إلى الرضا تصويراً شمسياً به صورة
ابنه الصغير ، لأول عهده بالمشي ، وطالب إليه أن يكتب عليه
شيئاً من الشعر ، فكتب الآيات الآتية :

يَا عَمْرُكَ اللَّهُ مِنْ وَلِيدٍ يَسُرُّهُ اللَّعْبُ بِالنَّغِيرِ^(١)
لَا زِلَّ فِي طَالِعٍ سَعِيدٍ فِدَى لَكَ الْبَدْرُ مِنْ قُمَيْرٍ

لَمْ تَرَهُ مُقْلَتَايَ إِلَّا أَحْسَسْتُ فِي النَّفْسِ بَارْتَعَاشٍ
فِي الْعَيْنِ أَمَ الْفَوَادِ أَحَلَّى مُرَاهُ مَذْقَامٍ وَهُوَ مَاشٍ

مَشَى عَلَى الْأَرْضِ بَارْتَعَاشٍ ثُمَّ حَبَا وَاضَعَ الْيَدَيْنِ
إِذَا لَمْ يَزَلْ لَيْقَ الْمَشَاشِ أَفْذِيهِ بِالرُّوحِ مِنْ غُصَيْنِ^(٢)

وَيْسَكَ دَاوُدُ مِنْ شَبِيلٍ نَوَالِدٍ مِنْجِبٍ هِرَزَرِ^(٣)
بَدْرُ بَكِ انْجَابٍ كُلُّ لَيْلٍ عَنْ أَبِيكَ الْعَادِلِ بْنِ جَبْرِ

وجه نعيم

أَسْبَغَ اللَّهُ نَعِيمَ الْحُسْنِ فِي وَجْهِ نَعِيمٍ
قَرُّ أَغْنَى فِي الْإِشْرَاقِ عَنْ لَيْلٍ بِهِمٍ
عَلَّمَ النَّاسَ صَحِيحَ السَّحْبِ بِالطَّرْفِ السَّقِيمِ
يَرْجِعُ السَّحَرُ بَعِينِهِ إِلَى عَهْدِ الْكَلِيمِ

(١) النغير ، بصيغة التصغير : الببيل الصغير ، أو فرخ العصفور .

(٢) المشاش : جمع المشاشة ، وهي رأس العظم الين .

(٣) ويسك : كلمة ترحم وتعجب مثل ويحك . والشبل : ولد الأسد . والهرز : الأسد .

المغربي

مما كتبه تحت صورة شمسية له أهداها إلى العالم النحرير ،
والكاتب الشهير ، الشيخ عبد القادر المغربي :

إلى المغربي الحبر أهديتُ صورتي تذكّره مني صداقةً صادقٍ
وتؤذنه بالودّ وهي خيالة وربّ خيالٍ مؤذِنٌ بالحقائق
وإنّ لعبد القادر الفضلَ كلّهُ بما أوضحت أعلامه من دقائق
ففي العلم زائنه العلومُ بنورها كما زانها منه بحسن الخلائق

ومما كتبه تحت صورة فتوغرافية أيضا ، أهداها إلى
الأديب الكبير إسحاق التاشيبي المقدسي ، قوله :

صفّا لك فيّ يا إسحاقُ ودُّ صميمٌ ما لصحتّه اعتلالُ
فخذُ تمثالٍ خلّ ذي ودادٍ يمثّل صدقه لك ذا المِثالُ
خيالٌ حقيقةً ولربّ شيءٍ يدلّ على حقيقته الخيالُ
ولست ممّا ذقا في الودّ خلّي إذا مَذَقْتَ مودتها الرجالُ (١)
ومثلك من تُجاد له القوافي ويُحمد في فضائله المقال

ومما كتبه أيضا تحت صورة شمسية أهداها إلى صديقه
الفاضل عادل جبر المقدسي ، قوله :

إليك عادل جبرٍ رسمَ ذي مِقَّةٍ من أصدقاؤك حيّادٍ عن القنَدِ (٢)
لو تدرك الشمسُ ما في القلب من شَغَفٍ

لصوّرتُ لك ودًّا جلّ في خَلَدِي

لكنها خلّقت عن ذاك عاجزةً فصوّرتُ لك مني ظاهر الجسدِ
فأقبله تذكّرةً في الدهر باقيةً بقدر حبّيك حتى آخر الأبدِ
فأنت أكرم من صادقتهُ خلُقًا وأبعد الناس عن غلٍّ وعن حسدِ

(١) مذاق : خاط .

(٢) المقة : المحبة ، والقنَد : الكفر بالنعمة ، والكذب .

واستعار وهو في القدس كتابا من إسعاف النشاشيبي ،
ثم أعاده وقد كتب عليه هذين البيتين :

آل النشاشيبي إن الله أسعفكم على التقدّم للعليا بإسعاف
ذاك الذي أشرفت بالعلم همته على سماء المعالي أي إشراف

من هذا ! !

نُحَاصُّ مُنْكَشِفَ إِخْلَاصُهُ عَنْ رِيَاءٍ فِيهِ تُخْفِيهِ الْأَنَانَةُ (١)
وَأَمِينٌ قَدْ جَرَتْ أَطْمَاعُهُ بِسِمُولِ الْغَشِّ فِي وَادِي الْخِيَاثَةِ
لَوْ دَرَّتْ كُلُّ خِيَانَاتِ الْوَرَى بِالَّذِي فِيهِ تَسَمَّتْ بِالْأَمَانَةِ
تَرْكَبُ الْفُجْشَ رُجُولِيَّتُهُ بَعْنَانَيْنِ : نَعُوْظُ وَعَنَانُهُ

من مطبخ الدستور

معربة عن التركية بتصرف ، للشاعر التركي توفيق فسكرت بك .

كلوا يأيها السادة كما تُنْكَرُهُ الْعَادَةُ
كلوا من مطبخ الدستور رَأْكَلَ السَّاسَةِ الْقَادَةِ
كلوا بالسبعة الأمعا ء حَتَّى تُنْفِذُوا زَادَهُ
كلوا لا تَخْشَوْا النَّاسَ فَإِنَّ النَّاسَ مُنْقَادَهُ
كلوا لا تَخْشَوْا الدَّهْرَ فَأَمَّ الدَّهْرَ قَوَادَهُ

الوزارة عندنا

إنَّ الْوِزَارَةَ « لَا أَبَالِكَ » عِنْدَنَا ثَوْبٌ يَفْصَلُ فِي مُعَامَلِ أَنْدَنَا
لَا يَرْتَدِيهِ سِوَى أَمْرِي أَضْحَى لَهُ طَبْعًا وِدَادُ الْإِنْكَلِيزِ وَدَيْدَنَا (٢)

(١) الْأَنَانَةُ وَالْأَنَانِيَّةُ : لَفْظَانِ صَاغِيَهُمَا الْمُحَدِّثُونَ مِنْ لَفْظِ أَنَا ، لِمَعْنَى الْأَثَرَةِ .

(٢) الْوَيْدَانِ : الطَّبْعُ وَالْعَادَةُ .

عبد اللطيف باشا المنديل

عبدُ اللطيفِ بفضلِهِ جعلَ الوري
ورثَ المكارمَ عن أبيه وجدّه
في الوجهِ منه ملامحُ عربية
في البصرةِ الفيحاءِ مدّ لبيتِهِ
فطريده فيها أذلُّ مُطرَد
حرُّ الضميرِ مؤيَّد بقطانة
إن قال حقًّا قاله بصراحة
لم يخشَ لومة لائمٍ وعذول

إلى السباعي

وقال وهو في دمشق جواباً عن كتاب أنابه به ابن سني
السباعي الدمشقي من أبيه ، يتضمن أبيانا من الوزن والروي :

إلى الرجل انكريم إلى السباعي
فتى أحبته قبل التلاق
ونكني رأيت له سليلا
ويحسب من دماثته جباناً
فقلت وقد رأيت به إباء
فشكرا يا سليم على نظم
فأنس غربتي وأسا جروحي
وما أنا لثناء يستحق
ولكن حسن ظنك بي دليل
فدمت بحسن معيكَ للمعالي
كتاب أخ نعهد أخيه راع
وكم حبّ تولد من سماع
كريم سجيّة وطويل باع
على ما فيه من خلق الشجاع
كذلك تكون أشبال السباعي
بعثت به مغترب مضاع
ونفس كُرْبتي وشفى صداعي
وإن أعطيتُ ملكة انيراع
على ما فيك من كرم الطباع
قرير العين مشكور المساعي

عفو بعد نفي

أنشدنا عمر الصالح أحد أصدقائه في القدس ، وذلك
عند قدوم عمر من عكة بعد أن نفي إليها سياسة :

أحرزت يا عمرُ المفاخرَ كلها فالبسُّ من العلياء ما تختارُ
أما البلادُ فقد حميتَ ذمارها لما أضاع ذمارها الأشرارُ
ولقد رعيتَ عهودها فتتوقلت في الناس عن رعياتك الأخبارُ
فإذا جرى ذكر الحمية بعد ذا أثنت عليك مواطن وديارُ
ولئن نفوك فإن نفيك لم يكن عارا عليك وأين منك العارُ
بل قد نفوك لأن أبيت هوانهم والنفي من دار الهوان فخارُ
هاجت لمنفأك الحفايظ فاعتمدت كالبحر هاج بلججه تيسارُ
شرف لعكة أن رأيت بك ما جدا بعلاه تفخر حمير ويزارُ
فالتقدس حاسدة عليك ربوعها والمسجد الأقصى عليك يغارُ
ولقد عفوا وهم الجئناة وإن عفا عنك المسيء فعفوه استغفارُ
ندموا فسميت الندامة عندهم عفوا وذلك منهم استكبارُ
أهلا بمقدمك الذي بسروره سيء اللئام وسرت الأحرارُ

الترامواي في الاسطوانة

سنة ١١٩٠

مرَّ الترام فقليل أركب فقلت لهم ذل امرؤ كان مرْكوباً له الكسَلُ
أما ترى وضعاف الخيل تسحبهُ كأنه جبل في الأرض ينتقل
يَحْكِي السِّلْحَفَاءُ في عَرَض الطريق وقد

أُمت بها في التَّائِي يُضْرَب المَثَل

ترى به أوجه الركاب عابسة من فوقها ضجر من تحته مَلَل
في جانبيه وفي أعلاه قد كتبوا بيتاً تمثّل في إنشاده الأول
« قد يدرك المتأني بعض حاجته » وقد يكون مع المستعجل الزلل »

لقيتها في الطريق

لقيتها في الطريق عابرةً يَهْصِرُ من قَدِّها تَبَخُّرُها
أعجبها مَنْظري وأعجبنى بالحُسْنِ عند اللقاء مَنْظَرُها
فصار قلبي بالحبِّ يأمرني وقلبيها بالغرام يأمرها
وحين مررت والشوق يسُكِّرني بخمرة تارةً ويسُكِّرُها
لَفْتُ جِيدي أرى أَتَنْظُرُني والتفتت لي ترى أَنَّنْظُرُها
فقلت والشوق فيَّ ملتهب إن عَذَرْتَنِي فسوف أعذِرُها

الدين والوطن

لا يَحْدَعُنْكَ هِتَافُ القومِ بالوطن فالقوم في السرِّ غيرُ القومِ في العلن
أُحْبِوْهُ الدينَ رَكَّتْ من تقادِمْها فاعتاض عنها الوريَّ أحيوْهُ الوَطَنَ^(١)
فما لهم غير صيد المال من غرض في اليوم والغد والماضي من الزمن
لم يقصدوا الخير بل يستذرعون به رميا إلى الشر أو قصداً إلى الفتن
فإن تهاون قوم فانهظر شغباً إذ ليس هدنتهم إلى على دخن

الحياة والأداة

وَطَنُ حَيَاتِكَ للمكارهِ وارْتَقِبْ كَدَرَ المَوَارِدِ إن صفا لك مَشْرَبْ
كل الأماكِنِ للأداةِ مِظَنَّةٌ حتى السماء تدبُّ فيها العقرب

قالها لما أفتى بكفره بعض من يدعى العلم في بغداد ، وذلك لإنشاده قصيدة
« في مسرح التمثيل » أذكر فيها تشديد القوم على النساء في الحجاب .

يأيها المفتي بكفيرنا	مهلاً فقد جئت بأمر نكير
بأى جهل فيك مستأصل	عامت يا جاهل ما في الضمير
وذاك أمر ليس تلتأشه	إلا يدُ الله العليم القدير ^(١)
لو كنت ذا مجد لأصأنتك من	هجاننا الأيام نار السعير
بل أنت وغد لا تبالي الهجا	وهكذا كل لثيم حقير
وإنما تغتاز من هجوننا	يفدر ما تغتاز منه الحمير

في معرض الشكر

لقد جرّبتُ أصدق أصدقائي	فلم أرَ قطُّ أصدق من صلاح
فتىً أمّا نداهُ فصوبُ مزن	وأما خلقه فشذا الأقالبي ^(٢)
به آل اللباييديّ باهوا	كما باهى بهم هو في السّاح
أشدُّ من الخضمّ يده مدّا	وأقذفُ منه بالدرر الصّحاح ^(٣)
نقى العارضين له جبين	أغر كأنه فلق الصباح ^(٤)
سديدُ الرأي طلق الفكر حرّ	طلوب للعلى سهل النجاح
كريم ما اقترحتُ عليه إلّا	وقد غلبتُ فواضله اقتراحى
أيا من شدّ في بيروت أرزى	وأنسَ غربتي وشفا جراحي
سأبلغ فيك غاية كل شكر	وإن قصّرتُ نحوك بامتداحى

(١) انشاهه : جذبه واستخرجه .

(٢) الصوب : المطر . والمزن : السحاب . المطر . والشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة .

(٣) الخضم : البحر العظيم .

(٤) العارضان : صفحتا الحد .

عند لعبة البيلارد

وفي الألعاب لم ترَ قطَّ عيني
تجول بمسّطيل الشكل عال
فبيضاوان تندفعان جسرياً
ينال الضربُ إحداها فتجري
فتنبعث الثلاث مُدحرجات
يُدحرجهنَّ أغلّة ظراف
بأيديهم عصيّ مشرعات
فكان إذا انحنى للضرب منهم
وربةً ضربةً لما تنثني
وكانت توبةً لي عن مجون
فلستُ وقد تجدد لي غرام

كئيل اللّعب بالأكبر الثلاث
لطيف صنّعه حسن الأناث
إلى حمراء بادية اللّهاث
لضرب الآخرين بلا لباث^(١)
وقد حصل اصطدام بانبعث
نسيتُ بهم مُغازلة الإناث
مهيّأة لضرب واحتثاث
غلامٌ هاج شوقى وهو جاث
ليضربها تنثني بانحناث
فعادت من هواه إلى انتكاث
أبالي لوم السنة رثاث

السما الوطني

فالها لما أندى السما الوطني ببغداد :

لو جعلنا كلَّ شيءٍ وطنياً
ولعشنا اليوم في أوطاننا
ولأضحى ناهياً خاملنا
يا بني بغداد هل من يقظة
إن بغداد قضت واجبها
سينما أظهر للرائين من

لقطفنا ثمر الجسد جنياً
مستقلين بها عيشاً رخيّاً
ولأمسى كلّ ذي فقر غنياً
لأمر تكسب القوم رقيّاً
مذ أرتكم سماها الوطنياً
صور الآداب ما كان خفياً

(١) اللباث ، بفتح اللام : اللبث والسكث .

ولقد صوّر في رُقعته غير الأيّام تصويراً جليّاً
ولقد قرّب للأُنظار من خِطاط البلدان ما كان قصيّاً
يُبهِج الناظر فيه أنه يُقرأ المكتوب فيه عربيّاً
يا بني بغداد لا عُذر لكم إن أتيتم بعد هذا الأجنبيّاً

عند نشر المعاهدة

نَشَرُوا المعاهدة التي في طيِّها قيدٌ يَعَضُّ بأرجلِ الآمالِ
قد أبلعونا حبة استعبادنا لكن مموّهةً بالاستقلال^(١)
والعهد بين الإنكايِز وبيننا كالعهد بين الشاة والرُّبَّال^(٢)
من ذا رأى ذئب الذئاب مصافِحاً بتودُّدٍ حملاً من الأحوال
لكنهم خافوا انفكاك قيودنا فاستوثقوا منهم بالأقوال
كتبوا لنا تلك العهود وإنما وضعوا بها قفلاً على الأغلال
شآت أكف موقَّعيها إنهم حلَّت عليهم لعنةُ الأجيال
هب أنهم أمِنوا انفكاك قيودنا أفيأمنون تقلِّب الأحوال

وزراء المعارف عندنا

وَمَحَّ المعارف لا يَسْتَوِزُونَ لها إلا الذين لَوِزَ الجهل قد وَزَرُوا
فأى حرمة علمٍ هم قد انتهكوا بذا وأى زمام للعلی خَفَرُوا
هَبهم قد احتفرونا في مواطننا سياسةً فَعَلَامَ العلمِ يُحْتَقَرُ
يا قومُ ما بالكم لا تعضبون له أليس فيكم فتى للعلم ينتصر
تالله قد أنزلونا شرَّ منزلة لا الزنج ترضى بها منهم ولا النور

(١) مموّهة : مخلوطة ، أو مطلية ، أو مزينة . (٢) الرُّبَّال : الأسد ، أو الذئب .

قيصر معلوف

في آل معلوف الكرام خلأني
ولم مآثر في البلاد جلية
يأبى الزمان دوال دولة مجدهم
رجل رأيت به الفضائل تغلى
وحيت في بيروت منه ميذبا
صغرت به عندي الكرام لأنه
إني لأشكره على إفضاله
أما حليلته الفتاة فإنها
ما أحسن الحسنين إذ جعها بها
غُرِّي يضيء بها الزمان الأكدَرُ
أيدى المطاول عن علاها تقصر
ما دام فيهم ذوالسكارم قيصر
والجد ينمو والمعالي تكثر
ما إن تصوّر مثله المتصور
في كل مكرمة أجل وأكبر
والحرّ للحر المذهب يشكر
بدر بآفاق الجبال منور
نفس مهذبة ووجه أزهر

إلى أمين كاملة

وكتب له أمين كلمة أحد أدباء بيروت فأجابته :
حيّ الأمين الذي طابت مغارسه
مشهورة في رُبّ لبنان غرته
قد جاء بالشعر يطربني فقلت له
أوسعني منك ترحيبا وتكرمة
وتلك شيمة من كانت خلأته
قل للألى يقصدون اليوم تخطئي
من متّ منكم إلى قوم بنسبته
ونسبة العلم والآداب لحثها
أليس لبنان بالآداب مشتهرا
فإن نزلت بوادٍ منه منتجعا
في منبت النبع لاني دنبت العرب (١)
من آل كاملة صيابة العرب (٢)
شكرا لفضلك إذ أحسنت ظنك بي
لما خططت لديكم رحل مغترب
مصوغة من صميم الجدد والحسب
مستغربين إلى لبنان مُنتسبي
فقد متت إلى لبنان بالأدب
أقوى لمنتسب من لحمه النسب
من العلوم وقول الشعر والخطب
فقد نزلت بوادٍ مُمرعٍ خصب (٣)

(١) النبع : شجر صلب تتخذ منه السهام والقصي ، والعرب : شجر ضعيف .
(٢) صيابة العرب : خيارهم . (٣) انتجع الرعي : ارتاده باحثا عن الكلأ ، والمرع : الغصب

إلى عبد الوهاب النائب

أنشد حضرة العلامة عبد الوهاب أفندي النائب في بعض
محالسه ببغداد البيت الآتي ولم يكن الرصافي حاضرا :

إن فاخرتُ بادةً يوما بشاعرها فإن شاعرنا في الشرق «معروف»
فبلغ ذلك الرصافي ، فكتب إليه الأبيات الآتية :

قل لعبد الوهاب النائب العلاء مة الخبر مُنجِب النجباء
إن أكن شاعرا فذلك من يد عى ببغداد أعلم العلماء
أى فضل للشعر لولا علوم قومت من قناته العوجاء
إن بين الشعر المَقُول وبين العلم بونا كأرضنا والسماء
ما ادعى الشعر عالم قط لكن يدعى العلم أشعر الشعراء

إلى أولى الأمر

وقال يخاطب رجال الحكومة ببغداد سنة ١٩٢٢ :

يا مُبْعِدِيَّ بظلم عن مناصبهم وقاطعين إلى ما أبتغى طرقي
علمت كل خفي من ضمائرهم وما علمت الذي ترضون من خلق
ماذا يوافقكم من شأن صاحبكم حتى يكون لديكم نائز السبق
إن كان عقل فإني عاقل فطن أو كان حق فإني أحق الحق
فجربوني تفوزوا عند تجربتي بما تريدون من طيش ومن نزق
وإن أبيتم سوى من عرضه دنس فليست معكم على شيء بمشفق
لا أبعد الله غيري عن مناصبكم إني بتدنيس عرضي غير مرتزق



العدل — يا مبعدي بظلم عن مناصبهم

المصور البارِع

إن فنَّ التَّصوِّرِ قد صار فيه أسعدُ بارِعاً بغيرِ نظيرِ
حملِ الشمسِ للأَنامِ بكفِّ وبأخرى صناعةَ التَّصوِيرِ
وأتى يُبدِعُ البدائعَ للنَّاسِ من بَنيِّ من الرُّسومِ خطيرِ
لم يفتِه من صورةِ المرءِ حتى ما بها من علائمِ التَّفكيرِ
فتراها كأنَّها ذاتُ فِكْرٍ هي عنه تهمُّ بالتعبيرِ
وترى عندَ حزنِها ذاتَ حزنٍ وترى في السرورِ ذاتَ سرورِ
لك يا أسعدُ الفَخارِ ولا زلتَ جديراً بالفخرِ جدَّ جديرِ

الأغنياء والفقراء

أرى أغنياءَ الناسِ كالْعُمى لم يَرَوْا شقاءَ بني غَبراءِ من كلِّ بائِسٍ^(١)
كأنَّ الغنى والفقرَ نورٌ وحِندسٌ ولم يَرِ مَنْ في النورِ مَنْ في الحِنداسِ^(٢)

(٢) الحِنداس : الظلام الشديد .

(١) الغبراء : الأرض ، وبنوها : الناس .

الجهل فضاح

ما أقبح الجهل يُبْذَى عيب صاحبه للناظرين وعن عينيه يُخْفِيهِ
كذلك الثوم لم يَشْمَمَهُ آكله والناس تشتم نثنّ الريح من فيه

حمام الوزارة

ألا بلغوا عنى الوزير مقالةً له بينها لو كان ينجل تَوْبِيخُ
أراك بحمام الوزارة نُورَةً وأما جناب المستشار فزَرْنِيخُ

رخص المناصب

نحن قوم من الدراويش نَغْنَى عندنا عن مدارس بَتَكِيهِ
رَخُصْتُ عندنا المناصبُ حتى قد شَرَوْهَا بِسُبْحَةِ وَبَلْحِيهِ

الناس والملوك

عجبتُ للناس فى الدنيا فحالتهم مع الملوك صريحُ العقل يَجْدُّهَا
إنّ الملوك لكالأصنام مائلةً الناس تنحّتها والناس تعبُدُهَا

منزلة المعلم في المجتمع الإنساني

إذا كان جهلُ الناس مدعاة غيِّهم
فلو قيل من يستنهض القوم للعلم
معلمُ أبناء البلاد طيبهم
وما هو إلا كوكب في سمائمهم
فلا تبخسن حقَّ المعلم إنه
فإن له منك الحِجَا وهو جوهر
ألا إنما تعلِّمنا الناس واجب
وما أخذ الله العهود على الوري
فليس سوى التعليم للرشد سُلَّم
إذا ساء محيَّاهم لقلتُ المعلم
يداوى سقام الجهل والجهل مُسَقِّم
به يهتدى السَّارى إلى المجد منهم
عظيم كحق الوالدين وأعظم
وللوالدين العظمُ واللحم والدم
وإن على الجهَّال أن يتعلَّموا
بأن يَعَلِّموا حتى قضى أن يَعَلِّموا

أم سري

زار الرصافي صديقه السكاكيني في القدس ، فارتجل
عنده هذين البيتين يخاطب بهما قريبته السيدة سلطنة :

أأم سريِّ أنتِ سلطنة البهَّا
ولم ير نقصاً في مُحَيَّاك ناظري
أطاعك منه ما عصى الناس أجمعاً
سوى أن كلَّ الحُسن فيه تجمعا

الحزب الحر العراقي

لما تهي بعض أعضاء الحزب الوطني وحزب النهضة ، وسدت
نواحي هذين الحزبين ، قال الرصافي مخاطب الحزب الحر المندول :

قولوا للحزب تسمى الحرّ معتدلاً هل أنت من بعد نفى القوم معتدلاً
وهل لما حلّ بالحزبين باكية عيناك أم أنت مسرور به جدلاً
تالله ما أنت حرّ في مظالبة وإنما أنت للحكماء معتدلاً^(١)
وما سعت إلى حق لتذكره بل أنت للامر في مسعاك ممثلاً^(٢)
قد احتملت من التاريخ لعنته لله درك ماذا أنت محتملاً

وبلغ الرصافي أن رئيس الحزب الحر قال إذ سمع بهذه الأبيات :
• نحن لا نأبى بمثل هذه الأقوال القارعة • . فقال الرصافي :

قال ذو الحزب إذ أتماه مقالى نحن لسنا بما يقال نبالي
صادق في الذي أدعاه وأنى يألم الميث من جروح النضال
إنما تجزع الكرام من الذم وتخشى الأجداد لدع المقال

المسلم المصلح

قالها في صديقه الشيخ عبد القادر المغربي ، أحد أركان
الحزب الطلي بدمشق ، وأتقنها إليه من زحالة :

للمعربي بأرض الشام منزلة ممتازة في نواحي العلم والأدب
المسلم المصلح الهادي بفكرته إلى الحقيقة أهل الشك والريب
قد غاص في أبحر الأديان مجتهدا فاستخرج الدرّ لم يعياً بمخشَلَب^(٣)
وجال جولةً حبرٍ في منابتها فاستخلص التبع حياءً عن الغرب
لوسار كل بني الإسلام سيرته لما شكوا في حياةٍ سوء منقَاب
أوجال كل أولى الأديان جولته لما تكون باسم الدين من شغب
إني لأمدحه بالحق عن ثقة والمدح بالحق غير المدح بالكذب

(٢) ممثّل : مطيع .

(١) معتدل : مصطنع .

(٣) المخشَلَب والمخشَلَب : بفتح الميم : كلمة عراقية نبطية ، وهي اسم لما يشبه الدر من حجارة البحر ،
يعمل منه خرز أبيض يشاكل اللؤلؤ ، وهو أردؤه وأقله قيمة (عن شفاء الغليل ونجاح العروس) .

نجل عبد اللطيف

كتب عبد اللطيف باشا المنديل إلى صديقه جناب المستر « منك » مضمون
السكرانك في بغداد ، كتابا وصف به له حادثة ابنه الصغير ، وأنته بلغ من
العمر أن صار يشرب بيده ، ويتكلم بكلام لا يفهمه إلا هو ، فطلب المنديل
المشار إليه إلى الرضا أن يقول على لسانه آياتا في المعنى ، فقال :

نجل عبد اللطيف وهو نجيب	كيف لا يظهر النجابة طفلا
إن يكن غير واضح القول لفظا	فكلام التعجب يفهم عقلا
كلما قال أو أشار فمعنى	قوله أنه عاقل سمع على
إن آل المنديل قوم كرام	قد زكوا في الأنام فرعا وأصلا
نجل آل المنديل غير عجيب	أن يكون النجيب طفلا وكهلا
أيها النجل عش لتجديد مجد	قد بنته لك الأوائل قبلا

عبد الوهاب النائب

على لربنا الوهاب أتى	أواصل شكره وأديم حمده
وذاك إذا يعاملنا بلطف	فيشفي « النائب » الفضل عبده
ليُرشدنا إلى سبيل المعالي	فنقصد في ابتغاء المجد قصده
هو الخبر الذي وجدت منهاها	بغاة مكارم الأخلاق عنده
تردى المجد من أدب وعلم	وطرز بالمعالي الغريرة (١)
يوذك في الرخاء وداد حر	ولا ينساك إن دهمت شدته
أطال بقاءه الرحمن فينا	وأكثر فضله وأدام سعده

(١) تردى المجد : اتخذ زداء .

إلى أمير الكمنجة

صاح قم بي إلى أمير الكمنجة
قم بنا نستمع إلى نغمت
ولحون كالصبح إن هي فاضت
ذاك سامي الشوا الذي قد سما في
هو في فنه الرفيع إمام
كل من سار في طريق الأغاني
ما أمر الأنامل الخمس بالأو
نعمة منه تجعل القوم كالبحر
ويميلون باتجاه إليه
بطل الفن هز رمح ابتداغ
وبكأس الفخار أسقى صرفا
فلتفاخر بلاد يعرب فيه
يا أميرا في الفن صار مليكا
شهد الله أن كل حياة
أصدق النابغين في الفن لهجة
تملأ الأنفس انتعاشا وبهجة
تغرق الروح من سرور بلجة
فلك الفن بالغنا منه أوجه
موضح للأنام منه المحجة (١)
يقتفي أثره وينهج نهجه
تار إلا ألقى على القوم رجة
ر يوجون موجه بعد موجه
أينا مال ضاربا أو توجه
راكزا فوق هضبة الجذ رجة
من كمال تعود الناس موجه
سادة الفن في بلاد الفرنجة
حامل الصولجان وهو الكمنجة
لم تزيها بدائع الفن سمجة

(١) المحجة : جادة الطريق أي وسطه .

(٢) الزجاج : الحديدة التي في أسفل الرمح ، وفي الكلام استعارة لا تحفي .

إلى محمد الرضا

إني لأشكر من محمد الرضا شعراً غدت على «جرير» فاحراً
 قد دبجته براعةً لمحمد هي في التفنن ريشةً لمصور
 لو كان في كف «الرضي» نظيرها وكانما يومَ الفخار هديرها
 وكانما يومَ الرثاء صريرها أما ذكاء ابن الخطيب «محمد»
 وافق جواهره على يد «جواهر» يأبها الرجل الذي بكتابه
 إني لأشكر منك خلافاً وقرينة ما زدت في استنباطها
 ولقد نظرت إلى منك بنظرة شعراً ذكرت به زماناً قد مضى
 فيه ورحلت عن «الفرزدق» معرّضا أخذت تقيم من القريض مقوّضاً
 ولدى القراع هي الحسام المنتضى (١) حسد الرضي بها أخوه «المرتضى»
 صوتُ الرعود لها دوى في الفضا صوتُ الحمام ينوح في وادي الغضى
 فشيء برق لاح أو نجم أضأ وبها رأيت مذهباً ومفضّضاً
 للود مني بالقريض تعرّضاً يدني أحبته ويقصى المبعّضاً
 إلا وزادت بالقريض تقيضاً فيها الثناء وهكذا عين الرضا

(١) القراع : المضاربة في الحرب بالسيوف ، والمنتضى : المسلول .

خفامة الرئيس ووسام الرافدين

أُنشِدت في الحفلة التي أقيمت في البلاط الملكي ، بمناسبة ما أنعم به
جلالة الملك على خفامة رئيس الوزراء ، من وسام الرافدين ، من
الدرجة الأولى ، وذلك يوم ٢٦ آذار ١٩٣٢ :

رَهْ يَا وَسَامَ الرَّافِدِينَ بِصَدْرٍ مِنْ هُوَ فِي الْعَلَى الرَّافِدِينَ وَسَامٌ
نُورِي السَّعِيدَ أَبُو صَبَاحٍ مِنْ بِهِ سَعِيدَ الْعِرَاقُ فَتَغَرَّهُ بَسَامٌ
قَدْ أَنْعَمَ الْمَلِكُ الْمُطَاعُ بِهِ لِسُكَى يَزْدَانُ فِيهِ وَزِيرُهُ الضَّرْغَامُ^(١)
يَا حَبِذَا ذَاكَ الْوَزِيرُ وَحَبِذَا أَنْتَ — مَلِكُ الْمُطَاعِ وَحَبِذَا الْإِنْعَامُ
زَيْهِ الْوَسَامِ بِصَدْرِهِ فَكَأَنَّهُ تَاجُ الْمَلِكِ يُحْفَهُ الْإِعْظَامُ
صَدْرُهُ إِذَا الْخُطْبُ أَدْلَهُمْ تِلَافُاتٌ فِيهِ السَّجَايَا الْغَرَّ وَالْأَحْلَامُ
وَإِذَا تَنَهَّدَتْ الصُّدُورُ لِحَادِثٍ بَدَتْ الشَّجَاعَةُ مِنْهُ وَالْإِقْدَامُ
لَيْسَ التَّفَاخُرُ بِالْوَسَامِ بِهِمَّةٌ وَلَوْ أَنَّه افْتَخَرَتْ بِهِ الْأَقْوَامُ
بَلْ هُمَّةُ أَنْ تَسْتَقِلَّ حُكُومَةٌ وَيَتِمَّ فِي أَمْرِ الْبِلَادِ نِظَامُ
فَعَلَى الْبِلَادِ مِنَ الرَّئِيسِ تَحِيَّةٌ وَعَلَى الرَّئِيسِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامُ

في بيروت

في مجمع كوكب الشرق

وَمَجْمَعُ جَامِعِ ضَاعِ الْغَنَاءِ بِهِ ضِيَاعُ شَعْرِيَّ فِي قَوْمِي وَأَوْطَانِي
تَلَطَّطَ الْمَوْجُ فِيهِ وَهُوَ مِنْ لَغَطٍ حَتَّى أَصَمَّ عَنْ الْأَلْحَانِ آذَانِي
فَطَلَّتْ أَسْمَعُ فِيهِ بِالْعَيْنَيْنِ فِيهِ وَقَدْ يُغْنِي عَنِ الْأُذُنِ طَرْفُ اللَّفْتِي رَانِي
كُلَّا تَرَاهُ عَلَى عَرْفِ الْقِيَانِ غَدَاً بِالزَّهْدِ يَلْعَبُ مَشْغُولاً مَعَ الثَّانِي
فَلَمْ يَهَارِكْ بَيْنَ الْقَوْمِ فِرْقَةٌ كَالْمَلْحِ يُحْرِقُ مَذْرُوراً بَنِيرَانِ^(٢)
كَانَ الْغَنَاءُ كَرَأْيِي حِينَ أُعْلِنَهُ وَسَامِعُوهُ كَقَوْمِي عِنْدَ إِعْلَانِي

(١) الضَّرْغَامُ : الْأَسَدُ .

نهاد قرّة الأعين

إلى حضرة الفاضل نور الدين يهيم

كان مذ قال واهب الأولاد	لهم باد	كن
فاستمرت بحمدّها المزداد	تنطق	الأسن
لاح بدرًا له بأفق النّادي	طلعة	تخسّن
أولّد النور منه الوفاة	بهجة	الأعين
نهر بيروت منه باليلاد	فاخر	الأردن
هو في آل بيهم الأعجاد	نيعة	الأعصن
كان عيدًا لهم من الأعياد	في مدى	الأزمن
إنّ تاريخه « حياة نهاد	قرّة	الأعين »

سنة ١٣٤١

ذات الشعر الأبيض

ومليحة أوصافها	تدعو القلوب إلى التصابي
بيضاء أمّا شعرها	فبلاوت أنوار الشباب
قد لاح يصرب للبيا	ض وذا من العجب العجاب
كشعاع أنوار النّجو	م إذا تلالاً باضطراب
يمتدّ فوق جبينها	كضياء منقّض الشّهاب
فكان غرّة وجهها	بدر تكلّل بالسحاب
أو قرص شمس قد تجلّل	بالرقيق من الضباب

رقة قولى

وغرّرت رقتى فى القول قومًا فعادونى وكنت لهم صديقا
وما علموا بأنّ رقيقَ قولى يكون لدى التّماحكِ مِنْجَنِيْقًا^(١)
وما موجُّ البحار يكون إلا لكون الماء سَيّلا رقيقا

جو بيروت

جوّ بيروت فى الشتاء دَفِيٌّ مانع من نوازل الأسقام
فإذا ما تواتر الغيثُ فيه خِلْتَنِي فى مغاسل الحمّام
وعلى القرب من مغانيه جوّ ثغره من ثلوجه فى ابتسام
يجعل الجسم فى ارتجاف فيُمسِي فيه نطق القصيح كالتمتّام^(٢)
وكذا الحسن فى الأماكن بالأضداد تبدو أوصافه للأنام

على مقابر الشهداء

حيّ هذى القبور إن كنت حيّا عاملا بالفضيلة الغراء
إنما الميت كل من لا يُحيى باحترام مقابر الشهداء
واحترامُ الأموات حتم وإن كا نوا بعادا فكيف بالقرّباء
لا تقل هذه الرّجّامُ قبورٌ بل تماثيلُ نَجْدَةٍ وإباء
إنما هذه القبور تُرينا كيف حب الأوطان فى الأحياء

(١) التّماحك : النزاع فى الكلام . والمنجنيق ، بفتح الميم وكسرهما : آلة ارمى الحجارة على الحصون .

(٢) التمتّام : الذى لا يحسن نطق الحروف ، وخاصة التاء ، فيلجج فيها .

منيرة^(١)

هل سمعتم «منيرة» مذ أفاضت من بديع الغناء في كل فن
مذ أقرت برقصها كل عين واسترقت بصوتها كل أذن
رقصها يرقص القلوب على أن غناها عن الزامير يغنى
هي إن أقبلت بثنية عطف^(٢) أقبلت بالمهفف المظمن^(٣)
وهي إن أدبرت بهزة ردف^(٤) أدبرت بالمرجرج المرججن^(٥)
خلق الله صوتها العذب كيا يعرف الناس كيف حسن التغنى
وبراها ممشوقة القد كيا يعرف الناس كيف حسن التثني
بنت فن غنت لنا فسقتنا من أفانين لحنها بنت دن^(٦)
سحرتني مذ أقبلت تثني فكأن مذ أقبلت لست مني

يطلب جلنارا

وظي جاء يطلب جلنارا يحاكي لون وجنته احمرارا^(٧)
وقد ملك الخلائق ملك أسر وأوثق في قلوبهم الإسارا
بقدر أخجل السمر اعتدالا وطرف أوجل البيض اقتدارا
فقلت وما انكليم سوى فؤادي وقد آنست في خديه نارا^(٨)
فديتك كيف تطلب جلنارا وفي خديك أبصر جلنارا

(١) هي مغنية عراقية .

(٢) العطف : جانب العنق ، ويقال مرثاني عطفه : إذا أعرض عن الناس متكبها ،
والمهفف : الدقيق الحصر .

(٣) الردف : العجز . المرجرج : المتحرك المهتز . والمرججن : المهتز أيضا .

(٤) الردف : إزاء الحمر . (٥) الجلنار : زهر الرمان .

(٦) السليم : المجروح . والسليم أيضا موسى عليه السلام .

اسمعى لى كلاما

اسمعى لى قبل الرحيل كلاما ودعيني أموت فيك غراما
هاك صبرى خذيه تذكرة لى وامنحى جسمى الضنى والسقاما
لست ممن يرجو الحياة إذا فا رق أحبابه ويخشى الجلاما^(١)
لاك ياظبية الصريمة طرف شد ما أوسع القلوب غراما^(٢)
حب ماء الحياة منك بشعر طائر القلب حول سمطيه حاما^(٣)
شغل الكاتبين وصبك حتى لادويا أبقوا ولا أقلاما
كلا زاد عاذلى فيك عذلا زدت فى حسنك البديع هياما
أفأخطى برورة منك تشفى صدع يلبي ولو تكون مناما
رب ليل بالوصل كان ضياء ونهار بالهجر كان ظلاما
قد شربت الشهاد فيه مداما وتخذت النجوم فيه ندأى^(٤)
ما لقلبي إذا ذكرتك يهفو ولعيني تدرى الدموع سجاما
إن سكوت الهوى تلعثمت حتى خلعتني فى تكلمى تمناما

وقال فى عود انكسر

قلبي عليك حليف الوجد ياعود كم شنت أذنى منك الأغاريد
كنت أفتديتك لو يفدى الذى حكمت فيه المقادير أن يلقاه تنكيد
فكم بدت نعات منك مطربة هزت بها طربا حتى الجلاميد^(٥)
تعيد ياعود بالأوتار إن نطقت ميت المسرة حيا وهو ملحد
كأن أرواحنا عند استماعك من لطف لمن عن الأجساد تجريد
فكيف نالتك أيدى الدهر كاسرة وأنت فى الدهر بالأذان معبود

(١) الحمام: الموت . (٢) الصريمة : قطعة ضخمة من الرمل تنقطع عن سائر الرمال
(٣) العقد : السمط . (٤) المدام : الخمر .
(٥) الجلاميد ، جمع جلمود ، وهو الصخر الشديد .

ضاق الخناق

أقول لهم وقد جدَّ الفراقُ رويدكم فقد ضاق الخناقُ
رحلتم بالبدور وما رحتم مشوقاً لا يَبُوحُ له اشتياقُ^(١)
فقلبي فوق أروسيك مُطار ودعني تحت أرجلكم مُراق
أقال الله من قودٍ لحاظاً دماء العاشقين بها نراقُ^(٢)
وأبقى أعيننا للغيدِ سوداً ولو نُسيتُ بها البيض الرقاقُ^(٣)
متى يصحو الفؤاد وقد أدبرت عليه من الهوى كأسٌ دهاقُ^(٤)
وليس الناس إلا من تصابٍ وإلا من يشوق ومن يشاق
مررنا بالمنازل موحشات لهوج الرامسات بها اختراقُ^(٥)
كأن لم تُصبني فيها كعاب ولم يُضرب بساحتها رواق
فعُجْتُ على الطاول بها مكباً أسائلها وقد ذهب الرقاق
كأنى بين أطلال المغان أميرٌ عضَّ ساعده الوثاق
حديد بارد في اللوم قلبي فليس له إذا طُرق انطارق

وصف البدر عند الاقتراب

كأن البدرَ صحن من لُجَيْنٍ بدا فجلاً برؤقه الهموما
به ارتقت الملائكُ الأعلى وراحت فيه تلتقط النجوما

(١) باخ : فتر وسكن .
(٢) القود : إعطاء الدية .
(٣) البيض الرقاق : كناية عن السيوف .
(٤) كأس دهاق : ملائ .
(٥) الرياح الهوج : الشديدة ، والرامسات : التي تأتي بالتراب ، فتدفن الأشياء تحته .

إلى أم كلثوم

أم كلثوم في فنون الأغاني أمة وحدها بهذا الزمان
هي في الشرق وحدها ربة الفن فما أن للفن رب ثاني
ذاع من صوتها لها اليوم صيت عم كل الأمصار والبلدان
ما تخنت إلا وقد سحرتنا بافتتان لها وأي افتتان
في الأغاني تمثل الحب تمثيلا صريحا بصوتها الفتان
يتجلى في لحنها مشهد الحب ولون الوصال والهجران
فتريك الحب عند التئاني وتريك الحب عند التذاني
وتريك الحبيب عند افتراق وتريك الحبيب عند اقتران
كل هذا في صوتها يتجلى من خلال الأنغام والألحان
صفحات من الغرام تراها ظاهرات في صوتها للعيان
تنشد الشعر في الغناء فتأني بلحون مطابقات المعاني
فاذا أنشدت عن الوصل أبدت فيه لحن السرور والجدلان
وإذا أنشدت عن الهجر جاءت بلحون تدعو إلى الأحزان
كم سقتنا كأس السرور بلحن وبلحن كأسا من الأشجان
تفهم الروح منطق الحب مما تنغني به بلا ترجمان
فكأن الأنغام في الصوت منها ناطقات لنا بغير لسان
قد سمعنا غناها فعرفنا كيف فعل الغناء في الانسان
حسن صوت يزينه حسن لحن فيه للسامعين حسن بيان
نبرات في صوتها مشجيات تترك السامعين في هيجان
تسترق القلوب منا بصوت نعبد الحسن منه بالأذان
كل لحن إذا سمعناه منها دب فينا ديب بنت الحان

في وقار الحليم تجعلنا طورا وطورا في خفة النشوان
نتفانى في الاستماع إليها ونرى لذة لنا في التفانى



أمير الشعر الرصافي مع أميرة الغناء أم كلثوم

وترانا نهتز حين تغنى فكأنا في حالة الطيران
وكان الأرواح — إذ تتعالى طربا — جردت من الأبدان
هي في مرتقى الأغاريد تعلو حين تشدو ونحن في خطران
يشعر المرء حين يصغى إليها بغرام من صوتها روحاني
بنت فن غنت لنا فسقتنا من فنون الغناء بنت دنان
هكذا فلتكن يد الفن عليا هكذا فلتكن على الفنان

أيتها الكعاب

فُتِنْتَ الملائك قبلَ البَشَرِ وهامتُ بكِ الشمسُ قبلَ القمرِ
وسُرَّ بِكِ السَّمْعُ قبلَ البَصَرِ وغنَّى بِكِ الشَّعرُ قبلَ الوترِ
فأنتِ بحسبكِ بنتُ العِبرِ
تَرِفُ لِمَرَآكِ رُوحُ الغرامِ ويَهْوَى طُلُوعَكَ بدرُ النَّامِ
ليطلعَ مثلكِ بالإحتشامِ ويرقُبَ خَطَرَةَ هذا القوامِ
لكيما يَهْبُ نسيمُ السحرِ
تميلُ بِقَدِّكَ خمرُ الدَّلَالِ فيضحكُ في مَيْلِهِ الاعتدالِ
وفيكِ ارتقى الحسنُ عرشَ الجلالِ ومنه العقولُ غدت في عِقالِ^(١)
وكم قد نَهَاها وكم أَمَرَ
إذا الوجهُ منك بدا للغيانِ له سَجَدَ العشقُ يَرجو الأمانِ
ويَجْجَلُ من نُورِهِ النَّيرانِ وَيَعْنُو له جَبُوتُ الزمانِ^(٢)
ويَخضعُ حتى القضا والتقديرِ
بكِ الحُسْنُ أُلْبِسَ ثوبَ الكمالِ فأنتِ الحَقِيقَةُ وهو الخيالِ
وأنتِ مَلِيقَةُ ملكِ الجمالِ ونو صَوْرُوكِ بألُوحِ المِثَالِ
لكنكِ مَلِيقَةُ كلِّ الصُّورِ
يروحُ الشتاءُ وتَصْحُو السَّما ويأتِي الرِّيعُ بِمِثْلِها تَمَنَّا^(٣)
فيطلعُ فوقَ السَّرى أنْجُمًا ويبتسمُ الزَّهرُ بعَدِ النَّما
فأنتِ ابتسامةُ ذاكِ الزَّهرِ

(٢) يعنو : يخضع .

(١) العقال : القيد .

(٣) نغم : زخرف .

فَطَرَفَكَ بِالْفَتْرِ كَمْ قَدْ رَوَى نَشِيدَ غِرَامٍ يَهْدِي الْقَوَى ^(١)
وما أنت شاعرة في الهوى ولكنما الشعر فيك انطوى
قَايَةَ حَسَنِكَ إِحْدَى الْكُبَرِ
لِسَانِكَ بِسَحَرٍ فِي ظَرْفِهِ وَجَفْنِكَ بِقَتْنٍ فِي ضَعْفِهِ
وَقَدُّكَ بِخِطَرٍ فِي لُطْفِهِ فَيُطْبِئُ رِدْفَكَ فِي وَصْفِهِ
وَيُوجِزُهُ خَصْرُكَ الْمُخْتَصِرِ
سَقَتِكَ الْكَعَابَةُ صَفْوُ الشَّبَابِ وَغَطَّى مَحْيَاكَ مِنْهَا نِقَابِ ^(٢)
فَأَنْتَ إِذَا قَمْتَ لِلْإِنْسِيَابِ تَبَخَّرْتَ فِي خَفَرِ وَالْكَعَابِ ^(٣)
تَضِيءُ كَعَابَتِهَا بِالْخَفَرِ ^(٤)

وقال يهجو بعض المرائين من المشايخ

سَوَّدَ اللَّهُ مِنْكَ يَا شَيْخَ وَجْهًا غَشَّ حَتَّى بِاللَّحْيَةِ السُّودَاءِ
لَوْ تَنَفَّأْنَا مِنْ شَعْرِهَا وَغَزَلْنَا لَنَسْجُنَا خَمْسِينَ ثَوْبَ رِيَاءِ

جاهل متكبر

وَشَامِخَ الْأَنْفِ مَا يَنْفَكُ مُكْتَسِبًا ثَوْبَ التَّكَبُّرِ فِي مُجْبُوحةِ النَّادِي
قَدْ لَازِمَ الصَّمْتِ عِيًّا فِي مَجَالِسِهِ كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ نُوَابِ بَغْدَادِ

الطفل الملتحي

مَعَارِفُ بَغْدَادَ قَدْ جَاءَهَا مَدِيرٌ مِنَ الطَّلِيشِ فِي مَسْرَحِ
حِمَارٍ وَلَكِنَّهُ نَاطِقٌ وَطِفْلٌ وَلَكِنَّهُ مُلْتَحِي
فَيَأْيِيهَا الْعِلْمُ عَنْهَا ارْتَحِلْ وَيَأْيِيهَا الْجَهْلُ فِيهَا اسْلُحْ ^(٥)

(١) الفتر : السكون والضعف . (٢) الكعابة : بروز ثدي الفتاة .
(٣) الخفر : الحياء . (٤) سلع : تغوط وتبرز .

فاسق مرء

أو جاهل يدعى العلم

- أيوسف ما إن أنت من فحل هجمة^(١) ولكن من الشؤل الطؤالب للفحل^(١)
 لئن كنت تنمى للبطاء فإنه عطاء الذى تزكو الورى فيه بالبحل
 وإن كنت قد كفرتنى بجهالة فبالبهت كم كفرت من مسلم قبلى^(٢)
 وإنك فى تكفيرك الناس كافر تهاون بالله الذى جلّ عن مثلى
 رؤيدك قد كفرت يا وعد مؤمنا وكذبت فيما تدعى سيد الرسل
 وأنت امرؤ لم تجهل العلم وحده بل الجهل أيضاً بل وجهلك بالجهل
 وأنت من الإسلام فى كل حالة بمنزلة الظلم الصريح من العدل
 نطقت ببطل القول هذى ممخرقا ومثلك من يهذى وينطق بالبطل^(٣)
 ألت الذى أعطى اللثام كرامة وكشّر فيه الأصل عن أربع عصل^(٤)
 وكقرطست فىك الرماة ووترت عليك القسي الملس يا جعبة الذبل^(٥)
 فباعلج أقصر عن مهيقك إنه أضل كإضلال الخوار من العجل^(٦)
 أنزه عنك السيف فى قتلك الذى تحتم لكن يا مخنث بالنعل

الأرض

- كأنى بهذى الأرض قد حان حينها قطاحت بأبعاد الفضاء شظايا^(٧)
 ونادت بأصوات الفناء فحاجبها وناحت على أطودهاها حملايا^(٨)

(١) الهجمة : ما بين الأربعين أو السبعين إلى المئة من الإبل ، والشؤل : النوق التى رفعت أذيالها طلبا للفحل .

(٢) البهت : الكذب والافتراء .

(٣) مخرق : كذب .

(٤) العصل : الأنابيب الصلبة الموجهة .

(٥) قرطس : أصاب الهدف .

(٦) العالج : الرجل الضخم القوى من كنفار العجم .

(٧) الحين : الملائكة .

(٨) الفجاج : جمع فج : وهو الطريق الراسع الواضع بين جبلين ، والأطواد : جمع طود

وهو الجبل العظيم . وحملايا ، ويقال حملايا : أعلى جبال الدنيا . فى الشمال من الهند .

أيها المشنوق

وقال قيس بن شريك في الأسمانة من أول الثورة الربيعية ،
التي حدثت في ١٢ عارت سنة ١٣٢٥ :

لأنت أبلغُ من نادى ومن خطبا للناس حيزن من أملى ومن كتبها طوعا لمن خان أو سمعا لمن كذبا كذلك من جهل الشيء الذي طلبا لأصبح الشرع يدعو الويل والخربا (١) عليك أم منك يبكي الشعب منتحيا حتى علوت به في الجو منتصيا قد كدت تُورده من فعلك العطيا ليجعل الأمر في البلدان مضطربا فإنما قتله في الشرع قد وجبا من كان يفسد في أوطانه صلبا	يا ما كنا وهو مشنوق على عمد كم فيك أيها المصلوب من عبر إذ قتت تطلب شيئا أنت جاهله طالبت بالشرع حتى قد قتلت به ولو أجبته إلى ما أنت طالبه يا ظالم الشعب مظلوما بفعلته قد قتت للشر لا للشرع منتصيا فاشكر علوك إذ يعلو به وطن يا مُفسدا قام تحت الدين مستترا أنظر إلى ذلك المصلوب متعظا وآية الله في التنزيل قائلة
---	--

بين اليأس والرجاء

وما زلت أسعى مُنفِض الكف مُحوجا فأنتيه ولأجا فألفيه مُرتجبا لأملك من شيء سوى اليأس والرجا	ترى مُقلتي ما ليس تملكه يدي أرى باب رزقي من بعيد مُفتحا وأيأس أحيانا وأرجو فلم أكن
--	---

(١) الحرب ، بفتح الراء : الهلاك والويل .

جواب عن كتاب

قَسَمًا بِالْإِلَهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّ قَلْبِي عَنْ حُبِّكُمْ مَا تَحْتَلِي
لَاوَلَا عَنْ هَوَاكَ لِي مِنْ سُلُوبٍ طَرَدْتُ مُهْجَتِي السَّلَوةَ فَوَلَّى
أَنْصُرُ الْعَازِلِينَ ثَابِتَ حَبِي وَكُنْتُ شَاهِدًا بِدَمْعِي عَذَلًا
مَا عَسَى أَنْ يَضُرَّ إِنْكَارُ شَيْءٍ وَهُوَ كَالشَّمْسِ فِي الْعِيَانِ تَجَلَّى
عَذَلُونِي فَمَا سَمِعْتُ قَالُوا : أَنْتَ سَأَلِي عَنْ حُبِّهِمْ ؟ قُلْتُ : كَلَّا
كَيْفَ يَسْلُو عَنْ حُبِّكُمْ ذُو قُوْدٍ قَدْ تَلَا شَيْءٌ فِي حُبِّكُمْ وَاضْمَحَلَا
لَمْ يَزَلْ فِي الْوَدَادِ يَرْقُبُ قَلْبِي ذِمَّةً فِيكُمْ وَعَهْدًا وَإِلَّا^(١)
أَيُّهَا الْمُنْتَظَرُ مَوْنُ الْمَعَالِي فَائِزًا مِنْ قِدَاحِهَا بِالْمَعَالِي^(٢)
نَسِمَاتٌ مِنَ الْمَسَرَّةِ هَبَّتْ وَهَلَالٌ مِنَ السَّعَادَةِ هَلَا
يَوْمَ وَافَى إِلَيَّ مِنْكَ كِتَابٌ فِيهِ آيَاتُ فَضْلِكَ الْجَمُّ تَتَلَّى
قِيلَ لِي : هَاكَ مَا يَزِيدُكَ شَوْقًا قُلْتُ : أَهْلًا بِمَا أُتَيْتُ وَسَهْلًا
قَالَ : نَلْتَ الْمُنَى، فَقُلْتُ : جَمِيعًا قَالَ : لَوْلَا فِرَاقُهُمْ : قُلْتُ : لَوْلَا

الغنى عنى النفس

لَا تَشْكُ النَّفْسُ يَوْمًا عُسْرَةَ الْحَالِ وَإِنْ أَدَامَتْكَ فِي هَمٍّ وَبَنَابَلٍ
وَجَانِبِ الْيَأْسِ وَأَسْلُكُ الرَّجَا طُرُقًا فَالْدَّهْرُ مَا بَيْنَ إِدْبَارٍ وَإِقْبَالٍ
وَارْكَبْ عَلَى صَهَوَاتِ الْجَدِّ مَغْتَرِبًا فَمَا تَحَاوَلِ ذَا حَلٍّ وَتَرَحَّالٍ
وَاطْلُبْ عَلَى عِزِّهِ بَيِّضَ الْأَنْوَقِ وَلَا تَطْلُبْ لَعَمْرُكَ أَنْ تَحْظِيَ بِمُفْضَالٍ
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ الَّذِي غَلَّتْ أَنْعَامُهُ إِمَّا بِأَغْلَالِ شُحٍّ أَوْ بِإِقْلَالٍ

(١) الإل : العهد .

(٢) الذنون جمع منى ، وهو الظهور .

كم قد غدوت على الأيام منتدباً
أفعالهم دون أن يغري الرجاء بها
من كل هي بن بي لا ثبات له
كم بات ذو الحق خلوا في مضاجعه
هذا يميمس بأبراد مفوقة
قوماً أضعت بهم شعري وآمالى
لكن أقوالهم أقوال أقيال^(١)
جعد اليدين قول غير مفعال^(٢)
وبات ذو العقل فيها كالف البال
وذا يخيط شظايا طمره البالى^(٣)

وقال

شوقى إليك قريب لا ينائينى
ياراحلاً وفؤادى فى حقيته
تركنتى فى شجونى للورى مثلاً
أقفوا الملاح لكى أسلو هواك بهم
والصبر عنك بعيد لا يدانينى
رهنأ لديه ولكن غير مضمون
يمتئنى الوجد والأشواق تُحيينى
فيرجع الحُسن منهم فيك يغرينى^(٤)

شكر على صنيع

شكراً لفضل ممجد
أهدى إليه نظم شعري
فاق الأماجد وامتطى
بالعز صهوة كل فخر
إنى اختبرت بنى الزما
ن جميعهم فى كل أمر
وسبرت غورهم لدى
البحالين من عسر ويسر
وبكفت تجربتى لهم
قلبتهم بطنا لظهر
فوحق من أرجوه فى
دفع الخطوب وكل ضر
ما إن رأيت بهم فتى
حسن السريرة مثل (شكرى)
المرتقى فى المسكرما
ت إلى المقام المشخر

(١) الأقيال : جمع قبال ، وهو لقب للملك الصغير دون الملك الأعظم فى بلاد اليمن .

(٢) رجل هي بن بي : أى مجهول لا يعرف هو ولا أبوه .

(٣) ماس : معنى فى اختيال . مفوفة مقوشة بنقوش بيض . الطمر : الثوب البالى .

(٤) أقفوا : أنذبح .

برعى الذمار على كلاً الحائنين من سر وجهه
إذا الإخاء المستقيمون وذا الوفاء المستمر
جاء الكتاب إلى منك به شفقت غليل صدرى
فإليك يا (شكرى) على هذا الصنيع عظيم شكرى
وقال

- | | |
|--|--|
| (١) لَبِيتُ بِهِنَّ رَوَامِسُ الْأَرْوَاحِ | لَمَنِ الدِّيارُ يَبَاحُنْ فِي الصَّحْصَاحِ |
| (٢) فِي الْعَيْنِ أَخْفَى مِنْ دَرِيسِ نَصَاحِ | عَبَثَتْ بِهَا أَيْدَى الْبَالَى فَتَرَكَنَهَا |
| (٣) شَجَرَاتٍ وَادِيَهَا وَهْنُ ضَوَّاحِ | وَلَقَدْ وَقَفْتُ بِهَا الْمَطَى مُسَائِلًا |
| (٤) كُنتَ إِلَيْهَا غَدُوْتُ وَرَوَّاحِ | أَقْتَفَأُ آثَارًا لَهَا مِنْ دَوَارِسًا |
| هَطَلَتْ مَدَامِعُ طَرْفِ السِّفَاحِ | لَمَّا تَبَيَّنْتُ الْمَعَالِمَ هُمْدًا |
| (٥) غَدَقًا بِكُلِّ عَشِيَّةٍ وَصَبَاحِ | فَسَقَاكَ مَرْتَكِزُ الْغَلَامِ صَوْبَهُ |
| عَنْهَا وَأَمْسَتْ مَوْحِشَاتُ بَطَاحِ | حَيَّ الدِّيارِ وَإِنْ تُحْمَلْ أَهْلُهَا |
| وَالشَّمْلُ تَجْمَعُهُ يَدُ الْأَفْرَاحِ | عَهْدِي بِهَا وَالْعَيْشُ أَخْضَرُ نَاعِمِ |
| نَبَتَتْ بِكُلِّ رَوْضَةٍ وَأَقَاحِ | مَعْنَى أُنَيْقًا لِلْحَسَنِ وَرَرْضَةٍ |
| بِهَضِيمِ خَصَرٍ جَالٍ تَحْتَ وَشَاحِ | كَمْ قَدْ لَثَمَتْ بِهَا الْمُرَاشِفَ آخِذَا |
| (٦) لَمِيَاءُ تَرُشِفُنِي شَمُولُ الرِّاحِ | وَلَكُمْ لَهَوْتُ مِنَ الْحَسَنِ بَغَادَةٍ |
| مَا شِئْتُ مِنْ لَعَبٍ بِهِ وَمِزَاحِ | هَلْ عَائِدٌ زَمَنٌ أَتَيْتُ مَعَ الْمَهَا |
| (٧) رُؤْدُ الشَّبَابِ مِنَ الْخَرَادِ رَدَّاحِ | قَدْ بَتَ فِيهِ ضَجِيعُ كُلِّ غَرِيرَةٍ |
| فَرَسُ الشَّبَابِ وَهِيَ ذَاتُ جِمَاحِ | أَيَّامَ تَحْضُرُنِي بِمَضَارِ الصَّبَا |

(١) الصحاح : المستوى الأجرد من الأرض . والروامس . التى تأتى بالتراب فتدفن فيه ما تقابله والأرواح : الرياح .

(٢) الدريس : البالى . والنصاح : ما يخطأ به الثوب من خيط ونحوه .

(٣) الضواحي : البارزات للشمس . (٤) أقتاف : أتبع .

(٥) المرتكز : المقيم الثابت . والصوب : المطر . والتدق : الكثير .

(٦) اللمياء : السوداء الشفة ، وهى محببة لدى العرب . ترشفتى : تسقىنى . والشمول : الباردة .

(٧) الغريرة : غير المجربة . والرؤد : الشابة الحسنة . والخراد : الأبكاء . والرداح : الثامة الخلق .

ومنها في وصف بعضهم :

رَكَّضُوا بِمِيدَانِ التَّحَايُودِ حَيْلَهُمْ وَسَبَّوْا مِنَ الْأَعْرَاضِ غَيْرَ مُبَاحٍ
لَبَسُوا النِّفَاقَ لَهُمْ دُرُوعًا وَاعْتَدُوا يَتَطَاعَنُونَ مِنَ الْخَنَاءِ بِرِمَاحٍ
أَضْحَوْا كُفَاةً وَشَايَةً وَسَعَايَةً وَمَنِ انْضَغَّائِنْ هُمْ شُكَاةٌ سِلَاحٌ^(١)
كَالْجَاهِلِيَّةِ غَيْرَ أَنَّ مُغَارَهُمْ فِي نَهَبِ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَجُنَاحٍ^(٢)
إِصْلَاحُهُمْ أَغْيَا الْعُقُولَ لِأَنَّهُمْ خُلِقَتْ مَفَاسِدُهُمْ لِغَيْرِ صِلَاحٍ
مَنْ كُلِّ مَرْتَكَبٍ الشَّنِيعِ وَلَمْ يَكِدْ يَنْتَنِيهِ عَنْهُ إِذَا لَحَاهُ الْإِلَاحِ
أَهْدَى بِطُرُقِ الْمُخْزِيَّاتِ مِنَ الْقَطَا وَأُضِلُّ مَنْ آمَنُوا بِسَجَاحٍ^(٣)

ليالى الأانس

ذَكَرْتُ وَأَسْتُ فِي الذِّكْرِ بِنَاسٍ لِيَالِي بَيْتَيْنِ سَمِيحَتِ حَاسٍ
بِنَادٍ تَزْدَهِيكَ بِهِ انْتِظَامًا مُقَابِلَةَ الْأَسْرَةِ بِالْكَرَاسِ
بِهِ اجْتَمَعَتْ غَطَارِفَةُ كِرَامٍ أَبَوَا شَيْمِ التَّخَالُفِ وَالشَّمَّاسِ^(٤)
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ رَشَاءُ رَخِيمٍ يُغَازِلُ مُقْلَتَيْهِ فَمُ النَّعَّاسِ^(٥)
بِرَاحٍ فِيكَ تَبْتَعْتُ ارْتِيَا حَا وَتَنْسِفُ طَوْدَ هَمِّكَ وَهُوَ رَاسِي
يَشِبُّ لِمَزْجِهَا بِالْمَاءِ وَقَدْ تَسْكَدُ تَهَمُّ مِنْهُ إِلَى اقْتِبَاسِ
تُمَيِّتُ هُمُومَ شَارِبِهَا سُرُورًا فَتَقْدِرُنَّ فِي حُفَرِ النَّعَّاسِ

- (١) الكفاة : جمع كفى ، وهو البطل الشجاع يلبس الدروع ، والشكاة بضم الشين : جمع شك ، أى شاكى السلاح ، وهو من الشوكة والحدة .
(٢) المغارة : الاغارة ، والجناح : الأثم .
(٣) القطا : نوع من الطير اشتهر عند العرب بمعرفته الطريق ، وسجاح : هو ممن تبتثوا كذبا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٤) الغطارفة : جمع غطريف ، وهو السيد الكريم ، والشماس : المخالفة والعناد .
(٥) الرشأ : ولد الظبي ، والرقيم : الرقيق .

وصاحِ وَجَّهَ الندماءِ كأساً إليه فقال : لست لها بحاس
وغالى فى الإباءِ فحارسوه فلانَ أبيه بعد الميراس
فقال وقد مشت فيه ودبت ديبَ الماءِ فى ورقِ الغراس^(١)
لعمرك إن فى الصَّهْبَاءِ معنى دقيقاً ليس يُعرف بالقياس

الشمس

كانَ الشمسَ باخرةً تَحُورُ تُجدِّ السيرَ فى بحرِ الفضاء
ستغرق بعد حين باصطدام يمزق جرمها أو بانطفاء^(٢)

رئيس الدائنية

الشيخ محمد أبو عبيد الدائني

الدهرُ بينَ فى كتابِ شهادةٍ بالنورِ فوق جبينه مكتوب
إن الساحةَ والشجاعةَ والعلى جُمعتَ لعمري فى أبى عبيد
شهمٌ تَوَاعَ بالعطاءِ بَنانُهُ مثلُ الرياحِ تولعت بهبوب
أسدٌ نَمَتَهُ لآلِ قيسٍ فى العلى آباءِ مجدٍ ليس بالمكذوب
ورث المكارم عن أبيه ولم يزل يسمو بصارمِ عَزْمَةِ المَرْهُوب
ما زال يُوقدُ كلَّ يومٍ فى الورى نارَيْنِ نارِ قِرَى ونارِ حروب^(٣)
يَهْدِي جموعَ المُدْجِلِينَ لَسَبِيهِ فى الليلِ ضوءَ لهيبها المشبوب^(٤)
خُلقت من الحسبِ الصميمِ أَكْفُهُ لعنانِ سَابِقَةٍ وكشفِ كروب
تَحَدتْ وقائِعَهُ السيوفُ بكفِّهِ والخيالُ كلُّ مُطَهَّمٍ يَعْبوب^(٥)

(١) الغراس : النبات مغروسا فى الأرض . (٢) الجرم : الجسم .

(٣) القرى : ما يقدم للضيف . (٤) المدج : السائر الليل كله أو آخره .

(٥) المطهم : التام الحسن ، اليعبوب : الفرس السريع الطويل .

إنَّ شَنَّ فوقَ ظُهورهنَّ إغارةً
يَبْقَى الفوارسَ والسكينةُ دِرْعُهُ
فخرُ الكرامِ على المكارمِ والنَّدَى
للجُودِ مغلوباً تراه ولم يكن
يتفقد الأضيافَ ملءَ دياره
كالعبدِ يخضع للضيوفِ وإنه
عمُّ الأراملِ واليتامى سَيِّبُهُ
خُلِقَ الكريمُ ابنُ الكرامِ محمدٌ
تالله لو كان الكرام بلاغةً
ترك العدوَّ بلوعة المَحْزُوبِ^(١)
ويخوض نَحْرَ الموتِ غيرَ هَيُوبِ
قامت دعائمُ بيته المضروبِ
للجيشِ في الغزواتِ بالمغلوبِ
عند الصباحِ وعند كلِّ غروبِ
في القومِ أكبرُ سَيِّدٍ مَعْصُوبِ^(٢)
فغدَّتْ تعيشُ بماله الموهوبِ
لسرورِ محزونٍ وجَبْرِ قلوبِ
كان الكريمُ المُعْجَزُ الأسلوبِ

راقم

وما أدراك ما راقم

أَقِمِ في الأرضِ صَرْحاً من ضياءِ
وبعدُ فجَسَّمِ العرفانَ شخصاً
وفي يسراه ضَعَّ لَوْحَ المعالي
وأجْلِسْهُ على الكرسيِّ يَمْحُو
وقفْ وارفع إليه الطَّرْفَ وانظرْ
بحيثَ يَمَسُّ كُرْسَى السَّماءِ^(٣)
تردَّى المجدَ ففضاض الرِّداءِ
وفي يَمْنَاهُ ضَعَّ قلمُ الذكاءِ
وبُثِّتَ ما يشاء من العلامِ
فذلك راقمٌ رَبُّ الدَّهَاءِ

أَلا يا كعبةَ الفضلاءِ يا من
أهمُّ بأنَّ أحيطَ بهنَّ وصفاً
وأُقَدِّمُ أنْ أُنَمِّعَ علاكَ مدحاً
فضائله عَظُمْنَ بلا انتهاء
ومن لي بالإحاطة بالفضاءِ
فيرجعني علاك إلى الوراءِ

(٢) معصوب : متوج .

(١) المحروب : المصاب بالشم .

(٣) أصرح : البناء الدالي .

وما تَوَفَّى الثناء عليك مُنْ
لأنك فوق تَوْفِيَةِ الثناء
وما اتَّقَدَّتْ ذُكَاةٌ بما يُدَانِي
ذُكَاةُكَ يَا إِمَامَ الْأَذْكِيَاءِ^(١)
ولو كانت أَشْعَثُهَا تُحَاكِي
شُعَاعُكَ مَا انْكَسَرْنَ مِنَ الْهَوَاءِ
بِفِكَرِكَ دَوْحَةُ الْعِرْفَانِ تَنْمُو
كَذَا الْأَدْوَاخُ تَنْمُو بِالضِيَاءِ^(٢)
وَأَقْسَمَ لَوْ تَكُونُ مِنَ الدَّرَارِي
لَكُنْتَ الشَّمْسُ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ
وَلَوْ لَا الصَّبْحُ يَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ
لَقَلْتُ الصَّبْحُ أَنْتَ بِلَا مِرَاءِ

نقش على الماء

أرى عَيْشَنَا تَأْبَى الْمُنُونُ امْتِدَادَهُ
كَأَنَّا عَلَى كَيْسِ الْمُنُونِ نَعِيشُ
وما زال وجه الأرض يوسعُه الرَّدَى
لَطَامًا وَهَاتِيكَ الْقُبُورُ خُدُوشُ
كَأَنَّ انْقِلَابَ الْأَرْضِ مَاءٌ كَأَنَّا
عَلَى الْمَاءِ مِنْ رِيحِ الْحَيَاةِ نَقُوشُ
لِحَا اللَّهِ دُنْيَا كُلَّ يَوْمٍ بِأَهْلِهَا
يَهْدُ حَصُونٌ أَوْ تُثَلُّ عُرُوشُ
تَرْوِحُ سَهَامَ الْعَيْشِ فِيهَا طَوَائِشُ
وَالْمَوْتُ سَهْمٌ لَا يَكَادُ يَطِيشُ
تَمُدُّ إِلَى قَطَافِ الْمُسْنَى وَهِيَ جَحَّةٌ
مَنْ الْعُمُرُ كِفَا لَا تَكَادُ تَنْوِشُ^(٣)
وَنَرْجُو مِنْ سَيْفِ الرَّدَى رَجَائِنَا
جَرَاحَاتُ يَأْسٍ مَا لَهْنُ أُرُوشُ^(٤)
وَأُجْمِلُ بَوَاجِهُ الْعَيْشِ لَوْ لَمْ يَكُنْ بِهِ
حَتَانِيكَ مِنْ ظَفَرِ الْخَطَرِ نَحُوشُ
دَهَانَا لِرَايِ الْمَوْتِ سَهْمٌ مُقَرَّطَسٌ^(٥)
تَجْجِيفُ بِأَدْوَاءِ الْحَيَاةِ مَرِيئُشُ^(٥)

(١) ذُكَاةٌ : الشمس .

(٢) الدَّوْحَةُ : الشجرة العظيمة .

(٣) تنوش : تمتد .

(٤) الأروش ، جمع أرش : دية الجراحة

(٥) المقرطس : المسدد للهدف ، التجفيف : السهم العريض النصل ، المريش ذو الريش .

لَعَمْرُكَ إِنْ الدَّهْرَ تَغْلِيْ خَطْوُهُ
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا لِلْخَلَائِقِ مَنْضُجٌ
كَأَنَّ جِيُوشَ الْمَوْتِ رَافِقَةٌ بِنَا
وَمَنْ نَظَرَ الدُّنْيَا بَعَيْنِ اعْتِبَارِهِ
وَإِنْ عَوِيلَ الصَّارِخِينَ نَشِيشٌ^(١)
لَهُ مِرْجَلٌ بِالْحَادِثَاتِ يَجِيشُ
فَتَزْحَفُ مِنَّا لِلْحُرُوبِ جِيُوشُ
تَسَاوَتْ مُهُودٌ عِنْدَهُ وَنُعُوشُ

هوة الموت

كَأَنَّ حَيَاتِنَا جِبَلٌ مُّطَالٌ
مَشِينًا فَوْقَهُ عُثْيَا فُظِّلَتْ
كَأَنَّ فُضَاءَ هَذَا الْكَوْنِ بَحْرٌ
وَنَحْنُ لَدَى تَمَوُّجِهَا كَأَنَّا
تَبَيَّنَ تَارَةً وَتَغَيَّبَ أُخْرَى
عَلَى مَهَوَاتِهِ وَهِيَ الْمَمَاتُ^(٢)
تَهَاوَى نَحْوَهُ هَوَاتِهِ الْمَشَاةُ
تَمَوَّجٌ فِيهِ هَذِي الْكَائِنَاتُ
فَوَاقِعُ ظَاهِرَاتٍ خَافِيَاتٍ^(٣)
فَشَأْنَاهَا التَّفَرُّقُ وَالشَّتَاتُ

وقال

رَقَّتْ بِوصْفِ جَمَالِكَ الْأَقْوَالُ
وَهَبَ إِلَهِهُ بِكَ الْجَمَالَ تَجَمُّلاً
كُلَّ الْعَيُونِ إِذَا بَرَزَتْ شَوَاحِصُ
وَإِذَا الْخَلْقُ رَأَى عَادَ بِمُهْجَةٍ
كَمْ قَدْ سَفَرَتْ فِي الْقُلُوبِ تَوَلَّهُ
فَرَمَوْكَ بِالْأَبْصَارِ وَهِيَ كَلِيلَةٌ
رَبَطُوا الْأَكْفَ عَلَى ضُلُوعِ تَحْتِهَا
لَوْ كُنْتَ فِي أَيَّامِ يُوسُفَ لَمْ تَكُنْ
وَرَأَتْكَ فَأَفْتَتَنْتَ بِكَ الْعُدَالَ
حَتَّى كَأَنَّكَ لِلْجَمَالِ جَمَالٌ
كَيْفَا تَرَكَ وَغَضَّيْنِ مَحَالٍ^(٤)
لَا وَجَدَ مَحْتَرَقٌ بِهَا وَجَمَالٌ
لَمَّا رَأَوْكَ فِي الْعُقُولِ خَبَالٌ
مِنْ نُورِ وَجْهِكَ نُورَهُنَّ مُدَالَ^(٥)
بَيْنَ النَّوَاطِرِ وَالْقُلُوبِ جِدَالٌ
بِجَمَالِ يُوسُفَ تُضْرِبُ الْأُمَثَالَ

(١) النشيش : صوت الماء وغيره إذا غلى .

(٢) المهوى : موضع الهوى ، أى السقوط .

(٣) والفواقيع : الفقايع .

(٤) شواخص : ناظرات .

(٥) الكليّة : المنعبة ، ومذال : مهان .

وَلَقَطَعْتَ دُونَ الْأَكْفِ قُلُوبَهَا شَوْقًا إِلَيْكَ مَعَ النِّسَاءِ رِجَالُ
كَمْ قَدْ يَجُورُ عَلَى جَفُونِكَ سَقَمُهَا كَسْرًا وَتَجْهِدُ خَصْرَكَ الْأَكْفَالُ
عَجَبًا لَطَرَفِكَ وَهُوَ أضعفُ مَا أَرَى يَرْنُو فَتَرْهَبُ فَتُكِّهِ الْأَبْطَالُ

وقال

قَامَتْ تَمِيسُ بِأَعْطَافٍ وَأَوْرَاكِ رَقِصًا عَلَى نَعَاتِ الْقَوْلِ الْحَاكِ
حَوَاءُ جَاءَتْ وَكُلُّهُ فِي مَسَرَّتِهِ لَاهٍ وَرَاحَتُ كُلِّ طَرَفِهِ بَاكِ
شَكُوتٍ مِنْ خَصَرِهَا ضَعْفًا وَقَلْتُ لَهَا

مَلِيكَةَ الْحُسْنِ هَلْ عَطَفْتُ عَلَى الشَّاكِي

فَاسْتَضَحَكْتُ وَهِيَ تَجْنِي الْوَرْدَ قَائِلَةً

مَا أَحْسَنَ الْوَرْدَ قُلْتُ : الْوَرْدُ خَدَاكِ

وَقُلْتُ : أَهْوَى فَقَالَتْ بِالْإِلَالِ : وَمَنْ تَهْوَى ؟ فَقُلْتُ لَهَا : إِيَّاكَ إِيَّاكَ

وَاسْتَحْلَفْتَنِي عَلَى قَلْبِي فَقُلْتُ لَهَا : يَهْوَاكِ ، إِي وَجَلَالَ الْحُسْنِ يَهْوَاكِ

سَحَرْتُ بِعَيْنِيكَ يَسْتَهْوِي الْقُلُوبَ وَمَا يَنْفَكُ فِي هَتِكَ عُبَادٍ وَنُسَاكِ

يَا رَبَّةَ الْحُسْنِ هَلَّا تَعْطِفِينَ عَلَى مَنْ بَاتَ سَهْرَانٍ مَشْغُولًا بِذِكْرَاكِ

مَا أَطْيَبَ الْعَيْشَ فِي الدُّنْيَا لَوِ انْتَصَلَتْ أَسْبَابُ دُنْيَايَ مَعَ أَسْبَابِ دُنْيَاكِ

الْحُسْنُ يَفْتَنُ وَالْأَلْحَاضُ فَاتِكَةُ وَاحْيَرْتَنِي بَيْنَ فِتْنَانٍ وَفِتْنَاكِ

تَهْنَفُو بِقَلْبِي أَشْوَاقِي فَأَمْسِكِهِ لَمَّا أَرَاكِ وَهَلْ يَشْفِيهِ إِمْسَاكِ

إِنِّي وَعِنْدِي بَكْنِهِ الْحُسْنُ مَعْرِفَةُ مَارَاقِنِي قَطُّ مِنْ شَيْءٍ كَمَرُّ آكِ

أَمْسَى غَرَامُكَ يَجْرِي فِي عُرُوقِ دَمِي كَالْكَهْرِبَاءِ الَّتِي تَجْرِي بِأَسْلَاكِ

المسكتب

تصوّرُ حدائقَ في بهجة
ترقرقُ فيها مياهُ العلومِ
وهبَ عليها نسيمُ الفنونِ
فأضحتْ وأرضُ كمالِها
وأُمتُ وإن نمارَ العلماءِ
وظارَ الفخارُ بأرجائها
فللمجدِ وجهٌ طليقٌ بها
غذاءُ النفوسِ وطيبُ العقولِ
فتلك إذا ما تصوّرتها
تروقُ وفي نضرةٍ تعجبُ
جداولُ تجري ولا تنضبُ
يرُوحُ ويغدو بها يلعبُ
بنبتِ الحقائقِ تعشوشبُ^(١)
لأشجارِ عرفانها تذهبُ
بلابلُ تغريدها مطربُ
وللسعدِ ثغرُها أشنبُ
وحفظُ الجُسومِ بها يُطلبُ
جلياً لعمري هي المسكتبُ

أقبلت في غلائل

سيوفُ الحاظِ أم قسيٍّ حَوَاجِبِ
ورُبَّ كعابٍ أقبلت في غلائلِ
لها جيدٌ ظبي واعدالٌ وشيعة
ولا عيبَ فيها غيرَ أن أولى الهوى
نضتْ عن محيّاها النقابَ عشيةً
ومذشرتْ سودَ الذوائبِ أو لجتْ
تناسبَ فيها الحسن حتى رأيتها
تريشُ إلى قلبي سهامَ المعاطِبِ^(٢)
وقد لاح لي منها حليّ الترائبِ^(٣)
وعين مهّاةٍ واثلاق الكواكبِ^(٤)
ينادونها في الحسن بنت العجائبِ
فأسفرَ صبحُ الحُسن من كل جانبِ
نهارُ محيّاها بليلِ الذوائبِ
تفوق الدمي في حسن ذلك التناسبِ

(١) تعشوشب : يكثر فيها العشب .

(٢) ريش الهم : عمل له ريشا . والمعاطب : المبالك .

(٣) الترائب : وهي جم تريبة ، أعلى الصدر حيث يوجد العقد .

(٤) الجيد : العنق ، والوشيعة : الرمح ، والمهّاة : انبقة الوحشية .

مَمْتَرَةً الْأَجْفَانِ تَدْمِي بِلَحْظِهَا قُلُوبَ أَسْوَدٍ مَدْمِيَاتِ الْكِتَابِ
فَلَمْ أُنْسَهَا وَاللَّهِ يَوْمَ تَمَرَضْتُ لَنَا بَيْنَ هَاتِيكَ الظُّبَاءِ السَّوَارِبِ^(١)
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا الصَّبَابَةُ قَبَائِمَا وَلَا هَمُّتُ يَوْمًا فِي الْحُسَانِ الْكَوَاعِبِ
فَأَصْبَحْتُ فِيهَا ذَا غَرَامٍ وَلَوْعَةٍ وَوَجَدْتُ وَتَهِيَامَ وَهَمٍّ مُوَاطِبِ
وَمَا الصَّبْرُ إِلَّا غَائِبٌ غَيْرُ حَاضِرٍ وَمَا الشُّوقُ إِلَّا حَاضِرٌ غَيْرُ غَائِبِ

كل امرئ وصديقه

تَحَرَّ إِذَا صَادَقْتَ مَنْ وَدَّهَ مَحْضٌ يُصَانُ لَدَيْهِ الْمَالُ وَالْدِينُ وَالْعَرِضُ
فَكُلُّ خَلِيلٍ مُنْبِيٍّ عَنْ خَلِيلِهِ كَمَا عَنْ شُثُونِ الْقَلْبِ قَدْ أَبَا النَّبِضُ
وَبِالْعَمَلِ عَامِلٌ مَنْ تُحِبُّ مِنَ الْوَرَى وَإِلَّا فَذَاكَ الْحُبُّ آخِرُهُ بَغْضُ
وَسَامِحٌ صَدِيقًا قَدْ أَسَاءَ بِفَعْلِهِ ثَلَاثًا عَسَى عَنْ ذَلِكَ الْفَعْلُ يَنْقُضُ
وَبَعْدَ ثَلَاثٍ دَعَاهُ غَيْرُ مُسَامِحٍ فَرَقُضُ الَّذِي دَامَتْ إِسَاءَتُهُ فَرَضُ
وَقَوَّ أَسَاسَ الْوَدِّ بِالنَّدَى فَالَّذِي عَلَى جُرْفٍ هَارٍ يُؤَسِّسُ يَنْتَقِضُ^(٢)
وَإِنْ وَمَضَتْ لِلخَلِّ مِنْكَ سَحَابَةٌ فَلَا يَكُ مِنْهَا خُلْبًا ذَلِكَ الْوَمَضُ

النفس الأمارّة

نَهَيْتُكَ عَنْ هَوَاكَ فَمَا انْتَهَيْتِ وَلَكِنْ قَدْ فَعَلْتِ كَمَا اسْتَهَيْتِ
فَيَا نَفْسِي عَنْ الشَّهَوَاتِ كَفِي فَأَنْتِ عَلَيكِ يَا نَفْسِي جَنَيْتِ
وَمَا أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ يَوْمًا سَعَتْ فِي الْمُنْكَرَاتِ كَمَا سَعَيْتِ
إِذَا مَا حَكَبَةُ الْحَسَنَاتِ جَامَتْ رَأَيْتُكَ أَنْتِ صَاحِبَةُ السُّكَيْتِ^(٤)
فَإِنْ أَسْدَى إِلَهُ عَلَيْكَ عَفْوًا وَإِلَّا يَا فَجَارٍ فَقَدْ هَوَيْتِ

(١) السوارب : جمع سارية ، أى الذاهبة إلى المرمى .

(٢) الجرف : الجانب الذى أكله الماء من حاشية النهر ، الهارى : المنهار .

(٣) ومض البرق : لمع خفيفا ، والحلب : الخادع . (٤) السكيت : آخر خيل الحلبة .

الأنس في غير موقعه كسدر

وصاحب قد دعانا أن نُلِمَّ بِهِ
في ليلةٍ كان فيها الحرُّ مُتَّقِداً
وكان ذلك في دار يضيق بها
كأنها مَفْحَصٌ تَأْوِي القِطَاةُ له
فما عهدت طرُّوا قبل زورِتها
ومُطَرِّبات الأغاني وهي واقعةٌ
مستأنسين بضرب العود والوتر
ترمي جَهَنَّمُ الأجسام بالشرر
صدرُ الأغار يدمن ضيقٍ ومن صغر
أو جُحْرٌ ضَبَّ بأرض صُلْبَةِ الحجر^(١)
تلقاه من نغمت العود في صجر
في غير موقعها ضرب من السكدر

وقال

إلى كم تَصُبُّ الدمعَ عَيْنِي وتَسْكُبُ
أُيُوتُ وَلِي وَجْدٌ يُشَبُّ ضِرَامُهُ
وهل لِمَشُوقِ خانهِ الصبرُ عنكم
ألا إن يوماً جرَّدَ البَيْنُ سيفَهُ
فيا ليتَ شِعْرِي هل أَفُوزُ برؤيتي
وعينيكِ لا أَسْلُوكِ أو يُصْبِحَ السَّهْمُ
فإني كما شاء الهوى بكِ مُغْرَمٌ
أحينَّ إلى رؤياكمُ كَلِمَا سَرَى
وأذكرُكم للشمس عند طلوعِها
لقد بانَ صَبْرِي يومَ بَيْنِكِ إذ قضى
تَبَصَّرَ خَلِيلِي في الزمان فهل تَرَى
ومنَ نَظَرِ الدنيا وجرب أهلها
وحتَّامَ نارِ البَيْنِ في القلبِ تُلْهَبُ
ودمعٌ له في عارضِي تَصْصَبُ
سوى دَمْعِهِ فهو الدواء الجَرَبُ
على به يومٌ شديدٌ عَصَبُصَبُ^(٢)
مُحْيَاً له كلُّ الحاسنِ تُنْسَبُ
وشمسُ الضحى في ضوئِهِ تَمَحْجَبُ
وأنتِ كما شاء الجمالُ مُحْبَّبُ
نسيمٌ وأبكي كلما لاح كوكبُ
ويعزُّبُ عني الصبرُ أيَّانَ تَغْرُبُ
به صَرْفُ دهرٍ لم يَزَلْ يَتَقَلَّبُ
صفافيه من وَقَعِ الشَّوَاثِبِ مَشْرَبُ
رأى العَدْرَ من أشداقِها يَتَحَلَّبُ^(٣)

(١) مَفْحَصُ القِطَاةِ : بيتها ، والقِطَاةُ : نوع من الطيور يشبه الحمام .

(٢) عَصَبُصَبُ : شديد .

(٣) يَتَحَلَّبُ : يسيل .

البصرة

إِيَّاكَ وَالْبَصْرَةَ الْمُضَيَّ تَوَطَّنَهَا فَلَا تَمَرَّنْ فِيهَا غَيْرَ مُظْطَعِنٍ ^(١)
 لَا تَعْجَبَنَّكَ بِالْأَشْجَارِ خُضْرَتُهَا حُسْنًا فَمَا هِيَ إِلَّا خُضْرَةُ الدِّمَنِ ^(٢)
 مَا إِنْ أَقَامَ صَحِيحٌ فِي مَسَاكِنِهَا إِلَّا وَسَافِرٌ عَنْهُ صِحَّةَ الْبَدَنِ
 مَا زُعَايَ وَجَوْعَاتِهِمْ وَهُوَ نَبَنٌ وَشِدَّةٌ حَرٌّ غَيْرَ مُؤْتَمِّنٍ ^(٣)
 انْظُرْ تَجِدْ كُلَّ أَهْلِيهَا كَأَنَّهُمْ

من السَّقام استحقوا الدَّرَجَ فِي الْكَفَنِ
 صَفَرُ الْوُجُوهِ قَدْ اِمْتَصَّتْ دِمَائُهُمُ الْحَمَى وَقَدْ حَرَمَتْهُمْ لَدَةَ الْوَسَنِ ^(٤)
 وَمِنْهَا فِي هِجَاءٍ بَعْضُهُمْ :

يَلْقَى النَّزِيلَ بَوَّجَهُ قَدْ مِنْ حَجَرٍ لَوْلَا الْعُبُوسَةُ لَمْ يُفَرَّقِ مِنَ الْوَتَنِ
 وَمِنْهَا :
 أَفِيكَ يَا غَمْرُ بَلَقَى الشَّعْرُ مَأْدَلَهُ يَا خَيْبَةَ الشَّعْرِ بِلَ يَاضِيعَةِ اللَّسَنِ ^(٥)
 مَا أَرَاكَ عَلَى الْكَرْسِيِّ مُنْتَفَخًا إِنْ كَانَ فِيكَ اخْتِبَاسُ الرِّيحِ فَاحْتَقِنِ

الحر في أغسطس

قَدْ كَادَ بِالْحَرِّ هَذَا الْيَوْمُ يَصْهَرُ نَا إِذْ قَدْ بَدَأَ فِيهِ لِلرَّمْضَاءِ تَسْعِيرُ
 كَأَنَّ الشَّمْسَ جَاعَتْ فِيهِ مِنْ سَقَبٍ تَشْوَى الْجُسُومَ لَهَا وَالْأَرْضَ تَنْمُورُ ^(٦)

(١) المظطعن : المسافر .
 (٢) الدمن : جمع دمنة ، وهي المزيللة .
 (٣) الزُعَايَ : الماء الغر لا يطاق شربه .
 (٤) الوسن : النوم .
 (٥) الأمل : الأمل ، واللسن الفصاحة .
 (٦) السقب : الجوع .

البرد في كانون

لله يومٌ جاء يَلْسَعُ بَرْدُهُ فكانَ ذَرَّاتِ الهَوَاءِ عَقَابُ
لم تَلَقَ شيئاً فيه ليس بجامدٍ إلا احتمالَ البردِ فيه فذَائِبُ

معلقة

وقد قالها ارتجالاً

انظُرْ إلى تلكِ المعلقةِ التي سترتْ ظلامَ الليلِ بالأضواءِ
قِطْعَ من البلورِ مُخدِّقةٌ بها يحْكِينُ شكلَ أصابعِ الحسناءِ
فكانها بدرٌ تَلَأَلَّ في الدُّجَى وكأنهن كواكبُ الجوزاءِ
بل قد يُمثِّلُها الخيالُ كأنها قررَ أُحيطُ بهالةٍ بيضاءِ

وقال من قصيدة

قد يَطْفَحُ اللُّؤْمُ حتى إن صاحبه يَنسَى الحياءَ فيغدو يدعى الكرمَ
إن الجهالةَ إن كانت قَدَى بَصَرٍ
رأى الضلالَ هُدًى واستَسَمَنَ الورما
ما للغواةِ ارعوا عن غوايتهم إن لم يك السيفُ يعلو منهم القمما
كم من أراذلٍ أَضَعَّتْ سَفَاهَتُهَا حتى ادَّعَتْ وهي أذئابٌ لها الشِّمَا
إن عُدَّتِ الوحشَ ما كانت ولا بقرا أو عُدَّتِ الطيرُ ما كانت ولا رَخا
ومنها :

وَالنَّاسُ كَالنَّاسِ فِي خَلْقٍ وَمِنْهُمْ

في الخلقِ بَوْنٌ فذَا أَرْضٌ وَذَاكَ سَمَا
مثلُ الحديدِ وما امتازت حقيقتهُ والقينَ يطبع منه السيفُ والجَلَمُ (١)

وقال

يهجو بعضهم بقصيدة جاء مطلعها

اللَّوْمُ دَاءٌ فِي النَّفْسِ عِيَاءٌ لَمْ يَشْفِ مِنْهُ سِوَى الْحِمَامِ دَوَاءُ^(١)
ومنها :

لَوْ كَانَتْ فِي الدَّأْمَاءِ كُلِّ عِيُوبِهِ بَلْ بَعْضُنَ لَأَنْتَنَ الدَّأْمَاءُ^(٢)
وَلَوْ أَنَّ فِي كُرَّةِ الْهَوَاءِ طِبَاعَهُ فَسَدَتْ فَمَاتَ بِنْتُنَا الْأَحْيَاءُ
أَلْقَتْ عَلَيْهِ يَدَ الزَّمَانِ نَحَازِيَا مِنْهَا تَلُوحُ بِوَجْهِهِ الْفَحْشَاءُ
وَجْهٌ أَقَامَ الدَّهْرُ فِيهِ مِنْ أَلْحِنَا سِمَةٌ فَعَادَ وَلَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ
يَا مَاشِيَا يَحْتَالُ فِي غُلُوتِهِ «أَطْرُقُ كَرِيًّا» مَا هَذِهِ الْخِيَلَاءُ^(٣)
هَبْ غَفْلَةَ الْجُهْلَاءِ عَنْكَ طَوِيلَةٌ أَفَلَيْسَ تَعْلَمُ خَزِيئَةَ الْعُقْلَاءِ

وقال في بعضهم

تَجَنَّبَ مِنْ مَقِيمِ الرَّأْيِ قُرْبَا وَلَا تَغْتَرَّ بِالْبَدَنِ الصَّحِيحِ
وَلَا تَرْضَ الصَّدِيقَ لِحَسَنِ خَلْقِ إِذَا مَا كَانَ ذَا خُلُقٍ قَبِيحِ
ومنها :

وَذِي سَفَهٍ أَكَبَّ عَلَى الْخَازِي وَمَا قَبِلَ النَّصِيحَةَ مِنْ نَصِيحِ
تَرُوجَ الْمُخْزِيَاتِ لَدَيْهِ حَتَّى تَبَاعَ إِلَيْهِ بِالْثَمَنِ الرَّيِّحِ
أَطَافَ بَغْيِهِ وَأَبَاحَ شَتْمِي وَكَانَ الشَّمُّ أَجْدَرَ بِالْمُبْنِيحِ
وَأَغْرَاهُ الضَّلَالُ فَكَانَ مِنِّي كَمَا كَانَ الْيَهُودُ مِنَ الْمَسِيحِ
ومنها :

فُتِّ فِي نَارِ غَيْظِكَ مُسْتَشِيطَا فَلَسْتُ مِنَ الْهَجَاءِ بِمُسْتَرِيحِ
سَاضِرِمَ فِيكَ يَا لَكَمُ الْأَهَاجِي كَبِيرَانِ تُسَبُّ تَجَاهَهُ رِيحُ^(٤)
تَجَمَّعَتِ الْخَازِي فِيكَ حَتَّى يُعَدُّ الْهَجْوُ فِيكَ مِنَ الْمَدِيحِ

(١) داء عياء : لا يبرأ منه . والحمام : الموت . (٢) الدأماء : البحر .
(٣) الكري : مرخم الكروان . وأطرق كرى : أى خفض من اختباك وكبريائك أيها الكروان
وهذا مثل يضرب لمن تسكبر وقد تواضع من هو أفضل منه . (٤) الكع : التيم .

في المسرح

بدت في مسرح رَحْبِ البَلاطِ بقَضبانٍ مَشْبَكَةٍ مُحَاطِ
فجالت من ضفائرها بَتَاجِ وماسَتْ غَيْرَ صَافِيَةِ الرِباطِ^(١)
ولا أنسى تَوَرُّدَ وَجَنَّتِيهَا وقد برزت تَمْسِيسَ على البساطِ
فقلنا وهي تَحْطِرُ في وَقَارِ مَلِكُ الحُسْنِ يَحْطِرُ في البَلاطِ
وقد سجدت لها الأنظارُ لما أرَتنا الحُسْنَ يَرِفُلُ في القَباطِ^(٢)
وكبرنا المُهَيَّمَنَ حينَ راحت تَصُولُ على الضِّياعِمِ بالسِّياطِ^(٣)
سقت أعصابنا خَدَرًا وطارت مُرْفَرِفَةً بأَجْنَحَةِ النِّشاطِ
مشت مشى الحمامة فوق سِلْكِ تَهَوَّلُ عليه أن تخطو الخَوَاطِ
وبارت فوقه خَفَقاتُ قَلْبِي بِحَالَتِي ارْتِفَاعِ وانْحِطاطِ
فَخَلَّناها وقد خَلَبَتْ نُهْانَا تَعَلَّمْنَا الجَوَازَ على الصِّراطِ

شكر ووداع

أَعِزَّنِي لِسَانًا أَيُّهَا الشُّعْرُ لِلشُّكْرِ
وإن لم تُطِقْ شُكْرًا فَلَا كُنْتَ مِنْ شِعْرِ
وَجَنَّتِي بِنُورِ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ كِي أَرَى
بِمَعْنَاكَ نُورَ الشَّمْسِ يُشْرِقُ وَالْبَدْرِ
وَحْمٌ حَوْلَ أَزْهَارِ الرِّيَاضِ تَطْيِيبًا بِهَا مِثْلًا حَامِ الْفَرَّاشِ عَلَى الزَّهْرِ
وَقَمٌّ فِي مَقَامِ الشُّكْرِ وَانْشُرْ لَوَاءَهُ بِرَأْسِ عَمُودٍ خَذَهُ مِنْ غُرَّةِ الْفَجْرِ
فَإِنْ لِيَبْرُوتَ حَقُوقًا جَلِيلَةً عَلَى فَنَبٍ يَاشَعُرُ عَنِي فِي الشُّكْرِ

(١) الرِباط : جمع رِبطة ، وهي الملاة إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً .

(٢) القَباطي : جمع قَبْطية بالضم ، وهي ثياب من الكتان ، منسوبة لقبط مصر .

(٣) المُهَيَّمَن : المَسيطر ، والضِّياعِم : جمع ضَيْغَم ، وهو الأسد .

فإني بـيروت أقمتُ لياليا
وقضيتُ أياما إذا ما ذكرتها
لئن تك في بغداد يادهرُ مَدِينَا
قرأتُ بها درسَ المكارمِ مُعْجِبَا
فكنتُ بهامن باذخ العزِّ في الذرَا
وداعاً وداعاً أيها القوم إنني
لئن أَرَفَ التَّرحالَ عنكم فإن بي
أودَّعكم والشوقُ بالصبر فانك
أحبكم قلبي اعترافاً بفضلكم
ولا غرو أن أكرمتم الضيف شَيْمَةً
أَلَسْتُمْ مِنَ الْعَرَبِ الْأَلَى طَارِصِيهِمْ
أَعَارِبُ نَهَاضُونَ فِي طَلَبِ الْعَلَى
سأذكركم ذكر الحُبِّ حَبِيبَهُ
فلا تحرموني من رضاكم فإنني

وربَّك لم أحسب سواه من عمرى
غفرتُ الذنوبَ الماضية من البهر
على فني بيروت كم لك من عذر
بكل كبير النفس ذى خُلُقٍ حر
ومن سرَّواتِ القوم في أنجم زُهر^(١)
مُفَارِقِكُمْ لَاعِنَ صُدُودٍ وَلَا هَجَر
إليكم لأشواقاً أحرَّ من الحِجَر
كفتك الملوك المستبدين بالأمر
وأنكر في يوم النوى حكمة الصبر
توارثتموها عن جدود لكم غر
إلى حيث يَبْقَى تحته طائر النسر
غَطَّارِيفُ سَبَّاقُونَ فِي حَلْبَةِ الْفَخْر
وأشكركم شكر الجدوب إلى القطر^(٢)
إليكم إليكم ما حيتُ لذو فقر

إلى إيناس الوزير

إيناسُ إن مزاياك التي عَظُمَتْ
إِخَالُ بَيْتِي لَمَّا جِئْتَ زَائِرُهُ
آتَسْتَنِي بِخِصَالِ فَيْسِكَ طَيِّبَةٍ
كَمْ أَوْحَشْتَنِي اللَّيَالَى فِي تَصْرِفِهَا
أَدَامَكَ اللَّهُ يَا إِينَسَ تَذَكُّرَةً
قَدْ كَانَ يَأْسُو جُرُوحًا فِي دَامِيَةٍ

صارت بها تُضْرِبُ الْأَمْثَالَ فِي النَّاسِ
كَأَنَّ وَجْهَكَ فِيهِ نُورُ نَبْرَاسِ
بَحْسَتُهَا أَنْعَشَتْ فِكْرِي وَإِحْسَاسِي
فَوَالِ إِحْشَاشِهَا عَنِّي « يَا إِينَسَ »
لَوَالِدَ فَاتٍ فَضْلًا كُلِّ مَقْيَاسِ
وَالْيَوْمَ عِنْدِي جُرُوحٌ مَا هَلَا آسِ

(١) سرَّواتِ القوم : ساداتهم . (٢) الجدوب : جمع جذب ، أى الأرض الماخلة . والقطر : المطر

في مآدبة آل لطف الله

مما أنشد ارتجالاً في المآدب التي أقيمت للوفد
العراقي بمصر سنة ١٩٣٦ :

في آل لُطْفِ الله لُطْفٌ سَاحِرٌ في الخلق والأنظار والأفواه
لله فيهم رفعة قدرهم فلذا تسموا آل لطف الله

في مآدبة عبد الرحمن عزام بحلوان

المجد والفضل منشوران في علم على بيوت بناها آل عزام
لما حللنا ضيوفاً في مراتبهم نلنا بها كل إعزاز وإكرام
فسوف نشكرهم شكراً نخط به لمجدهم سطر إجلال وإعظام

في مآدبة حافظ عفيفي باشا

إن العفيفي حافظ على العلاء محافظ
لساناه وهو طلق للدر في القول لافظ
وطرقه للمعالي مدى الحياة ملاحظ
له شمائل عُزُر بها نزول الحفائظ
بها تنال المعالي بها تطيب المواعظ

في مآدبة نظلة الحكيم

نحن ضيوف لذات مجد مؤنل خالص صميم
لها طباع مهذبات أرق من خطرة النسيم
والحسن في خلقها العلوي كالحسن في وجهها الوسيم

إلى أبي ماجد المنديل

في معرض الشكر والوداع

أبا ماجدٍ إني عهدتك مبصرًا سرائرَ دهرٍ أعجزت كل مبصرٍ
إذا خفيتُ يوما عليك حقيقة نظرت إليها من ذكاءٍ بمجهرٍ
وإن ليلة الخطب ادلهمت كشفها بأوضح صبح من فعالك مُسفرٍ
وتلك مزايا فيك أعلمت الورى بأن بنى المنديل أكرم معشرٍ
فهل خفيتُ حالى عليك وقد بدا « على غير شكوى » أنها حال مُقترٍ
أتيتك من بغداد لم أدر ما الذى أتى بى إلا أنتى فى تحيّرٍ
وأحل فى جنبى نفسا غنية وإن شقيت منى بجثمان مُعسرٍ
ولو كنت فى بغداد أرضى بذلةٍ لما جئت إلا ساحبا فضل مئزرٍ
ولكنني قد عفت أن أرد الغنى ونفسي فى قيد من الذل مُفقرٍ
وما عدل السعدون بى عن وفائه ولكن جرى مجرى القضاء المقدرٍ
وإن حديثى عنك غير مرجمٍ وإن مقالى فيك غير مزورٍ
ولو أنتى بعث الثناء بنائلا لما رضيت نفسى بغيرك مشترى
سأرحل عن ديوانك اليوم أو غدا بعزمة لا وانٍ ولا متقهقرٍ
أودع منك اليوم حرا وإنما أسافر عن مغناك غير مُحيرٍ
وسوف ترى منى لفضلك شاكرا وإن كنت أعيا عن تمام التشكر
وأكتب للتاريخ ما أنا كاتب

الكرخي ومن كذب في منعه

أَعْبُدْ إِنْكَ ذُو فَطْنَةٍ تَعِيشُ بِهَا عِيشَ حَرِّ سَمِيدٍ
قَرِيحَةٍ شَعْرَكَ فَيَاضَةٍ لَهَا فِي الْأَنَاشِيدِ مَرْمَى بَعِيدٍ
أَتَيْتَ مِنَ الشَّعْرِ بِالْمُضْحَكِ وَبِالْمَبْكِيَّاتِ الَّتِي لَا تَبِيدُ
فَأَعْرَبْتَ لِلنَّاسِ عَنْ قُدْرَةٍ لَهَا قَدْ عَنَّا كُلَّ خَصْمٍ عَنِيدٍ
تَقَدَّمْتَ فِيهَا عَلَى السَّابِقِينَ فَمَنْ ذَا زَهِيرٍ وَمَنْ ذَا بَلِيدٍ
فَكَمْ لَكَ فِي الْمَدْحِ أَنْشُودَةٌ مَدَحَتْ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ بِحَمِيدٍ
وَكَمْ لَكَ فِي الْمَهْجُو أَعْجُوبَةٌ صَفَعَتْ بِهَا كُلَّ غَاوٍ بَلِيدٍ
يَبَاهِي بِكَ الْكَرْخُ أَبْنَاءَهُ وَيُبْذَنِي عَلَيْكَ بِمَا لَا مَزِيدُ
وَلَكِنَّ حَسَادَكَ الْخَاسِرِينَ يَكْبِتُونَ مِنْكَ بَغِيظَ شَدِيدٍ
أَشَاعُوا نَعِيكَ مِنْ غِيظِهِمْ يَرِيدُونَ لِلشَّعْرِ مَا لَا يَرِيدُ
وَلَا تَبِينَ إِخْفَاقِهِمْ لَدَى النَّاسِ عَادُوا بَغِيظَ جَدِيدٍ
فَعَشَّ وَادَعَا رَغْمَ آثَافِهِمْ بِعَمْرِ جَدِيدٍ وَعِيشَ رَغِيدٍ

من خواطر الماضي

تَعَوَّدْتُ إِشَادَى الْقَرِيضِ الْمَهْدَبَا وَتَزَهَتْ نَفْسِي فِيهِ أَنْ أَتَكْذَّبَا
وَمَنْ أَجَلٌ حَبِيٍّ لِلْحَقِيقَةِ لَمْ أَكُنْ مَعَ الزَّمَنِ الْغَاوِي إِذَا مَا تَقَلَّبَا
وَمَنْ أَجَلٌ جُهْدِي فِي اسْتِقَامَةِ مَنْطِقِي أَبَيْتُ لِرَأْيِي أَنْ يَكُونَ مُذْهَبَا
وَسَافَرْتُ فِي الْبُلْدَانِ طَوْرًا مَشْرِقًا أُرُودُ الْعُلَى فِيهَا وَطَوْرًا مَغْرِبًا
وَصَاحِبْتُ مِنْ عُرْبٍ وَعَجَمٍ أَفَاضِلًا بِهِمْ كُنْتُ فِي شَتَى الْمَوَاطِنِ مُعْجَبًا
فَلَمْ أَرَفِ عَرَبٍ وَعَجَمٍ لَقِيْتَهُمْ كَكَرْدٍ عَلِيٍّ فِي الرِّجَالِ مُهْدَبًا
هُوَ الْعَالَمُ الْخَبَرُ الَّذِي كُنْتُ مَغْرَمًا بِآدَابِهِ مِنْذُ الشَّيْبَةِ وَالصَّبَا

فقد كان في مصر صريرُ براءه
وكم كنت في الآداب والعلم كاشفا
إلى أن أنار الشام بالعلم عندما
إذا معجبات العلم عنت فلا نرى
يؤانسني بالمتع الغضُّ مطربا
بمقتبسٍ من نوره ما تحجبنا
لجمعها أمسى الرئيس المرتبنا
سواك إليها يا محمد معربا (١)

صورة

زهرة قد بدت من الأكمام
وتراءت منها الحقيقة حسنا
إن تجريدها من الثوب يحكى
هي كانت قبل التجرد منه
إن قدس الأقداس بغضب من أن
وأشد الكفر الذي هو رجس
ضلة جاهلية أنكرتها
فتجلى منها الجمال السامى
لم يدسه طائف الأوهام
أنفسنا جردت من الآثام
كوكبا غم نوره بغم
تتوارى وسامة الأجسام
كفر هذا الجمال بالأهدام
رسل الفن في هدى الإسلام

* * *

انظر الصورة التي انتزعها
تلق فيها الجمال يضحك ضحكا
وترى نفسك الكئيبة منها
أنت منها في نشوة المتحسى
منظر يترك الجـواـنـح منا
(ويرد الوجوه مستبشرات
(يبهج النفس إذ يحرك منها
من يد العرى ريشة الرسام
يمتري الدمع من عيون الغرام
في سرور مهاجم متراحم
بنت كرم ولوعة المستهام
في هياج من الهوى وهيام
ويرد الثغور ذات ابتسام
وتر الشعر مطرب الأنعام

* * *

خلعت ثوبها وأغضت حياءً فارتنا خلاعة في احتشام
جلست جلسة الحبي وأبدت بالتعري بداعة في الوسام
ما احيلى اغضاءً جعلتها كغريق في لجة الأحلام
يتعامى عنها الحياء حياءً ليراها بحيلة المتعامى
لستقوط الرداء عن منكبيها نهض الفن قائماً باحترام
(وغدا الحب راقصا بابتهاج وجرى الشعر شاديا بالنسجام)

* * *

(ان هذا الجمال شيء عجيب حيرة في العقول والأفهام)
(بين ألوانه وبين قلوب النسا س جذب ذو حرقة واحتدام)
(وهو في الحب صادق الأمر والنهي مطاع في النقص والإبرام)
(إن يشأ فالصغار غير صغار وعظام الرجال غير عظام)
(هو نور يضيء في أوجه الحب ويهدي إلى طريق الغرام)

عصاى الفتية

أنا شيخ وذى عصاى فتيةً قد أتدنى من «مظهر» لى هديه
صاغة «الصائبين» قد ألبسوها حلية ذات صانعة عبقرية
وشحوها من «مظهر» بكلام معرب عن مودة أخوية
هى تحكى عصاه «ابن عمران» قدرا فلذا صيغ رأسها رأس حيه
فسأمشى بها قويا سويًا بعد ما كنت ماشيا كالحنية^(١)
وستبقى الذكرى بها لإخاء مؤثقة بالوشائج الأدبية
ألبستنى كرامة ياخانى لكريم من أسرة خيريه

الأغظمية : شباط سنة ١٩٤٥ .

(١) الحنية : المحبة ، أى القوس المعوجة .

النشيد الوطنى

نَحْنُ خَوَاضُو غَمَارِ الْمَوْتِ كَشَافُو الْحَنِّ
مَا لَنَا غَيْرُ اكْتِسَاءِ الْعِزِّ أَوْ لُبْسِ السَّكَنِ
نَبْذِلُ الْأَرْوَاحَ نَقْدِيهَا لِأَحْيَاءِ الْوَطَنِ
هَلْ سِوَى الْأَرْوَاحِ لِلْأَوْ طَائِفٌ فِي الدُّنْيَا ثَمَنٌ
يَا ضَلَالُ الْآلَى لَمْ يَكُونُوا الْفِدَى
إِنْ تَبَتَّ نَحْنُ فَلْتَحْيِ أَوْطَانُنَا

الى عبد الستار القرغولى

هاك عبد الستار حَقَّكَ إِنْى لست من منكرين ثابت حَقَّكَ
غير أنى ذهلت عنه وصدقى فى ادعائى هذا مقيس بصدقك
إن تسكن قد عشقت شعرى فإنى عاشق شعرك البليغ كعشقك

دمعة على قبر الزهاوى

أيها الفيلسوف قد عشقت مضنى مثل ميت وصرت بالموت حيا
ما حياة العظيم إلا خلود بعد موت يكون للجسم طيا
سوف يبقى بين الورى لك ذكر ناطق بالبقاء لم يخش شيئا
أنت فى الفضل فرد حيا وميتا حزت فى الحالتين ذكرا عليا
سوف أبكى عليك شجوا وإنى كنت أبكيك فى الحياة شجيا



تجميع هذه الصورة بين طائفة من أدباء الطريق في حفلة أدبية أقامها السيد محمود صبحي الدفترى على أثر جنازة حرث بين الزهاوى والرصافي وقد تصافح فيها الشعراء وظهر في وسط الصورة يحيط بهما بعض المدعوين من أدباء البلد وسامته .

في مدرسة الامام الأعظم

مما كتب إلى العلامة الشيخ سعيد النقشبندی
مهنئاً له بتعيينه مدرسة إلى مدرسة الامام الأعظم
أبو حنيفة هـ

قد ازدهى للعلم تدريس
واتضحت معالم العلم لا
بعالم الآفاق من ربه
سعيد الذي له السعد قد
العالم العليم من لم تزل
يولج أهل الفضل في قصده
ويطرد الجهل به مثلاً
فلا تسئل عد معاليه إذ
وقل لمن حاول تعدادها
يحصي الحصى عدداً ولكنها
القدم الغطريف لاشك في
يبسم إن جئت وإيكنه
وليس للقاص علماء سوى
كم أذعن الخصم له طائعاً
ما واصل في العلم إلا له
وليس للبرهان في حاجة
أنت سليمان العلا والنهي
أنت ولا غيرك في خطه الـ
ونور أقمار سماء العلا
وزال عن طلابه البوس
يوجد رسم منه مدرّس
له على كيوان تأميس
طأطأ رأساً وهو مرموس
تحدى إليه النجب العيس
ويعقب الادلاج تفليس
يطرد بسم الله إبليس
تضايقت عنها القراطيس
عقلك في جهلك مظموس
لها عن الاحصاء تقديس
رؤيته للكرب تنفيس
ذو هيبة تحذرهما الشوس
محفل الحافل ناموس
وانقاد للايمان قسيس
أنت له رئيس وهو مرؤس
ان ضياء الشمس محسوس
أصف والآداب بلقيس
علم لداء الجهل قوريس
من شمس عرفانك معكوس

وإن يكن اللفظ درًا فلا نعجب إذ صدرك قابوس
لو لم يكن مدحك في الشعر لا يزدان تشطير وتخميس
ومد حوى مدحك شعري له بالعقد ذى الترصيع تجنيس
قلت وفي روضة انشاده روح النهانى لك مغروس
أرخ ودام لسعيد لدى أماننا النعمان تدريس

١٣١٨ هـ

شكر ومديح

وكتب الى حسين فوزى النائب بعد تناوله الكتاب
الذى استعاره منه :

أهدى إليك يا عظيم الجناز تشكراً لفضلك المستطاب
فيا حسين صح عند الورى أنك غيث نائل ذوانسكاب
قد جمع الله جميع الندى فيك بحال عنفوان الشباب
فأنت فى أفق سماء العلا شمس علا ما حجت فى ضباب
واننى أشكر طول المدى شكراً لارسالك ذاك البكتاب
جردتنى عن ثوب فقرى له كما تسل مرهفاً فى قراب
ناب أبوك عن علوم الهدى وأنت نبت عن هموع السحاب
علامة العصر جميع الورى قد هديت بعلمه للصواب
نكمم وكم معضلة أعجزت أمارط بالفطنة عنها الحجاب
وكم جلا غامض علم لنا بفكره الثاقب مثل الشهاب
قد بهر الناس بعرفانه حيث أتاهم بالعجيب العجاب
وفاق فى الآراء أهل النهى وأوتى الحكم وفصل الخطاب
لم يقطع الأمر لنا حاكماً برأيه الصائب إلا أصاب

فهو لعمري الله في قطعه كالصارم المشحوذ منه الذباب
فكيف لا أمدحك اليوم إذ أنك فرع أصل ذاك المهاب
وأنتمو أجداد هذا الوري وقد زكى العنصر منكم وطاب
وأنتم الرأس وما غيركم من شرف المختد إلا الذناب
ومنكم الفضل وأنتم له وما سواكم فيه إلا سراب
والله ذو الفضل من المجد قد ألبسكم في الناس أبهى نقاب
فاشهد الله وكل الوري إني إلى أحسابكم ذو انتساب

القدوم المبارك

وكتب للعلامة الشيخ سعيد النقشبندی عند عوده من
سامراء إلى بغداد للتدريس بمدرسة الإمام الأعظم .

ألا قد سر طالب كل علم ومن بذل النفائس في طلابه
صبيحة شرف الزورا سعيد بمقدمه المبارك من غيابه
وتدريس العلوم لطلبيها لدى النعمان عاد إلى جنبه
هو البحر الخضم بغير حد فرائد كل علم في عيابه
فقلت بمعرض التاريخ بشري وأمر الدرس عاد إلى نصابه

١٣٦٨ هـ

إلى حسين النائب

وكتب إلى حسين فوزي النائب يستعير منه كتاباً :

رفعت أكتفي محو فضلك سائلاً سؤال الوري الوهاب يابن الأماجد
ومن قبل هذا يابن أعلم عصرنا وحقق لم أمدد لغيرك ساعدي
فقد عرضت لي يا حسين لبانة بديوان شعر بن الحسين فساعد
وجد لي به بعض الزمان إغارة فلي فيه يا ذا الفضل بعض المقاصد
ولا زلت مأوى للعفاة ومرجعاً لكل بني الغبراء يا ذا الحمد

إلى الدكتور زكي مبارك

إذا أطرى الأنام فتى أدبياً
وعلم لا أشبهه ببهر
لقيت به أخاً أدب وعلم
زكى نفساً فقيلاً له زكى
يمج يراعه فى الطرس ليلاً
أقام (بنثره الفنى) جسراً
جلاً بذكائه سدق المعانى
وخاض عباب بحر من بيان
إذا قرع المنابر يوم حفل
أصاخوا نحوه وقد اشرأبوا
إذا افتخرت به مصر وتاهت

فلا بن مبارك أدب غزير
فقد نضبت بجانبه البحور
له شبيه وليس له نظير
وبورك فالمبارك منه خير
يشق دجاء صبح مستنير
لمن فى الفن أعجزه العبور
كأن ذكائه للفهم نور
تحوم عليه من بدع نسور
رأيت الناس من فرح تمور
أكفهم تصقق أو تشير
فكل بنى العراق به فخور

تخليد العظماء ١

قالوا نخلد ذكره بحديقة
ونضيفها فى التسميات إلى اسمه
لهذا لعمر الله جهل تضحك
إن الحداثق لا تخلد باسمها
مانفع تسمية الأما كن باسم من
من فاته غير المساعى فاته
إن المعالى ما لمن مآثر
هل تذكر الأشجار من بعد البلى

غناء فيها تنبت الأزهار
حتى يكون له بها تذكـار
العقلاء منه وتهزأ الأحرار
من لا تخلد ذكره الآثار
خلت الضمائر منه والأفكار
بعد الممات بغيرها الانشار
مثل الليالى ما بها أقمار
إلا بما انتضدت بها الأثمار

والذكرىات إذا أتت بشهودها حسن السماع وأحمد التكرار
من سار في دنياه سيرة مصلح لهجت بخالد ذكره الأمصار
من عاش في خطط البلاد مؤثرا أحيته بعد مماته الآثار

بين الرصافي والشيخ الراوى

أرسل المرحوم الشيخ إبراهيم الراوى قصيدة إلى المرحوم
الرصافي من جملتها البيت الآتى :

وأشعر أهل العصر عندى بلامرا جميل الزهاوى والرصافي المقدم
فنظم الرصافي القصيدة التالية وأرسلها إلى الشيخ الراوى :

السيد الراوى إبراهيم	فضل أضل الخافقين عينا
ومناقب لهج الرواة بذكرها	وبها استحق من الورى تعظيما
شيخ إذا جالسته فى مجلس	جالست منه مرشدا وحكما
وإذا نظرت لشخصه متأملا	أحسست فيك لشخصه تعظيما
داوى قلوب ملازميه بهديه	فأصح منها ما رآه سقيا
يا أيها الشيخ الذى قد أدرك	المجد المؤثل حادثا وقديما
أرسلت مألكة إلى كريمة	ضمنتها الدر النضيد نظيما
أحسن ظنك بى وحسن الظن من	تلقاء مثلك يوجب التقديما
شكرا على شعر إلى بعثته	فشفيت من قلبى الكلوم كلوما
شيم الكرام ورثتها من هاشم	تركت فخار مفاخرىك هاشما
أدنى احترامك أن تخصص بالعلى	وأقل مدحك أن تعد كريما

إلى الشيخ قاسم القيسي

إذا قاسم القيسي مر بخاطرى
تذكرته إذ كنت للعلم طالبا
فقد كنت أحيانا أزور فنائه
وكم زرتة في جامع الفضل راجيا
إذا زرتة يوما ثلت كنانتي
وعدت صحيح الفهم منه قد انجلت
هو العالم الخبر الذى من يلذ به
بما شاء في التوضيح من واقد الذكا
بقية أعلام مضوا وكفى به
له نظر في غامض العلم شامل
إذا ما نحا في العلم قتل عويصة
نماه أبوه الشيخ أحمد للعلا
فقد كان فردا كأبنة في ذكائه
وكان بتقسيم المسواريث عالما
فيارمسه اهنا بالذى أنت رامس

تذكرت عهدا في الصبا مر كالحلم
بفكرى ومعى مجهد النفس والجسم
وانتابه للرشف من منهل العلم
شفاء لما في مدنف الفهم من سقم
فتقف منها كان ما اعوج من سهم
ببقياه عنى غمة الغرم والغنم
يكن فائزا بالعلم والأدب الجلم
وما شاء في التقرير من صادق الحكم
من العلم طودا فوق أطواده الشم
ورأى سديد لا يحوم على الوهم
رماها بسهم من فطائنه مصمم
فبورك في الآباء من والد شهم
فجاء ابنه قرما تولد من قرم
ينيف بها رأيا على ثاقب النجم
سقاك السحاب الجون بالوابل السجم

تقرىض كتاب القيسي

هذا كتاب قد تبدا جامعا
كشفت فوائده وهن فرائد
أبدت بدائع براءة قاسم
بحر تلاطم بالفنون وبدره
هذا العمر أبى سحاب علومه

حكما تبين للنجاة التابعا
عن وجه غانية المرام براقعا
من راح في طرق المعارف بارعا
لا زال في برج السعادة طالعا
قد سح للطلاب غيثا نافعا

الرصافي يحيى وفد مصر الشقية

أتى من مصر طلعتها بن حرب فاهلا بالمدلل كل صعب^(١)
وأهلا بالذى ادخرته مصر لدفع مائة ولقرع خطب

هو الرجل الذى فى مصر قامت له هم تنفس كل كرب
تعمد بالمساعى العز مصر فبدل جذب تربتها بخصب
أحب بلاده فسمعت منها له شكر الحبيبة للمحب

* * *

لقد شاهدت مبتهجا بعينى له فى مصر آثارا كبارا
فى (الكبرى) له متحركات تخلد فى البلاد له الفخارا^(٢)
معامل ما رست غزلا ونسجا فأغنت فى صناعتها الديارا
وفى الاسكندرية باخرات له فى البحر تبتسدر السفارا
وأما بنك مصر فذاك أمر به قد جل طلعت أن يبارى

* * *

إذا ما مصر فى المال استقلت فلا تخشى التأخر فى السياسة^(٣)
فان المال أكبر ما يرجى به نيل السعادة والرئاسة
إذا ما الشعب كان أسير فقر فما تجدى السياسة والحماة
أيصبح فى سياسته ظليقا أسير أوجب الفقر احتياسه

* * *

(١) زار العراق سنة ١٩٣٦ وفد مصرى يرأسه المرحوم طلعت حرب زعيم مصر الاقتصادى ومؤسس بنك مصر وشركاته العديدة التى عادت على مصر بنتائج طيبة ما زالت تذكر فث شكر .

(٢) يريد بالكبرى « المحلة الكبرى » وهى مدينة مزدحمة بالمعامل ويود الفضل فى تصنيعها الى المرحوم طلعت حرب باشا .

(٣) يشير الى أن الاستقلال الاقتصادى هو أهم من الاستقلال السياسى

رجال النيل حيثهم رجالا
بكم طرب الفرات وقال جهرا
كلانا جاريان على سهول
كلانا في الأخاء له مواضي
وتجمعنا جوامع كبريات
لقد زرناكم قبلا فكننا
فمن بيت يمد به سباط
وما هذا لعمر الحق منكم
وما زرناكم لكبير ملك
ألا فلتحى مصر فنحن نرجو

بما للعرب فيكم من سمات
لوادى النيل أنك من لداني
بابناء العـروبة أهلات
ضمن لنا النجاح بكل آت
وأكبرهن سيدة اللغات^(١)
على نشر التجارة والكرامه^(٢)
ومن وجه تضيء به ابتسامه
بيدع بل لكم فيه استقامه
ولكن للأخوة والشهامه
لكم فيها السعادة والسلامه

• • •

وكم في مصر من بطل سواكم
وكم راق بها في جو علم
وكم ساع لها بخطى بن حرب
ولكن ابن حرب في دجاها
فكيف تكون مصر في اسار

يسير بها على خطوات سعد^(٣)
فيستهدى للأجمه ويهدى
ليسهدها بما يقنى ويحدي
كبدر الأفق حل ببرج سعد
وفيها اليوم من يحى ويفدى

(١) يريد بسيدة اللغات اللغة العربية كما قال شوقي :

إن الذى ملأ اللغات محاسنا
جعل الجمال وسره فى الضاد

(٢) يشير إلى زيارته مصر ممثلا العراق فى آذار سنة ١٩٣٦ وإلى الحفاوة التى نقيها وزميله

الأخرى من المصريين الكرام كما أشار إلى ذلك فى قصيدته (التى حيا بها مصر هناك) .

(٣) هو زعيم مصر سعد زغلول مؤسس حزب الوفد وباعث النهضة السياسية .

١ - فهرس موضوعات القصائد

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
مقدمة الطبعة الثالثة . . .	(ز)	في المعهد العلمي . . .	٧٤
الطبعة الثانية . . .	(ل)	في منتدى التهذيب . . .	٧٦
١ - التكوينية		في رحلة . . .	٧٨
في مشهد الكائنات . . .	٢	الفنون الجميلة . . .	٨٠
العالم شاعر . . .	٦	الحياة الاجتماعية والتعاون . . .	٨٢
تجاه الانتهاية . . .	١٢	في سبيل الوطنية . . .	٨٤
من أين وإلى أين . . .	١٣	في المدرسة (دار التفيض) . . .	٨٥
نحن على منظار . . .	١٧	المدارس ونهجها . . .	٨٧
كلمة معتبر . . .	٢١	العلم والاجازة فيه . . .	٨٨
السكى يا ضياء . . .	٢٤	العلم . . .	٩١
الأرض . . .	٢٧	دار الأيتام . . .	٩٣
٢ - الاجتماعيات		الفقر والسقام . . .	٩٤
نحن والماضى . . .	٣٤	تنبيه النيام . . .	١٠٣
معترك الحياة . . .	٣٦	سوء المنقلب . . .	١٠٥
أم اليتيم . . .	٣٩	العادات قاهرات . . .	١١٠
السجن في بغداد . . .	٤٢	بعد الدستور . . .	١١٣
الدهر والحقيقة . . .	٤٧	إيقاظ الرقود . . .	١١٦
في سبيل حرية الفكر . . .	٥٠	الصدق المضاعف . . .	١٢٢
إلى أبناء المدارس . . .	٥٢	بعد البين . . .	١٢٦
الطفلة . . .	٥٤	يقولون ! . . .	١٢٧
البيتم في العيد . . .	٥٨	في سبيل الوطن . . .	١٣١
سياسة لا حماسة . . .	٦٤	بين تونس وبغداد . . .	١٣٤
إلى الشبان . . .	٦٥	في حفلة شوقي . . .	١٣٦
الدهر . . .	٦٩	الأمة العربية . . .	١٣٩
إلى أبناء الوطن . . .	٧١	في لميلياء . . .	١٤٠
		تجاه الریحاني . . .	١٤٢
		بني الأرض . . .	١٤٣
		الحمد للمعلم . . .	١٤٦
		عرس مصر . . .	١٤٧
		من مضجكات الدهر . . .	١٤٨

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٢٠٠	الغروب	١٥٠	الشارع الكبير ببغداد
٢٠٣	ليلة في ملهى	١٥١	على الخوان
٢٠٦	في القطار	١٥٣	تحية سركيس
٢٠٨	الأرملة المرحمة	١٥٤	إلى البلاغ
٢١٠	عهد الصبا أو نهر الحياة	١٥٥	في حفلة الزهاوى
٢١٣	سفر في التومبيل	١٥٦	إلى صاحبة الحياة الجديدة
٢١٥	من ويلات الحرب	١٥٧	إلى المنعالم
٢١٨	على جسر مود	١٥٨	اليقيم المحدث
٢١٩	على البسفور	١٦٠	بيت الأحياء وحى الأموات
٢٢٠	إلى غرة آل سعدون	١٦١	نحن في بغداد
٢٢٢	النسام ونخامة رئيس الوزراء	١٦٢	رقية الصريع
٢٢٣	نحن في يوم حادثة الرئيس	١٦٤	مثنيات شعرية
٢٢٤	في ملعب كرة القدم	١٦٧	إلى المتفاعدين
٢٢٥	الاحسان	١٦٨	دار تربية الطفل *
٢٢٧	الجرائد	١٦٩	شكواى من الدهر *
٢٢٩	وقفه في الروض	١٧١	خزانة الأوقاف *
٢٣١	ما رأيت في بك أوغلى	١٧٣	التعصب الوطنى للأدب *
٢٣٤	السد في بغداد	١٧٣	عتاب وولاء *
٢٣٧	الساعة	١٧٧	مناجاة وشكوى *
٢٣٨	ذكرى لبنان	١٧٨	في حفلة الميلاد النبوى
٢٤٢	لبنان	١٨٠	إلى العمال
٢٤٤	في مكتبة الأوقاف		
٢٤٦	آل الجبل		٣ — الفلسفيات
٢٤٧	البابل والورد	١٨٤	خواطر شاعر
٢٤٨	أغرودة العنديل	١٨٦	وجه ابن آدم
٢٤٩	الصيف	١٨٨	ما وراء النهر
٢٥١	الشتاء	١٨٩	لو
٢٥٢	التلغراف	١٩١	حقبتي السلمية
٢٥٣	بيروت والباريس	١٩٢	حياة الورى
٢٥٤	في المستشفى الملكى	١٩٣	حبذا النوم
٢٥٥	إلى عبد اللطيف باشا المتدبل	١٩٤	بين الروح والجسد
٢٥٦	يا دار قسطنطين	١٩٦	من نواميس الحياة *
٢٥٧	فلكس فارس		
٢٥٨	مليكة غناء العرب		٤ — الوصفيات
٢٥٩	إلى جميع الغوانى	١٩٨	أنا والشعر

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٣٠٨	في موقف الأسى	٢٦٠	قصر البحر
٣١٠	ذكرى الرجال من حياة الأمم . .	٢٦١	محاسن الطبيعة
٣١٢	ذكرى الشيخ الخالصي	٢٦٤	ليلة في دمشق
٣١٤	على ضريح النائب	٢٦٥	حول النيسفور
٣١٦	دموع الصداقة	٢٦٦	تأثير التربية
٣١٨	هلم نيك	٢٦٧	ينقطة الشرق
٣١٩	دمعة على صديق	٢٦٨	إلى القزويني
٣٢٠	ميتة البطل الأكبر	٢٧٠	إلى حماة الأطفال * . . .
٣٢٢	ميتة البطل الأكبر (منظر الرافدين)	٢٧١	شاعر البشر *
٣٢٦	ذكرى فتي السعدون	٢٧٥	ذكرى المآثر التيمورية * . .
٣٢٨	ابن جبران	٢٧٦	أبو الطيب المتنبي
٣٢٩	جبر ضومط	٢٧٩	إلى الجواهري *
٣٣٠	أبو الخلو	٢٨٢	النساء الخلد *
٣٣٢	الشيخ قاسم	٢٨٣	الرصافي يقرض كتاباً لنزهاوي
٣٣٢	غريق دجلة	٢٨٣	الأفول المشرق
٣٣٢	شهداء الطيران *	٢٨٤	وقال هذه الأبيات مترجماً . .
٣٣٥	إلى أمن نخلة *	٢٨٤	إلى طه الراوي
٣٣٦	في يوم أبي غازي *	٢٨٥	إلى البطل عبد الكريم الرقي . .
٣٣٩	ذكرى السكاظمي *	٢٨٥	بداعة وخلاعة
٣٤١	رثاء شوقي شاعر مصر الأكبر . .	٢٨٧	في دار النقيب
	٧ - النسائيات	٢٨٨	الحق المنتصب
٣٤٤	المرأة في الشرق	٢٨٨	تحت تصوير النائب
٣٤٦	نساؤنا	٢٨٨	إلى عبد الكريم العلاف . . .
٣٤٧	حرية الزواج عندنا		٥ - الحر بقيات
٣٤٩	المرأة المسفة	٢٩٠	وقفة عند شراغان
٣٥١	التربية والأمهات	٢٩٢	أم الطفل في مشهد الحريق . .
٣٥٤	المنهجورة أو مشهدا الحسن في الحزن	٢٩٥	ثلاثة الأثافي
٣٥٦	إلى الحجابيين		٦ - المرأى
٣٥٦	هوان المرأة عندنا *		
	٨ - التاريخيات		
٣٥٨	ضلال التاريخ	٣٠١	واصد بقاء
٣٦١	جائينوس العرب أو أبو بكر الرازي	٣٠٢	في الملكوت الأعلى
٣٦٩	الحرب في البحر	٣٠٥	واحمداء !
		٣٠٦	واشيخاه

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
٥٣٦	فقال	٥٠٦	من هذا ؟ من مطبخ الدستور ،
٥٣٧	ليالى الأوس		الوزارة عندنا
٥٣٨	الشمس ، رئيس المائدة	٥٠٧	عبد الحليم باشا المذنب ، إلى السبعين
٥٣٩	رائع		عفو بعد أن
٥٤٠	نقى بلى ماء	٥٠٨	الترامواي في الآستانة
٥٤١	هوى الموت	٥٠٩	القيمتا في الصديق ، الدين ولوطن ،
٥٤٢	وقال		الحياة والأذلة
٥٤٣	المسكتب ، أثبات في غلائل	٥١٠	أيها الفتى ، في معرض الشكر
٥٤٤	كل امرئ وسدقة ، النفس الأمازة	٥١١	عند لعبة البيلارد ، لسيما الوطني
٥٤٥	الأوس في غير موقعة كدر	٥١٢	عند نشر المعاهدة ، وزراء المعارف عندنا
٥٤٦	البصرة ، الحر في أغسطس	٥١٣	قيصر معلوف ، إلى أمين كامله
٥٤٧	البرد في كانون ، معلقة ، وقال	٥١٤	إلى عبد الوهاب النائب ، إلى أوف الأمر
٥٤٨	صحو ، وقال في بعضهم	٥١٥	المصور البارح ، الأغنياء والقراء ،
٥٤٩	في المسرح ، شكر ورداع	٥١٦	الجهن فضاخ ، حمام الوزارة ، رخص
٥٥٠	إلى ليداس الوزير *		النائب ، الناس والموت
٥٥١	في مادية آن نطف الله * في مادية	٥١٧	معرفة العلم في المجتمع الانساني ، أم سري
٥٥٢	عبد الرحمن عزام * في مادية حافظ	٥١٨	الحرب الحر العراقي ، السيم المصاح
٥٥٣	عفيفي باشا * في مادية نظافة الحكيم *	٥١٩	نجل عبد الطيف ، عبد الوهاب النائب
٥٥٤	إلى أبي ماجد المنديل *	٥٢٠	إلى أمير الكعبة
٥٥٥	النكرخي ومن كذب في مناهشة	٥٢١	إلى محمد الرضا
٥٥٦	من خواطر الماضي *	٥٢٢	نخامة الرئيس ووسام ابراهيم في بيروت
٥٥٧	سورة *	٥٢٣	نهاد قرة العين ، ذات الشعر الأبيض
٥٥٨	عصاي الفتية *	٥٢٤	رقعة قولى ، جو بيروت ، على مقابر
٥٥٩	المشيد الوطني ، إلى عبد الستار		الشهداء
٥٦٠	الترغولي ، دمه على ثوب الزهاري	٥٢٥	متيرة ، يطلب جنارا
٥٦١	في مدرسة الامام الاعظم	٥٢٦	اسمى الى كلاما ، في عود انكسر
٥٦٢	شكر ومديح	٥٢٧	ضاق الحناق ، وصف البدر عند الافرخ
٥٦٣	المقدم المبارك ، إلى حسين النائب	٥٢٨	إلى أم كلثوم
٥٦٤	إلى الدكتور زكي مبارك ، تخليد العظام	٥٢٩	أيها السكاب
٥٦٥	بين الرصافي والشيخ الراوى	٥٣٠	هجو بعض الرأين من الشايخ ، جاهل
٥٦٦	إلى الشيخ قسم القوي	٥٣١	متكبر ، العاقل الماتجى
٥٦٧	الرصافي يحيى وفد مصر الشقيقة	٥٣٢	فلسفى مرأ ، الأرض
٥٦٨	فهرس موضوعات القصائد	٥٣٣	أيها المشوق ، بين اليأس والرجاء
٥٦٩	الذواقي	٥٣٤	جواب عن كتاب ، النقى عن النفس
٥٧٠		٥٣٥	في المشوق شكر على صديق

٢ - فهرس القوافي

المطلع	القافية	صفحة	المطلع	القافية	صفحة
حرف الهمزة					
ليس في غاية الحياة البقاء ...	الرجاء	٣٣٩	لعمرك إن قصر البحر قصر	الغريب	٢٦٠
قضوا شهداء ليس لهم بواء	البقاء	٣٣٣	شاع كالبرق في المراقين يوما	كأبه	٢٢٣
أى قدس يضم هذا البناء	السماء	١٦٨	تمودت في شادي القريض المنهدبا	أتكذبا	٥٥٢
اللوم داء في النفوس عياء	دواء	٥٤٧	عيد الصبا سقيا لأيام الصبا	الربا	٢١٠
جاء المصيف نجفت الأنداء	الأشياء	٢٤٩	حي النفس أغشى في رضاها المعاطبا	فاضبا	٢٤٢
قل لعبد الوهاب النائب العلامة	النجباء	٥١٤	ياسا كتنا وهو مشنوق على عمد	خطبا	٥٣٢
أعبد المحسن السعدون إني	الرجاء	٢٢٠	تذكرت في أوطاني الأهل	سكبا	٢٠٦
سود الله منك يا شيخ وجها	السوداء	٥٣٠	أصبحت أوسعهم لوما وتثريا	مركوبا	٤٠٤
حي هذي القبور إن كنت حيا	الغراء	٥٢٤	ظهورك أيتها الفساة بجملهم	باشيا	٣٤٥
كأن الشمس باخرة مخور	الفضاء	٥٢٧	طرب الشعر أن يكون نسبا	الطريبا	٢٠٣
ألا ما لأهل الشرق في برحاء	شقاء	٣٤٢	سر في حياتك سير نابه ...	تجابه	٧١
أقم في الأرض صرحا من ضياء	السماء	٥٣٨	من جور مصر عن العروبة أنها	آدابها	١٧٣
من أين من أين يا ابتداءني	انتهائي	١٣	ومليحة أوصافها ...	التصابي	٥٢٣
أنظر إلى تلك العلفة التي	بالأضواء	٥٤٦	أى مضي يمدد باكتئاب	التهاب	٩٤
أحب صراحتي قولا وفعلا	الرياء	١٩١	ألا انقض وثمر أيها الشرق	السكتب	٤٨٠
حرف الباء					
حيا كم الله أيها العرب ...	عجب	٤٩٤	إن فلسكس بن فارس رجل	أدبه	٢٥٧
نصور حقائق في بهجة ...	تعجب	٥٤٢	للمغربي بأرض الشام منزلة	الأدب	٥١٨
هل الدهر إلا أعجمي أخاطبه	أجاذبه	٦٩	حي الأمين الذي طابت مغارسه	العرب	٥١٢
لله يوم جاء يوسع برده ...	عقارب	٥٤٦	سيوف لحاظ أم قسي حواجب	المعاطب	٥٤٢
وطن حياتك المكاره وارقب	مشرب	٥٠٩	هو الدهر لم يرحم إذا شد	بالخطب	٣٧٢
يا دار قسطنطين أنت فريدة	الزغب	٢٥٦	لمن تركت فتون الهم والأدب	العطب	٣٠٨
إلى كم نصب الدمع عيني وتسكب	تأهب	٥٤٤	إنيك ما شاهدت عيني ..	التعب	٢٦٦
بدت كالشمس يحضن الغروب	الشجوب	٥٤	لا يبلغ المرء منتهى أربه ...	طلبه	٩١
جمالك يا وجه الفضاء عجيب	رحيب	٢	الدهر بين في كتاب شهادة	مكتوب	٥٣٧
لهذا اليوم في التاريخ ذكر	طيب	١٤٢	وفدقد قائم الأعمام متسع	المكتاتيب	٢١٣
			سمعت شعرا ناعندليب ...	الطريب	٢٤٨
			دع زعج اللوم واخل العتاب	العجاب	٤٥١
			وقفت عليك كن قلبي الذي ...	السحاب	٢٥٩
			سلم إلى ذوق طعم الأدب	الأدب	٢٥٨
			لقد جمع الشيخ هذي السكتب	المعطب	٢٤٤

الطالع	القافية	صفحة	الطالع	القافية	صفحة
حرف التاء			حرف الخاء		
بغداد حسبك رقدة وسبات	النكبات	١٠٥	ألا بلنوا عني الوزير مقالة	توبيخ	٥١٦
كأن حياتنا جبن مطل ...	الممات	٥٤٠	حرف الدال		
أيا سائلنا بغداد إتنا ...	النبت	١٦١	حرف الراء		
كل شيء من عالم الدررات	كالنبات	١٩٦	عجبت للناس في الدنيا خالتهن	يجتدها	٥١٦
كل ابن آدم مقهور بعدادات	الارادات	١١٠	لعمرك لو كانت حديدنا جسومنا	مبارد	٣١٠
هي الأخلاق تنبت كالنبات	المكرمات	٣٤٩	عقل وتجربة وجد زائد ...	التقاعد	١٦٧
يا موطنا ما اقتضيتها مهنة	إهائنه	٤٨٩	سل الإنكليزي الذي لم يزل له	مفعد	٤٧١
نهيتك عن هواك فما انتهيت	استهيت	٥٤٣	لعمرك إن الحر لا يتقيد ...	المفند	٧٤
حرف الشاء			أما أن أن يقضى البلاد سعوها	هجودها	١٠٣
وفي الأنعام لم تر قط عيني	الثلاث	٥١١	أيكفينا من الدولات أنا ...	البنود	٤٦٢
لقد جمع الدهر المكابد كلها	الحيث	٤٦٩	قاي عليك حليف الوجد يا عود	الأغريد	٥٢٦
خليلى هل من منصت فأبته	البث	٤٥٧	كلوا يأبها الساده ...	المعاده	٥٠٦
حرف الجيم			تريد لي الأيام أن أتقيدا ...	المجددا	٧٦
صاح قم بي إلى أمير الكنجة	لهجه	٥٢٠	على لوبنا الوهاب أنى ...	حمده	٥١٩
ترى مقلتي ما ليس يملكه بدى	محوجا	٥٣٢	حق للمدم أن يكون نشيدا	رشيدا	٣٣٥
أيها الانجليز لن نقناسى ...	انفلوجه	٤٦٨	عهدك شاعر العرب للجيدا	النشيدا	٣٤
سمى المصطفى لازلت تملو ...	أوج	٤٤٠	هلم يا قوم نسعى ...	سعيده	١٥٦
حرف الحاء			أتوسر إن في بغداد قوما	بالوداد	١٣٤
هي عيني ودمعها نضاح ...	محتاج	٤٢٠	نحن من أرضنا على منطاد	الأمداد	١٧
قعدت بقارعة الطريق تنوح	يصبح	٢٩٥	قوض الدهر بالحرب عمادى	بالأنكاد	٣٨٢
قل لنجلا نجلا أبى اللع لاني	الوضاح	١٩٢	وشامخ الأنف ما ينفك مكتسيا	النادى	٤٣٠
لقد جربت أصدق أصدقائي	صلاح	٥١٠	أرى بعد نوم طالع في انشراق نقطة	المجد	٢٣٦
لمن الديار يلجن في الصحصاح	الأرواح	٥٣٥	لقدبت مطاروف النواظر بالسهد	الوجد	٣٠٢
معارف بغداد قد جاءها ...	مسرح	٥٢٩	إذا شئت أنت نسرى ...	الرواعد	٢٢٧
تجنّب من سقيم الرأي قريبا	الصحيح	٥٤٧	أطلت يا دهر نحسى ...	يسعدى	٥٠٣
مرت تقول ألا يارب خذروحي	تباريحي	٢١٥	سكنا ولم يسكن حراك التبدد	غد	٤٢
			تقطف فها أنت بالخالد ...	الرائد	١٦٠
			ألا بلنوا عني رسالة منشد	محمد	٢٨٢
			إليك عادل جبر رسم ذى مقه	الفند	٥٠٥
			من كان في المجد المؤئل راغبا	البارودى	٨٤
			إلى كم أنت تهتف بالنشيد ...	الرفود	١١٦

الطالع	التأقية	صفحة	الطالع	التأقية	صفحة
أيها القوم ما لكم في جود	تفندي	٤٣٤	أيها ماجد إني عهدتك مبصراً	مبصر	٢٥٥
جئت إلى الدير ضحى يوم الأحد	قصده	٤٦٢	أيها ماجد إني عهدتك مبصراً	مبصر	٥٥١
أعبود إليك ذو فطنة ...	سميد	٥٥٢	أعزني لساناً أيها الشعر لشكر	شعر	٥٤٨
حرف الراء					
أعزرت يا عمر المفلخر كلها	تختار	٥٠٨	قرأت وما غير الطبيعة من سفر	الشعر	٦
بكي الفضل لما أن قضى نفيه جبر	جبر	٣٢٩	شكراً لفضل محمد ...	شعري	٥٣٤
لقيتها في الطريق عابرة ...	تبخترها	٥٠٩	وبضاء أغناها عن الحلى ثغرها	الثغر	٣٥٢
في آل معلوف الكرام خلائق	الأكدر	٥١٣	الشعر مفتقر مني لمبتكر ...	بمفتقر	٦٤
ويع المعارف لا يستوزرون لها	وزروا	٥١٢	خطاب يهودا قد دعانا إلى الفكر	ذكر	٤٣١
لعمرك ما كل انكسار له جبر	الجهر	١٨٤	خبر في الأرض أوحته السما	الفسكر	٢٧
ناح الحمام وغرد الشجرور	مسرور	٢٢٩	تفكرت في كنه الحياة فلم أكن	تفكرى	٣٠١
قد كاد بالحر هذا اليوم يصيرنا	تسير	٥٤٥	من كاث يأرق بالهموم ...	المسرور	٢٦٤
نكب الشارع الكبير يبعثاد	اضطرارا	١٥١	إن فن التصوير قد صار فيه	فظير	٥١٥
وطنى جاء يطلب جنانا ...	أجرارا	٥٢٥	يا عمرك الله من وليد ...	بالتغير	٨٠٤
دار ذا الدهر مداره ...	ازوراره	٤٦٦	للبرق أسلاك تؤدى الأخبار	الأوتار	٢٥٢
نعمت الدار للتفيض دارا ...	منارا	٨٥	رأيت لمبليس عدو البشر	حضر	٤٩٩
هو النصر معقود برايقنا الجرا	الكبرى	٤٨٤	حيهل يا أخا مضر ...	مذكر	٢٧١
شب الأسنى في فلوب الشعب	انتخرا	٣٢٢	فكنت الملائك قبل البشر	القمر	٥٢٩
تبليج أفق الشرق ...	مفترا	٤١٧	بأيها المفتي بتكفيريا ...	نكير	٥١٠
حرف الزاء					
أبعد الدهر في القضاء مكره	بالجرحه	١٢	إن من حاز في العلوم إجازة	ممتازة	٨٨
بك الشعر لابي أصبح اليوم	شاعرا	٢٧٩	إذا انتضى مارث فاكسر خلفه	تموزا	٣٩٠
أمارس دهرا من جديدي داهرا	ساهرا	١٣٦	قل للحكومات في البلقان	بانجهاز	٤١٣
كتبت لنفسى عهد تحريرها	الدهرا	٥٠	أبو غازى قضى فأقيم غازى	التعازى	٣٣٦
كفى بالعلم في الظلمات نورا	الأمورا	٥٢	حرف السين		
وليل به قد بت أختلس الكرى	يتفورا	١٤٦	أرى الحسن في لبنان أيتع غرسه	لمسه	٢٤٢
خليلى قوما بنى لنشهد للربا	أسرنا	٢٦٥	زفت لينا العروس ...	لأنكليس	٣٩٤
هو الدهر لم يترك مشن غواره	نهاره	٣٦	أدهق الدهر بالمنية كاسه	أناسه	٣١٢
حياة الورى جسر مديد وإنما	عابر	١٩٢	إني عهدتك لا تكون يثوسا	نموسا	٤٥٩
أقول لرب الشعر مهدى الجواهرى	السواحر	١٧٧	سعر وها في البحر حراضر وها	النفوسا	٣٦٩
وصاحب قد دعانا أن نلم به	الوتر	٥٤٤	إت لبيروت بعمرانها ...	التباريسا	٢٥٣
أشر فعل البرايا فعلى منتجر	مفتخر	١٦٤	كم فاضل أكبرته قبل الملقا	وطيسا	١٥٣
حببت العلى منذ الصبا حب شاعر	قادر	٧٨	كرت ولست في الذكرى بناس	حاس	٥٣٦
مضى عبد وهاب الهبات لربه	حر	٣٦٩	إيناس إن مزيك التى عظمت	الناس	٥٥٣
مضى تطلق الأيام حربة الفسكر	الأسر	١٨٨			

الصفحة	القافية	المطلع	الصفحة	القافية	المطلع
٥١٧	أجما	أأم سرى أنت سلطنة البها	٥١٥	بأس	أرى أغنياء الناس كالعبي لم يروا
٥٠٧	راع	إلى الربيل السكرم إلى السباعي	٤٧٢	بالجنس	بني وطني ماذا أقول بعدما
٨٢	انتفاع	يعيش الناس في حال اجتماع			حرف الشين
٣٤٤	الطبع	ألا خلياني في الكلام من السجع			تأري عيشنا تأبي المنون امتداده
		حرف الغين	٥٣٩	نريش	
١٥٤	البلاغ	أباقر لم تدع للقوم عذرا ...			حرف الصاد
		حرف الفاء	٢١٩	متقاص	وقفت على البسفور والريح عاصف
٤٦٣	أعنف	أنا بالحكومة والسياسة أعرف			حرف الضاد
٤٥٦	السخافة	أرى الأتراك في دار الخلافه			تجر إذا صادقت من وده محض
٤١١	مطافا	متى نرجو لغمتنا انكشافاً	٥٤٣	العرض	قد صبح عزيمك والزمان مريض
١١٣	عزفا	سقتنا المعالي من سلاقتها صرفا	٤٢٢	تثيض	إني لأشكر من حمد الرضا
٢٥٤	بمستشفى	أطالت أيا سعدون مكثك ههنا	٥٢١	مضى	
٣١٨	متصفا	هلم نيك النهي والعلم والشرفا			حرف الطاء
٥٠٦	باسعاف	آل التشايب إن الله أسعفكم			خاض الدجى وظلام الليل مختلط
١٧١	الأوقاف	للمسلمين على نزوة وفرهم	٤٠٧	مختلط	بدت في مسرح رحب البلاط
٦٥	الشرف	أدب العلم وعلم الأدب ...	٥٤٨	مخاط	
		حرف القاف			حرف الظاء
٥٢٧	الحناق	أقول لهم وقد جد الفراق			إن العفيفي حافظ ...
٤١٥	الطرق	أرى الحق لم يغش البلاد وإنما	٥٤٠	محافظة	
٣٥٨	أولق	أقول وطرفي في المحال محقق			حرف العين
٤٨٧	الموتفا	أدرنة مهلا فان الطي ...			أطل صباح العيد في الشرق
٢٣١	الخلقا	ذهبت لحي في فروق تراجمت	٥٨	ترجع	قد كانت الأغصان مخضرة
٣٣٢	حريقا	يا من قضى بين المياه غريقا	٢٥١	تسجع	ياسين إنك بالقلوب مشيع
٥٢٤	صديقا	وغرت رقتي في القول قوما	٤٦١	مودع	أقوى مصيف القوم والمرج
٨٠	طريقا	إن رمت عيشا ناعما ورقيقا	٢١	بلقع	ما أهون الأنثى على ذكرانا
٥٠٥	صادق	إلى المغربى الجبر أهديت صورتي	٣٥٥	خضوعها	لقد طوحنتي في البلاد مضاعا
٥١٤	طرقى	يا مبعدى بظلم عن مناصبهم	١٢٦	تباعا	عبد الحبيد قضى فوا أسفا
٢٣٤	الفرق	نجيت بالسد بغداداً من الفرق	٣١٦	جزعا	
٤٧	بغاسق	أرى الدهر لا يألو بستر الحقائق			

الطالع	الفافية	صفحة	المطالع	الفافية	صفحة
أرى الدهر لا يلبس بستر الخفافى	بخاسق	١٦٩	فار السلام تفاخرت برجال	الأطفال	٢٣٠
شكاية قلب بالأسى نابض العرق	الحق	١٦٩	أشعروا المعاهدة التي في طيها	الأميل	٥١٢
قالوا نحا شقة قصوى وما علموا	الشقيق	٢١٦	إن النصر لا يجب سؤالي	خوالى	٣٨٧
حرف الكف					
يا شرق بشراك ...	الحالك	٣٩٢	يا عدل طال الانتظار فعجل	فأقبل	١٦٢
قامت تيمس بأعطاف وأوزارك	الحاكي	٥٤١	أيوسف ما إن أنت من فعل	الفعل	٥٣١
سأبدى الدهرى ناجدا لنضحك	مهاكي	١٤٨	إن بلبلا من نسيم السحر	المحمل	٢٤٧
بد وجه العروبة في حلوك	المهوك	٣٣٠	إن العراق بعرضه وبطوله	نخيله	٤٢٥
حرف اللام					
هكذا يدرك في الدنيا السكالي	الرجال	٣٢٠	عبد اللطيف بفعله جعل الورى	التدليل	٥٠٧
ما للديار تراءى وهى أطال	ترحال	٢٩٢	حرف الميم		
رفت بوصف جمالك الأقوال	اعتال	٥٤٠	قصدوا الرياضة لاعبين وبينهم	الأجسام	٢٢٤
صفائك في يا إسعاف ود	اعتال	٥٠٥	نه يا وسام المرادين بصدورهم	وسام	٢٢٢
روبدك غورو أبهذا الجبران	أقوال	٤٣٣	أطربتهم بلحنها الأنغام ...	الآلام	١٤٧
قولوا لحزب تسمى الحر مقتدا	مقتل	٥١٨	لقت في عصر الشباب حقائقها	الأفهام	٥٠٣
مر القرام فليل اركب فقلت لهم	السكسل	٥٠٨	أكب على الإخوان وكان خفا	القبام	١٥١
لأحمد تيمور ما أثر لم تزل	الأفاميل	٢٧٥	لله سر في الأنام مطاسم	الأفهم	١٨٦
هو المليل يغربه الأسى فيطول	سدول	٣٩٦	يا قوم لا تتكلموا ...	محرم	٤٥٠
هى دنيا بقاؤها مستحيل	التأميل	٣١٤	على قاسم شيخ الطارقة قد بكت	قاسم	٣٣٢
لاتيك أربهم رلا الأطالالا	خبالا	٢١٨	بذ كان جهل الناس مدعاة غيهم	سلم	٥١٧
قضت المطامع أن طيل جدالا	محالا	٣٧٨	عليه يعززه من دولة علم ...	الأمم	٤٤٧
أزمت عنا إلى مولاك ترحالا	أرحالا	٣٠٦	لواجع الهم في جنبي تضطرم	الهمم	٤٤٥
هم يعدون بالثبات ذكورا	مشاله	٤١٠	أرى الروح بالبدن اتصالا	رسوم	١٩٤
ابنو المدارس واستقصوا	رحلا	٨٧	فضى والليل معسكر بهم	حيم	١٥٨
إليك زعيم الهند أورد مهنا	تفضلا	٤٥٣	فغار شمر في القدس فضل	اليتامى	٩٣
نجل عبد اللطيف وهو نجيب	طافلا	٥٢٠	اسمعى لى قبل الرجل كلاما	غراما	٥٢٦
قسما بالاله عز وجل ...	تخلى	٥٣٢	قال فولا به استحق احتراما	ملاما	٤٣٥
زلت تبحر إلى افروب ذبولا	متبولا	٢٠٠	قد يطفح الاوم حتى إن صاحبه	السكرما	٥٤٥
لا تشك الناس يوما عسرة الحال	بلبال	٥٣٢	لم أر بين الناس ذا مظهله	مسلمه	٣٤٧
قال ذو الحزب إذ أناه مقالى	نبالى	٥١٦	كأن البدر صحن من لبن	الهموما	٥٢٧
ألا لفته منا إلى الزمن الحالى	مفضال	٣٦١	أى خطاب دهم ربوع الشام	دام	٣٠٥
			المجد والفضل منشوران في علم	رام	٥٤٩
			جو يروت في الشداء دفي	الأسقام	٥٢٤
			هى النى كنهفور القيد نبتيم	الحذم	٤٠١
			يقولون في الاسلام ظلمنا بأنه	التقدم	١٢٨

الطالع	القافية	صفحة	الطالع	القافية	صفحة
زمت مسمعى ليلا بأنة مؤلم	ضيق	٣٩	هل سمعتم منيرة قد أفاضت	فن	٥٣٥
بنى الأرض هل من سامع فأبته	عالم	١٤٣	أرى النهر أحيانا يجيش بخاطري	مصونة	١٩٨
أخص في العلم إن أردت كمالا	الآثم	١٥٧	قل للحجابيين كيف ترواكم	مبين	٣٥٤
أسبغ الله نعيم الحسن ...	نعم	٤٠٥	آل الجليل سرور كل حزين	المسكين	٢٤٦
نحن ضيوف ذات مجد ...	صميم	٥٥٠	هى المواطن أدنيها وتقصى	تبلنى	٤٢٨
زهرة قد بدت ...	السدى	٥٥٣	شوقى إليك قريب لا يفانى	يداننى	٥٣١
البحر رهو والسما صاحبة	السديم	٢٦١	أطالوا الحرب طاحنة زبونا	السنيها	٤٧٣
حرف النون			يا حبب الشرق أهلا ...	كرابن	٤٣٨
أما أن أن تنسى من المقوم أضعان	بنيان	١٣١	كان مذ قال واهب الأولاد	كن	٥٢٣
بكت في ظلام الليل تندب أهلها	يلين	٤٥٤	نحن خواضو غمار الموت	الحن	٥٥٤
أصبحت أعذل نوابا وأعيانا	شراغنا	٢٩٠	حرف الهاء		
مخلص منكشف إخلاصه ...	الأناته	٥٠٦	وخر سام لم ينطق بحرف لسانها	بحشاها	٢٣٧
إن الوزارة لا أبالك عندنا	لندنا	٥٠١	لنيتنى ليتنى ما كنت ألقاها	ممشاها	٢٠٨
لو كنت أعبد نانيا في ذى الدفا	الحسنا	٢٢٥	في آل لطف الله لطف ساحر	الأفواء	٥٥٠
لإذما الفتى في دهره أحسن انظنا	المعنى	٢٢٦	قف على الحمراء وانذب ...	فيه	٥٠٢
يا قوم إن المداقد هاجوا الوطن	السكنا	٤٩١	ما أذبح الجبل ببدى عيب صاحبه	يخفيه	٢١٦
أجذك يا كواكب لا تريننا	اليقينا	٢٤	حرف الواو		
لقد سمعوا من الوطن الأنينا	حنينا	٣٨٤	أرى بغداد من بعد اغبرار	الزهاوى	١٥٥
برزت تميس كخطرة النشوان	البان	٢٣٨	حرف الياء		
لو أسكر الانسان باطل أمره	سكران	١٨٩	كأني بهنذى الأرض قد حان حبها	شظايا	٥٣١
همم الرجال مقيسة بزمانها	عمرتها	١٣٩	علام حرمنا منذ حين تلاقيا	لاهايا	١٢٢
ونجمع جامع ضام الغناء به	أوطاني	٥٢٢	أنا شيخ وذى عصا فتية	هديه	٥٥٤
نحن للجرى العوان ...	الأماني	٤٩٦	أرى الأيام ظامئة وليست	ربا	١٤٠
من سامع قصة لي كنت شاهدا	لبنان	٣٢٨	نحن قوم من الدراويش نغنى	بتكية	٥١٦
يا ضاربا بالسكان ...	افتنان	٥٠٢	لو جعلنا كل شيء وطنيا	جنيا	٥١١
أشربت حب بلاد منشأت بها	عدوان	١٧٣	قف بالديار الدارسات وحيها	حيها	٢٦٨
صاح إن الخطوب في غليان	الموان	٤٧٦			
حسن الوسام بهدر عبد المحسن	سوسن	٢٢٢			
لما بك والبصرة المضى توطنها	منظطن	٥٤٥			
لا يغدعك هتاف القوم بالوطن	العلن	٥٠٩			